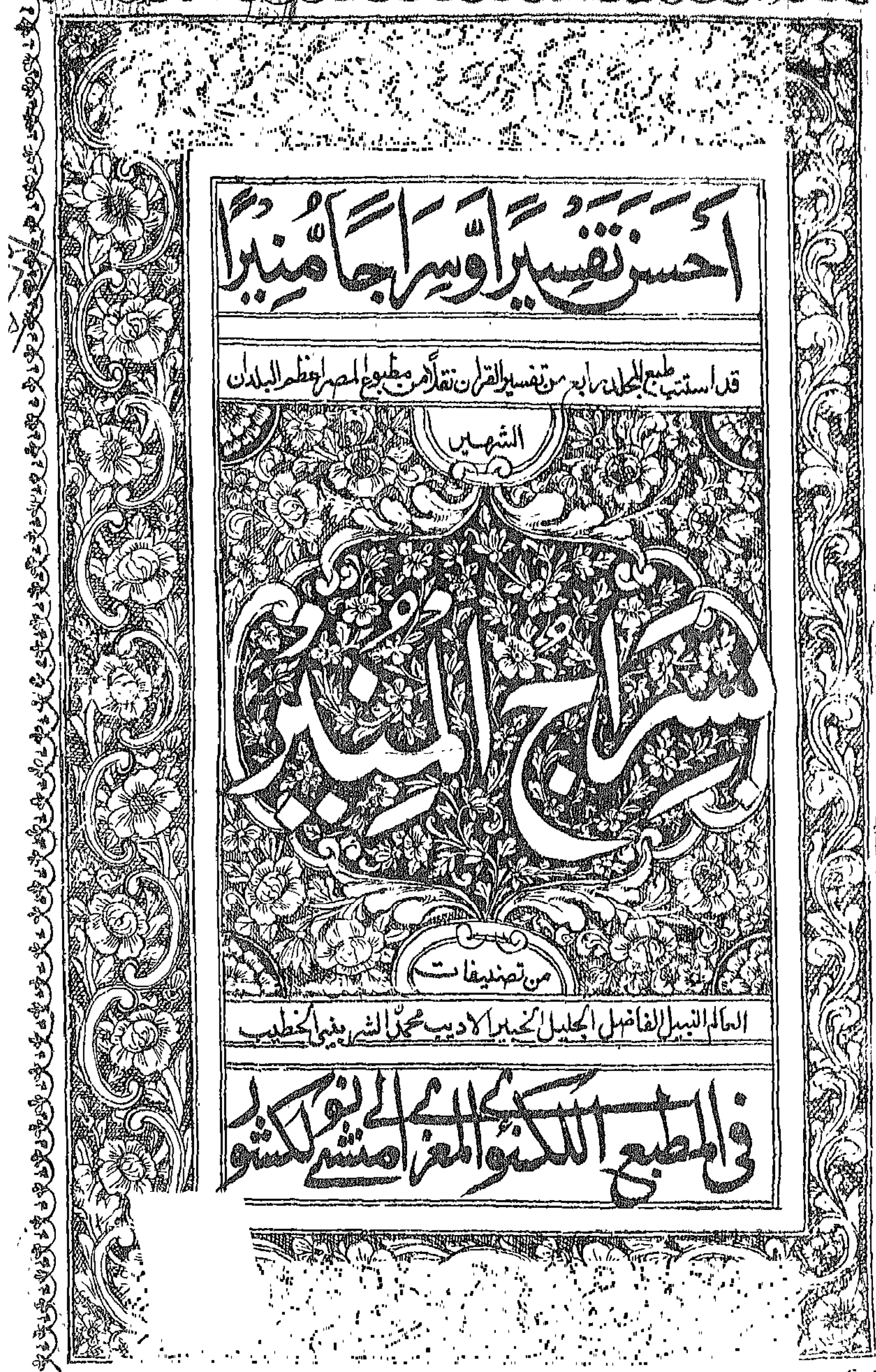


أحسن تفسيراً وسراجاً منيراً

قد استتب طبع المجلد الرابع من تفسير القرآن نقلاً من مطبوع المصر أعظم البلدان

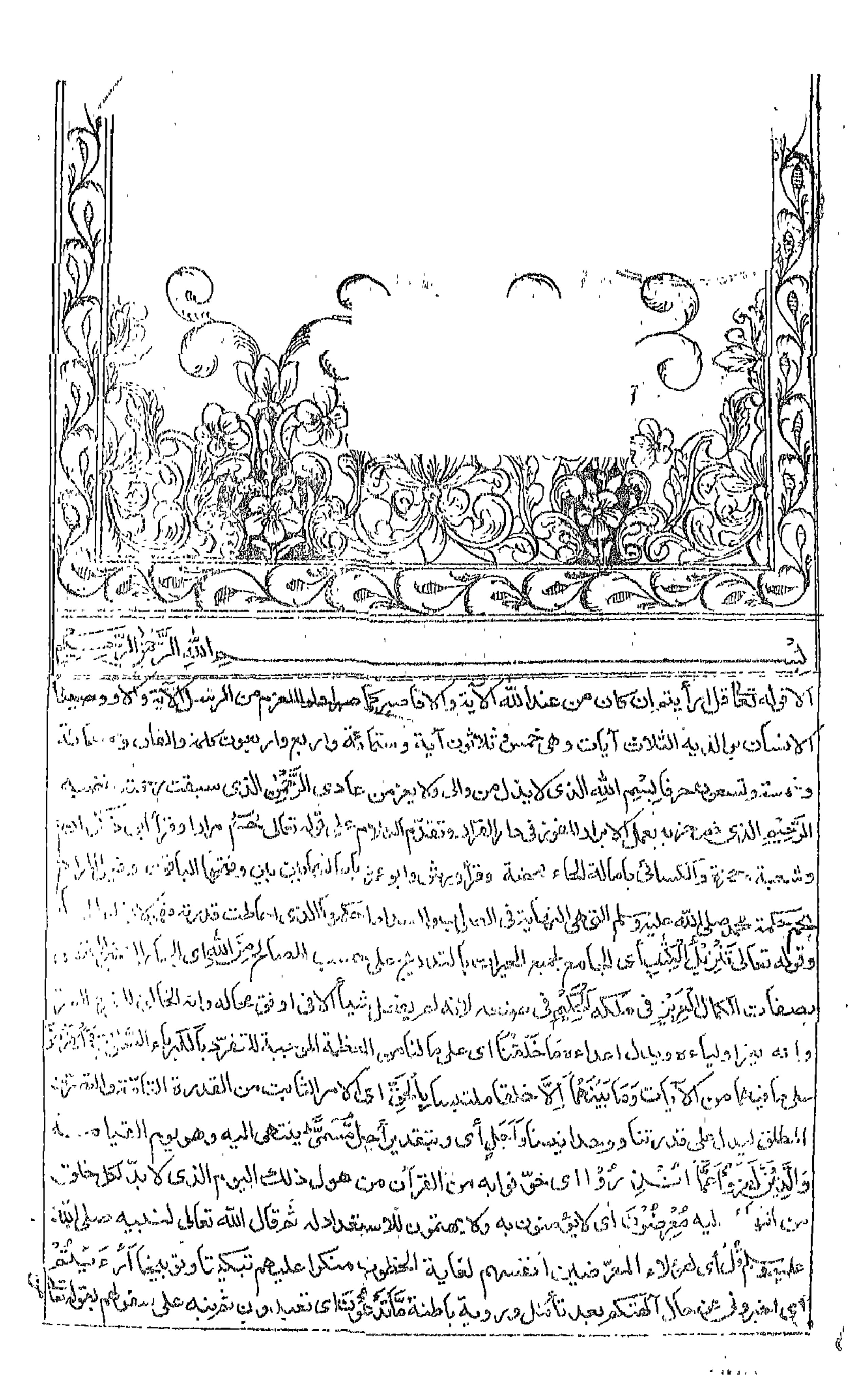
الشهير

السراج المنير

من تصنيفات

العالم النبيل الفاضل الجليل الخبير الاديب محمد الشربيني الخطيب

فى المطبع اللكنوى المعزى المنشى نولكشور



بسم الله الرحمن الرحيم

الا قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله الآية والا فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الآية والا ووصينا
الانسان بوالديه الثلاث آيات وهي خمس وثلاثون آية وستمائة واربع واربعون كلمة والفان و[illegible]
و[illegible] وتسعون حرفا بسم الله الذي لا يذل من والى ولا يعز من عادى الرحمن الذي سبقت رحمته غضبه
الرحيم الذي خص حزبه بعمل الابرار المؤدي الى دار القرار وتقدم الكلام على قوله تعالى حم مرارا وقرأ ابن ذكوان
وشعبة وحمزة والكسائي باماله الحاء محضة وقرأ ورش وابو عمرو بين بين وفتحها الباقون [illegible]
حكمة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي النهاية في [illegible] والذي احاطت قدرته [illegible]
وقوله تعالى تنزيل الكتاب اي الجامع لجميع الخيرات [illegible] على [illegible] من الله اي [illegible]
بصفات الكمال العزيز في ملكه الحكيم في صنعه لانه لم يفعل شيئا الا في اوفق محاله [illegible]
وانه يعز اولياءه ويذل اعداءه ما خلقنا اي على ما لنا من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء السموات والارض
[illegible] فيهما من الآيات وما بينهما الا خلقا ملتبسا بالحق اي الامر الثابت من القدرة التامة والحكمة
المطلق [illegible] على قدرتنا ووحدانيتنا واجل اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيامة
والذين كفروا عما انذروا اي خوفوا به من القرآن من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق
من انتهائه اليه معرضون اي لا يؤمنون به ولا يهتمون للاستعداد له ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم قل اي لهؤلاء المعرضين انفسهم لغاية الخطوب منكرا عليهم تبكيتا وتوبيخا ارأيتم
اي اخبروني [illegible] حال المتكلم بعد تأمل وروية باطنة ما تدعون اي تعبدون [illegible] على [illegible] بقوله تعالى

دُوْنِ اللّٰهِ اى الملك الاعظم الذى كل شئ دونه فلا كفء له مفعول اوّل وقوله تعالى اَرُوْنِىْ اى اخبرونى
[illegible] وقوله ماذا خلقوا مفعول ثان وقوله تعالى من الارض بيان لما اى ليصح ادّعاء انهم شركاء فيها
فتراعوا ذلك الجزء ام لهم اى الذين تدعون من دونه شرك اى مشاركة فى خلق السموات اى بنوع من انواع
الشركة مع الله تعالى وام بمعنى همزة الانكار ولما كان الدليل احد شيئين سمع وعقل قال تعالى
ائتونى اى [illegible] فى هذه الاصنام أنها خلقت شيئا أو انها تستحق ان تعبد تنبيه ابدال ورش والسوسى
[illegible] ائتونى فى الوصل ياء [illegible] وحققها الباقون واما الابتداء فجميع القراء ابدلوها ياء بعد الابتداء بهمزة
[illegible] من قبل هذا اى القرآن الذى انزل على [illegible] كالتوراة والانجيل والزبور وهذا من اعلام النبوة فانها
[illegible] عليه ولما ذكر تعالى الاعلى الذى لا يجب التكليف الا به وهو النقل
[illegible] قال او اثرة اى بقية من علم يؤثر عن الاولين بصحة دعواكم فى عبادة
الاصنام [illegible] اثارة ما يؤثر من علم كقولك هذا الحديث يؤثر عن
[illegible] الاثار [illegible] قال الواحدى وكلام
اهل اللغة فى هذا الحرف يدور على ثلاثة اقوال الاول الاثارة واشتقاقها من اثرت الشئ اثيره
[illegible] والثانى من الاثر الذى هو الرواية والثالث من الاثر بمعنى العلامة
[illegible] او اثارة اى بقية من علم يؤثر عن الاولين اى يسند اليهم وقال مجاهد
[illegible] قال الرازى [illegible] وهنا قول آخر او اثارة من علم هو علم الخط
الذى يخط فى الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور وروى انه صلى الله عليه وسلم قال كان
نبى من الانبياء يخط فمن وافق خطه خطه علم علمه فعلى هذا الوجه معنى الآية ائتونى بعلم من قبل
هذا الخط الذى تخطونه فى الرمل يدل على [illegible] فى عبادة الاصنام فان صح تفسير الآية
[illegible] تقريرهم [illegible]
[illegible] ان كنتم صادقين اى فى دعواكم [illegible] الانفس حكمتم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من يدعوا من دون الله اى من ادنى رتبة من رتبة الله
[illegible] بكل شئ [illegible] يجيب الدعاء ويكشف
البلاء [illegible] لا يقدر هو على تدبير نفسه
[illegible] فكيف بغيره من الاصنام [illegible] الى نفسه واحب الى طاعته كان فيرحمه
[illegible] كراهته له فيكشف [illegible] على انه لم يكن له فرح الانية من يجيب
من لا يستجيب له اى لا توجد الاجابة ولا يطلب ايجادها من الاصنام وغيرها لانه لا اهلية له لذلك
المعنى انه لا احد ابعد عن الحق واقرب الى الجهل ممن يدعوا من دون الله الاصنام فيتخذها آلهة

ويعبدها وهي اذا دعيت لا تسمع ولا تجيب لا في الحال ولا في المآل الى يوم القيامة وانما جعل ذلك غاية
لان يوم القيامة قد قيل ان الله تعالى يحييها وتخاطب من يعبدها فلذلك جعله الله تعالى حدا وقيل المراد به
الملائكة وعيسى فانهم يوم القيامة يظهرون عبادة هؤلاء العابدين وهم عن دعائهم اي دعاء المشركين
اياهم غافلون اي لهم هذا الوصف لا ينفكون عنه لا يعلمون من يدعوهم ومن لا يدعوهم وعبر بالغفلة
التي هي من اوصاف العقلاء للجماد تغليبا ان كان المراد اعم من الاصنام وغيرها مما عبد من عقلاء
وغيرهم ولما غيا سبحانه بيوم القيامة فافهم انهم يستجيبون لهم فيه بين ما يجاوبونهم به
اذ ذاك فقال تعالى واذا حشر اي جمع بكره على ايسر وجه واسهل امر الناس اي يوم القيامة كانوا
اي المدعوون لهم اي الداعين اعداء ويعطيهم الله تعالى قوة الكلام فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به
العدو عدوه وكانوا اي المعبودون بعبادتهم اي الداعين وهم المشركون اياهم كافرين اي جاحدين
لانهم كانوا عنها غافلين كما قال تعالى في سورة يونس عليه السلام وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
ثم بين تعالى انهم في نهاية الغباوة بانكار ما لا شيء ابين منه بقوله سبحانه واذا تتلى اي تقرأ من
اي قارئ كان على وجه المتابعة عليهم اي هؤلاء البعداء البغضاء آياتنا التي لا اعظم منها في انفسها بانتسابها
الينا وهي القرآن وقوله تعالى بينات اي ظاهرات حال قالوا هكذا كان الاصل لكنه تعالى بين
الوصف الحامل لهم على القول فقال عز وجل قال الذين كفروا اي ستروا تلك الانوار التي برزتها الله
الناشئة لها هكذا كان الاصل ولكن قال تعالى للحق اي لاجله لما اي حين جاءهم اي من
غير نظر وتأمل هذا اي الذي يتلى سحر اي خيال لا حقيقة له مبين اي ظاهر في انه
خيال باطل وقوله تعالى ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى
ذكر ما هو اشنع وانكار له وتعجيب ثم بين تعالى بطلان شبهتهم بقوله تعالى قل اي يا اشرف الخلق
ان افتريته اي تعمدت كذبه على ربكم فانا انما اريد به نصيحتكم فالذي افتريته عليه وانسبه
اليه يعاقبني على ذلك ولا يتركني اصلا وذلك هو معنى قوله فلا تملكون لي اي ايها المنتصحون بوجه
من الوجوه ولا في وقت من الاوقات لي من الله اي الملك الاعظم شيئا من الاشياء لما يريد بي
من انتقامه لان الملك لا يترك من كذب عليه مطلق كذب فكيف من يتعمد الكذب عليه في الرسالة
بامور عظيمة وملازمته مساء وصباحا فاني تحامل لي حين تعلى افترائه ثم علل ما افاده الكلام من
وجوب الانتقام بقوله هو اي الله سبحانه اعلم اي منكم ومن كل احد بما تفيضون فيه اي
بما تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه بانه سحر كفى به شهيدا اي شاهدا بليغ
الشهادة لانه اعلم بجميع احوال التابعين بيني وبينكم اي ان القرآن جاء من عنده ويشهد لي بالصدق
ولكم بالكذب وقد شهد بصدقي بعجزكم عن معارضة شيء من هذا الكتاب الذي اتيت به فتبين
بذلك انه كلامه لاني لا اقدر على ما تقدرون عليه فرادى ولا مجتمعين وانتم عربيون مثلي وانا امي
وفيكم من يكتب والذين تعلموا العلماء ويسمعوا احاديث الامم ويضربوا في دور البلاد البعيدة بلاد

اليهم فظهر بذلك ظهور الشمس انكم كاذبون وهو أي وحده الغفور أي الذي من شأنه أن يمحو الذنوب
اعيانها وآثارها فلا يعاقب عليها ولا يعاتب الرحيم أي الذي يكرم بعد المغفرة ويتفضل بالتوفيق لما
يرضيه قال الزجاج هذا دعاء الى التوبة ومعناه غفور لمن تاب منكم رحيم به ولما حكى تعالى طعنهم
في كون القرآن معجزا بقولهم انه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه الى انه كلام الله تعالى على
سبيل الفرية حكى عنهم شبهة أخرى وهي انهم كانوا يقترحون عليه معجزات عجيبة ويطالبونه
بان يخبرهم عن المغيبات فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل قل أي لهؤلاء الذين نسبوك
الى الافتراء ما كنت أي كونا ما بدعا أي منشئا مبتدعا محدثا مخترعا بحيث أكون أجنبيا منقطعا
من الرسل أي لم يتقدم لي منهم مثال في أصل ما جئت به وهو التوحيد ومحاسن الاخلاق
بل قد تقدم قبلي رسل كثيرون أتوا بمثل ما أتيت به ودعوا اليه كما دعوت اليه وصدقهم الله تعالى
بمثل ما صدقني به من تثبيت بذلك رسالاتهم وسعد بهم من صدقهم من قومهم وشقي من كذبهم فانظر والى
آثارهم واسأل عن سيرهم من أتباعهم وأنصارهم وأشياعهم فتبصر البدع والبديع من كل شيء
المبتدأ والبدع منه ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله وفي الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار
قال البقاعي ومعناه والله أعلم أنه يبتدع ما يخالف السنة اذ كانت البدعة ضد السنة فاذا
أحدث ما له أصل في السنة كان باحداثه موافقا للسنة كما كان ما أحدث في النار ولم يدخل تحت هذا ما يخرج عنه الانسان
من أمثال البر ليس ببدعة اهـ تقدم قبلي في الذي يخترعه كراهة وقال ابن عبد السلام البدعة منقسمة الى
واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة قال والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة
فان دخلت في قواعد الايجاب فهي واجبة كالاشتغال بعلم النحو أو في قواعد التحريم فمحرمة كمذهب القدرية
والمجسمة والرافضة قال والرد على هؤلاء من البدع الواجبة أو في قواعد المندوب فمندوبة كبناء الربط و
المدارس وكل احسان لم يعهد في العصر الاول كصلاة التراويح أو في قواعد المكروه فمكروهة كزخرفة المساجد و
تزويق المصاحف أو في قواعد المباح فمباحة كالمصافحة عقب الصبح والعصر والتوسع في المآكل والملابس وروى البيهقي
باسناده في مناقب الشافعي رضي الله تعالى عنه انه قال المحدثات ضربان أحدهما ما خالف كتابا أو سنة أو اجماعا
فهو بدعة وضلالة والثاني ما أحدث من الخير فهو غير مذموم واختلف في تفسير قوله تعالى عن قوله عليه الصلاة
والسلام وما أدري ما يفعل بي ولا بكم على وجهين أحدهما أن يحمل ذلك على أحوال الدنيا
والثاني أن يحمل على أحوال الآخرة أما الأول ففيه وجوه أحدها أن معناه لا أدري ما يصير
اليه أمري وأمركم ومن الغالب منا ومن المغلوب ثانيها قال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد
البلاء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة رأى في المنام انه يهاجر الى أرض ذات نخل وشجر
وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا أن ذلك فرج مما هم فيه من أذى المشركين ثم انهم
مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي قلت متى نهاجر الى الارض
التي رأيتها في المنام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل

وما ادري ما يفعل بي ولا بكم هل هو شيء رأيته في المنام إن اي ما أتبع اي بغاية جهدي وجدي الا ما
اي الذي يوحى الي اي يجدد القاءه ممن لا يوحى بحق سواه الي على سبيل التدريج لا يطلع عليه حق الاطلاع
غيري تأتيها قال الضحاك لا ادري ما تؤمرون به ولا ما أؤمر به من التكاليف الشرائع ولا من الابتلاء والامتحان وما انا
اي باخباري لكم بما يوحى الي الا نذير مبين اي بين الانذار بأبهى كلامه يقول ما ادري ما يفعل بي في الدنيا
اموت او اقتل كما قتل الانبياء قبلي ولا ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السماء او يخسف
بكم او يفعل بكم ما يفعل بسائر الامم قال السدي ثم اخبره الله تعالى انه يظهر دينه على الاديان بقوله تعالى هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون فاخبره الله تعالى بما يصنع به وبامته واما من حمل الآية على احوال الآخرة فروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف
نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر الى قوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك
فما يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الآية وانزل وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين لهم ما يفعل به وبهم وبهذا قال انس والحسن وعكرمة وقالوا انما قال هذا
قبل ان يخبر بغفران ذنبه لانه انما اخبر به عام الحديبية فنسخ ذلك قال الرازي واكثر المحققين استبعدوا هذا
القول من وجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لا بد وان يعلم من نفسه ومتى علم كونه نبيا علم انه لا تصدر
عنه الكبائر وانه مغفور له واذا كان كذلك امتنع كونه شاكا في انه هل هو مغفور له او لا ثانيهما ان الانبياء
ارفع حالا من الاولياء وقد قال تعالى في حقهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فكيف يعقل ان يبقى الرسول الذي هو رئيس الانبياء وقدوة الاولياء شاكا في انه هل هو من المغفور لهم فثبت ضعف
هذا القول قل يا افضل الخلق لهؤلاء المصرين على التكذيب أرأيتم اي اخبروني إن كان اي هذا الذي
ايتكم به وهو القرآن من عند الله اي الملك الاعظم وكفرتم به اي ايها المشركون وشهد
شاهد واحد او اكثر من بني اسرائيل اي الذين جرت عادتكم ان تستفتوهم وتثقوا بهم
على مثله اي مثل ما في القرآن من ان من وحد فقد آمن ومن اشرك فقد كفر وان الله تعالى
انزل ذلك في التوراة والانجيل وجميع اسفارهم فتطابقت عليه كتبهم وتظافرت به
رسلهم وتواترت على الدعاء اليه والامر به انبياؤهم عليهم الصلاة والسلام فآمن اي هذا
الذي شهد هذه الشهادة واستكبرتم اي اوجدتم الكبر بالاعراض عنه طالبين
بذلك الرياسة والفخر وكنتم بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة فضلا لكم
فوضعتم الشيء في غير موضعه فانسد عليكم باب الهداية واختلف في هذا الشاهد فقال
قتادة والضحاك واكثر المفسرين هو عبد الله بن سلام شهد بنبوة المصطفى صلى الله عليه
وسلم وآمن به واستكبرت اليهود فلم يؤمنوا به كما روي انه قال سمع عبد الله بن سلام

بمقدم

بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فنظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن جبريل آنفا قال جبريل قال نعم قال ذلك عدو اليهود من الملائكة فقرأ من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله ثم قال اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام تأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك لرسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أفرأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام فقالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف منه يا رسول الله قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الآية وشهد شاهد من بني اسرائيل وقيل الشاهد هو موسى بن عمران قال الشعبي قال مسروق في هذه الآية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين فكيف يمكن حمل هذه الآية المكية على واقعة حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وانما نزلت الآية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالمدينة واجاب الكلبي بان السورة مكية الا هذه الآية فانها مدنية وان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين وقيل المراد بالشاهد موسى ومثل القرآن هو التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن فكل واحد يصدق الآخر لان التوراة مشتملة على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن مصدق للتوراة وجواب الشرط المحذوف المبين دل عليه قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ اى الملك الاعظم ذا العزة والحكمة ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ﴾ اى الذين لهم قوة على القيام بما يريدون ﴿الظَّالِمِينَ﴾ اى الذين من شأنهم وضع الامور في غير مواضعها فلاجل ذلك لا يهديكم اذ لا احد ارسخ منكم في الظلم الذى تسبب عنه هلاككم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى تعمدوا التغطية للحق ﴿لِلَّذِينَ﴾ اى لاجل ايمان الذين ﴿آمَنُوا﴾ اى سبقوهم الى الايمان ﴿لَوْ كَانَ﴾ اى ايمانهم بالقرآن ﴿خَيْرًا﴾ اى من جملة الخيور ﴿مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ ونحن اشرف منهم واكثر اموالا واولادا واعلم بتحصيل العز والسودد الذى هو مناط الخير كما لم يسبقونا الى شئ من هذه الخيرات التي نحن فائزون بها وهم صفر منها لكن ليس بخير فلهذا سبقونا اليه ﴿وَإِذْ﴾ اى وحين ﴿لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ اى بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا﴾ اى القرآن الذى سبقتم اليه ﴿إِفْكٌ﴾ اى شئ مصروف عن وجهه الى قفاه ﴿قَدِيمٌ﴾ اى افك غيره وعثرهو عليه فاتى به ونسبه الى الله تعالى كما

قالوا اساطير الاولين قديم اى قالوا ذلك والحال انه كان فى بعض الزمن الذى من قبله اى القرآن كتاب
موسى كليم الله تعالى حال كون كتابه وهو التوراة اماما اى يستحق ان يؤمه كل من سمع به ورحمة
لما فيه من نعم الدلائل على الله تعالى والبيانات الشافية وفى الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى
اماما ورحمة ولم يهتدوا به كما قال تعالى فى الآية الاولى واذ لم يهتدوا به وهذا اى القرآن كتاب
اى جامع لجميع الخيرات مصدق اى لكتاب موسى عليه السلام وغيره من الكتب التى تصح نسبتها الى الله تعالى
فى ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله تعالى وقوله تعالى لسانا حال من الضمير فى مصدق وقوله
عربيا صفة للسانا وهو المسوغ لوقوع هذا الجامد حالا اى فى اعلى طبقات اللسان العربى مع كونه اسهل الكتب
تناولا وابعدها عن التكلف ليس هو بحيث يمنعه علو فخامة الالفاظ وجلالة المعانى ودقة الاشارة
عن سهولة الفهم وقرب التناول وقوله تعالى لينذر اى الكتاب بحسن بيانه وعظم شأنه الذين ظلموا
اى سواء كانوا عريقين فى الظلم ام لا وقرأ نافع وابن عامر بالتاء خطابا اى ايها الرسول والباقون بالياء غيبة
بخلاف عن البزى وبشرى اى كاملة للمحسنين اى المؤمنين بان لهم الجنة ولما قرر دلائل التوحيد
والنبوة وذكر شبهات المنكرين واجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحققين فقال تعالى ان الذين قالوا ربنا اى
خالقنا ومولانا والمحسن الينا الله وحده ثم استقاموا اى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة
فى الامور التى هى منتهى العلم وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم
اى من لحوق مكروه ولا هم يحزنون اى على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اى العالو
الدرجات اصحاب الجنة خالدين فيها خلودا لا آخر له جزوا بذلك جزاء بما اى بسبب ما كانوا
طبعا وخلقا يعملون اى على سبيل التجديد المستمر ولما كان رضا الله تعالى فى رضا الوالدين
وسخطه فى سخطهما كما ورد به الحديث حث عليه بقوله تعالى ووصينا اى بما لنا من
العظمة الانسان اى هذا النوع الذى انس بنفسه بوالديه وقرأ احسانا نافع وابن كثير
وابو عمرو وابن عامر بضم الحاء وسكون السين وقرأ الكوفيون بسكون الحاء وقبلها همزة
مكسورة وفتح السين وبعدها الف فهو منصوب على المصدر بفعل مقدر اى وصيناه ان يحسن
اليهما احسانا ومثله حسنا حملته امه كرها اى على مشقة ووضعته كرها اى بمشقة وقرأ
الكوفيون وابن ذكوان بضم الكاف منهما والباقون بالفتح وهما لغتان بمعنى واحد مثل الضعف والضعف
وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وليس المراد ابتداء الحمل فان ذلك لا يكون بمشقة لقوله
تعالى فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت حينئذ حملته كرها ووضعته كرها
تنبيه دلت الآية على ان حق الام اعظم لانه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا
فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر فقال حملته امه كرها ووضعته كرها وذلك يدل على ان حقها
اعظم وان وصول المشاق اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار كثيرة فى هذا الباب وحمله وفصاله
اى من الرضاع ثلاثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية الولد ومبالغة فى الوصية

بها وفي ذلك دلالة على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وقال
تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا اسقطنا الحولين الكاملين وهي اربعة وعشرون
شهرا من ثلاثين بقي مدة الحمل ستة اشهر روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا حملت
المرأة تسعة اشهر ارضعت احدى وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا وروي عن أبي بكر
ان امرأة دفعت اليه وقد ولدت لستة اشهر فامر برجمها فقال عمر لا رجم عليها وذكر الطريق المتقدمة وعن
عثمان نحوه وانه هم بذلك فقرأ ابن عباس رضي الله عنهما عليه الآية واما مدة اكثر الحمل فليس في القرآن ما يدل عليه
واختلف الائمة في ذلك فعند الشافعي اربع سنين وقوله تعالى حتى اذا بلغ اشده لا بد فيه من جملة محذوفة
تكون حتى غاية لها اي عاش واستمرت حياته حتى اذا بلغ اشده قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء
الاشد ثماني عشرة سنة وقيل نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى
اربعين سنة فذلك قوله تعالى وبلغ اربعين سنة وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وابيه ابي قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير
بنت صخر بن عمرو وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الآية في ابي بكر الصديق اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد
من المهاجرين ابواه غيره اوصاه الله تعالى بهما ولزم ذلك من بعده وكان ابو بكر يصحب النبي صلى الله عليه
وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارته الى الشام
فلما بلغ اربعين سنة ونبئ النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن ابواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن
عبد الرحمن ابو عتيق ثم ان ابا بكر دعا ربه بان قال رب اوزعني اي الهمني وقرأ ورش والبزي
بفتح الياء في الوصل والباقون بسكونها ان اشكر نعمتك التي انعمت اي بها علي اي وعلى اولادي
وعلى والدي وهو التوحيد واكثر المفسرين على ان الاشد ثلاث وثلاثون
قال الرازي مراتب الحيوان ثلاثة لان بدن الحيوان لا يتكون الا برطوبة غريزية
وحرارة غريزية والرطوبة الغريزية زائدة في اول العمر ناقصة في آخره والانتقال من الزيادة
الى النقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل الاستواء في وسط هاتين المدتين فثبت ان مدة العمر
منقسمة الى ثلاثة اقسام فاولها ان تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية
وحينئذ تكون الاعضاء عظيمة التمدد في ذواتها وزيادتها في الطول والعرض والعمق وهذا
هو سن النشو والثانية وهي المرتبة المتوسطة ان تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ
الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو حين الشباب والمرتبة
الثالثة ان تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان
على قسمين فالاول هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان الظاهر وهو سن
الشيخوخة قال المفسرون لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة قال الرازي وهذا يشكل بعيسى
عليه السلام فان الله تعالى جعله نبيا من اول عمره الا انه يجب ان يقال الاغلب انه ما جاء الوحي

لا بعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ثم ان ابا بكر دعا ايضا فقال
وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاجاب الله تعالى دعاء ابي بكر فاعتق تسعة من المؤمنين
يعذبون في الله تعالى منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي
فاجابه الله تعالى دعاءه فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا وادرك ابواه وابنه
عبد الرحمن وابن ابنه ابو عتيق النبي صلى الله عليه وسلم وهم مؤمنون ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة
تنبيه اصلح يتعدى بنفسه لقوله تعالى واصلحنا له زوجه وانما تعدى بفي لتضمنه معنى الطف
في ذريتي او لانه جعل الذرية ظرفا للاصلاح والمعنى هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم اني
تبت اي رجعت اليك عن كل ما يقدح في الاقبال عليك واكده اعلاما بان حاله في الاقبال على الشهوات
حال من يبعد منه الاقلاع فيستكثر اخباره به وكذا قوله واني من المسلمين اي الذين اسلموا ظواهرهم
وبواطنهم فانقادوا تمام انقيادا اولئك اي العالون الرتبة القائلون هذا القول ابو بكر وغيره
الذين يتقبل بأسهل وجه عنهم واشار بصيغة التفعل الى انه يعمل في قبوله عمل المعتني والتقبل من الله
هو ايجاب الثواب له على عمله وقوله تعالى احسن ما عملوا اي اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا
فان قيل كيف قال الله تعالى احسن والله تعالى يتقبل الاحسن وما دونه اجيب بوجهين احدهما
ان المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقولهم الناقص والاشج اعدلا
بني مروان اي عادلا بني مروان ثانيهما ان الحسن من الاعمال هو المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب
والاحسن ما يغاير ذلك وهو المندوب والواجب ولما كان الانسان محل النقصان وان كان محسنا نبه على ذلك
بقوله تعالى ونتجاوز اي بوعد لا خلف فيه عن سيئاتهم اي فلا يعاقبهم عليها وقرأ حفص وحمزة والكسائي
بنون مفتوحة قبل الفوقية من يتقبل ونصب احسن ونون مفتوحة قبل الفوقية من نتجاوز والباقون
بياء مضمومة قبل الفوقية من يتقبل ونتجاوز ورفع احسن وقوله تعالى في اصحاب الجنة في
محل الحال اي كائنين في جملة اصحاب الجنة كقولك اكرمني الامير في اصحابه اي
في جملتهم وقيل خبر مبتدأ مضمر اي هم في اصحاب الجنة وقوله تعالى وعد الصدق
مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة لان قوله تعالى اولئك الذين يتقبل عنهم في معنى
الوعد فيكون قوله تعالى يتقبل ويتجاوز وعدا من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز والمعنى يعامل
من صفته ما قدمنا بهذا الجزاء وذلك وعد من الله تعالى صدق لكونه مطابقا للواقع
الذي كانوا يوعدون اي يعدهم الوعد به في الدنيا من لا اصدق منه وهم الرسل
عليهم الصلاة والسلام حين اخبروا بقوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات ولما وصف
تعالى الولد البار بوالديه وصف الولد العاق لهما بقوله تعالى والذي قال لوالديه اف لكما
والمراد به الجنس وقال ابن عباس والسدي نزلت في عبد الله بن ابي وقيل في عبد الرحمن بن ابي بكر
قبل اسلامه كان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى وهو قوله اف لكما وقال الحسن وقتادة ١٦

انها نزلت فى كل كافر عاق لوالديه وعليه يوجب ان ما نزلت فيمن تقدم لا ينافى ان المراد الجنس فان خصوص
السبب لا يوجب التخصيص وقراءات ذكرت فى سورة بنى اسرائيل أتعدانني أن أخرج اى على سبيل
الاستمرار بالتجديد فى كل وقت وقرأ هشام بادغام النون الاولى فى الثانية وفتح الياء نافع وابن كثير
وسكنها الباقون أن أخرج اى من مخرج ما يخرجنى من الارض بعد ان غيبت فيها وصرت ترابا فيحيينى
كما كنت اول مرة وقد اى والحال انه قد خلت اى مضت على سنن الموت القرون
اى الامم الكثيرة متواصلة من قبلى اى قرنا بعد قرن على طول الازمان ولم يخرج منهم احد من
قبره وهما اى والحال انهما كلما قال لهما ذلك يستغيثان الله اى يطلبان بدعائهما من له جميع صفات
الكمال ان يغيثهما بالتوفيق لكلامهما ويقولان ان لم ترجع ويلك اى هلاكك بمعنى هلكت
آمن اى اوقع الايمان الذى لا ايمان غيره وهو الذى ينقذك من كل هلكة ويوجب كل فوز بالتصديق بالبعث
وبكل ما جاء من الله تعالى ثم عللا أمرهما على هذا الوجه مؤكدين فى مقابلة انكاره بقولهما ان وعد الله
أى الملك المحيط بجميع صفات الكمال حق أى ثابت أعظم ثبات لانه لو لم يكن حقا لكان نقصا منزها
عن الخلاف الذى لا يرضاه لنفسه اقل الملوك فكيف بملك الملوك فيقول مسببا عن قولهما ومعقبا له
ما هذا اى الذى تذكرانه من البعث الا اساطير اى اكاذيب الاولين المكتوبة أولئك اى
البعداء من العقل والمروءة وكل خير الذين حق اى ثبت ووجب عليهم القول اى الكامل فى بابه
بانهم اسفل السافلين وهذا كما قال البيضاوى يرد على من قال انها نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر لانه
يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان الاسلام وقال البقاعى وهذا يكذب من قال
انها نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر فانه اسلم وصار من اكابر الصحابة وحقت له الجنة ولما اثبت لهم هذه
الشنعة بين كثرة من شاركهم فيها بقوله تعالى فى أمم اى خلائق كانوا بحيث يقصدهم
الناس ويتبع بعضهم بعضا قد خلت اى تلك الامم من قبلهم وكانوا قدوتهم واحضل الجبار كانت
المحكوم عليه بعض السالفين من الجن لان العرب كانت تستعظمهم وتستجير بهم وذلك لانهم يتظاهرون
لهم ويؤذونهم ولم يقطع اذاهم لهم وتسلطهم عليهم ظاهرا وباطنا الا القرآن فانه احرقهم بانواره وجلاهم
عن تلك البلاد بتجلى انواره والانس ولا نفعهم كثرتهم ولا اغنت عنهم قوتهم وقوله
تعالى انهم اى كلهم كانوا اى جبلة وطبعا وخلقا لا يقدرون على الانفكاك عنه
خاسرين اى عريقين فى هذا الوصف تعليل للحكم على الاستئناف ولكل درجات مما عملوا
قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقال مقاتل ولكل
واحد من الفريقين يعنى البار بوالديه والعاق لهما درجات فى الايمان والكفر والطاعة والمعصية
(فان قيل) كيف يجوز اطلاق لفظ الدرجات على اهل النار وقد ورد الجنة درجات والنار دركات
(اجيب) من وجوه احدها ان ذلك على جهة التغليب ثانيها قال ابن زيد درج اهل الجنة تذهب
علوا ودرج اهل النار تذهب هبوطا وثالثها المراد بالدرجات المراتب المتزايدة

فدرجات أهل الجنة في الخيرات والطاعات ودرجات أهل النار في المعاصي والسيئات وقوله تعالى
وليوفيهم أعمالهم أي جزاءها معلله محذوف تقديره جازاهم بذلك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام
وعاصم بالياء التحتية أي الله والباقون بالنون أي نحن وقوله تعالى وهم لا يظلمون أي شيئاً بنقص
للمؤمنين ولا بزيادة للكافرين إما استئناف وإما حال من ضمير وليوفيهم أي واذكر يا أفضل الخلق
لهؤلاء يوم يعرضون هكذا كان الأصل ولكنه تعالى أظهر الوصف الذي أوجب لهم الخزي بقوله تعالى
يعرض الذين كفروا على النار أي يباشرون لهيبها ويتقلبون فيها كما يعرض اللحم الذي يشوى وقيل تعرض
عليهم النار ليروا أهوالها مقولاً لهم على سبيل التنديم والتقريع والتوبيخ والتشنيع لأنهم لم يذكروه تعالى
حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها عند مخالفة أمره سبحانه وتعالى أذهبتم طيباتكم أي لذاتكم باتباعكم
الشهوات وقرأ ابن كثير وابن عامر قبل الذال بهمزتين مفتوحتين الأولى محققة بلا خلاف والثانية
مسهلة بخلاف عن هشام وأدخل هشام بينهما ألفاً ولم يدخل ابن كثير وابن ذكوان والباقون بهمزة
واحدة محققة في حياتكم الدنيا أي القريبة الدنية الفانية ووصفها المؤذن بعقل بحسيسة آخرها
فكان سعيكم في حركاتكم وسكناتكم لأجلها حتى نلتموها واستمتعتم بها أي طلبتموها وجعلتم انتفاعكم
بها هو جعلتموها غاية حظكم في نفسكم ونهمتكم والمعنى أن ما قدر لكم من الطيبات والدرجات
فقد استوفيتموه في الدنيا فلم يبق لكم بعد استيفائها حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه
لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وأحسنكم لباساً ولكني أستبقي طيباتي قال الواحدي إن الصالحين
يؤثرون التقشف والزهد في الدنيا رجاء أن يكون ثوابهم في الآخرة أكمل إلا أن هذه الآية لا تدل على المنع
من التنعم لأنها وردت في حق الكافر وإنما وبخ الله تعالى الكافر لأنه تمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم
فلا يوبخ بتمتعه ويدل على ذلك قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من
الرزق نعم لا ينكر أن الاحتراز عن التنعم أولى لأن النفس إذا اعتادت التنعم صعب عليها الاحتراز والانقباض
وحينئذ ربما حمل الميل إلى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي وروى عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فإذا هو على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يوسع على
أمتك فإن فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أولئك قوم
عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنها أنها قالت
إنه كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً وما هو إلا الماء والتمر وعن ابن عباس قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم
الشعير والأحاديث في هذا كثيرة ولما كانت الاستهانة بالأوامر والنواهي استهانة بمدبر الجزاء
مسبباً عنه قوله تعالى فاليوم تجزون أي على إعراضكم عنا عذاب الهون أي الهوان العظيم
المجتمع الشديد الذي فيه ذل وخزي بما كنتم أي جبلة وطبعاً تستكبرون

اى تطلبون الترفع وتوجدونه على الاستمرار فى الارض التى هى لكونها ترابا موضوعة على الزوال والخراب احق شئ بالتواضع والذل والهوان بغير الحق اى الامر الذى يطابقه الواقع وهو أوامرنا ونواهينا وبما كنتم اى على الاستمرار تفسقون اى بسبب الاستكبار بالباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى ع

تنبيه دلت الآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لان الله تعالى علل عذابهم بامرين اولهما الكفر وثانيهما الفسق وهذا الفسق لابد وان يكون مغايرا لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت ان فسق الكفار يوجب العقاب فى حقهم ولا معنى للفسق الا ترك المأمورات وفعل المنهيات ولما كان قوم عاد اكثر اموالا وقوة وجاها من اهل مكة ذكر تعالى قصتهم ليعتبروا فيتركوا الاغترار بما وجدوه فى الدنيا فقال عز من قائل واذكر يا اشرف الرسل لهؤلاء الذين لا يتعظون اخا عاد وهو اخوك هود عليه السلام الذى كان بين قوم اشد من قومك ولم يخف عاقبتهم وامرهم ونهاهم ونجيناه منهم فهو لك قدوة وفيه اسوة ولقومك فى قصة هم اياك بالاذى من امره موعظة وقوله تعالى اذ انذر بدل اشتمال من اخا قومه اى الذين لهم قوة على القيام فيما يحاولونه بالاحقاف قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن فى حضرموت بموضع يقال له مهرة اليها تنسب الابل المهرية وكانوا أهل عمد سيارة فى الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احياء من اليمن كانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر وقد اى والحال انه قد خلت النذر اى مرت ومضت الرسل الكثيرون من بين يديه اى قبل هود كنوح وشيث وادم عليهم السلام ومن خلفه اى بعده والمعنى ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره والجملة حال او اعتراض ولما اشار الى كثرة الرسل ذكر وحدة اصل الدعاء فقال مفسرا للانذار معبرا بالنهى ألا تعبدوا اى أيها العباد المنذرون بوجه من الوجوه شيئا من الاشياء الا الله اى الملك الذى لا مالك غيره ولا خالق سواه ولا منعم الا هو فانى اراكم تشركون به من لم يشركه فى شئ من تدبيركم والملك لا يقر على مثل هذا انى اخاف عليكم لكونكم قومى واعز الناس على عذاب يوم عظيم اى لا يدع جهة الامتلاء هائلة عذابه ان اصررتم على ما انتم فيه من الشرك قالوا له فى جوابه منكرين عليه أجئتنا اى يا هود لتأفكنا اى لتصرفنا عن وجه امرنا الى قفاه عن آلهتنا فلا نعبدها ولا نعتد بها فأتنا بما تعدنا من العذاب سموا انوعيد وعدا ان كنت اى بما لك عندك كونا ثابتا من الصادقين فى انك رسول من الله وانه يأتينا بما تخافه علينا من العذاب ان اصررنا قال اى هود مكذبا لهم فى نسبتهم اليه ادعاء شئ من ذلك انما العلم اى المحيط بكل شئ من اتيكم وغيره عند الله اى المحيط بجميع صفات الكمال فهو يعلم متى يأتيكم ما توعدون به على من يشاء ان شاء ولا علم لى الا ما ولا لكم بشئ من ذلك ولا قدرة وأبلغكم اى فى الحال والاستقبال وقرأ ابو عمرو باسكون الباء الموحدة وتخفيف اللام والباقون بفتح الموحدة وتشديد اللام

ما أرسلت به من الامر ليس في الحقيقة غيره سواء أكان وعيدا أم وعدا أم غير ذلك ولم يذكر
الغاية لأن ما أرسل به صالح لهم ولغيرهم ولكني أراكم أي أعلمكم علما كالرؤية وفتح أنا نافع
والبزي وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها وأمال الألف بعد الراء ورش بين بين وأمالها
أبو عمرو وحمزة والكسائي محضة والباقون بالفتح قوما تجهلون أي باستعجال العذاب فإن الرسل
بعثوا مبلغين منذرين لا مقترحين فلما رأوه أي العذاب الذي توعدهم به عارضا أي سحابا استدار
في الأفق ظاهرا لا مرية عند من له أهلية النظر حال كونه قاصدا إليهم مستقبل أوديتهم أي طالبا لأن يكون
مقابلا لها وهو حد الذلك قالوا على عادة جهلهم مشيرين إليه بأداة القرب الدالة على أنهم في غاية
الجهل لأن جهلهم به استمر حتى كاد أن يواقعهم هذا عارض أي سحاب معترض في عرض السماء أي ناحيتها
ممطرنا قال المفسرون كان قد حبس عنهم المطر أياما فساق الله تعالى إليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم
من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو أي
هذا العارض الذي ترونه ما استعجلتم به أي طلبتم العجلة في إتيانه وقوله تعالى ريح بدل من ما
فيها عذاب أليم أي شديد الإيلام وروي أنها كانت تحمل الفسطاط فترفعه في الجو وتحمل الظعينة
في الجو فترفعها وهي [illegible] حتى ترى كأنها جرادة وكانوا يرون ما كان خارجا عن منازلهم من الناس والمواشي
تطير بهم الريح بين السماء والأرض ثم تقذف بهم ثم وصف تلك الريح بقوله تعالى تدمر أي تهلك
إهلاكا عظيما شديدا كل شيء أي أتت عليه من الحيوان والناس وغيرهما هذا شأنها فمن سلم منها كهود عليه
السلام ومن آمن به فسلامته أمر خارق للعادة كما أن أمرها في إهلاك كل ما مرت عليه أمر خارق للعادة
بأمر ربها أي المبدع لها والمربي والمحسن بالانتقام من أعدائه فإن قيل ما فائدة إضافة الرب إلى
الريح أجيب بأن فائدة ذلك الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد بعظيم قدرته لأنها
من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك
ويقويه فليس من تأثير الكواكب والقرانات قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت
رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أن أول ما عرفوا به أنه عذاب أليم أنهم رأوا ما كان
في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا
أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال
وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمت بهم
في البحر وروي أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب
عين تنبع وكانت الريح التي تصيبهم ريحا طيبة هادئة والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم
من الأرض وتطير بهم إلى السماء وتضربهم على الأرض وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه
في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد
بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وأثر المعجزة إنما ظهر في تلك الريح

من هذا الوجه قال صلى الله عليه وسلم ما امر الله تعالى خازن الريح ان يرسل على عاد الا مقدار الخاتم وفد ذلك
القدر اهلكهم بكليتهم كما قال تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اى فجاءتهم الريح فدمرتهم
فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة بالياء التحتية المضمومة ورفع النون
من مساكنهم لقيامه مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة مبنيا للفاعل ونصب مساكنهم
مفعولا به وامال الالف بعد الراء ورش بين بين وابو عمرو وحمزة والكسائي محضة وكذلك من القرى
كذلك اى مثل هذا الجزاء الهائل فى فاصله ونوعه او جنسه او شخصه من الاهلاك نجزى
بعظمتنا دائما اذا شئنا القوم المجرمين اى المذنبين فى الاجرام الذين يقطعون ما حقه الوصل
وذلك الجزاء هو الاهلاك على هذا الوجه الشنيع روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا راى الريح
فزع وقال اللهم انى اسالك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا
راى مخيلة اى سحابة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فنقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول
انى اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فاحذروا ايها العرب مثل ذلك
ان لم ترجعوا فان قيل قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فكيف يحصل التخويف اجيب
بان ذلك كان قبل نزول الآية ثم اخبر الله تعالى عن مكنة عاد بقوله سبحانه ولقد مكناهم اى عادا تمكينا
تظهر به عظمتنا فيما اى فى الذى ان نافية اى ما مكناكم يا اهل مكة فيه من قوة الابدان
وطول الاعمار وكثرة الاموال وغيرها ثم انهم مع ذلك ما نجوا من عذاب الله تعالى فكيف يكون حالكم
* تنبيه قال البقاعى وجعل النافى ان لانها ابلغ من ما لان ما تنفى تمام الفوت لتركبها من الميم والالف
التى حقيقة ادراكها فوت تمام الادراك وان تنفى ادنى مظاهر حقيقتها فكيف بما وراءه من تمامه
لان الهمزة اول مظهر لصوت الالف والنون المطلق الانفها رجع الى ما فى ذلك من عذوبة
اللفظ وصونه عن ثقل التكرار الى غير ذلك من بديع الاسرار اه وقال الزمخشرى ان نافية
اى فيما ما مكناكم فيه الا ان ان احسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرار المستبشع ومثله
مجتنب الا ترى ان الاصل فى مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد اغث ابو الطيب فى قوله
لعمرك ما ما بان منك لضارب * وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك
ما ان بان منك لضارب * وقد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده الاخفش رحمه الله تعالى

يرجى المرء ما ان لا يراه * * وتعرض دون ادناه الخطوب

وتؤول بانا مكناهم مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول وجعلنا لهم اى على ما اقتضته
عظمتنا سمعا وافرده لقلة التفاوت فيه وابصارا وجمعه لكثرة التفاوت فى انوار الابصار
وكذا فى قوله تعالى وافئدة اى فتحنا عليهم ابواب النعم واعطيناهم سمعا فما استعملوه فى سماع
الدلائل واعطيناهم ابصارا فما استعملوها فى تأمل ملكوت السموات والارض واعطيناهم
افئدة اى قلوبا فما استعملوها فى طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى الطلب

الدنيا فلذا اتما فلا جرم قال تعالى فما أغنى عنهم في حال ارسالنا الريح الرحمة على لسان هود عليه
السلام ثم النقمة بيد الريح سمعهم وأكد النفي بتكرير النافي بقوله تعالى ولا أبصارهم وكذا
في قوله تعالى ولا أفئدتهم لما أردنا إهلاكهم وأكد بإثبات الجار بقوله تعالى من شيء أي من
الاشياء فان قيل قال الجلال المحلي إن من زائدة وقوله تعالى إذ معمولة لأغنى وأشربت معنى
التعليل أي لأنهم كانوا أي طبعا وخلقا يجحدون أي يكررون على ممر الزمان الجحد بآيات الله
أي الإنكار لما يعرب عن دلائل الملك الأعظم وحاق أي نزل بهم ما كانوا به يستهزؤن
لأنهم كانوا يطلبون نزول العذاب على سبيل الاستهزاء ولما تم المراد من الاخبار بهلاكهم
على ما لهم من المكنة العظيمة ليتعظ بهم من سمع أمرهم أتبعهم من كان مشاركا لهم
في التكذيب فشاركهم في الهلاك فقال تعالى ولقد أهلكنا أي بما لنا من العظمة ما
حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود وعاد وأرض سدوم وسبأ ومدين والأيكة وقوم لوط
وفرعون وأصحاب الرس وغيرهم ممن فيهم معتبر وصرفنا أي بينا الآيات أي الحجج البينات
لعلهم أي الكفار يرجعون أي ليكونوا عند من يعرف حالهم في رؤية الآيات حال من يرجع
عن الغي الذي كان يرتكبه لتقليد وشبهة كشفتها الآيات وفضحتها الدلالات فلم يرجعوا
فكان عدم رجوعهم سبب إهلاكهم فلولا أي فهلا ولم لا نصرهم الذين أي نصرهم الهالكين
الذين اتخذوا أي اجتهدوا وأقصروا أنفسهم عن دواعي العقل حتى أخذوا من دون الله أي
الملك الذي هو أعظم من كل عظيم قربانا أي متقربا بهم إلى الله تعالى آلهة معه وهم الأصنام
ومفعول اتخذ الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أي هم وقربانا المفعول الثاني وآلهة بدل منه
بل ضلوا أي غابوا عنهم وقت نزول النقمة وقرأ الكسائي بإدغام اللام في الضاد والباقون بالإظهار
وذلك أي اتخاذهم الأصنام آلهة قربانا إفكهم أي كذبهم وما كانوا أي على وجه الدوام لكونه طبعا لهم
يفترون أي يتعمدون كذبه لأن إصرارهم عليه بعد مجيء الآيات لا يكون إلا كذلك لأن من نظر فيها
بتجرد أنفسه عن الهوى اهتدى وإذ أي واذكر إذ صرفنا أي ملنا إليك نفرا وهو اسم يطلق على ما دون العشرة
وسيأتي في ذلك خلاف من الجن أي جن نصيبين اليمن أو جن نينوى يستمعون القرآن أي يطلبون
سماع الذكر الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس وأنت في صلاة الفجر في نخلة تصلي بأصحابك فلما حضروه
أي صاروا بحيث يسمعونه قالوا أي قال بعضهم لبعض ورضي الآخرون أنصتوا أي اسكتوا
وميلوا بكليتكم واستمعوا حفظا للأدب على بساط الخدمة وفيه تأدب مع العلم في تعلمه قال
القشيري فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار. تنبيه: ذكروا في كيفية
هذه الواقعة قولين أحدهما قال سعيد بن جبير كانت الجن تستمع فلما رجموا قالوا هذا الذي
حدث في السماء إنما حدث لشيء في الأرض فذهبوا يطلبون السبب وكان قد اتفق أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما أيس من أهل مكة أن يجيبوه خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام من

فلما انصرفت الى مكة وكان ببطن نخلة قام يقرأ القرآن فمرّ به نفر من أشراف جن نصيبين كان ابليس
بعثهم ليعرف السبب الذي أوجب حراسة السماء بالرجم فسمعوا القرآن فعرفوا ان ذلك هو السبب
والقول الثاني ان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم
القرآن فصرف الله تعالى اليه نفرا من الجن يستمعون منه القرآن وينذرون قومهم تنبيه دلّ على أن الجن
كانوا يهودا لأن في الجن مللا كما في الانس من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمجوس وأطبق المحققون
على ان الجن مكلفون. سئل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في أبواب
الجنة ويزدحمون على ابوابها وروى الطبراني عن ابن عباس ان أولئك الجن كانوا سبعة نفر من
اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر بن حبيش كانوا
تسعة احدهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى وروى في الحديث ان الجن
ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلّون ويظعنون
واختلفت الروايات هل كان عبد الله بن مسعود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن او لا
وروى عن أنس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة اذ اقبل شيخ يتوكأ
على عكازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها لمشية جني ثم أتى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم انها لنغمة جني فقال الشيخ أجل يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
من أي الجن انت فقال يا رسول الله انا هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم لا أرى بينك وبين ابليس الا ابوين قال اجل يا رسول الله قال كم أتى عليك من العمر قال
عمر الدنيا الا القليل كنت حين قتل هابيل غلاما ابن اعوام فكنت اتشرف على الآكام واصطاد الهام
واورش بين الانام فقال النبي صلى الله عليه وسلم بئس العمل فقال يا رسول الله دعني من العتب فاني
ممن آمن بنوح عليه السلام وعاتبته في دعوته فبكى وابكاني وقال والله اني لمن النادمين واعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين ولقيت هودا فعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني وقال والله اني لمن النادمين
واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقيت ابراهيم وآمنت به وكنت بينه وبين الارض اذ رمي به
في المنجنيق وكنت معه في النار اذ ألقي فيها وكنت مع يوسف اذ ألقي في الجب فسبقته الى قعره ولقيت
موسى بن عمران بالمكان الاثير وكنت مع عيسى بن مريم عليهما السلام فقال لي ان لقيت محمدا
فاقرأ عليه السلام قال انس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليه السلام وعليك يا هام
ما حاجتك قال ان موسى علمني التوراة وان عيسى علمني الانجيل فعلمني القرآن قال انس فعلمه
النبي صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وقل يا أيها
الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين فلما قضي أي فرغ من قراءته ولّوا أي رجعوا الى قومهم
الذين فيهم قوة القيام بما جاؤا له منذرين أي محذرين لهم ومخوفين عواقب
الضلال بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس جعلهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم رسلا الى قومهم ولما كان كأنه قيل ما قالوا لهم في انذارهم قيل قالوا يا قومنا متلطفين ترقيقا بين
لهم وترفقا بهم بذكرهما يدل على انهم منهم يهمهم ما يهمهم انا سمعنا اي ما بيننا وبين القارئ واسطة
ولا شك والظاهر انه لم ينزل بعد التوراة شيء جامع لجميع ما يراد منه مغن عن جميع الكتب غير هذا ولذلك
عرفوا انه ناسخ لجميع الشرائع بقولهم كتاباً اي ذكراً جامعاً للامر [illegible] بعد التوراة على بني اسرائيل أُنزِلَ اي من
الآمر منزل غيره وهو ملك الملوك لما دل عليه من رونق الكتب الالهية ما يوجب القطع لسامعه بانه منه
فكيف اذا انضم الى ذلك الاعجاز وعلموا قطعاً بمجيئه انه عز وبانهم كانوا يضربون مشارق الارض
ومغاربها ليسمعوا قراءة الناس للحديث ثم من الكثير والمختلف الكهانة والرسائل والاشعار وانه
مباين لجميع ذلك من بعد موسى فلم يقتصروا [illegible] بين هذا الكتاب وبين التوراة من الانجيل
وما قبله لانه لا يساوي التوراة في الموعظة [illegible] عن عطاء [illegible] قال الحسن انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن ما سمعوا بعيسى فلذلك قالوا من بعد موسى ولما اخبر وانه منزل
اتبعوه بما يشهد له بالصحة فقالوا مصدقاً لما بين يديه اي من جميع كتب بني اسرائيل الانجيل
وما قبله ثم بينوا [illegible] فقالوا يهدي الى الحق اي الامر الثابت الذي يطابق الواقع فلا يقدر احد على
ازالة شيء مما يخبر به الكامل في جميع ذلك والى طريق يوصل الى المقصود مستقيم لا عوج فيه
يا قومنا الذين هم قوتنا [illegible] أجيبوا داعي الله اي الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال فان
دعوة هذا الداعي عامة لجميع الخلق فالاجابة واجبة على كل من بلغته امره وفي هذه الآية دلالة على انه
صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً الى الجن كما كان مبعوثاً الى الانس وآمنوا به اي واوقعوا التصديق
بسبب الداعي وهو النبي صلى الله عليه وسلم لا بسبب آخر فان المدعو اليه معقول مع الله تعالى فان قيل
قوله تعالى اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم قال وآمنوا به اجيب
بانه انما ذكر الايمان على التعيين لانه اهم الاقسام واشرفها وقد جرت العادة في القرآن العظيم
بانه يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل
وميكال وقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ولما امر تعالى بالايمان
ذكر فائدته بقوله تعالى يغفر لكم اي الله تعالى من ذنوبكم اي بعضها من الشرك وما شابهه مما هو
حق لله تعالى [illegible] في الدنيا بالمعقوبات والنكبات والهموم ونحوها
مما اشار اليه قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير واما المظالم فلا
تغفر الا برضا اربابها وقيل من زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل بل فائدته ان كلمة من
هنا لابتداء الغاية والمعنى انه يقع ابتداء الغفران بالذنوب ثم ينتهي الى غفران ما صدر عنكم من
ترك الاولى والاكمل ويجركم [illegible] من عذاب اليم [illegible]
من عقوبته [illegible] قال ابن عباس فاستجاب لله تعالى لهم من قومهم نحو سبعين
رجلاً من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه في البطحاء فقرأ عليهم القرآن

وامرهم

وما موهم وفاهم * تنبيه * اختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب اولا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار
ويقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم واحتجوا على ذلك بقوله تعالى ويجركم من عذاب اليم وهو قول
ابي حنيفة والصحيح ان حكمهم حكم بني آدم يستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية
وهو قول ابن ابي ليلى ومالك وتقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا نحو ذلك قال الضحاك
يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لان كل دليل دل على ان البشر يستحقون الثواب فهو
بعينه قائم في حق الجن والفرق بينهما بعيد جدا وذكر النقاش في تفسيره حديثا انهم يدخلون
الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال يلهمهم الله تعالى تسبيحه وذكره فيصيبهم من لذته
ما يصيب بني آدم من نعيم الجنة وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال
نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب
وليسوا فيها ولما انذرهم كلهم امرا نهم ان لم يجيبوا ينتقم منهم بالعذاب الاليم اتبعوه ما هو اغلظ
انذارا منه فقالوا ومن لا يجب اي لا يجدد منه ان يجيب داعي الله اي الملك الذي لا كفوء له
فليس بمعجز اي لا يعجز الله عز وجل بالهرب منه في الارض فيفوته لان كل ما في الارض في ملكه وملكه وقدرته
محيطة به وليس له من دونه اي الله تعالى الذي لا شيء عليه اولياء اي يفعلون لاجله ما يفعل القريب
مع قريبه من الذب عنه والاستنقاذ له والافتداء اي قبله اولئك اي البعداء من كل خير في ضلال مبين
ظاهر في نفسه انه ضلال مظهر لكل احد غيره انه ضلال * تنبيه * في قوله اولياء اولئك همزتان مضمومتان من
كلمتين وليس بينهما في القرآن العظيم غيرها قرأ قالون والبزي بتسهيل الاولى كالواو مع المد والقصر وسهل الثانية
ورش وقنبل بعد تحقيق الاولى ولهما ايضا ابدال الثانية الفا واسقط الاولى ابو عمرو مع المد والقصر والباقون
بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد اولم يروا اي يعلموا علما هو في الوضوح كالرؤية ان الله ودل على ما دل
عليه هذا الاسم الاعظم بقوله تعالى الذي خلق السموات على ما احتوت عليه مما يعجز الوصف من العبر
والارض على ما اشتملت عليه من الآيات المدركة بالعيان والخبر ولم يعي اي ولم يتعب او لم يعجز بخلقهن
اي بسبب من الاسباب فانه لو حصل له شيء من ذلك لادى الى نقصان فيهما او في احداهما ولما كان الانكار
المتضمن للنفي بزيادة الخبر في خبران فقال بقادر اي قدرة عظيمة على ان يحيي اي على سبيل
التجديد مستمرا الموتى ولا مر فيهم لكونه اعادة وكونه جزاء يسيرا مما ذكر اختراعه اصغر شأنا
واسهل صنعا واجاب بقوله تعالى بلى لان هذا الاستفهام الانكاري في معنى النفي اي قد
علموا انه قادر على ذلك علما هو في ايقانه كالبصر لانهم يعلمون انه المخترع لذلك وان الاعادة اهون
من الابتداء في مجاري عاداتهم ولكنهم عن ذلك غافلون لانهم عنه معرضون ثم علله تعالى بقوله انه
على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر
السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد ولما اثبت البعث بما قام من الادلة اتبع ذكر بعض
ما يحصل في يومه من الاهوال بقوله تعالى ويوم اي واذكر يوم يعرض الذين كفروا اي ستروا

من ويوم يعرض الذين كفروا اى ستروا بغفلتهم ما دلتهم الادلة الظاهرة على النار كعرض الجند
على الملك فيسمعون من تغيظها وزفيرها ما لو قدر ان احدا يموت فى ذلك اليوم لماتوا من معاينته
وهائل رؤيته ثم يقال لهم أليس هذا اى الامر الذى كنتم به توعدون ولرسلنا فى اخبارهم به
تكذبون بالحق اى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع ام هو خيال وسحر قالوا اى مصدقين حيث لا ينفعهم
التصديق بلى وما كفاهم البدار الى تكذيب انفسهم حتى اقسموا عليه بقولهم وربنا اى ان هذا لهو
الحق هو اثبت الاشياء وليس فيه شئ مما يقارب السحر تنبيه المقصود من هذا الاستفهام التهكم
والتوبيخ على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده قال فذوقوا العذاب اى باشروه مباشرة الذائق
باللسان ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم ثم صرح بالسبب فقال تعالى بما كنتم اى جبلة وطبعا
مستمرا تكفرون فى دار العمل ولما قرر تعالى المطالب الثلاثة وهى التوحيد والنبوة والمعاد واجاب
عن الشبهات اردفه بما يجرى مجرى الوعظ والنصيحة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان
الكفار كانوا يؤذونه ويوحشون صدره فقال تعالى فاصبر اى على مشاق ما ترى فى تبليغ الرسالة
وعلى اذى قومك قال القشيرى الصبر هو الوثوق بحكم الله تعالى والثبات من غير بث ولا استكراه كما صبر
أولوا العزم اى الثبات والجد فى الامور وقال ابن عباس رضى الله عنهما اولو الحزم وقوله تعالى من الرسل
يجوز فيه ان تكون من تبعيضية وعلى هذا فالرسل اولو عزم وغير اولى عزم ويجوز ان تكون
للبيان وعليه جرى الجلال المحلى فكلهم على هذا اولو عزم قال ابن زيد كل الرسل كانوا اولى عزم وحزم
ورأى وكمال عقل وانما ادخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت اكسية من الخز واردية
من البز وقال بعضهم الانبياء كلهم اولو العزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى انه قيل لنبينا صلى الله
عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم هم نجباء الرسل وهم المذكورون فى سورة الانعام وهم ثمانية
عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبى هم الذين امروا بالجهاد
واظهروا المكاشفة مع اعداء الله تعالى وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون
على النسق فى سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر
على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر فى الجب
والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى
أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة ونظمهم بعضهم فى بيت فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه ... فعيسى فنوح هم اولو العزم فاعلم

قال البغوى ذكرهم الله تعالى على التخصيص فى قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفى قوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا الآية وعن مسروق قال قالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من اولى العزم

الا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا ان تطمئنى ما كلفهم قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وانى
والله لابد لى من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله فلما امر الله تعالى بالصبر الذى هو من اعلى الفضائل
نهاه عن العجلة التى هى من امهات الرذائل فقال عز من قائل ولا تستعجل لهم اى لا تطلب العجلة بتعجيل ما اوعدوه
تفعل شيئا مما يسوءهم فى غير حينه اللائق به فانه نازل بهم فى وقته لا محالة قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم
ضجر من قومه واحب ان ينزل الله تعالى العذاب بمن ابى من قومه فامر بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر عن
ان ذلك العذاب اذا نزل بهم يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار بقوله تعالى
كانهم يوم يرون ما يوعدون اى من العذاب بهم فى الآخرة لم يلبثوا اى فى الدنيا الا ساعة
من نهار لانه استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ كانه ساعة من نهار او كانه لم يكن لهول ما عاينوا
ولان ما مضى وان كان طويلا صار كانه لم يكن قال الشاعر

كان شيئا لم يكن اذا مضى ... كان شيئا لم يكن اذا اتى

تنبيه تم الكلام ههنا وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدأ محذوف قدره بعضهم تلك الساعة بلاغ لدلالة
قوله تعالى الا ساعة من نهار وبعضهم هذا اى القرآن بلاغ اى تبليغ من الله تعالى اليكم وجرى عليه الجلال
المحلى فهل اى لا يهلك اى بالعذاب اذا نزل الا القوم اى الذين هم اهل القيام بما يحاولونه
٣ ربع من اللدد الفاسقون اى الخارجون فى ادامة الخروج من الانقياد والطاعة وهم الكافرون قال
الزجاج تأويله لا يهلك مع فضل الله ورحمته الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما فى الرجاء لرحمة الله
اقوى من هذه الآية وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال
من قرأ سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا حديث موضوع

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية

وتسمى القتال والذين كفروا وهى ثمان وثلاثون آية وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة والفان وثلثمائة وتسعة واربعون حرفا
بسم الله الملك الاعظم الذى قام جنده الاذب عن حماه الرحمن الذى عمت رحمته
تارة بالبرهان وتارة بالسيف والسنان الرحيم الذى خص حزبه بالحفظ فى طريق
الجنان واختلف فى قوله تعالى الذين كفروا من هم فقيل هم الذين كانوا يطعمون
الجيش يوم بدر منهم ابو جهل والحرث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل
كفار قريش وقيل اهل الكتاب وقيل كل من كفر لانهم ستروا انوار الادلة وضلوا
على علم وصدوا اى امتنعوا بانفسهم ومنعوا غيرهم لعراقتهم فى الكفر عن سبيل الله
اى الطريق الرحب المستقيم الذى شرعه الملك الاعظم اضل اى ابطل ابطالا عظيما يزيل
الحال والاثر اعمالهم كاطعام الطعام وصلة الارحام وفك الاسارى وحفظ الجوار وغير
ذلك فلم يرو لها فى الآخرة ثوابا ويجزى عليها فى الدنيا من فضله تعالى تنبيه اول
هذه السورة مناسب لآخر السورة المتقدمة ولما ذكر تعالى اهل الكفر

عنهم بما في لبساتهم نبيه إلى من فوقهم فكذا أضدادهم كذلك ليعم من كان منهم
من جميع الفرق بقوله تعالى والذين آمنوا أي أقروا بالإيمان باللسان وعملوا تصديقا لدعواهم
الصالحات أي الأعمال الكاملة في الإسلام بتأسيسها على الإيمان ولما كان هذا
الوصف لا يخص أتباع محمد صلى الله عليه وسلم خصهم بقوله تعالى وآمنوا أي مع ذلك
بما نزل أي من لا منزل للأمر سواه من القرآن وبعد الإيمان به اجمالا الإيمان بكل نجم منه
على محمد النبي الأمي العربي القرشي المكي المدني الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والإنجيل صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وهو أي هذا الذي نزل عليه صلى الله عليه وسلم
موصوف بأنه الحق أي الكامل في الحقيقة بنسخ ولا ينسخ كائنا من ربهم أي المحسن إليهم
بإرساله أما إحسانه إلى أمته فواضح وأما سائر الأمم فيكون هو الشافع فيهم الشفاعة
العظمى يوم القيامة وأمته هي الشاهدة لهم جملة معترضة وقرأ قالون وأبو عمرو
والكسائي وهو بسكون الهاء والباقون بضمها كفر عنهم سيئاتهم أي سترها لهم السيئة
بالإيمان وعملهم الصالح وأصلح بالهم أي حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك أي
الأمر العظيم الذي ذكرنا من جزاء الفريقين بأن أي بسبب أن الذين كفروا أي ستروا
مرائي عقولهم اتبعوا أي بغاية جهدهم ومعالجتهم الباطل من العمل الذي لا حقيقة له
في الخارج تطابقه وذلك هو الابتداع والميل مع الهوى فضلوا وأن الذين آمنوا أي ولو كانوا
في أقل درجات الإيمان اتبعوا أي [illegible] الحق أي الذي له واقع يطابقه وذلك هو الحكمة
وهو العلم بموافقة العمل وهو معرفة المعلوم على ما هو عليه من ربهم أي الذي أحسن
إليهم بإيجادهم وما سببه من حسن اعتقادهم فاهتدوا كذلك أي مثل هذا
الضرب العظيم الشأن يضرب الله أي الذي له الإحاطة بجميع صفات الكمال للناس أي كل
من فيه قوة الاضطراب والحركة أمثالهم أي أمثال أنفسهم أو أمثال الفريقين المتقدمين
أو أمثال جميع الأشياء التي يحتاجون إلى بيان أمثالها بيانا لها مثل هذا البيان فيأخذ كل أحد من
ذلك جزاء أعماله فقد علم من هذا المثل أن من اتبع الباطل أضل الله تعالى عمله ووفر سيئاته
وأفسد باله ومن اتبع الحق عمل به ضد ذلك كائنا من كان وهو غاية الحث على طلب العلم في كتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بها ولما بين تعالى أن الذين كفروا أضل أعمالهم
وأن اعتبارها كالأعدام بالعمل ومن لا عمل له فهو همج إعدامه خير من وجوده
سبب عنه قوله تعالى فإذا لقيتم الذين كفروا أيها المؤمنون في المحاربة وقوله تعالى
فضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا
إلى المفعول [illegible] وفي التعبير بضرب الرقبة دون غيرها من الأعضاء
أن المؤمن [illegible] الصائل لا ينبغي أولا أن يقصد

مقتله بل يتدحرج ويجيء بغير المقتل فان الذي ... ولا يرقى الى درجة الاهلاك فاختير لانه ليس المقصود
دفعهم عنكم بل المقصود دفعهم عن وجه الارض فاذا ينبغي ان يكون قصدكم اولا الى قتلهم بخلاف دفع الصائل فان الرقبة
اظهر المقاتل وقطع الحلقوم والاوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهيأ ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها حز العنق
وهو مستلزم للموت بخلاف سائر المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله تعالى فاذا لقيتم ... اشارة الى ان القصد من جانبهم
بخلاف قولنا لقيتكم ولذلك قال تعالى في غير هذا الموضع فاقتلوهم حيث ثقفتموهم حتى اذا اثخنتموهم
اي اكثرتم فيهم القتل وهذه غاية للامر بضرب الرقاب لا لبيان غاية القتل فشدوا الوثاق ... القتل واسرهم
الوثاق اي ما يوثق به الاسرى وقوله تعالى فاما منا بعد اي في جميع ازمان ما بعد الاسر واما فداء فيه وجهان
اشهرهما انهما منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز اظهاره لان المصدر متى سيق تفصيلا لعاقبة جملة
وجب نصبه باضمار فعل لا يجوز اظهاره والتقدير فاما ان تمنوا منا اي باطلاقهم من غير شيء واما ان
تفدوا فداء اي تفادوهم بمال او اسرى مسلمين ومثل هذا قول الشاعر

لاجهدن فاما درء واقعة * تخشى واما بلوغ السؤل والامل

والثاني قاله ابو البقاء انهما مفعولان بهما لعامل مقدر تقديره اولوهم منا او اقبلوا منهم فداء
قال ابو حيان وليس باعراب نحوي وقوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها اي اثقالها من
السلاح وغيره بان يسلم الكافر او يدخل في العهد مجاز وقيل هو من مجاز الحذف اي
اهل الحرب وهو غاية القتل والاسر والمعنى اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى تدخل
الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول
عيسى عليه السلام وجاء في الحديث الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل آخر امتي
الدجال وقال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم او مسالم [illegible] اختلف العلماء في حكم
هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم
وبقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واليه ذهب قتادة والضحاك والسدي
وابن جريج وهو قول الاوزاعي واصحاب الرأي وقالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر
من الكفار ولا الفداء وذهب آخرون الى ان الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال
العاقلين من الكفار اذا وقعوا في الاسر بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم
بغير عوض او يفاديهم بالمال او باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء
واكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحق قال ابن عباس رضي الله
عنهما لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله تعالى في الاسارى فاما منا بعد واما فداء
وهذا هو الاصح والاختيار لانه عمل به صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده روى البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل
من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتلني تقتل ذا دم وان تنعم
على شاكر وان كنت تريد المال فسل منه ما شئت حتى كان الغد فقال له صلى الله عليه وسلم ما عندك
يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى اذا كان بعد الغد قال ما عندك
يا ثمامة قال عندي ما قلت لك قال اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل
المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والله ما كان على وجه الارض وجه
ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك
فاصبح دينك احب الدين الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فقد اصبح بلدك احب
البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكني اسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم
وعن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف
قد اسرت رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين
اسرتهما ثقيف وقوله تعالى ذلك فيه يجوز ان يكون خبر مبتدأ مضمر اي الامر ذلك وان ينتصب
باضمار افعلوا قال الرازي ويحتمل ان يقال ذلك واجب او مقدم كما يقول القائل ان فعلت
فذاك اي فذاك مقصود ومطلوب قال المفسرون ومعناه ذلك الذي ذكرت وبينت من حكم
الكفار ولو يشاء الله اي الملك الاعظم الذي له جميع الكمال لانتصر منهم اي بنفسه من غير
قتال باهلاكهم بما شاء فيهلكهم بان لا يبقى منهم احدا او كفاكم امرهم بغير قتال ولكن امركم بذلك
ليبلو اي يختبر بعضكم ببعض اي يختبر فيكم في ذلك فمن القتل ليترتب عليه الجزاء فيصير من قتل
من المؤمنين الى الجنة ومن قتل من الكافرين الى النار فان قيل فما فائدة الابتلاء مع حصول العلم
عند المبتلي فاذا كان الله تعالى عالما بجميع الاشياء فاي فائدة فيه اجيب بان هذا السؤال كقول
القائل لم خلق الكافر وهو مستغن ولم خلق النار محرقة وهو قادر على ان يخلقها بحيث تنفع ولا تضر
و لا يسأل عما يفعل ونزل يوم احد لما فشا في المسلمين القتل والجراحات والذين قتلوا في
سبيل الله اي لاجل تسهيل طريق الملك الاعظم المتصف بجميع صفات الكمال فلن يضل اي لا يضيع
ولا يبطل اعمالهم وقرأ ابو عمرو وحفص بضم القاف وكسر التاء مبنيا للمفعول على معنى انه اصاب
القتل بعضهم كقوله تعالى قتل معه ربيون والباقون بفتح القاف والتاء والف بينهما اي جاهدوا
سيهديهم اي ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الدرجات بعد الانتقال فيه
ويصلح بالهم اي يرضي خصماءهم ويقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة اي الكاملة في النعيم عرفها
اي اعلمها وبينها لهم اي بما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل
الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا ويستدلون عليها من غير استدلال
ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله تعالى

ابن عباس رضي الله عنهما عرفها لهم طيبها اشتقاقاً من العرف وهو الريح الطيبة يقال طعام معرف اى مطيب
يا ايها الذين آمنوا اى اقروا بذلك ان تنصروا الله اى دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ينصركم
اى على عدوكم فانه الناصر لا غيره من عدا وعد وعد ويثبت اقدامكم اى في القيام
بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار ولما بين تعالى ما لاهل الايمان بين ما لاهل الكفران بقوله تعالى
والذين كفروا وهو مبتدأ اى ستروا ما دل عليه العقل وتاقت اليه الفطرة الاولى وخبره
تعسوا يدل عليه قوله تعالى فتعساً لهم اى هلاكاً لهم وخيبة من الله تعالى وقال ابن عباس
اى بعداً لهم وقيل التعس الجر على الوجه والنكس الجر على الراس وقوله تعالى واضل اعمالهم عطف
على تعسوا اى ابطلها وان كانت ظاهرة الاتقان لاجل تضييع الاساس وهو الايمان وقوله تعالى
ذلك يجوز ان يكون مبتدأ والخبر الجار بعده او خبر مبتدأ مضمر اى الامر ذلك بانهم اى بسبب
انهم كرهوا ما انزل الله اى الملك الاعظم الذي لا نعمة الا منه من القرآن وما انزل الله تعالى
فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم
ذلك وتعاظمهم والذي نزله من القرآن وغيره هو روح الوجود الذي لا بقاء له بدونه فلما كرهوا
الروح الاعظم بطلت ارواحهم فتبعتها اشباحهم وهو معنى قوله تعالى مسبباً عن المعنى اضلال
اعمالهم فاحبط اى ابطل ابطالاً لا صلاح معه اعمالهم بسبب انهم افسدوها بنياتهم
فصارت وان كانت صورها صالحة ليس لها ارواح لكونها واقعة على غير ما امر به الله الذي لا امر الا له
ولا يقبل من العمل الا ما حده ورسمه ثم خوف الكفار بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض اى الغير آثار
الوقائع فينظروا كيف كان عاقبة اى آخر امر الذين من قبلهم دمر الله اى اوقع الملك الاعظم
الهلاك عليهم بانهم اهاليهم واموالهم وكل من يعز عليهم اولادهم ومقالهم وعدل عن ان يقول
ولهم الى قوله تعالى وللكافرين تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف وهو الغراقة في الكفر امثالها
اى امثال عاقبة من قبلهم ذلك اى الامر العظيم من نصر المؤمنين وقهر الكافرين بان الله اى
بسبب ان الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال مولى اى ولي وناصر الذين آمنوا فهو يفعل معهم ماله
من الجلال والجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب قال القشيري ويصح ان يقال ارجى آية في القرآن هذه
الآية لان الله تعالى لم يقل انه مولى الزهاد والعباد واصحاب الاوراد والاجتهاد بل علق ذلك بالايمان وان الكافرين
اى الفريقين في هذا الوصف لا مولى لهم ينقذهم من العذاب ولهم ولا ينافي هذا قوله تعالى ع ١
وردوا الى الله مولاهم الحق لان المولى فيه بمعنى المالك ثم ذكر سبحانه وتعالى مآل الفريقين بقوله
تعالى ان الله اى الذي له جميع الصفات يدخل الذين آمنوا اى اوقعوا التصديق وعملوا
تصديقاً لما ادعوا انهم اوقعوه الصالحات اى الطاعات جنات اى بساتين عظيمة الشان
موصوفة بانها تجري من تحتها اى من تحت قصورها واشجارها الانهار فهي دائمة
النمو والبهجة والنضارة والثمرة والذين كفروا يتمتعون اى في الدنيا بالملاذ كما تتمتع الانعام

ناسين ما اعد الله تعالى لهم معرضين عن ثوابه ويأكلون على سبيل الاستمرار كما تأكل الانعام
اي كاكل البهائم اذ همها بطونها وفروجها ولا يلتفتون الى تمييز الحلال من الحرام من غير فكرة اذ ليس لهم
همة الا بطونهم وفروجهم لا يلتفتون الى الاخرة لان الله تعالى [illegible] الدنيا [illegible]
فيها وفرغهم لما يجيء شغلهم [illegible] [illegible] نار [illegible] هذا التأويل
كما قال تعالى والنار مثوى لهم اي منزل ومقام ومصير ولما ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى
افلم يسيروا في الارض ولم ينفعهم ما تقدم من الانذار ضرب للنبي صلى الله عليه وسلم مثلا
تسلية له فقال تعالى وكأين اي وكم من قرية اي اريد اهلها اي كذبت رسولها هي اشد قوة
واكثر عددا من قريتك مكة اي اهلها وقوله تعالى التي اخرجتك روعي فيه لفظ قرية
وقوله تعالى اهلكناهم اي بانواع العذاب روعي فيه معنى قرية الاولى فلا ناصر لهم
يدفع عنهم الهلاك فكذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسلهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله وانت احب بلاد الله
الي ولولا ان المشركين اخرجوني لم اخرج منك فانزل الله تعالى هذه الآية افمن كان اي في جميع احواله
على بينة اي حجة ظاهرة البيان [illegible] من ربه اي المحسن اليه وهم النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنون كمن زين له سوء عمله اي زين له الشيطان [illegible] عليه سوء عمله فرآه حسنا
وهم ابو جهل والكفار واتبعوا اهواءهم في عبادة الاوثان لا شبهة لهم في شيء من افعالهم السيئة فضلا
عن دليل ولما تكرر ذكر الجنة في هذه السورة بين صفتها بقوله تعالى مثل اي صفة الجنة
اي البساتين العظيمة التي تستر داخلها من كثرة اشجارها التي وعد المتقون اي الذين حملتهم تقواهم على
الوقوف عن فعل ما لم يدل عليه دليل [illegible] [illegible] عليه من امر الدين. تنبيه اختلف
في اعراب هذه الآية على اوجه احدها ان مثل مبتدأ وخبره مقدر قدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون
فما تسمعون خبره وفيها انهار مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها ايضا مفسرة للمثل
ثانيها ان مثل زائدة تقديره الجنة التي وعد المتقون فيها انهار ونظيره زيادة اسم في قول القائل
الى الحول ثم اسم السلام عليكما. ثالثها ان مثل الجنة مبتدأ والخبر قوله تعالى كمن هو خالد
في النار فقدره ابن عطية امثل اهل الجنة كمن هو خالد فقدر حرف الانكار ومضافا ليصح
وقدره الزمخشري امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد والجملة من قوله تعالى فيها انهار حال من
الجنة اي مستقرة فيها انهار من ماء ولما كان ماء الدنيا يتغير طعمه مع اتحاد الارض
ببساطها وشدة اتصالها [illegible] ان الله على ذلك قادر مختار وقد يكون آسنا اي متغيرا
عن الماء الذي يشرب بريح منتنة من اصل خلقه او من عارض عرض له من منبعه او مجراه قال
تعالى غير آسن اي ثابت له في وقت ما شيء من الطعم او اللون او الريح بوجه من الوجوه
وان طالت اقامته وان اضيف اليه غيره فانه لا يقبل التغير بوجه بخلاف ماء الدنيا فيتغير
فيتغير

لعاصم وقرأ ابن كثير بقصر الهمزة والباقون بمدها وهما لغتان قال تعالى وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ ولما كان التغير عاماً
قال تعالى لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ أي بنفسه ولا بحموضة ولا غيرها ولو أقام مدى الدهر بخلاف لبن الدنيا
لخروجه من الضرع وهذا يفهم أنهم لو أرادوا تغييره لتغير ... وما تغير وأنه مع طيبه على
أنواع كثيرة مما كان في الدنيا مشتهياً ولما كانت الخمر ... لطعمها وإنما يشربها شاربوها
لآثارها وأنه متى تغير طعمها ... أن كل ما في خمر الجنة في غاية الحسن غير متحرج عن لطعم فقال
تعالى لَذَّةٍ أي لذيذة لِلشَّارِبِينَ في طيب الطعم وحسن العاقبة بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب
وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ ولما كان عسل الدنيا ... لخروجه من بطون النحل بالشمع وغيره من
القذى قال تعالى مُصَفًّى أي ... من ذلك وهذا الوصف ثابت له دائماً
لا ينفك عنه في وقت ما ... قال أبو حيان ... الماء الذي لا يستغنى
المشروبات ... شرب الخمر لأنه إذا حصل الري والمطعم
تشوفت النفس إلى ما تلتذ به ... في الدنيا ... من المطعوم والمشروب انتهى
فإن قيل ما الحكمة في قوله تعالى في الخمر لذة للشاربين ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين
ولا قال في العسل مصفى للناظرين ... اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعام
يلتذ به شخص ويعافه الآخر ... للشاربين بأسرهم ولأن الخمر كريهة الطعم في الدنيا
فقال لذة أي لا يكون في خمر الآخرة كراهة الطعم وأما الطعم واللون فلا يختلف باختلاف
الناس فإن الحلو ... لكن قد يعافه بعض الناس ويلتذ به
البعض مع اتفاقهم على أن له طعماً واحداً وكذا اللون فلم يكن للتصريح بالتعميم حاجة فائدة
روي عن كعب الأحبار أنه قال نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم
ونهر سيحان وجيحان نهر عسلهم وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر ... الحكم في فتوح
مصر أن كعب الأحبار سئل هل تجد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل خبراً فقال أي والذي فلق البحر
لموسى إني لأجده في كتاب الله تعالى أن الله عز وجل يوحي إليه في كل عام مرتين يوحي إليه عند
جريه إن الله يأمرك أن تجري ما كتب الله لك ثم يوحي إليه بعد ذلك يا نيل غر حميداً
وعن كعب أيضاً أنه قال أربعة أنهار من الجنة وضعها الله في الدنيا فالنيل نهر العسل
في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة وعنه
أيضاً أنه قال النيل في الآخرة ... أكثر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز
وجل ودجلة في الآخرة ... أكثر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل والفرات
خمراً أكثر ما يكون من الأنهار التي سماها الله عز وجل ... ما يكون من
الأنهار التي سمى الله عز وجل وأصل هذا كله ما في الصحيح في صفة الجنة عن أبي هريرة أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة ولما كانت الثمار

الذي يستطاب بعدها من الشراب قال تعالى ولهم فيها وقوله تعالى من كل الثمرات فيه
وجهان احدهما ان هذا الجار صفة لمقدر اي ذلك المقدر مبتدأ وخبره الجار قبله وهو فيها متعلق
بما تعلق به والتقدير ولهم فيها ازوجان من كل الثمرات كانه انتزعه من قوله تعالى فيهما من كل فاكهة
زوجان وقدره بعضهم صنف والاول كما قال ابن عادل اليق ثانيهما ان من مزيدة في المبتدأ ومغفرة
من ربهم فهو راض عنهم مع احسانه اليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فانه قد يكون مع
احسانه اليهم ساخطا عليهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر مبتدأ مقدر اي امن هو في
هذا النعيم كمن هو مقيم اقامة لا انقطاع منها في النار التي لا ينطفئ لهيبها ولا ينفك اسيرها
ووحد لان الخلود لهم من فيها على حد سواء وسقوا اي عوض ما ذكر من شراب اهل الجنة
ماء حميما اي في غاية الحرارة فقطع امعاءهم اي مصارينهم فخرجت من ادبارهم وهو جمع معي
بالقصر والفه عن ياء لقولهم معيان ومنهم من يستمع اليك اي في خطب الجمعة وهم المنافقون
والضمير في قوله تعالى ومنهم يحتمل ان يعود للناس كما قال تعالى في سورة البقرة ومن الناس
من يقول آمنا بالله بعد ذكر الكفار ويحتمل ان يعود الى اهل مكة لان ذكرهم سبق في قوله تعالى
هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك ويحتمل ان يعود الى معنى قوله تعالى هو خالد في النار وسقوا ماء حميما
اي ومن الخالدين في النار قوم يستمعون اليك حتى اذا اي واستمر تجاهلهم لانفسهم في الاصغاء
حتى اذا خرجوا اي المستمعون والسامعون من عندك قالوا اي الفريقان تعاميا واستهزاء
للذين اوتوا العلم بسبب تفهيمه الله تعالى لهم من صفاء الافهام بتجردهم عن النفوس والحظوظ
وانقيادهم لما تدعو اليه الفطرة الاولى منهم ابن مسعود وابن عباس ماذا قال اي النبي صلى الله عليه وسلم
آنفا اي قبل افتراقنا وخروجنا عنه روى مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب
المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد آنفا اي الساعة
اي لانا لم نلق اليه بالنا وقرأ البزي بقصر الهمزة بخلاف عنه والباقون بالمد وهما لغتان بمعنى واحد وهما اسما فاعل
كحاذر وحذر اولئك اي البعداء من كل خير الذين طبع الله اي الملك الاعظم على قلوبهم اي
بالكفر فلم يفهموا فهم انتفاع لان مثل هذا الجمود لا يكون الا بذلك واتبعوا اي بغاية جهدهم
اهواءهم اي في الكفر والنفاق ولذلك هم يتهاونون بعظم الكلام ويقبلون على جميع
الحطام فهم اهل النار المشار اليهم قبل آية مثل الجنة بانهم زين لهم سوء عملهم ثم ذكر
تعالى اضدادهم كما هو دأبه بقوله سبحانه والذين اهتدوا اي اجتهدوا وابتغوا منك في الايمان
والتسليم والاذعان بانواع المجاهدات وهم المؤمنون زادهم اي الله الذي طبع على قلوب
اولئك الهمزة هدى بان شرح صدورهم ونورها بانوار المشاهدات فصارت اوعية للحكمة
وآتاهم تقواهم اي الهمهم ما يتقون به النار قال ابن برجان التقوى عمل الايمان كما ان
اعمال الجوارح عمل الاسلام فهل اي فما ينظرون اي ينتظرون وجودها اشارة الى شدة

قربها الا الساعة وقوله تعالى ان تأتيهم اى الكافرين بدل اشتمال من الساعة اى ليس الا ان
تأتيهم بغتة اى فجأة من غير شعور بها لا استعدادهم لها وقوله تعالى فقد جاء اشراطها ع
جمع شرط بسكون الراء وفتحها قال ابو الاسود فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا فقد جعلت
اشراط اوله تبدو والاشراط العلامات ومنه اشراط الساعة واشرط الرجل نفسه اى الزمها امورا
قال اوس بن حجر فاشرط فيها نفسه وهو معصم فالقى باسباب له وتوكلا والشرط القطع ايضا مصدر
شرط الجلد يشرطه شرطا قال الاسماعيلي عن ابن سعد عن انس قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
قال باصبعيه هكذا الوسطى والتي تلي الابهام بعثت والساعة كهاتين وعن انس قال لاحدثنكم
حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر
الجهل ويكثر الزنا ويشرب الخمر ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد وعن ابي هريرة
قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاء اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه
قال اين السائل عن الساعة قال ها انا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها
قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة ومن اشراطها انشقاق القمر والدخان وآية الشمس
في طلوعها من مغربها وغير ذلك انما هي مقدمات الشيء الاعظم فانى اى فكيف
فانى لهم اى التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم ذكراهم اى الساعة لا تنفعهم
نظيره قوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى ولما علم بذلك ان الذكرى
غير نافعة اذا انقضت هذه الدار التي شرعت للتدارك وبانت الاشراط المحققة الكاشفة لها سبب
عنه امر عظيم الخلق تكوينا لا يكون لغيره تكليفا فقال فاعلم انه اى الشأن العظيم لا اله
اى لا معبود بحق الا الله اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت
عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
غيره وقال الحسين بن الفضل فازدد علما الى علمك وقال ابو العالية وابن عيينة معناه
اذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها الا الى الله واستغفر لذنبك اى لاجله
امر بذلك مع عصمته لتستن به امته وقد فعله قال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم
مائة مرة وقيل معنى قوله لذنبك اى لذنب اهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات الذين ليسوا من
امتك باهل بيت وقيل المراد النبي والذنب هو ترك الافضل الذي هو بالنسبة اليه ذنب وحسنات
دون ذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة
وقيل هو كل مقام عال هو تقصير منه الى علو منه وقوله تعالى وللمؤمنين والمؤمنات فيه اكرام
من الله تعالى لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم والله المحيط
بجميع صفات الكمال يعلم متقلبكم اى تصرفكم لاشتغالكم بالنهار و[illegible]

ع ومثواكم أي مأواكم إلى مضاجعكم بالليل أي هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه
والخطاب للمؤمنين وغيرهم وقيل يعلم متقلبكم في أعمالكم ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق
بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال
ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم
وقال اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو الآية ويقول الذين آمنوا طلبا للجهاد لولا أي هلا ولا التفات
إلى قول بعضهم إن لا زائدة والأصل لو نزلت سورة أي سورة كانت تستر بسماعها ونتعبد
بتلاوتها ونعمل بما فيها فإذا أنزلت سورة أي قطعة من القرآن تكامل نزولها كلها تدريجا أو جملة
وزادت على سطرين في الحسن بأنها محكمة أي مبينة لا يلتبس شيء منها بنوع إجمال ولا نسخ لكونه
جامعا للمحاسن في كل زمان ومكان وقال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن
على المنافقين وذكر فيها القتال أي الأمر به رأيت الذين في قلوبهم مرض أي شك وهم المنافقون
ينظرون إليك شزرا بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا منهم عن لقاء العدو نظر المغشي
والأصل نظرا مثل نظر المغشي عليه من الموت الذي هو نهاية الغشي فهو لا يطرف بعينه بل شاخص
لا يطرف كراهية القتال من الجبن والخوف والحاصل أن المؤمن كان ينتظر نزول الأحكام والتكاليف
ويطلب تنزيلها وإذا تأخر عنه التكاليف كان يقول هلا أمرت بشيء من العبادة خوفا من أن لا يؤهل لها
وأما المنافق فإذا نزلت السورة أو الآية وفيها تكاليف شق عليه ذلك فحصل التباين بين الفريقين
في العلم والعمل وقوله تعالى فأولى لهم وعيد معناه فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه
الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه وقوله تعالى طاعة وقول معروف مستأنف أي طاعة وقول معروف
خير لهم وأمثل أي لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا لكان أمثل وأحسن وساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت
بدليل قوله تعالى وقول معروف فإنه موصوف فكأنه تعالى قال طاعة مخلصة وقول معروف خير وقيل
يقول المنافقون قبل نزول السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منا طاعة وقول معروف
حسن وقيل متصل بما قبله واللام في قوله تعالى لهم بمعنى الباء أي فأولى بهم طاعة الله ورسوله
وقول معروف بالإجابة أولى بهم وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء ثم سبب عنهما قوله تعالى
مسندا إلى الأمر ما هو لأهله تأكيدا لمضمون الكلام فإذا عزم الأمر أي فإذا أمر بالقتال الذي
ذكر في أول السورة وغيره من الأوامر أمرا مجزوما به مفروضا عليه فلو صدقوا الله أي الملك
الأعظم في قولهم الذي قالوه في طلب التنزيل لكان أي صدقهم له خيرا لهم أي من نفاقهم
وجملة لو جواب إذا نحو إذا جاءني طعام فلو جئتني لأطعمتك وقيل محذوف تقديره فاصدق
كذا قدره أبو البقاء وعزم الأمر على سبيل المجاز كقوله قد جدت الحرب فجدوا
أو يكون على حذف مضاف أي عزم أهل الأمر وقوله تعالى فهل عسيتم فيه التفات
عن الغيبة أي لعلكم إن توليتم أي أعرضتم عن الإيمان والجهاد أن تفسدوا في الأرض

توقعوا الافساد العظيم الذي يستمر تجدده في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدماء الذي
يسخط الله تعالى ويغضبه اشد غضب على فاعله وتكونوا في غاية الجرأة عليه وترجعوا الى الفرقة
بعد ما جمعكم الله بالاسلام وقرأ نافع بكسر السين والباقون بفتحها وتقطعوا اي تقطيعا كثيرا
ارحامكم اي تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الاغارة من بعض على بعض وغير ذلك قال قتادة كيف رأيتم
القوم حين تولوا عن كتاب الله تعالى الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن وقال
بعضهم هو من الولاية قال الفراء يقول فهل عسيتم ان توليتم امر الناس ان تفسدوا في الارض
بالظلم نزلت في بني امية وبني هاشم اولئك اي المفسدون الذين لعنهم الله اي طردهم
اشد الطرد الملك الاعظم لما ذكر من افسادهم وتقطيعهم ثم سبب عن لعنهم قوله تعالى فاصمهم
اي عن الانتفاع بما يسمعونه واعمى ابصارهم اي عن الانتفاع بما يبصرون فليس سماعهم سماع ادراك
ولا ابصارهم ابصار اعتبار فلا اسماع ولا ابصار افلا يتدبرون اي بقلوب منفتحة منشرحة ليهتدوا
الى كل خير القرآن اي يجهدوا انفسهم في ان يتفكروا في الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين الحق والباطل
حتى لا يجسروا على المعاصي فان قيل قال تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم فكيف يمكنهم التدبر في القرآن
وهو كقول القائل للاعمى ابصر وللاصم اسمع اجيب بثلاثة اوجه مترتبة بعضها احسن من بعض
الاول تكليف ما لا يطاق جائز والله تعالى امر من علم منه بانه لا يؤمن ان يؤمن فكذلك جاز ان يصمهم
ويعميهم ويذمهم على ترك التدبر الثاني ان قوله افلا يتدبرون القرآن المراد منه الناس الثالث
ان يقال ان هذه الآية وردت محققة لمعنى الآية المتقدمة كانه تعالى قال اولئك الذين لعنهم الله
اي ابعدهم عنه او عن الصدق او الخير وغير ذلك من الامور الحسنة فاصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام
واعماهم لا يبصرون طريقة الاسلام فاذا هم بين امرين اما لا يتدبرون فيبعدون منه لان الله تعالى
لعنهم وابعدهم عن الخير والصدق والقرآن منهما هو الصنف الاعلى بل النوع الاشرف واما يتدبرون
لكن لا تدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة تقديره افلا يتدبرون القرآن لكونهم ملعونين مبعدين ام اي بل
على قلوب اي من قلوب الفاعلين لذلك اقفالها فلا تعي شيئا ولا تفهم [illegible]
وعنادا لانها لا تنفك على الذي قال القشيري فلا يدخلها زواجر التنبيه ولا ينبسط عليها
شعاع العلم فلا يحصل لهم فهم الخطاب والباب اذا كان مغلقا فكما لا يدخل فيه شيء لا يخرج منه
فلا كفرهم يخرج ولا الايمان الذي يدعون اليه يدخلها فان قيل ما الفائدة في تنكير
القلوب اجاب الزمخشري بقوله يحتمل وجهان احدهما ان يكون للتنبيه على كونه موصوفا
لان النكرة بالوصف اولى من المعرفة كانه قال ام على قلوب قاسية او مظلمة الثاني ان تكون
للتبعيض كانه قال ام على بعض القلوب لان النكرة لا تعم تقول جاءني رجال فيفهم البعض وجاءني
الرجال فيفهم الكل والتنكير في القلوب للتنبيه على الانكار الذي في القلوب وذلك لان القلب
اذا كان عارفا كان معروفا لان القلب خلق للمعرفة فاذا لم تكن فيه المعرفة فكانه لا يعرف فلما

فلا يكون قلبا يعرف كما يقال للانسان المؤذي هذا ليس بانسان وكذلك يقال هذا ليس بقلب هذا
حجر واذا علم هذا فالتعريف اما بالالف واللام واما بالاضافة فكان يقال على قلوبهم اقفالها وهي بعده
سوى فائدة البيان كأنها ليست لهم فان قيل قد قال تعالى ختم الله على قلوبهم وقال تعالى فويل
للقاسية قلوبهم اجيب بانه لما قال ابلغ من الختم وترك الاضافة لعدم انتفاعهم بها اصلا
فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى اقفالها بالاضافة ولم يقل اقفال كما قال قلوب اجيب بان الاقفال
كأنها ليست الا لها [illegible] القلوب لهم لعدم [illegible] الاقفال التي [illegible]
او يقال اراد به اقفالا مخصوصة [illegible] [illegible] ونشأ ذلك
فقال تعالى ان الذين ارتدوا اي رجعوا على ادبارهم اي [illegible] من بعد ما تبين
اي غاية البيان لهم الهدى اي [illegible] [illegible] [illegible]
الشيطان سول لهم اي زين وسهل لهم اقتراف الكبائر واملى لهم اي ومد الشيطان لهم في الآمال
والاماني [illegible] وقرأ ابو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء والباقون بفتح الهمزة واللام وسكون
الالف المنقلبة وامالها حمزة والكسائي [illegible] والباقون بالفتح
قال في الكشاف فان قلت [illegible] اليهود كفروا بمحمد [illegible] من بعد ما تبين لهم
ذلك اي بسبب انهم قالوا اي المنافقون للذين كرهوا اي وهم المشركون ما اي جميع ما نزل الله
اي الملك الاعظم على [illegible] في بلاغة التركيب [illegible]
[illegible] السهولة في [illegible] السمع [illegible] سنطيعكم
في بعض الامر [illegible] وتثبيط الناس [illegible]
قالوا ذلك سرا [illegible] تعالى والله يعلم اسرارهم اي [illegible] الملك الاعظم المحيط بكل شيء
علما وقدرة [illegible] اي [illegible] [illegible] هذا الذي افشاه
عليهم [illegible] [illegible] ولعلهم لم يعلموا [illegible] التهم
[illegible] انفسهم [illegible] وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بكسر الهمزة مصدرا والباقون بفتحها جمع [illegible] اي حالهم اذا توفتهم الملائكة
اي قبضت رسلنا وهم ملك الموت واعوانه ارواحهم [illegible] وقوله تعالى يضربون وجوههم
وادبارهم [illegible] [illegible] عن القتال له وعن ابن عباس لا يتوفى
احد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره وقوله تعالى ذلك اشارة الى التوفي
الموصوف بانهم اي بسبب انهم اتبعوا اي [illegible] الاولى في ان اتبعوا ما
اسخط الله اي الملك الاعظم وهو الكفر [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible]
الامر وكرهوا رضوانه [illegible] اعظم اسباب رضاه وهو الايمان [illegible]
[illegible] بالقعود عن الطاعات [illegible] ذلك [illegible] في ان [illegible] في قوله

الا الظاهرة فلا يقبلها الله تعالى لانها لم تقترن بنية صالحة او اعمالهم اى الصالحة فاسقطها بحيث لم يبق
لها وزن ... الخلائق من الفرق ولا فرق بين الضعيف والمتصدق والاعتقاد
وغير ذلك ... فقال ام حسب الذين وكان الاصل ... بسبب ضعف عقولهم كما انهم
التعبير بالسبب ... تعالى بما دل على الآفة التى ... بقوله تعالى في قلوبهم اى التى
... مرض اى آفة لا طب لها حسبانا هو فى غاية الثبات كما دل عليه التأكيد
فى قوله تعالى ان لن يخرج الله اى ... ذات الكمال للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
على سبيل التجديد والاستمرار وقوله تعالى اضغانهم ... اى احقادهم على المؤمنين
... فتعرفوا نفاقهم ... ولو نشاء لاريناكهم من رؤية
البصر ... على اريناك اياهم جاز وقال الرازى الاراءة
هنا ... وقوله تعالى فلعرفتهم عطف على جواب لو بسيماهم اى بسبب علاماتهم
التى ... عليهم ... ثم لم يفعل ذلك ...
... سبحانه ... وقوله تعالى ولتعرفنهم جواب قسم
محذوف ... فى لحن القول ... ويلوح عليه من ميله
... على رسول الله صلى الله عليه وسلم
... شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم وعن ابن عباس فى لحن القول اى فى قولهم
... وقيل اللحن ان تلحن بكلامك وتميله
الى نحو من الانحاء ... كالتعريض والتورية قال * ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا
واللحن يعرفه ذوو الالباب * وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب وقال ابو حيان
... النبي صلى الله عليه وسلم مما ظاهره حسن ويعنون
به القبيح والله اى ... يعلم اعمالكم اى ... الفعلية والقولية ...
... بحسب تجددها مستمرا ...
ولنبلونكم اى ... الامر ... بالاوامر
الشديدة على النفوس والنواهى ... اى بالابتلاء علما شهوديا
... من سرائركم ما جبلنا
... عليه ... احد منكم بل ولا ... حتى نعلم المجاهدين منكم فى القتال
وفى سائر الاعمال والشدائد والاهوال امتثالا للامر بذلك والصابرين اى على شدائد الجهاد
وغيره من الاجتهاد قال القشيرى فبالابتلاء والامتحان تتبين جواهر الرجال فيظهر المخلص
ويفتضح المنافق ويكشف المنافق اهـ وعن الفضيل انه كان اذا قرأ هذه الآية بكى وقال
اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ونبلو اخباركم اى ...

والحال انه من يبخل في ذلك فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه
والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق والله اي الملك
الاعظم الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال الغني وحده عن نفقتكم وانتم الفقراء اليه
في جميع احوالكم الدنيوية والاخروية وان تتولوا اي تعرضوا عن طاعته يستبدل قوما غيركم
اي يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى ثم لا يكونوا امثالكم
في التولي عنه والتزهد في الايمان بل يكونون مطيعين له تعالى وقيل هم الملائكة وقيل الانصار
وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان
منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس رواه الترمذي والحاكم وصححه وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة محمد كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من انهار الجنة حديث موضوع

سورة الفتح مدنية

وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وستون كلمة والفان واربعمائة وثمانية وثلاثون حرفا
بسم الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما الرحمن الذي عم خلقه بنعمه الرحيم الذي خص من اراد
بمزيد فضله روى زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سار ليلا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر
فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان يكون نزل فيّ قرآن فما نشبت ان سمعت
صارخا يصرخ بي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة
سورة هي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك اي بما لنا من العظمة التي لا تثبت لها
الجبال فتحا مبينا اي بينا ليس فيه على احد واختلفوا في هذا الفتح فروي عن انس انه
فتح مكة وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون على انه صلح الحديبية قال انس نزلت على
النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك الى آخر الآية مرجعه من الحديبية واصحابه قد خالطوا
الحزن والكآبة فقال نزلت علي آية هي احب الي من الدنيا جميعها فلما تلاها نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال رجل من القوم هنيئا مريئا قد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله تعالى
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى ختم الآية وقيل فتح الروم وقيل
فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان وقيل الفتح الحكم لقوله تعالى ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وقوله تعالى ثم يفتح بيننا بالحق ومن قال هو فتح مكة قال لانه مناسب لآخر
السورة التي قبلها من وجوه احدها انه تعالى لما قال ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل
الله الى ان قال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه بين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل
لهم اضعاف ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على انفسهم ثانيها انه تعالى لما قال

تعالى والله معكم وقال تعالى وانتم الاعلون بان برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون ثالثها
لما قال تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وكان معناه لا تسألوا الصلح بل اصبروا فانهم يسئلوا
الصلح كما كان يوم الحديبية وكان المراد فتح مكة حيث اتى صناديد قريش مستأمنين ومؤمنين
ومسلمين وهم مستسلمون فان قيل ان كان المراد فتح مكة فمكة لم تكن فتحت فكيف قال تعالى
فتحنا بلفظ الماضي اجيب من وجهين احدهما فتحنا في حكمنا وتقديرنا ثانيهما ما قدره الله تعالى
فهو كائن فاخبر بصيغة الماضي اشارة الى انه امر واقع لا دافع له واما حجة قول الاكثرين على انه
صلح الحديبية فلما روى البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد
الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية
بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها فدعا باناء
فتوضأ ثم تمضمض ودعا وصبه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل جاش حتى امتلأت
ولم ينفد ماؤها بعد وقال الشعبي في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون
بظهور اهل الكتاب على المجوس قال الزهري ولم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين
اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد
الاسلام وقال البغوي انا فتحنا لك فتحا مبينا اقضينا وقال الضحاك اي بغير قتال وكان الصلح من الفتح
واختلف قول المفسرين في قوله تعالى ليغفر لك الله اي الملك الاعظم فقال البيضاوي
علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة
الشرك وتكميل النفوس الناقصة وقال البغوي قيل اللام لام كي معناه انا فتحنا لك فتحا
مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح وقال الجلال المحلي اللام للعلة الغائية
فمدخولها مسبب لا سبب وقال بعضهم انها لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها بلام كي
وحذفت النون ورد هذا بان اللام لا تكسر وبانها لا تنصب المضارع قال ابن عادل وقد يقال
ان هذا ليس بنصب وانما هو بقاء الفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكنه
قول مردود وقال الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة
للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط
المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين
واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للمغفرة والثواب
اهـ قال ابن عادل وهذا الذي قاله مخالف لظاهر الآية فان اللام داخلة على المغفرة فتكون
المغفرة علة للفتح والفتح معلل بها فكان ينبغي ان يقول كيف جعل فتح مكة معللا بالمغفرة
ثم يقول لم يجعل معللا اهـ وقيل غير ذلك والاسلم ما اقتصر عليه الجلال المحلي واختلف ايضا

فى الذنب فى قوله تعالى مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ فقال البقاعى اى الذى تقدم فى القتال امرك بالاستغفار له وهو ما تنتقل عنه من مقام كامل الى مقام فوقه اكمل منه فتراه بالنسبة الى الكلية المقام الثانى ذنبا وكذا قوله تعالى وَمَا تَأَخَّرَ وقال الرازى المغفرة لها درجات كما ان الذنوب لها درجات حسنات الابرار سيئات المقربين وقال عطاء الخراسانى ما تقدم من ذنبك يعنى ذنب ابويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر ذنوب امتك بدعوتك وقال سفيان الثورى ما تقدم ما عملت فى الجاهلية وما تأخر كل شئ لم تعمله قال البغوى ويذكر مثل ذلك على سبيل التأكيد كما يقال اعطى من لم يره وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد وقيل المراد به ترك الافضل وقيل الصغائر على طريق من جوزها على الانبياء وقيل المراد بالمغفرة العصمة ويعضده قوله تعالى وما تأخر فقيل انه وعد للنبى صلى الله عليه وسلم بانه لا يذنب بعد النبوة وقيل ما تقدم على الفتح وما تأخر منه وقيل المراد ذنب المؤمنين وقيل غير ذلك والاولى فى ذلك هو الاول واختلفوا ايضا فى قوله تعالى وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ فقال البقاعى بنقلتك من عالم الشهادة الى عالم الغيب ومن عالم الكون والفساد الى عالم الثبات والصلاح الذى هو حضرته واولى برحمته واظهار اصحابك من بعدك على جميع اهل الملل وقال البيضاوى باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وقال الجلال المحلى بالفتح المذكور وقيل ان التكاليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو آخر التكاليف تمت وقيل باخلاء الارض لك عن معاندك فان من يوم الفتح لم يبق للنبى صلى الله عليه وسلم عدو فان بعضهم قتل يوم بدر والباقون آمنوا واستأمنوا يوم الفتح وقيل ويتم نعمته عليك فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فباستجابة دعائك فى طلب الفتح وفى الآخرة بقبول شفاعتك وقيل غير ذلك والاول اولى واختلفوا ايضا فى معنى الهداية فى قوله تعالى وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا اى طريقا مُسْتَقِيمًا اى واضحا جليا فقال البقاعى بهداية جميع قومك وما كانت هدايتهم من هدايته اضافها سبحانه اليه اعلاما له انها هداية تليق بجنابه الشريف سرورا له وقال البيضاوى فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وقيل يهديك وقيل يديمك على الصراط المستقيم وقيل جعل الفتح سبب الهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على المؤمنين الجهاد لعلمهم بفوائده العاجلة والآجلة وقيل المراد التعريف اى لتعرفنك على صراط مستقيم وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ اى على ملوك الامم نصرا يليق اسناده الى اسمه المحيط بسائر الكمال نَصْرًا عَزِيزًا اى يغلب المنصور به كل من ناواه ولا يغلبه شئ معه ولا ذل بعده لان الامة التى تصرف به لا يظهر عليها احد والدين الذى قضاه لا حيلة لا ينسخه شئ فان قيل ان الله تعالى وصف النصر بكونه عزيزا والعزيز من له النصر اجيب من وجهين احدهما قال الزمخشرى انه يحتمل وجوها ثلاثة الاول معناه نصرا ذا عزة كقولك فى عيشة راضية اى ذات رضا ثانيها وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال له كلام صادق كما يقال له متكلم صادق ثالثها المراد نصرا عزيزا صاحبه الوجه الثانى ان يقال انما يلزم ما ذكره الزمخشرى اذا قلنا

العزة في الغاية والعزيز الغالب اما اذا قلنا العزيز هو النفيس القليل النظير او المحتاج اليه القليل الوجود
يقال عز الشيء في سوق كذا اي قل وجوده مع انه محتاج اليه فالنصر كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد
وهو هنا بين الله تعالى من الكفار المقيمين فيه من غير عدد ولا عدد هو اي وحده الذي انزل
اي في يوم الحديبية وغيره السكينة اي الثبات على الدين والطمأنينة في قلوب المؤمنين
اي الراسخين في الايمان وهم اهل الحديبية بعدما دهمهم فيها ما من شأنه ان يزعج النفوس ويزيغ
القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصودهم فلم يرجع احد منهم عن الايمان
بعد ان هاج الناس وزلزلوا حتى عمر مع انه فاروق ومع وصفه في الكتب السالفة بانه قرن من حديد
فالظن بغيره وكان عند الصديق من القدم الثابت والاصل الراسخ ما علم به انه لم يسابق ثم تبعهم الله
تعالى اجمعين وقال الرازي السكينة الثقة بوعد الله وقيل السكينة هنا معنى يجمع نورا وقوة
وروحا يسكن اليه الخائف ويتسلى به الحزين واثر هذه السكينة الوقار والخشوع وظهور الحزم
في الامور اهـ وقال اكثر المفسرين ان هذه السكينة غير السكينة المذكورة في قوله تعالى ان ياتيكم التابوت
فيه سكينة من ربكم ويحتمل ان تكون هي تلك لان المقصود منها على جميع الوجوه اليقين وثبات
القلب ليزدادوا اي بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لهم انه لا بد ان تدخلوا مكة
وتطوفوا بالبيت ايمانا عن التصديق بالغيب مع ايمانهم الثابت من قبل هذه الواقعة
او بشرائع الدين مع ايمانهم بالله واليوم الآخر وقال القشيري يطلع اقمار عين اليقين على نجوم
علم اليقين ثم يطلع شمس حق اليقين على بدر عين اليقين وقال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله
عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدقوا زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل
لهم دينهم فكلما امروا بشيء فصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم
وقيل ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في حق الكفار انما
نملي لهم ليزدادوا اثما ولم يقل مع كفرهم وقال في حق المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اجيب
بان كفر الكافر عنادي وليس في الوجود كفر فطري ولا في الامكان كفر غير عنادي لينضم الى الكفر العنادي بل الكفر
ليس الا عناديا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر بالاصول لان من ضرورة الكفر
بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة
والانقياد ولهذا قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله اي الملك الاعظم الذي انزل
السكينة في قلوب المؤمنين جنود السموات والارض فهو قادر على اهلاك عدوه بجنوده
بل بصيحة ولم يفعل بل انزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك اعدائه بايديهم فيكون لهم
الثواب وجنود السموات والارض الملائكة وقيل جنود السموات الملائكة وجنود الارض الجن
والحيوانات وقيل الاسباب السماوية والارضية وكان الله اي الملك الاعظم ازلا
وابدا عليما اي بالذوات والمعاني حكيما في اتقان ما يصنع وقوله تعالى ليدخل متعلق

يمجدون اى يأمر بالجهاد ليدخل المؤمنين والمؤمنات الذين جبلتهم جبلة خير بجهاد بعضهم
ودخول بعضهم فى الدين بجهاد المجاهدين ولو سلط على الكفار حينئذ من اول الامر فاهلكوهم
او دمر عليهم بغير واسطة لفات دخول اكثرهم الجنة وهم من آمن منهم بعد صلح الحديبية جنات
اى بساتين لا يصل الى عقولكم من وصفها الا ما تعرفونه بعقولكم وانكان الامر فوق ذلك تجرى
من تحتها الانهار فاى موضع اردت ان تجرى منه نهرا قدرت على ذلك لان الماء قريب من وجه
الارض مع صلابتها وحسنها خالدين فيها اى لا الى آخر فان قيل ما الحكمة فى انه تعالى ذكر فى
بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات وفى بعضها اكتفى بذكر المؤمنين ودخلت المؤمنات فيهم
كقوله تعالى قد افلح المؤمنون وقوله تعالى وبشر المؤمنين اجيب بانه فى المواضع التى فيها ما يوهم
اختصاص المؤمنين بالخير الموعود به مع مشاركة المؤمنات لهم ذكرهن الله تعالى صريحا وفى المواضع
التى فيها ما لا يوهم ذلك اكتفى بدخولهن فى المؤمنين كقوله تعالى وبشر المؤمنين فلما كان هنا قوله
تعالى ليدخل المؤمنين متعلقا بالامر بالقتال والمرأة لا تقاتل فلا تدخل الجنة الموعود بها فصرح
الله تعالى بذكرهن ويكفر اى يستر سترا بليغا عنهم سيئاتهم فلا يظهرها فان قيل تكفير
السيئات قبل الادخال فكيف ذكره بعده اجيب بان الواو لا تقتضى الترتيب وبان تكفير السيئات
والمغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال فى الذكر بمعنى انه من اهل الجنة
وكان ذلك اى الادخال والتكفير عند الله اى الملك الاعظم ذى الجلال والاكرام فوزا
عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع ودفع ضر فقوله عند متعلق بمحذوف على انه
حال من فوزا ولما كان من اعظم الفوز افراد العين بالانتقام من العدو وكان العدو
الكاتم اشد من المجاهر المراغم قال تعالى ويعذب المنافقين المخفين الكفر المظهرين للايمان
اى فيزيل كل ما لهم من العذوبة والمنافقات لما غاظهم من ازدياد الايمان والمشركين
والمشركات اى المظهرين الكفر المؤمنين وقدم المنافقين على المشركين فى كثير من المواضع لانهم
كانوا اشد على المؤمنين من الكفار المجاهرين لان المؤمن كان يتوقى المشرك اذا رآه ويخالط المنافق
لظنه ايمانه وكان يفشى اسراره والى هذا اشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اعدى عدوك نفسك
التى بين جنبيك ولهذا قال الشاعر * احذر عدوك مرة * واحذر صديقك الف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان اخبر بالمضرة * وقوله تعالى الظانين بالله اى المحيط بصفات
الكمال صفة للفريقين واما قوله تعالى ظن السوء فقال اكثر المفسرين هو ان لا ينصر
محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين عليهم دائرة
السوء اى دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم لا يتخطاهم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين والباقون بالفتح وهما لغتان كالكره والكره والضعف
والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ

وأما السوء فهو يجري الشر الذي هو نقيض الخير وغضب الله أي الملك الأعظم بما له من صفات
الجلال والجمال فاستعلى غضبه عليهم وهو أنه تعالى يعاملهم معاملة الغضبان بما لا طاقة
لهم به ولعنهم أي طردهم طرداً أنزلهم به أسفل السافلين فبعدوا به عن كل خير وأعد
أي هيأ لهم الآن جهنم تلقاهم بالعبوسة والتغيظ والزفير والتجهم كما كانوا يتجهمون
عباد الله مع ما فيها من العذاب والحر والإحراق وغير ذلك من أنواع المشاق وساءت أي جهنم
مصيراً أي مرجعاً وقوله تعالى ولله أي الملك الأعظم جنود السموات والأرض تقدم تفسيره
وفائدة الإعادة التأكيد وجنود السموات والأرض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب وقدم
ذكر جنود السموات والأرض قبل إدخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين ملائكة الرحمة فيبشرهم
على الصراط وعند الميزان فإذا دخلوا الجنة أفضوا إلى جوار الله ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك
إلى شيء وأخر ذكر جنود السموات والأرض بعد ذكر تعذيب الكفار والمنافقين ليكون معهم جنود السخط
فلا يفارقونهم أبداً كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم فإن قيل قال الله
تعالى وكان الله عليما حكيما وقال هنا وكان الله أي الملك الذي لا أمر لأحد معه أزلاً وأبداً عزيزاً
أي يغلب ولا يغلب حكيماً أي يضع الشيء في أحكم مواضعه فلا يستطاع نقض شيء مما ينسب إليه
أجيب بأنه لما كان في جنود السموات والأرض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله تعالى ضعف المؤمنين
ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزاً حكيماً إنا أي بما لنا من العز والحكمة أرسلناك
أي بما لنا من العظمة إلى الخلق كافة شاهداً على أفعالهم من كفر وإيمان وطاعة وعصيان من كان بحضرتك
فبنفسك ومن كان بعد موتك أو غائباً عنك فبكتابك مع ما أيدناك به من الحفظة من الملائكة
الكرام ومبشراً أي لمن أطاع بأنواع البشائر ونذيراً أي محذراً لمن خالفك وعصى أمرك بالنار ثم
بين تعالى فائدة الإرسال بقوله سبحانه لتؤمنوا بالله أي لا يسوغ لأحد من خلقه والكل خلقه
التوجه إلى غيره ورسوله أي الذي أرسله من له كل شيء ملكاً وخلقاً إلى جميع خلقه
وتعزروه أي تعينوه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم وتوقروه أي تعظموه والتوقير التعظيم
والتبجيل وتسبحوه من التسبيح الذي هو التنزيه عن جميع النقائص أو من السبحة وهي
الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق
الضمائر فقد أبعد وقال غيره الكنايات في قوله وتعزروه وتوقروه راجعة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعند هذا تم الكلام فالوقف على وتوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله تعالى ويسبحوه
بكرة وأصيلاً أي غدوة وعشياً أي دائماً وعن ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر
على أن الكناية في يسبحوه راجعة إلى الله عز وجل وقال البقاعي الأفعال الثلاثة يحتمل أن
يراد بها الله تعالى لأن من سعى في قهر الكفار فقد فعل فعل المعزز الموقر فيكون إما عائداً
على المذكور وإما أن يكون جعل الاسمين واحداً إشارة إلى اتحاد المسميين في الأمر فلما اتحد

امرها وحد الضمير إشارة الى ذلك اهـ نعم لا انه يصح رجوع الثلاثة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه ينصر ويسبح بقوله ينزهه عن كل وخيمة بخلاف الوعد بدخول مكة والطواف بالبيت
الحرام ونحو ذلك وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء فى الاربعة على الغيبة رجوعا الى قوله تعالى ليدخل
المؤمنين والمؤمنات والباقون بالتاء على الخطاب ولما بين تعالى انه مرسل ذكر ان من بايع رسوله
فقد بايعه فقال تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ يا اشرف الرسل بالحديبية على ان لا يفروا إِنَّمَا يُبَايِعُونَ
اللَّهَ اى الملك الاعظم لان عملك كله من قول او فعل له تعالى وما ينطق عن الهوى وسميت مبايعة لانهم
باعوا انفسهم من الله تعالى بالجنة قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة الآية وروى يزيد بن ابى عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اى شئ بايعتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت وعن معقل بن يسار قال لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم
يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن رأسه ونحن اربعة عشر مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعنا
على ان لا نفر قال ابو عيسى معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت اى لا نزال نقاتل بين يديك
ما لم نقتل وبايعه آخرون وقالوا لا نفر وقوله تعالى يَدُ اللَّهِ اى المتردى بالكبرياء فَوْقَ أَيْدِيهِمْ [illegible]
فى المبايعة يحتمل وجوها وذلك ان اليد فى الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين
فان كانت بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما قال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ما صنعوا من البيعة
كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ثانيهما قال ابن عباس ومجاهد يد الله بالوفاء بما وعدهم
من النصر والخير اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اى الغلبة وان كانت بمعنيين ففى حق الله تعالى
بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة قال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويبايعونه ويد الله تعالى فوق ايديهم فى المبايعة وذلك ان المتبايعين اذا مد احدهما
يده الى الآخر فى البيع وبينهما ثالث يضع يده على ايديهما ويحفظ ايديهما الى ان يتم العقد ولا يترك
احدهما يترك يد الآخر لكى يلزم العقد ولا يتفاسخان فصار وضع اليد فوق الايدى سببا
لحفظ البيعة فقال تعالى يد الله فوق ايديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط ايدى المتبايعين
قال البقاعى فلعنة الله على من حمله على الظاهر من اهل العناد بدعة الاتحاد وعلى من تبعهم
على ذلك من الذين شاقوا الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وسائر الائمة الاعلام
ورضوا لانفسهم بان يكونوا اتباع فرعون اللعين وناهيك به من ضلال مبين اهـ وقد
مر ان التأويل فى الآيات المتشابهات مذهب الخلف ومذهب السلف السكوت عن
التأويل وامرار الصفات على ما جاءت به وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه
ولا تكييف ولا تعطيل فَمَنْ نَكَثَ اى نقض البيعة فى وقت من الاوقات فجعلها كالكساء
والحبل البالى الذى ينقض فَإِنَّمَا يَنْكُثُ اى يرجع وبال نقضه عَلَى نَفْسِهِ لا يضر الا هو فلا يضر
الا هو وَمَنْ أَوْفَى اى فعل الاتمام والاستكثار والاطالة بِمَا عَاهَدَ [illegible] فى قوله

عليه الله اى الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما من هذه المبايعات وغيرها اهتماما به وقرأ حفص بضم الهاء
قبل لام الجلالة والباقون بكسر الهاء والترقيق فسيؤتيه بوعد مؤكد لاخلف فيه اجرا عظيما غ
لاتسع عقولكم شرحه ووصفه قال ابن عادل والمراد به الجنة وقرأ ابو عمرو والكوفيون بالياء التحتية
والباقون بالنون ولما ذكر تعالى اهل بيعة الرضوان وادناهم الى حضرة الرحمن ذكر من غاب عن ذلك
الجناب وابطأ عن حضرة تلك الحضرة بقوله تعالى سيقول اى بوعد لاخلف فيه لك اى لانهم يعلمون
شدة رحمتك ورفقك وشفقتك على عباد الله فهم يطمعون فى قبولك من فاسد عذرهم مالا يطمعون
فيه من غيرك من خلص المؤمنين المخلفون اى الذين خلفهم الله تعالى عنك فلم يرضهم لصحبتك فى
هذه العمرة فجعلهم كالشئ التافه الذى يخلفه الانسان لانه لافائدة فيه ولا يعبأ به وقال تعالى من الاعراب
ليخرج من تخلف بالجسد من خلص الانصار وغيرهم ممن كان حاضرا معه صلى الله عليه وسلم بالقلب قال ابن عادل
وابن عباس ومجاهد يعنى بالاعراب اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب
والبوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق
معه الهدى ليعلم الناس انه لايريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله
تعالى فيهم سيقول لك المخلفون اى الذين خلفهم الله تعالى من الاعراب عن صحبتك اذا رجعت اليهم من
عمرتك معتذرين عن التخلف شغلتنا اى عن اجابتك فى هذه العمرة اموالنا واهلونا اى النساء
والذرارى فانا لو تركناهم لضاعوا لانه لم يكن لنا من يقوم بهم وانت قد نهيت عن ضياع المال والتفريط
فى العيال ثم سببوا عن هذا القول المراد به السوء قولهم فاستغفر لنا اى اطلب المغفرة لنا من الله تعالى
ان كنا اخطأنا او قصرنا فكذبهم الله تعالى فى اعتذارهم بقوله سبحانه وتعالى يقولون بألسنتهم
اى فى الشغل والاستغفار وأكد ما افهمه ذكر اللسان من انه قول ظاهرى نفيا للكلام الحقيقى
الذى هو النفسى بكل اعتبار بقوله تعالى ما ليس فى قلوبهم لانهم لم يكن لهم شغل ولا كانت
لهم نية فى سؤال الاستغفار فانهم لايبالون استغفر لهم الرسول ام لا قل يا اشرف الرسل لهؤلاء
الاغبياء واعظا لهم مسببا عن جهلهم بمن لاتخفى عليه خافية اشارة الى ان العاقل يقبح عليه الا
ان يقدم على ما هو بحيث يخشى عواقبه فمن يملك لكم اى ايها المخادعون من الله اى الملك الذى
لا امر لاحد معه لانه لا كفء له شيئا يمنعكم ان اراد بكم ضرا اى نوعا من انواع الضرر
عظيما او حقيرا فاهلك الاموال والاهلين وانتم مخاطون فى حفظها فلم ينفعها حضوركم
واهلككم انتم وقرأ حمزة والكسائى بضم الضاد والباقون بفتحها او اراد بكم نفعا بحفظها
به فى غيبتكم فلا يؤذيهم بعدكم عنهم ويحفظكم فى انفسكم بل كان الله اى المحيط
ازلا وابدا بكل شئ قدرة وعلما بما تعملون اى ايها المبطلة خبيرا يعلم بواطن امركم
هذه وغيرها كما يعلم ظواهرها بل ظننتم اى فانتم واقفون مع الظنون الظاهرة لم يصح

لكم نفع ذلك البواطن وقرأ الكسائي بادغام اللام في الظاء والباقون بالاظهار واشار الى تأكد ظنهم
على زعمهم بقوله تعالى ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا اى ظننتم ان العدو
يستاصلهم ولا يرجعون لما في قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة المؤمنين فحملكم ذلك
على ان قلتم ما هم في قريش الا اكلة راس فان قيل ما الفرق بين حرفي الاضراب اجيب
بأن الاضراب الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوه واثبات الحسد والثاني
اضراب عن وصفهم باضافة الحسد للمؤمنين اى وصفهم بما هو اعم منه وهو الجهل وقلة الفقه
وزين ذلك اى الامر القبيح الذى هو خراب الدنيا في قلوبكم حتى قلتموه وظننتم اى بذلك
وغيره مما يترتب عليه من اظهار الكفر وما يتفرع عنه ظن السوء اى الذى لم يدع شيئا مما يكره
غاية الكراهة الا احاط به وقوله تعالى وكنتم قوما بورا جمع بائر اى هالكين عند الله تعالى بهذا
الظن وهذا بالنظر الى الجمع من حيث هو جمع لا بالنسبة الى كل فرد فانه قد اخلص منهم بعد ذلك
كثير وثبتوا ولم يرتدوا ومن لم يؤمن اى يكن من غيركم بالله اى الذى لا موجود على الحقيقة سواه ٢١
ورسوله اى الذى ارسله لاظهار دينه فانا على ما لنا من العظمة اعتدنا اى له هكذا كان الاصل
ولكنه قال تعالى معللا الحكم بالوصف للكافرين اى ايذانا بانه لم يجمع الايمان بهما فهو كافر واعد له سعيرا اى
نارا شديدة ولله اى الملك الاعظم وحده ملك السموات والارض اى من الخلق وغيرها يدبر ذلك
كله كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اى لا اعتراض لاحد عليه لانه لا يجب عليه شيء
ولا يكافئه احد وليس هو كالملوك الذين لا يتمكنون من مثل ذلك لكثرة الاكفاء المعارضين لهم
في الجملة وعلم من هذا ان منهم من يرتد فيعذب به ومنهم من يثبت على الاسلام فيغفر له لانه لا يعذب
بغير ذنب ان كان له ان يفعل ذلك لانه لا يسئل عما يفعل وملكه تام فتصرفه فيه عدل كيف كان
وكان الله اى المحيط بصفات الكمال ازلا وابدا لم يتجدد له شئ لم يكن غفورا اى لذنوب المسيئين
رحيما اى مكرما بعد الستر بما لا تسعه العقول وقدرته على الانعام كقدرته على الانتقام سيقول اى بوعد
لا خلف فيه المخلفون اى الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم اى سرتم ايها المؤمنون الى مغانم لتأخذوها
اى مغانم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من المغانم
شيئا وعدهم الله تعالى فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة
حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا ذرونا اى على اى حالة شئتم من الاحوال الدنيئة
نتبعكم اى الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وفي هذا بيان كذب المخلفين عن الحديبية حيث
قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لهم هناك طمع في الغنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث
كان لهم طمع في الغنيمة يريدون اى بذهابهم معكم ان يبدلوا كلام الله اى يريدون
ان يغيروا مواعيد الملك الاعظم لاهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة وهذا قول جمهور المفسرين
وقال مقاتل يعني امر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم احد

الخير وقال ابن زيد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تقاعد القوم اطلعه الله تعالى على ظنهم وظهر له نفاقهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا استأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وقرأ حمزة والكسائي بكسر
اللام بعد الكاف ولا الف بعد اللام والباقون بفتح اللام والف بعدها قُلْ يا اشرف الخلق
لهؤلاء المعتدين اذا بلغك كلامهم ثقة بنفسك فان غيرك لا يقوم مقامك في هذا
الامر المحقق لا محالة لَنْ تَتَّبِعُونَا اي وان اجتهدتم في ذلك وساقه مساقة النفي وان كان
المراد به النهي مع كونه آكد ليكون علما من اعلام النبوة وهو ازجر وادل على سوء اتهم كَذَٰلِكُمْ
اي مثل هذا القول البديع الشأن العالي الرتبة قَالَ اللَّهُ اي الذي لا يكون الا ما يريد وليس هو كالملوك
الذين لا قدرة لهم على الغفران لمن شاء او العقاب لمن شاء مِنْ قَبْلُ اي من قبل رجوعنا اليكم
ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب ولما كانوا منافقين لا يعتقدون
شيئا من هذه الاقوال بل يظنون انها حيل على التوصل الى المرادات الدنيوية سبب عن قوله لهم ذلك
قوله تعالى تنبيها على جلافتهم وفساد ظنهم فَسَيَقُولُونَ ليس الامر كما ذكرتم ما ادعى انه قول الله
تعالى بَلْ انما قلتم ذلك لانكم تَحْسُدُونَنَا فلا تريدون ان يصل الينا من مال الغنائم شيء وقرأ هشام
وحمزة والكسائي بادغام اللام في التاء والباقون بالاظهار بَلْ كَانُوا اي جبلة وطبعا لَا يَفْقَهُونَ
اي لا يفهمون فهم الحاذق الماهر إِلَّا قَلِيلًا اي في امر دنياهم ومن ذلك اقرارهم باللسان كلاما ظاهرا واما
امور الآخرة فلا يفهمون منها شيئا قُلْ اي يا اشرف الرسل لِلْمُخَلَّفِينَ زيادة في ذمهم بنسبتهم
الى الجلافة بقوله تعالى مِنَ الْأَعْرَابِ اي اهل غلظ الاكباد سَتُدْعَوْنَ بوعد لا خلف فيه إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي
اي اصحاب بَأْسٍ شَدِيدٍ اي شدة في الحرب وشجاعة قال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب الروم
وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين
وقال الزهري ومقاتل وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج
كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابو هريرة لم يأت
تأويل هذه الآية بعد قال ابن الخازن واقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن
وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعفه قول من قال انهم بنو حنيفة
اصحاب مسيلمة الكذاب قوله تعالى تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فيه اشارة الى وقوع احد الامرين
اما المقاتلة منكم واما الاسلام منهم فان لم يسلموا كان القتال لا غير وان اسلموا
لم يكن قتال لان الغرض ليس الا اعلاء كلمة الله تعالى فَإِنْ تُطِيعُوا اي توقعوا الطاعة الداعي
الى ذلك يُؤْتِكُمُ اللَّهُ اي الذي له الاحاطة أَجْرًا حَسَنًا دنيا وهو الغنيمة واخرى وهو الجنة
وَإِنْ تَتَوَلَّوْا اي تعرضوا عن الجهاد كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ اي عام الحديبية يُعَذِّبْكُمْ اي
يجازيكم بعقوبة تزيل العذوبة في الدنيا او في الآخرة او فيهما عَذَابًا أَلِيمًا لاجل تكرر
ذلك منكم فلما نزلت هذه الآية قال اهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل

ليس على الاعمى اى فى تخلفه عن الدعاء الى الخروج مع النبى صلى الله عليه وسلم او مع غيره من
ائمة الهدى حرج اى ميل ينقل الاثم لانه لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه
الاحتراز منه ولا الهرب ولا على الاعرج وان كان نقصه ادنى من نقص الاعمى حرج وفى معنى الاعرج
الزمن المقعد والاقطع ولا على المريض اى باى مرض كان يمنعه حرج وفى معناه صاحب
السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار مانعة
من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار اخر دون ما ذكر كمريض المريض الذى ليس له من
يقوم مقامه عليه تنبيه جعل تعالى كل جملة مستقلة تاكيدا لهذا الحكم وقدم الاعمى
على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به فى حرس ولا غيره بخلاف الاعرج وقدم الاعرج
على المريض لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب ومن يطع الله اى الملك المحيط
بجميع صفات الكمال المفيض من آثاره فانه على من يشاء ولو كان ضعيفا المانع منها من يشاء
وان كان قويا ورسوله اى من المعذورين وغيرهم فيما ندبا اليه باى طاعة كانت يدخله اى الله الملك
الاعظم جزاء له جنات تجرى من تحتها الانهار اى من اى موضع اردت اجريت نهرا ومن يتول
اى يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق يعذبه اى على توليه فى الدارين او احدهما عذابا اليما ع نصف
اى مؤلما وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما والباقون بالياء التحتية ولما بين تعالى حال
المخلفين بعد قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عاد الى حال بيان المبايعين بقوله
تعالى لقد رضى الله اى الذى له الجلال والكمال عن المؤمنين اى الراسخين فى الايمان اى فعل بهم
فعل الراضى بما جعل لهم من الفتح وما قدر لهم من الثواب وافهم ذلك انه لم يرض عن الكافرين فخذلهم فى الدنيا
مع ما اعد لهم فى الآخرة فالآية تقرير لما ذكر من جزاء الفريقين بامور مشاهدة وقوله تعالى اذ اى حين
يبايعونك منصوب برضى واللام فى قوله تعالى تحت الشجرة للعهد الذهنى وكانت شجرة فى الموضع
الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم نازلا به فى الحديبية ولاجل هذا الرضا سميت بيعة الرضوان
وقصتها ان النبى عليه الصلوة والسلام حين نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعى رسولا الى
اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش واحدهم احبوش وهو الفوج من قبائل شتى فلما رجع دعا عمر
ليبعثه فقال انى اخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى اياهم وما بمكة عدوى يمنعنى ولكنى ادلك
على رجل هو اعز بها منى واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت
معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما افعل قبل ان يطوف به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبس عندهم فارجف انهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وروى البغوى من
طريق الثعلبى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة وقال
سعيد بن المسيب حدثنى ابى انه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت

للشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروى ان عمر مر بذلك المكان بعد ان
ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم
قال سيروا قد ذهبت الشجرة وروى جابر بن عبد الله قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية انتم خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة ولو كنت اليوم ابصر لاريتكم مكان الشجرة
وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال
عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدي غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره
وبايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل
الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة
مائة وقال عبد الله بن ابي اوفى كنا اصحاب الشجرة الفا وثلاثمائة ولما دل على اخلاصهم بايمانهم سبب
عنه قوله تعالى فَعَلِمَ اى بما له من الاحاطة مَا فِي قُلُوبِهِمْ اى من الصدق والوفاء فيما بايعوا عليه
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ اى الطمانينة والامن بسبب الصلح عَلَيْهِمْ او بالتشجيع وسكون النفس في كل حالة
ترضي الله ورسوله فلم يخافوا عاقبة القتال لما بذلوا انفسهم وان كانوا في كثرة الكفار كالشعرة البيضاء
في جنب الثور الاسود وَأَثَابَهُمْ اى اعطاهم جزاء لهم على ما وهبوه من الطاعة فَتْحًا قَرِيبًا هو فتح
خيبر عقب انصرافهم وعن الحسن فتح هجر ونبه تعالى الى الحديبية مقدمة الى الرجوع في قوله تعالى وَمَغَانِمَ على انها
عظيمة ثم صرح بذلك بقوله تعالى كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وهي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال
فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وَكَانَ اللَّهُ اى الذى له الكمال كله عَزِيزًا يغلب ولا يغلب
حَكِيمًا اى يتقن ما يريد فلا ينقض فحكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على ايديكم ليثيبكم عليه
وَعَدَكُمُ اللَّهُ اى الملك الاعظم مَغَانِمَ ووصف معناها بقوله تعالى كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا اى فيما يأتي من
البلدان شيئا لا يدخل تحت حصر وليس المغانم كل الثواب بل الجنة والنظر الى وجهه الكريم قدامهم وانما هي
كعاجلة عجل بها ولهذا قال تعالى فَعَجَّلَ لَكُمْ اى من الغنائم هَذِهِ اى مغانم خيبر وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من اسد وغطفان ان
يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله تعالى ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم
فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح وقوله تعالى وَلِتَكُونَ اى هذه المعجلة عطف
على مقدر اى لتشكروه ولتكون آيَةً اى علامة في غاية الوضوح لِلْمُؤْمِنِينَ اى انهم
من الله تعالى بمكان او صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه
من الحديبية او وعدهم المغانم او عنوانا لفتح مكة وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا اى طريقا مُسْتَقِيمًا
اى يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في سنة
سبع الى خيبر روى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا بنا قوما لم يكن

يغزو بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فانتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله محمد والخميس الجيش فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وروى اياس بن سلمة قال حدثني ابي قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم فقال

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا

وانزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر فقال غفر لك ربك وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

اذا الحروب اقبلت تلهب

قال فبرز له عامر بن عثمان فقال

قد علمت خيبر اني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر ورجع سيف عامر على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم ارسلني الى علي وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاتيت عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرئ واعطاه الراية وخرج مرحب فقال

انا الذي سمتني امي مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

فقال علي كرم الله تعالى وجهه

انا الذي سمتني امي حيدره * كليث غابات كريه المنظره

اكيلكم بالسيف كيل السندره

قال فضرب راس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه ومعنى اكيلكم بالسيف كيل السندره اي اقتلكم قتلا واسعا ذريعا والسندرة مكيال واسع قيل يحتمل ان يكون اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي والسندرة ايضا العجلة والنون زائدة قال ابن الاثير وذكرها الجوهري في هذا الباب ولم ينبه على زيادتها وروى هذا الحديث من طرق اخر في بعضها

زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض وقوله تعالى وأخرى صفة مغانم مقدّرة أسند او قيل هي
مبتدأ والخبر لم تقدروا عليها وهي كما قال ابن عباس فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس
والروم بل كانوا خولاً لهم حتى قدروا عليها بالاسلام وقال الضحاك هي خيبر وعدها الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة وقال عكرمة حنين وقال البقاعي
هي والله اعلم مغانم هوازن التي لم يحصل قبلها ما يقاربها قد أحاط الله أي المحيط بكل شيء قدرة
وعلماً بها أي علم أنها ستكون لكم وكان الله أي المحيط بجميع صفات الكمال أزلاً وأبداً على كل شيء
منها ومن غيرها قديراً أي بالغ القدرة لأنه بكل شيء عليم ولو قاتلكم الذين كفروا وهم أهل مكة
ومن وافقهم وكانوا قد اجتمعوا وجمعوا الأحابيش ومن أطاعهم وتقدموا إلى بلدح طالبين لهم
إلى كراع الغميم ولم يكن أسلم بعد لولّوا أي بغاية جهدهم الأدبار منهزمين ثم أي بعد طول
الزمان وكثرة الأعوان لا يجدون أي في وقت من الأوقات وليّاً أي من يفعل معهم فعل القريب من
الشفقة ولا نصيراً ينصرهم ولما كانت هذه عادة جارية قديمة مستمرة لأولياء الله تعالى حيثما كانوا من
الرسل وأتباعهم وإن جندنا لهم الغالبون قال تعالى سنة الله أي سنّ المحيط بكل شيء علماً غلبة
أنبيائه وأتباعهم التي قد خلت من قبل أي فيمن مضى من الأمم كما قال تعالى لأغلبنّ أنا ورسلي
ولن تجد أيها السامع لسنة الله أي الذي لا يخلف قوله لأنه محيط بجميع صفات الكمال تبديلاً
أي تغييراً من مغيّر ما يغيّرها بما يكون بدلها لأنه عظيم على ما تقرّر هو الذي سنّ هذه السنة العامة
قوله تعالى وهو الذي كفّ أي وحده أيديهم أي الذين كفروا من أهل مكة وغيرهم فإن الكف
مشروع لكل أحد عنكم وأيديكم أيها المؤمنون عنهم ببطن مكة أي بالحديبية وقيل التنعيم
وقيل وادي مكة وقيل داخل مكة من بعد أن أظفركم أي أظهركم عليهم وهذا تبيين لما
تقدّم من قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولّوا الأدبار بأن تقديره كما كفّ أيديهم عنكم
بالفرار وأيديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم روى ثابت عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلاً من
أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرّة النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سلماً فاستحياهم فنزلت هذه الآية وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان
تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شاباً
عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله أبصارهم فقمنا
إليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أماناً فقالوا اللهم
لا فخلّى سبيلهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس أظفرهم الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى
أدخلوهم البيوت وقيل إن ذلك كان يوم فتح مكة وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة
لا صلحاً وكان الله أي المحيط بالجلال والإكرام أزلاً وأبداً وقرأ بما يعملون أبو عمرو بالياء

التحتية اي الكفار ورد بالتاء الفوقية اي انتم بصيرا اي محيط العلم ببواطن ذلك كما هو
محيط بظواهره ولما كان ما مضى من وصف الكفار يشمل كفار مكة وغيرهم لسبب كلام النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين عن البيت الحرام بقوله تعالى هُمْ اي اهل مكة ومن لافهم الَّذِينَ كَفَرُوا اي وجدوا
في هذا الوصف ببواطنهم وظواهرهم وَصَدُّوكُمْ زيادة على كفرهم في عمرة الحديبية عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
اي منعوكم الوصول الى مكة ونفس المسجد والكعبة للاحلال مما انتم فيه من شعائر الاحرام بالعمرة
روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم كل منهما يصدق حديث
صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة في بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة
البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما
اتى ذا الحليفة قلد الهدى واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش فسار
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه عتبة الخزاعي فقال ان قريشا
قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت الحرام فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل على ذراري هؤلاء الذين اعانوهم فنصيبهم فان قعدوا
قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله او ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر
يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا نريد قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال
امضوا على اسم الله فنفروا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة
فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فالحت
فقالوا خلات اي حرنت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات القصواء وما ذاك لها بخلق
ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها
حرمات الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية
على ثمد قليل من الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكا الناس الى النبي
صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير
وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر فغرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى
صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه
وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي
وعامر بن لؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك
عن البيت الحرام فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان
قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان
شاؤوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم

على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله امره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا
فقال انا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم
لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا
فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال او لست
بالولد قالوا بلى فقال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم
باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها
ودعوني آتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت احدا من العرب
اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله اني ارى وجوها واوشابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له
ابو بكر الصديق امصص بظر اللات والعزى انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابو بكر فقال اما والذي
نفسي بيده لولا يد كانت عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما
تكلم اخذ بلحيته والمغيرة قائم على راس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما
اهوى عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة راسه قال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال
اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فيهدم ما قبله واما المال فلست منه في شيء ثم ان عروة جعل
يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت
في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على
وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة
الى اصحابه فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي
والله ان اي ما رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان اي ما تنخم
نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا
يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض
عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما اشرف
على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا فلان من قوم يعظمون
البدن فابعثوها له فبعثوها له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي
لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رأيت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى
ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان من سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما رأى

الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد اكل أوتاره من طول الحبس عن محله
رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش اني قد رأيت
ما لا يحل صد الهدى في قلائده قد اكل أوتاره من طول الحبس عن محله فقالوا له اجلس فانما انت
رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على
هذا عاقدناكم ان تصدوا عن بيت الله من جاءه معظما والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين
ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به
فقام رجل يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله
عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو
وقال عكرمة لما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال قد سهل لكم من امركم قال الزهري في حديثه فجاء سهيل
بن عمرو فقال هات نكتب بيننا وبينك كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فقال اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فلا ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما
كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي
اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا
نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله صلى الله
عليه وسلم لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه
محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عشر سنين يأمن الناس فيها ويكف
بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال
سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى ان لا يأتيك
منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء
مسلما وروى ابن اسحق عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن
انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله فقال والله لا امحوك
ابدا فقال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبد الله قال البراء صالح على ثلاثة
اشياء على ان من اتى من المشركين يرده اليهم ومن اتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها
من قابل ويقيم بها ثلاثة ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وتروى في صحيح
الحديبية طرق اخرى في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض وقوله تعالى والهدي
معطوف على كم من صدوكم اى وصدوا الهدى وهو البدن التي ساقها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين وقوله تعالى معكوفا اى محبوسا حال وقوله تعالى

أن يبلغ محله أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال ولولا رجال أي مقيمون
بين اظهر الكفار بمكة مؤمنون أي عريقون في الايمان فكانوا لذلك اهلا للوصف بالرجولية
ونساء مؤمنات أي كذلك حبس الكل عن الهجرة العذر لا أن الكفار لكثرتهم استضعفوهم فمنعوهم
الهجرة على أن ذلك شامل لمن جبله الله تعالى على الخير وعلم منه الايمان وان كان في ذلك الوقت كافرا
لم تعلموهم أي لم يحط علمكم بهم من جميع الوجوه لتميزوهم باعيانهم عن المشركين لانهم
ليس لهم قوة التمييز منهم وانتم لا تعرفون اماكنهم لتعاملوهم بما هم له اهل ولا سيما في حال
الحرب والطعن والضرب ثم ابدل من الرجال والنساء قوله تعالى أن تطؤوهم أي تؤذوهم
بالقتل وما يقاربه من الجراح والضرب والنهب ونحو ذلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد
وطأتك على مضر فتصيبكم أي فيتسبب عن هذا الوطء ان تصيبكم منهم أي من جهتهم
وبسببهم معرة أي مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار
بذلك والاثم بالتقصير في البحث مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه وقوله تعالى بغير علم متعلق بأن
تطؤوهم أي غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى ولولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين
بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم فان قيل أي معرة
تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون اجيب بانه يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين
انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير وقوله تعالى ليدخل الله
أي الذي له جميع صفات الكمال متعلق بمقدر أي كان انتفاء التسليط على اهل مكة وانتفاء العذاب ليدخل الله
قال البغوي اللام في ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعني ليدخل الله في رحمته أي اكرامه
وانعامه من يشاء بعد الصلح قبل ان يدخلوها من المشركين بان يعطفهم الى الاسلام ومن المؤمنين
بان يستنقذهم منهم على رفق وصبر وقوله تعالى لو تزيلوا يجوز ان يعود على المؤمنين فقط او على
الكافرين او على الفريقين والمعنى لو تميز هؤلاء لعذبنا أي بايديكم بتسليطنا لكم عليهم بالقتل والسبي
الذين كفروا أي وقعوا ستر الايمان منهم أي اهل مكة عذابا أليما أي شديدا لا يجاء قال قتادة
في الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكافرين كما دفع بالمستضعفين المؤمنين عن مشركي
مكة ولما بين شرط استحقاقهم للعذاب بين وقته وفيه بيان العلة فقال تعالى اذ أي حين
جعل الذين كفروا أي ستروا ما تراءى من الحق في مرائي عقولهم وقوله تعالى في قلوبهم
أي في قلوب انفسهم يجوز ان يتعلق بجعل على انها بمعنى القى فتتعدى لواحد أي اذ القى
الكافرون في قلوبهم الحمية وان يتعلق بمحذوف على انه مفعول ثان قدم على انها بمعنى صير
الحمية أي الغضب الشديد والاباء الذي هو في شدة حره ونفوذه في اشد الاجسام كالسم والنار
وانشدوا * الا انني منهم وعرضي عرضهم * كذا الراس يحمي انفه ان يهشما
وقرأ ابو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر

الهاء وضم الميم واظهر الذال عند الجيم نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وادغمها الباقون
وقوله تعالى حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ بدل من الحمية قبلها ووزنها فعيلة وهي مصدر يقال حميت من كذا
حمية وحمية الجاهلية هي التي مدارها مطلق المنع سواء كان بحق ام باطل فتمنع من الاذعان للحق ومبناها
على التشفي على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب تخطي حدود الشرع ولذلك انفوا من دخول المسلمين مكة
المشرفة لزيارة البيت العتيق الذي الناس فيه سواء فقال اهل مكة قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون
علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه حمية
الجاهلية التي دخلت قلوبهم فَأَنْزَلَ اللَّهُ اي الذي لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء بسبب حميتهم
سَكِينَتَهُ اي شيء اللائق اضافته اليه سبحانه من الفهم عن الله والروح الموجب لسكون
القلب المؤثر للاقدام على الصدق والصبر عليه انزالا كافيا عَلَى رَسُولِهِ الذي عظمته من عظمته ففهم
عن الله مراده في هذه القضية فجرى على اتم ما يرضيه وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ اي الراسخين في الايمان لانهم اتباع
رسوله وانصار دينه فالزمهم قبول امره وحماهم من همزات الشياطين ولم يدخلهم ما دخل الكفار من
الحمية فيقاتلوا غضبا لانفسهم فيتعدوا حدود الشرع وَأَلْزَمَهُمْ اي المؤمنين الزام اكرام وتشريف لا الزام اهانة
وتعنيف كَلِمَةَ التَّقْوَى فانها السبب الاقوى وهي كل قول او فعل ناشئ عن التقوى واعلاه كلمة
الاخلاص المتقدمة في القتال وهي لا اله الا الله التي هي احق الحق ولا بد من قول محمد رسول الله والا
لم يتم اسلامه وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى
واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وقيل هي بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله وَكَانُوا اي جبلة
وطبعا أَحَقَّ بِهَا اي كلمة التقوى من الكفار وَأَهْلَهَا اي وكانوا اهلها في علم الله تعالى لان الله تعالى
اختارلدينه وصحبة نبيه اهل الخير وَكَانَ اللَّهُ اي المحيط علما وقدرة بِكُلِّ شَيْءٍ من ذلك وغيره عَلِيمًا　ع ٣
اي محيط العلم وروي انه صلى الله عليه وسلم رأى في المنام في المدينة عام الحديبية قبل خروجه انه يدخل
مكة هو واصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم
الكفار بالحديبية رجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين فانزل الله قوله تعالى لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ
اي الذي لا كفؤ له المحيط بجميع صفات الكمال رَسُولَهُ الذي هو عين الخلائق عنده وهو غني عن الاخبار
عما لا يكون انه يكون فكيف اذا كان المخبر رسوله الرُّؤْيَا التي هي من الوحي اي صدقه في رؤياه
ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل نقيصة علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل
كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه وروي عن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا
الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال
بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا
النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته على كراع الغميم فلما اجتمع عليه الناس قرأ انا
فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح　٢٧

المراد بالفتح صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل فقال جل ذكره لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اخبار الرؤيا التي اراه اياها في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد الحرام صدق وحق وقوله تعالى بالحق فيه اربعة اوجه احدها انه يتعلق بصدق ثانيها ان يكون صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ثالثها ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الرؤيا اي ملتبسة بالحق رابعها انه قسم وجوابه لتدخلن اي بعد هذا حين لا تختار امره المسجد اي الذي يطاف فيه بالكعبة ولا يكون دخوله الا بدخول الحرم الحرام اي الذي اجاره من امتهان الجبابرة ومنعه من كل ظالم قال الزمخشري على تقديره قسما اما ان يكون قسما بالله تعالى فان الحق من اسمائه تعالى واما ان يكون قسما بالحق الذي هو نقيض الباطل فان قيل ما وجه دخول ان شاء الله اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال اجيب باوجه احدها انه تعالى ذكره تعليما لعباده الادب لان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بآداب الله ومقتدين بسنته لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثانيها ان يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد ثالثها ان ذلك كان على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله رابعها انها حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقال ابو عبيدة ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله كقوله تعالى ان كنتم تعلمون خامسها انها للتبرك وقيل هي متعلقة بآمنين فالاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقوله صلى الله عليه وسلم عند دخول المقبرة وانا ان شاء الله بكم لاحقون فالاستثناء راجع الى اللحوق لا الى الموت وقوله تعالى آمنين حال من فاعل لتدخلن وكذا محلقين رؤوسكم اي كلها ومقصرين اي بعضها اي منقسمين بحسب التحليق والتقصير الى قسمين لا تخشون الا الله تعالى وفيه اشارة الى انهم يتمون الحج من اوله الى آخره فقوله لتدخلن فيه اشارة الى الاول وقوله محلقين ومقصرين اشارة الى الاخر فان قيل محلقين حال الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محلقا اجيب بان قوله آمنين معناه متمكنين من ان تتموا الحج محلقين ومقصرين واشار بصيغة التفعيل الى الكثرة فيها عبارات التقديم يفهم ان الاول اكثر وقوله تعالى لا تخافون اي لا يتجدد لكم خوف بعد ذلك يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا ثانية اما من فاعل لتدخلن او من ضمير آمنين او محلقين او مقصرين فان كانت حالا من آمنين او حالا من فاعل لتدخلن فهي حال للتوكيد وآمنين حال مقارنة وما بعدها حال مقدرة الا قوله لا تخافون اذا جعل حالا فانها مقدرة ايضا فان قيل فقوله تعالى لا تخافون معناه غير خائفين وذلك يحصل بقوله تعالى آمنين اجيب بان فيه كمال الامن لان بعد الحلق يخرج الانسان عن الاحرام فلا يحرم عليه القتال وكان عند اهل مكة يحرم قتال من احرم ومن دخل الحرم فقال تدخلون آمنين وتحلقون ويبقى امنكم بعد خروجكم عن الاحرام فعلم اي الله في الصلح من المصلحة ما لم تعلموا من المصالح فان الصلاح

كان في الصلح وان دخولكم في سنتكم سبب لوطء المؤمنين والمؤمنات وهو قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية فان قيل الفاء في قوله تعالى فعلم فاء التعقيب فقوله تعالى فعلم وجعل عقب ماذا أجيب بأنه ان كان المراد من فعلم وقت الدخول فهو عقب صدق وان كان المراد فعلم المصلحة فالمراد علم الوقوع والشهادة لا علم الغيب والتقدير لما حصلت المصلحة في العام القابل فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة فجعل اي بسبب احاطة علمه من دون ذلك اي ادنى رتبة من ذلك اي الدخول العظيم في هذا العام فتحا قريبا يتقوون به من فتح خيبر ووضع الحرب بين العرب بهذا الصلح واختلاط بعضهم ببعض لسبب ذلك بحيث اوجب للاسلام ناس كثيرة تتقوون بهم فتكون تلك الكثرة والقوة بسبب هيبة الكفار المانعة لهم من القتال فقتل القتلى ترفقا باهل حرم الله آكرام لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله اي الذي لا رسول احق منه باضافته اليه بالهدى اي الكامل الذي يقتضي ان يهتدي به اكثر الناس تأكيد لبيان صدق الله تعالى الرؤيا لانه لما كان مرسلا لرسوله ليهديه لا يريه ما لا يكون فيحدث الناس فيظهر خلافه فيكون ذلك سببا للضلال فان قيل الرؤيا الواقع قد تقع لغير المرسل أجيب بان ذلك قليل لا يتم لكل احد. تنبيه الهدى يحتمل ان يكون هو القرآن كقوله تعالى انزل فيه القرآن هدى للناس وعلى هذا قوله تعالى ودين الحق هو ما فيه من الاصول والفروع ويحتمل ان يكون الهدى هو المعجزة اي ارسله بالمعجزة فيكون قوله تعالى ودين الحق اشارة الى ما شرع والالف واللام في الهدى يحتمل ان تكون للعهد وهو قوله تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وان تكون للتعريف اي كل ما هو هدى. تنبيه دين الحق يحتمل ان يكون المراد دين الله لان الحق من اسماء الله تعالى ويحتمل ان يكون الحق نقيض الباطل فكانه قال ودين الامر الحق ليظهره اي دينه على الدين كله اي جميع باقي الاديان وكفى بالله اي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال شهيدا أي على انك مرسل بما ذكر كما قال تعالى محمد رسول الله اي الملك الذي لا كفؤ له فهو الرسول الذي لا رسول يساويه فانه رسول الى جميع الخلق من ادرك زمانه بالفعل في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل في الآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه وقد أخذ على الانبياء كلهم الميثاق بان يؤمنوا به ان ادركوه واخذ ذلك الانبياء على اممهم واشار بذكر هذا الاسم بخصوصه في سورة الفتح الى انه صلى الله عليه وسلم هو الخاتم لما اشارت اليه الميم التي مخرجها ختام المخارج واستنبط بعض العلماء من محمد ثلثمائة واربعة عشر رسولا فقال فيه ثلاث ميمات واذا بسطت كل منها قلت فيه م ي م وعددتها بحساب الجمل الكبير تسعون فيحصل منها مائتان وسبعون واذا بسطت الحاء والدال قلت دال بخمسة وثلاثين وحاء بتسعة فالجملة ما ذكر والاسم واحد فتم عدد الرسل كما قيل انهم ثلثمائة وخمسة عشر وقد تقدم الكلام على اولي العزم منهم في سورة الاحقاف. تنبيه يجوز ان يكون محمد خبر مبتدأ مضمر لانه لما تقدم هو الذي ارسل رسوله دل على ذلك المقدر اي هو اي الرسول بالهدى

محمد رسول الله بدل او بيان او نعت وان يكون محمد مبتدأ وخبره رسول الله وقيل غير ذلك ولما ذكر الرسول
ذكر المرسل اليهم فقال تعالى والذين معه اى بصحبة الصحبة من الصحابة ومن حسن التبعية من التابعين لهم
باحسان اشداء اى غلاظ على الكفار منهم لا تأخذهم بهم رأفة بل هم معهم كالاسد على فريسته
لان الله تعالى امرهم بالغلظة عليهم لا بحب ذلهم رحماء بينهم اى متوادون متعاطفون كالوالد مع
الولد كما قال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار
انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من تراحمهم فيما
بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد
وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس من دينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوانهم المؤمنين في الاسلام
متعطفين بالبر والصلة والمعونة وكف الاذى والاحتمال منهم تنبيه والذين معه مبتدأ وخبره اشداء
على الكفار ورحماء بينهم خبر ثان وقيل غير ذلك ثم بين تعالى الكامل امرهم على ذلك بقوله سبحانه تراهم
تراهم اى ايها الناظر اليهم ركعا سجدا اى دائمين الخشوع فاكثر اوقاتهم صلاة قد غلبت صفة
الملكية على صفاتهم الحيوانية فكانت الصلاة آمرة بالخير ناهية عن كل نقص ثم اشار
الى اخلاصهم بقوله تعالى يبتغون اى يطلبون بذلك وغيره من جميع احوالهم بغاية جهدهم
تغليبا لعقولهم على شهواتهم وحظوظهم فضلا اى زيادة من الخير من الله اى الذى له الاحاطة
بصفات الكمال من الجلال والجمال اذ لا عمل لهم مكافئة لا نعمة على الكفار بما رحمهم من جلاله
والرأفة على اوليائه ورضوانا اى رضا منه عظيما بما نالهم من رحمته التى هيأهم بالاحسان
الجبال له فلزموا الهدى من صدق رهبتهم وارادوا به وجهه سيدهم المحسن اليهم لا يبتغون سيا
غيره ولا محسن سواه ثم بين كثرة صلاتهم بقوله تعالى سيماهم اى علامتهم التى لا تفارقهم
فى وجوههم ثم بين تعالى العلامة بقوله من اثر السجود وهو نور وبياض فى وجوههم
يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه رواه عطية العوفى عن ابن عباس وعن
انس هو استنارة وجوههم من كثرة صلاتهم وقال شهر بن حوشب تكون مواضع السجود من وجوههم
كالقمر ليلة البدر وقال مجاهد هو السمت الحسن والخشوع والتواضع والمعنى ان السجود اورثهم
الخشوع والسمت الحسن الذى يعرفون به وقال الضحاك هو صفرة الوجه وقال الحسن اذا رأيتهم
مرضى وما هم بمرضى وقال عكرمة هو اثر التراب على الجباه قال ابو العالية لانهم يسجدون على
التراب لا على الثياب وقال عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لان من كثرت
صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار قال بعضهم يدخل فى هذه الاية كل من حافظ على الصلوات
الخمس قال البقاعى ولا يظن انه من السيما ما يصنعه بعض المرائين من اثر هيئة السجود فى جبهته فان
ذلك من سيما الخوارج وفى نهاية ابن الاثير فى تفسير الثفنات ومنه حديث ابى الدرداء انه رأى
رجلا بين عينيه مثل ثفنة البعير فقال لو لم يكن هذا كان خيرا يعنى كان على جبهته اثر السجود

وإنما كرهها خوفاً من الرياء عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لابغض الرجل واكرهه اذا رأيت
بين عينيه أثر السجود وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين اعيننا شيء وترى احدنا الآن يصلي فيرى
بين عينيه ركبة البعير فلا ندري أثقلت الرؤس أم خشنت الارض وإنما أراد بذلك من تعمد ذلك
للنفاق ثم اشار تعالى الى علو رتبة ذلك الوصف بقوله سبحانه ذلك اي هذا الوصف العالي جداً
البديع المثال البعيد المنال مثلهم اي صفتهم في التوراة وههنا تم الكلام فان مثلهم
مبتدأ وخبره في التوراة وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل اي الذي نسخ الله تعالى به بعض احكام
التوراة مبتدأ وخبره كزرع اي مثل زرع أخرج شطأه اي فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ
وهل يختص ذلك بالحنطة فقط او بها وبالشعير او لا يختص خلاف مشهور قال الشاعر

أخرج الشطأ على وجه الثرى ❊ ومن الاشجار افنان الثمر ❊

وقرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء والباقون باسكانها وهما لغتان كالنهر والنهر وادغم
ابو عمرو الجيم في الشين بخلاف عنه ثم تسبب عن هذا الاخراج قوله تعالى فآزره اي قواه واعانه
وقرأ ابن ذكوان بقصر الهمزة بعد الفاء والباقون بالمد فاستغلظ اي فطلب المذكور من الزرع
والشطء الغلظ واوجده فتسبب عن ذلك اعتداله فاستوى اي قوي واستقام وقوله تعالى
على سوقه متعلق باستوى ويجوز ان يكون حالاً اي كائناً على سوقه اي قائماً عليها هذا مثل ضربه الله
تعالى لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء اصحابه والمؤمنون وروى مبارك
بن فضالة عن الحسن قال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه ابو بكر الصديق اشداء على
الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعاً سجداً علي بن ابي طالب يبتغون فضلاً
من الله العشرة المبشرون بالجنة كمثل زرع محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطأه ابو بكر فآزره عمر
فاستغلظ عثمان يعني استغلظ عثمان بالاسلام فاستوى على سوقه علي بن ابي طالب رضي الله عنه
استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع قال المؤمنون ليغيظ بهم الكفار قول عمر لاهل مكة
بعد ما اسلم لا يعبد الله سراً بعد اليوم روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم امتي
ابو بكر واشدهم في امر الله عمر واصدقهم حياء عثمان وافرضهم زيد واقرؤهم أبي واعلمهم
بالحرام والحلال معاذ بن جبل وان لكل امة اميناً وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفي
رواية اخرى واقضاهم علي وروى بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات من اصحابي
بارض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة وقوله يعجب حال اي معجباً وهنا تم الكلام وقوله
تعالى ليغيظ بهم الكفار فيه اوجه احدها انه متعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع
في نمائهم وتقويتهم قال الزمخشري اي شبههم الله تعالى بذلك ليغيظ ثانيها انه متعلق بما دل

عليه قوله تعالى أشداء متعلق على الكفار الخ أي جعلهم بهذه الصفات ليغيظ ثالثها أنه متعلق بقوله
تعالى وعد الله أي الملك الأعظم الذين آمنوا الآية لأن الكفار إذا سمعوا بعزة المؤمنين في الدنيا
وما أعد الله لهم في الآخرة غاظهم ذلك وقوله تعالى وعملوا الصالحات فيه إشارة إلى تصديق
دعواهم ومن في قوله تعالى منهم للبيان لا للتبعيض لأنهم كلهم كذلك فهي كقوله تعالى فاجتنبوا
الرجس من الأوثان وملكات الإنسان وإن اجتهد مقصرة عما يحب الله تعالى من العبادة أشار إلى ذلك
بقوله تعالى مغفرة أي لما يقع منهم من الذنوب والهفوات وأجرا عظيما بعد ذلك الستر ع
وهو الجنة وهما أيضا لمن بعدهم ممن يأتي فائدة وقد جمعت هذه الآية الخاتمة لهذه السورة جميع
حروف المعجم وفي ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية باجتماع أمرهم وعلو
نصرهم رضي الله عنهم وحشرنا معهم بحرمة نبينا وحبيبنا وجميع المسلمين بمنه وكرمه قال وهذا
آخر القسم الأول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما في الحقيقة للنبي صلى الله
عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثاني المفصل بسورتين
هما نصرة له صلى الله عليه وسلم بالحال على من قصده بالضرر باطنا اهـ وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتح مكة حديث موضوع وقال ابن عادل روي أن من قرأ في أول ليلة من رمضان إنا فتحنا لك
فتحا مبينا في التطوع حفظ في ذلك العام ولم أره لغيره اهـ

سورة الحجرات مدنية

وهي ثمان عشرة آية وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا
بسم الله الجبار المتكبر الذي أعز رسوله صلى الله عليه وسلم الرحمن الذي من عموم رحمته
الآداب للتوصل إلى حسن المآب الرحيم الذي خص أولي الألباب بالإقبال على ما يوجب لهم دار الثواب
ولما ذكر سبحانه في القتال بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وصرح في ابتدائها باسمه
الشريف وسمى السورة به وملأ سورة الفتح بتعظيمه وختمها باسمه ومدح أتباعه لأجله افتتح
هذه السورة باشتراط الأدب معه في القول والفعل فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أي أقروا
بالإيمان لا تقدموا من قدم بمعنى تقدم أي لا تتقدموا وحذف المفعول ليعم كل ما يصح تقديمه
فيذهب الوهم كل مذهب ويجوز أن يكون حذفه من غير قصد إليه أصلا بل يكون النهي
موجها إلى نفس التقدمة أي لا تتلبسوا بهذا الفعل بين يدي الله أي الملك الأعظم الذي
لا يطاق انتقامه ورسوله أي الذي عظمته ظاهرة جدا لا خفاء فيه لأن عظمته من عظمته ولذلك
قرن اسمه باسمه واختلف في سبب نزول ذلك فقال الشعبي عن جابر إنه في الذبح يوم الأضحى قبل
الصلاة أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن أناسا ذبحوا قبله صلى الله
عليه وسلم فأمرهم أن يعيدوا الذبح وقال من ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم عجله لأهله ليس من

النسك في شيء وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها انه في النهي عن صوم يوم الشك اي
لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم وعن ابن الزبير انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابو بكر أمّر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمّر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت
الا خلافي فقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك هذه الآية قال
ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه وعن
ابن ابي مليكة نزل يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم في هذا السبب وقال الضحاك يعني في القتال
وشرائع الدين اي لا تقطعوا امرا دون الله ورسوله قال الرازي والاصح انه ارشاد عام يشمل
الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضروري
من غير مشاورة تنبيه معنى بين يدي الله ورسوله اي بحضرتهما لان ما يحضره الانسان
فهو بين يديه ناظر اليه وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان يجلس بين الجهتين المسامتتين
ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى
الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة هنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي
يسميه اهل البيان تمثيلا وقيل المراد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تعظيما له واشعارا
بانه من الله تعالى بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين سخط الملك الاعظم وقاية
في التقوى مانعة من ان تقدموا احدا وتخالفوا امره اي تقدموا على شيء لم تعلموا انه يرضيه ان الله اي الذي
له الاحاطة بصفات الكمال سميع لاقوالكم عليم بافعالكم ونزل في قوم كانوا يرفعون اصواتهم عند النبي عليه الصلاة
والسلام يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم اي في شيء من الاشياء عند النطق اذا نطقتم
فوق صوت النبي اذا نطق تنبيه في اعادة النداء اوجه احدها ان في ذلك بيان زيادة الشفقة
على المسترشد كقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني انها ان تك يا بني اقم الصلاة لان النداء
تنبيه للمنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه فاعادته تفيد تجدد ذلك ثانيها ان لا يتوهم
ان المخاطب ثانيا غير المخاطب اولا فان من الجائز ان يقول القائل يا زيد افعل كذا وكذا يا عمرو فاذا اعاده مرة اخرى
وقال يا زيد قل كذا وقل كذا يعلم ان المخاطب اولا هو المخاطب ثانيا ثالثها ان يعلم ان كل واحد من
الكلامين مقصود وليس الثاني تاكيدا للاول كما تقول يا زيد لا تنطق ولا تتكلم الا بالحق فانه لا يحسن ان يقول
يا زيد لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين ولا تجهروا له بالقول اي اذا كلمتموه
سواء كان عند ذلك سكوت ام لا اي اخفضوا من صوتكم فان ذلك غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر
الكبراء كجهر بعضكم لبعض اي ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض
من ذلك فانكم ان لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيره فان قيل
ما الفائدة في ولا تجهروا له بعد لا ترفعوا اجيب بان المنهي عنه من رفع الصوت هو ان لا يجعل كلامه
او صوته اعلى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصوته والمنهي عنه من الجهر منع المساواة

اى لا تجهروا له بالقول كما تجهرون لنظرائكم بل اجعلوا كلمته عليا ثم حذرهم بقوله تعالى ان اى كراهة
ان تحبط اى تفسد فتسقط اعمالكم التى هى الاعمال بالحقيقة وهى الحسنات وانتم
لا تشعرون اى بانها حبطت فان ذلك اذا اجترأ الانسان عليه استخف به واذا استخف
واظب عليه واذا واظب عليها وشك ان يستخف بالمخاطب فيكفر وهو لا يشعر روى عن انس بن مالك
قال لما انزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم الآية جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال
انا من اهل النار واحتبس عن النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن
معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان ثابت أشتكى فقال سعد انه لجارى وما علمت له شكوى قال فاتاه
سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت نزلت هذه الآية ولقد علمتم انى من اعلاكم
صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبى صلى الله عليه وسلم فقال
بل هو من اهل الجنة وروى لما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق يبكى فمر به عاصم بن عدى
فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية اتخوف ان تكون نزلت فى وانا رفيع الصوت اخاف ان يحبط
عملى وان اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فاتى
امرأته جميلة بنت عبد الله بن ابى ابن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسى فشدى على الضبة بمسمار
فضربت عليه بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفانى الله او يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى
عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب فادعه لى فجاء عاصم الى المكان
الذى رآه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده فى بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
يا ثابت فقال انا صيت واتخوف ان تكون هذه الآية نزلت فى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع
صوتى ابدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ان الذين يغضون اى يخفضون لما وقر
عليهم من الهيبة والسكينة وهيبة حضرته قال الطبرى واصل الغض الكف فى لين اصواتهم
تخشعا وتخضعا ورعاية للادب وتوقيرا عند رسول الله اى الذى من شأنه ان يعلو كلامه
على كل كلام لانه مبلغ عن الملك الاعظم وعبر بعند الذى للظاهر اشارة الى ان اهل حضرة
الخصوصية لا يقع منهم الا الاكمل للادب اولئك اى العالو الرتبة الذين امتحن الله اى
الملك المحيط بجميع صفات الكمال وفعل المختبر قلوبهم للتقوى اى اختبرها واخلصوا
ليظهر منهم من امتثال التهذيب لآدابه وتبين الصافى من خبثه فان الامتحان اختبار بليغ يؤدى
الى خبر فالمعنى انه طهر قلوبهم ونقاها كما يمتحن الصائغ الذهب والفضة بالاذابة والتنقية
والتخليص من كل غش لاجل ظهور ما بطن فيها من التقوى لعبيده وليعلمها للخلائق فى عالم الشهادة
كما كان علمه بها فى عالم الغيب لهم مغفرة اى لهفواتهم وزلاتهم واجر عظيم لغضهم وسائر

لما عاينوا والتنكير للتعظيم قال أنس فكنا أي بعد نزول هذه الآية في حق ثابت ننظر إلى رجل من
أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان في يوم حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار
فانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة ما كنا نقاتل أعداء
الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع
فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم أن فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب
بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طوله وقد وضع على درعي برمة فائت أبا بكر خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له إن علي دينا حتى يقضيه عني وفلان من رقيقي عتيق فأخبر الرجل
خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر
وصيته قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه واختلف في سبب نزول
قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ فقال ابن عباس رضي الله عنهما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم سرية إلى بنى النضير وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا هربوا وتركوا عيالهم
فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري
فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في أهله فلما رأتهم الذراري أجهشوا إلى
آبائهم يبكون وكانت لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا أن يخرج إليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومه فخرج إليهم فقالوا يا محمد
فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال إن الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم
فقالوا نعم فقال سبرة أنا لا أحكم بينهم وعمي شاهد وهو الأعور بن بشامة فرضوا به فقال الأعور أرى
أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق
نصفهم فأنزل الله تعالى إن الذين ينادونك من وراء الحجرات جمع حجرة وهي ما تحجره من الأرض بحائط
ونحوه كان كل واحد منهم نادى خلف حجرة لأنهم لم يعلموا في أيها هو مناداة الأعراب بغلظة وجفاء
أَكْثَرُهُمْ أي المنادي والراضي دون الساكت لعذره لَا يَعْقِلُونَ أي جهلك الرفيع وما يناسبه
من التعظيم فلم يصبروا بل فعلوا معه صلى الله عليه وسلم كما يفعل بعضهم ببعض وَلَوْ أَنَّهُمْ أي المنادي
والراضي صَبَرُوا أي حبسوا أنفسهم ومنعوها عن مناداتهم والصبر حبس النفس عن أن
تنازع إلى هواها وهو حبس فيه شدة وصبر حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ من تلقاء نفسك عند فراغ
ما أنت فيه مما يهمك من واردات الحق ومصالح الخلق لَكَانَ أي الصبر خَيْرًا لَهُمْ لما
من استعجالهم إيقاظك في الهاجرة وبما لو قرعوا الباب بالأظافر كما كان يفعل غيرهم من
الصحابة قال أبو عثمان الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى والخير في الأولى
والعقبى اهـ فإنهم لو تأدبوا لرآهم لزادهم صلى الله عليه وسلم في الفضل فأعتق جميع سبيهم

واطلقهم بلا فداء {والله} اى المحيط بجميع صفات الكمال {غفور} اى ستور لذنب من تاب منهم
{رحيم} اى يعاملهم معاملة الراحم فيسبغ عليهم نعمه وقال قتادة نزلت فى ناس من اعراب
تميم جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين
فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذى مدحه زين وذمه
شين فقالوا نحن ناس من بنى تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر
فضله وفضل قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب
النبى صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فاجابه وقام شاعر فذكر ابياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحسان بن ثابت اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا المولى تكلم خطيبنا فكان خطيبهم
احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك
ما كان من قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف فى ركابهم عمرو
بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم فازرى به بعضهم
وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبى الايات الاربع الى قوله تعالى غفور رحيم وقال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن
اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش فى جناحه فجاؤا فجعلوا ينادون من وراء الحجرات يا محمد فانزل الله
تعالى ان الذين ينادونك الآية وقيل المراد باكثرهم كلهم لان العرب تذكر الاكثر وتريد الكل احترازا
عن الكذب واحتياطا فى الكلام لان الكل مما لا يحيط به علم الانسان فى بعض الاشياء فيقول الاكثر
وفى اعتقاده الكل ثم ان الله تعالى مع احاطة علمه بالامور اتى بما يناسب كلامهم وفيه اشارة الى لطيفة
وهى ان الله تعالى يقول مع احاطة علمه بكل شئ جريت على عادتكم استحسانا لتلك العادة وهى الاحتراز
عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختيار مثل ذلك فى كلامكم دليلا قاطعا على رضاى بذلك منكم

تنبيه جعل الزمخشرى انهم من ولو انهم فاعلا بفعل مقدر اى ولو ثبت صبرهم وجعل اسم كان
ضميرا عائدا على هذا الفاعل ولكن مذهب سيبويه انها فى محل رفع بالابتداء وحينئذ يكون اسم كان ضميرا
عائدا على صبرهم المفهوم وجرى على الاول البيضاوى وعلى الثانى الجلال المحلى واختلف فى
سبب نزول قوله تعالى {يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم} اى فى وقت من الاوقات {فاسق} اى خارج
من ربقة الديانة {بنبإ} اى خبر يعظم خطبه فيستبين شرا {فتبينوا} صدقه من كذبه فقال اكثر
المفسرين نزلت فى الوليد بن عقبة بن ابى معيط وهو اخو عثمان لامه وذلك ان النبى صلى الله
عليه وسلم بعثه الى بنى المصطلق بعد الوقعة واليا ومصدقا اى يأخذ منهم الصدقة وكان بينه

وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه
الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنهم منعوا
صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمّ أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا
من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا
وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد
خفية في عسكره وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم
زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم
أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير وانصرف إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا
أي بأذى قوماً أي هم من قوتهم النافعة لأهل الإسلام برآء مما نسب إليهم بجهالة أي مع الجهل بحال
استحقاقهم لذلك فتصبحوا أي فتصيروا ولكنه عبر بذلك لأن أشنع الندم ما استقبل الإنسان
صباحاً وقت انتباهه وفراغه وإقباله على لذاته على ما فعلتم أي من إصابتهم نادمين
أي عريقين في الأسف على ما فات مما يرتقم الله تعالى في نفوسكم من أمر تجنب القلوب وقال
الرازي هذا ضعيف لأن الله تعالى لم يقل إني أنزلتها لكذا والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل عنه أنه قال وردت
الآية لبيان ذلك فحسب غاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل التاريخ لنزول الآية ونحن نصدق ذلك
ويؤيده أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لأنه توهم وظن فأخطأ والمخطئ لا يسمى فاسقاً وكيف والفاسق
في أكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الإيمان كقوله تعالى إن الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله
تعالى ففسق عن أمر ربه وقوله تعالى وأما الذين فسقوا فمأواهم النار الآية إلى غير ذلك اهـ وقال ابن عادل
في تفسيره وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق ويدل على ضعف من يقول
الآية على رجل بعينه ونحو وقوله تعالى أن تصيبوا مفعول له كقوله تعالى أن تحبط قال الرازي
على مذهب الكوفيين لئلا تصيبوا وعلى مذهب البصريين كراهة أن تصيبوا وقرأ حمزة والكسائي
بعد التاء المثناة ثاء مثلثة وبعد الباء الموحدة تاء مثناة فوق من التثبت أي فتوقفوا إلى أن
يتبين لكم الحال والباقون بعد التاء المثناة باء موحدة وبعدها ياء تحتية وبعدها نون من
البيان واعلموا أي أيتها الأمة أن فيكم أي على وجه الاختصاص بكم وبالله من شرف
رسول الله أي الملك الأعظم المتصف بالجلال والإكرام فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بالحال
لو يطيعكم وهو لا يعيب عنتكم ولا شيئاً يشق عليكم في كثير من الأمر أي الذي تريدونه
فعله من أن يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم وتستحسنونه فيكون فعل المطيع لغيره
المطاوع لغيره التابع له فينقلب حينئذ الحال ويصير المتبوع تابعاً والمطاع طائعاً لعنتم أي

لاثمتم دونه ولهلكتم لان من اراد ان يكون امر الرسول صلى الله عليه وسلم تابعا لامره فقد زين له الشيطان
الكفران وقوله تعالى ولكن الله اى الملك الاعظم الذى يفعل ما يريد حبب اليكم الايمان وزينه
اى حسنه فى قلوبكم فآمنتم بالله وطاعته وعشقتم ما تبعته استدراك من جهة المعنى لا من جهة اللفظ
لبيان عذرهم وهو انه من فرط حبهم للايمان وكراهتهم للكفر كما قال تعالى وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا
لفعلهم وتعريضا بذم من فعل قال الرازى هذه الامور الثلاثة فى مقابلة الايمان الكامل المزين وهو
التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فقوله تعالى وكره اليكم الكفر وهو التكذيب وهو فى
مقابلة التصديق بالجنان واما الفسوق فقيل هو الكذب كما قاله ابن عباس قال تعالى ان جاءكم فاسق
بنبا فسمى الكاذب فاسقا وقال البيضاوى الكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان
الامتناع عن الانقياد وقال بعضهم الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان هو الصغيرة اولئك
اى الذين اعلى الله تعالى مقاديرهم هم الراشدون اى الكاملون فى الرشد الثابتون على الاستقامة على دينهم
وفى تفسير الاصفهانى الرشد هو الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه وقوله تعالى فضلا
مصدر منصوب بفعله المقدر اى فضل وقيل بتعليل اكره او حبب وما بينهما اعتراض فهو امتنان
عظيم ومرتبة عالية من الله اى الملك الاعظم الذى بيده كل شئ ونعمة اى وعيشا حسنا تاما وكل
والله اى المحيط بصفات الكمال عليم اى محيط العلم يعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل
حكيم اى بالغ الحكمة فهو يضع الاشياء فى اوقاتها واتقنها فكذلك وضع نعمته من الرسالة
والايمان على حسب علمه وحكمته ونزل فى قضية وان طائفتان من المؤمنين الآية ان النبى صلى الله
عليه وسلم ركب حمارا ومر على ابن ابى فبال الحمار فسد ابن ابى انفه فقال ابن رواحة لبول
حماره اطيب ريحا من مسكك فكان بين قومهما ضرب بالايدى والنعال والسعف
وعن انس قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابى فانطلق اليه النبى صلى الله عليه
وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهى ارض سبخة فلما اتاه النبى صلى الله
عليه وسلم فقال اليك عنى فوالله لقد اذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار منهم والله
لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من
قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدى والنعال
فبلغنا انها نزلت فيهم ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وعن قتادة نزلت فى رجلين من الانصار كان بينهما مدارأة
فى حق فقال احدهما للآخر لآخذن حقى منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه
الى النبى صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم
بعضا بالايدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وعن سفيان عن السدى قال كانت امرأة

من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها الى علية وحبسها
فبلغ ذلك قومها فجاؤوا وجاء قومه واقتتلوا بالايدي والنعال فنزلت وجمع تعالى قوله سبحانه
اقتتلوا نظرا للمعنى لان كل طائفة جماعة وثنى الضمير فى قوله تعالى فاصلحوا اى اوقعوا الاصلاح
ليحصل الصلح بينهما نظرا للفظ اى اصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى فان بغت
اى تعدت الارادات السيئة الكائنة من النفوس التى لا تأمر بخير احداهما اى الطائفتين
على الاخرى فلم ترجع الى حكم الله الذى خرجت عنه ولم تقبل الحق فقاتلوا اى اطلبوا وجدوا في قتال
التى تبغى اى توقع الارادة السيئة وتصر عليها وادموا القتال لها حتى تفيء اى ترجع عما صار
اليه من القطيعة الذى كان حر الشمس حتى نسخ الظل الى ما كانت فيه من البرد والخير الذى هو
كالظل الذى نسخته الشمس وهو معنى قوله تعالى الى امر الله اى التزام ما امر به الملك الذى
لا يهمل الظالم بل لا بد من ان يقاصصه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالياء والباقون
بتحقيقهما فان فاءت اى رجعت الى ما كانت عليه من التمسك بامر الله الذى هو العدل
فاصلحوا اى اوقعوا الاصلاح بينهما بالعدل اى بالانصاف ولا يحملنكم القتال على الحمل
على المقاتلين فتحيفوا واقسطوا اى وازيلوا القسط بالفتح وهو الجور بان تفعلوا القسط بالكسر
وهو العدل الذى لا جور فيه فى ذلك وفى جميع اموركم ثم علله ترغيبا فيه بقوله تعالى مؤكدا
تنبيها على انه من اعظم ما يتمادح به ورجاء لمن لعله يقول انه لا يلزم نفسه الا فوق
عنده الاضعف ان الله اى الذى بيده النصر والخذلان يحب المقسطين اى يفعل مع
اهل العدل من الاكرام فعل المحب انما المؤمنون اى كلهم وان تباعدت انسابهم وبلادهم
اخوة اى فى الدين لانتسابهم الى اصل واحد هو الايمان ولما كانت الاخوة داعية ولا بد الى الاصلاح
تسبب عنها قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم كما تصلحون بين اخويكم من النسب ووضع الظاهر
موضع الضمير مضافا الى المأمورين مبالغة فى التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من
يقع بينهم الشقاق وعن ابي عثمان الحيري ان اخوة الدين اثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب
تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب واتقوا الله اى الملك
الاعظم فى مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون اى لتكونوا اذا فعلتم ذلك على رجاء
عند انفسكم ان يكرمكم الذى لا قادر على الاكرام فى الحقيقة غيره بانواع الكرامات كما رحمتم
اخوانكم باكرامكم عن افساد ذات البين وعن الزهري عن سالم عن ابيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه فمن كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته
ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة تنبيه
فى هاتين الايتين دليل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم
باغين يدل عليه ما روى عن على بن ابي طالب سئل وهو القدوة فى قتال

اهل البغي من اهل الجمل وصفين امشركون هم فقال لا من الشرك فروا فقيل امنافقون هم فقال لا ان المنافقين
لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج عن
الامام العدل بتاويل محتمل وشوكة لهم ومطاع تحصل به قوة الشوكة وان لم يكن لهم امام
والحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام امينا فطنا ناصحا ينصحهم ما ينقمون فان ذكروا مظلمة
او شبهة ازالها وان اصروا نصحهم ثم اعلمهم بالقتال فان استمهلوا اجتهد وفعل ما رآه صوابا
والحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ويرد سلاحهم وخيلهم اليهم اذا انقضت
الحرب وامنت غائلتهم ولا يستعمل في قتالهم الا لضرورة ولا يقاتلون بعظيم كنار ومنجنيق الا لضرورة ولو
اقاموا حدا او اخذوا زكوة وجزية وخراجا وفرقوا سهم المرتزقة على جندهم صح ما فعلوه وما اتلفه باغ
على عادل وعكسه ان كان بسبب قتال فلا ضمان على واحد منهما والا فعلى المتلف الضمان قال ابن عادل كانت
في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت
الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من احد ولا اغرم مالا اتلفه ولو اظهر قوم رأي الخوارج
كترك الجماعات وتكفير ذي كبيرة ولم يقاتلوا فلا نتعرض لهم روي ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية
المسجد لا حكم الا لله تعالى فقال علي رضي الله عنه كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم
مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم مع ايدينا ولا نبدؤكم بقتال
فان قاتلوا فحكمهم حكم قطاع الطريق وتفريعات احكام البغاة مذكورة في الفقه وفي هذا القدر كفاية
واختلف في سبب نزول قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اي وقعوا الاقرار بالتصديق لَا يَسْخَرْ اي
لا يهزأ والسخرية هي ان لا ينظر الانسان الى اخيه بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته
قَوْمٌ اي ناس فيهم قوة المحاولة وهم الرجال وفي التعبير بذلك تنبيه على قيام الانسان على
نفسه وكفها عما تريده من النقائص منكرا لما اعطاه الله تعالى من القوة مِنْ قَوْمٍ اي من رجال
فان ذلك يوجب الشر لان اضعف الناس اذا استهزئ به قوي لما يثور عنده من حظ النفس قال
ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس كان في اذنه وقر اي ثقل فكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد سبقوه بالمجلس وسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة
من صلوة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فضن اي
بخل كل رجل منهم بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما فلما فرغ
ثابت من صلوته اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون
حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال الرجل
قد اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال
من هذا فقال له انا فلان فقال له ثابت ابن فلانة ذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل
رأسه فاستحيا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الضحاك نزلت في وفد تميم كانوا يستهزؤن

بفقراء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخبيب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى
ابي حذيفة لما راوا من رثاثة حالهم ومعنى الآية لا تحقروا اخوانكم ولا تستصغروهم ثم علل النهي بقوله
تعالى عسى اي لانه جدير وخليق بهم ان يكونوا اي المستهزأ بهم خيرا منهم فينقلب الامر
عليهم وتكون لهم سوء العاقبة قال ابن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت
ان احول كلبا وقال القشيري ما استصغر احد احدا الا سلط عليه ولا ينبغي ان يعتبر بظاهر احوال الناس فان
في الزوايا خبايا والحق سبحانه يستر اولياءه في حجاب الظنة وكذا في الخبر كم من اشعث اغبر ذي طمرين
لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ولا نساء من نساء ثم علل النهي بقوله تعالى عسى اي
ينبغي ان يخفن من ان يكن اي المسخور بهن خيرا منهن اي الساخرات روي انها نزلت في
نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس انها نزلت في صفية
بنت حيي ابن اخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين تنبيهان احدهما قال الرازي القوم
اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء ولا على الاطفال لانه جمع قائم والقائم بالامور هم الرجال
وعلى هذا افراد الرجال والنساء فائدة وهي ان عدم الالتفات والاستحقار انما يصدر في
اكثر الامر من الرجال بالنسبة الى الرجال لان المرأة في نفسها ضعيفة قال صلى الله عليه وسلم
النساء لحم على وضم فالمرأة لا يوجد منها استحقار الرجل لانها مضطرة اليه في رفع حوائجها واما
الرجال بالنسبة الى الرجال والنساء بالنسبة الى النساء فانه يوجد فيهن ذلك (الثاني) في حكمة
قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم هي انهم اذا وجد منهم التكبر المفضي الى احباط العمل يجعل نفسه
خيرا منهم كما فعل ابليس حيث لم يلتفت الى آدم وقال انا خير منه فصار هو خيرا منه ويحتمل ان يكون
المراد بقوله تعالى يكونوا اي يصيروا فان من استحقر انسانا لفقره او ضعفه لا يأمن ان يفتقر هو ويستغني
الفقير ويقوى الضعيف ولا تلمزوا اي تعيبوا على وجه الخفية انفسكم بان يعيب بعضكم
بعضا باشارة او نحوها فكيف اذا كان على وجه الظهور فانكم في التواصل والتراحم كنفس
واحدة او يعمل الانسان ما يعاب به فيكون الانسان قد لمز نفسه او لمز غيره فيكون لمزه له سببا لان
يبحث عن عيوبه فيلمزه فيكون هو الذي لمز نفسه ولا تنابزوا بالالقاب اي لا يدع بعضكم بعضا
بلقب السوء فان النبز يختص بلقب السوء واختلف في هذا اللقب فقال عكرمة هو قول الرجل
للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد
اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقال عطاء هو ان يقول الرجل لاخيه يا حمار
يا خنزير وعن ابن عباس التنابز بالالقاب هو ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي ان
يعير بما سلف من عمله والحاصل انه يحرم تلقيب الشخص بما يكره وان كان فيه كالاعور
والاعمش ويجوز ذكره بنية التعريف لمن لا يعرفه الا به واما القاب المستحسنة فلا نهي فقد لقب
الصديق بعتيق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بن الوليد بسيف الله وما زالت الالقاب

الحسنة في الجاهلية والاسلام قال الزمخشري الا ما احدثه الناس في زماننا من التوسع حتى لقبوا
السفلة بالالقاب العلية وهب ان العذر مبسوط فما اقول فيمن ليس من الدين في قبيل
ولا دبير يلقب بفلان الدين لعمري والله انها الغصة التي لا تساغ ومعنى اللقب اسم زائد على الاسم يشعر
بضعة المسمى او رفعته والمقصود به الشهرة فما كان مكروها نهي عنه وليس منه ان يكنى
اهل الفضل من الرجال والنساء وان لم يكن له ولد واما التكني بابي القاسم فهو حرام
وقيل انما يحرم في زمانه صلى الله عليه وسلم فقط وقيل انما يحرم على من اسمه
محمد ولا يكنى كافر ولا فاسق ولا مبتدع لان الكنية للتكرمة وليسوا من اهلها
بل امرنا بالاغلاظ عليهم الا لخوف فتنة من ذكره باسمه او تعريفه كما قيل به في قوله تعالى تبت يدا
ابي لهب واسمه عبد العزى ولا بأس بكنية الصغير ويسن ان يكنى من له اولاد باكبر اولاده
ويسن لولد الشخص وتلميذه وغلامه ان لا يسميه باسمه والادب ان لا يكنى الشخص نفسه
في كتاب او غيره الا ان كان لا يعرف بغيرها او كانت اشهر من الاسم تنبيه ذكر في الآية ثلاثة
امور مرتبة بعضها دون بعض كما علم من تقريرها بئس الاسم اي المذكور من السخرية واللمز والتنابز
وقوله تعالى الفسوق اي الخروج من ربقة الدين بعد الايمان بدل من الاسم لافادة انه فسق
لتكرره عادة وروي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله
عليه وسلم ومن لم يتب اي يرجع عما نهى الله عنه فخفف على نفسه ما كان شدد عليها فاولئك
اي البعداء من الله تعالى هم الظالمون اي لغيرهم بوضعهم الاشياء في غير مواضعها وادغم ابو عمرو
والكسائي الباء في الفاء واختلف عن خلاد والباقون بالاظهار يا ايها الذين آمنوا اي اعترفوا بالايمان
وما تمكنوا في اول مراتبه اجتنبوا اي كلفوا انفسكم ان تتركوا وتبعدوا وتجعلوا في جانب بعيد عنكم
كثيرا من الظن اي في الناس وغيرهم واحتاطوا في كل ظن ولا تمادوا معه حتى تجزموا بسببه
تنبيه ابهام ذلك ان من الظن ما لا يجتنب كالظن في الاجتهاديات حيث لا قاطع فيها وظن الخير في الله تعالى
ففي الحديث انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا وقد يجب كما في قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيرا وقيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما طعامهما
وشرابهما فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه
فلم يهيئ لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل من طعام فليعطك وكان اسامة
خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما

فاخبرهما فقالا كان عند سامة ولكن بخل فبعثنا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم
شيئاً فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر
لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي ارى خضرة اللحم
فى افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم تأكلون لحم اسامة وسلمان فانزل الله
عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقوله تعالى ان بعض الظن اثم تعليل مستانف
للامر قال صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة
عليه وجعل الزمخشرى همزه بدلا من واو وقال لانه يثم الاعمال اى يكسرها قال ابن عادل وهذا غير مسلم
بل تلك مادة اخرى قال سفيان الثورى الظن ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم
وهو ان يظن ولا يتكلم به وقوله تعالى ولا تجسسوا حذف منه احدى التاءين اى لا تتبعوا عورات
المسلمين ومعائبهم بالبحث عنها قال صلى الله عليه وسلم لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال عليه الصلاة والسلام يا معشر من آمن بلسانه و
لم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله
عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك
واعظم حرمتك والمؤمن اعظم عند الله حرمة منك وقيل لابن مسعود هل لك فى الوليد بن عقبة تقطر
لحيته خمرا فقال انا نهينا عن التجسس ان يظهر لنا شيأ ناخذه به تنبيه قرأ ولا تنابزوا ولا تجسسوا
ولا تعارفوا البزى فى الوصل بتشديد التاء والباقون بغير تشديد ولما كانت الغيبة اعم من التجسس قال
ولا يغتب اى ولا يتعمد ان يذكر بعضكم بعضا اى فى غيبته بما يكره قال القشيرى وليس يحصل
الغيبة للخلق الا من الغيبة عن الحق وقال ابو حيان قال ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس
وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم
قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرأيت ان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد
اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انهم ذكروا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقالوا لا ياكل حتى يطعم ولا يرحل حتى يرحل فقال النبى
صلى الله عليه وسلم اغتبتموه فقالوا انما حدثنا بما فيه قال حسبك اذا ذكرت اخاك بما فيه
وفى هذا اشارة الى وجوب حفظ عرض المؤمن فان تمزيق عرض الانسان كتمزيق ادمه ولحمه
كما قال تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه وقرأ ميتا نافع بتشديد الياء والباقون
بالسكون ولما كان الجواب قطعا لا يحب احد ذلك اشار اليه بما سببه من قوله تعالى
فكرهتموه اى بسبب ما ذكر طبعا فاولى ان تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا لان داعى العقل
بصير عالم وداعى الطبع اعمى جاهل تنبيه فى هذا التشبيه اشارة الى ان عرض الانسان
كدمه ولحمه لان الانسان يتالم قلبه من قرض العرض كما يتالم جسمه من قطع اللحم وهذا

من باب القياس الظاهر لان عرض الانسان اشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم
الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك اشد الما وقوله تعالى لحم اخيه آكد
فى المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفى قوله تعالى ميتا اشارة الى دفع وهم وهو
ان الشتم فى الوجه يؤلم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع عليه فلا يؤلم فيقال لحم الاخ وهو ميت
ايضا لا يؤلم ومع هذا هو فى غاية القبح لما انه لو اطلع عليه لتألم فان الميت لو احس باكل
لحمه لآلمه وفيه معنى لطيف وهو ان الاغتياب اكل لحم الآدمى ميتا ولا يحل اكله الا للمضطر
بقدر الحاجة والمضطر اذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمى فلا يأكل لحم الآدمى فكذلك المغتاب
اذا وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم ان
يأكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اى كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج
تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك قال الرازى وفى
ضمير فكرهتموه وجوه اظهرها ان يعود الى الاكل وثانيها ان يعود الى اللحم اى فكرهتم اللحم وثالثها ان يعود
الى الميت فى قوله تعالى ميتا تقديره ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكانه
صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة فى التحذير يعنى الميتة ان اكلت فى الندرة لسبب
نادرا ولكن اذا انتن واروح وتغير لا يؤكل اصلا فكذلك ينبغى ان يكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة
ويوجب النفرة الى حد لا يشتهى الانسان ان يبيت فى بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث يأكله
ففيه اذا الكراهة الشديدة وكذلك حال الغيبة وعنه عليه الصلوة والسلام انه قال لما عرج بى مررت
بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين
يأكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم وقال ميمون بن سنان بينما انا نائم اذا انا بجيفة زنجى
وقائل يقول لى كل هذا قلت يا عبد الله ولم آكل هذا قال اذلك اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت
فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك سمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب عنده
وقوله تعالى واتقوا الله اى اجعلوا بينكم وبين الملك الاعظم وقاية بطاعته معطوف على ما تقدم
من الاوامر والنواهى واجتنبوا واتقوا الله ان الله اى الملك الاعظم تواب اى مكثر للتوبة
وهى الرجوع عن المعصية الى ما كان قبلها من معاملة التائب وان كثر الذنب فلا ييأس احد وان كثرت
ذنوبه وعظمت رحيم مريد على ذلك بان يكرمه غاية الاكرام وتنبيه ختم سبحانه وتعالى
الآيتين بذكر التوبة فقال فى الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظلمون وقال ههنا ان الله تواب
رحيم لكن لما كان الابتداء فى الآية الاولى بالنهى فى قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ذكر النفى
الذى هو قريب من النهى وفى الثانية كان الابتداء بالامر فى قوله تعالى اجتنبوا كثيرا فذكر
الاثبات الذى هو قريب من الامر وقوله تعالى يايها الناس اى كافة المؤمن وغيره انا اى على
ما لنا من العظمة خلقنكم اى اوجدناكم من العدم على ما انتم عليه من التفاوت

من ذكر وأنثى الآية مبين ومقرر لما تقدم لأن السخرية من الغير والعيب له إن كان ذلك بسبب
غير الدين والإيمان فلا يجوز لأن الناس بعمومهم كافرهم ومؤمنهم يشتركون فيما يفتخر به المفتخر لأن
التكبر والافتخار إن كان بسبب الغنى فالكافر قد يكون غنيا والمؤمن فقيرا وبالعكس وإن كان بسبب
النسب فالكافر قد يكون نسيبا والمؤمن مولى عبدا أسود وبالعكس فالناس فيما ليس من الدين والتقوى
متساوون متقاربون ولا يؤثر شيء من ذلك مع عدم التقوى كما قال تعالى إن أكرمكم عند الله
أتقاكم فقوله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى أي آدم وحواء فأنتم متساوون في
النسب فلا تفاخر لبعضكم على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة قال ابن عباس نزلت في ثابت
بن قيس وقوله للرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة
قال ثابت أنا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض
وأحمر وأسود قال فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى فنزلت هذه الآية ونزل في الذي لم يفسح
له يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الآية وقال قتادة لما كان فتح مكة أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذي قبض
أبي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا فقال
سهيل بن عمرو إن يرد الله شيئا يغيره وقال أبو سفيان إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به
رب العالمين فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا
فأقروا فأنزل الله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء
وتنبيه للحكمة في اختيار النسب مع أن غيره من جملة أسباب التفاخر ولم يذكر الأمور التي يفتخر بها
في الدنيا وإن كانت كثيرة لأن النسب أعلاها لأن المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار الغني المفتخر به
عليه والحسن والسن وغير ذلك لا يدوم والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك
فاختاره الله تعالى للذكر وأبطل اعتباره بالنسبة إلى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بطريق الأولى فإن قيل
إذا كان ورود هذه الآية لبيان عدم جواز الافتخار بغير التقوى فما فائدة قوله تعالى إنا خلقناكم أجيب
بأن فائدته أن كل شيء يترجح على غيره فإما أن يترجح بأمر فيه يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده وإما أن يترجح
عليه بأمر قبله فالذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الأوصاف المطلوبة من ذلك الشيء وأما الذي
قبله فإما راجع إلى أصله الذي وجد منه أو إلى الفاعل الذي أوجده فالأول كقولك
هذا من نحاس وهذا من فضة والثاني كقولك هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى
لا ترجيح بالنسبة إلى فاعلكم لأنكم كلكم خلق الله تعالى فإن كان بينكم تفاوت فهو
بأمر يحصل لكم بعد وجودكم وأشرفها التقوى ولما كان وقت وجودهم إلى أن يفرق كل منهم يعرف
به آباؤهم أشار بنون العظمة فقال تعالى وجعلناكم أي بما لنا من العظمة شعوبا جمع شعب بفتح
الشين وهو أعلى طبقات الأنساب [illegible] وقبائل أي تحت

الشعوب وذلك ان طبقات النسب التي عليها العرب سبعة الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ
والفصيلة والعشيرة وكل واحد يدخل فيما قبله فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون
تحت العمائر والافخاذ تحت البطون والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل خزيمة شعب وكنانة
قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وعبد مناف فخذ وهاشم فصيلة والعباس عشيرة قال البغوي وليس
بعد العشيرة حي يوصف اهـ وسمي الشعب شعبا لتشعب القبائل منه واجتماعهم به كتشعب اغصان
الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعبته اي جمعته ومنه شعب القدح وشعبته اي فرقته والقبائل
واحدها قبيلة سميت بذلك لتقابلها شبهت بقبائل الرأس وهي قطع متقابلة وقيل الشعوب
في العجم والقبائل في العرب والاسباط في بني اسرائيل وقيل الشعب النسب الابعد والقبيلة الاقرب
والنسبة الى الشعب شعوبية بفتح الشين وهم جيل يبغضون العرب والعمائر واحدتها عمارة
بفتح العين والبطون واحدتها بطن والفصائل واحدتها فصيلة والعشائر واحدتها عشيرة وقال
ابو روق الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين
ينتسبون الى آبائهم ثم ذكر تعالى علة الشعب بقوله تعالى لتعارفوا اي ليعرف الانسان
من يقاربه في النسب ليصل من رحمه ما يحق له لا لتفاخروا ان اكرمكم اي ايها المتفاخرون
عند الله اي الملك الذي لا امر لاحد سواه ولا كريم الا من اكرمه بكرمه ولا كمال لاحد سواه اتقاكم
اي الملك ارفعكم منزلة عند الله اتقاكم قال قتادة في هذه الآية اكرم الكرم التقوى
والأم اللؤم الفجور وقال عليه الصلاة والسلام الحسب المال والكرم التقوى وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى
وكرم الآخرة التقوى وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم
الاركان بمحجنه وهو مقنع الراس فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال ثم قام فخطبهم
فحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية يعني كبرها وتفاخرها الناس رجلان
تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول قولي
هذا واستغفر الله لي ولكم وعن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس
اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن
نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم
قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكي كسرها
ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن
ينظر الى قلوبكم قال الرازي في المراد بالآية وجهان الاول ان التقوى تفيد الاكرام الثاني ان
الاكرام يورث التقوى كما يقال المخلصون على خطر والاول اشهر والثاني اظهر فان قيل التقوى
من الاعمال والعلم اشرف لقوله صلى الله عليه وسلم لفقيه واحد اشد على الشيطان من
الف عابد اجيب بان التقوى ثمرة العلم لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فلا تقوى

إلا للعالم فالتقي العالم أثمر علمه والعالم الذي لا يتقي كشجرة لا ثمر لها لكن الشجرة المثمرة أشرف من التي
لا ثمر بل هي حطب قال الحسن البصري إنما الفقيه العامل بعلمه أي وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ومن قوله عز من قائل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
فإن قيل خطاب الناس بقوله تعالى أكرمكم يقتضي اشتراك الكل في الإكرام ولا كرامة للكافر فإنه
أضل من الأنعام أجيب بأن ذلك غير لازم مع أنه حاصل بدليل قوله تعالى ولقد كرمنا
بني آدم لأن كل من خلق فقد اعترف بربه ثم من استمر عليه وزاد زيد في كرامته ومن رجع عنه
أزيل عنه أثر الكرامة إن الله أي المحيط بكل شيء علما وقدرة عليم أي بالغ العلم بظواهركم
يعلم أنسابكم خبير أي محيط العلم ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم
ولما قال تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم والأتقى لا يكون إلا بعد حصول التقوى وأصلها الإيمان والاتقاء
من الشرك قالت الأعراب أي أهل البادية من بني أسد وغيرهم الذين هم معدن الغلظة والجفاء آمنا
أي بجميع ما جئت به فامتثلنا ما أمرنا به في هذه السورة فلنا النسب الخالص فنحن أشرف من غيرنا
من أهل المدر قل أي يا أشرف الخلق تكذيبا لهم مع مراعاة الأدب في عدم التصريح بالتكذيب لم تؤمنوا
أي لم تصدق قلوبكم لأنكم لو آمنتم لم تمنوا لأن الإيمان التصديق بجميع ما لله من الكمال الذي منه
أنه لولا منه بالهداية لم يحصل الإيمان فله ولرسوله الذي كان ذلك على يديه المن والفضل
ولكن قولوا أسلمنا أي أظهرنا الانقياد في الظاهر للأحكام الظاهرة وأمنا من أن تكون حربا للمؤمنين
وعونا للمشركين فأخبر الله تعالى أن حقيقة الإيمان هو التصديق بالقلب وأن الإقرار باللسان وإظهار
شرائعه بالأبدان لا يكون إيمانا دون التصديق بالقلب والإخلاص فالإسلام هو الدخول في السلم كما يقال أشتى
إذا دخل في الشتاء وأصاف إذا دخل في الصيف وأربع إذا دخل في الربيع فمن الإسلام ما هو طاعة على
الحقيقة باللسان والأبدان والجنان كقوله عز وجل لإبراهيم أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد
باللسان دون القلب وذلك قوله تعالى ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان أي المعرفة التامة لم تدخل
إلى هذا الوقت في قلوبكم فلا يعد إقرار اللسان إيمانا إلا بمطابقة القلب قال ابن حبان فمن الناس
وأكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين وعن سعد بن أبي وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم رهطا وأنا جالس فيهم فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم لم يعطه وهو أعجبهم
إلي فقمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت ما لك عن فلان والله إني لأراه مؤمنا
فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا وأجابه بمثل ذلك ثم قال إني لأعطي الرجل
وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه وقال الرازي المسلم والمؤمن واحد
عند أهل السنة فيقول الفرق بين العام والخاص فالإيمان لا يحصل إلا بالقلب والانقياد
قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالإسلام أعم لكن العام في صورة الخاص متحد مع
الخاص ولا يكون أمرا آخر غيره مثاله الحيوان في صورة الإنسان أمر لا ينفك عن الإنسان

فلا يجوز ان يكون ذلك الحيوان حيوانا ولا يكون انسانا فالعام والخاص مختلفان في العموم
متحدان في الوجود وكذلك المؤمن والمسلم وسيأتي زيادة على ذلك في الذاريات ان شاء
الله تعالى، وقال الرازي في الآية اشارة الى بيان حال المؤلفة اذا اسلموا ويكون ايمانهم ضعيفا
فيقال لهم لم تؤمنوا لان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبهم وسيدخل باطلاعهم على محاسن الاسلام
انتهى بل الايمان مدخل في قلوبهم ولكن لم يتأملوا باهل الاسلام تنبيه: التعبير بلما يفهم انهم
آمنوا بعد ذلك ويجوز ان يكون المراد بهذا النفي نفي التمكن في القلب لا نفي مطلق الدخول بدليل
انما المؤمنون دون انما الذين امنوا وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ اي الملك الذي من خالفه لم يأمن عقوبته
وَرَسُولَهُ اي الذي طاعته من طاعته على ما انتم عليه من الامر الظاهر فتؤمنوا من قلوبكم لَا يَلِتْكُمْ
اي ينقصكم مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا بل يعطيكم ما يليق به من الجزاء لان من حمل الى ملك فاكهة
طيبة قدر ثمنها في السوق درهم فاعطاه الملك درهما انتسب الملك الى البخل فهو يعطي ما تتوقعون
باعمالكم وزيادة من غير نقص فلا حاجة الى اخباركم عن ايمانكم بغير ما يدل عليه من الاقوال والافعال
وقرأ الدوري عن ابي عمرو بعد الياء التحتية همزة ساكنة وابدلها السوسي الفا والباقون بغير همز ولا الف
ولما كان الانسان مجبولا على النقص وان اجتهد غاية اجتهاده قال الله تعالى إِنَّ اللَّهَ اي الذي له صفات
الكمال غَفُورٌ اي ستور للهفوات والزلات لمن تاب وحسنت نيته ولغيره ان شاء فلا عتاب ولا عقاب
رَحِيمٌ اي يزيد على الستر عظيم الاكرام ثم بين تعالى حقيقة الايمان بقوله تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
اي العريقون في الايمان الذي هو حياة القلوب قال القشيري والقلوب لا تحيا الا بعد ذبح النفوس والنفوس
لا تموت ولكنها تغيب الَّذِينَ آمَنُوا اي صدقوا معترفين بِاللَّهِ معتقدين جميع ما له من صفات
الكمال وَرَسُولِهِ شاهدين برسالته وهذا الاثبات هنا يدل على ان النفي فيما قبل الكمال المطلق
ولا لقال تعالى انما الذين امنوا ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا اي لم يشكوا في دينهم وايقنوا بان الايمان ايقان
تنبيه: ثم للتراخي في الحكاية كانه يقول امنوا ثم اقول شيئا آخر لم يرتابوا ويحتمل ان تكون
للتراخي في الفعل اي امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما نقل النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر
والنشر وَجَاهَدُوا اي وصدقوا دعواهم بما ينبغي ان تجهد النفوس فيه لتصديق ما ادعوه
بالسنتهم من الايمان بِأَمْوَالِهِمْ وذلك هو البينة وقوله تعالى وَأَنْفُسِهِمْ اعم من الانية وغيرها
وذلك هو الشجاعة وقدم الاموال لقلتها عند العرب فِي سَبِيلِ اللَّهِ اي طريق الملك الاعظم
بقتال الكفار وغيره من سائر العبادات المحتاجة الى المال والنفس لا الذين يتخلفون ويقولون
شغلتنا اموالنا واهلونا قال القشيري جعل الله تعالى الايمان مشروطا بخصال ذكرها وذكرها بلفظ انما وهي
للتحقيق يقتضي الطرد والعكس فمن افرد الايمان عن شرائطه التي جعلها له فمردود عليه شق له
أُولَئِكَ اي العالو الرتبة هُمُ الصَّادِقُونَ اي في قولهم وفعلهم انهم مؤمنون ولما نزلت
الآيتان اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون

وعلم الله منهم غير ذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿قل﴾ اي لهؤلاء الاعراب مجهلا
لهم وموبخا ﴿أتعلمون الله﴾ اي اتخبرون اخبارا عظيما الملك الاعظم المحيط قدرة وعلما ﴿بدينكم﴾ اي
بقولكم آمنا ﴿والله﴾ اي والحال ان الملك المحيط بكل شيء ﴿يعلم ما في السموات﴾ كلها على عظمتها
وكثرة ما فيها ﴿وما في الارض﴾ كذلك ﴿والله﴾ اي الذي له الاحاطة الكاملة ﴿بكل شيء﴾ اي مما ذكر ومما
لم يذكر ﴿عليم﴾ اي لا تخفى عليه خافية وفيه تجهيل لهم وتوبيخ ﴿يمنون عليك﴾ اي يذكرون ذكر من اصطنع
صنيعة واسدى اليك نعمة ﴿أن أسلموا﴾ اي من غير قتال بخلاف غيرهم ممن اسلم بعد قتال منهم ولما كان
المن هو القطع من العطاء الذي لا يراد عليه جزاء قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿قل﴾ اي في جواب
قولهم هذا ﴿لا تمنوا علي اسلامكم﴾ لو فرض انكم كنتم متدينين بدين الاسلام الذي هو الانقياد
الظاهر مع اذعان الباطن اي لا تذكروا الامتنان اصلا لان الاسلام لا يطلب جزاؤه الا من الله تعالى
فلا ينبغي عده صنيعة على احد وان ذلك يفسده ﴿بل الله﴾ اي الملك الاعظم الذي له المنة على كل
موجود ولا منة عليه بوجه ﴿يمن عليكم﴾ اي يذكر انه اسدى اليكم نعمة ﴿أن﴾ اي بان ﴿هداكم للايمان﴾
اي فهو المان عليكم لا انتم علي فان قيل كيف من عليهم بالهداية الى الايمان مع انه تبين انهم
لم يؤمنوا اجيب بوجهين احدهما انه تعالى لم يقل بل الله يمن عليكم ان رزقكم الايمان بل
قال ان هداكم للايمان ثانيهما انه تعالى من عليهم بما زعموا فكانه تعالى قال انتم قلتم آمنا فذلك
نعمة في حقكم حيث تخلصتم من النار فقال تعالى هداكم في زعمكم ولهذا قال تعالى ﴿إن كنتم صادقين﴾
اي في قولكم آمنا فانه على تقدير الصدق انما هو بتوفيق الله تعالى وهو الذي خلق لكم قدرة الطاعة
فهو الفاعل في الحقيقة فله المنة عليكم قال القشيري من لاحظ شيئا من احواله فان رآها من نفسه
كان مشركا وان رآها لنفسه كان مكرا فكيف يمن العبد بما هو شرك او مكر والذي يجب عليه قبول
المنة كيف يرى لنفسه على غيره منة هذا الهوى فضيحة والمنة تكدر الصنيعة اذا كانت من المخلوقين
وبالمنة تطيب النعمة اذا كانت من قبل الله تعالى ﴿إن الله﴾ اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿يعلم غيب السموات﴾
اي ما غاب فيها كلها ﴿والارض﴾ كذلك ولما اريد التعميم من غير تقييد بالخافقين اظهر ولم يضمر قوله
تعالى ﴿والله﴾ اي الذي له الاحاطة بذلك وبغيره مما لا تعلمون ﴿بصير﴾ اي عالم اتم العلم ﴿بما تعملون﴾ اي من ظاهر اسلامكم في الماضي
والحاضر والآتي سواء اكان ظاهرا ام باطنا سواء اكان قد تحقق وصار بحيث تعلمونه انتم او كان مغروزا في جبلاتكم وهو خفي
عنكم وقرأ ابن كثير بالياء التحتية على الغيبة نظرا لقوله تعالى يمنون وما بعده والباقون بالفوقية على الخطاب
نظرا الى قوله تعالى لا تمنوا على اسلامكم الى آخره وفي هذه الآية اشارة الى انه يبصر اعمال جوارحكم
الظاهرة والباطنة لا يخفى عليه شيء وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه حديث موضوع

سورة ق مكية

الا قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض الآية فمدنية وهي خمس واربعون آية

وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة واربعة وتسعون حرفا

بسم الله اي الذي احاط علمه بجميع خلقه العاكف منهم والبادي الرحمن اي الذي عم خلقه برحمته حيث ارسل اليهم بشرائعه اصدق العباد الرحيم اي الذي خص بالفوز في دار القرار اهل الرشاد واختلف في تفسير قوله عز من قائل ق فقال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل اسم من اسماء القرآن وقال القرطبي هو مفتاح اسمه قدير وقادر وقاهر وقريب وقابض وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء ومنه خضرة السماء والسماء مقببة عليه وعليه كنفاها ويقال هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة وقيل متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفاها قال الرازي وهذا القول ضعيف لوجوه احدها ان اكثر القراء يقف عليها ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج لان من قال ذلك قال ان الله تعالى اقسم به ثانيها انه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين جارية ويكتب اليد الله كاشف عبد الله وفي جميع المصاحف تكتب حرف ق ثالثها ان الظاهر كون الامر فيه كالامر في ص ون وحم وهي حروف لا كلمات فكذلك في ق فان قيل هو منقول عن ابن عباس نقول المنقول عنه ان القاف اسم جبل واما ان المراد هنا ذلك فلا اه وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كائن كما قالوا في حم وفي ص صدق الله قال الرازي وقد ذكرنا ان الحروف تنبيهات قدمت على القرآن ليكون السامع بسببها يقبل على استماع ما يرد على الاسماع فلا يفوته شيء من الكلام الرائق والمعنى الفائق وذكرنا ايضا ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحية ظاهرة ووجد في الجارحية ما عقل معناه ووجد فيها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما ووجد في القلبية ما عقل بالدليل وعلم كالتوحيد وامكان الحشر وصفات الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما لم يعقل ولا يمكن التصديق به لولا السمع كالصراط الممدود الاحد من السيف الارق من الشعر والميزان الذي توزن به الاعمال فكذلك ينبغي ان تكون الاذكار التي هي العبادة اللسانية فيها ما يعقل معناه كجميع القرآن الا قليلا منه وفيها ما لا يعقل ولا يفهم كحروف التهجي ليكون التلفظ به لمحض الانقياد للامر لا لما يكون في الكلام من طيب الحكاية والقصد الى غرض كقولك ربنا اغفر لنا وارحمنا بل يكون النطق به تعبدا محضا ويؤيد هذا وجه آخر وهو ان هذه الحروف مقسم بها لان الله تعالى لما اقسم بالتين والزيتون كان تشريفا لهما فاذا اقسم بالحروف التي هي اصل الكلام الشريف الذي هو دليل المعرفة وآلة التعريف كان اولى واذا عرفت هذا فنقول القسم من الله تعالى وقع بامر واحد كما في قوله تعالى والعصر وقوله تعالى والنجم وبحرف واحد كما في قوله تعالى ص ون ووقع بامرين كما في قوله تعالى والضحى والليل وفي قوله تعالى والسماء والطارق وبحرفين كما قال في قوله تعالى

طه وطس وحم ووقع بثلاثة امور كما في قوله تعالى والصافات فالزاجرات فالتاليات وفي قوله
تعالى والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود وفي ثلاثة احرف كما في قوله تعالى
الم وطسم والر ووقع باربعة امور كما في قوله تعالى والذاريات فالحاملات فالجاريات
فالمقسمات وفي قوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين وباربعة احرف
كما في قوله تعالى المص والمر ووقع بخمسة امور كما في قوله تعالى والطور وكتاب مسطور والبيت المعمور والسقف
المرفوع والبحر المسجور وفي قوله تعالى والمرسلات فالعاصفات والناشرات فالفارقات فالملقيات وفي النازعات
وفي الفجر وبخمسة احرف كما في قوله تعالى كهيعص وحم عسق ولم يقسم باكثر من خمسة
اشياء الا في سورة واحدة وهي والشمس وضحاها لما اقسم بالاشياء المعهودة ذكر حرف القسم وهي
الواو فقال والطور والنجم والشمس ومع عند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل وق وحم لان
القسم لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما به فلم يورده في موضع كونه آلة القسم تسوية بين
الحرف وغيره ولم يدخل القسم بالحروف في اثناء السورة لانه يخل بالنظم وقوله تعالى والقرآن
اي الكتاب الجامع الفارق المجيد اي الذي له العلو والشرف والكرم والعظمة على كل كلام قسم
وفي جوابه اوجه احدها قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم ثانيها ما يبدل القول لدي ثالثها
ما يلفظ من قول رابعها ان في ذلك لذكرى خامسها بل عجبوا وهو قول الكوفيين قالوا لان معناه لقد عجبوا
سادسها انه محذوف فقدره الزجاج والمبرد والاخفش لتبعثن وغيرهم لقد جاءكم منذر وقدره
الجلال المحلي بقوله ما آمن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم + تنبيه + جوابات القسم سبعة
ان المشددة كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر وما النافية كقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى
ما ودعك ربك واللام المفتوحة كقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وان الخفيفة كقوله تعالى
تالله ان كنا لفي ضلال مبين ولا النافية كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وقد كقوله تعالى والشمس وضحاها قد افلح من زكاها وبل كقوله تعالى والقرآن المجيد بل اي ان
تكذيبهم ليس لانكار شيء من مجدك ولا انكار صدقك بل لانهم عجبوا اي الكفار واضمرهم قبل
الذكر اشارة الى انه اذا ذكر شيء خارج عن سنن الاستقامة انصرف اليهم والتعجب تغير النفس مما خرج
عن العادة ان جاءهم منذر منهم اي رسول من انفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث واقتصر على
الانذار لان المقام للتخويف من قدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم او وصف عليه بالسلام
او غيره لتخويفه من انكر البعث والتعجب منهم ذو العجب لان العادة عندهم وعند جميع الناس
انه اذا كان المنذر منهم لم يتهم في انذاره شك بوجه من الوجوه وهو لا يخالف عادة الناس
في تعجبهم من كون المنذر واحدا منهم مختصا بالرسالة دونهم ولم يدركوا وجه الخصوصية لكونه
مثلهم فلذلك انكروا رسالته وفضل كتابه بالسنتهم تعاندا او حسدا لانهم كانوا معترفين بتميزه بانفسه
التي رفعه الله تعالى بها عليهم في الرسالة فحطهم عجبهم ذلك الى الحضيض من دركات السفه

تعجبهم

ومعرفة الاحكام لانهم عجبوا ان كان الرسول بشرا وعجبوا ان يكون الاله واحدا وعجبوا ان يساوى
من تراب لم يكن له اصل في الحياة ولذلك تسبب عنه قوله تعالى فقال اى بسبب نذارته بالبعث
الكافرون وصرحوا في موضع الاضمار ايذانا بانهم لم يخف عليهم شيء من امره ولكنهم ستروا
تمردا بما اى بعقولهم الدالة على جميع امره دلالة ظاهرة وعبر بما دل على النذارة لانها المقصد
الاعظم من هذه السورة وجميع سياق الحجرات ظاهر فيها هذا اى كون المنذر منا مخصصا
بالرسالة من دوننا وكون ما انذر به هو البعث بعد الموت شيء عجيب اى بليغ في العجب وخروج
عن عادة اشكاله وقد كذبوا في ذلك اما من جهة المنذر فان اكثر الرسل من الطوائف الذين
ارسلوا اليهم وقليل منهم من كان غريبا ممن ارسل اليه واما من جهة البعث فان اكثر ما
يكون مثل ذلك من اعادة كل من الملوين بعد ذهابه واحياء الارض بعد موتها واخراج النبات
والاغصان والثمار وغير ذلك مما هو ظاهر جدا ولما كان التعجب منه مجملا اوضحه بقوله تعالى حكاية
عنهم مبالغين في الانكار بافتتاح انكارهم باستفهام انكارى ءاذا متنا ففارقت ارواحنا ابداننا
وكنا ترابا اى لا فرق بينه وبين تراب الارض ولما كان العامل في الظرف ما تقديره نرجع دل عليه
بقوله تعالى دالا بالاشارة باداة البعد الى عظيم استبعادهم ذلك اى الامر الذى في غاية البعد وهو
مضمون الخبر بموتنا رجع اى رد الى ما كنا عليه بعيد اى جدا لانه لا يمكن تمييز ترابنا من بقية التراب
وقرأ قالون وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية وهى المكسورة وادخال الف بينها وبين الهمزة الاولى المفتوحة
وقرأ ورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال وقرأ الباقون بتحقيقهما وادخل هشام بينهما الفا
بخلاف عنه والباقون بغير ادخال وكسر الميم من متنا نافع وحفص وحمزة والكسائى والباقون بالضم
وقوله تعالى قد علمنا اى بما لنا من العظمة ما تنقص الارض منهم اى تأكل من اجرامهم المتحللة
من ابدانهم بعد الموت وقيل رد لاستبعادهم لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض
من اجزاء الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا وعنه عليه الصلاة
والسلام كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدى ما تنقص الارض منهم من يموت منهم ومن يبقى
وهذه الآية تدل على جواز البعث وقدرته تعالى عليه لان الله تعالى عالم باجزاء كل واحد من الموتى
لا يشتبه عليه جزء واحد بجزء الآخر قادر على الجمع والتأليف فليس الرجع منه ببعيد وهذا كقوله تعالى وهو
الخلاق العليم حيث جعل للعلم مدخلا في الاعادة وهو جواب لما كانوا يقولون ائذا ضللنا في الارض
اى انه تعالى كما يعلم اجزاءهم يعلم اعمالهم فيحييهم ويجزيهم بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون
وعندنا اى على ما لنا من الغنى عن كل شيء كتاب اى جامع لكل شيء حفيظ اى بالغ في الحفظ لا يشذ
عنه شيء من الاشياء جل ودق وقيل محفوظ من الشياطين ومن ان يدرس او يتغير وعلى الحالين
الحفيظ هو اللوح المحفوظ قال الرازى والاول هو الاصح لان الحفيظ بمعنى الحافظ وارد في القرآن
قال الله تعالى وما انت عليهم بحفيظ وقال تعالى حفيظ عليهم ولان الكتاب للتمثيل

ومعناه العلم عندي كما يكون في الكتاب فهو يحفظ الاشياء وهو مستغن عن ان يحفظ وقوله تعالى
بل كذبوا بالحق اي الامر الثابت الذي لا اثبت منه اضراب ثان قال الزمخشري اضراب اتبع للاضراب
الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق لما اي حين جاءهم اي
لما ثار عندهم من اجل تعجبهم من ارسال رسولهم من حظوظ النفوس حسدا منهم من غير تأمل لما قالوه ولا
تدبر ولا نظر فيه ولا تذكر فلذلك قالوا ما لا يعقل من ان من قدر على ايجاد شيء من العدم فلابد انه لا يقدر
على اعادته بعد اعدامه له فهم اي لاجل مبادرتهم الى هذا القول السفساف في امر مريج اي مضطرب
جدا المختلط من المرج الذي هو اختلاط النبت بالانواع المختلفة فهم تارة يقولون سحر وتارة كهانة وتارة
شعر وتارة كذب وتارة غير ذلك لا يثبتون على شيء واحد والاضطراب موجب للاختلاف وذلك
ادل دليل على الابطال كما ان الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك ادل دليل على الحقية قال الحسن ما ترك
قوم الحق الا مرج امرهم وكذا قال قتادة وزاد والتبس عليهم دينهم ثم ذكر تعالى الدليل الذي
يدفع قولهم ذلك رجع بعيد بقوله تعالى افلم ينظروا اي بعين البصر والبصيرة الى السماء
اي المحيطة بهم فوقهم فان غيرها انما هو فوق ناس منهم لا فوق الكل كيف بنيناها اي اوجدناها
على ما لنا من الجد والعزم مبنية كالخيمة الا انها من غير عمد وزيناها اي بما فيها من الكواكب
الكبار والصغار السيارة والثابتة وما لها اي والحال ان ما لها واكد النفي بقوله تعالى من فروج
اي فتوق وطاقات وشقوق بل هي ملساء متلاصقة الاجزاء والارض اي المحيطة بهم التي عليها
مددناها اي بسطناها بما لنا من العظمة والقينا اي بعظمتنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت كانت
سببا لثباتها وخالفت عادة المراسي في انها من فوق والمراسي التي تعاهدونها انتم من تحت وانبتنا
اي بما لنا من العظمة فيها اي الارض وعظم قدرته بالتبعيض فقال تعالى من كل زوج اي صنف
من النبات تناوحت اشكاله بهيج اي في غاية الرونق والاعجاب فكان مع كونه رزقا مستنزها
تبصرة اي جعلنا هذه الاشياء كلها لاجل ان تنظروا بابصاركم وتتفكروا ببصائركم
فتعبروا منها الى صانعها فتعلموا ما له من العظمة وذكرى اي ولتذكروا بها تذكرا عظيما بما لكم
من القوى والقدر فتعلموا بعجزكم عن كل شيء من ذلك ان صانعها لا يعجزه شيء وانه محيط بجميع صفات
الكمال وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بالامالة بين بين والباقون بالفتح
تنبيه قال الرازي يحتمل ان يكون الامران عائدين الى السماء والارض اي خلق السماء
تبصرة وخلق الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السماء وزينتها غير متجددة في كل عام فهي
كالشيء المرئي على مر الزمان واما الارض فهي كل سنة تأخذ زخرفها فتذكر فالسماء
تبصرة والارض تذكرة ويحتمل ان يكون كل واحد من الامرين موجودا في كل واحد من
الامرين فالسماء تبصرة وتذكرة والارض كذلك والفرق بين التذكرة والتبصرة هو ان فيها
آيات مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسي لكل عبد اي

لتبصر وتذكر كل عبد بماله من النقص وبما دل عليه هذا الصنع من الكمال انه عبد مربوب الصانع منيب اى رجاع عما حطه اليه طبعه الى ما يغلب عليه عقله فيخرج من شوب هذه الاشغال الى شهود الصفات الى علم الذات ثم ذكر تعالى دليلا بقوله تعالى ونزلنا من السماء اى المحل العالى الذى لا يمسك فيه الماء عن دوام التقاطر الا بقاهر ماء اى شيئاً فشيئاً فى اوقات وعلى سبيل التقاطر ولولا عظمتنا التى لا تضاهى لغلب كله من الثقل والميوع والنفوذ فنزل دفعة واحدة فاهلك ما نزل عليه فزالت المسرة وعادت المنفعة مضرة مباركا اى نافعا جدا كثير البركة وفيه حياة كل شئ وهو المطر فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما وهو انزال الماء من فوق واخراج النبات من تحت فانبتنا اى بما لنا من القدرة الباهرة به جنات من الشجر والثمر والزروع والريحان وغيره مما تجمعه البساتين فتجن اى تستر الداخل فيها وحب الحصيد اى النجم الذى من شانه انه يحصد كالبر والشعير ونحوهما وقوله تعالى والنخل منصوب عطفا على مفعول انبتنا اى وانبتنا النخل وقوله تعالى باسقات اى طوالا حال مقدرة لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه اى طال عليهم فى الفضل ومنه قول ابن نوفل فى ابن هبيرة

يا ابن الذين بمجدهم * بسقتهم قيس فزاره

وهو استعارة والاصل استعماله فى بسقت النخلة تبسق بسوقا اى طالت قال الشاعر

لنا خمر وليست خمر كرم * ولكن من نتاج الباسقات

كرام فى السماء ذهبن طولا * وفات ثمارها ايدى الجناة

وبسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع فى ضرعها اللبن قبل النتاج وقال سعيد بن جبير باسقات مستويات وافردها بالذكر لفرط ارتفاعها لها طلع يجوز ان تكون الجملة حالا من النخل او من الضمير فى باسقات ويجوز ان يكون الحال وحده لها وطلع فاعل به وقوله تعالى نضيد بمعنى منضود بعضها فوق بعض فى اكمامها كما فى سنبلة الزرع وهو عجيب فان الاشجار الطوال ثمارها بارزة بعضها على بعض لكل واحدة منها اصل يخرج منه كالجوز واللوز والطلع كالسنبلة الواحدة تكون على اصل واحد وقوله تعالى رزقا يجوز ان يكون حالا اى مرزوقا للعباد ويجوز ان يكون مفعولا له وللعباد اما صفة واما متعلق بالمصدر فان قيل ما الحكمة فى قوله تعالى عند ذكر خلق السماء والارض تبصرة وذكرى وفى الثمار قال رزقا والثمار ايضا فيها تبصرة وفى السماء والارض ايضا منفعة غير التبصرة والتذكرة اجيب بان الاستدلال وقع لوجود امرين احدهما الاعادة والثانى البقاء بعد الاعادة فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم وانكروا ذلك فقال اما الاول فالله القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفناء واما الثانى فلان البقاء فى الدنيا بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من النخل والشجر قادر على ان يرزق بعد الحشر فكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثانى تذكرة بالبقاء والرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تعالى

تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك بين الآيتين ثم بعد ذكر الماء وانزاله وانبات النبات * تنبيه * لم يقيد
هذا العباد بالانابة وقيده في قوله تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب لان التذكرة لا تكون الا للمنيب
والرزق يعم كل احد غير ان المنيب يأكل ذاكرا وشاكرا للانعام وغيره يأكل كما تأكل الانعام فلم يخصص
بقيد ولما كان في ذلك اعظم مذكر بما جرى بالبعث وتعميم صفات الكمال اتبعه ماله من التذكير
بالبعث بنص صريح فقال تعالى واحيينا به اي الماء بعظمتنا بلدة وسماها بالتأنيث اشارة الى انها
في غاية الضعف والحاجة الى النبات والتلون منه وذكر ميتا للزيادة في تقرير تمكن الحاجة بتذكير الوصف
على معنى المكان فان قيل ما الفرق بين هذا الموضع وبين قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة حيث اثبت
الهاء هناك * اجيب * بان الاصل في الارض الوصف فقال الميتة لان معنى الفاعلية ظاهر هناك
والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية صارت اهلة واقام بها القوم وعمروها فصارت
بلدة فاسقط التاء لان معنى الفاعلية ظاهر ثم فثبتت فيه الهاء واذا كان معنى الفاعل لم يظهر
لم تثبت فيه الهاء ويحقق هذا القول قوله تعالى بلدة طيبة حيث اثبت الهاء حيث ظهر معنى
الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر كذلك اي مثل الاخراج العظيم الخروج من قبوركم على ما كانوا
عليه في الدنيا اذ لا فرق بين خروج النبات بعد ما تهشم وتفتت في الارض وصار ترابا كما كان من
بين اصفره وابيضه واحمره وازرقه الى غير ذلك وبين اخراج ما تفتت من الموتى كما كانوا في الدنيا *
* تنبيه * قال ابو حيان ذكر تعالى في السماء ثلاثة البناء والتزيين ونفي الفروج وفي الارض ثلاثة
المد والقاء الرواسي والانبات فقابل المد بالبناء لان المد وضع والبناء رفع والقاء الرواسي
بالتزيين بالكواكب لارتكاز كل واحد منهما اي على سطح ما هو فيه والانبات المترتب على الشق بانتفاء
الفروج فلا شق فيها ونبه فيما تعلق به الانبات على ما يقطف كل سنة ويبقى اصله وما ينزع كل سنة
او سنتين ويقطف كل سنة وعلى ما اختلط من جنسين فبعض الثمار فاكهة لا قوت واكثر الزرع قوت
والثمر فاكهة وقوت وقوله تعالى كذبت قبلهم الآية فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
وتنبيه بان حاله كحال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا فاهلك الله تعالى مكذبيهم ونصرهم ولما
كرر لهؤلاء المكذبين شهرة لا يمترون فيها قال تعالى قوم نوح الذين كان آخر امرهم التغيب
عليهم الماء ان نزل عليهم ماء السماء وطلع عليهم ماء الارض فاغرقهم ومن بعد الطوفان بالماء اشارة الى
هلاكهم في جنب المجيد واسقط الجار من قوله قبلهم اشارة الى ان [illegible] كانهم اهل الارض
استغرقوا مكانها وزمانها ثم اتبع قوم نوح منيبا بهم بقوله تعالى واصحاب الرس اي البئر كانوا مقيمين عليها مع مواشيهم
يعبدون الاصنام ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره فخسفت بهم البئر وبما حولها فذهبت بهم وبكل
مالهم كما ذكرت قصتهم في الفرقان ثم اتبع اصحاب الرس قوم صالح عليه السلام فقال وثمود لان الرجفة التي
اخذتهم مبدأ الخسف ثم اتبع ثمود بقوم هود عليه السلام فقال تعالى وعاد لان الريح التي اهلكته
اثرت بها صيحة ثمود وقال تعالى وفرعون ولم يقل قوم فرعون لانه ليس في قادة هذه

الفرق كافر غيره والنص عليه يفهم عظمته وانه استخف قومه فاطاعوه وَإِخْوَانُ لُوطٍ اى اصهاره الذين
صاروا بينه وبينهم مع المصاهرة المناصرة بملوكهم على من قاواهم بنفسه وعمه خليل الله ابراهيم عليهما
السلام ومع ذلك عاملوه بالخيانة والتكذيب وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ اى الغيضة وهم قوم شعيب والغيضة
الشجر الملتف بعضه على بعض ولما كان تبع الحميرى واسمه سعد وكنيته ابوكرب مع كونه فى قومه
ملكا قاهرا خالفوه مع ذلك وكان لقومه نار فى بلادهم يتحاكمون اليها فتاكل الظالم منهم وقال تعالى
وَقَوْمُ تُبَّعٍ مع كونه ملكا وهو يدعوهم الى الله تعالى ولا يظن ان التكذيب مخصوص بمن كان قويا لمن كان
مستضعفا بل هو واقع ممن شئنا من قوى وضعيف لا يخرج شئ عن مرادنا كُلٌّ اى من هذه الفرق
كَذَّبَ الرُّسُلَ اى كلهم بتكذيب رسولهم فان الكل متساوون فيما يوجب الايمان من اظهار
المعجز والدعاء الى الله تعالى فَحَقَّ اى فتسبب عن تكذيبهم لهم ان ثبت عليهم ووجب وَعِيدِ اى
الذى كانوا يكذبون به عنادا اذ دعوهم اياه فجعلنا لهم منه فى الدنيا ما حكمنا به عليهم فى الازل
فاهلكناهم اهلاكا عاما كاهلاك نفس واحدة على انحاء مختلفة كما هو مشهور عند من له بامثاله عناية
واتبعناه ما هو فى البرزخ وادخرنا ما هو فى القيامة الى يوم البعث فتدبر يا هذا وكنا لهم على آثار ديارهم
وتباعد اعمارهم وكثرة اعدادهم ان لنا الاحاطة البالغة فتسل باخوانك المرسلين وتأس بهم ولا يحزنك
قومك ما حل بمن كذبهم ان اصروا أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ اى احصل لنا مع ما لنا من العظمة الاعياء
وهو العجز بسبب الخلق فى شئ من ايجاده او اعدامه الْأَوَّلِ اى من السموات والارض وما
بينهما حين ابتدأناه اختراعا من خلق الانسان وسائر الحيوان مجددا فى كل اوان فى الاطوار
المشاهدة على هذه التدريجات المعتادة بعد ان خلقنا اصله على ذلك الوجه مما ليس له اصل فى الحياة
ومن اعدامه بعد خلقه جملا كهذه الامم او تدريجا كغيرهم بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ اى شك شديد وشبهة
موجبة للمتكلم بكلامهم تعالى لا يعقل له معنى بل السكوت عنه اجمل مِنْ اى لاجل خَلْقٍ جَدِيدٍ
بالاعادة ولما ذكر الفاوتين اتبعه خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيهما فقال تعالى وَلَقَدْ اى والحال انا قد
خَلَقْنَا اى بما لنا من العظمة الْإِنْسَانَ وهو اعجب خلقا واجمع من جميع ما مضى ذكره بما فيه
من الانس والطغيان والذكر والنسيان والجهل والعرفان والطاعة والعصيان وغير ذلك من عجيب
الشأن وكان ذلك من جنوده ناس بحفظه فيضبط حركاته وسكناته وجميع احواله وَنَعْلَمُ اى والحال انا
بما لنا من الاحاطة مَا تُوَسْوِسُ اى تكلم على وجه الخفاء به اى الآن وفيما بعد ذلك نَفْسُهُ مما
لم يتقدم بعد من خزائن الغيب الى سر النفس كما علمنا ما تكلم نفسه وهى الخواطر التى تعرض له حتى انه
هو ربما عجز عن ضبطها فنحن نعلم ان نفوسهم عالمة بقدرتنا على كل ما نريد وبمعجز القرآن واعجازه وصدق
الرسول به صلى الله عليه وسلم وامتيازه وانما حملهم الحسد والنفاسة والتكبر والرياسة على
الانكار باللسان حتى صار لهم ذلك خلقا فتمادوا فيه حتى غطى على عقولهم فصاروا فى لبس محيط
بهم من جميع الجوانب وَنَحْنُ اى بما لنا من العظمة أَقْرَبُ إِلَيْهِ اى قرب علم وشهود من نفسه

مسافة من حبل الوريد لان ابعاضه واجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله تعالى شيء
والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان من الرأس الى الوتين وهو عرق
متصل بالقلب اذا قطع مات صاحبه وهذا مثل في فرط القرب واضافته مثل مسجد الجامع اى حبل
العرق الوريد او لان الحبل اعم فاضيف للبيان نحو بساتين اراك او يراد حبل العاتق واضيف الى الوريد
كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد وقال البغوي حبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين
يتفرق في البدن والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين قال القشيري وفي هذه
الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وانس وسكون قلب لقوم وقوله تعالى إِذْ يَتَلَقَّى ظرف لاقرب
ويجوز ان يكون منصوبا باذكر اى واذكر اذ يتلقى اى يأخذ بغاية الاجتهاد والمراعاة من كل انسان
خلقناه وابرزناه الى هذا الوجود الْمُتَلَقِّيَانِ اى الملكان الموكلان بعمل الانسان ومنطقه يحفظانه
ويكتبانه حال كونهما عَنِ الْيَمِينِ لكل انسان وَعَنِ الشِّمَالِ اى احدهما عن يمينه والآخر عن
شماله فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات وقوله تعالى قَعِيدٌ
اى قاعد رصيد او خبرهما قبله لان فعيلا يطلق على الواحد والمتعدد كقوله تعالى بعد ذلك ظهير قال
ابن عادل ولا حاجة الى ان يدعى حذف اما من الاول اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد واما من الثاني فيكون
قعيد الملفوظ به للاول ومثله قوله [شعر] رماني بامر كنت منه ووالدي * بريا ومن اجل الطوى رماني
وقال مجاهد القعيد المرصد ونحن اعلم منهما واقرب وانما استحفظناهما لاقامة الحجة بهما على مجاري عاداتكم
وغير ذلك من الحكم مَا يَلْفِظُ اى يرمي ويخرج المكلف من فيه وعم في النفي بقوله تعالى مِن قَوْلٍ [illegible]
إِلَّا لَدَيْهِ اى الانسان او القول على هيئة من القدرة والعظمة من اغرب المستغرب رَقِيبٌ من حفظتنا
شديد المراعاة في كل من احواله عَتِيدٌ اى حاضر مراقب غير غافل بوجه قال الجلال المحلي وكل منهما بمعنى
المثنى اى رقيبان عتيدان وروى ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات على يمين الرجل
وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب
اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر
تنبيه اختلف فيما يكتبان فقال مجاهد يكتبان عليه حتى انينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان
الا ما يؤجر عليه او يوزر فيه فائدتان احداهما قال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان
عند حالتين عند غائطه وعند جماعه الثانية قال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله
عن الحسن وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته وَجَاءَتْ اى اتت وحضرت سَكْرَةُ الْمَوْتِ
اى حالته عند النزع وشدته وغمرته التي تصير المريض بها كالسكران لا يعي وتخرج بها اقواله وافعاله
عن قانون الاعتدال مجيئا ملتبسا بِالْحَقِّ اى الامر الثابت الذي يطابقه الواقع فلا حيلة
في الاحتراز منه وقيل للميت بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال ذَلِكَ اى هذا الامر العظيم
العالي الرتبة الذي يحق لكل احد الاستعداد له بغاية الجهد مَا اى الامر الذي كُنتَ اى جبلة

وطبعاً مِنْهُ تَحِيدُ اى تميل وتنفر وتروغ وتهرب ٭ تنبيه ٭ قيل الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم
قال الرازى وهو منكر وقيل مع الكافر قال ابن عادل وكلا القولين ليس بشىء بل هو خطاب عام مع السامع وهذا اولى
وقوله تعالى وَنُفِخَ فِى الصُّورِ عطف على قوله تعالى وجاءت سكرة الموت وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل
عليه السلام للموت العام والبعث العام عند التكامل وانقطاع اوان التعامل وهو بحيث لا يعلم
قدر عظمه واتساعه الا الله تعالى وهو عليه السلام قد التقم الصور من حين بعث النبى صلى الله
عليه وسلم وحنى جبهته واصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فيا لها من عظمة ما اغفلنا عنها وانسانا لها والمراد
بهذه نفخة البعث وقوله تعالى ذَٰلِكَ اشارة الى الزمان المفهوم من قوله نفخ لان الفعل كما يدل على المصدر
يدل على الزمان فكانه تعالى قال ذلك الزمان العظيم الاهوال والاوجال يَوْمُ الْوَعِيدِ اى للكفار بالعذاب
وَجَاءَتْ اى فيه كُلُّ نَفْسٍ اى مكلفة مَّعَهَا سَائِقٌ اى ملك يسوقها اليه وَشَهِيدٌ
يشهد عليها بعملها قال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم
وهو الايدى والارجل وغيرها وهى رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل هما
جميعاً من الملائكة فالسائق كما قيل لا تعلق له بالشهادة لئلا
تقول تلك النفس انه خصم والخصم لا تقبل شهادته وقيل السائق هو الذى يسوقه الى الموقف
ومنه الى مقعده والشهيد هو الكاتب والسائق لازم للبر والفاجر اما البر فيساق الى الجنة واما الفاجر
فالى النار قال تعالى وسيق الذين كفروا وقال تعالى وسيق الذين اتقوا والشهيد يشهد عليها بما عملت ٭ تنبيه ٭
يجوز فى جملة معها سائق وشهيد ان تكون فى موضع جر صفة لنفس وان تكون فى موضع رفع صفة لكل
وان تكون فى موضع نصب على الحال من كل ويقال للكافر لَّقَدْ كُنتَ اى كونا كانه جبلة لك فِى غَفْلَةٍ
اى عظيمة محيطة بك ناشئة لك مِّنْ هَٰذَا اى من تصور هذا اليوم على ما هو عليه من انقطاع الاسباب
للجزاء بالثواب والعقاب لانه على شدة جلائه خفى على من اتبع الشهوات فَكَشَفْنَا بعظمتنا بالموت
ثم البعث عَنكَ غِطَاءَكَ الذى كان فى الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك من الغفلة بالآمال
فى الحال والمآل وسائر الحظوظ والشهوات فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ اى بعد البعث حَدِيدٌ اى فى غاية الحدة
والنفوذ فلذا تقر بما كنت تنكر فى الدنيا وقال مجاهد يعنى نظرك الى لسان ميزانك حين توزن
حسناتك وسيئاتك والمعنى ازلنا غفلتك فبصرك اليوم حديد وكان من قبل كليلا واختلف
فى القرين فى قوله تعالى وَقَالَ قَرِينُهُ فاكثر المفسرين على انه الملك الموكل به فيقول هَٰذَا مَا اى الذى
لَدَيَّ عَتِيدٌ اى حاضر ونقل الكرمانى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه الشيطان الذى سلط على اغوائه واستدراجه الى ما يريد
قرينه الكفر والعصيان ويدل لهذا قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء وقال تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى فبئس
القرين فالاشارة بهذا الى المسوق المرتكب الفجور والفسوق والعتيد معناه المعتد للنار ومعناه ان الشيطان يقول
هذا العاصى هو شىء عندى معتد لجهنم اعتدته لها بالاغواء والاضلال وقوله تعالى أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ اى النار
التى تلقى الملقى فيها بما كان يعامل به عباد الله تعالى من التكبر والعبوسة كُلَّ كَفَّارٍ خطاب

الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او للواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية
الفعل وتكريره كانه قيل الق الق وقيل اراد القيا بالنون الخفيفة فابدل لها الفا اجراء للوصل مجرى
الوقف وقيل العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين تاكيدا كقوله

فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا

قال ابن عادل وقيل المامور مثنى وهذا هو الحق لان المراد الملكان يفعلان ذلك اهـ وهو القول المتقدم
عنيد ای معاند وهو المبالغ في ستر الحق والمعاداة لاهله بغير حجة حمية وانفة نظرا الى استعظام ما عنده والثبات
عليه تجبرا وتكبرا وعلوا عند غيره ازدراء له كائنا من كان مناع اي كثير المنع للخير من المال وغيره من
كل معروف يتعلق بالمال والمقال والفعال وقيل المراد الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع
بني اخيه منه معتد اي مجاوز للحدود مريب اي داخل في الريب وهو الشك والتهمة في اهل الدين
وقوله تعالى الذي جعل مع الله اي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال الها آخر يجوز ان يكون منصوبا
على الذم او على البدل من كل وان يكون مجرورا بدلا من كفار او مرفوعا بالابتداء والخبر فالقياه في العذاب
اي الذي يليق بكل عدوانه الشديد ودخلت الفاء في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط ويجوز ان يكون منصوبا بمضمر
اي هو الذي جعل ويكون فالقياه تاكيدا قال قرينه مناديا باسقاط الاداة كدأب اهل القرب ايهاما
انه منهم ربنا اي ايها المحسن الينا ابينا الخلائق كلهم ما اطغيته اي ما اوقعته فيما كان فيه من
الطغيان فاني لا سلطان لي عليه وانت اعلم بذلك ولكن كان اي بجبلته وطبعه في ضلال بعيد
اي محيط به من جميع جوانبه لا يمكن رجوعه معه فلذلك كان يبادر الى كل ما يغضب الله تعالى تنبيه
هذا الجواب لكلام مقدر فان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول ربنا ما
اطغيته بدليل قوله تعالى لا تختصموا لدي لان المخاصمة تستدعي كلاما من الجانبين ونظيره قوله
تعالى في سورة ص قالوا بل انتم لا مرحبا بكم الى قوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قال الزمخشري
وهذا يدل على ان المراد بالقرين في الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذي هو شهيد وقعيد
قال الرازي وجاءت هذه الآية بلا واو وفي الاولى بواو عاطفة لان في الاولى اشارة الى وقوع معنيين
مجتمعين فان كل نفس في ذلك الوقت تجيء ومعها سائق وشهيد فيقول الشهيد ذلك القول
وفي الثانية لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتى يذكر الواو فان الفاء في قوله تعالى فالقياه في العذاب
لا تناسب قوله تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته فليس هناك مناسبة مقتضية للعطف فان قيل كيف
قال ما اطغيته مع انه قال لاغوينهم اجمعين اجيب بان المراد من قوله لاغوينهم اي لاديمنهم على
الغواية كما ان الضال اذا قال له شخص انت على الجادة فلا تتركها يقال انه يضله كذا هنا فقوله
ما اطغيته اي ما كان ابتداء الطغيان مني وقوله تعالى قال اي الله تعالى المحيط علما وقدرة الذي حكم
عليهم بذلك في الازل لا تختصموا اي لا توقعوا الخصومة بهذا الجد والاجتهاد استئناف
كان قائلا يقول فماذا قال الله تعالى فاجيب بقال لا تختصموا وقوله تعالى لدي اي

في دار الجزاء بهذه الحضرة التي هي فوق ما كنتم تدركون من الاخبار عنها بكثير يفيد مفهومه ان
الاختصام كان ينبغي ان يكون قبل الحضور والوقوف بين يديه وقوله تعالى وقد قدمت اليكم بالوعيد
اي التهديد وهو التخويف العظيم على جميع ما ارتكبتموه من الكفر والعدوان جملة حالية
ولا بد من تأويلها وذلك ان التخاصم في الآخرة وتقدمه الوعيد في الدنيا فاختلف الزمان فكيف
يصح جعلها حالية وتأويلها هو ان المعنى وقد صح اني قدمت وزمان الصحة وزمان النهي واحد
وقدمت يجوز ان يكون بمعنى تقدمت فتكون الباء للحال ولا بد من حذف مضاف اي وقد تقدم
قولي لكم ملتبسا بالوعيد ويجوز ان يكون قدمت على حاله متعديا والباء مزيدة في المفعول اي قدمت
اليكم الوعيد كقوله تعالى تنبت بالدهن على قول من قال بزيادتها هنالك وقيل الباء هنا للمصاحبة كقولك
اشتريت الفرس بلجامه اي معه فكانه قال تعالى قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه والانذار
ما يبدل اي يغير بوجه من الوجوه القول لدي اي الواصل اليكم من حضرتي التي لا يحيط بها احد
من خلقي وعبر بالتعبير بالحاضر دون الآتي للمستقبل لان الاوقات كلها عنده حاضرة وما انا واكد النفي
بقوله تعالى بظلام للعبيد فاعذبهم بغير جرم فان قيل الظلام مبالغة في الظالم ويلزم من انتفائه
اثبات اصل الظلم فاذا قال القائل هو كذاب يلزم ان يكون كثير الكذب ولا يلزم من نفيه نفي اصل الكذب
لجواز ان يقال ليس بكذاب كثير الكذب لكنه يكذب احيانا فقوله تعالى ما انا بظلام لا يفهم منه نفي اصل
الظلم وان الله ليس بظالم اجيب بأربعة اجوبة احدها ان الظلام بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر
فتكون اللام في قوله تعالى للعبيد لتحقيق النسبة لان الفعال حينئذ بمعنى ذي ظلم لقوله تعالى لا ظلم
اليوم ثانيها قال الزمخشري ان ذلك امر تقديري كانه تعالى يقول لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل
الرحمة لكان ذلك غاية الظلم وما انا بذلك فيلزم من نفي كونه ظلاما نفي كونه ظالما ويحقق هذا الوجه
اظهار لفظ العبيد حيث قال الله تعالى وما انا بظلام للعبيد اي في ذلك اليوم الذي املأ فيه جهنم منهم مع سعتها
حتى تصيح وتقول لم يبق في طاقة بهم ولم يبق في موضع لهم فهل من مزيد استفهام استنكار ثالثها انه لمقابلة
الجمع بالجمع والمعنى ان ذلك اليوم مع اني القي في جهنم عددا لا حصر له لا اكون بسبب كثرة التعذيب كثير الظلم
لانه تعالى قال وما انا بظلام للعبيد يوم نقول اي على ما لنا من العظمة لجهنم ولم يقل ما انا بظلام في
جميع الازمان وخصص بالعبيد ولم يطلق فلذلك خصص النفي بنوع من انواع الظلم ولم يطلق
ولم يلزم منه ان يكون ظالما في غير ذلك الوقت لان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفى
كونه ظلاما ولم يلزم منه كونه ظالما ونفى كونه ظلاما للعبيد ولم يلزم منه كونه ظلاما لغيرهم
تنبيه يحتمل ان يكون المراد بالعبيد الكفار كقوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من
رسول الآية والمعنى على هذا وما انا بظلام لهم ويحتمل ان يكون المراد منه المؤمنين والمعنى ان
الله تعالى يقول لو بدلت قولي ورحمت الكافر لكنت في تكليف العباد ظالما لعبادي المؤمنين
لاني منعتهم من الشهوات لاجل هذا اليوم فلو كان ينال من لم يأت بما اتى به المؤمن ما يناله

المؤمن لكان اثبات المؤمن بما اتى به من الايمان والعبادة غير مفيد وهذا معنى قوله تعالى لا يستوى
اصحاب النار واصحاب الجنة ويحتمل ان يكون المراد التعميم وهذا اظهر وقوله تعالى لجهنم اى التى هى
دار العذاب مع الكراهة والعبوسة والتجهم هل امتلأت استفهام تحقيق لوعده عليها وهو
قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وتقول بجهوره كالاستفهام كالسؤال هل
من مزيد اى قد امتلأت ولم يبق فى موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكار وقيل بمعنى الاستزادة
رواه ابو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعلى هذا يكون السؤال وهو قوله تعالى هل امتلأت
قبل دخول جميع اهلها فيها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى سبقت كلمته لأملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها فتقول
الست قد اقسمت لتملأنى فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول هل من مزيد قط قط قد امتلأت
وليس من مزيد وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل
من مزيد حتى يضع رب العرش وفى رواية رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعد
ذلك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابى هريرة رضى الله
عنه نحوه ولا يظلم الله تعالى من خلقه احدا تنبيه هذا الحديث من مشاهير احاديث الصفات
وللعلماء فيه وفى امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه
لا يتكلم فى تاويلها بل نفوض بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونثبتها على ظاهرها او لها معنى
يليق بها وظاهرها غير مراد المذهب الثانى وهو قول جمهور المتكلمين انها تؤول بحسب ما يليق بها
فعلى هذا اختلفوا فى تاويل الحديث فقيل المراد بالقدم المتقدم وهو شائع فى اللغة والمعنى يضع الله تعالى
فيها من قدمه لها من اهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير فى قدمه الى ذلك المخلوق
المعلوم وقيل يحتمل ان فى المخلوقات من يسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضى عياض اظهر
التاويلات انهم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل العقلى
القطعى على استحالة الجارحة على الله تعالى وقولها قط قط اى حسبى حسبى قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان
الطاء وكسرها منونة وغير منونة ولما ذكر النار التى هى دار الفجار وقدمها لان المقام للانذار اتبعها دار الابرار
فقال تعالى سارا لهم باسقاط مؤنة السير وطى مشقة البعد وازلفت الجنة اى قربت بايسر امر مع
الدرجات والحياض المنتدئة للمتقين اى العريقين فى هذا الوصف فاذا راوها تسابقوا اليها وتركوا
ما كانوا فيه فى الموقف من منابر النور وكثبان المسك ونحو هذا اى اما غيرهم من اهل الايمان فقد
يكون لهم غير هذا الوصف فيساق اليها الذين اتقوا كما مضى فى الزمر وقوله تعالى غير بعيد يجوز ان
يكون حالا من الجنة ولم يؤنث لانها بمعنى البستان او لان فعيلا لا يؤنث لانه بزنة المصادر قاله الزمخشرى
ومنعه ابو حيان وتقدم الكلام على ذلك فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ويجوز
ان يكون منصوبا على الظرف المكانى اى مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف

اى زمانا غير بعيد وهو ظاهر عبارة الزمخشري فانه قال او شيئا غير بعيد فان قيل ما وجه التقريب
والجنة مكان والامكنة يقرب منها وهي لا تقرب اجيب من اوجه اولها ان الجنة لا تنتقل ولا يؤمر
المؤمن في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوي المسافة التي بين المؤمن والجنة
فهو التقريب فان قيل فعلى هذا فليس ازلاف الجنة من المؤمن باولى من ازلاف المؤمن من الجنة
فما فائدة قوله تعالى ازلفت الجنة اجيب بان ذلك اكرام للمؤمن وبيان لشرفه وانه ممن
يمشى اليه ثانيها قريب من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني ثالثها ان الله تعالى قادر على نقل
الجنة من السماء الى الارض فيقربها للمؤمن ويحتمل انها ازلفت بمعنى جمعت محاسنها لانها مخلوقة
واما بمعنى قربها للحصول لها لانها تنال بكلمة طيبة وحسنة وخص المتقين بذلك لانهم احق بها
وقوله تعالى هذا اى الازلاف والذي ترونه من كل ما يسركم عما اى الامر الذي توعدون اى وقع
الوعد لكم به في الدنيا يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون معترضا بين البدل والمبدل وذلك ان
لكل اواب اى رجاع الى طاعة الله تعالى بدل من المتقين باعادة العامل ثانيهما ان يكون منصوبا
بقول مضمر فذلك القول منصوب على الحال اى مقولا لهم وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة والباقون
بالتاء على الخطاب ونسب ابو حيان قراءة الياء لابن كثير ولابي عمرو وانما هي لابن كثير فقط وقال سعيد
ابن المسيب الاواب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر
ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء هو المسبح من قوله تعالى يا جبال
اوبي معه وقال قتادة هو المصلي وقوله تعالى حفيظ اختلف فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما
هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا
الحفيظ لامر الله وقال قتادة الحفيظ لما استودعه الله تعالى من حقه والاواب والحفيظ كلاهما
من باب المبالغة اى يكون كثير الاوب شديد الحفظ ثم ابدل من كل تتميما لبيان المتقين قوله
تعالى من خشي اى خاف ونبه على كثرة خشيته بقوله تعالى الرحمن لانه اذا خافه مع استحضار
الرحمة العامة للمطيع والعاصي كان خوفه مع استحضار غيرها اولى وقال القشيري التعبير بذلك
للاشارة الى انها خشية تكون مقرونة بالانس يعني الرجاء كما هو المشروع قال ولذلك لم يقل الجبار
او القهار ويقال الخشية الطف من الخوف فكانها قريبة من الهيبة وقوله تعالى بالغيب حال اى
غائبا عنه يحتمل ان يكون حالا من الفاعل او المفعول او منهما وقيل الباء للمصاحبة اى مصاحب له
من غير ان يطلب اية او امرا يصير به الى حد المكاشفة بل استغنى بالبراهين القطعية التي منها
الله موجود وهو ايضا بيان لبليغ خشيته ويجوز ان يكون صفة لمصدر خشي اى خشية ملتبسة
بالغيب ومعنى الاية من خاف الرحمن واطاعه بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة
حيث لا يراه احد وقال الحسن اذا ارخى الستر واغلق الباب وقوله تعالى وجاء اى بعد الموت
بقلب منيب اى راجع الى الله تعالى صفة مدح لان شان الخائف ان يهرب فاما المتقي فانه يرجع لعلمه

لا يأنس القرار منه والباء في بقلب إما للتعدية وإما للمصاحبة وإما السببية والقلب المنيب كما تقدم السليم
في قوله تعالى إذ جاء ربه بقلب سليم أي سالم من الشرك والضمير في قوله تعالى ادخلوها عائد إلى
الجنة وقوله تعالى بسلام حال من فاعل ادخلوها أي سالمين من العذاب والهموم فهي حال مقارنة
أو بسلام من الله تعالى وملائكته عليهم فهي حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين لكن قيل قال
ابن عادل وفيه نظر إذ لا مانع من مقارنة تسليم الملائكة عليهم حال الدخول بخلاف فادخلوها خالدين
فإنه لا يتصور الخلود إلا بعد الدخول ذلك أي اليوم الذي حصل فيه الدخول يوم الخلود أي الدوام
في الجنة الذي لا آخر له ولا نفاد لشيء من لذاته أصلاً ولذلك وصل به قوله تعالى جوابا لمن قال على أي
وجه خلودهم لهم بظواهرهم وبواطنهم ما يشاؤون أي تتجدد مشيئتهم أو يمكن مشيئتهم له
فيها أي الجنة ولدينا أي عندنا من الأمور التي هي في غاية الغرابة عندهم وإن كان كل ما عندهم
مستغربا مزيد أي مما لا يدخل تحت أوهامهم ليشاؤوه فإن سياق الامتنان يدل على أن تنوينه
للتعظيم والتعجيب والذي يؤكد ذلك فإن قيل ما الحكمة في أنه تعالى قال ادخلوها بسلام على المخاطبة
ثم قال لهم ولم يقل لكم أجيب من وجوه أولها أن قوله تعالى ادخلوها مقدر أي فيقال لهم ادخلوها
فلا يكون التفاتا ثانيها أنه التفات والحكمة الجمع بين الطرفين كأنه تعالى يقول غير محتاج لهم في غيبتهم
وحضورهم ففي حضورهم الحبور وفي غيبتهم الحور والقصور ثالثها أنه يجوز أن يكون قوله تعالى لهم
كلاما مع الملائكة يقول للملائكة توكلوا بخدمتهم واعلموا أن لهم ما يشاؤون فيها فأحضروا بين
أيديهم ما يشاؤون وأما أنا فعندي ما لا يخطر ببالهم ولا تقدرون أنتم عليه والمزيد يحتمل
أن يكون معناه الزيادة كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل أن يكون بمعنى المفعول
أي عندنا ما نزيده على ما يرجون ويأملون قال أنس وجابر وهو النظر إلى وجه الله الكريم
قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل ليلة جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد ولما ذكر تعالى أول
السورة تكذيب الأمم السابقة ذكر هنا إهلاك قرون ماضية بقوله تعالى وكم أهلكنا
أي بما لنا من العظمة قبلهم من قرن أي جيل هم في غاية القوة ونزاد في بيان القوة قوله تعالى
هم أشد منهم أي من قريش بطشا أي قوة وأخذا للكبير بدونه بالعنف والسطوة والشدة
تنبيه كم منصوب بما بعده وقدم إما لأنه استفهام وإما لأن كم الخبرية تجري مجرى كم الاستفهامية في التصدر
ومن قرن تمييز وهم أشد صفة إما لكم وإما لقرن والفاء في قوله تعالى فنقبوا عاطفة على المعنى
كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا في البلاد والضمير في نقبوا إما للقرن المتقدم وهو الظاهر وإما لقريش
والتنقيب التنقير والتفتيش ومعناه التطواف في البلاد قال الحرث بن حلزة

نقبوا في البلاد من حذر المو ... ت وجالوا في الأرض كل مجال

وقال امرؤ القيس

وقد نقبت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

ولما كان السياق يرشد لهم ليسلموا وكثرة تقلبهم توجه سؤال تنبيه للغافل الذاهل وتقريع وتبكيت
للمعاند الجاهل بقوله تعالى هل من محيص اي معدل ومحيد ومهرب وان دق من قضائنا
ليكون لهؤلاء وجه ما في رد امرنا ان في ذلك اي فيما ذكر في هذه السورة من الآيات
العجيبة والطرق الغريبة لذكرى اي تذكيرا عظيما جدا لمن كان اي كونا عظيما له قلب اي
عقل في غاية العظمة فهو بحيث يفهم ما يراه ويعتبر به ومن لم يكن كذلك فلا قلب له سليم بل له
قلب لاه او القى السمع اي استمع الوعظ بغاية اصغائه حتى كأنه يرمي بشيء ثقيل من علو الى سفل
وهو اي والحال انه في حال القائه شهيد اي حاضر بكليته فهو في غاية ما يكون من تصويب الفكر
وجمع الخاطر فلا يغيب عنه شيء مما تلي عليه والقي اليه فيتذكر وعطف على قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
قوله تعالى ولقد خلقنا اي بما لنا من العظمة التي لا يقدر قدرها ولا يطاق حصرها السموات والارض
اي على ما هما عليه من الكبر وكثرة المنافع وما بينهما من الامور التي لا ينتظم الامر الا على قاعدة الاسباب
والمسببات بل ومنها في ستة ايام الارض في يومين ومنافعها في يومين والسموات في يومين
ولو شاء لكان ذلك في اقل من لمح البصر ولكنه تعالى سن لنا التأني بذلك وما مسنا لاجل ما لنا من العظمة
ادنى شيء وعم في النفي فقال تعالى من لغوب اي اعياء فانه لو كان لاقتضى ضعفا فاقتضى فسادا فكان
من ذلك شيء على غير ما اردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا في الباقي وانتم تشاهدون الامر
في الكل على حد سواء في نفوذ الامر وتمام التصرف فاصبر يا اشرف الخلق على ما يقولون اي اليهود
وغيرهم من انكار البعث والتشبيه وغير ذلك فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قادر
على البعث وغيره وسبح اي اوقع التنزيه عن كل شائبة نقص ملتبسا بحمد ربك
اي باثبات الاحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن اليك بجميع هذه البراهين
التي خصك بها مفضلا لك على جميع الخلق وقوله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
اشارة الى طرفي النهار وقوله تعالى ومن الليل فسبحه اشارة الى زلفى من الليل وتقريره انه
صلى الله عليه وسلم كان مشتغلا بامرين احدهما عبادة الله تعالى والثاني هداية الخلق
فاذا لم يهتدوا قيل له اقبل على شغلك الآخر وهو العبادة قبل الطلوع وقبل الغروب
لانهما وقتا اجتماعهم ويكون المراد بقوله تعالى ومن الليل اوله لانه ايضا وقت اجتماعهم
وقال اكثر المفسرين قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل
العشاءان والتهجد وادبار السجود التنفل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء وقال
مجاهد ومن الليل يعني صلاة الليل اي وقت صلى وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بكسر
الهمزة على انه مصدر قام مقام ظرف الزمان كقولهم اتيتك خفوق النجم وخلافة الحجاج والمعنى
وقت ادبار الصلاة اي انقضائها وتمامها والباقون بالفتح جمع دبر وهو آخر الليل وعقبها ومنه قول اوس

على دبر الشهر الحرام فارضنا * وما حولها جدب سنون تلمع

ولم يعتمدوا وادبار النجوم وقوله تعالى وادبار معطوف اما على قبل الغروب واما على ومن
الليل وقال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما ادبار السجود الركعتان بعد صلوة المغرب
وادبار النجوم الركعتان قبل صلوة الفجر وهي رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وروي ذلك
عنه مرفوعا قال البغوي هذا قول اكثر المفسرين عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم على شيء من النوافل اشد معاهدة منه على الركعتين امام الصبح وعن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ما احصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين
قبل الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وعن مجاهد وادبار السجود هو التسبيح باللسان في ادبار الصلوات
المكتوبات وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح في دبر كل صلوة
ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد
البحر وعنه ايضا ان فقراء المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب
اهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال صلى الله عليه وسلم وما ذاك فقالوا صلوا كما صلينا
وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال قال افلا اخبركم بامر تدركون
من قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي احد مثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون
في دبر كل صلوة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا وقوله تعالى واستمع اي لما اخبرك به
من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به والمحدث عنه كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال سبعة ايام يا معاذ بن جبل اسمع ما اقول ثم حدثه بعد ذلك وقوله تعالى يوم ظرف
لاستمع اي استمع ذلك في يوم ينادي المناد اي اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي
بالحشر فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان
تجتمعن لفصل القضاء وقيل المنادي جبريل من مكان قريب بحيث يسمع الصوت من بعد كما يسمعه
من قرب يكونون في السماع سواء لا تفاوت بينهم اصلا واختلف في ذلك المكان القريب فاكثر
المفسرين انه صخرة بيت المقدس فانها اقرب الارض الى السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من
تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية وقوله تعالى
يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي والصيحة النفخة الثانية وقوله تعالى بالحق حال من الصيحة
اي ملتبسة بالحق او من الفاعل اي يسمعون متلبسين بسماع حق ذلك اي اليوم العظيم الذي
يظهر به المجد ويعلو به ضعفاء المؤمنين الحق يوم الخروج اي الذي لا خروج اعظم منه وهو
خروجهم من الارض التي خلقوا منها الى المحشر وهو من اسماء يوم القيامة انا اي بما لنا
من العظمة نحن اي خاصة نحيي ونميت اي نجدد ذلك شيئا بعد شيء سنة مستمرة

وعادة مستمرة كما تشاهد ونميت فقد كان منا الاحياء الاول المبدأ والينا اى خاصة بالامانة ثم الاحياء المصير اى فى الآخرة وقيل تقديره نميت فى الدنيا ونحيى فى الآخرة للبعث والينا المصير بعد البعث وقوله تعالى يوم بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض وقرأ تشقق الارض نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين والباقون بالتخفيف عنهم اى مجاوزة لهم بعد ان كانوا فى بطنها فيخرجون منها احياء كما كانوا على ظهرها احياء حال كونهم سراعا اى اجابة لمناديها وهو جمع سريع واشار الى عظمة الامر بقوله تعالى ذلك اى الاخراج العظيم جدا حشر اى جمع بكره ونادى ببيان عظمة هذا الامر بدلالته على اختصاصه بتقديم الجار فقال تعالى علينا اى خاصة يسير فكيف يتوقف فيه عاقل فضلا عن ان ينكره واما غيرنا فلا يمكنه ذلك بوجه. تنبيه: علينا متعلق بيسير ففصل بمعمول الصفة بينها وبين موصوفها ولا يضر ذلك وقال الزمخشري التقديم للاختصاص وهو ما اشرت اليه اى اى لا يتيسر ذلك الا على الله تعالى وحده وهو اعادة جواب قولهم ذلك رجع بعيد وقوله تعالى نحن اعلم اى عالمون بما يقولون اى فى الحال والاستقبال من التكذيب بالبعث وغيره تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار اى مسلط تجبرهم على الاسلام انما انت منذر وقد فعلت ما امرت به ونحن القادرون على ردهم بما لنا من العلم المحيط وهذا قبل الامر بالقتال فذكر اى بجميع انواع التذكرة بالقرآن اى الجامع مع مجده المحيط بكل صلاح من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره وهم المؤمنون وقرأ ورش باثبات الياء بعد الدال وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة ق هوّن الله عليه ثارات الموت وسكراته حديث موضوع وثارات الموت بمثلثة وهمزة مفتوحة اهواله

سورة الذاريات مكية

وهى ستون آية وثلثمائة وستون كلمة والف ومائتان وتسعة وثمانون حرفا

بسم الله اى المحيط بصفات الكمال فهو لا يخلف الميعاد الرحمن الذى عم الخلائق بنعمة الايجاد الرحيم الذى خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد ولما ختم الله سبحانه وتعالى ق بالتذكير بالوعيد افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه فقال عز من قائل مناسبا بين المقسم والمقسم عليه والذاريات اى الرياح تذرو التراب وغيره وقيل النساء الوالدات فانهن يذرين الاولاد وقوله تعالى ذروا منصوب على المصدر المؤكد والعامل فيه اسم وهو اسم الفاعل والمفعول محذوف اقتصارا يقال ذرت الريح التراب واذرته فالحاملات اى السحب تحمل الماء وقيل الرياح الحاملة السحاب وقيل النساء الحوامل وقوله تعالى وقرا اى ثقلا مفعول به بالحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا قال الرازى ويحتمل ان يكون اسما اقيم مقام المصدر كقوله ضربته سوطا فالجاريات اى السفن وقيل الرياح الجارية

في مهابها وقيل الكواكب التي تجري في منازلها وقوله تعالى يسرا في موضع الحال اي ميسرة فالمقسمات
اي الملائكة التي تقسم الارزاق والامطار وغيرها بين العباد والبلاد وقوله تعالى امرا
يجوز ان يكون مفعولا به كقولك فلان قسم الرزق او المال وان يكون حالا اي مأمورة وهذه
اشياء مختلفة فتكون الفاء على بابها من عطف المتغايرات والفاء للترتيب في القسم لا في المقسم
قال الزمخشري ويجوز ان يراد الرياح وحدها لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا
سهلا وعلى هذا يكون من عطف الصفات والمراد واحد فتكون الفاء على هذا الترتيب الامور في الوجود
وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا
بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال
فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن
المقسمات السحاب يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز
ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار
بتصريف السحاب فان قيل ان كانت وقرا مفعولا لم لم يجمع وقيل اوقارا اجيب بانها بمنزلة
من الرياح قد تحمل وقرا واحدا وكذا القول في المقسمات امرا اذا قيل انه مفعول به لان جماعة
من الملائكة قد تجتمع على امر واحد فائدة كثيرا اقسم الله تعالى بجمع السلامة المؤنث في خمس سور
ولم يقسم بجمع السلامة المذكر في سورة اصلا فلم يقل والصالحين من عبادي ولا المقربين الى
غير ذلك مع ان المذكر اشرف لان جموع السلامة بالواو والنون في الغالب لمن يعقل ولما
كانوا يكذبون بالوعيد اكد الجواب بعد التأكيد بنفس القسم فقال تعالى إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ
اي مطابق الاخبار به للواقع ويسرون مطابقته له بتكذيبه وما يجوز ان تكون اسمية وعائدها
محذوف اي توعدونه وان تكون مصدرية فلا عائد على المشهور وحينئذ يحتمل ان يكون
توعدون مبنيا من الوعد وان يكون مبنيا من الوعيد لانه يصلح ان يقال اوعدته فهو يوعد ووعدته
فهو يوعد لا يختلف والتقدير ان وعدكم او ان وعيدكم وَإِنَّ الدِّينَ اي الجزاء لكل احد بما
كسب يوم البعث لَوَاقِعٌ لا بد منه وان انكرتم وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ قال ابن عباس وقتادة وعكرمة
ذات الخلق الحسن المستوي يقال للنساج اذا نسج الثوب فاجاد ما احسن حبكه وقال سعيد بن جبير ذات
الزينة اي المزينة بزينة الكواكب قال الحسن حبكت بالنجوم وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات
الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد وهو آثار تثنيه وتكسره قال زهير

مكلل باصول النجم تنسجه * ريح خريق لضاحي مائه حبك

والحبك يحتمل ان يكون مفرده حبيكة كطريقة وطرق او حباك نحو حمار وحمر قال الشاعر

كانما جللها الحواك * طنفسة في وشيها حباك

واصل الحبك احكام الشيء واتقانه ومنه يقال للدرع محبوكة وجواب القسم إِنَّكُمْ يا معشر

قرابتي ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ بكم في امر القرآن وللاتي به وجميع امر دينكم وغيره مما تريدون به ابطال الدين الحق ﴿مُّخْتَلِفٍ﴾ فتقولون في القرآن سحر وكهانة واساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر ومجنون وكاهن وكاذب ﴿يُؤْفَكُ﴾ اي يصرف ﴿عَنْهُ﴾ اي عن النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن اي عن الايمان بذلك ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ اي صرف عن الهداية في علم الله تعالى ومعناه حينئذ الذم وقيل انه مدح للمؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من يصرف عن ذلك القول ويرشد الى القول المستوي ﴿قُتِلَ﴾ اي لعن ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾ اي الكذابون وهم الذين لا يجزمون بامر بل هم شاكون متحيرون وهم اصحاب القول المختلف ثم وصفهم الله تعالى فقال تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ﴾ اي خاصة ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ اي جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ اي غافلون في السهو وهو النسيان والغفلة والحيرة وذهاب القلب الى غير ما يهمه غفلوا على ذلك ذو الوان متخالفة من هول ما هو فيه وشدة كربه ﴿يَسْأَلُونَ﴾ النبي استهزاء ﴿أَيَّانَ﴾ اي متى واي حين ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ اي وقوع الجزاء الذي تخبرنا به ولولا انهم بهذه الحالة لتذكروا من انفسهم انه ليس احد منهم يترك عبيده واجراءه في عمل من الاعمال الا وهو يحاسبهم على اعمالهم وينظر قطعا في اموالهم ويحكم بينهم في اقوالهم وافعالهم فكيف الظن باحكم الحاكمين ان يترك عبيده الذين خلقهم على هذا النظام المحكم وابدع لهم هذين الخافقين وهيأ لاجلهم فيهما كل ما يحتاجون اليه فيتركهم سدى ويوجدهم عبثا وقوله تعالى ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ منصوب بمضمر اي الجزاء كائن يوم هم ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ اي يعذبون فيها جواب لسؤالهم ايان يوم الدين وقال الرازي يحتمل وجهين احدهما ان يكون جوابا عن قولهم ايان يقع فكما انهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب للعلم كذلك لم يجبهم جواب معلم مبين بل قال يوم هم على النار يفتنون جهلا بهم بالثاني اقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز ان يكون الجواب بالاخفى فلو قال قائل متى يقدم زيد فلو اجيب بقوله يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لم يصح هذا الجواب ثانيهما ان يكون ذلك ابتداء كلام تمامه في قوله تعالى ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ اي تعذيبكم فان قيل هذا يفضي الى الاضمار اجيب بان الاضمار لابد منه لان قوله تعالى ذوقوا فتنتكم لا يتصل بما قبله الا باضمار يقال ﴿هَٰذَا﴾ اي العذاب المذوق ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدنيا استهزاء ولما بين تعالى حال المجرمين بين بعده حال المتقين فقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ اي الذين كانت التقوى لهم وصفا ثابتا ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ اي بساتين عظيمة يجن داخلها اي تستره من كثرة ظلالها لكثرة اشجارها وعظمها ﴿وَعُيُونٍ﴾ جارية في خلال الجنان تنبيه المتقي له مقامات ادناها ان يتقي الشرك واعلاها ان يتقي الدنيا والآخرة وادنى درجات المتقي الجنة فما من مكلف اجتنب الكفر الا ويدخل الجنة وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بكسر العين والباقون بالضم وقوله تعالى ﴿آخِذِينَ﴾ حال من الضمير في خبر ان وقوله تعالى ﴿مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ اي المحسن اليهم المدبر لهم بتمام علمه وشامل قدرته ان كان مما في الجنة فتكون حالا حقيقية وان كان مما آتاهم من اوامره ونهيه في الدنيا فتكون حالا محكية لاختلاف الزمانين تنبيه اعلم ان الله تعالى وحد الجنة

تارة قال تعالى مثل الجنة واخرى جمعها كقوله تعالى ان المتقين فى جنات وتارة ثناها قال تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان و الحكمة فيه ان الجنة فى توحيدها لاتصال المنازل والاشجار والانهار
كجنة واحدة واما جمعها فانها بالنسبة الى الدنيا وبالاضافة اليها جنات لا يحصى عددها واما تثنيتها
فسياتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى فى سورة الرحمن وهو قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
فقيل جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقيل جنة للخائف الانس وجنة للخائف الجن فيكون
من باب التوزيع قال الرازى غيرانا نقول ههنا ان الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك عند الشراء
فقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعند الاعطاء جمعها اشارة
الى ان الزيادة فى الوعد موجودة بخلاف ما لو وعد بجنات ثم يقول انه فى جنة لانه دون الموعود ومعنى
اخذين قابضين ما اتاهم شيأ فشيأ ولا يستوفونه بكماله لامتناع استيفاء ما لانهاية له وقيل قابلين
قبول رضا كقوله تعالى ويأخذ الصدقات اى يقبلها قاله الزمخشرى فى قوله تعالى انهم كانوا قبل
ذلك محسنين اشارة الى انهم اخذوها بثمنها وملكوها بالاحسان فى الدنيا والاشارة بذلك
اما الى دخول الجنة واما الى ايتاء الله تعالى واما ليوم الدين والاحسان يكون فى معاملة الخالق والخلق وقيل هو قول
لا اله الا الله ولهذا قيل فى معنى كلمة التقوى انها لا اله الا الله وفى قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان هو الاتيان بكلمة لا اله الا الله ثم فسر احسانهم بعبر
عنه بما هو فى غاية المبالغة بقوله تعالى كانوا اى لما عندهم من الاجلال له والحب فيه حتى كانهم
مطبوعون عليه قليلا من الليل الذى هو وقت الراحات وقضاء الشهوات ما يهجعون اى يفعلون الهجوع
وهو النوم الخفيف القليل بالليل فما ظنك بما فوقه فما مزيدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف اى ينامون
فى زمن يسير من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس رضى الله عنه كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيأ
اما من اولها او من وسطها وعن انس بن مالك كانوا يصلون من المغرب الى العشاء وقال محمد بن على كانوا لا ينامون
حتى يصلوا العتمة وقال مطرف بن عبد الله قل ليلة اتت عليهم هجوعا كلها وقال مجاهد كانوا لا ينامون
كل الليل ووقف بعضهم على قليلا اى وكانوا من الناس قليلا ثم ابتدأ فقال ما يهجعون من الليل وجعله جحدا اى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة
كل الليل ووقف بعضهم على قليلا ليوافق قوله تعالى وقليل ما هم وقيل من عبادى الشكور
و يبتدئ من الليل ما يهجعون اى ما يهجعون من الليل والمعنى كانوا من الناس قليلا ثم
ابتدأ فقال ما يهجعون من الليل وجعله جحدا اى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة
والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل ان ما بمعنى الذى وعائدها محذوف تقديره كانوا قليلا
من الليل الوقت الذى يهجعونه وهذا فيه تكلف ولما كان المحسن لا يرى نفسه الا مقصرا قال تعالى
دالا على ذلك وعلى ان تهجدهم متصل بآخر الليل وبالاسحار قال ابن زيد السحر السدس
الاخير من الليل هم اى دائما بظواهرهم وبواطنهم يستغفرون اى يعدون مع
هذا الاجتهاد انفسهم مذنبين ويسالون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله تعالى وانهم لا يقدرون
على ان يقدروه حق قدره وان اجتهد والقول سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم لا احصى ثناء

عليك وابراز الضمير يدل على ان غيرهم لو فعل هذا البتة لاعجب بنفسه ورأى انه لا احد افضل منه وعلى ان استغفارهم في الكثرة يقتضي انهم يكونون بحيث يظن انهم احق بالتذلل من المصرين على المعاصي فان استغفارهم ذلك على بصيرة لانهم نظروا ما له سبحانه في الآفاق وفي انفسهم من الآيات والحكم البالغة فاقبلوا على الاستغفار عالمين بانه تعالى لا يقدره حق قدره تنبيه بالاسحار متعلق بيستغفرون والباء بمعنى في وقدم متعلق الخبر على المبتدأ لجواز تقديم العامل وقال الكلبي ومجاهد وبالاسحار يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى السماء كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك انا الملك من الذي يدعوني فاستجيب له من الذي يسألني فاعطيه من الذي يستغفرني فاغفر له وهذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران احدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي امثاله مع الايمان به وتنزيه الرب سبحانه عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام فالله تعالى منزه عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة اكثر الناس وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وزاد في رواية وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت ولا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولما ذكر تعالى معاملتهم للخالق اتبعه المعاملة للخلائق تكميلا وتحقيقا للاحسان فقال تعالى وفي اموالهم اي كل اصنافها حق اي نصيب ثابت للسائل اي الذي ينبه على حاجته بسؤال الناس وهو المتكفف والمحروم وهو المتعفف الذي لا يجد ما يغنيه ولا يسأل الناس ولا يفطن له ليتصدق عليه وهذه صفة اهل الصفة رضي الله تعالى عنهم فالمحسنون يعرفون صاحب الوصف لما لهم من نافذ البصيرة والله تعالى يهديهم العناية وقدم السائل لانه يعرف بسؤاله او يكون اشارة الى كثرة العطاء فيعطي السؤال فاذا لم يجدهم يسأل عن المحتاجين فيكون سائلا ومسئولا وقيل قدم السائل لتجانس مسمى الآدمي وقيل السائل هو الآدمي والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوانات المحترمة قال صلى الله عليه وسلم في كل كبد حراء اجر وهذا الترتيب حسن لان الآدمي مقدم على البهائم وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء وقال قتادة والزهري المحروم

المتعفف الذي لا يسأل الناس وقال زيد بن اسلم المحروم هو المصاب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب الجائحة ثم قرأ انا لمغرمون بل نحن محرومون وَفِي الْأَرْضِ اي من الجبال والبحار والاشجار والثمار والنبات وغيرها آيَاتٌ اي دلالات على قدرة الله تعالى ووحدانيته لِلْمُوقِنِينَ اي الذين صار الايقان لهم غريزة ثابتة فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها قال القشيري من الآيات فيها انها تحمل كل شيء فكذلك العارف يحمل كل احد ومن استثقل احدا او تبرم برؤية احد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته للخلق بعين التفرقة واهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ومن الآيات فيها انه يلقى عليها كل قذر وقمامة فتنبت كل زهر ونور فكذلك العارف يتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح الا بكل خلق حسن وعلى وشيمة زكية وَفِي أَنْفُسِكُمْ آيات ايضا من مبدا خلقكم الى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب أَفَلَا تُبْصِرُونَ اي بابصاركم وبصائركم فتتاملوا ما في ذلك من الآيات فمن تأملها علم انه عبد ومن علم ذلك علم ان له ربا غير محتاج الى احد وَفِي السَّمَاءِ اي جهة العلو رِزْقُكُمْ بما ياتي من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما رتبه سبحانه وتعالى لمنافع العباد وقال ابن عباس يعني بالرزق المطر لانه سبب الارزاق وقيل في السماء رزقكم مكتوب وقيل تقدير الارزاق كلها من السماء ولولاه لما حصل في الارض حبة قوت وَمَا تُوعَدُونَ قال عطاء من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك من الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال عز من قائل فَوَرَبِّ اي مبدع ومدبر السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اي وما دبر فيهما مما علمتموه وما لم تعلموا إِنَّهُ اي الذي توعدونه من الخير والشر والجنة والنار وما ذكر من امر الرزق وما تقدم الاقسام عليه لَحَقٌّ اي ثابت بطابقه الواقع مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ اي مثل نطقكم كما انه لا شك في انكم تنطقون ينبغي لكم ان لا تشكوا في تحقيق ذلك وقال بعض الحكماء معناه ان كل انسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكن ان ينطق بلسان غيره كذلك كل احد ياكل رزق نفسه الذي قسم له ولا يقدر ان ياكل رزق غيره وانشد في المعنى

ما لا يكون فلا يكون بحيلة * ابدا وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته * واخو الجهالة متعب محزون

وقيل معناه ان القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون وقرأ حمزة والكسائي وشعبة برفع اللام على انه نعت لحق وما مزيدة وانكم مضاف اليه اي لحق مثل نطقكم ولا يضر تنكيرها لانها لا تتعرف بذلك لابهامها والباقون بالنصب على انه نعت لحق ايضا كما في القراءة الاولى وانما بني لاضافته الى غير ممكن كما بناه القائل في قوله

فتداعى منخراه بدم * مثل ما اثمر حماض الجبل

بفتح مثل مع انه نعت لدم وقيل انه نعت لمصدر محذوف اي لحق حقا مثل نطقكم وقوله

تعالى هَلْ أَتَىٰكَ اى يا اكمل الخلق حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالفرج وسماهم ضيفا لانه حسبهم كذلك ويقع على الواحد والجمع لانه مصدر وسماهم مكرمين عند الله تعالى اولان ابراهيم عليه السلام اكرمهم بان عجل قراهم واجلسهم فى اكرم المواضع واختيار ابراهيم لكونه شيخ المرسلين وكون النبى صلى الله عليه وسلم مامورا بان يتبع ملته وكان ابراهيم عليه السلام اكرم الخليقة وضيف الكرام مكرمون وقال ابن ابى نجيح عن مجاهد لان ابراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه وعن ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاؤا غير مدعوين وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه فان قيل اذا كان المراد من الآية التسلية والانذار فاى فائدة فى حكاية الضيافة اجيب بان فى ذلك اشارة الى ان الفرج فى حق الانبياء والبلاء على الجهلة ياتى من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فلم يكن عند ابراهيم عليه السلام خبر من انزال العذاب مع ارتفاع منزلته قال القشيرى وقيل كان عددهم اثنى عشر ملكا وقيل جبريل عليه السلام وكان معه تسعة وقيل كانوا ثلاثة وقرأ هشام بفتح الهاء والف بعدها والباقون بكسر الهاء وياء بعدها اذ اى حين دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ اى دخول استعلاء مخالف لدخول بقية الضيوف وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الذال عند الدال والباقون بالادغام تنبيه اختلف فى العامل فى اذ على اوجه احدها انه حديث اى هل اتاك حديثهم الواقع فى وقت دخولهم عليه ثانيها انه منصوب بما فى ضيف من معنى الفعل لانه فى الاصل مصدر ولذلك استوى فيه الواحد المذكر وغيره كانه قيل الذين اضافهم فى وقت دخولهم عليه ثالثها انه منصوب بالمكرمين ان اريد باكرامهم ان ابراهيم عليه السلام اكرمهم بخدمته لهم كانه تعالى يقول اكرمهم اذ دخلوا رابعها انه منصوب باضمار اذكر ولا يجوز نصبه باتاك لاختلاف الزمانين فان قيل انما ارسلوا الى قوم لوط فما الحكمة فى مجيئهم الى ابراهيم عليه السلام اجيب من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام شيخ المرسلين ولوط من قومه وعادة الملك اذا ارسل رسولا للملك وفى طريقه من هو اكبر منه يقول له اعبر على فلان الملك واخبره برسالتك وخذ فيها رايه ثانيهما ان ابراهيم عليه السلام كان شديد الشفقة حليما فكان يشق عليه اهلاك امة عظيمة وكان ذلك مما يحزن ابراهيم عليه السلام شفقة منه على العباد فقال لهم ليبشروه بغلام يخرج من صلبه اضعاف من هلك ويكون من صلبه خروج الانبياء عليهم السلام فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا اى هذا اللفظ قَالَ سَلَٰمٌ اى هذا اللفظ والمشهور ان السلام الاول المراد به التحية اى نسلم سلاما وقيل ان سلاما معناه حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من ان يلغو او ياثم فكانهم قالوا قولا حسنا سليما من الاثم فيكون مفعولا به لانه فى معنى القول واما رفع الثانى فالمشهور انه التحية فهو مبتدأ وخبره محذوف اى عليكم وقيل انه السلامة اى امرى سلام لا امر لكم وقرأ حمزة والكسائى بكسر السين وسكون اللام والباقون بفتح السين واللام والف بعدها والمعنى واحد

وقوله تعالى قوم منكرون اي غرباء لا اعرفهم قال ذلك في نفسه كما قاله ابن عباس خبر مبتدأ هم
مقدر اي هؤلاء وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا عليه من غير استئذان وقال ابو العالية انكر اسلامهم
في ذلك الزمان وفي تلك الارض فراغ اي ذهب في خفية من ضيفه فان من آداب المضيف ان يبادر
بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا الى اهله اي الذين عندهم بقرة فجاء بعجل اي فتى من اولاد
البقر لانه كان عامة ماله البقر سمين قد شواه وانضجه كما قال تعالى في سورة هود حنيذ اي مشوي
فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم فلم يأكلوا فلما لم يأكلوا قال الا تأكلون والهمزة اما للانكار عليهم في
عدم اكلهم واما للعرض واما للتحضيض فلم يجيبوا فاوجس اي اضمر في نفسه منهم خيفة لما رأى
اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاءوا لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا لعذاب فلما
عرفوا منه ذلك قالوا لا تخف واعلموه انهم رسل الله وبشروه بغلام ياتيه على شيخوخته
وياس امراته بالطعن في السن بعد عقرها وهو اسحق عليه السلام عليم اي مجبول جبلة مهياة
للعلم ولا يموت حتى يظهر علمه بالفعل في اوانه فان جميع الانبياء بعده من ذريته الا نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل عليه السلام. تنبيه: ذكر ههنا من آداب الضيافة تسليم المضيف
على الضيف ولقاءه بالوجه الحسن والمبالغة في الاكرام بقوله له سلام وهو آكد من سلامهم بالنصب في قوله
سلاما بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل سلام عليكم لان الامتناع من الطعام يدل على العداوة والعذر لا يليق
على الانبياء فقال سلام اي امري مسالمة ثم بينوا من آداب المضيف تعجيل الضيافة فان الفاء في قوله فراغ تدل
التعقيب واخفاؤها لان الروغان يقتضي الاخفاء وغيبة المضيف عن الضيف ليستريح ويأتي بما يمنعه
الحياء منه ويخدم الضيف بنفسه ويختار الاجود لقوله سمين ويقدم الطعام للضيف
في مكانه ولا ينقل الضيف للطعام لقوله فقربه اليهم ويعرض الاكل عليه ولا يامره لقوله تعالى
قال الا تأكلون ولم يقل كلوا وسروره بالاكل لا كما يوجد في بعض البخلاء الذين يحضرون طعاما
كثيرا ويجعل نظره ونظر اهل بيته الى الطعام حتى يمسك الضيف يده منه لقوله تعالى فاوجس منهم
خيفة لعدم اكلهم ومن آداب الضيف اذا احضر الطعام ولم يكن يصلح له اكله لكونه مضرا به او يكون
ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام ان لا يقول هذا الطعام غليظ لا يصلح لي بل يأتي بعبارة حسنة
ويقول في تمنعه من اكل الطعام لانهم اجابوا بقولهم لا تخف ولم يذكروا في الطعام شيئا ولا
انه يضرهم بل بشروه بالولد اشعارا بانهم ملائكة وبشروه بالاشرف وهو الذكر حيث فهموه
انهم ليسوا ممن يأكلون ثم وصفوه بالعلم دون المال والجمال لان العلم اشرف الصفات ثم ادب آخر
في البشارة وهو ان لا يخبر الانسان بما يسره دفعة واحدة لانه يورث مرضا لانهم جلسوا
واستأنس بهم ابراهيم ثم قالوا نبشرك فان قيل قال تعالى في سورة هود فلما رأى ايديهم
لا تصل اليه نكرهم فدل على ان انكاره حصل بعد تقريب العجل اليهم وههنا قال فقالوا سلاما
قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بفاء التعقيب وذلك يدل على ان تقريب الطعام منهم

بعد

بعد حصول انكاره فما وجهه اجيب بان يقال لعلهم كانوا مخالفين لوضعة الناس فى الشكل
والهيئة ولذلك قال قوم منكرون اى عند كل احد واشتهلت ابراهيم عليه السلام وغيره فيه ولهذا
لم يقل انكرتهم بل قال انتم منكرون فى انفسكم عند كل احد منا ثم لما امتنعوا من الطعام تاكد
الانكار لان ابراهيم تزايد بمشاهدة امساكهم فنكرهم فوق الانكار الاول وحكاية الحال فى سورة
هود ابسط مما ذكره ههنا فانه هنا لم يبين المبشر به وهناك ذكره باسمه وهو اسحق وههنا لم يبين
ان القوم قوم من وهناك قال قوم لوط ولما كانا بعيدين عن قبول الولد تسبب عن ذلك قوله تعالى الاعلى
ان الولد اشتق مع الدلالة على ان خفاء الاسباب لا يؤثر فى وجود المسببات فاقبلت اى من سماع
هذا الكلام امرأته سارة قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان وانما هو كقول القائل اقبل
يفعل كذا اذا اخذ فيه وقوله تعالى فى صرة اى صيحة حال او جارة صايحة لانها قد استوقت عجبا فصكت
قال ابن عباس لطمت وجهها اى لطمت فى صفقة فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل هو ضرب
الوجه باطراف الاصابع مثل المتعجب وهى عادة النساء اذا انكرن شيئا واصل الصك ضرب الشئ بالشئ العريض
وقيل جمعت اصابعها وضربت جبهتها عجبا وذلك من عادة النساء ايضا اذا انكرن شيئا وقالت تريد
ان تستبين الامر هل الولد منها او من غيرها عجوز قال القشيرى قيل انها كانت يومئذ ابنة ثمان وتسعين
سنة ومع ذلك عقيم وهى حال شبابها لم تكن تقبل الحبل فلم تلد قط ولما قالت ذلك قالوا مجيبين لها
قالوا كذلك اى مثل ما قلناه من هذه البشرى العظيمة قال ربك اى المحسن اليك بتاهيلك لذلك على
ما ذكرت من حالك وبتاهيلك من قبل لاتصال بخليله صلى الله عليه وسلم انه هو اى وحده الحكيم اى
الذى يضع الاشياء فى احق مواضعها العليم المحيط العلم فهو لذلك لا يعجزه شئ ثم بين سبحانه
وتعالى ما كان من حال ابراهيم وحال الملائكة بعد ذلك بقوله تعالى قال اى ابراهيم عليه
السلام مسببا عما راى من حالهم ولان اجتماع الملائكة على تلك الحالة لم يكن لهذه البشارة فقط
فما خطبكم اى خبركم العظيم ايها المرسلون اى لامر عظيم وهذا ايضا من اداب المضيف
اذا بادر الضيف بالخروج قال له ما هذه العجلة وما شانك لان فى سكوته ما يوهم استثقاله
ثم انهم اتوا بما هو من اداب الصديق الذى لا يسر عن الصديق شيئا وكان ذلك باذن الله تعالى لهم
فى اطلاع ابراهيم عليه السلام على اهلاكهم وجبر قلبه بتقديم البشارة بابى الانبياء اسحق عليه
السلام فان قيل ان الذى اقتضى ذكره بالفاء هو لا قال ما هذا الاستعجال وما خطبكم المستعجل
لكم اجيب بانه لما اوجس منهم خيفة لو خرجوا من غير بشارة وايناس مثلا التسويه قال فما خطبكم
اى بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايحاش الاليم قالوا قاطعين بالتاكيد بان مضمون خبرهم
حتم لا بد منه ولا مدخل للشفاعة فيه انا ارسلنا اى ارسلنا من له الامر الى قوم مجرمين
اى هم فى غاية القوة على واليا ولون وقطعوا فيما امر الله تعالى به فطبعهم من الفوق فى قطعوا ما يحق وصله
ووصلوا ما يحق قطعه يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اى من السماء ارسالا فتسببها

٢٧ والعشرون الجزء السابع

ما وعد العباد به وتوعدهم حجارة من طين اى مهيأ للاحراق والاحتراق مسومة اى معلمة بعلامة
العذاب المخصوص عليها اسم من يرمى بها وقوله تعالى عند ربك اى المحسن اليك بهذه البشارة
وغيرها المجهز لرسله متعلق بمسومة اى معلمة عنده للمسرفين اى المتجاوزين الحد وقد علم انه لا يغفر لهم
لهم فالمسرفون المتمادون فى الضلال فهم مجرمون اى مسرفون والمجرم قال ابن عباس هو الشرك لان الشرك
اعظم الذنوب به وهذا الطبيعة وهو ان الحجارة سومت للمصر المسرف الذى لا يترك الذنب
فى المستقبل وذلك انما يعلمه الله تعالى فلذلك قال عند ربك للمسرفين ولما كان الاجرام ظاهرا قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين واللام فى المسرفين لتعريف العهد اى لهؤلاء المسرفين اذ ليس لكل مسرف
حجارة مسومة وانما اتهم بانهم اتوا بما لم يسبقهم به احد من العالمين وفى هذا دليل على رجم اللائط والفائدة
فى ارسال جماعة من الملائكة لهذا الامر وان كان يكفى فيه الواحد منهم اذ الملك العظيم قد يهلك بالامر
الحقير كما اهلك النمرود بالبعوض وكما اهلك فرعون بالقمل والجراد بل بالريح التى بها الحياة
اظهار القدرة وتلك الاسباب كما فى يوم بدر امر خمسة آلاف من الملائكة باهلاك اهل بدر
مع قلتهم اظهار العظمة وكرامة وتنبيه وقوله تعالى من طين اى ليس من البرد والفاعل انما ذلك
هو الله تعالى لا كما تقول الحكماء فانهم يقولون ان البرد يسمى حجارة فقوله تعالى من طين يدفع
ذلك التوهم قال الرازى ان بعض من يدعى العقل يقول لا ينزل من السماء الا حجارة من طين
مدورات على هيئة البرد وهيئة البنادق التى يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك ان
الاعصار تصعد الغبار من الفلوات العظيمة التى لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد وتتفق
ذلك الى هواء ندى فيصير ذلك طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق استدار بدليل انك اذا رميت
الماء الى فوق ثم نظرت اليه يتقطر كرات مدورات كاللآلئ الكبار ثم فى النزول ان اتفق ان
تضربه النيران التى فى الجو جعلته حجارة كالآجر المطبوخ فينزل فيصيب من قدر الله تعالى
هلاكه وقد ينزل كثيرا فى المواضع التى لا عمارة بها فلا يرى ولا يدرى به فلهذا قال من طين
لان ما لا يكون من طين كالحجر الذى يكون فى الصواعق لا يكون كثيرا بحيث يمطر وهذا
تعسف لان ذلك الاعصار لما وقع لحادث آخر لزم التسلسل ولا بد من الانتهاء الى محدث ليس
بحادث فذلك المحدث لا بد وان يكون فاعلا مختارا والمختار له ان يفعل ذلك وله ان يخلق الحجارة
من طين على وجه آخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا طريق له الى الجزم بطريق احداثه وما لا يصل العقل اليه لا يؤخذ الا
بالنقل والنص ومن المعلوم ان نزول حجارة الطين من السماء اغرب واعجب من غيرها ولما اراد الله
تعالى ان يهلك المجرمين من المؤمنين بقوله تعالى فاخرجنا اى بما لنا من العظمة بعد ان ذهبت رسلنا اليهم
ووقعت بينهم وبين لوط عليه السلام محاورات معروفة لم يدع الحال هنا الى ذكرها من كان فيها اى
قرى قوم لوط من المؤمنين اى المصدقين بقلوبهم لانا لا نسويهم بالمجرمين فخلصناهم من العذاب على قلتهم
وضعفهم وقوة المخالفين وكثرتهم فما وجدنا فيها اى تلك القرى اسند الامر اليه تشريفا

غير

لرسله واعلاما بانّ فعله مقصور تعالى غَيْرَ بَيْتٍ اى واحد وهو بيت ابن اخى ابراهيم عليهما السلام
وقيل كانت عدّة الناجين منهم ثلاثة عشر مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ه اى العريقين فى الاسلام الظاهر والباطن
لله تعالى من غير اعتراض اصلا وهم ابراهيم وآله عليهم السلام وانهم اوّل من وجد منهم الاسلام
الانتم ولتسموا به كما مرّ فى سورة البقرة وسموا به اتباعهم فكان هذا البيت الواحد مرادا قاعدة
الايمان الذى هو التصديق والاسلام الذى هو الانقياد قال البغوى وصفهم الله تعالى بالايمان
والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم يعنى لما بينهما من التلازم وان اختلف المفهومان
وقال الاصفهانى وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وقيل هم لوط وابنتاه وصفوا
بالايمان والاسلام اى هم مصدّقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات ه تنبيه ه فى الآية اشارة
الى انّ الكفر اذا غلب والفسق اذا فشا لا تنفع معه عبادة المؤمنين بخلاف ما لو كان اكثر الخلق على الطريقة
المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون ويزنون ومثاله انّ العالم كالبدن ووجود الصالحين كالاغذية
البارزة والحارة والسموم الواردة عليه الضارة ثم انّ البدن اذا خلا عن النافع وفيه الضار هلك
وان خلا عن الضار وفيه النافع طاب ونما وان وجدا فيه معا فالحكم للاغلب اطلاق الخاص على العام
لا مانع منه لانّ المسلم اعمّ من المؤمن فاذا سمى المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما
فكانه تعالى قال اخرجنا المؤمنين فما وجدنا الاعمّ منهم الا بيتا من المسلمين ويلزم من هذا ان لا يكون
هنالك غيرهم من المؤمنين وَتَرَكْنَا اى بما لنا من العظمة فِيهَآ اى تلك القرى بما اوقعنا بها من العذاب
ءَايَةً اى علامة عبرة على هلاكهم كالحجارة او الماء المنتن فانا قلعناها باهلها وصعدت فى الجوّ كالغمام
الى عنان السماء ولم يشعر احد من اهلها بشئ من ذلك ثم قلبت واتبعت بالحجارة ثم خسف بها وغمرت
بالماء الذى لا يشبهه شئ من مياه الارض كان جنابتهم لم تكن تشبه جنابة احد ممن تقدمهم من اهل الارض
لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ه اى ان يحل بهم كما حل بهذه القرى فى الدنيا من رفع الملائكة لهم فى الهواء
الى عنان السماء وقلبهم واتباعهم الحجارة المحرقة وغمرهم بالماء المناسب لفعلهم بنتنه وعدم نفعه
وما ادّخر لهم فى الآخرة اعظم وخص الذين يخافون بالذكر لانهم المعتبرون بها وقوله تعالى وَفِى مُوسَىٰٓ
عطف على قوله تعالى فيها باعادة الجار لانّ المعطوف عليه ضمير مجرور فيتعلق بتركنا من حيث
المعنى ويكون التقدير وتركنا فى قصة موسى آية إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ اى بما لنا من العظمة إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ه اى بحجة واضحة وهى معجزاته الظاهرة كاليد والعصا ومع ذلك لم ينتفع بها
ولذلك تسبب عنها وعقب بها قوله تعالى فَتَوَلَّىٰ اى كلف نفسه الاعراض عنها بعد ما دعا
عليها الى الاقبال اليها واشار الى قواه بقوله تعالى بِرُكْنِهِۦ اى بسبب ما يركن اليه
من القوة فى نفسه وباعوانه وجنوده لانهم له كالركن وقيل بجميع بدنه كناية
عن المبالغة فى الاعراض وَقَالَ معللا لتجبره عما اتاه به وهو لا يشعر سَٰحِرٌ ثم استأنف
كما [illegible] فقال بجهله عما يلزم على قوله أَوْ مَجْنُونٌ ه اى لاجترائه علىّ مع ما لى من عظيم الملك

مثل هذا الذي يدعو اليه تنبيه او هذا على بابها من الابهام على السامع او للشك نزل نفسه
مع انه يعرفه نبيا حقا منزلة الشاك في امره تمويها على قومه وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو وقال لانه
قد قالهما قال تعالى ان هذا الساحر عليم وقال في موضع اخر ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ورد
الناس عليه هذا وقالوا لا ضرورة تدعو الى ذلك واما الآيتان فلا تدلان على انه قالهما معا في ان واحد
وانما يفيدان انه قالهما اعم من ان يكونا معا او هذه في وقت وهذه في اخر ولما وقعت التسلية
بهذا للاولياء قال تعالى محققا للاعداء فاخذناه اي اخذ غضب وقهر بعظمتنا وقوله تعالى وجنوده
يجوز ان يكون معطوفا على مفعول اخذناه وهو الظاهر وان يكون مفعولا معه فنبذناهم اي طرحناهم
طرح مستحقر [illegible] كما تطرح الحصيات في اليم اي البحر الذي هو اهل لان يقصد بعد ان سلطنا
الريح عليه ففرقته لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه و[illegible] ارضه واليبست ما ابرزت فيه من الطرق
لنجاة اولياءنا وهلاك اعدائنا وهو اي والحال ان فرعون مليم اي ات بما يلام عليه من تكذيب الرسل
ودعوى الربوبية وغير ذلك ثم ذكر تعالى قصصا اخر تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم احدها قوله
تعالى وفي عاد اي اهلاكهم وهم قوم هود عليه السلام اية عظيمة اذ اي حين ارسلنا بعظمتنا
عليهم الريح فاتتهم على سحابة سوداء وهي تدمر الرحل وترمي بالحجارة كما مرت الاشارة اليه على كيفيته
لا تطاق العقيم اي التي لا خير فيها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور ثم بين عقمها واهلاكها بقوله
تعالى ما تذر اي تترك على حالة رديئة واغرق في النفي فقال تعالى من شيء اتت عليه اي اتيانا اراد
مرسلها اهلاكه بها الا جعلته كالرميم اي الشيء البالي الذي اهلكته الايام والليالي الى الحالة التي
وهي في كالرميم ما يبس من نبات الارض وديس قاله ابن جرير فان قيل الجبال والصخور وغير ذلك
اتت عليهم وما جعلتهم كالرميم اجيب بان المراد اتت عليه قاصدة له وهم عاد وابنيتهم وعروشهم
لانها كانت مامورة بامر من عند الله فكانها كانت قاصدة لهم فما تركت شيئا من تلك الاشياء
الا جعلته كالرميم ثانيها قوله تعالى وفي ثمود اي اهلاكهم وهم قوم صالح عليه السلام اية
عظيمة اذ اي حين قيل لهم اي ممن لا يخلف الميعاد وقرأ هشام والكسائي بضم القاف
والباقون بكسرها تمتعوا اي بلبن الناقة وتيسيره مما مكناهم فيه من الزروع والقصيل
والابنية في الجبال والسهول وغير ذلك من جلائل الامور على الوجه الذي امرناكم به و
لا تظلموها حتى حين اي وقت ضربناه اجلا لكم فعتوا اي اوقعوا بسبب احساننا اليهم العتو
وهو التكبر والاباء عن امر ربهم اي موليهم الذي اعظم احسانه اليهم فعقروا ناقته
وارادوا قتل نبيه صالح عليه السلام فاخذتهم اي بسبب عتوهم اخذ قهر وعذاب
الصاعقة اي الصيحة العظيمة التي حملتها الريح فاوصلتها الى اسماعهم بغاية العظمة ورجفت
ديارهم رجفة ازالت ارواحهم بالصعق وقرأ الكسائي باسكان العين ولا الف قبلها والباقون
بكسر العين وقبلها الف وقوله تعالى وهم ينظرون دال على انها كانت في غمام وكان فيها

ناد ويجوز مع كونه من النظر ان يكون ايضا من الانتظار فانهم وعدوا نزول العذاب بعد ثلاثة ايام
وجعل في كل يوم علامة وقعت بهم فتحققوا وقوعه في اليوم الرابع وقال بعض المفسرين المراد منه
هو ما امهلهم الله تعالى بعد عقرهم الناقة وهو ثلاثة ايام ويقول له تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
وكان في تلك الايام تتغير الوانهم فتحمر وتصفر وتسود قال الرازي وهذا ضعيف لان قوله تعالى فعتوا
عن امر ربهم بحرف الفاء دليل على ان العتو كان بعد قوله تعالى تمتعوا فالظاهر ان المراد هو ما قدره
الله تعالى للناس من الآجال فما من احد الا وهو ممهل مدة الاجل انتهى وحسن هذا اضربت الآية به
فما اي فتسبب عن ذلك انهم ما استطاعوا اي تمكنوا واكد النفي بقوله تعالى من قيام اي فما قاموا بعد
نزول العذاب وما قدروا على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة كقوله تعالى فاصبحوا في
ديارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا اي كونا ما منتصرين
اي لم يكن فيهم اهلية الانتصار بصاحبه لا بانفسهم ولا بناصر ينصرهم فيها وهو في القدرة لان تهيؤهم
لذلك سقط بكل اعتبار والثاني قوله تعالى وقوم نوح بالجر وهي قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي عطف
على ثمود اي وفي اهلاكهم بماء السماء والارض آية وبالنصب وهي قراءة الباقين اي واهلكنا
قوم نوح من قبل اي من قبل اهلاك هؤلاء المذكورين ثم علل اهلاكهم بقوله تعالى انهم كانوا
خلقا وطبعا لا جبلة لغيرها من اهل الاسباب في صلاحهم قوما اي اقوياء فاسقين اي غريقين
في الخروج عن طاعة الدين ثم ذكر ما يدل على تمام القدرة على البعث بقوله تعالى والسماء بنيناها اي
بما لنا من العظمة بأييد اي بقوة وشدة عظيمة لا يقدر قدرها فائدة رسمت بأييد بياءين بعد الالف
وانا على عظمتنا بعد ذلك لموسعون اي اغنياء وقادرون ذوو سعة لا تتناهى ولذلك اوسعنا بقدرتنا صح
وما فيها من الرزق عن اهلها فالارض كلها على اتساعها كالنقطة في وسط دائرة السماء بما اقتضته صفة
الالهية التي لا تقوم معها الشركة اصلا فلسنا كمن تعرفون من الملوك لانهم اذا فعلوا شيئا لم يقدروا على
اعظم منه وان قدروا كان ذلك منهم بكلفة ومشقة وسترون في اليوم الآخر ما يتلاشى ما ترون
في جنبه ومن اتساعنا جعلناها بلا عمد مع ما هي عليه من العظمة الى غير ذلك من الامور الخارقة للعوائد
وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة والارض فرشناها
اي بسطناها ومهدناها بما لنا من العظمة فصارت ممدة جديرة بان تستقر عليها الاشياء
وهي آية على تمهيد ارض الجنة وشققنا لانهارها وغرسنا لاشجارها فنعم اي فتسبب عن ذلك
ان يقال في وصفنا نعم الماهدون نحن والمخصوص بالمدح محذوف لفهم المعنى اي نحن لكمال
قدرتنا فما نزل من السماء شيء ولا نبع من الارض شيء الا بارادتنا واختيارنا وتقديرنا من الازل
لانا اذا صنعنا شيئا علمنا ما يكون منه من حين انشائه الى حين افنائه ولا يكون شيء
منه الا بتقديرنا وذلك تذكير بالجنة والنار فما فيهما من خير فهو آية على الجنة وما فيهما
من شر فهو آية على النار وقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا يجوز ان يتعلق بخلقنا اي خلقنا

من كل شيء خلقنا زوجين وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين لانه في الاصل صفة له اذ التقدير
خلقنا زوجين كائنين من كل شيء اي صنفين كل منهما يزاوج الآخر من وجه وان خالفه من آخر ولا يتم
نفع احدهما الا بالآخر من الحيوانات والنباتات وغيرهما ويدخل فيه الاضداد من الغنى والفقر والحسن والقبح والحياة
والموت والظلام والنور والليل والنهار والصحة والسقم والبر والبحر والسهل والجبل والشمس والقمر والحر والبرد
اللذين هما من نفس جوهر آية بينة عليها وبناؤها على الاعتدال في بعض الاحوال آية على الجنة مذكرة
بها مشوقة اليها والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر قال الحسن كل اثنين
منها زوج والله سبحانه وتعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء
وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعلموا ان خالق هذه الاشياء واحد لا شريك له
لا يعجزه حشر الاجساد وجمع الارواح وقرأ حفص والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد ففروا
اي اقبلوا والجؤا الى الله اي الذي لا سمي له فضلا عن مكافئ وله الكمال كله فهو في غاية العلو فلا يفر
ليسكن احد الى شيء يحتاج مثله فان المحتاج لا غنى عنده ولا يفر اليه سبحانه الا من تجرد عن حظيظ
عوائقه الجسمية الداعية صفاته الروحانية وذلك من وعيده الى وعده اللذين دل عليهما بالزوجين
فتحمل السياق بالتحذير والاستعطاف بالاستدعاء فهو من باب لا ملجأ منك الا اليك اعوذ بك منك
قال القشيري ومن صح فراره الى الله تعالى صح قراره مع الله تعالى قال البقاعي وهو بكمال المتابعة ليس غيرها
ومن فهم منه اتحادا بذات او صفة فقد نابذ طريق القوم فعليه لعنة الله اني لكم منه اي
لا من غيره نذير اي من ان يفر احد الى غيره فانه لا يحصل له مقصد مبين اي بين الانذار
ففرار العامة من الجهل الى العلم عقلا وسمعا ومن الكسل الى التشمر حذرا وحزما ومن الضيق
الى السعة ثقة ورجاء وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق الى الحق استغراقا في وحدانيته ولا تجعلوا
اي باهوائكم مع الله وكرر الاسم الاعظم ولم يضمر تعيينا للمراد لانه لم يشاركه
في التسمية به احد وتنبيها على ماله من صفات الكمال وتعميما لوجوه المقاصد لئلا يظن
لو قيل معه ان المراد النهي عن الجعل من جهة الفرار لا من جهة غيرها الها آخر ثم علل النهي
مع التأكيد لطعنهم في نذارته فقال اني لكم منه اي لا من غيره فان غيره لا يقدر على
شيء نذير اي محذر من العذاب الابدي بالعقوبة التي لا خلاص منها ان فعلتم ذلك مبين
اي لا اقول شيئا من واضح العقل الا ودليله ظاهر كذلك اي مثل قول قومك المختلف العظيم
الشناعة البعيد من الصواب بما له من الاضطراب وقع لمن قبلهم ودل على هذا
المقدر بقوله تعالى مستانفا ما اتى الذين من قبلهم اي كفار مكة وعمم النفي فقال تعالى
من رسول اي من عند الله تعالى الا قالوا ساحر او مجنون اي مثل تكذيبهم لك بقولهم
ذلك لان الرسول يأتيهم بمخالفة ما الفوا من الذي قاد نفوسهم اليها اهواءهم والهوى هي التي
اوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء اكان ذلك او التفصيل لان بعضهم قال واحد اي بعضهم

قال او كانت للشك لان الساحر يكون لبيبا فطنا آتيا بما يعجز عنه كثير من الناس والمجنون بالضد
من ذلك فان قيل قوله تعالى الا قالوا يدل على انهم كلهم قالوا ذلك والامر ليس كذلك لان
ما من رسول الا وآمن به قوم اجيب بان ذلك ليس بعام فانه لم يقل الا قالوا كلهم وانما قال الا قالوا
ولما كان كثير منهم قائلين قال تعالى الا قالوا فان قيل فلم لم يذكر المصدقين كما ذكر المكذبين
وقال الا قال بعضهم صدقت وبعضهم كذبت اجيب بان المقصود التسلية وهو اعلى التكذيب
فكانه تعالى قال لا تأس على تكذيب قومك فان اقواما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا ثم عجب منهم
بقوله تعالى أتواصوا به فهو استفهام للتعجب والتوبيخ والضمير في به يعود على القول المدلول
عليه بقالوا اي أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول المتضمن لساحر ومجنون والمعنى كيف
اتفقوا على معنى واحد كانهم تواطئوا عليه وأوصى اولهم آخرهم بالتكذيب وقوله تعالى بل هم قوم
اي ذو مشاحنة وكبر طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا
القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه ثم ان الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فتول
اي اعرض عنهم اي كلف نفسك الاعراض عن الابلاغ في ابلاغهم ولا تأسف على تخلفهم عن الاسلام فما انت
بملوم لانك بلغتهم الرسالة وما قصرت فيما امرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن النبي صلى
الله عليه وسلم واشتد ذلك على اصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله تعالى وذكر اي ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع
المؤمنين فطابت انفسهم والمعنى ليس التولي مطلقا بل تول واقبل واعرض وادع فلا التولي يضرك
اذا كان عليهم ولا التذكير يضيع اذا كان مع المؤمنين وقال مقاتل معناه عظ بالقرآن كفار مكة فان
الذكرى تنفع من علم الله تعالى انه يؤمن منهم وقال الكلبي عظ بالقرآن من قومك فان الذكرى تنفعهم
ولما بين حال من قبل النبي صلى الله عليه وسلم في التكذيب بين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله تعالى
الذي خلقهم للعبادة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واختلف في تفسير
ذلك فاكثر المفسرين على ان المراد بهم العموم ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لان الغاية
لا يلزم وجودها كما في قولك بريت هذا القلم لاكتب به فانك قد لا تكتب به هكذا قال الجلال
المحلي واوضح منه ما قاله ابن عادل ان المعنى الا معدين للعبادة ثم منهم من يتأتى منه ذلك ومنهم
من لا كقولك هذا القلم بريته للكتابة ثم قد لا تكتب به وقد تكتب انتهى وان المراد الا لامرهم
بالعبادة وليقروا بها وهذا منقول عن علي بن ابي طالب وان المراد ليطيعوا وينقادوا للقضاء فالمؤمن
يفعل ذلك طوعا والكافر يفعل ذلك كرها او ان المراد الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحده
اختيارا في الشدة والرخاء واما الكافر فيوحده اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء
وقال مجاهد معناه الا ليعرفون قال البغوي وهذا احسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده
وتوحيده دليله قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل المراد به الخصوص اي

ماخلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتي والاشقياء منهم الا لمعصيتي قال زيد بن اسلم قال
هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة ويؤيده قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
وقيل وما خلقت الجن والانس المؤمنين وقيل الطائعين * تنبيه * استدل المعتزلة بهذه الآية
على ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض واجيبوا بوجوه منها ان اللام قد ثبتت لغير الغرض كقوله
تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن ومعناه المقارنة فيكون معناه قرنت
الخلق بالعبادة اي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة ومنها قوله تعالى الله خالق كل شيء ومنها ما يدل على ان
الاضلال بفعل الله كقوله تعالى يضل من يشاء وامثاله ومنها قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وقوله تعالى يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد فان قيل ما الحكمة في انه لم يذكر الملائكة مع انهم من اصناف المكلفين وعبادتهم اكثر
من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل عباد مكرمون وقال تعالى لا يستكبرون عن عبادته اجيب
بوجوه احدها ان الآية سيقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالجن
والانس لان الكفر موجود فيهما دون الملائكة ثانيها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى
الجن والانس فلما قال تعالى وذكر بين ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة وخصص امته بالذكرى ذكر
الجن والانس ثالثها ان عباد الاصنام كانوا يقولون ان الله تعالى عظيم الشان خلق الملائكة وجعلهم
مقربين فهم يعبدون الله تعالى وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله تعالى فنعبد
الملائكة وهم يعبدون الله تعالى كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون ولم يذكر الملائكة لان الامر فيهم كان مسلما من القوم فذكر المتنازع فيه
رابعها فعل الجن يتناول الملائكة لان اصل الجن من الاستتار وهم مستترون عن الخلق فذكر الجن
لدخول الملائكة فيهم * ولما خص سبحانه خلقهم في ارادة العبادة صرح بنفي المفهوم بقوله تعالى
ما اريد منهم اي في وقت من الاوقات وعمم في النفي بقوله تعالى من رزق اي شيء من
الاشياء على وجه ينفعني من جلب ودفع لاني منزه عن لحاق نفع او ضر كما يفعل غيري من
الموالي مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم
وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليبغي ربحا او مرتب في فلاحة ليغتل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع
باجرته او محتطب ومحتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي
هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق لاني الغني المطلق وكل شيء مفتقر الي وما اريد
تنزلا
اصلا ان يطعمون اي ان يرزقون رزقا خاصا هو الاطعام وفيه تعريض باصنامهم فانهم
يحملون معها ما ينفعها ويحضرون لها المأكل فربما اكلتها الكلاب ثم بالت على الاصنام
ثم لا يصدهم ذلك عن عبادتها وقيل في الآية حذف مضاف اي وما اريد ان يطعموا احدا
من خلقي وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن اطعم عيال الله
فقد اطعمه كما صح في الحديث عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول
يقول

يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما تعلم انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي فان قيل ما الفائدة في تكرير الارادتين مع ان من لا يريد من احد رزقا لا يريد ان يطعمه اجيب بان السيد قد يطلب من العبد المكتسب له الرزق وقد يكون للسيد مال وافر يستغني به عن التكسب لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه واحضار الطعام بين يديه فقال لا اريد ذلك ولا هذا او قدم طلب الرزق على طلب الاطعام من باب الارتقاء من الادنى الى الاعلى فان قيل ما فائدة تخصيص الاطعام بالذكر مع ان المراد عدم طلب فعل منهم غير التعظيم اجيب بانه لما عمم النفي في الطلب الاول بقوله تعالى من رزق وذلك اشارة الى التعميم فذكر الاطعام ونفى الادنى ليتبعه نفي الاعلى بطريق الاولى فكانه قال ما اريد منهم من غنى ولا عمل فان قيل الطالب لا ينحصر فيما ذكره فان السيد قد يشتري العبد لا لطلب رزق منه ولا التعظيم بل ليشتريه للتجارة اجيب بان العموم في قوله تعالى ما اريد منهم من رزق تقريبا ولذلك تمم بين تعالى انه الرزاق لا غيره بقوله عز من قائل ان الله اي المحيط بجميع صفات الكمال المنزه عن جميع صفات النقص هو اي لا غيره الرزاق اي على سبيل التكرار لكل حي في كل وقت ذو القوة اي التي لا تزول بوجه المتين اي الشديد الدائم فان قيل لو لم يقل اني انا بل قال على الحكاية عن الغائب ان الله هو الرزاق فالحكمة اجيب بان المعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق او يكون من باب الالتفات من التكلم الى الغيبة او يكون قل مضمرا عند قوله تعالى ما اريد منهم من رزق ولم يقل القوي بل قال ذو القوة لان المقصود تقرير ما تقدم من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير وقيد بالمتين لان ذو القوة لا يدل الا على ان له قوة ما فزاد في الوصف المتانة وهو الذي له ثبات لا يتزلزل والمعنى في وصفه سبحانه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء ولما اقسم سبحانه على الصدق في وعيدهم الى ان ختم بقوته التي لا حد لها سبب عن ذلك ايقاعه بما استوعدهم فقال تعالى مؤكدا لاجل انكارهم فان للذين ظلموا اي اوقعوا الاشياء في غير مواقعها ذنوبا اي نصيبا من العذاب طويل الشر كانه من طوله صاحب ذنب مثل ذنوب اصحابهم اي الذين تقدم ظلمهم بتكذيب الرسل من قوم نوح وعاد وثمود والذنوب في الاصل الدلو العظيمة المملوة ماء وفي الحديث فاتي بذنوب من ماء فان لم تكن ملأى فهي دلو ثم عبر به عن النصيب قال عمرو بن شاس

* وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من نداك ذنوب *

قال الملك نعم واذنبة قال الزمخشري وهذا تمثيل اصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا آخر قال الشاعر

لكم ذنوب ولنا ذنوب ۔ فان ابيتم فلنا القليب

وقال الراغب الذنوب الدلو الذى له ذنب انتهى فراعى الاشتقاق والذنوب ايضا الفرس الطويل
الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم اسفل المتن ويقال يوم ذنوب اى طويل الشر استعارة
من ذلك ويجمع فى القلة على اذنبة وفى الكثرة على ذنائب فلا يستعجلون اى تطلبوا ان اتيكم به قبل
اوانه الاحق به فان ذلك لا يفعله الا ناقص وانا متعال عن ذلك لا اخاف الفوت ولا يلحقنى عجز
ولا اوصف به ولا بد ان اوقعه بهم فى الوقت الذى قضيت به فى الازل فانه احق الاوقات
بعقابهم لتكامل ذنوبهم فويل اى شدة عذاب للذين كفروا اى ستروا ما ظهر من هذه الادلة
التى لا يسع عاقلا انكارها من يومهم الذى يوعدون اضافه اليهم لانه خاص بهم دون المؤمنين وهو
يوم القيامة وقيل يوم بدر وحذف العائد لاستكمال شروطه اى يوعدونه وقرأ حمزة والكسائى
فى الوصل بضم الهاء والميم وابو عمرو بكسر الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم واما الوقف عليها
فالجميع بكسر الهاء وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والذاريات
اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا حديث موضوع والله اعلم

سورة الطور مكية

وهى تسع واربعون اية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة والف وخمسمائة حرف

بسم الله الملك الاعظم ذى الملك والملكوت الرحمن الذى عم خلقه بالرحموت الرحيم الحى الذى لا يموت وقوله
تعالى والطور وما بعده اقسام جوابها ان عذاب ربك لواقع والواوات التى
بعد الاولى عواطف لا حروف قسم كما قاله الخليل والطور هو الجبل الذى كلم الله
عليه موسى عليه السلام وهو بمدين اقسم الله تعالى به وقيل هو الجبل الذى قال الله تعالى
وطور سينين وقيل هو اسم جنس ۔ تنبيه ۔ مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح
بالقسم وبيان الحشر فيهما والمراد بالكتاب فى قوله تعالى وكتاب مسطور اى متفق الكتابة
بسطور مصفوفة فى حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة هو كتاب موسى عليه السلام وهو
التوراة وقيل القران وقيل اللوح المحفوظ وقيل صحائف اعمال الخلق قال تعالى ونخرج له يوم
القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى فى رق متعلق بمسطور اى مكتوب فى رق والرق الجلد
الرقيق يكتب فيه وقال الراغب الرق ما يكتب فيه شبه الكاغد انتهى فهو اعم من كونه جلدا وغيره
منشور اى مبسوط معد للقراءة وقوله تعالى والبيت المعمور مختلف فى مكانه فقيل
فى السماء العليا تحت العرش وقيل فى السماء الثالثة وقيل فى السماء السادسة وعلى كل قول هو
بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض يدخله كل يوم سبعون
الف ملك يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه ابدا ووصفه بالعمارة باعتبار الطائفين به من
الملائكة وقيل هو بيت الله الحرام لكونه معمورا بالحجاج والعمار والمجاورين ولما ذكر سبحانه وتعالى الله

في البيت المعمور لتعريف الجنس كان تعالى قسم بالبيوت المعمورة والعمائر المشهورة وقوله تعالى
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝ مختلف فيه ايضا فالاكثر على انه السماء كما قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا
وقيل المراد به سقف الكعبة وقيل سقف الجنة وهو العرش ونقل عن ابن عباس وقوله تعالى
وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ من الاضداد يقال بحر مسجور اى فارغ وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس انه قال
خرجت امة لتستقي فقالت ان الحوض مسجور اى فارغ ويؤيد هذا ان البحار يذهب ماؤها يوم
القيامة وقيل المسجور المسلوك ومنه ساجور الكلب لانه يمسكه ويحبسه وقال محمد بن كعب القرظي
يعني بالمسجور الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس لما روى انه تعالى يجعل البحار كلها
يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت وعن علي انه سأل يهوديا اين موضع
النار في كتابكم قال في البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور وعن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يركبن البحر الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا
وقال الربيع بن انس المختلط العذب بالملح وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي انه قال البحر المسجور
هو بحر تحت العرش عمره كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر
العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وهذا قول مقاتل فان قيل ما الحكمة
في القسم بهذه الثلاثة اشياء اجيب بان هذه الاماكن الثلاثة وهي الطور والبيت المعمور والبحر المسجور
كانت لثلاثة انبياء للخلوة بربهم والخلاص من الخلق وخطابهم مع الله تعالى اما الطور فانتقل اليه موسى
عليه السلام وخاطب الله سبحانه وتعالى هنالك واما البيت المعمور فانتقل اليه محمد صلى الله
عليه وسلم وقال لربه سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
واما البحر المسجور فانتقل اليه يونس عليه السلام ونادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين فصارت هذه الاماكن شريفة بهذه الاسباب فاقسم الله تعالى
بها واما ذكر الكتاب فلان الانبياء كان لهم مع الله تعالى في هذه الاماكن كلام والكلام في الكتاب
تنبيه اقسم الله تعالى في بعض السور بجموع كقوله تعالى والذاريات والمرسلات
والنازعات وفي بعضها بافراد كقوله تعالى والطور ولم يقل والاطوار والاجبال قال الرازي والحكمة
فيه ان في اكثر الجموع اقسم عليها بالمتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة بل هي متبدلة
بافرادها مستمرة بانواعها والمقصود منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال والذاريات اشارة
الى النوع المستمر لا الى الفرد المعين المستقر واما الجبل فهو ثابت غير متغير عادة فالواحد من الجبال
دائم زمانا ودهرا فاقسم في ذلك بالواحد وكذلك في قوله تعالى والنجم ولو قال والريح لما علم
المقسم به وفي الطور علم وقوله تعالى اِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ اي الذي تولى تربيتك لَوَاقِعٌ ۝ اي ثابت
نازل بمستحقه جواب القسم كما مر مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝ اي مانع لانه لا شريك له يمنعه
لما دلت عليه هذه الاقسام من كمال القدرة وجلال الحكمة قال جبير

ابن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعت اليه وهو
يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع
ماله من دافع فكانما صدع قلبي حين سمعته ولم اكن اسلمت يومئذ فاسلمت خوفا من العذاب
وما كنت اظن اني اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين تعالى انه متى يقع بقوله تعالى يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
اي تتحرك وتضطرب وتجيء وتذهب وتدور وترد دوران الرحى وموج بعضها في بعض وتتكفأ باهلها تكفأ السفينة
وتختلف اجزاؤها بعضها في بعض قال البغوي والمور يجمع هذه المعاني وهو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد
والدوران والاضطراب قال الرازي وقيل تجيء وتذهب كالدخان ثم تضمحل مَوْرًا اي اضطرابا شديدا وَتَسِيرُ
الْجِبَالُ اي تنتقل من اماكنها انتقال السحاب وحقق معناه بقوله تعالى سَيْرًا فتصير هباء منثورا وتكون
الارض قاعا صفصفا ثم بين من يقع عليه العذاب بقوله تعالى فَوَيْلٌ اي شدة عذاب يَوْمَئِذٍ اي يوم اذ يكون
ما تقدم ذكره لِلْمُكَذِّبِينَ اي العريقين في التكذيب للرسل الَّذِينَ هُمْ من بين الناس بظواهرهم
وبواطنهم فِي خَوْضٍ اي اقوالهم وافعالهم افعال الخائض في الماء فهو لا يدري اين يضع رجله يَلْعَبُونَ اي وتغفلهم
فاجتمع عليهم امران موجبان للباطل الخوض واللعب فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول ولا فعل في موضعه
فلا يؤسس على بيان او حجة فان قيل اهل الكبائر لا يكذبون فيقتضي ذلك انهم لا يعذبون اجيب
بان ذلك العذاب لا يقع على اهل الكبائر لقوله تعالى كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا فالمؤمن لا يلقى فيها القاء هوان وانما يدخل فيها للتطهير ادخالا مع نوع اكرام فالويل
انما هو للمكذبين وقوله تعالى يَوْمَ يُدَعُّونَ بدل من يوم تمور السماء او من يومئذ قبله تقديره فويل
يومئذ يوم يدعون اي يدفعون دفعا عنيفا بجفوة وغلظة من كل من يقيمه الله تعالى لذلك ذاهبين
ومنتهين إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ وهي الطبقة التي تلقاهم بالعبوسة والكراهة واكد المعنى وحققه
بقوله تعالى دَعًّا قال البغوي وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون
نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعون دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم ويقولون لهم تبكيتا وتوبيخا
هَذِهِ النَّارُ اي الجسم المحرق المفسد لما اتى عليه الشاغل عن اللعب الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا في الدنيا
تُكَذِّبُونَ على التجدد والاستمرار وقوله تعالى أَفَسِحْرٌ خبر مقدم وقوله تعالى هَذَا
هو المبتدأ وقدم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا
صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطي الابصار بالسحر وان انشقاق القمر وامثاله سحر
فوبخوا به وقيل لهم افسحر هذا اي الذي انتم فيه من العذاب مع هذا الاحراق الذي تصلون
منه أَمْ أَنْتُمْ في منام او نحوه لَا تُبْصِرُونَ بالقلوب كما كنتم تقولون في الدنيا قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه كما كنتم تقولون للمنذر بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون
اصْلَوْهَا اي اذا لم يمكنكم انكارها وتحققتم انه ليس بسحر ولا خلل في ابصاركم فقاسوا
شدائدها فَاصْبِرُوا على هذا الذي لا طاقة لكم به أَوْ لَا تَصْبِرُوا فانه لا محيص لكم عنه سَوَاءٌ

عليكم أي الصبر والجزع فإن صبركم لا ينفعكم وقوله تعالى إنما تجزون ما كنتم تعملون ٥ تعليل
للاستواء فإنه لما كان الجزاء واجباً كان الصبر وعدمه سيين في عدم النفع ولما ذكر ما للمكذبين من العذاب
اتبعه ما لاضدادهم من الثواب فقال تعالى إن المتقين أي الذين صارت التقوى لهم صفة راسخة
في جنات أي بساتين ابية بساتين دائماً في الدنيا حكماً وفي الآخرة حقيقة ونعيم أي نعيم في العاجل بجني
بما هم فيه من الانس وفي الآجل بالفعل وزاد في تحقيق التنعم بقوله تعالى فاكهين أي متلذذين معجبين
ناعمين بما آتاهم أي أعطاهم ربهم الذي تولى تربيتهم بعملهم بالطاعات الآن أو صلهم إلى هذا
النعيم ووقاهم أي قبل ذلك ربهم أي المتفضل بتربيتهم بكفهم عن المعاصي والقاذورات
عذاب الجحيم ٥ أي النار الشديدة التوقد ولما كان من باشر النعمة وجانب النقمة في غنى عظيم قال
مترجماً لذلك على تقدير القول كلوا أي أكلاً هنيئاً واشربوا أي شرباً هنيئاً وهو الذي لا تنغيص فيه فكل
ما تشتهونه مأمون العاقبة من التخم والسقم وغيرهما بما أي بسبب ما كنتم أي كوناً راسخاً
تعملون ٥ أي تجددون العمل على سبيل الاستمرار حتى كأنه طبع لكم ثم نبه على أنهم مع هذا النعيم مخدومون
بقوله تعالى متكئين أي مستندين استناد راحة لأنهم مخدومون فلا حاجة لهم إلى الحركة على سرر مصفوفة
أي منصوبة واحداً إلى جنب واحد مستوية كأنها السطور على أحسن نظام وأبلغه ثم نبه على تمام
سرورهم بالتمتع بالنساء بقوله تعالى وزوجناهم أي تزويجاً يليق بما لنا من العظمة أي صيرناهم متمتعين
بحور أي نساء هن في شدة بياض العين وسوادها واستدارة حدقتها ورقة جفونها في غاية حسن
لا توصف عين ٥ أي واسعات الأعين في رونق وحسن * تنبيه * اعلم أنه تعالى بين أسباب التنعم
على الترتيب فأول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الأكل والشرب ثم الفرش والبسط ثم الأزواج فهذه
أمور أربعة ذكرها الله تعالى على الترتيب وذكر في كل واحد منها ما يدل على كماله فقوله جنات إشارة إلى المسكن
وقال فاكهين إشارة إلى عدم التنغيص وعلو المرتبة لكونه مما آتاهم الله وقال كلوا واشربوا هنيئاً
أي مأمون العاقبة وترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تنوعهما وكثرتهما وقوله تعالى بما كنتم
تعملون إشارة إلى أنه تعالى يقول إني مع كوني ربكم وخالقكم وأدخلتكم الجنة بفضلي فلا منة لي عليكم اليوم
وإنما منتي عليكم كانت في الدنيا هديتكم ووفقتكم للأعمال الصالحة كما قال تعالى بل الله يمن عليكم أن
هداكم للإيمان وأما اليوم فلا منة عليكم لأن هذا إنجاز الوعد وقوله تعالى والذين آمنوا
أي أقروا بالإيمان وإن لم يبلغوا في الأعمال الصالحة مبتدأ وقرأ أبو عمرو واتبعناهم أي بما لنا
من الفضل الناشئ عن العظمة بقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية وسكون العين وبعد
العين نون مفتوحة وبعدها ألف والباقون بهمزة وصل محذوفة وتشديد التاء الفوقية وفتح العين
وبعدها تاء فوقية ساكنة وهو معطوف على آمنوا ذريتهم أي الصغار والكبار فالكبار
بإيمانهم بأنفسهم والصغار بإيمان آبائهم فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد أبويه
بإيمان أي بسبب إيمان حاصل منهم ولو كان في أدنى درجات الإيمان ولكنهم ثبتوا عليه إلى

ازماتوا وذلك شرط اتباعهم الذريات قال البقاعي ويجوز ان يراد وهو اقرب بسبب ايمان
الذرية حقيقة ان كانوا كبارا وحكما ان كانوا صغارا ثم اخبر عن الموصول المبتدأ بقوله تعالى
ألحقنا بهم تفضلا منا عليهم ذريتهم وان لم يكن للذرية اعمال لهم لتقر بهم
اعينهم وتكريمهم والذريات هنا تصدق على الآباء وعلى الابناء وان المؤمن اذا كان عمله
اكثر الحق به من دونه في العمل ابنا كان او ابا وهو منقول عن ابن عباس وغيره ويلحق بالذرية من النسب
الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها اخذ لعلم او عمل كانت اجدر فتكون ذرية الافادة
كذرية الولادة وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب في جواب من سأل عمن يحب القوم
ولما يلحق بهم وقرأ ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم نافع بالقصر في الاولى والجمع في الثانية مع كسر التاء
وقرأ ابن كثير والكوفيون بالقصر فيهما مع ضم التاء وقرأ ابو عمرو بالجمع فيهما مع كسر التاء وقرأ ابن عامر
بالجمع فيهما الا انه يرفع التاء في الاول ويكسرها في الثانية فان قيل قوله تعالى اتبعتهم ذرياتهم يفيد
فائدة قوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم اجيب بان قوله تعالى ألحقنا بهم اي في الدرجات والاتباع انما هو في
حكم الايمان وان لم يبلغوه كما مر ثم اشار الى عدم نقصان المتبوع بقوله تعالى وما ألتناهم اي ما نقصنا
المتبوعين من عملهم واكد النفي بقوله تعالى من شيء اي بسبب هذا الالحاق ولما بين تعالى اتباع الادنى للاعلى
في الخير بين ان الادنى لا يتبع الاعلى في الشر بقوله تعالى كل امرئ من الذين آمنوا والمتقين وغيرهم
بما كسب اي عمل من خير او شر رهين اي مرهون يؤخذ بالشر ويجازى بالخير وقال مقاتل كل
امرئ كافر بما عمل من الشرك رهين في النار والمؤمن لا يكون مرهونا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت
رهينة الا اصحاب اليمين وقال الواحدي هذا يعود الى ذكر اهل النار وهو قول مجاهد ايضا قال الرازي
وفيه وجه آخر وهو ان يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرئ راهن اي دائم ان احسن
ففي الجنة مؤبدا وان اساء ففي النار مخلدا لان في الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان العرض
لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الآخرة دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله تعالى
يبقي اعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقي يبقى مع
عمله وأمددناهم اي الذين آمنوا والمتقين ومن الحق بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة
بفاكهة وقتا بعد وقت زيادة على ما تقدم ولما كانت الفاكهة ظاهرة فيما نعرفه في الدنيا وان
كان عيش الجنة بجميع الاشياء تفكها ليس فيه شيء يقصد به حفظ البدن قال تعالى ولحم
مما يشتهون من انواع اللحمان والمعنى زدناهم مأكولا ومشروبا فالمأكول الفاكهة واللحم
والمشروب الكأس وفي هذه لطيفة وهو انه تعالى لما قال وما ألتناهم من عملهم من شيء ونفي
النقصان يصدق بحصول المساوي فقال ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوي بل بالزيادة
والامداد وقوله تعالى يتنازعون فيها في موضع نصب على الحال من مفعول امددناهم ويجوز
ان يكون مستأنفا وقوله تعالى فيها يجوز ان يعود الضمير للشرب ويجوز ان يعود للجنة

ومعنى يتنازعون يتعاطون ويحتمل ان يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة لانهم يفعلون ذلك هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا اى خمرا من رقة سماها باسم محلها تكاد ان لا ترى في كاسها لا لغو اى لا سقط حديث وهو ما لا ينفع من الكلام ولا يضر فيها اى في تنازعها ولا بسببها لانها لا تذهب بعقولهم فلا يتكلمون الا بالحسن الجميل بخلاف المتنادمين في الدنيا على الشراب بسفههم وعربدتهم ولا تاثيم اى لا يكون منهم ما يؤثمهم وقال الزجاج لا يجرى منهم ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجرى في الدنيا لشربة الخمر قال الرازى ويحتمل ان يكون المراد من التاثيم السكر وقيل لا ياثمون في شربها وقرا ابن كثير وابو عمرو بنصب لغو وتاثيم من غير تنوين والباقون بالرفع فيهما مع التنوين ولما كانت المعاطاة لا يكمل بسطها ويعظم انسها الا بخدم وسقاة قال تعالى ويطوف عليهم بالكؤس وغيرها من انواع التحف غلمان لهم اى ارقاء ولما كان احب مال الى الانسان ما يختص به قال تعالى لهم ولم يقل تعالى غلمانهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم احدا في الدنيا بقول او فعل ان يكون خادما في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا وافاد التنكير ان كل من دخل الجنة وجد له خدما لم يعرفهم قبل ذلك كانهم في بياضهم وشدة صفائهم لؤلؤ مكنون اى مخزون مصون لم تمسه الايدى قال سعيد بن جبير يعنى في الصدف لانه فيها احسن منه في غيره او مصون في الجنة لم تغيره العوارض قال عبد الله بن عمر ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه هذه صفة الخادم واما المخدوم فروى عن الحسن انه لما تلا هذه الآية قال يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك وضرا السوسى وشعبة لولوا بالبدل والباقون بالهمز واقبل بعضهم لما ازدهاهم من السرور واللذة والحبور على بعض يتساءلون اى يسال بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا قالوا اى قال كل منهم انا كنا قبل اى في دار العمل في اهلنا على ما لهم من العدد والعدة والسعة وبنا بهم من حوائج اللذة والدواعى الى اللعب مشفقين اى عريقين في الخوف من الله تعالى لا يلهينا عنه شئ معرض ومن لما نقدر عليه من طاعته لعلمنا بانا لا نقدره لما له من العظمة والجلال والكبرياء والكمال حق قدره والمعنى انهم يسالون عن سبب ما وصلوا اليه تلذذا واعترافا بالنعمة فيقولون ذلك خشية الله تعالى اى كنا نخاف الله تعالى فمن الله الذى له جميع الكمال بسبب اشفاقنا منه علينا بالرحمة والتوفيق ووقينا اى وجنبنا بما ستر نا به عذاب السموم قال الكلبى عذاب النار وقال الحسن السموم من اسماء جهنم والسموم في الاصل الريح الحارة التى تتخلل المسام والجمع سمائم يقال سم يومنا اى اشتد حره وقال ثعلب السموم شدة الحر او شدة البرد في النهار وقال ابو عبيدة

السموم بالنهار وقد تكون بالليل والحرور بالليل وقد تكون بالنهار ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ اي بما طبعنا عليه وهيئنا له ﴿مِن قَبْلُ﴾ اي في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ اي نسأله ونعبده بالفعل واما خوفنا بالقوة فقد كان في كل حركة وسكون ثم علل دعاءهم اياه مؤكدين لان انعامه عليهم مع تقصيرهم مما لا يكاد يفعله غيره فهو مما يتعجب منه غاية التعجب بقولهم ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾ اي وحده وقرأ نافع والكسائي بفتح الهمزة والباقون بكسرها ﴿الْبَرُّ﴾ اي الواسع الجود الذي عطاؤه حكمة ومنعه رحمة لانه لا ينقصه اعطاء ولا يزيده منع فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فربما بره بالنعمة وربما بره بالبؤس فهو يختار له من الاحوال ما هو خير له ليوسع له البر في العقبى فعلى المؤمن ان لا يتهم ربه في شيء من قضائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ اي المكرم لمن اراد من عباده باقامته فيما يرضاه من طاعته ثم بافضاله عليه وان قصر في خدمته ولما بين تعالى ان في الوجود قوما يخافون الله تعالى ويشفقون في اهليهم والنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بتذكير من يخاف الله تعالى لقوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فوجب التذكير فلذلك قال تعالى ﴿فَذَكِّرْ﴾ اي عظ باشرف الخلق بالقرآن ودم على ذلك ولا ترجع عنه لقول المشركين لك كاهن ومجنون ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ اي بسبب ما انعم به عليك المحسن اليك من هذا الناموس الاعظم بعد ما هيأك له بما هيأك به من رجاحة العقل وعلو الهمة وكرم الفعال وجود الكف وطهارة الاخلاق وجعلك اشرف الناس عنصرا واكملهم نفسا وازكاهم خلقا وهم معترفون لك بذلك قبل النبوة واكد النفي بقوله تعالى ﴿بِكَاهِنٍ﴾ اي تقول كلاما مع كونه سجعا متكلفا اكثره فارغ وتحكم على المغيبات من غير وحي ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ اي تقول كلاما لا انتظام له مع الاخبار ببعض المغيبات فلا يفترك قولهم هذا عن التذكير فانه قول باطل لا تلحقك به معرة اصلا وعما قليل يكون عيبا لهم لا يغسله عنهم الا اتباعهم لك فمن اتبعك منهم غسل عاره ومن استمر على عناده استمر تبابه وخساره

* تنبيه * نزلت هذه الآية في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون والشعر ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ اي هؤلاء المقتسمون ﴿شَاعِرٌ﴾ اي هو شاعر قال الثعلبي قال الخليل كل ما في سورة والطور من ام فاستفهام وليس بعطف وقال ابو البقاء ام في هذه الآيات منقطعة وتقدم الخلاف في المنقطعة هل تقدر ببل وحدها او ببل والهمزة او بالهمزة وحدها والصحيح الثاني وقال مجاهد في قوله تعالى ام تأمرهم تقديره بل تأمرهم ﴿نَّتَرَبَّصُ﴾ اي ننتظر ﴿بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ اي حوادث الدهر وتقلبات الزمان لانها لا تدوم على حال كالريب وهو الشك فانه لا يبقى بل هو متزلزل قال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها * تطلق يوما او يموت حليلها

* وقال ابو ذئب *

امن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

والمنون في الاصل الدهر وقال الراغب المنون المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد والمعنى بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين شاعر نتربص به ريب المنون حوادث الدهر

وصروف ذلك ان العرب كانت تحترز عن ايذاء الشعراء فان الشعر كان عندهم يحفظ ويدوّن فقالوا
لا نعارضه فى الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانما نصبر ونتربص موته ويهلك كما هلك من قبله
من الشعراء وتتفرق اصحابه فان اباه مات شابا ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه والمنون يكون بمعنى الدهر و
بمعنى الموت سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل ثم انه تعالى امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله قل
اى لهؤلاء البعداء تربصوا اى انتظروا بى الموت ولم يتحرج على محاججتهم فى قولهم هذا تنبيها على انه من السقوط
بمنزلة ما لا يحتاج معه الى رد ومجادلة ثم سبب عن امره لهم بالتربص قوله فانى معكم من المتربصين
اى العريقين فى التربص ان تنتظروا خلاف ذلك واكده تنبيها على انه يرجو الفرج بمصيبتهم كما يرجون الفرج
بمصيبته واشار بالمعية الى انه مساو لهم فى ذلك وان ظن الكثرتهم وقوتهم ووحدته وضعفه ان الامر
بخلاف ذلك قال القشيرى جاء فى التفسير ان جميعهم اى الذين تربصوا به ماتوا قال ولا ينبغى لاحد
ان يؤمل نفاق سوقه بموت احد لتنتهى النوبة اليه فقل من تكون هذه صفاته الا وسبقته المنية و
لا يدرك ما تمناه من الامنية فان قيل هذا امر للنبى صلى الله عليه وسلم ولفظ الامر يوجب المأمور به
او يبيحه ويجيزه وتربصهم كان حراما اجيب بان ذلك ليس بامر وانما هو تهديد اى تربصوا ذلك
فانى متربص هلاككم كقول الغضبان لعبده افعل ما شئت فانى لست عنك بغافل ام تأمرهم
اى تزين لهم تزيينا يصير ما لهم اليه من الانبعاث كالامر احلامهم اى عقولهم التى يزعمون انهم
اختصوا بجودتها دون الناس بحيث انه كان يقال فيهم اولو الاحلام والنهى فازرى الله تعالى بعقولهم
حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل وذلك ان الاشياء لا يعبأ بها الا ان تزينت بعقل ونقل فقال
هل وردا من سمع او من عقل لهم تأمرهم بهذا اى قولهم له ساحر كاهن مجنون وقيل الى عبادة الاوثان وقيل
الى التربص اى لا تأمرهم بذلك ام اى بل هم بظواهرهم وبواطنهم قوم ذوو قوة على ما يحاولونه منهم لذا
طاغون اى مفترون ويقولون ما لا دليل عليه سمعا ولا مقتضى له عقلا والطغيان مجاوزة الحد
فى العصيان وكذلك كل شئ مكروه ظاهر قال تعالى لما طغى الماء تنبيه اعلم ان قوله تعالى
ام تأمرهم متصل بتقديره انزل عليهم ذكر ام تأمرهم احلامهم بهذا وفى هذه الآية
اشارة الى ان كل ما لا يكون على وفق العقل لا ينبغى ان يقال وانما ينبغى ان يقال ما يجب قوله
عقلا والاحلام جمع حلم وهو العقل فهما من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط المرء
فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك من مكانه والحلم من الاحتلام وهو ايضا سبب وقار المرء
وثباته لان الحلم فى اصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزم الغسل الذى هو سبب للبلوغ وعنده يصير
الانسان مكلفا فالله تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة يكمل
العقل ويكلف صاحبه فاشار تعالى الى العقل بالاشارة الى ما يقارنه وهو الحلم ليعلم انه يريد به
كمال العقل ام يقولون اى مع هذا الفحش عارا من التناقض تقوّله اى تكلف قوله من عند نفسه
كذبا وليس بشعر ولا كهانة ولا جنون وهم على كثرتهم والمامهم بعضهم بالعلم وعراقة اكثرهم

في الشعر والخطب والترسل والسجع يعجزوا عن مثله بل عن مثل شيء منه * تنبيه * التقول تكلف القول
ولا يستعمل الا في الكذب وهذا ايضا متصل بقوله تعالى ام يقولون شاعر تقديره ام يقولون شاعر
ام يقولون تقوله والمعنى ليس الامر كما زعموا بل لا يؤمنون جحودا بالقرآن استكبارا ثم الزمهم الحجة
وابطل جميع الاقسام فقال عز من قائل فليأتوا اي على اي تقدير اراده بحديث اي كلام مفرق
مجدد اتيانه مع الازمان مثله اي القرآن في البلاغة وصحة المعاني والاخبار بالمغيبات مما كان ان يكون
على ما هي عليه لا نكلفهم ان يأتوا به جملة فان قيل الصفة تتبع الموصوف في التعريف والتنكير
والموصوف هنا حديث وهو منكر ومثله مضاف الى القرآن والمضاف الى القرآن معرف فكيف هذا
* اجيب * بان مثلا وغيرا لا يتعرفان بالاضافة وذلك ان غيرا ومثلا وامثالهما في غاية التنكير لانك اذا قلت
مثل زيد يتناول كل شيء فان كل شيء مثل زيد في شيء فالحمار مثله في الجسم والحجم والامكان والنبات
مثله في النمو والنشوء والذبول والفناء والحيوان مثله في الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف
واما غير فهو عند الاضافة ينكر وعند قطع الاضافة ربما يتعرف فانك اذا قلت غير زيد صار في غاية
الابهام فانه يتناول امورا لا حصر لها واما اذا قطعت غيرا عن الاضافة فربما يكون الغير والمغايرة من
باب واحد وكذلك التغير فتجعل الغير كاسماء الاجناس وتجعله مبتدأ وتريد به معنى معينا * تنبيه *
قالت المعتزلة الحديث محدث والقرآن سماه حديثا فيكون محدثا واجيبوا بان الحديث اسم مشترك
يقال للمحدث والمنقول ولهذا يصح ان يقال هذا حديث قديم اي متقادم العهد لا بمعنى سلب الاولية
وذلك لا نزاع فيه وقال بعض العلماء وهذا امر تعجيز قال الرازي والظاهر ان الامر هنا على حقيقته لانه
لم يقل ائتوا مطلقا بل قال تعالى ان كانوا اي كونا هم راسخون فيه صادقين اي في انه تقوله من عند
نفسه كما يزعمون فهو امر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به وامر التعجيز كقوله
تعالى فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وفي هذا التنبيه عليهم سواء
ادعوا انه مجنون ام شاعر ام كاهن ام غير ذلك لان العادة تحيل ان يأتي واحد من قوم وهو مساو
لهم بما لا يقدرون كلهم على مثله والعاقل لا يجزم بشيء الا وهو عالم به ويلزم
من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما يأتي به فانه صلى الله عليه وسلم مثلهم في الفصاحة
والبلد والنسب وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة العلماء ومزاولة الخطب
والرسائل وغير ذلك فلا يقتدر على ما يعجزون عنه الا بتأييد الهي وهو المراد من تكذيبهم
ام خلقوا اي وقع خلقهم على هذه الكيفية المتقنة من غير شيء اي خالق خلقهم فوجدوا
بلا موجد اي وذلك مما لا يجيزه ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان انكروا
الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم الخالقون لانفسهم وذلك في البطلان اشد لان
ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا وهو الله تعالى
فلم لا يوحدونه ويؤمنون به وبرسوله وبكتابه وقال الزجاج معناه اخلقوا باطلا لا يحاسبون

ولا يؤمنون وقال ابن كيسان اخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون كقول القائل فعلت
كذا وكذا من غير شئ اى لغير شئ ام هم الخالقون لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر وقيل معناه اخلقوا
من غير اب وام فتذهب الى الاخلاف ان ام هنا ليست بمعنى بل لكن اكثر المفسرين على ان المراد بما يقدر
في صدر الكلام من الاستفهام بالهمزة كانه قيل اخلقوا من غير شئ قال الرازي ويحتمل ان يقال هي على
اصل الوضع للاستفهام الذي يقع في اثناء الكلام وتقديره اخلقوا من غير شئ ام هم الخالقون
ام خلقوا اى على وجه الشركة السموات والارض فهم بذلك عالمون بما فيهما على وجه الاحاطة والتقدير
حتى علموا انك تقوّلته ليصح لهم ردّه والتهكم عليه بل لا يوقنون اى ليس لهم نوع يقين والا لآمنوا
برسوله وكتابه ام عندهم اى خاصة دون غيرهم خزائن ربك اى المحسن اليك بارسالك فيعلموا
ان هذا الذى اتيت به ليس من قول الله تعالى فيصح قولهم انك تقوّلته ام هم اى لا غيرهم المسيطرون
اى الرقباء الحافظون المتسلطون البالغون دون الرؤساء الحكام الكبار ليكونوا ضابطين للاشياء كلها
كما هو شأن كتاب اسرار الملوك فيعلمون انك تقوّلت هذا الذكر لانهم لم يكتبوا به اليك
ام لهم سلم يصعدون به الى السماء يستمعون اى يتعمدون السماع لكل ما يكون فيها ومنها فيه
اى صاعدين في ذلك السلم الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن
فليأت مستمعهم اى مدعى الاستماع بسلطن مبين اى بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم
لزعمهم ان الملائكة بنات الله قال تعالى ام له البنت اى بزعمكم ولكم البنون اى خاصة
لتكونوا اقوى منه فتكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا امنين من عذاب
ياتيكم منه لضعفه وقوتكم ام تسئلهم اى ايها الطاهر الشيم البعيد عن مواقع التهم اجرا
على ابلاغ ما اتيتهم به فهم من مغرم اى غرم لك ولو قلّ والمغرم التزام ما لا يجب مثقلون منهم
لذلك يكذبون من كان سببا في هذا الثقل بغير مستند ليستريحوا مما حصل لهم من الثقل ام عندهم
اى خاصة بهم الغيب اى علم ما غاب عنهم فهم يكتبون اى يجددون للناس كتابة جميع ما غاب
عنهم مما ينفعهم ويضرهم حتى يحسدوك فيما شاركتهم به منه فيردوه لذلك وينسبوك الى ما نسبوك
اليه مما يعلم كل احد نزاهتك عنه وبعدك منه وقال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم
يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به واللام في الغيب لا للعهد ولا لتعريف الجنس بل المراد
نوع الغيب كما تقول اشتر اللحم تريد بيان الحقيقة لا كل لحم ولا لحما معينا ام يريدون ـــــ اى
بهذا القول الذى يرمونك به كيدا اى مكرا وضررا عظيما ليهلكوك به فالذين كفروا
وكان الاصل منهم ولكنه قال تعميما للحكم بالوصف هم اى خاصة المكيدون
اى المغلوبون المهلكون فانهم مكروا به في دار الندوة فحفظه الله تعالى منهم ثم اهلكهم ببدر
عند انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من ام وهي خمس عشرة مرة لان بدرا كانت في الثانية من
الهجرة وهي الخامسة عشر من النبوة وقد سماها الله تعالى فيها من الاسباب ما اوجب سعيهم الى

هلاكهم بامور خارقة للعادة فلو كانت لهم بصائر لكفتهم فى الهداية والرد عن الضلالة والغواية ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ﴾ اى يمنعهم من التصديق بكتابنا او يستندون اليه للامان من عذابنا ﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾ اى الذى
احاط بجميع صفات الكمال ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ الملك الاعظم الذى تعالى عن ان يدانى جنابه شائبة نقص ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من الاصنام وغيرها * تنبيه * الاستفهام بام فى مواضعها للتقبيح والتوبيخ
ولما بين تعالى فساد اقوالهم وسقوطها اشار الى انهم لم يبق لهم عذر فان الآيات والحجج قد ظهرت
ولم يؤمنوا فبعد ذلك استحقوا الانتقام وقوله تعالى ﴿وَإِن يَرَوْا﴾ اى معاينة ﴿كِسْفًا﴾ اى قطعة
وقيل قطعا واحدتها كسفة مثل سدرة وسدر ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جوابا ﴿سَاقِطًا يَقُولُوا﴾ جواب لقولهم
فاسقط علينا كسفا من السماء كان الله تعالى يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم
لم ينتهوا عن قولهم ويقولون لمعاندتهم هذا ﴿سَحَابٌ﴾ فان قيل لهم هو مخالف للسحاب بصلابته وغلظته
قالوا ﴿مَّرْكُومٌ﴾ اى مركب بعضه على بعض فتلبد وتصلب وقوله تعالى ﴿فَذَرْهُمْ﴾ اى اتركهم على
شراحها لهم كقوله تعالى فاعرض عنهم وقوله تعالى فتول عنهم الى غير ذلك فقيل كلها منسوخة بآية القتال
قال ابن عادل وهو ضعيف وانما المراد التهديد كقول السيد لعبده الجانى لمن يحبه دعه فانه سينال جنايته
﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ﴾ اى لا فى غيره لان ما حكمنا به لا يتقدم ولا يتاخر ﴿يُصْعَقُونَ﴾
اى يموتون من شدة الاهوال وعظم الزلزال كما صعق بنو اسرائيل فى الطور ولكن لا تقيمهم
كما اقمنا اولئك الا عند النفخ فى الصور لنحشرهم للحساب الذى يكذبون به قال البقاعى
والظاهر ان هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بالنصر فيه فما اغنى احد منهم عن احد شيئا كما قال
ابو سفيان بن الحرث ما هو الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا او ياسروننا كيف شاؤا وقوله
تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾ اى بوجه من الوجوه بدل من يومهم ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ﴾ اى الذى يرجون به بعد
الاقوال المتقدمة ﴿شَيْئًا﴾ من الاغناء فى دفع شئ يكرهونه من الموت ولا غيره كما يظنون انه يغنى عنهم فى غير
ذلك من احوال هذه الدار ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يتجدد لهم نصر ما فى ساعة ما يمنعهم من العذاب
وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يجوز ان يكون من ايقاع الظاهر موضع المضمر وان لا يكون والمعنى
وان للذين اوقعوا الاشياء فى غير مواقعها كما يقولونه فى القرآن ويفعلونه من العصيان ومنه فيعتقدون
من الشرك والبهتان ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ اى غير عذاب ذلك اليوم قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر
وقال الضحاك هو الجوع والقحط سبع سنين وقال البراء بن عازب عذاب القبر والآية تحتمل هذه المعانى
كلها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ان العذاب نازل بهم ﴿وَاصْبِرْ﴾ اى اوجد هذه الحقيقة لتصبر على
ما انت عليه من اداء الرسالة ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ اى المحسن اليك فانه هو المريد لذلك ولو لم يرده
لم يكن شئ منه فهو احسان منه اليك وتدريب لك وترقية فى معارج الحكم وسبب عن ذلك قوله
تعالى مؤكدا لما يغلب على الطبع البشرى فى بعض الاوقات الامتحان من نوع نسيان ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾
٥٢ اى بمرائى منا نراك ونحفظك وجمع لما اقتضته نون العظمة التى هذا سياقها وهى

ظاهرة في الجمع واشارة الى انه محفوظ بالجنود الذين لا يخرجون عن مرتبته سبحانه وتعالى وَسَبِّحْ ملتبسا
بِحَمْدِ رَبِّكَ اى المحسن اليك فاثبت له كل كمال مع تنزيهك له عن كل نقص فلا يكون فى ملكه
ما لا يريده ولا يريد الا ما هو حكمة بالغة حِينَ تَقُومُ قال سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم
من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان
كفارة له وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه
فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب
اليك الا كان كفارة لما بينهما اى من الذنوب الصغائر وقال ابن عباس معناه صل لله حين تقوم
من مقامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبى هو ذكر الله تعالى باللسان حتى تقوم من الفراش الى ان تدخل
فى الصلوة لما روى عاصم بن حميد قال سالت عائشة باى شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه
وسلم قيام الليل فقالت كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله تعالى عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال
اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى وعافنى ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة وقيل حين تقوم
لامرها وَمِنَ اللَّيْلِ الذى هو محل السكون والراحة فَسَبِّحْهُ اى صل له قال مقاتل يعنى صلاة
المغرب والعشاء وَإِدْبَارَ النُّجُومِ اى صل الركعتين قبل صلوة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اى
تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين وقال الضحاك هى فريضة صلوة الصبح وهذه الاية
نظير قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد تقدم الكلام عليها قال الرازى قال تعالى
هنا وادبار النجوم وقال فى سورة ق وادبار السجود فيحتمل ان يكون المعنى واحدا والمراد من السجود جمع
ساجد والنجوم سجود قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم نجوم السماء
وقيل النجم ما لا ساق له من النبات قال الله تعالى ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض الاية
او المراد من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم فى اللغة اى اذا فرغت من وظائف الصلوة فقل سبحان
الله كما مر وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة والطور
كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته حديث موضوع

سورة النجم مكية

ثنتان وستون اية وثلثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة احرف

بِسْمِ اللَّهِ الذى احاط بصفات الكمال الرَّحْمَٰنِ الذى عم الموجودات بصفة الجمال الرَّحِيمِ الذى
خص اهل وده بصالح الاعمال وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ قال ابن عباس فى رواية العوفى يعنى الثريا
اذا غابت وسقطت وهوت مغيبة والعرب تسمى الثريا نجما وجاء فى الحديث عن ابى هريرة
مرفوعا ما طلع النجم قط وفى الارض شئ من العاهات الا رفع واراد بالنجم الثريا وقال مجاهد
هو نجم السماء كلها حين يغرب لفظه واحد ومعناه الجمع سمى الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع

بنجم يقال النجم السن والنبت والقرن اذا طلع وتروى عكرمة عن ابن عباس انها ما يرجم به الشياطين
عند استراقهم السمع وقال ابو حمزة الثمالي هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل المراد بالنجم القرآن
سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة ويسمى التفريق تنجيما والمفرق منجما هذا قول ابن عباس
في رواية عطاء وقال الكلبي والهوى النزول من اعلى الى اسفل وقال الاخفش النجم هو النبت الذي
لا ساق له ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الارض وقال جعفر الصادق
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اذا نزل من السماء ليلة المعراج والهوي النزول هوى يهوي هويا والكلام
في قوله تعالى والنجم كالكلام في قوله تعالى والطور حيث لم يقل والنجوم والاطوار وقال والذاريات
والمرسلات كما مر * تنبيه * اول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها فانه تعالى قال في آخر تلك
وادبار النجوم وقال تعالى في اول هذه والنجم اذا هوى قال الرازي والفائدة في تقييد القسم به في وقت
هويه انه اذا كان في وسط السماء يكون بعيدا عن الارض لا يهتدي به الساري لانه لا يعلم به المشرق
من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال عن وسط السماء تبين بزواله جانب المغرب عن المشرق
والجنوب عن الشمال وقوله تعالى مَا ضَلَّ اي عن طريق الهداية صَاحِبُكُمْ محمد صلى الله عليه وسلم
وقتا من الاوقات جواب القسم وعبر بالصحبة لانها مع كونها ادل على القصد مرغبة لهم فيه ومقبلة
بهم اليه ومقيمة عليهم الحجة في انذاره وهم يعرفون طهارة شمائله وَمَا غَوَى اي وما مال ادنى
ميل ولا كان معتقده مما ليس فانه صرح وسمي من اسباب غواية الشياطين وغيرها * تنبيه * الغي
جهل عن اعتقاد فاسد بخلاف الضلال وذهب اكثر المفسرين الى ان الغي والضلال بمعنى واحد وفرق
بعضهم بينهما فقال الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشد قال تعالى قد تبين الرشد من الغي
وقال تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا قال الرازي
وتحقيق القول فيه ان الضلال اعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوى * فائدة
قد نفى الله سبحانه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما باقي الانبياء فقد نفوا عن انفسهم ليس
بي ضلالة ليس بي سفاهة ونحو ذلك قاله القشيري * فان قيل * كيف الجمع بين قوله تعالى ما ضل صاحبكم
وبين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى * اجيب * بان المراد من الآية الآتية وجدك ضالا عما انت عليه الآن
من الشريعة فهداك اليها فلا تنافي هذه الآية وَمَا يَنْطِقُ اي يجاوز نطقه فمه في وقت من الاوقات لا في
الحال ولا في الاستقبال نطقا ناشئا عَنِ الْهَوَى اي عن امره كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم
والشعراء وغيرهم وما يقول هذا القرآن من عند نفسه إِنْ اي ما هُوَ اي الذي يتكلم به
من القرآن وكل اقواله وافعاله واحواله إِلَّا وَحْيٌ اي من الله تعالى واكده بقوله تعالى
يُوحَى اي يجدد اليه ايحاؤه منا وقتا بعد وقت * تنبيه * استدل بهذه الآية من لا يرى
الاجتهاد للانبياء * واجيب * بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه
كله وحيا لا نطقا عن الهوى عَلَّمَهُ اي صاحبكم الوحي الذي اتاكم به ملك شَدِيدُ الْقُوَى

فلا يخرجوا من هذه الدائرة فانت معلم بهذه الصفة التي هو بها بحيث ينفذ كل ما امره
الله تعالى به وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط
ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده
في اوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه نفحة بجناحه
فالقاه في اقصى بلاد الهند ذو مرة قال ابن عباس ذو منظر حسن وقال اكثر المفسرين ذو قوة
وقدرة عظيمة على الذهاب فيما امر به والطاقة لحمله بغاية النشاط والحدة كانه ذو مزاج غلبت
عليه الحرارة فهو صعب المراس في مزاولته ماض على طريقة واحدة على غاية من الشدة لا انثناء ولا التفات
له بوجه الى غير ما امر به فهو شديد القوى مستحكم الشأن شديد الشكيمة لا يسامح في شيء
يزاوله ومن جملة ما اعطي من القوة القدرة على التشكل والى ذلك اشار بما تسبب عن هذا من
قوله تعالى فاستوى اي فاستقام واعتدل بغاية ما يكون من قوته على اكمل حالاته في الصورة
التي فطر عليها وهو اي والحال ان جبريل عليه السلام بالافق الاعلى اي عند مطلع الشمس وذلك
ان جبريل عليه السلام كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان ياتي الانبياء عليهم
الصلاة والسلام قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي خلق
عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما التي في الارض ففي الافق الاعلى والمراد
بالاعلى جانب المشرق وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان بحراء وكان جبريل واعده ان ياتيه وهو
بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه
فنزل له جبريل عليه السلام في صورة الادميين ثم دنا اي قرب منه فتدلى اي زاد في القرب فكان
منه قاب اي قدر قوسين اي عربيتين او ادنى اي من ذلك وضمه الى نفسه حتى افاق وسكن
روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه واما في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبياء
في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم تنبيه القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار
وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة
الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا
وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال الشاعر وقد جعلتني من خزيمة اصبعا
فان قيل كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين اجيب بان تقديره فكان مسافة قربه مثل
قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله وقد جعلتني من خزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة
اصبع وروى الشيباني قال سألت زرا عن قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى قال اخبرنا عبد الله يعني ابن مسعود
انه محمد صلى الله عليه وسلم راى جبريل له ستمائة جناح وبهذا قال ابن عباس والحسن وقتادة وقال اخرون دنا الرب
عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتقرب منه حتى كان قاب قوسين او ادنى ومعنى دنوه تعالى قرب منزلته
كقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه تبارك وتعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا

تقربت اليه باعا ومن مشى اتيته هرولة وهذا اشارة الى المعنى المجازى قال البغوى وروينا فى قصة المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن ابى نمر عن انس فدنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذه رواية واسطة عن ابن عباس وقال مجاهد دنا جبريل من ربه وقد تقدمت الكلام على المعراج وعلى جواز رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه فى اول الاسراء وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى وتقدم الكلام على القاب والقوس ما يرمى به فى قول مجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس فاخبر انه كان بين جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وقال مجاهد معناه حيث الوتر من القوس وهذا اشارة الى تاكيد القرب والاصل فى ذلك ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير والقوس الذراع يقاس بها كل شئ او ادنى بل اقرب وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف بالقاب فاوحى اى الله تعالى وان لم يجر له ذكر لعدم اللبس الى عبده اى جبريل عليه السلام ما اوحى اى جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الموحى تفخيما لشانه وهذا التفسير ما جرى عليه الجلال المحلى وهو ظاهر وقيل فاوحى الى جبريل بسبب هذا القرب وعقبه الى عبده اى عبد الله ما اوحى اى جبريل وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما فى قوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بكليته الى جانب القدس واختلف فى الموحى على اقوال الاول قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما الى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك الثانى اوحى اليه الصلوة الثالث ان احدا من الانبياء لا يدخل الجنة قبلك وان امة من الامم لا تدخلها قبل امتك الرابع انه مبهم لا يطلع عليه احد وتعبدنا به على الجملة الخامس ان ما للعموم والمراد كل ما جاء به جبريل ما كذب الفؤاد اى فؤاد النبى صلى الله عليه وسلم ما راى اى ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام وهذا ايضا ما جرى عليه الجلال المحلى وقال البقاعى ما راى البصر حين رؤية البصر كأنه حاضر القلب لا انها رؤية بصر فقط يمكن فيها الخلو عن حضور القلب وقال القشيرى ما معناه ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره على الوصف الذى علمه قبل ان يراه الا كان علمه حق اليقين وقرأ هشام بتشديد الذال والباقون بالتخفيف وقوله تعالى افتمرونه اى تجادلونه وتغلبونه على ما يرى خطاب للمشركين المكذبين لرؤية النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل وهذا ما قاله ابن مسعود وعائشة ومن قال ان المرئى هو الله تعالى اختلفوا فى معنى الرؤية فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس قال رآه بفؤاده مرتين ما كذب الفؤاد ما راى وقال انس والحسن وعكرمة راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل بعينه وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله تعالى اصطفى ابراهيم عليه السلام بالخلة واصطفى موسى عليه السلام بالكلام واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية

وكانت عائشة تقول لم يره محمد صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الرؤية جبريل قال مسروق قلت
لعائشة يا أمتاه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن
فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار
وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك أنه يعلم
ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ومن
حدثك أنه كتم شيئا مما أنزل الله تعالى فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك
الآية ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين وروى أبو ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل رأيت ربك قال نور أنى أراه وحاصل المسألة أن الصحيح ثبوت الرؤية وهو ما جرى عليه ابن عباس
حبر الأمة وهو الذي يرجع إليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر وأخبره أنه رآه ولا يقدح في ذلك
حديث عائشة لأنها لم تخبر أنها سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لم أر وإنما اعتمدت على
الاستنباط مما تقدم وجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي
الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة وأجيب عن احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله
الآية بأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام وبأنه عام مخصوص
بما تقدم من الأدلة وأما قوله صلى الله عليه وسلم نور أنى أراه فقال الماوردي الضمير في أراه عائد إلى الله
تعالى ومعناه أن خالق النور المانع من رؤيته أي رؤية إحاطة كما مر إذ من المستحيل أن تكون ذات الله نورا إذ النور
من جملة الأجسام والله تعالى منزه عن ذلك فإن قيل هلا قيل أفتمارونه على ما رأى بصيغة الماضي لأنهم إنما
جادلوه حين أسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به
وما الحكمة في إيراده بصيغة المضارع أجيب بأن التقدير أفتمارونه على ما يرى فكيف وهو قد رآه
في السماء فماذا تقولون فيه والواو في قوله تعالى ولقد رآه يحتمل أن تكون عاطفة ويحتمل أن تكون للحال أي كيف
تجادلونه فيما رآه وهو قد رآه نزلة أخرى على وجه لا شك فيه. تنبيه: قوله تعالى نزلة فعلة من النزول
كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول واختلفوا في ذلك النزول وفيه وجوه الأول أن الضمير في رآه عائد
إلى جبريل أي رأى جبريل نزلة أخرى أي رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء مرة أخرى
وذلك أنه رآه في صورته مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء عند سدرة المنتهى ○ قال الرازي
ويحتمل أن تكون النزلة لمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني أن الضمير عائد إلى الله تعالى أي رأى الله نزلة
أخرى وهذا قول من قال في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى هو الله تعالى وقد قيل أن النبي
صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا ففي النزول وجهان أحدهما قول من يجوز على
الله الحركة من غير تشبيه وثانيهما أن نزوله بمعنى القرب بالرحمة والفضل الثالث أن محمدا
رأى الله تعالى نزلة أخرى والمراد من النزلة ضدها وهي العرجة كأنه قال رآه عرجة أخرى قال
ابن عباس نزلة أخرى هو أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم عرجات في تلك الليلة لمسئلة التخفيف

والصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه فى بعضها وروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله
عليه وسلم راى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه راى ربه بعينه وعلى ان المرئى هو الله تعالى فيكون قوله
تعالى عند سدرة المنتهى ظرفا للرائى كما اذا قال القائل رايت الهلال فيقال له اين رايته فيقول على السطح
وقد يقول عند الشجرة الفلانية واما قول من قال بان الله تعالى فى مكان فذلك باطل وان قيل ان
المرئى جبريل عليه السلام فظاهر ❊ تنبيه ❊ اضافة السدرة الى المنتهى تحتمل وجوها احدها اضافة
الشئ الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك قال هلال بن يساف
سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة فى اصل العرش على
رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله تعالى وقيل ينتهى
اليها ما هبط من فوقها ويصعد من تحتها وقال كعب تنتهى اليها الملائكة والانبياء وقال الربيع
تنتهى اليها ارواح المؤمنين وثانيها اضافة الملك الى مالكه كقولك دار زيد وشجرة زيد وحينئذ
المنتهى فيه محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله
تعالى واضافة السدرة اليه حينئذ كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم كما يقال فى التسبيح
يا غاية رغبتاه ويا منتهى املاه وثالثها اضافة المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير
سدرة عندها منتهى العلوم فتلقى هنالك قال البقاعى وذلك والله اعلم ليلة الاسراء فى السنة الثالثة
عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل بعد ان ترقى فى معارج الكمالات من السنين على عدد السموات وما بينها الى ان
فانتهى الى منتهى سمع فيه صريف الاقلام وعظمها بقوله تعالى عندها اى السدرة جنة المأوى اى
التى لا ماوى فى الحقيقة غيرها وهى الجنة التى وعدها المتقون كقوله تعالى دار المقامة وقيل هى جنة
اخرى عندها تكون ارواح الشهداء تاوى اليها وقيل هى جنة الملائكة وقوله تعالى اذ معمول لراى
اى راه حين راى ايات ربه الكبرى حين يغشى السدرة وهى شجرة النبق وقوله تعالى ما يغشى للتعظيم
والتكثير لما يغشاها واختلفوا فيما يغشاها فقيل فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود
والضحاك قال الرازى وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعى فان صح فيه خبر فلا بعد له
اه قال القرطبى ورواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال ايضا عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال رايت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قائما
يسبح الله تعالى وذلك قوله عز من قائل اذ يغشى السدرة ما يغشى وقيل ملائكة تغشاها كانهم طيور
يرتقون اليها متشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة وروى فى حديث المعراج عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا
ثمرها كالقلال هجر قال فلما غشيها من امر الله تعالى ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله تعالى
يقدر ان ينعتها من حسنها فاوحى الى ما اوحى ففرض على خمسين صلوة فى كل يوم وليلة وقيل
يغشاها انوار الله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل

فظهرت الأنوار ولكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل دكاً ولم تتحرك الشجرة وخر موسى
عليه السلام صعقاً ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أبهمه تعظيماً له فإن الغشيان يكون بمعنى التغطية
قال الماوردي في معاني القرآن فإن قيل لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر قلنا
لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فشابهت الإيمان الذي
يجمع قولاً وعملاً ونية فظلها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه وريحها
بمنزلة القول لظهوره وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوب الله
تعالى رأسه في النار وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال هو مختصر يعني من قطع سدرة في
فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها صوب الله تعالى رأسه في النار
ثم أكد سبحانه الرؤية وقررها بقوله تعالى ﴿ما زاغ﴾ أي ما مال أدنى ميل ﴿البصر﴾ أي الذي لا بصر لمخلوق
أكمل منه فما قصر عن النظر إلى ما أذن له فيه ﴿وما طغى﴾ أي تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه مع
أن ذلك العالم غريب عن بني آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر بل كانت له الصفة الصادقة المتوسطة
بين الشره والزهادة على أتم قوانين العدل فأثبت ما رآه على حقيقته وكما هو قال السهروردي في أول الباب
الثاني والثلاثين من عوارفه وأخبر تعالى بحسن أدبه في الحضرة بهذه الآية وهذه غامضة من غوامض الأدب
اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. تنبيه: اللام في البصر تحتمل وجهين أحدهما المعروف أي ما زاغ بصر
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا إن قيل بأن الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت إليه و
لم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلاء وامتحاناً لمحمد صلى الله عليه
وسلم وإن قيل إن الغاشي أنوار الله تعالى ففيه وجهان أحدهما لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل اشتغل بمطالعتها الثاني
ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه السلام فإنه قطع النظر وغشي عليه ففي الأول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم
وفي الثاني بيان قوته. الوجه الثاني أن اللام لتعريف الجنس أي ما زاغ بصره أصلاً في ذلك الموضع لعظيم
هيبته فإن قيل لو كان كذلك لقال ما زاغ بصر فإنه أدل على العموم فإن النكرة في معرض النفي تعم
أجيب بأن هذا مثل قوله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ولم يقل لا يدركه بصر ولما كانوا
قد أنكروا الإسراء الإنكار المريع لهم في غيره مثله زاد في تأكيده على وجه يعم غيره فقال تعالى
﴿لقد رأى﴾ أي أبصر بما أعلمناه له من الرسالة تلك الليلة إبصاراً سارياً إلى البواطن غير مقتصر على الظواهر
﴿من آيات ربه﴾ أي المحسن إليه بما لم يصل إليه أحد قبله ولا يصل إليه أحد بعده ﴿الكبرى﴾
أي العظام أي بعضها واختلف في ذلك البعض فقيل جبريل عليه السلام رآه في صورته له ستمائة
جناح قال الرازي والظاهر أن هذه الآيات غير تلك لأن جبريل عليه السلام وإن كان عظيماً
لكنه ورد في الأخبار أن لله تعالى ملائكة أعظم منه والكبرى تأنيث الأكبر فكأنه
تعالى قال رأى من آيات ربه آيات هي أكبر الآيات وقيل رأى رفرفاً أخضر سد الأفق وقيل
رأى ما رأى في تلك الليلة في مسيره وعوده ومن أحسنها اجتماعه تلك الليلة بالأنبياء عليهم الصلاة

والسلام في السموات ولما قرر تعالى الرسالة ذكر ما ينبغي ان يبتدئ به الرسول وهو التوحيد ومنع
الخلق عن الاشراك بقوله تعالى أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى اشارة الى ابطال قولهم كما اذا ادعى ضعيف
الملك ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقولون انظروا الى هذا الذي يدعي الملك منكرين عليه
غير مستدلين بدليل لظهور امره فلذلك قال تعالى افرأيتم اللات والعزى اي حكما بهما فكيف تشركون بهما
بالله سبحانه وتعالى واللات صنم لثقيف والعزى شجرة لغطفان وهما اعظم اصنامهم اشتقوا لهما اسمين من
اسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز وعن ابن عباس كان اللات
رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وعن مجاهد ان العزى شجرة لغطفان كانوا
يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفأس ويقول

يا عز كفرانك لا سبحانك * اني رأيت الله قد اهانك *

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالدا رجع
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال له ما رأيت فيها قال ما رأيت شيئا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما فعلت فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم جاء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقال الضحاك هي صنم لغطفان
وضعها لهم سعيد بن ظالم الغطفاني وذلك انه لما قدم مكة ورأى الصفا والمروة ورأى اهل مكة
يطوفون بهما فعاد الى نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس
لكم قالوا فما تأمرنا به قال انا اصنع لكم كذلك واخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى
نخلة فوضع الذي اخذه من الصفا وقال هذا الصفا ووضع الذي اخذه من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ
ثلاثة احجار فاسندها الى شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فأمر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقال
ابن زيد هي بيت بالطائف كان تعبده ثقيف واما قوله تعالى وَمَنَاةَ فقال قتادة هي صخرة
كانت لخزاعة بقديد وقالت عائشة في الانصار كانوا يصلون لمناة فكانت حذو قديد وقال ابن زيد
بيت بالمشلل تعبده بنو كعب وقال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبده اهل مكة
وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها وقوله تعالى الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى
نعت لمناة اذ هي الثالثة للصنمين في الذكر واما الاخرى فقال ابو البقاء توكيد لان الثالثة لا تكون
الا اخرى وقال الزمخشري الاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت اخراهم لاولاهم
وضعفاؤهم لاولاهم اي لاشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم اللات والعزى اهـ
قال ابن عادل وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان
جاء شيء فلقرينة خارجية اهـ ووجه الترتيب ان اللات كان وثنا على صورة آدمي والعزى
شجرة نبات ومناة صخرة فهي جماد فهي في اخريات المراتب فان قيل ما فائدة الفاء في

قوله تعالى افرأيتم وقد وردت في مواضع كثيرة كقوله تعالى أرأيتم ما تعبدون من دون الله
أرأيتم شركاءكم ثم أجيب بأنه تعالى لما قدم عظمته في ملكوته وأن رسوله إلى الرسل يسد الآفاق
ببعض أجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله
وعزته قال أفرأيتم هذه الأصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم فقال بالفاء أي
عقب ما سمعتم من عظمة آيات الله الكبرى ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى انظروا إلى اللات والعزى
تعلموا فساد ما ذهبتم إليه *تنبيه* مفعول أرأيت الأول اللات وما عطف عليه والثاني محذوف والمعنى
أخبروني ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره وقرأ ابن كثير
مناءة بهمزة مفتوحة بعد الألف والباقون بغير همزة ولما زعموا أيضاً أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم
للبنات نزل ألكم الذكر أي خاصة الذكر أي النوع الأعلى وله أي وحده الأنثى أي النوع الأسفل
تلك أي هذه القسمة البعيدة عن الصواب إذاً أي إذ جعلتم البنات له والبنين لكم قسمة
ضيزى أي جائرة ظالمة ناقصة فيها بخس للحق إلى الغاية عوجاء غير معتدلة حيث خصصتم به
ما أوصلتكم الكراهة له إلى دفنه حياً بل كان ينبغي أن تجعلوا الأعظم للعظيم والأنقص للحقير بما أفهم
العقل والنقل والعادة إن أي ما هي أي هذه الأصنام إلا أسماء أي لا حقائق لها فيما ادعيتم لها
من الإلهية ليس لها من ذلك غير الأسماء وأكد ذلك بقوله تعالى سميتموها أي ابتدعتم تسميتها فإن قيل
الأسماء لا تسمى وإنما يسمى بها أجيب بأن التسمية وضع الاسم فكأنه قال أسماء وضعتموها
فاستعمل سميتموها استعمال وضعتموها أنتم وآباؤكم أي لا غير ما أنزل الله أي الذي له جميع
صفات الكمال بها أي باستحقاقها للأسماء أو لما سميتموها به من الإلهية وأغرق في النفي فقال من
سلطان أي حجة تصلح مسلطاً على ما يدعى فيها بل لمجرد الهوى لم تروا منها آية ولا كلمتكم قط بكلمة تفهمونها
وعلى تقدير أن تكلم الشياطين على ألسنتها فأي طريقة قويمة شرعت لكم وأي كلام صالح أو بليغ برز
إليكم منها وأي آية كبرى أرتكموها إن أي ما يتبعون أي في وقت من الأوقات في أمر هذه الأوثان بغاية
جهدهم من أنها آلهة أو أنها تشفع لهم أو تقربهم إلى الله تعالى إلا الظن أي وهو غاية أمرهم لحسن
الظن بهم والظن تجويز أحد الجائزين على زعم الظان ولما كان الظن قد يكون موافقاً للحق ضم إليه الهوى قال
تعالى وما تهوى الأنفس أي تشتهي وهي لما لها من النقص لا تشتهي أبداً إلا ما يهوي بها عن غاية
أوجها إلى أسفل حضيضها وأما المعالي وحسن العواقب فإنما يشوقها إليها العقل قال القشيري
فأما الظن الجميل بالله تعالى فليس من هذا الباب والتباس عاقبة الشخص عليه ليس من هذه
الجملة بسبيل إنما الظن المعلول في الله تعالى في أحكامه وصفاته اهـ ولهذا كان
كثير من الفقه ظنياً وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه أنا عند ظن عبدي بي ولقد جاءهم
أي العجب أنهم يقولون ذلك والحال أنهم قد جاءهم من ربهم المحسن إليهم الهدى
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع أنها ليست بآلهة وأن العبادة

لا تصلح الا لله الواحد القهار فلم يرجعوا عما هم عليه وقرأ حمزة والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم
وقرأ ابو عمرو بكسرهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم أَمْ لِلْإِنسَانِ اي لكل انسان منهم مَا تَمَنَّىٰ اي من
اتباع ما يشتهي من جاه ومال وطول عمر ورفاهة عيش ومن ان الاصنام تشفع له ليس الامر كذلك
فَلِلَّهِ اي الملك الاعظم وحده الْآخِرَةُ فهو لا يعطي ما فيها الا لمن تبع هداه وترك هواه وَالْأُولَىٰ
اي الدنيا فهو لا يعطي جميع الاماني فيها لاحد اصلا كما هو مشاهد ولكنه يعطي منها ما يشاء لمن يريد
وليس لاحد ان يتحكم عليه سبحانه في شيء منها وَكَم مِّن مَّلَكٍ اي كثير من الملائكة اي ممن يعبدهم
هؤلاء الكفار ودل على زيادة قربهم لشرف مسكنهم وهو قوله تعالى فِي السَّمَاوَاتِ اي وهم في الكرامة
والزلفى لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ اي عن احد من الناس شَيْئًا ثم قرر الامر عليه ورده بعد ان نبه اليه
بقوله تعالى إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اي يمكن ويريد اللَّهُ اي الملك الذي لا امر اصلا
لاحد معه لِمَن يَشَاءُ من عباده من الملائكة او من الناس ان يشفع وَيَرْضَىٰ اي ويراه اهلا لذلك فكيف
تعبد الاصنام مع حقارتها للشفع لهم إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ اي لا يصدقون ولا يقرون
بالبعث وغيره من احوال يوم القيامة لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ اي كل واحد منهم تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ بان سموه
بنتا وذلك انهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله تعالى عنهم او لانه معنى الا بنات ثم انهم راوا
في الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم ان يقال سجدت الملائكة فقالوا بنات الله فسموهم تسمية الاناث
فان قيل كيف يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان
من عادتهم ان يربطوا ركوبا على قبر من يموت ويعتقدون انه يحشر عليه اجيب بانهم ما كانوا يجزمون
به بل كانوا يقولون لا حشر فان كان فلنا شفعاء بدليل ما حكى الله تعالى عنهم وما اظن الساعة قائمة
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وبانهم ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه الذي وردت به الرسل
فان قيل كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث اجيب بان المراد بيان الجنس وهذا اللفظ
اليق بهذا الموضع لمؤاخاة رؤس الآي وَمَا اي والحال انهم مَا لَهُم بِهِ اي بما يقولونه وقيل الضمير
يعود الى ما تقدم من عدم قبول الشفاعة وقيل يعود الى الله تعالى اي ما لهم بالله تعالى مِنْ عِلْمٍ ثم
بين تعالى الحامل لهم على ذلك بقوله تعالى إِن اي ما يَتَّبِعُونَ اي بغاية ما يكون من شهوة النفس
في ذلك وغيره إِلَّا الظَّنَّ اي الذي يتخيلونه وَإِنَّ اي والحال ان الظَّنَّ اي مطلقا في هذا او في غيره
ولذلك اظهر في موضع الاضمار لَا يُغْنِي اي اغناء مبتدئا مِنَ الْحَقِّ اي الامر الثابت في نفس
الامر الذي هو حقيقة الشيء وذاته بحيث يكون الظن بدلا منه والظن انما يعتبر في العمليات لا في
العلميات ولا سيما الاصولية شَيْئًا اي من الاغناء عن احد من الخلق فانه لا يؤدي الى الجزم
بالعلم بالشيء على ما هو عليه في نفس الامر فهو ممنوع في اصول الدين فان المقصود فيها تحقيق الامر
على ما هو عليه في الواقع واما الفروع فان المعتمد به فيها هو الظن لكن بشرطه
المأذون فيه وهو رده الى الاصول المستنبط منها لعجز الانسان عن القطع في جميع الفروع

تنبيها على عجزه وافتقاره الى الله تعالى ليقبل عليه ويتبرأ من حوله وقوته ليكشف له عن الحقائق
ولما ان اصروا على الهوى بعد مجيء الهدى سبب عن ذلك قوله تعالى فَأَعْرِضْ اى يا اشرف الرسل
عَنْ مَنْ تَوَلَّى اى تكلف نفسه خلاف ما يدعو اليه العقل والفطرة الاولى عَنْ ذِكْرِنَا اى القرآن
الذى انزلناه فلم يتله ولم يتدبر معانيه وَلَمْ يُرِدْ اى فى وقت من الاوقات إِلَّا الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا اى الحاضرة لتقيده بالمحسوسات كالبهائم مع العمى عن دناءتها وحقارتها قال الجلال المحلي
وهذا قبل الامر بالجهاد قال الرازي واكثر المفسرين يقولون بان كل ما فى القرآن من قوله تعالى فاعرض
منسوخ بآية القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض موافق لآية القتال فكيف ينسخها وذلك لان النبي
صلى الله عليه وسلم فى الاول كان مامورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم
امر بازالة شبههم والجواب عن اباطيلهم وقيل له وجادلهم بالتى هى احسن ثم لما لم ينفع قال له ربه
اعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به ولا يتبعون الحق وقاتلهم والاعراض
عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها ذَلِكَ اى الامر المتناهى فى الجهل والقباحة
مَبْلَغُهُمْ اى نهاية بلوغهم ومنتهى علمهم والحاصل لهم وحكمهم بقوله تعالى مِنَ الْعِلْمِ اى غاية
من العلم انهم آثروا الدنيا على الآخرة والجملة اعتراض مقرر لقصور همتهم على الدنيا وقوله تعالى إِنَّ رَبَّكَ
اى المحسن اليك بالرسالة هُوَ أَعْلَمُ اى عالم بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى اى ظاهرا
او باطنا تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم
اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت لان النبي صلى الله عليه وسلم كان كالطبيب للقلوب فاتى على ترتيب
الاطباء فى ان المريض اذا امكن اصلاحه بالغذاء لا يستعملون الدواء وما امكن اصلاحه بالدواء
الضعيف لا يستعملون الدواء القوى ثم اذا عجزوا عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الحديد
والكى وقالوا آخر الدواء الكى فالنبي صلى الله عليه وسلم اولا امر القلوب بذكر الله تعالى فقط فان بذكر الله
تطمئن القلوب كما ان بالغذاء تطمئن النفوس والذكر غذاء القلوب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
اولا قولوا لا اله الا الله امر بالذكر فانتفع مثل ابى بكر ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال اولم يتفكروا قل
انظروا ولا ينظرون الى غير ذلك فلما لم ينتفعوا اتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة
واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح فان قيل ان الله تعالى بين ان غايتهم ذلك فى العلم
ولا يكلف الله تعالى نفسا الا وسعها والمجنون الذى لا علم له او الصبى الذى لا يؤمر بما فوق
احتماله فكيف يعاقبهم الله تعالى اجيب بانه ذكر قبل ذلك انهم تولوا عن ذكر الله فكان
عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله تعالى توليهم ليضاف الجهل الى ذلك فيستحق العقاب
وَلِلَّهِ اى الملك الاعظم وحده مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اى من الذوات والمعانى فيشمل
ذلك السموات والارض معترض بين الآية الاولى وبين قوله تعالى لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا اى بالضلال
بِمَا عَمِلُوا اى بسببه او بجنسه اعمالهم مثل ذلك بسببهم فانك ولم يسمعوا اتباعك اذ اذنت لكم

في القتال وأما بغير ذلك بالموت حتف الأنف تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم ثم يعذب أبداً في الآخرة على جميع ذنوبهم من غير أن يكون عجل لهم في الدنيا شيء ينقص بسببه عذاب الآخرة * تنبيه * اللام في ليجزي يجوز أن تتعلق بقوله تعالى بمن اهتدى واللام للصيرورة أي عاقبة أمرهم جميعاً الجزاء بما عملوا قال معناه الزمخشري وأن تتعلق بما دل عليه قوله تعالى أعلم بمن ضل أي حفظ ذلك ليجزي قاله أبو البقاء ويجزي أي ويثيب ويكرم الذين أحسنوا أي على ثباتهم على الدين وصبرهم عليه وعلى أذى أعدائهم بالحسنى أي بالمثوبة الحسنى وهي الجنة وبين المحسنين بقوله تعالى الذين يجتنبون أي يكلفون أنفسهم ويجهدونها على أن يتركوا كبائر الإثم أي ما عظم الشارع إثمه بعد تحريمه بالوعيد والحد وقرأ حمزة والكسائي بكسر الباء الموحدة وبعدها ياء ساكنة والباقون بفتح الموحدة وبعدها ألف وبعد الألف همزة مكسورة وعطف على كبائر قوله تعالى والفواحش والفاحشة من الكبائر ما كرهه الطبع وأنكره العقل واستخبثه الشرع والكبيرة صفة عائدة إلى الكيفية وقوله تعالى إلا اللمم فيه أوجه أحدها وهو المشهور أنه استثناء منقطع أي لكن اللمم لأنه الصغائر فلم تندرج فيما قبلها ثانيها أنه صفة وإلا بمعنى غير كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا أي كبائر الإثم والفواحش غير اللمم ثالثها أنه متصل وهذا عند من يفسر اللمم بغير الصغائر قالوا إن اللمم من الكبائر والفواحش قالوا إن معنى الآية إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال عبد الله ابن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك قال السدي قال أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل إلا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال لقد أعانك عليها ملك كريم وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وفي مسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه النطق واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه * تنبيه * ذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى كبائر وصغائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة وقد اختلف في ضبط الكبيرة بالحد فقال جمع هي ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة وقال جمع هي المعصية الموجبة للحد والأول أوجه لأنهم عدوا الربا وأكل مال اليتيم وشهادة الزور ونحوها من الكبائر ولا حد فيها وقال إمام الحرمين هي كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي إلى السبعين أقرب وقال سعيد بن جبير هي إلى السبعمائة أقرب باعتبار أصناف أنواعها وما عدا المحدود من المعاصي فمن الصغائر ولا بأس بذكر شيء من النوعين

فمن الاول تقديم الصلوة او تأخيرها عن وقتها بلا عذر ومنع الزكوة وترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن واليأس من رحمة الله تعالى وامن مكر الله تعالى وقتل النفس عمدا او شبه عمد والفرار من الزحف واكل الربوا واكل مال اليتيم والافطار فى رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا واللواط وشهادة الزور وشرب الخمر وان قل والسرقة والغصب وقيده جماعة بما يبلغ ربع مثقال كما يقطع به فى السرقة وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمدا او سب الصحابة واخذ الرشوة والسحر والنميمة واما الغيبة فان كانت فى اهل العلم وحملة القرآن فهى كبيرة والا فصغيرة ومن الصغائر النظر المحرم وكذب لاحد فيه ولا ضرر والاشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والضحك فى الصلوة المفروضة والنياحة وشق الجيب فى المصيبة والتبختر فى المشى والجلوس بين الفساق ايناسا لهم وادخال مجانين وصبيان ونجاسة يغلب تنجيسهم المسجد واستعمال نجاسة فى بدن او ثوب لغير حاجة والاصرار على صغيرة من نوع او انواع يصير بها كبيرة الا ان تغلب طاعاته معاصيه كما اوضحت ذلك فى شرح المنهاج وغيره ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ اى المحسن اليك بارسالك رحمة للعالمين والتخفيف عن امتك ﴿وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يغفر الصغائر باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة ولمن يشاء من الذنوب ما عدا الشرك صغيرها وكبيرها كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء بخلاف غيره من الملوك فانه لا يغفر لمن تكررت ذنوبه اليهم وان صغرت قال البيضاوى ولعله عقب به وعيد المسيئين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى اه ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ اى بذواتكم واحوالكم منكم بانفسكم ﴿إِذْ﴾ اى حين ﴿أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ اى التى طبعها طبع الموت البرد واليبس بانشاء ابيكم آدم عليه السلام منها وتهيئتكم للتكون بعد ان لم يكن فيكم وانتم تراب قابلية للحيوة بقوة قريبة ولا بعيدة اصلا تميز التراب الذى يصلح لتكوينكم منه والذى لا يصلح ﴿وَإِذْ﴾ اى وحين ﴿أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ اى مستورون ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ فهو يعلم اذ ذاك ما انتم صائرون اليه من خير وشر وان عملتم مدة من العمر بخلافه لانه يعلم ما جبلكم عليه من ذلك وقرأ حمزة والكسائى فى الوصل بكسر الهمزة والباقون بضمها وكسر حمزة الميم وفتحها الباقون واما فى الابتداء بالهمزة فالجميع بضمها ﴿فَلَا تُزَكُّوا﴾ اى تمدحوا بالزكاة وهى البركة والطهارة عن الدناءة ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ اى حقيقة بان يثنى الانسان على نفسه فان تزكيته لنفسه قال القشيرى من علامات كونه محجوبا عن الله تعالى اى من مدح نفسه على سبيل الاعجاب اما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن او مجازا بان يثنى على غيره من اخوانه وانه كثيرا ما يثنى لشئ فيظهر خلافه وربما حصل له الاذى بسببه وان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع الحديث ولذلك علل بقوله تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ اى منكم ومن جميع الخلائق ﴿بِمَنِ اتَّقَى﴾ اى فانه يعلم المتقى وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم آدم عليه السلام فمن

جاهد نفسه حتى حصل منه تقوى فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب في الدارين فكيف بمن ثبتت
له التقوى وصفا ثابتا ؛ ولما بين جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر واحدا منهم بسوء فعله فقال
تعالى أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ اي عن اتباع الحق والثبات عليه قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن
المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ
وضللتهم فقال اني خشيت عذاب الله تعالى فضمن الذي عاتبه ان هو اعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه
ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك واعطى الذي عيره بعض ذلك الذي ضمن ومنعه
تمامه فانزل الله تعالى افرأيت الذي تولى اي ادبر عن الايمان وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا اي من المال المسمى وَأَكْدَىٰ
اي منع الباقي مأخوذ من الكدية ارض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر اذا وصل اليها من الحفر
فاكدى اصله من اكدى الحافر اذا حفر شيئا فصادف كدية منعته من الحفر ومثله
اجبل اذا صادف جبلا منعه من الحفر وكديت اصابعه كلت من الحفر ثم استعمل في كل من طلب شيئا فلم يصل
اليه او لم يتممه ولمن طلب شيئا ولم يبلغ آخره قال الحطيئة : واعطى قليلا ثم اكدى عطاءه
ومن يفعل المعروف في الناس يحمد + وقال السدي نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه
ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل وذلك
انه قال والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى اي لم يؤمن به
ومعنى اكدى قطع وروي ان عثمان رضي الله تعالى عنه كان يعطي ماله في الخير فقال عبد الله بن سعد
بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب
بما اصنع رضا الله تعالى وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل
عنك ذنوبك فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت وقوله تعالى أَعِنْدَهُ عِلْمُ
الْغَيْبِ اي ما غاب هو المفعول الثاني لرأيت بمعنى اخبرني والمفعول الاول محذوف اقتصارا
لا اعطى فَهُوَ اي فتسبب عن ذلك انه يَرَىٰ اي يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ذنوبه أَمْ اي بل
لَمْ يُنَبَّأْ اي يخبر اخبارا عظيما متتابعا بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ اي التوراة المنسوبة اليه بانزالها
عليه وكذا ما تبعها من اسفار الانبياء الذين جاؤوا بعده بتقريرها وقدم صحف موسى
عليه السلام على قوله وَإِبْرَاهِيمَ اي وصحفه لان كتاب موسى عليه السلام اعظم كتاب بعد
القرآن مع انه موجود بين الناس تمكن مراجعته ثم مدح ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى
الَّذِي وَفَّىٰ اي اتم ما امر به من ذلك تبليغ الرسالة واستقلاله باعباء النبوة وقيامه باضيافه
وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه
والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله تعالى بشيء الا وفى به وصبر على ما امتحن به فما قلق
شيئا من قلق وصبر على حر ذبح الولد وعلى حر النار ولم يستعن بمخلوق بل قال لجبريل عليه السلام
لما قال له الك حاجة قال اما اليك فلا وقال الضحاك وفى المناسك وروي عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال ابراهيم الذي وفى اربع ركعات من اول النهار وهي صلوة الضحى وتروى
الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون الى تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة
في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون وخص هذين النبيين لان الموعودين
من بني اسرائيل اليهود والنصارى يدعون متابعة موسى عليه السلام ومن العرب يدعون متابعة
ابراهيم عليه السلام ومن عداهم لا متمسك لهم ولا سلف في نبوة محققة ولا شريعة محفوظة
وقرأ هشام بفتح الهاء والف بعدها والباقون بكسر الهاء وياء بعدها ثم فسر تعالى الذي في الصحف
واستأنف بقوله تعالى ﴿الا تزر﴾ اى تأثم وتحمل ﴿وازرة﴾ اى نفس بلغت مبلغا تكون فيه حاملة لوزر
﴿وزر اخرى﴾ اى حملها الثقيل من الاثم وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة ان يحمل
عنه الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانوا قبل ابراهيم عليه السلام يأخذون
الرجل بذنب غيره وكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وعمه وخاله وامرأته والعبد بسيده
حتى جاءهم ابراهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله عز وجل ان لا تزر وازرة وزر اخرى
ولما بين ان يضره اثم غيره نفى ان ينفعه سعي غيره بقوله تعالى ﴿وان ليس للانسان﴾ كائنا من كان
﴿الا ما سعى﴾ فلا بد ان يعلم الحق في اى جهة فيسعى فيه وهذا المؤمنين للتحذير من سعيه بمواخاته
ولو بموافقته لهم في الدين فقط وكذا الحج عنه والصدقة ونحوهما واما الولد فواضح في ذلك واما ما كان
بسبب العلم والصدقة ونحوها فكذلك وفضيلة النبي صلى الله عليه وسلم عن امته اصل كبير في ذلك
فان من تبعه فقد والاه وهو اصل في التوحيد فمن الغير واهداءه ماله من الثواب في القراءة ونحوها اليه
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة اى وانما هو في صحف موسى وابراهيم
عليهما السلام بقوله الحقنا بهم ذريتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقال عكرمة ان ذلك
لقوم موسى وابراهيم عليهما السلام واما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى
ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا حج فقال نعم ولك اجر وقال رجل للنبي صلى الله
عليه وسلم ان امي افتلتت نفسها فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم قال الشيخ تقي الدين ابو العباس
احمد بن تيمية من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة احدها
ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير ثانيها ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف
في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها ثم لاهل الكبائر في الخروج من النار وهذا انتفاع بعمل الغير
ثالثها ان كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير رابعها ان الملائكة يدعون
ويستغفرون لمن في الارض وذلك منفعة بعمل الغير خامسها ان الله تعالى يخرج من النار
من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم سادسها ان اولاد المؤمنين يدخلون
الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير سابعها قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان ابوهما صالحا

فانتفعا بصلاح ابيهما وليس هو من سعيهما ثامنها ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص
السنة والاجماع وهو من عمل الغير تاسعها ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة
وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها ان الحج المنذور او الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة
وهو انتفاع بعمل الغير حادي عشرها ان المدين الذي امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى
قضى دينه ابو قتادة وقضى دين الآخر علي بن ابي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم وبردت
جلدته بقضاء دينه وهو من عمل الغير ثاني عشرها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده
الا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها
ان الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير رابع عشرها
ان من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير خامس عشرها ان الجار
الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير سادس عشرها ان جليس اهل الذكر
يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره
سابع عشرها الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل
غيره ثامن عشرها ان الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض
بالبعض تاسع عشرها ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
وقال تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد دفع الله
تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير عشروها ان صدقة الفطر تجب عن الصغير
وغيره ممن يمونه الرجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي لهما حادي عشريها ان الزكاة تجب
في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما
لا يكاد يحصى فكيف يجوز ان تتأول الآية على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة والمراد بالانسان
العموم وقال الربيع بن انس ليس للانسان يعني الكافر واما المؤمن فله ما سعى وما سعي له وقيل ليس للكافر
من الخير الا ما عمله يثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الآخرة خير وروي ان عبد الله بن ابي كان اعطى العباس
قميصا ألبسه اياه فلما مات ارسل النبي صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم تبق له حسنة
في الآخرة يثاب عليها وان سعيه اي من خير وشر سوف يرى اي في ميزانه من غير شك يوم القيامة
بوعد لا خلف فيه وان طال المدى من اريته الشيء اي يعرض عليه ويكشف فان قيل العمل
كيف يرى بعد وجوده ومضيه اجيب بانه يرى على صورة جميلة ان كان العمل صالحا قال
الرازي وذلك على مذهبنا غير بعيد فان كل موجود يرى والله تعالى قادر على اعادة كل ما عدم
فيعيد الفعل ويرى وفيه بشارة للموحد وذلك ان الله تعالى يريه اعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن
الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما ثم يجزاه اي السعي الجزاء الاوفى اي الاتم الاكمل والمعنى
ان الانسان يجزى جزاء سعيه بالجزاء الاوفى يقال جزيت فلانا سعيه وبسعيه قال الرازي

الجزاء الاوفى يليق بالمؤمنين الصالحين لان جزاء الظالم وافر قال تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وذلك ان جهنم ضررها اكثر من نفع الآثام فهي في نفسها اوفر ﴿وان الى ربك﴾ اي المحسن اليك لا الى غيره ﴿المنتهى﴾ اي الانتهاء برجوع الخلائق ومصيرهم اليه فيجازيهم باعمالهم وقيل منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وروى ابو هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فان الله تعالى لا يحيط به الفكر وفي رواية لا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره قال القرطبي ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله تعالى ولقد احسن من قال

ولا تفكرن في ذي العلا عز وجهه * فانك تردى ان فعلت وتخذل

ودونك مصنوعاته فاعتبر بها * وقل مثل ما قال الخليل المبجل

وقيل المراد من الآية التوحيد وفي الخطاب وجهان احدهما انه عام تقديره الى ربك ايها السامع او العاقل والثاني انه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الاول يكون تهديدا وعلى الثاني يكون تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الاول تكون اللام في المنتهى للعهد المعهود في القرآن وعلى الثاني تكون للعموم اي الى ربك كل منتهى وقوله تعالى ﴿وانه هو﴾ اي لا غيره ﴿اضحك وابكى﴾ يدل على ان كل ما يعمله الانسان بقضاء الله تعالى وخلقه حتى الضحك والبكاء وروي انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم من اصحابه وهم يضحكون فقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك وانه هو اضحك وابكى اي قضى اسبابهما فرجع اليهم صلى الله عليه وسلم فقال ما خطوت اربعين خطوة حتى اتاني جبريل فقال ائت هؤلاء فقل لهم ان الله تعالى يقول هو اضحك وابكى اي قضى اسباب الضحك والبكاء وقال بسام بن عبد الله اضحك اسنانهم وابكى قلوبهم وانشدوا

السن تضحك والاحشاء تحترق * وانما ضحكها زور ومختلق

يارب باك بعين لا دموع لها * ورب ضاحك سن ما به رمق

وقال مجاهد والكلبي اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقال عطاء بن ابي مسلم يعني افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء وقيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكاء من سائر الحيوان وقيل القرد وحده يضحك ولا يبكي وان الابل وحدها تبكي ولا تضحك وقال يوسف بن الحسين سئل طاهر المقدسي اتضحك الملائكة فقال ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم وعن عائشة قالت لا والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ان الميت يعذب ببكاء احد ولكنه قال ان الكافر يزيده الله ببكاء اهله عذابا وان الله تعالى هو اضحك وابكى «تنبيه» قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى وما بعده يسميه البيانيون الطباق المتضاد

وهو نوع من البديع وهو ان يذكر ضدان او نقيضان او متنافيان بوجه من الوجوه واضحك وابكى
لا مفعول لهما في هذا الموضع لانهما سيقا لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المفعول كقول القائل
فلان بيده الاخذ والعطاء يعطي ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى واختار هذين الوصفين المذكورين
لانهما امران لا يعللان فلا يقدر احد من الطبائعيين يبين لاختصاص الانسان بالضحك والبكاء
وجها ولا سببا واذا لم يعلل بامر فلا بد له من موجد وهو الله تعالى بخلاف الصحة والسقم فانهم يقولون
سببهما اختلال المزاج وخروجه عن الاعتدال ومما يدل على ذلك انهم اذا عللوا الضحك قالوا القوة
التعجبية وهو باطل لان الانسان ربما بهت عند رؤية الامور العجيبة ولا يضحك وقيل لقوة
الفرح وليس كذلك لان الانسان قد يبكي لقوة الفرح كما قال بعضهم هجم السرور
علي حتى انه من عظم ما قد سرني ابكاني وانه هو اي لا غيره امات واحيى اي وان راينا اسبابا
ظاهرة فانها لا عبرة بها في نفس الامر بل هو الذي خلقها اي امات في الدنيا واحيى في البعث وقال القرطبي
قضى اسباب الموت والحياة وقيل امات الاباء واحيى الابناء وقيل امات الكافر بالكفر واحيى المؤمن بالايمان
وانه خلق الزوجين ثم فسرهما بقوله تعالى الذكر والانثى فانه لو كان ذلك في يد غيره لمنع البنات
لانهن مكروهات لغالب الناس وقوله تعالى من نطفة اذا تمنى اي تصب يشمل سائر الحيوانات
لان ذلك يختص بآدم وحواء عليهما السلام لانهما ما خلقا من نطفة وهذا ايضا تنبيه على كمال
القدرة لان النطفة جسم متناسب الاجزاء ويخلق الله تعالى منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة
وخلق الذكر والانثى منها اعجب ما يكون ولهذا لم يقدر احد على ان يدعي خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم قال تعالى ولئن سألتهم ليقولن الله وقال تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى وانه خلق ولم يقل
وانه هو خلق كما قال تعالى وانه هو اضحك وابكى اجيب بان الضحك والبكاء ربما يتوهم انهما
بفعل الانسان وفي الاماتة والاحياء وان كان ذلك التوهم بعيدا لكن ربما يقول به جاهل كما قال
من حاج ابراهيم عليه السلام انا احيي واميت فاكد ذلك بالفصل واما خلق الذكر والانثى
من النطفة فلا يتوهم احد انه بفعل احد من الناس فلم يؤكد بالفصل الا ترى الى قوله تعالى
وانه هو اغنى واقنى حيث كان الاغناء عندهم غير مستند الى الله تعالى وكان في معتقدهم ان
ذلك بفعلهم كما قال قارون انما اوتيته على علم عندي ولذلك قال هو رب الشعرى فاكد
في مواضع استبعادهم الى الاسناد ولم يؤكد في غيره وان عليه اي خاصة به علما وقدرة
النشأة اي الحياة الاخرى للبعث يوم القيامة بعد الحياة الاولى فان قيل الاعادة لا تجب
على الله تعالى فما معنى عليه [illegible] اجيب بانه عليه بحكم الوعد فانه قال انا نحن نحيي الموتى فعليه
بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الشين وبعدها الف ممدودة
قبل الهمزة والباقون بسكون الشين بعدها الهمزة المفتوحة واذا وقف حمزة نقل حركة

الهمزة الى النقيض وانه هو اي وحده من غير نظر الى سعي ساع ولا غيره اغنى قال ابو صالح اغنى
الناس بالاموال واقنى اعطى القنية واصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقال
الضحاك اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم وقال الحسن
وقتادة اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اعطى فارضى وقال مجاهد ومقاتل اقنى ارضى بما اعطى
وقنع قال الراغب وتحقيقه انه جعل له قنية من الرضا وقال سليمان التيمي اغنى نفسه وافقر خلقه
اليه وقال ابن زيد اغنى اكثر واقنى اقل وقرأ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الاخفش اقنى افقر
وقال ابن كيسان اولد وقال الزمخشري اقنى اعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت على ان لا يخرج
من يدك * تنبيه حذف مفعولا اغنى واقنى لان المراد نسبة هذين اليه وكذلك باقيها والف
اقنى منقلبة عن ياء لانه من القنية قال الشاعر * الا ان بعد العدم للمرء قنية * ويقال قنيت
كذا واقتنيته قال الشاعر * قنيت حياتي عفة وتكرما * وانه هو اي لا غيره رب الشعرى [illegible]
رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة
عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها
خزاعة وحمير وابو كبشة احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته وبذلك كان
مشركو قريش يسمون النبي صلى الله عليه وسلم بابن ابي كبشة حين دعا الى الله تعالى وخالف
اديانهم تشبيها بذلك الرجل في انه احدث دينا غير دينهم والشعرى في لسان العرب كوكبان تسمى
احدهما الشعرى العبور وهي المرادة في الاية الكريمة وهي تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر
ويقال لها مرزم الجوزاء وتسمى كلب الجبار ايضا وتسمى الشعرى اليمانية والثانية الشعرى
الغميصاء وهي التي في الذراع والمجرة بينهما وتسمى الشامية وسبب تسميتها بالغميصاء على ما ذكر عند
العرب انهما كانا اختين او زوجتين لسهيل فانحدر سهيل الى اليمن فاتبعته الشعرى العبور
فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصاء تبكي حتى غمصت عينها ولذلك كانت اخفى من
العبور وكان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم وانه اهلك
عادا الاولى وهم قوم هود عليه السلام هلكوا بريح صرصر والاخرى قوم صالح وقيل
الاخرى ارم وقيل الاولى اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح وقرأ نافع وابو عمرو بتشديد
اللام بعد الدال المفتوحة نقلا وهمز قالون الواو وبعد اللام همزة ساكنة والباقون بتنوين
الدال وكسر التنوين وسكون اللام وبعدها همزة مضمومة فاذا قرأ القارئ عادا الاولى لقالون
وابي عمرو فله في الوصل اي وصل عادا بالاولى وجه واحد وهو النقل المذكور وقالون على اصله
بالهمزة كما ذكر فاذا وقف على عادا وابتدأ بالاولى فله الابتداء بهمزة الوصل وهو
الاولى وله ايضا الابتداء بغير همز الوصل وهو لولى وقالون بهمز الواو في الوجهين الاولين
ولم يهمز في الوجه الثالث الذي هو الاصل ووافقهما ورش في الاوجه المذكورة في الوصل

والابتداء لا في الوجه الثالث الذي هو الاصل فانه ليس من مذهبه الا النقل وَثَمُودَا وهم
قوم صالح اهلكهم الله تعالى بصيحة فَمَا أَبْقَى منهم احدا وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين للدال
في الوصل وسكون الدال في الوقف والباقون بالتنوين في الوصل والوقف على الالف وَقَوْمَ نُوحٍ
اي اهلكهم لاجل ظلمهم بالتكذيب مِنْ قَبْلُ اي قبل الفريقين إِنَّهُمْ اي قوم نوح كَانُوا اي بما لهم
من الاخلاق التي هي كالجبلات التي لا انفكاك عنها هُمْ اي خاصة أَظْلَمَ اي من الطائفتين المذكورتين
وَأَطْغَى لهم اي واشد تجبرا وتمردا في الظلم وعلوا واسرافا في المعاصي وتجبرا وعتوا لتمادي دعوة
نوح عليه السلام قريبا من الف سنة ولانهم اطول اعمارا واشد ابدانا وكانوا مع ذلك من الاذى
روي ان الرجل منهم كان ياخذ بيد ابنه فينطلق به الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فانه
كذاب وان ابي قد مشى بي الى هذا او قال لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير
على وصية ابيه ولهذا قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك
ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى وَالْمُؤْتَفِكَةَ منصوب بقوله تعالى
أَهْوَى وقدم لاجل الفواصل والمراد بالمؤتفكة قرى قوم لوط رفعها الى عنان السماء
على جناح جبريل عليه السلام ثم اهواها الى الارض اي اسقطها واتبعها بحجارة النار
الكبريتية وهو قوله تعالى فَغَشَّاهَا اي اتبعها ما غطاها فكانت لها بمنزلة الغشاء وهوّله
بقوله تعالى مَا غَشَّى اي امرا عظيما من الحجارة المنضودة المسومة وغيرها مما لا تسع العقول وصفه
فَبِأَيِّ آلَاءِ اي انعم رَبِّكَ اي المحسن اليك تَتَمَارَى اي تتشكك ايها الانسان وقيل المراد الوليد بن المغيرة
وقال ابن عباس تتمارى اي تكذب وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي تتشكك في احالة الخواطر فكرك
في ارادة هداية جميع قومك بحيث لا تريد ان احدا منهم يهلك وقد حكم ربك باهلاك كثير منهم لما
اقتضته حكمته فكان بعض خواطرك في تلك الاحالة يتشكك ببعضها بعضا هَذَا اي النبي صلى الله
عليه وسلم نَذِيرٌ اي محذر بليغ التحذير مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى اي من جنسهم اي رسول كالرسل قبله
ارسل اليكم كما ارسلوا الى اقوامهم وقال تعالى الاولى على تاويل الجماعة او هذا القرآن نذير من النذر
الاولى اي انذار من جنس الانذارات الاولى التي انذر بها من قبلكم أَزِفَتِ الْآزِفَةُ اي قربت الموصوفة
بالقرب في قوله تعالى اقتربت الساعة وهو يوم القيامة لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ اي من ادنى رتبة من رتبة
الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما وقوله تعالى كَاشِفَةٌ يجوز ان يكون وصفا وان يكون مصدرا
فان كان وصفا احتمل ان يكون التانيث لاجل انه وصف لمؤنث محذوف تقديره نفس كاشفة او حال
كاشفة اي مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو وليس لها نفس كاشفة اي قادرة على
كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه تعالى لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتاخير
وان كانت مصدرا فهي بمعنى الكشف كالعافية والمعنى ليس لها من دون الله كشف اي
لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قال اكثر المفسرين المراد بالحديث القرآن

لتعليم الذي يأتي على سبيل التجدد بحسب الوقائع والحاجات تَعْجَبُونَ ۙ انكارا وهو في غاية ما يكون
من ترقيق القلوب وقرأ ابو عمرو بادغام المثلثة في التاء المثناة بخلاف عنه وَتَضْحَكُونَ
اى استهزاء من هذا الحديث وتجدّدون ذلك في كل وقت وَلَا تَبْكُونَ ۙ اى كما هو حق
من يسمعه لما فيه من الوعد والوعيد وغير ذلك وقال الرازي يحتمل ان يكون ذلك اشارة الى
حديث ازفت الآزفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر الاجساد والعظام البالية وقوله تعالى
وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ۝ جملة مستأنفة اخبر الله تعالى عنهم بذلك ويحتمل ان تكون حالا اى
انتفى عنكم البكاء في حال كونكم سامدين واختلف في معنى السمود فقيل هو الاعراض والغفلة
عن الشئ اى وانتم معرضون غافلون عما يطلب منكم وقيل هو اللهو يقال دع عنا سمودك
اى لهوك قاله الوالبي والعوفي عن ابن عباس وقال الشاعر ؎ الا ايها الانسان انك سامد
كانك لا تفنى ولا انت هالك ؞ فهذا بمعنى لاه لاعب وقيل هو الجمود وقيل هو الاستكبار
قال الشاعر ؎ رمى الحدثان نسوة آل سعد ؞ بمقدار سمدن له سمودا ؞ فردّ شعورهنّ
السود بيضا ؞ وردّ وجوههنّ البيض سودا ؞ فهذا بمعنى الجمود والخشوع وقال عكرمة
وابو عبيدة السمود الغناء بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا اى غنّي فكانوا اذا سمعوا
القرآن تغنوا ولعبوا وقال مجاهد غضاب مبرطمون وقال الضحاك اشرون بطرون وقال الراغب
السامد اللاهي الرافع رأسه من قولهم بعير سامد في سيره وقال الحسن السامد الواقف للصلوة
قبل وقوف الامام لما روى انه صلى الله عليه وسلم خرج والناس ينتظرونه قياما فقال ما لي اراكم سامدين
وتسمية الارض ان يجعل فيها السماد وهو سرجين برماد وقوله تعالى فَاسْجُدُوا اى اخضعوا
خضوعا كثيرا بالسجود لِلَّهِ اى الملك الاعظم يحتمل ان يكون المراد به سجود التلاوة وان يكون ع ٣ سجدة
المراد به سجود الصلوة وَاعْبُدُوا ۩ اى اشتغلوا بكل انواع العبادة ولم يقل واعبدوا الله اما لكونه
معلوما من قوله تعالى فاسجدوا لله واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله فبقي الاحتمال
الاول لما روى عكرمة عن ابن عباس ان النبيّ صلى الله عليه وسلم سجد في النجم وسجد معه المسلمون
والمشركون والجنّ والانس وعن عبد الله بن مسعود قال اوّل سورة انزلت فيها سجدة النجم
قال فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا شيخا من قريش اخذ كفا
من حصا او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد ذلك قتل
كافرا وهو امية بن خلف كما في بعض الروايات وروى زيد بن ثابت قال قرأت على النبيّ صلى
الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها وهذا يدل على ان سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ان الله تعالى لم يكتبها علينا الا ان نشاء وهو قول الشافعي واحمد رضي
الله عنهما اى فهي مستحبة وذهب قوم الى وجوبها على القاري والمستمع جميعا وهو قول
سفيان الثوري واصحاب الرأي وذهب قوم الى انها في المفصل غير مستحبة وما رواه البيضاوي

تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به حديث موضوع

سورة القمر وتسمى اقتربت مكية

الا سيهزم الجمع ويولون الدبر الآيات وهي خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان واربعون كلمة والف واربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا

بسم الله اي الذي احاط علمه فتمت قدرته الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء فعمت الشقي والسعيد نعمته الرحيم الذي خص باتمام نعمته من اصطفاه فاسعدهم رحمته اقتربت الساعة دنت القيامة وفي اول هذه السورة مناسبة لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى ازفت الآزفة فكأنه اعاد ذلك مستدلا عليه بقوله تعالى اقتربت الآزفة فهو بمعنى اذا القمر انشق وقوله تعالى وانشق القمر ماض على حقيقته وهو قول عامة المسلمين الا من لا يلتفت الى قوله وقد صح في الاخبار ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وعن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقد روى انس بن مالك ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم القمر بنصفين حتى راوا حراء بينهما وقال سنان عن قتادة فاراهم انشقاق القمر مرتين وقال ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله لم ينشق بمكة وقال مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وقيل انشق بمعنى سينشق يوم القيامة واوقع الماضي موقع المستقبل وهو خلاف الاجماع وقيل انشق بمعنى انفلق عنه الظلام عند طلوعه كما يسمى الصبح فلقا وانشد النابغة فلما ادبروا ولهم دوي * دعانا عند شق الصبح داع وانما ذكرت ذلك تنبيها على ضعفه وروى ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسلوا السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رأيناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اي كفار قريش آية اي معجزة له صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر يعرضوا عنها ويقولوا هذا سحر مستمر اي ذاهب سوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر اذا ذهب مثل قولهم قر واستقر قاله مجاهد وقتادة وقال ابو العالية والضحاك مستمر اي قوي شديد يعلو كل سحر من قولهم مر الحبل اذا صلب واشتد وامررته اذا احكمت فتله واستمر الشيء اذا قوي واستحكم وقيل مستمر اي دائم فان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يأتي كل زمان بمعجز فقالوا هذا سحر مستمر دائم لا يختلف بالنسبة الى شيء بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على امر وامرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على الكل قاله الزمخشري ومنه قول الشاعر

الا انما الدنيا ليال واعصر * وليس على شيء قويم بمستمر

وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد

نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر وقال
ابو حيان سبب نزولها ان مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين
ووعدوا بالايمان ان فعل ذلك وكانت ليلة بدر اي ليلة اربعة عشر في الشهر فسأل ربه فانشق
القمر فقالوا سحر مستمر ولم يؤمنوا وكذبوا اي بكون انشقاقه دالا على صدق الرسول صلى الله
عليه وسلم وجزموا بالتكذيب عنادا واتبعوا اي بمعالجة فطرتهم الاولى المستقيمة في دعائها الى التصديق
اهواءهم في انه صلى الله عليه وسلم سحر القمر وانه خسوف في القمر وظهور شيء في جانب آخر من الجو يشبه
نصف القمر وانه سحر اعيننا وان القمر لم يصبه شيء فهذه اهواؤهم قال القشيري فاعظم اتباع الهوى
من شؤمه يحصل التكذيب لان الله تعالى يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر والرشد واتباع
الرضا مقرون بالتصديق لان الله تعالى ببركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فيأتي بالتصديق
وكل امر اي من اموركم من الخير والشر مستقر اي باهله في الجنة او النار وقال قتادة كل امر
مستقر فالخير مستقر باهل الخير والشر مستقر باهل الشر وقيل مستقر قول المصدق
والمكذب حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعذاب وقيل كل امر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه
شيء منهم فكذبوا واتبعوا اهواءهم والانبياء صدقوا وبلغوا كما في الله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء ولقد
جاءهم اي اهل مكة في القرآن قبل الآخرة من الانباء اي اخبار اهلاك الامم الماضية المكذبة
رسلهم لان الانباء الاخبار العظام التي لها وقع كقول الهدهد وجئتك من سبأ بنبأ يقين لانه كان خبرا
عظيما له وقع وخطر وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ اي بامر عظيم له خطر وانما يجب التثبت فيما يتعلق
به حكم ويترتب عليه امر ذو بال ما فيه مزدجر اي عما هم فيه من الباطل ولكن لم يزدجر منهم الا من اراد الله
تعالى * تنبيه * المزدجر اسم مصدر اي ازدجار او اسم مكان اي موضع ازدجار والدال بدل من تاء
الافتعال وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة وما موصولة او موصوفة وقوله تعالى حكمة خبر مبتدأ محذوف
او بدل من ما او من مزدجر بالغة اي قد انتهت في بلوغها الى اقصى غايات الحكمة لتضمنها ووضوحها فنهيها مع
الزجر ترجية ومواعظ واحكام ودقائق فما تغن اي تنفع النذر اي الانذارات او المنذرون والامور
المنذر بها وقيل انما المغني بذلك هو الله تعالى فما شاء الله كان وما لم يشأه لم يكن قال البقاعي ولعل
الاشارة باسقاط الياء تبع المصاحف من غير موجب في اللفظ الى انه كما سقطت
غاية احرف الكلمة سقطت ثمرة الانذار وهو القبول * تنبيه * يجوز في ما ان تكون استفهامية
وتكون في محل نصب مفعولا مقدما اي اي شيء تغني النذر وان تكون نافية اي لم تغن
النذر شيئا والنذر جمع نذير والمراد به المصدر او اسم الفاعل ولما كان صلى الله عليه وسلم
شديد التعلق بطلب نجاتهم فهو لذلك ربما اشتهى اجابتهم الى مقترحاتهم تسبب عن ذلك قوله
تعالى فتول عنهم اي كلف نفسك الاعراض عن تمني ذلك فما عليك الا البلاغ واما الهداية
فالى الله تعالى وحده * تنبيه * قال اكثر المفسرين نسختها آية السيف وقال الرازي

ان قول المفسرين في قوله تعالى تولّ منسوخ ليس كذلك بل المراد منه لا تناظرهم بالكلام وقوله
تعالى يوم منصوب باذكر اي واذكر يوم يدع الداع وقيل منصوب بيخرجون بعده والداعي
معروف كالمنادي في قوله تعالى يوم ينادي المنادي لانه معلوم وقد اخبر عنه فقيل ان مناديا ينادي
وداعيا يدعو فقيل الداعي اسرافيل عليه السلام ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس قاله مقاتل
وقيل جبريل عليه السلام وقيل ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ لا يقطع حد العلمية
ويكون كقولك جاء رجل فقال الرجل قاله الرازي وقرأ نافع وابو عمرو بحذف الياء بعد العين
وقفا واثباتها وصلا وابن كثير باثباتها وقفا ووصلا والباقون بحذفها وقفا ووصلا الى شيء نكر
اي منكر فظيع لم ير مثله فينكرونه استعظاما فان قيل ما ذلك الشيء المنكر اجيب بانه الحساب
او الجمع له او النشر للجمع فان قيل النشر لا يكون منكرا فانه احياء ولان الكافر من اين يعرف وقت النشر
وما يجري عليه لينكره اجيب بانه يعلم ذلك لقوله تعالى عنهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرأ
ابن كثير بسكون الكاف والباقون بالرفع ولما بين تعالى دعاءهم بما هال امره بين حال المدعوين زيادة
في الهول فقال تعالى خشعا ابصارهم اي ينظرون نظر الخاضع الذليل السافل المنزلة المستوحش
الذي هو شر حال ونسب التخشع الى الابصار لان الذل والعز يتبين في النظر والذل ان يرمي به صاحبه
الى الارض مغلا مع هيبة تعرف منه وكذلك كما قال تعالى خاشعين من الذل ينظرون من طرف
خفي وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الخاء والف بعدها وكسر الشين والباقون بضم الخاء
ولا الف بعدها وفتح الشين مشددة اما القراءة الاولى فهي جارية على اللغة الفصحى من حيث ان
الفعل وما جرى مجراه اذا قدم على الفاعل وحد تقول تخشع ابصارهم ولا تقول تخشعن ابصارهم
واما القراءة الثانية فجاءت على لغة طيء يقولون اكلوني البراغيث قال الزمخشري ويجوز ان يكون
في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه اهـ وتقدم نظير ذلك في قوله تعالى في الانبياء واسروا
النجوى الذين ظلموا وجملة خاشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون اي الناس من الاجداث اي
القبور كانهم جراد اي في كثرتهم وتراكم بعضهم على بعض وصغارهم وضعفهم وتموجهم يقال
في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد وكالذباب منتشر اي منبث متفرق
في كل مكان لكثرتهم لا يدرون اين يذهبون مهطعين اي مسرعين مادي اعناقهم الى الداع مقبلين
برؤسهم اليه لا يلتفتون الى سواه كما يفعل من ينظر في ذل وخضوع وصمت واستكانة
هذا حال الكل واما الكافر فنبه عليه بقوله تعالى يقول اي على سبيل التكرار الكافرون اي الذين
كانوا في الدنيا عريقين في ستر الادلة واظهار الاباطيل المضلة هذا اي الوقت الذي نحن فيه
لما نرى فيه من الاهوال يوم عسر اي في غاية العسر والصعوبة والشدة وذلك بحسب
حالهم فيه كما قال تعالى في سورة المدثر يوم عسير على الكافرين ولما فرغ من حكاية كلام
الكافرين ومن ذكر علامات الساعة اعاد ذكر بعض الانبياء فقال تعالى كذبت

قبلهم

او فعت التكذيب العظيم الذى عموا به جميع الرسالات وجميع الرسل قبلهم اى اهل مكة قوم نوح
مع ما كان بهم من القوة وفيهم من الانتشار فى جميع الاقطار وانث فعلهم تحقيرا لهم وتهوينا لامرهم
فى جنب قدرته تعالى فان قيل الحاق الضمير المؤنث بالفعل قبيح وذكر الفاعل جائز وحسن بالاتفاق والحاق
ضمير الجمع بالفعل قبيح عند اكثرهم فلا يجوز ان كذبوا قوم نوح ويجوز ان كذبت فما الفرق
اجاب الرازى بان التانيث انما جاز قبل الجمع لان الانوثة والذكورة للفاعل امر لا يتبدل ولم تحصل
الانوثة للفاعل بسبب فعله بخلاف الجمع لان الجمع للفاعلين بسبب فعلهم فكذبوا عبدنا
نوحا عليه السلام على ماله من العظمة بنسبته الينا مع تشريفنا اياه بالرسالة وقالوا زيادة
على التكذيب مجنون هذا الذى يصدر منه من الخوارق امر من الجن وازدجر وهل هذا من مقولهم
اى قالوا انه ازدجر اى ازدجرته الجن وذهبت بلبه قاله مجاهد وهو من كلام الله تعالى اخبر الله
تعالى عنه بانه انتهر وازدجر بالسب وانواع الاذى وقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
قال الرازى وهذا اصح لان المقصود تقوية قلب النبى صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه وايضا يترتب عليه
قوله تعالى فدعا ربه وهذا الترتيب فى غاية الحسن لانهم لما زجروه وانزجر هو عن دعائهم دعا ربه الذى
رباه بالاحسان اليه وبرسالته انى اى بانى مغلوب اى من قومى كلهم بالقوة والمنعة
لا بالحجة وأكده ابلاغا فى الشكاية واظهار الذل والعبودية لان الله تعالى عالم بسر العبد
وجهره فما شرع الدعاء فى اصله الا لاظهار التذلل وكذا الابلاغ فيه وقال ابن عطية غلبتنى
نفسى وحملتنى على الدعاء عليهم قال ابن عادل وهو ضعيف فانتصر اى اوقع نصرى عليهم انت وحدك
على ابلغ وجه فانتقم لى منهم ففتحنا اى بسبب دعائه فتحا يليق بعظمتنا ابواب السماء اى كلها
فى جميع الاقطار وعبر بجمع القلة عن جمع الكثرة والمراد من الفتح والابواب والسماء حقائقها فان للسماء
ابوابا تفتح وتغلق وقيل هذا على سبيل الاستعارة فان الظاهر ان الماء كان من السحاب فهو كقول القائل
فى المطر الوابل جرت ميازيب السماء وفى قوله تعالى ففتحنا بيان بان الله تعالى انتقم منهم وانتقم بماء لا بجند انزله
ومن العجب انهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله تعالى بمطلوبهم وقرا ابن عامر بتشديد التاء
بعد الفاء والباقون بالتخفيف وفى الباء فى قوله تعالى بماء وجهان اظهرهما انها للتعدية وذلك
على المبالغة فى انه جعل الماء كالالة للفتح به كما تقول فتحت بالمفتاح والثانى انها للحال اى فتحناها
ملتبسة بماء منهمر اى منصب بابلغ ما يكون من السيلان والصب كثرة وعظما ولذلك
لم يقل بمطر لانه خارج عن تلك العادة واستمر ذلك اربعين يوما وفجرنا اى صدعنا بما لنا
من العظمة وشققنا وبعثنا وارسلنا الارض عيونا اى جميع عيون الارض ولكنه عدل عنه
للتهويل بالابهام ثم البيان وافادة ان وجه الارض صار كله عيونا وقرا ابن كثير وابن ذكوان
وشعبة وحمزة والكسائى بكسر العين والباقون بضمها فالتقى الماء اى المعهود وهو ماء السماء
وماء الارض بسبب فعلنا هذا وزاد فى تعظيمه باداة الاستعلاء فقال تعالى على امر اى حال

قد قدر اى قضى اى فى الازل وهو هلاكهم غرقا بماء مقدر لا يزيد قطرة ولا يهلك غير من
امرنا باهلاكهم وحملناه اى نوحا عليه السلام تتميما لانتصاره على ذات اى سفينة
صاحبة الواح اى اخشاب نجرت حتى صارت عريضة ودسر جمع دسار ككتاب وهو ما تشد به
السفينة من مسامير وحديد وخشب او من خيوط الليف ونحوها قال البقاعى ولعله عبر عن السفينة
بما شرحها تنبيها على قدرته على ما يريد تجرى اى السفينة باعيننا اى محفوظة من ان تدخل
بحر الظلمات او يأتى عليها غير ذلك من الآفات بحفظنا على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر
الشئ باعين كثيرة ولا يغيب عنه اصلا وجوز ان يكون جمع تكسير لعين الماء وقوله
تعالى جزاء منصوب بفعل مقدر اى اغرقوا انتصارا لمن كان كفر وهو نوح عليه الصلوة
والسلام او البارى تعالى ولقد تركناها اى ابقينا هذه الفعلة العظيمة من جرى السفينة على
هذا الوجه وابقاء نوح عليه السلام على ما لنا من العظمة وقيل تلك السفينة بعينها بقيت على الجودى
حتى ادرك بقاياها اوائل هذه الامة آية اى علامة عظيمة على ما لنا من العلم المحيط والقدرة التامة فهل
من مدكر اى معتبر ومتعظ بها واصله مذتكر ابدلت التاء دالا مهملة وكذا المعجمة وادغمت فيها
وقوله تعالى فكيف كان اى وجد ووقع عذابى اى لمن كفر وكذب برسلى ونذر اى انذارى
استفهام تقرير فكيف خبر كان وهى للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الاقرار بوقوع
عذابه تعالى بالمكذبين لنوح وقومه وقرأ ورش باثبات الياء بعد الراء وصلا لا وقفا جميع ما فى
هذه السورة والباقون بغير ياء وقفا ووصلا قال البقاعى ولما كان هذا المفصل مما انزل اول القرآن
تيسيرا على الامة نبه على ذلك بقوله تعالى ولقد يسرنا اى علمنا لنا من العظمة القرآن اى على ما له من
الجمع والفرق والعظمة المناسبة لكونه وصفا لنا للذكر اى للاتعاظ والتذكر والتدبر والفهم والتشريف
والحفظ لمن يراعيه قال ابن عباس انزلناه باللسان العربى ونزلناه للافهام تنزيلا وضربنا لهم الامثال اطلنا
لهم فهذه الاعمار ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم وقال القشيرى يسر قراءته على السنة قوم وعلمه
على قلوب قوم وفهمه على قلوب قوم وحفظه على قلوب قوم وكلهم اهل القرآن وخاصته وليس يحفظ
من كتب الله تعالى عن ظهر قلب غيره قال الجلال فهل من مدكر اى معتبر ومتعظ بها وتقدم اصله
ولما انقضت قصة نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم ذكر قصة عاد لانها اعظم قصة جرت بعد
قوم نوح فيما تعرفه العرب بقوله تعالى كذبت عاد اى وقعت التكذيب العام المطلق الذى وجب بتكذيبهم
برسولهم هود عليه الصلوة والسلام فى دعائه لهم الى الله وانذاره عذابى فكيف اى فعلى اى الاحوال
كان تكذيبهم كان عذابى لهم ونذر اى وانذارى اياهم بلسان رسولى قبل نزوله اى
وقع موقعه فان قيل لم لم يقل فكذبوا هودا كما قال تعالى فى قصة نوح فكذبوا عبدنا
اجيب بان تكذيب قوم نوح ابلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عناده ولما كانت قصة عاد
ذكرت مختصرة شرع فى عذابهم بقوله تعالى انا ارسلنا اى بما لنا من العظمة عليهم ريحا

وعبر بحرف الاستعلاء اعلاما بالنقمة ثم وصف الريح بقوله تعالى ﴿صرصرا﴾ اي شديدة
الصوت من صرصر الباب والقلم اذا صوت وقيل الشديدة البرد من الصر وهو البرد وقال مكي
اصله صرر من صر الشيء اذا صوت لكن ابدل من الراء المشددة صادا وهذا قول الكوفيين وقال
الرازي الصرصر الدائمة الهبوب من اصر على الشيء اذا دام وثبت والكل متقارب ثم زادها تهويلا فقال
تعالى ﴿في يوم نحس﴾ اي شديد القباحة قيل كان ذلك يوم الاربعاء في آخر الشهر وهو شوال لثمان
بقين منه واستمر الى غروب شمس الاربعاء الاخرى فانه قال تعالى في سورة الحاقة سبع ليال
وثمانية ايام حسوما وقال تعالى في حم السجدة في ايام نحسات فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان
وقوله تعالى ﴿مستمر﴾ اي دائم الشؤم الوقت نفاذ المراد منه يفيد ما تفيده الايام لان الاستمرار ينبئ
عن امتداد الزمان كما تنبئ عنه الايام والحكاية هنا مذكورة على سبيل الاختصار فذكر الزمان
ولم يذكر مقداره على سبيل الايجاز فاستمر عليهم بنحوسه ولم يبق منهم احدا الا اهلكه هذا
وصفها في ذاتها واما وصفها بفعلها فيهم فذكره بقوله تعالى ﴿تنزع﴾ اي تأخذ ﴿الناس﴾ بقلع الذين
هم صرعى الاثبات لهم بارواح التقوى من الارض بعضهم من وجوهها وبعضهم من حفر حفروها
ليمتنعوا بها من العذاب فتطيرهم بين السماء والارض كأنهم الهباء المنثور فتقلع رؤسهم من جثثهم
وقوله تعالى ﴿كأنهم﴾ اي حال كونهم بلا رؤس فيلقون لا ارواح فيهم ﴿اعجاز نخل﴾ اي اصول نخل قطعت رؤسها
حال من الناس مقدرة وقوله ﴿منقعر﴾ صفة لنخل باعتبار الجنس وانث في الحاقة فقال نخل خاوية باعتبار
معنى الجماعة قال ابن عادل وانما ذكر هنا وانث هناك مراعاة للفواصل في الموضعين وقال الرازي
ذكر الله تعالى لفظ النخل في مواضع ثلاثة ووصفها على الاوجه الثلاثة فقال تعالى والنخل باسقات
وذلك حال منها وهي كالوصف وقال تعالى نخل خاوية ونخل منقعر حيث قال منقعر كان المختار
ذلك لان المنقعر في حقيقة الامر كالمفعول لانه ورد عليه القعر فهو مقعور والخاوي والباسق فاعل واخلاء
المفعول عن علامة التانيث اولى تقول امرأة قتيل واما الباسقات فهي فاعلات حقيقة لان البسوق
امر قائم بها واما الخاوية فهي من باب حسن الوجه لان الخاوي موضعها فكأنه قال نخل خاوية
المواضع وهذا غاية الاعجاز حيث اتى بلفظ مناسب للالفاظ السابقة واللاحقة من حيث
اللفظ * تنبيه * الاعجاز جمع عجز وهو مؤخر الشيء ومنه العجز لانه يؤدي الى تاخر الامور
والمنقعر المنقطع من اصله يقال قعرت النخلة قلعتها من اصلها فانقعرت وقعرت البئر وصلت
الى قعرها وقعرت الاناء شربت ما فيه حتى وصلت الى قعره وكرر قوله تعالى ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾
للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم
عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وتقدم تفسير قوله تعالى ﴿ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ وكرره ايذانا بان تفسير القرآن مع اعجازه لا يكون الا بنظمه ع
تفوت قوى البشر وتعجز عنها منهم القدر * ولما انقضت قصة عاد ذكر تعالى قصة ثمود لانهم

فمنه عاد في الفظاعة فقال تعالى كذبت ثمود أي قوم صالح عليه السلام وقوله تعالى بالنذر
جمع نذير بمعنى منذر أي بالإنذارات التي أنذرهم بها نبيهم صالح عليه السلام إن لم يؤمنوا به
ثم علل ذلك وعقبه بقوله تعالى فقالوا منكرين لما جاءهم من الله تعالى غاية الإنكار أبشرا أ إنكار
الرسالة هذا النوع ليكون إنكار النبوة نبيهم على أبلغ الوجوه وهو منصوب بفعل يفسره
نتبعه الآتي وقولهم منا نعت له أي فلا فضل له علينا فما وجه اختصاصه بذلك من بيننا وقولهم
واحدا نعت له أيضا ثم عظموا الإنكار بقولهم نتبعه أي نجاهد أنفسنا في خلع ما ألفنا وما كان عليه
آباؤنا والاستفهام بمعنى النفي والمعنى كيف نتبعه ونحن أشد الناس قوة وكثرة وهو واحد
منا ثم استنتجوا من هذا الإنكار الشديد قولهم مؤكدين إنا إذا أي إن اتبعناه لفي ضلال أي
ذهاب عن الصواب محيط بنا وسعر أي وجنون جمع سعير فعكسوا عليه وقالوا إن اتبعناك
كنا إذا كما تقول وقيل السعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال الشاعر كأن بها سعرا إذا العيس
هزها * ذميل وإرخاء من السير متعب * ثم استدلوا بما صاحر ساقوه مساق الإنكار فقالوا
أألقي أي أنزل الذكر أي الوحي الذي يكون به الشرف الأعظم بغتة في سرعة عليه
لأنه لم يكن عندهم في مضمار هذا الشأن ولا توسموا فيه قبل شارته به شيئا منه بل ناهم
بغتة في غاية الإسراع ودلوا على وجه التعجب والإنكار بالاختصاص بقولهم من بيننا أي وفينا من هو
أولى بذلك منه سنا وشرفا وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الهمزة الأولى المفتوحة
وتسهيل الثانية المضمومة كالواو وأدخل قالون وأبو عمرو بينهما ألفا بخلاف عن أبي عمرو ولم يدخل
ورش وابن كثير ألفا وأما هشام فله تسهيل الثانية وتحقيقها وإدخال الألف بينهما مع التحقيق
والباقون بتحقيقهما مع عدم الإدخال وإذا وقف حمزة فله في الثانية التسهيل وإبدالها واوا والتحقيق
ثم أضربوا عن ذلك الاستفهام لأنه بمعنى النفي بقولهم بل هو كذاب أي بليغ في الكذب في قوله
إنه أوحي إليه ما ذكر أشر أي متكبر بطر غلبت عليه البطالة حتى أعجبته نفسه فتجبر
فهو يريد الترفع قال الله تعالى سيعلمون أي بوعد لا خلف فيه غدا أي في الزمن الآتي
القريب وهو يوم القيامة لأن كل ما حقق إتيانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا
يوم القيامة وقرأ ابن عامر وحمزة بعد السين بتاء الخطاب وفيه وجهان أحدهما أنه حكاية
عن قول صالح عليه السلام لقومه والثاني أنه خطاب من الله تعالى على جهة الالتفات والباقون
بياء الغيبة جريا على الغيب قبله في قوله تعالى فقالوا أبشرا واختار هذه القراءة مكي لأن عليها
الأكثر من الكذاب الأشر أي هو هم بأن عذبوا على تكذيبهم لنبيه صالح صلى الله عليه
وسلم وقد روي أنهم تعنتوا عليه فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال تعالى
إنا أي بما لنا من العظمة مرسلوا الناقة أي موجدوها ومخرجوها كما اقترحوا من حجر أهلا
لذلك مخصوصا من بين الأحجار دلالة على رسالتنا لصالح عليه السلام مخصصين

من بين قومه وذلك انهم قالوا لصالح عليه السلام نريد ان نعرف المحق منا بان ندعو الهتنا وتدعو الهك فمن اجابه الهه علمنا انه المحق فدعوا اوثانهم فلم تجبهم فقالوا ادع انت فقال فما تريدون قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء وبراء فاجابهم الى ذلك بشرط الايمان فوعدوه بذلك واكدوا فكذبوا بعد ما كذبوا فان الهتهم تجبهم وصدق فهو عليه السلام في كل ما قال فاخبره ربه سبحانه انه مجيبهم الى اخراجها فتنة لهم اي امتحانا يعاملهم به فيميلهم عن حالتهم التي وعدوا بها وتنقلهم عنها لان المعجزة فتنة لان بها يتميز المثاب من المعذب فالمعجزة تصديق وتمييز يفترق المصدق من المكذب او يقال اخراج الناقة من الصخرة معجزة ودورانها بينهم وقسمة الماء كان فتنة ولهذا قال تعالى انا مرسلو الناقة ولم يقل مخرجو فارتقبهم اي كاشف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على اعمالهم انتظار من يحرسهم واصطبر اي عالج نفسك واجتهد في الصبر عليهم واصل الطاء في اصطبر تاء فتحولت طاء لتكون موافقة للصاد في الاطباق ونبئهم اي اخبرهم اخبارا عظيما بامر عظيم وهو ان الماء اي الذي يشربونه وهو ماء بئرهم قسمة بينهم اي بين قوم صالح عليه السلام والناقة فغلب العاقل عليها والمعنى انا اذا بعثناها كان لهم يوم لا تشاركهم فيه ولها يوم لا تدع في البئر قطرة ياخذها احد منهم ويتوسع الكل بدل الماء لبنا كل شرب اي نصيب من الماء محتضر اي فالناقة تحضر الماء يوم وردها وتغيب عنهم يوم وردهم قاله مقاتل وقال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون * تنبيه * الحكمة في قسمة الماء اما لان الناقة عظيمة الخلق فتنفر منها حيواناتهم فكان يوم للناقة ويوم لهم واما لقلة الماء فلا يحملهم واما لان الماء كان مقسوما بينهم لكل فريق يوم فيوم ورد الناقة على هؤلاء يجيئون على الاخرين وكذلك الاخرون فيكون النقصان على الكل ولا تختص الناقة بجميع الماء روي انهم كانوا يكتفون في يوم وردها بلبنها وليس في الاية الا القسمة دون كيفيتها وظاهر قوله تعالى كل شرب محتضر يعضد الوجه الثالث وحضر واحتضر بمعنى واحد وقوله تعالى فنادوا صاحبهم فيه حذف قبله اي فتمادوا على ذلك ثم ملوه فعزموا على عقرها فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف الذي انتدبوه لها واشار بقتل الناقة وكان اقوى عدهم للايمان واكرمهم بالاحسان وكان اشجعهم وقيل كان رئيسهم فتعاطى اي فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث به فعقر اي فتسبب عن ذلك عقرها وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف قال محمد بن اسحق كمن لها في اصل شجرة على طريقها فرماها فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاءة ثم نحرها وقال ابن عباس كان الذي عقرها احمر ازرق اشقر كيف اتفق يقال له قدار بن سالف والعرب تسمي الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشؤم آل ثمود فكيف كان عذابي اي كان على حال وجه هو اهل ان يجتهد في الاقبال على تعرفه والسؤال عنه ونذر اي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله

اى وقع موقعه وبينه بقوله تعالى ﴿إِنَّا﴾ اى بما لنا من العظمة ﴿أَرْسَلْنَا﴾ اى ارسالا عظيما ﴿عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً﴾ وحقر شأنهم بالنسبة الى عظمة عذابه بقوله تعالى ﴿وَاحِدَةً﴾ صاحها عليهم جبريل
عليه السلام فلم يكن لهم بصيحته هذه التى هى واحدة طاقة كما قال تعالى ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ وهو الذى
يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وما يسقط من ذلك
فما داسته هو الهشيم والهشيم المكسور ومنه سمى هاشم لهشمه الثريد فى الجفان غير ان الهشيم
يستعمل كثيرا فى الحطب المتكسر اليابس قال المفسرون كانوا كالخشب المتكسر الذى يخرج من الحظائر
بدليل قوله تعالى ﴿هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف وتشبيههم
بالهشيم اما لكونهم يابسين كالموتى الذين ماتوا من زمان او لانضمام بعضهم الى بعض فاجتمعوا
بعضهم فوق بعض كما يجمع الحاطب الحطب بضمه شيأ فوق شئ منتظرا حضور من يشترى منه قال
ابن عادل ويحتمل ان يكون ذلك لبيان ردهم فى جهنم اى كانوا كالحطب اليابس الذى للموقد
كقوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وقوله تعالى ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ تنبيهات ٣ احدها انه تعالى
ذكر فكيف كان عذابى ونذر فى ثلاثة مواضع ذكرها فى حكاية نوح عليه السلام بعد بيان
العذاب وذكرها هنا قبل بيان العذاب وذكرها فى حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه حيث
ذكر قبل بيان العذاب فللبيان كقول العارف حكاية لغير العارف هل تعلم كيف كان امر فلان
وغرضه ان يقول اخبرنى عنه وحيث ذكرها بعد بيان العذاب ذكرها للتعظيم كقول فلان
اى ضرب وايما ضرب ويقول ضربته وكيف ضربته اى قويا وفى حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان
وللاستفهام ثانيها انه تعالى ذكر فى حكاية نوح عليه السلام الذى للتعظيم وفى حكاية ثمود
ذكر الذى للبيان لان عذاب قوم نوح كان بامر عظيم عام وهو الطوفان الذى عم العالم ولا كذلك
عذاب قوم هود فانه كان مختصا بهم ثالثها انه تعالى ذكر فى هذه السورة خمس قصص وجعل القصة
المتوسطة مذكورة على اتم وجه لان حال صالح عليه السلام كان اتم مشابهة بحال محمد صلى الله
عليه وسلم لانه اتى بامر عجيب ارضى وكان اعجب مما جاء به الانبياء عليهم الصلوة والسلام لان عيسى
عليه السلام احيا الميت لكن الميت كان محلا للحياة فقامت الحياة باذن الله تعالى فى محل كان قابلا
لها وموسى عليه السلام انقلبت عصاه ثعبانا فاثبت الله تعالى له فى الخشب الحياة باذنه سبحانه
لكن الخشبة نبات كان له قوة فى النمو فاشبه الحيوان فى النمو وصالح عليه السلام كان الظاهر فى
يده خروج الناقة من الحجر والحجر جماد ليس محلا للحياة ولا محلا للنمو ونبينا صلى الله عليه وسلم
اتى باعجب من الكل وهو التصرف فى الجرم السماوى الذى يقول المشرك لا وصول لاحد الى السماء واما الارضيات
فقالوا انها اجسام مشتركة المواد تقبل كل واحدة منها صورة الاخرى والسماويات لا تقبل ذلك فلما اتى
بما اعترفوا بانه لا يقدر على مثله آدمى كان اتم وابلغ من معجزة صالح عليه السلام التى هى اتم
من معجزة سائر الانبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ اى على ما لنا من العظمة

القرآن اي الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملتبس للذكر اي الحفظ والتذكر والتدبر ويحصول له
الشرف في الدارين فهل من مدكر اي من ناظر بعين الانصاف والتجرد عن الهوى ليرى كل ما اخبرنا
به فيعينه عليه ولما انقضت قصة ثمود بما تعرفه العرب بالاخبار ورؤية الآثار فقال تعالى
كذبت قوم لوط اي وهم في قوة عظيمة على ما يحاولونه وان كانوا في تكذيبهم هذا اضعف من عقول
النساء عن التجرد عن الهوى بما دل عليه تانيث الفعل بالتاء وكذا ما قبلها من القصص بالنذر
اي بالامور المنذرة لهم على لسان نبيهم لوط عليه السلام ودل على تناهي القباحة في مرتكبهم
بتقديم الاخبار عن عذابهم فقال تعالى مؤكدا لتوعد من استمر على التكذيب انا اي بما لنا من
العظمة ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا شديدة ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحدة دون
ملء الكف فهلكوا الا آل لوط وهم من آمن به فكان اذا رايته فكانك رايت لوطا
عليه السلام لما يلوح عليه من افعاله والمشي على منواله في اقواله وافعاله نجيناهم
تنجية عظيمة بسحر اي باخر ليلة من الليالي وهي الليلة التي عذب فيها قومه وانصرف لانه نكرة
لانا لا نعرف تلك الليلة بعينها ولو قصد به وقت بعينه لمنع الصرف للتعريف والعدل عن
ال هذا هو المشهور وزعم صدر الافاضل انه مبني على الفتح كامس مبنيا على الكسر تنبيه
قال الجلال المحلي وهل ارسل الحاصب على آل لوط او لا قولان وعبر عن الاستثناء على الاول بانه متصل
وعلى الثاني بانه منقطع وان كان من الجنس تسمحا وقوله تعالى نعمة اما مفعول له واما مصدر بفعل
من لفظها او من معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام فالتاويل اما في العامل واما في المصدر وقوله تعالى
من عندنا متعلق بنعمة او بمحذوف صفة لها كذلك اي مثل هذا الانجاء العظيم الذي جعلناه
جزاء لهم نجزي من شكر اي من آمن بالله تعالى واطاعه قال بعض المفسرين وهو وعد لامة محمد
صلى الله عليه وسلم بانه يصونهم عن الهلاك العام وقال الرازي ويمكن ان يقال هو وعد لهؤلاء
بالثواب يوم القيامة كما انجاهم في الدنيا من العذاب لقوله تعالى ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي
الشاكرين وقال مقاتل من وحد الله تعالى لم يعذب به مع المشركين ولقد انذرهم اي رسولنا لوط
عليه السلام بطشتنا اي اخذتنا المقرونة من الشدة بما لنا من العظمة وهي العذاب الذي نزل بهم
وقيل هو عذاب الآخرة لقوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى فتماروا اي تجادلوا وكذبوا بالنذر اي
بانذاره فكان سببا للاخذ ولقد راودوه عن ضيفه اي ارادوا ان يخلي بينهم وبين القوم الذين
اتوه في صورة الاضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملائكة في صورة شباب مرد وافرد لان المراد الجنس
فطمسنا اي فتسبب عن مراودتهم ان طمسنا بعظمتنا اعينهم اي اعميناها وجعلناها
بلا شق كباقي الوجه بان صفقها جبريل عليه السلام بجناحه وقال الضحاك بل اعماهم الله
تعالى فلم يروا الرسل فقالوا لقد رايناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فلم يروهم
وهذا قول ابن عباس وروي انهم صارت اعينهم مع وجوههم كالصفيحة الواحدة وقال

القشيري مسح جناحه على وجوههم فعموا ولم يهتدوا للخروج قال أئمة اللغة العرب تقول طمست
الريح الأعلام إذا دفنتها بما تسفي عليها فانطلقوا هاربين مسرعين إلى الباب لا يهتدون السبيل
ولا يقفون عليه بل يصادمون الجدران خوفا مما هو أعظم من ذلك وهم يقولون عند ذلك
لوط سحر الناس وما أداهم عقولهم إلى أن يؤمنوا فينجوا أنفسهم قال القشيري وكذلك أجرى الله تعالى
سنته في أوليائه بأن يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون أولياءه ويخلصهم من
كيدهم وقوله تعالى فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ أي إنذاري وتخويفي خطاب لهم أي قلنا لهم على لسان
الملائكة فذوقوا فهو خطاب مع كل مكذب أي إن كنتم تكذبون فذوقوا قال القرطبي والمراد من هذا
الأمر الخبري أي فأذقتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط عليه السلام فإن قيل لم كرر كيف تذاق أجيب
بأن المراد ثمرته وفائدته فإن قيل إذا كان المراد بقوله تعالى عذابي هو العذاب العاجل وبقوله لي ونذر هو
العذاب الآجل لأنهما لم يكونا في زمان واحد فكيف قال تعالى فذوقوا أجيب بأن العذاب الآجل أوله
متصل بآخر العذاب العاجل فهما كالواقع في زمان واحد وهو قوله تعالى أغرقوا فأدخلوا نارا وَلَقَدْ
صَبَّحَهُمْ أي أتاهم وقت الصباح وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بإظهار الدال الساكنة
عند الصاد والباقون بالإظهار وحقق المعنى بقوله تعالى بُكْرَةً أي في أول نهار العذاب وانصرف
بكرة لأنه نكرة ولو قصد به وقت بعينه امتنع الصرف للتأنيث والتعريف عَذَابٌ أي نقلع بلادهم
ثم قلبها وحصبها بحجارة النار وخسفها وغمرها بالماء المنتن الذي لا يعيش به حيوان مُسْتَقِرٌّ
أي ثابت عليهم فلم يزائلهم بحال ولا يزحزحهم قال البقاعي بعد الطمس فإنه أهلكهم فاتصل بعذاب البرزخ
المتصل بعذاب القيامة المتصل بالعذاب الأكبر في الطبقة التي تناسب ما هم من عذاب النار فقال
لهم لسان الحال إن لم ينطق لسان المقال فَذُوقُوا أي بسبب أفعالكم الخبيثة عَذَابِي وَنُذُرِ
تنبيه قد علم من تكرير هذا أن سبب العذاب التكذيب بالإنذار لأي رسول كان استئنافا في كل
قصة منها علامة أهل على حدتها لأن يتعظ بها وَلَقَدْ يَسَّرْنَا أي على ما لنا من العظمة الْقُرْآنَ
أي الجامع الفارق بين الحق والباطل ولو شئنا لأعليناه بما لنا من القدرة إلى حد
تعجز القوى عن فهمه كما أعليناه إلى رتبة وقفت القوى عن معارضته لِلذِّكْرِ فَهَلْ
مِنْ مُدَّكِرٍ أي فيخلص نفسه من مثل هذا الذي أوقع فيه هؤلاء أنفسهم ظنا منهم أن الأمر ع
لا يصل إليهم أو صل إليه جهلا منهم وعدم اكتراث بالعواقب ولما انقضت قصة لوط عليه
السلام أتبعها قصة موسى عليه السلام لأنها بعد قوم لوط بقوله تعالى وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ
أي فرعون ملك القبط بمصر وقومه الذين إذا رآهم أحد كان كأنه رآهم لشدة قربهم منه
وتخلقهم بأخلاقه النُّذُرُ أي الإنذارات على لسان موسى وهرون عليهما السلام ولم يؤمنوا بل
كَذَّبُوا أي تكذيبا عظيما مستهزئين بِآيَاتِنَا التي أتاهم بها موسى عليه السلام كُلِّهَا أي التسع
التي أو منها وهي العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل

والضفادع والدم فان قيل كيف قال ولقد جاء ولم يقل في غيره جاء اجيب بان موسى عليه السلام لما كان غائبا عن القوم فقدم عليهم كما قال تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم لانه جاءهم من عند الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى قومه من الطور والنذر الرسل ولقد جاءهم يوسف وبنوه الى ان جاءهم موسى عليه السلام وقيل النذر الانذارات تنبيه ههنا همزتان مفتوحتان من كلمتين فقرأ ابو عمرو وقالون باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الهمزة الثانية ولهما ايضا ابدالها الفا وورش على اصله في الهمزة المسهلة ومد لين المجيء حمزة وابن ذكوان والباقون بالتحقيق واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفا مع المد والتوسط والقصر فاخذناهم اي بما لنا من العظمة بعقب ما اخذ نابه قوم نوح من الاغراق اخذ عزيز اي لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء مقتدر اي لا يعجل بالاخذ لانه لا يخاف الفوت ولا يخشى معقبا لحكمه بالغ القدرة الى حد لا يدرك الوصف كنهه ثم خوف كفار مكة فقال تعالى أكفاركم اي الراسخون منكم يا اهل مكة في الكفر الثابتون عليه يا ايها المكذبون لهذا النبي الكريم الساترون لشموس دينه خير في الدنيا بالقوة والكثرة او في الدين عند الله او عند الناس من اولئكم اي المذكورين من قوم نوح الى فرعون الذين عذبناهم في هذه السورة وهذا استفهام بمعنى الانكار اي ليسوا باقوى منهم فمعناه نفي اي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين اهلكوا بكفرهم تنبيه قوله تعالى خير مع انه لا خير فيهم اما ان يكون كقول حسان فشركما لخيركما الفداء او هو بحسب زعمهم واعتقادهم او المراد بالخير شدة القوة او لان كل ممكن فلا بد وان يكون له صفات محمودة فالمراد تلك الصفات ام لكم اي يا اهل مكة براءة في الزبر اي انزل اليكم من الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من عذاب الله تعالى والاستفهام هنا ايضا بمعنى النفي اي ليس الامر كذلك ام يقولون اي كفار قريش نحن جميع اي جمع واحد مما لا نرى اجتماعه فهو في نهاية من الضم فلا افتراق له منتصر اي على كل من يعاديه لانهم على قلب رجل واحد ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الاى ولما قال ابو جهل يوم بدر انا جميع منتصر نزل سيهزم الجمع بابسر امر بوعد كانه منه وقال مقاتل ضرب ابو جهل يوم بدر فرسه فتقدم من الصف وقال نحن ننتصر اليوم على محمد واصحابه فانزل الله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فهزموا ببدر ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل الادبار لموافقة رؤس الاى بل الساعة اي القيامة التي يكون فيها الجمع الاكبر والهول الاعظم موعدهم اي للعذاب والساعة ادهى اي من كل ما يفرض وقوعه في الدنيا وادهى افعل تفضيل من الداهية وهي امر هائل لا يهتدى لدوائه فهي امر عظيم يقال دهاه امر كذا اي اصابه دهوا ودهيا

وقال ابن السكيت دهته داهية دهواء ودهياء وهي توكيد لها وقرأ حمزة والكسائي بالإمالة
محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وأمرّ لأن عذابها للكفار غير مفارق
ولا مزايل فهي أعظم نائبة وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر وفي رواية أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يثب في درعه ويقول اللهم إن قريشا جاءت تحادك وتحاد رسولك بفخرها وخيلائها
فأخنهم الغداة يقال أخنى عليه الدهر أي أهلكه ومنه قول النابغة: أخنى عليها الذي
أخنى على لبد * وأخنيت عليه أفسدت ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر فعرفت
تأويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر قال
ابن عباس كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين فالآية على هذا مكية. وفي البخاري
عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وإني لجارية
ألعب بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم
قال وهو في قبة له يوم بدر أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم
أبدا فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو
يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم يريد يوم القيامة والساعة أدهى وأمر مما
لحقهم يوم بدر إِنَّ الْمُجْرِمِينَ أي المشركين القاطعين لما أمر الله تعالى أن يوصل فِي ضَلَالٍ أي هلاك
بالقتل في الدنيا وَسُعُرٍ أي نار مسعرة أي مهيجة في الآخرة وقيل في ضلال أي عمى عن القصد
بتكذيبهم بالبعث وسعر قال الضحاك أي نار تسعر عليهم وقيل ضلال ذهاب عن طريق الجنة
في الآخرة وسعر جهنم سعيرا أي مسعرة وقال الحسين بن الفضل إن المجرمين في ضلال في الدنيا ونار
في الآخرة وقال قتادة في عناء وعذاب ثم بين عذابهم في الآخرة بقوله تعالى يَوْمَ يُسْحَبُونَ
أي في القيامة إهانة لهم من أي ساحب كان فِي النَّارِ أي الكاملة النارية عَلَى وُجُوهِهِمْ
لأنهم في غاية الذل والهوان جزاء بما كانوا يذلون أولياء الله تعالى مقولا لهم أي قائلين لهم
ذُوقُوا لأنه لا منعة لهم ولا حمية بوجه مَسَّ سَقَرَ أي حر النار وإيلامها فإن مسها سبب للتألم بها
وسقر علم لجهنم مشتقة من سقرته الشمس والنار أي لوحته ويقال صقرته بالصاد وهي
مبدلة من السين قال ذو الرمة: إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها * بأفنان مربوع الصريمة معبل
وعدم صرفها للتعريف والتأنيث وقال بعض المفسرين إن هذه الآية نزلت في القدرية لما روي أنه صلى الله عليه وسلم
قال مجوس هذه الأمة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله سبحانه إن المجرمين في ضلال
وسعر وفي مسلم عن أبي هريرة قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت هذه
الآية إلى آخرها قال الرازي هو الذي ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات الكواكب لما مر أن
قريشا خاصموا النبي صلى الله عليه وسلم في القدر ومذهبهم أن الله تعالى مكن العبد من الطاعة
والمعصية وهو قادر على خلق ذلك في العبد وقادر على أن يطعم الفقير ولهذا قالوا أنطعم من لو

وقف لازم

يشاء الله اطعمه منكرين لقدرته تعالى على الاطعام وقوله صلى الله عليه وسلم القدرية
مجوس هذه الامة ان اريد بالامة المرسل اليهم مطلقا كالقوم فالقدرية فى زمانه صلى الله
عليه وسلم هم المشركون المنكرون قدرته على الحوادث فلا يدخل فيهم المعتزلة وان كان المراد بالامة من
آمن به صلى الله عليه وسلم فمعناه ان نسبة القدرية اليهم كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة فان المجوس
اضعف الكفرة المتقدمين شبهة واشد مخالفة للعقل وكذا القدرية فى هذه الامة وكونهم كذلك
لا يقتضى الجزم بكونهم فى النار فالحق ان القدرى هو الذى ينكر قدرة الله تعالى وقد رد عليهم
الكتاب والسنة اما من الكتاب فقوله تعالى ﴿إِنَّا﴾ اى بما لنا من العظمة ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الاشياء
المخلوقة صغيرها وكبيرها ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ اى قضاء وحكم وقياس مضبوط وقسمة محدودة
وقوة بالغة وتدبير محكم فى وقت معلوم ومكان محدود مكتوب ذلك فى اللوح قبل وقوعه
واما من السنة فما روى عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب
الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف عام قال وعرشه على الماء
وعن طاوس اليمانى قال ادركت ما شاء الله تعالى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون
كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل شئ بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز وعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى
بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وزاد عبيد الله خيره وشره ونصب كل شئ
منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر واشار سبحانه وتعالى الى ان كل شئ بفعله بين يسر ذلك
وسهولته عليه بقوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ اى لكل شئ اردنا وجوده وان عظم امره ﴿إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ اى فعلة يسيرة
لا معالجة فيها وليس هناك احداث قول لانه تدبير بل تعلق القدرة بالمقدور على وفق الارادة الازلية
وقيل الا كلمة واحدة وهى قوله تعالى كن كما قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم مثل لنا ذلك
باسرع ما نعقله واخفه بقوله تعالى ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ اى النظر بالعجلة ففى الصحاح لمحه والمحه
اذا ابصره بنظر خفيف اى فكما ان لمح احدكم ببصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الافعال كلها عندنا
بل ايسر وعن ابن عباس معناه وما امرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كلمح البصر ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا﴾ اى بما لنا
من العظمة ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ اى اشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السابقة والقدرة عليكم
كالقدرة عليهم فاحذروا ان يصيبكم ما اصابهم ولذلك سبب عنه قوله تعالى ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾
اى برد نفسه انه مثل من مضى بل اضعف وان قدرته تعالى عليه كقدرته تعالى عليهم ليرجع عما هو فيه خوفا من
سطوته والاستفهام بمعنى الامر اى اذكروا واتعظوا ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ قال الجلال المحلى اى العباد
وقال اكثر المفسرين اى الاشياع لانه هو المتقدم ذكره ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ اى مكتوب فيها وفى الحفظة
وقيل فى اللوح المحفوظ وقيل فى ام الكتاب فليحذر من افعالهم فانها غير منسية هذا اما اطيق

عليه القراء بما ادى الى هذا المعنى من رفع كل لانه لو نصب لاوهم تعلق الجار بالفعل فيوهم انهم فعلوا
في الزبر كل شيء من الاشياء وهو فاسد وكل صغير وكبير اي من الخلق واعمالهم وآجالهم مستطر
اي مكتوب في اللوح المحفوظ ولما وصف الكفار وصف المؤمنين مؤكدا ردا على المنكر فقال عز
من قائل ان المتقين اي العريقين في وصف الخوف من الله الذي وفقهم لطاعته في جنات
اي خلال بساتين ذات اشجار تستر داخلها وقوله تعالى ونهر اريد به الجنس لان فيها انهارا
من ماء وعسل ولبن وخمر وافرده لموافقة رؤس الآي ولشدة اتصال بعضها ببعض فكأنها
شيء واحد والمعنى انهم ليشربون من انهارها وقيل هو السعة والضياء من النهار وكما جعل للمتقين
في تلك الدار ذلك جعل لهم في هذه الدار ايضا جنات العلوم وانهار المعارف
ولهذا كانوا في مقعد صدق اي حق لا لغو فيه ولا تأثيم ولم يقل في مجلس صدق
لان القعود جلوس فيه مكث ومنه قواعد البيت والقواعد من النساء ولذا قال عند
مليك اي ملك مقتدر اي قادر لا يعجزه شيء وهو الله تعالى وعند اشارة للرتبة ع
والكرامة والمنزلة من فضله تعالى جعلنا الله تعالى ومحبينا منهم وما رواه البيضاوي تبعا
للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة القمر في كل غب اي يقرأ يوما ويترك
يوما بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر حديث موضوع

سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن

لانها جمعت النعم والجمال والبهجة في نوعها والكمال مكية كلها في قول الحسن وعروة وابن الزبير وعطاء
وجابر وقال ابن عباس الا آية منها وهي قوله تعالى يسأله من في السموات والارض الآية وقال ابن مسعود ومقاتل
هي مدنية كلها قال ابن عادل والاول اصح لما روى عروة بن الزبير قال اول من جهر بالقرآن بمكة
بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القرآن
يجهر به قط فمن رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود انا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة
يمنعونه فابى ثم قام عند المقام فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن ثم تمادى بها رافعا صوته
وقريش في انديتها فتأملوا وقالوا ما يقول ابن ام عبد قالوا هو يقول الذي يزعم محمد انه انزل عليه ثم
ضربوه حتى اثروا في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرأ سورة
الرحمن ومر النفر من الجن فآمنوا به وهي سبع وثمانون آية وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة والف وستمائة
وستة وثلاثون حرفا بسم الله الذي ظهرت احاطة كماله بما ظهر من عجائب مخلوقاته الرحمن الذي ظهر
عموم رحمته بما ظهر من بدائع مصنوعاته الرحيم الذي ظهر اختصاصه لاهل طاعته بما تحققوا من
الذل المفيد للعز بلزوم عباداته ولما كانت هذه السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية
والاخروية صدرها بقوله تعالى الرحمن علم اي من شاء القرآن وقدم من نعمه الدينية ما هو
اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه تعالى بالقرآن العظيم وتنزيله وتعليمه لانه اعظم

وحي الله تعالى رتبة واعلاها منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها * تنبيه * اول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لان آخر تلك مليك مقتدر واول هذه الرحمن قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن فاتحة ثلاث سور اذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى الر وحم ون فيكون مجموع هذه الرحمن ولله تبارك وتعالى رحمتان رحمة سابقة بها خلق الخلق ورحمة لاحقة بها اعطاهم الرزق والمنافع فهو رحمن باعتبار السابقة رحيم باعتبار اللاحقة ولما اختص بالايجاد لم يقل لغيره رحمن ولما خلق لبعض خلقه الصالحين بعض اخلاقه بحسب الطاقة البشرية فاطعم ونفع جاز ان يقال له رحيم وفي اعراب الرحمن ثلاثة اوجه احدها انه خبر مبتدأ مضمر اي الله الرحمن الثاني انه مبتدأ وخبره مضمر اي الرحمن ربنا الثالث انه مبتدأ خبره علم القرآن فان قيل كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله * اجيب * بانا ان قلنا بعطف الراسخين على الله فهو ظاهر وان قلنا بالوقف على الله ويبتدأ اثبت له تعالى بالراسخين فلان من علم كتابا عظيما فيه مواضع مشكلة قليلة وتأملها يجد لا مكان فانه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني وان كان لا يعلم مراد صاحبه في ذلك المواضع القليلة وكذا القول في تعليم القرآن او يقال المراد لا يعلمه من تلقاء نفسه بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكاء والفكر واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال اكثر المفسرين نزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله تعالى الرحمن علم القرآن اي سهله لان يذكر ويقرأ كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر ولما كان كانه قيل كيف يعلمه وهو صفة من صفاته ومن علمه قال تعالى مستأنفا او معللا خلق الانسان اي الجنس بان قدره واوجده على هذا الشكل المعروف والتركيب الموصوف منفصلا عن جميع الجمادات واصله منها ثم عن سائر النباتات ثم عن غيره من الحيوانات وخلقه له دليل على خلقه لكل شيء من حي دائم كل شيء خلقناه بقدر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية علمه البيان اي القوة الناطقة وهي الادراك للامور الكلية والجزئية والحكم على الحاضر والغائب بقياسه على الحاضر وغير ذلك مما اودعه له سبحانه مع تعبيره عما ادركه مما هو غائب في ضميره وافهامه لغيره تارة بالقول وتارة بالفعل نطقا وكتابة واشارة وغيرها فصار بذلك ذا قدرة في نفسه والتكميل لغيره فهذا التعليم البيان الذي تمكن من تعليم القرآن وقال ابن عباس وقتادة والحسن يعني آدم عليه السلام علم اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة الف لغة افضلها العربية وعن ابن عباس ايضا وابن كيسان المراد بالانسان ههنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من البيان الحلال والحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه يبين عن الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع بن انس هو ما ينفعه وما يضره وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل بيان الكتابة والخط بالقلم نظيره قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم

قوله بسبعمائة الف لغة في نسخة الجلال بسبعمائة الف لغة اه مصححه

فان قيل لم قدم تعليم القرآن الانسان على خلقه وهو متاخر عنه في الوجود اجيب بان التعليم
هو السبب في ... ده وخلقه فان قيل كيف صرح بذكر المفعولين في علمه البيان ولم يصرح بهما
في علم القرآن اجيب بان في ذلك اشارة الى ان النعمة في التعميم لا في تعليم شخص دون شخص
وبان المراد من قوله تعالى علمه البيان تعداد النعم على الانسان واستدعاء الشكر منه ولم يذكر
الملائكة لان المقصود ذكر ما يرجع الى الانسان وقيل تقديره علم جبريل القرآن وقيل علم
محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل علم الانسان وهذا اولى لعمومه. تنبيه: هذه الجمل من قوله
تعالى علم القرآن الى ما جيء بها من غير عاطف لانها سيقت لتعديد نعمه كقولك فلان احسن
الى فلان اكرمه اشاد ذكره رفع قدره فلشدة الوصل ترك العاطف وهي اخبار مترادفة للرحمن ولما ذكر
تعالى خلق الانسان والانعام عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين بقوله تعالى الشمس وهي آية النهار
والقمر وهو آية الليل بحسبان فانهما على قانون واحد وحساب لا يتغيران وبذلك تتم منفعتهما
للزراعات وغيرها ولولا الشمس والقمر لفات كثير من المنافع الظاهرة بخلاف غيرهما من الكواكب فان نفعها
لا تظهر لكل احد مثل ظهور نعمتهما وانهما بحسبان لا يتغيران ابدا ولو كان سيرهما غير معلوم للخلق
لما انتفعوا بالزراعات في اوقاتها ومعرفة فصول السنة والمعنى يجريان بحسبان معلوم فاضمر الخبر
قال ابن عباس وقتادة وابو مالك يجريان بحسبان في منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها وقال
ابن زيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد
كيف يحسب شيئا ان كان الدهر كله ليلا او نهارا وقال السدي بحسبان تقدير آجالهما اي يجريان
باجال كاجال الناس فاذا جاء اجلهما هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى والنجم اي النبات الذي
ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له كالبقول والشجر اي الذي له ساق كشجر الرمان وتقدم
الجواب عن قوله تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين في سورة الصافات يسجدان اي ينقادان لله
تعالى فيما يريد به طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وقال الضحاك سجودهما سجود ظلالهما
وقال الفراء سجودهما انهما يستقبلان اذا طلعت الشمس ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء وقال
الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال تعالى يتفيأ ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السماء وسجوده
في قول مجاهد دوران ظله وقيل سجود النجم افوله وسجود الشجر امكان الاجتناء لثمارها حكاه
الماوردي وقال النحاس اصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو
من الموات كلها استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذلك فان قيل
كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن اجيب بانه استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل
المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له فان قيل اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف
اجيب بان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب من

حيث التقابل فان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر
بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود النجم والشجر **والسماء** اى وضع
السماء ثم فسر ناصبها فيكون كالمذكور مرتين اشارة الى عظيم تدبيره لشدة ما فيها من الحكم
فقال تعالى **رفعها** اى حسا قال البقاعى بعد ان كانت ملتصقة بالارض ففتقها واعلاها عنها وقال الجلال
وتبعه البيضاوى خلقها مرفوعة قال البيضاوى محلا ومرتبة وقال الزمخشرى حيث جعلها منشأ
احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على
انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه **ووضع الميزان** اى العدل الذى دبر به الخافقين
من الموازنة وهى المعادلة لتنتظم امورهما قال صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت السموات والارض وقال
السدى وضع فى الارض العدل الذى امر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا اى القاه وقيل
على هذا الميزان القران لان فيه بيان ما يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة
والضحاك هو الميزان الذى يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر
بالعدل يدل عليه قوله تعالى واقيموا الوزن بالقسط والقسط هو العدل وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع
الميزان فى الاخرة لوزن الاعمال الرازى لاجل **ان لا تطغوا** اى تتجاوزوا الحد **فى الميزان** فمن قال الميزان
العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذى يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن عباس
لا تخونوا من وزنتم له وعنه انه قال يا معشر الموالى وليتم امرين بهما هلك الناس المكيال والميزان
ومن قال انه الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اى وضع الميزان وامركم ان لا تطغوا فيه
فان قيل اذا كان المراد به ما يوزن به فان نعمة عظيمة فيه حتى يعد فى الالاء اجيب بان النفوس
تابى الغبن ولا يرضى احد ان يغلبه غيره ولو فى الشئ اليسير ويرى ان ذلك استهانة به فلا يترك
خصمه يغلبه فوضع الله تعالى معيارا يتبين به التساوى ولا يقع به التباغض بين الناس وهو الميزان
وهو كل ما توزن به الاشياء بين الناس ويعرف مقاديرها به من ميزان ومكيال ومقياس
فهو نعمة كاملة ولا ينظر الى عدم ظهور نعمته وكثرته وسهولة الوصول اليه كالهواء والماء
الذين لا يتبين فضلهما الا عند فقدهما **واقيموا الوزن بالقسط** اى افعلوه مستقيما بالعدل وقال ابو الدرداء اقيموا لسان
الميزان بالعدل وقال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل
بالرومية **ولا تخسروا الميزان** اى لا تنقصوا الموزون امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء
وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر
باستعماله والحث عليه وقيل كرره لحال رؤس الاى وقيل كرره ثلاث مرات الاول بمعنى
الالة وهو قوله تعالى ووضع الميزان والثانى بمعنى المصدر اى لا تطغوا فى الوزن والثالث المفعول
اى لا تخسروا الموزون قال ابن عادل وبين القران والميزان مناسبة فان القران فيه
العلم الذى لا يوجد فى غيره من الكتب والميزان به يقام العدل الذى لا يقام بغيره من

الالات ولما ذكرنا ما هو الدال على اقتداره برفع السما وذكر على ذلك الوجه بما يليها بعد ان وسط بينهما ما قاميه من العدل تنبيها على شدة العناية والاهتمام به فقال تعالى والارض اى وحدها ووضع الارض ثم فسر ناصبها كما فعل فى قوله تعالى والسماء رفعها فقال تعالى وضعها اى دحاها وبسطها على الماء للانام اى كل من فيه قابلية النوم او قابلية الونيم وهو الصوت وقيل هو الحيوان وقيل بنوا ادم خاصة وهو مروى عن ابن عباس ونقل النووى فى التهذيب عن الزبيدى الانام الخلق قال ويجوز الانيم وقال الواحدى قال الليث الانام ما على ظهر الارض من جميع الخلق وقال الحسن هم الانس والجن فيها اى الارض فاكهة اى ما يتفكه به الانسان من الوان الثمار ونكرها لان الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها فهو من باب الترقى من الادنى الى الاعلى اذ التنكير فيها للتعظيم والتكثير نبه عليه بتعريف نوع منها ونوّه به لان فيه مع التفكه التقوت وهو اكبر ثمار العرب المقصودين بهذا الذكر بالقصد الاول فقال تعالى والنخل ودل على تمام القدرة بقوله تعالى ذات اى صاحبة الاكمام اى اوعية ثمرها وهو الطلع قبل ان ينفتق بالثمر والاكمام جمع كم بالكسر قال الجوهرى والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام واكمة واكمام والكمامة ما يكم به فم البعير لئلا يعض وكم القميص بالضم والجمع اكمام وكممة والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطى الراس والحب اى جميع الحبوب التى يقتات كالحنطة والشعير ذو العصف قال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذى يعصفه الريح وقال مجاهد ورق الشجر والزرع وقال سعيد بن جبير بقل الزرع الذى اول ما ينبت منه وهو قول الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وقيل العصف حطام النبات والريحان وهو فى الاصل مصدر ثم اطلق على الرزق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير كقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيهاله واسترزاقا وعن ابن عباس ايضا والضحاك وقتادة انه الريحان الذى يشم وهو قول ابن زيد وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الفراء العصف الماكول من الزرع والريحان ما لا يؤكل وقال الكلبى العصف الورق الذى يؤكل والريحان هو الحب الماكول وقيل كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة اى يشم وفى الصحاح والريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت ابتغى ريحان الله وفى الحديث الولد من ريحان الله وقرأ ابن عامر بنصب الحب وذا والريحان بخلق مضمرا اى وخلق الحب وذا العصف والريحان وقرأ حمزة والكسائى برفع الحب وذو عطفا على فاكهة وجر الريحان عطفا على العصف والباقون برفع الثلاثة عطفا على فاكهة اى وفيها ايضا هذه الاشياء ولما دخل فى قوله تعالى والارض وضعها للانام الجن والانس خاطبهما بقوله تعالى فباى الاء اى نعم ربكما اى المحسن اليكما المدبر لكما الذى لا مدبر ولا سيد لكما غيره تكذبان اى ابتلك النعم ام بغيرها وكرر هذه الاية فى هذه السورة فى احد وثلاثين

قوله الونيم وهو الصوت لم يذكره القاموس اه

بجميع

موضع التقرير للنعمة وتأكيدا في التذكير وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليقررهم النعم
ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع عليه إحسانك وهو يكفره وينكره ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر
هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ألم تكن راجلا فحملتك أفتنكر هذا والتكرير حسن
في مثل هذا قال القائل * كم نعمة كانت لكم كم كم وكم * وقال آخر * لا تقتلي مسلما إن كنت مسلمة
* إياك من دمه إياك إياك * وقال آخر * لا تقطعن الصديق ما طرفت * عيناك من قول
كاشح أشر * ولا تملن يوما زيارته * زره وزره وزر وزر وزر * وقال الحسين بن الفضل
التكرير طرد للغفلة وتأكيد للحجة قال بعض العلماء والتكرير هنا كالتكرير في قوله تعالى
ولقد يسرنا القرآن للذكر وكقوله تعالى فيما سيأتي ويل يومئذ للمكذبين وذهب جماعة
منهم ابن قتيبة إلى أن التكرير لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع كل واحدة
وقال الرازي وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقرير والزجر وذكر
لفظ الرب لأنه يشعر بالرحمة قال وكررت هذه اللفظة في هذه السورة نيفا وثلاثين
مرة إما للتأكيد ولا يعقل خصوصها لعدد معنى وقيل الخطاب مع الإنس والجن والنعمة
منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود وأعظم المكروهات نار جهنم ولها سبعة أبواب
وأعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية أبواب فالمجموع خمسة عشر وذلك بالنسبة للإنس والجن
ثلاثون والزائد لبيان التأكيد وروى جابر بن عبد الله قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت
عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب
فلك الحمد وقرأ ورش فبأي الآلاء على أصله بالمد والتوسط والقصر جميعها في هذه السورة
ولما ذكر تعالى خلق العالم الكبير من السماء والأرض وما فيهما من الدلالات على وحدانيته
وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال تعالى خلق الإنسان أي آدم عليه السلام من صلصال
أي من طين يابس له صلصلة أي صوت إذا نقر كالفخار أي كالخزف المصنوع المشوي
بالنار وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم وأصل إذا أنتن
تنبيه * قال تعالى هنا من صلصال كالفخار وقال تعالى في الحجر من حمإ مسنون وقال تعالى
في الصافات من طين لازب وقال تعالى في آل عمران كمثل آدم خلقه من تراب وكله
متفق المعنى وذلك أنه أخذه من تراب الأرض فعجنه بالماء فصار طينا ثم تركه حتى صار حمأ
مسنونا ثم منتنا ثم صوره كما يصور الإبريق وغيره من الأواني ثم أيبسه حتى صار في غاية
الصلابة فصار كالخزف الذي إذا نقر صوت صوتا يعلم منه هل فيه عيب أولا فالمذكور هنا آخر
تخليقه فهو أنسب بالرحمانية وفي غيرها تارة مبدؤه وتارة أثناؤه فالأرض أمه والماء أبوه
ممزوجين بالهواء الحامل للجزء الذي هو من محيط التراب جسده ونفسه من الماء رقيق

وعظامه ومن النار غوايته وحدته ومن الهواء حركته وتقلبه في محامده ومذامه فالغالب في جبلته
التراب فلهذا انسب اليه وان خلق من العناصر الاربع كما ان الجان خلق من العناصر الاربع
لكن الغالب في جبلته النار فنسب اليها كما قال تعالى وخلق الجان اي ابا الجن وهو ابليس
وقيل هو ابوهم وليس هو بابليس وقيل هو اسم جنس كالانسان من مارج من نار وهو لهبها
الخالص من الدخان وقال القشيري هو اللهب المختلط بسواد النار وفي النار اغلب عناصره وقال الليث المارج
الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس انه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض
احمر واصفر واخضر وهو مشاهد في النار ترى الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض ونحوه
عن مجاهد وقال ابو عبيدة والحسن المارج المختلط من النار واصله من مرج اذا اضطرب
واختلط قال القرطبي يروى ان الله تعالى خلق نارين فمزج احداهما بالاخرى فاكلت احداهما
الاخرى وهي نار السموم فخلق منها ابليس. تنبيه: من في مارج من نار من الاولى لابتداء الغاية
وفي الثانية وجهان احدهما انها للبيان والثاني انها للتبعيض فبأي آلاء اي نعم ربكما
الناشئة عن مبدئكما ومربيكما وسيدكما تكذبان اي مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما
حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب اي خالق ومدبر المشرقين اي مشرق
الشتاء ومشرق الصيف ورب المغربين كذلك فبأي آلاء اي نعم ربكما اي الذي دبركما هذا
التدبير العظيم تكذبان اي بما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول
وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج اي ارسل الرحمن البحرين الملح والعذب
فجعلهما مضطربين من طبعهما الاضطراب بحال كونهما يلتقيان اي يتماسان على وجه الارض بلا فصل
بينهما في رؤية العين وقال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض قال سعيد ابن جبير يلتقيان
في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن جريج البحر المالح
والانهار العذبة وقيل بحر المشرق وبحر المغرب وقيل بحر اللؤلؤ وبحر المرجان بينهما برزخ
اي حاجز عظيم فعلى القول بانهما بحر السماء وبحر الارض فالحاجز الذي بينهما هو ما بين السماء
والارض قاله الضحاك وعلى الاقوال الباقية قال الحسن وقتادة هو الارض وقال بعضهم هو القدرة
الالهية وهذا اولى لا يبغيان اختلف فيه فقال قتادة لا يبغيان على الناس فيغرقانهم كما طغيا
فاهلكا من على الارض في ايام نوح عليه السلام فجعل بينهما وبين الناس اليبس وقال مجاهد وقتادة ايضا لا يبغي
احدهما على صاحبه فيغلبه وقيل البرزخ ما بين الدنيا والآخرة اي بينهما مدة قدرها الله تعالى فهي مدة
الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن الله تعالى في انقضاء الدنيا صار البحران شيئا واحدا وهو كقوله تعالى واذا البحار
فجرت وقال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة
وقال الرازي معنى الآية ان الله تعالى ارسل بعض البحرين الى بعض ومن شأنهما الاختلاط
فحجزهما ببرزخ من قدرته فهما لا يبغيان اي لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه

لا في الظاهر ولا في الباطن فمتى حفرت على جنب الملح في بعض الأماكن وجدت الماء العذب وإن قربت
الحفرة منه قال البقاعي بل كلما قربت كان أحلى فخلطهما سبحانه في رأي العين وحجز بينهما في غيب
القدرة هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا إدراك فكيف يبغي بعضكم على بعض أيها المدركون العقلاء
﴿فبأي آلاء﴾ أي نعم ﴿ربكما﴾ أي المحسن إليكما ﴿تكذبان﴾ أبتلك النعم أم بغيرها فهلا اعتبرتم
بهذه الأمور وما حواه من أنواع الموجودات فتجدد فكركم بالآخرة لعلكم تنجون من عذاب الله تعالى ﴿يخرج
منهما اللؤلؤ﴾ وهو كبار الجوهر ﴿والمرجان﴾ وهو صغار الجوهر قاله علي وابن عباس والضحاك وقيل
بالعكس وقيل المرجان حجر أحمر وقيل حجر شديد البياض والمرجان أعجمي أي بمخالطة العذب المالح من
غير واسطة أو بواسطة السحاب فصار ذلك كالذكر والأنثى وقال الرازي فيكون العذب كاللقاح للملح
وقال أبو حيان قال الجمهور إنما يخرج من الأجاج في المواضع التي تقع فيها الأنهار والمياه العذبة فأسند
ذلك إليهما وهذا مشهور عند الغواصين قال مكي كما قال على رجل من القريتين عظيم أي من أحد
القريتين وحذف المضاف كثير شائع وقيل هو كقوله تعالى نسيا حوتهما وإنما الناسي فتاه ونسب
لأبي عبيدة قال البغوي وهذا جائز في كلام العرب أن يذكر شيئان ثم يخص أحدهما بفعل كقوله
تعالى يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم وكانت الرسل من الإنس وقيل يخرج من
أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان وقيل بل يخرجان منهما جميعا وقال ابن عباس تكون
هذه الأشياء في البحر بنزول المطر والصدف تفتح أفواهها للمطر وقد شاهده الناس فيكون تولده
من بحر السماء وبحر الأرض وهذا قول الطبري وقال الزمخشري فإن قلت لم قال منهما وإنما يخرجان
من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من
البحر ولا يخرجان من جميع البحر وإنما يخرجان من بعضه وتقول خرجت من البلد وإنما خرجت
من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب
اهـ وقال بعضهم كلام الله تعالى أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز أنه يسوقهما
من البحر العذب إلى الملح واتفق أنهم لم يخرجوهما إلا من الملح وإذا كان في البر أشياء تخفى على
التجار المترددين القاطعين المفاوز فكيف بما في قعر البحر قال ابن عادل والجواب من هذا أن الله تعالى
لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم إلا بما يألفون ويشاهدون وقرأ نافع وأبو عمرو يخرج بضم الياء وفتح
الراء مبنيا للمفعول والباقون بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل على المجاز وقرأ السوسي
وشعبة بإبدال الهمزة الساكنة واوا وصلا ووقفا وإذا وقف حمزة أبدل الأولى والثانية
﴿فبأي آلاء﴾ أي نعم ﴿ربكما﴾ أي الملك الأعظم المالك لكما ﴿تكذبان﴾ أبكثرة النعم من
خلق المنافع في البحار وتسليطكم عليها وإخراج الحلي العجيبة منها أم بغيرها ﴿وله﴾ أي لا لغيره
﴿الجوار﴾ أي السفن الكبار والصغار الفارغة والمشحونة فلا تغتروا بالأسباب الظاهرة
فتقفوا معها وتسندوا شيئا من ذلك إليها ﴿المنشآت﴾ قرأ حمزة وأبو بكر بخلاف عنه بكسر

الشين بمعنى انها تنشئ الموج بجريها او تنشئ السير اقبالا وادبارا او التي رفعت شراعها اي قلوعها والشراع القلع وعن مجاهد كل ما رفعت قلعها فهي من المنشآت والا فليست منها ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال انشأت السحابة المطر وقرأ الباقون بفتح الشين وهو اسم مفعول اي انشأها الله تعالى او الناس ورفعوا شراعها * تنبيه * الجوار جمع جارية وهي اسم او صفة للسفينة وخصها بالذكر لان جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله وحده وسميت السفينة جارية لان شأنها ذلك وان كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع آخر بالجارية كما قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل ان تكون كذلك فقال تعالى لنوح عليه السلام واصنع الفلك باعيننا ثم بعدما عملها سماها سفينة فقال تعالى فانجيناه واصحاب السفينة قال الرازي فالفلك اولا ثم السفينة ثم الجارية اهـ والمسرة السماوكة تسمى ايضا جارية لان شأنها الجري والسعي في حوائج سيدها بخلاف الزوجة فهي من الصفات الغالبة والسفينة فعيلة بمعنى فاعلة عند ابن دريد كأنها تسفن الماء فعيلة بمعنى مفعولة عند غيره بمعنى مسفونة وقوله تعالى في البحر متعلق بالمنشآت وقوله تعالى كالاعلام حال اما من الضمير المستكن في المنشآت واما من الجوار وكلاهما بمعنى واحد والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل علما على الارض قال القائل * اذا قطعنا علما بدا علم * وقال آخر * ربما اوفيت في علم * ترفعن ثوبي شمالات * وقالت الخنساء في اخيها صخر * وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار * اي جبل فالسفن في البحر كالجبال في البر وجمع الجواري ووحد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة البحر فباي الاء ع
اي نعم ربكما العظمى التي عمت خلقه تكذبان * اباتلك النعم من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر واسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره ام غيرها وقوله تعالى كل من عليها فان * اي هالك غلب فيه من يعقل على غيره وجميعهم مراد والضمير في عليها للارض قال بعضهم وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب ورد هذا بانه قد تقدم ذكرها في قوله تعالى والارض وضعها وقيل الضمير عائد الى الجواري قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلكت اهل الارض فنزل كل شيء هالك الا وجهه فايقنت الملائكة بالهلاك فان قيل الكلام في تعداد النعم فاين النعمة في فناء الخلائق اجيب * بانها التسوية بينهم في الموت سبب النقل الى دار الجزاء والثواب ويبقى اي بعد فناء الكل بقاء مستمرا الى ما لا نهاية له وجه ربك اي ذاته فالوجه عبارة عن وجود ذاته قال ابن عباس الوجه عبارة عنه فان قيل كيف خاطب الاثنين بقوله فباي آلاء ربكما تكذبان وخاطب ههنا الواحد فقال ويبقى وجه ربك ولم يقل وجه

ربكما ‌» اجيب ‌» بان الاشارة ههنا وقعت الى كل احد فقال ويبقى وجه ربك ايها السامع ليعلم
كل احد ان غيره فان فلو قال ويبقى وجه ربكما لكان كل احد يخرج نفسه ورفيقه المخاطب عن الفناء
فان قيل فلو قال ويبقى وجه الرب من غير خطاب كان ادل على فناء الكل ‌« اجيب ‌» بان كاف
الخطاب في الرب اشارة الى اللطف والابقاء اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد
النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب ‌» ولما ذكر تعالى مباينته للمخلوقات وصف نفسه
بالسلطة الكاملة فقال تعالى ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ اى العظمة التى لا ترام وهو صفة ذاته التى تقتضى
اجلاله عن كل ما لا يليق به ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ اى الاحسان العام وهو صفة فعله مع جلاله وعظمته
﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ اى نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾ اى المربى لكما على هذا الوجه الذى ماله الى العدم الى اجل مسمى ﴿تُكَذِّبَانِ﴾
ابتلك النعم من بقاء الرب وفناء الكل والحياة الدائمة والنعيم المقيم او بغيرها وقوله تعالى ﴿يَسْأَلُهُ
مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ اى كلها كلهم ﴿وَالْأَرْضِ﴾ كذلك مستانف وقيل حال من وجه والعامل فيه يبقى اى يبقى
مسؤلا من اهل السموات والارض بلسان الحال والمقال وهما قال ابن عباس وابو صالح اهل السموات
يسألونه المغفرة ولا يسألونه الرزق واهل الارض يسألونهما جميعا وقال ابن جريج يسأله الملائكة
الرزق لاهل الارض فكانت المسئلتان جميعا من اهل السماء واهل الارض لاهل الارض كما فى الحديث
قال القرطبى وفى الحديث ان من الملائكة ملكا له اربعة اوجه وجه كوجه الانسان يسأل الله تعالى الرزق
لبنى آدم ووجه كوجه الاسد وهو يسأل الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسأل
الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر وهو يسأل الله تعالى الرزق للطير وقال ابن عطاء انهم يسألونه
القوة على العبادة وقوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ منصوب بالاستقرار الذى تضمنه الخبر وهو قوله تعالى ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾
والشان الامر روى ابو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو فى شان قال من شانه ان
يغفر ذنبا ويفرج كربة ويرفع اقواما ويضع آخرين وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر ذنبا ويكشف
كربا ويجيب داعيا وقال اكثر المفسرين من شانه انه يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى
قوما ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من افعاله واحداثه
فى خلقه ما يشاء وروى البغوى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان مما خلق الله عز وجل
لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلاثمائة
وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم
هو فى شان وقال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله تعالى يومان احدهما اليوم الذى هو مدة
عمر الدنيا فشانه فيه اى فى كل يوم من ايامها الامر والنهى والاحياء والاعطاء والمنع والثانى
يوم القيامة وشانه فيه الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال ابو سليمان الدارانى فى هذه
الآية له فى كل يوم الى العبيد بر جديد وقال بعض المفسرين شانه تعالى انه يخرج فى كل
يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا

من الدنيا الى القبور ثم يرحلون جميعاً الى الله تعالى وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله
لا يقضي يوم السبت شيئاً وسأل بعض الملوك وزيره عن هذه الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيباً
يتفكر فيها فقال له غلام اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله تعالى يسهل لك على يدي فاخبره
فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شأن الله تعالى ان يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيماً ويسقم صحيحاً ويبتلي
معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلاً ويذل عزيزاً ويفقر غنياً ويغني فقيراً فقال الامير احسنت وامر
الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله تعالى وعن عبد الله بن
طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها
لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو في شأن وصح ان
القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له
الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون
في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل
لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه انه ليس له الا ما سعى
عدلاً ولي ان اجزيه بواحدة الفاً فضلاً واما قوله تعالى كل يوم هو في شأن فانها شؤون يبديها لا شؤون
يبتديها فقام عبد الله فقبل رأسه وسوغ خراجه فبأي آلاء اي نعم ربكما المدبر لكما بهذا التدبير العظيم
تكذبان ابتلك النعم ام بغيرها سنفرغ لكم اي سنقصد لحسابكم وجزائكم وقرأ حمزة والكسائي
بعد السين بالياء التحتية والباقون بالنون ايه الثقلان اي الانس والجن وذلك يوم القيامة فانه
تعالى لا يفعل ذلك في غيره قال القرطبي يقال فرغت من الشغل افرغ فراغاً وفروغاً وتفرغت لكذا واستفرغت
مجهودي في كذا اي بذلت وليس بالله تعالى شغل يفرغ منه وانما المعنى سنقصد لمجازاتكم ومحاسبتكم فهو
وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس والضحاك كقول القائل لمن يريد تهديده اذاً اتفرغ لك اي اقصد لك
وانشد ابن الانباري لجرير الآن وقد فرغت الى نمير فهذا حين كنت لهم عذاباً * يريد وقد قصدت
وانشد الزجاج والنحاس * فرغت الى العبد المقيد في الحجل * وفي حديث النبي صلى الله
عليه وسلم انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الجباجب هذا محمد مذمم
يبايع بني قيلة على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اما والله يا عدو الله
لاتفرغن لك اي اقصد الى ابطال امرك وهذا اختيار الكسائي وغيره قال ابن الاثير الازب
في اللغة الكثير الشعر وهو هنا شيطان اسمه ازب العقبة وهو الحية وقيل ان الله تعالى وعد
على التقوى واوعد على الفجور ثم قال تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان اي مما وعدناكم ونوصل
كلا الى ما وعدناه اقسم ذلك وانفرغ منه قاله الحسن ومقاتل وابن زيد تنبيه رسم ايه بغير
الف فاذا وقف عليها وقف ابو عمرو والكسائي ايها بالالف ووقف الباقون على الرسم ايه

في الوصل قرأ ابن عامر ايه برفع الهاء والباقون بنصبها * فائدة * سمي الانس والجن بالثقلين لعظيم شأنهما بالاضافة الى ما في الارض من غيرهما بسبب التكليف وقيل سموا بذلك لانهما ثقلا الارض احياء وامواتا قال الله تعالى واخرجت الارض اثقالها ومنه قولهم اعطه ثقله اي وزنه وقال بعض اهل المعاني كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصائده يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقيل الثقل الانس لشرفهم وسمي الجن بذلك مجازا للمجاورة والتغليب كالقمرين والعمرين والثقل العظيم الشريف قال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي فَبِأَيِّ آلَاءِ اي نعم رَبِّكُمَا اي المحسن اليكما بهذا الصنيع المحكم تُكَذِّبَانِ اي ابتلك النعم من اثابة اهل طاعته وعقوبة اهل معصيته ام بغيرها يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ اي يا جماعة فيهم الاهلية والعشرة والتصادق وَالْإِنْسِ اي الخواص والمستأنسين والمأنوسين المبني امرهم على الاقامة والاجتماع إِنِ اسْتَطَعْتُمْ اي وجدت لكم الطاعة الكون في أَنْ تَنْفُذُوا اي تسلكوا باجسامكم وتمضوا من غير مانع يمنعكم مِنْ أَقْطَارِ اي نواحي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هاربين من الله تعالى من انواع الجزاء بينكم او عصيانا عليه في قبول احكامه وجري مراداته واقضيته عليكم من الموت وغيره وقوله تعالى فَانْفُذُوا امر تعجيز والمعنى ان استطعتم ان تجوزوا نواحي السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا والمعنى لا مهرب لكم ولا خروج لكم عن ملك الله تعالى اينما تولوا فثم ملك الله عز وجل فان قيل ما الحكمة في تقديم الجن على الانس ههنا وتقديم الانس على الجن في قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن * اجيب * بان النفوذ من اقطار السموات والارض بالجن اليق ان امكن والاتيان بمثل القرآن بالانس اليق ان امكن فقدم في كل موضع ما يليق به فان قيل لم جمع في قوله تعالى سنفرغ لكم وفي قوله تعالى ان استطعتم وثنى في قوله ايه الثقلان * اجيب * بانهما فريقان في حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون وهذان خصمان اختصموا في ربهم لَا تَنْفُذُونَ اي لا تقدرون على النفوذ إِلَّا بِسُلْطَانٍ اي الا بقوة وقهر واني لكم ذلك وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا ولن تعلموا الا بسلطان اي بينة من الله تعالى * تنبيه * في هذه الآيات والتي في الاحقاف وفي قل اوحي دليل على ان الجن مكلفون مخاطبون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالانس سواء مؤمنهم كمؤمنهم وكافرهم ككافرهم فَبِأَيِّ آلَاءِ اي نعم رَبِّكُمَا المحسن اليكما المريد لكما بما تعرفون به قدرته على ما يريد تُكَذِّبَانِ ابتلك النعم ام بغيرها وقال البغوي وفي الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان استطعتم الآية فذلك قوله تعالى يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا اي ايها المعاندون قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين يخرجون من القبور لسوقهم الى المحشر شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ قال مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال ابن عباس

رضي الله تعالى عنهما هو اللهب الخالص الذي لا دخان له وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج
من اللهب ليس كدخان الحطب وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما اذا خرجوا
من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقيل هو اللهب الاحمر وقال حمر وهو النار والدخان جميعا وحكاه
الاخفش عن بعض العرب قال حسان هجوتك فاختضعت لها بذل * بقافية تاجج كالشواظ *
وقرأ ابن كثير بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد مثل صوار من البقر وصوار وهو
القطيع من البقر واختلف في قوله سبحانه وتعالى ونحاس فقيل هو الصفر المعروف يذيبه الله
تعالى ويعذبهم به وقيل هو الدخان الذي لا لهب معه قاله الخليل وهو معروف في كلام
العرب وانشد للاعشى * تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا *
وقال ابن برجان والعرب تسمي الدخان نحاسا بضم النون وكسرها واجمع القراء على ضمها اهـ
وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي الذي لها ريح شديد فلا تنتصران اي
فلا تمتنعان ولا ينصر بعضكم بعضا من ذلك بل يسوقكم الى المحشر فباي آلاء اي نعم ربكما
اي المدبر لكما هذا التدبير المتقن تكذبان ء ابتلك النعم فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع
والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار في عداد الآلاء ام بغيرها فاذا انشقت السماء اي
انفرجت فكانت ابوابا لنزول الملائكة فكانت وردة اي محمرة مثل الوردة كالدهان
اي كالاديم الاحمر على خلاف العهد بها لشدة حر نار جهنم وقال مجاهد والضحاك وغيرهما
الدهان الدهن والمعنى صارت في صفاء الدهن والدهان على هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبير
وقتادة المعنى تصير في حمرة الورد وجريان الدهن اي تذوب مع جريان الدهن حتى تصير حمراء من
حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها وقال الحسن كصب الدهن فانك اذا صببته
ترى فيه الوانا وجواب اذا فما اعظم الهول فباي آلاء اي نعم ربكما اي الخالق والرازق لكما
تكذبان ء ابتلك النعم ام بغيرها مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي فتسبب عن يوم اذ
انشقت السماء انه لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان اي سؤال تعرف واستعلام بل سؤال
تقريع وتوبيخ وملام وذلك انه لا يقال له هل فعلت كذا بل يقال له لم فعلت كذا على ان ذلك اليوم
طويل وهو ذو الوان تارة يسئل فيه وتارة لا يسئل والامر في غاية الشدة وكل لون من تلك
الالوان يسمى يوما فيسئل في بعض ولا يسئل في بعض وقيل المعنى لا يسئلون اذا استقروا في
النار وقال الحسن وقتادة لا يسئلون عن ذنوبهم لان الله تعالى حفظها عليهم وكتبتها
الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن ومجاهد لا تسأل الملائكة
عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ورواه مجاهد عنه
ايضا في قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
قال لا يسألهم ليعرف ذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتموها سؤال توبيخ وقال ابو العالية لا يسئل

عن ای جرم عن ذنب المجرم وقال قتادة يسئلون قبل الختم على افواههم ثم يختم على افواههم وتتكلم
جوارحهم شاهدة عليهم وتنبيه الجان هنا وفيما يأتي بمعنى الجن والانس بمعنى الانسی فبای
آلاء ای نعم ربكما ای الذی رباكما منكم بما لا مطمع فی انكاره ولا خفاء فيه تكذبان
ابتلك النعم ام بغيرها مما انعم الله تعالى على عباده المؤمنين فی هذا اليوم يعرف ای لكل احد
المجرمون ای الذين يعرفون فی هذا الوصف بسيماهم ای العلامات التی صور الله تعالى ذنوبهم فيها فجعلها
ظاهرة بعد ان كانت باطنة وظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف آثار الليل اذا جاء لا يخفى على احد
اصلا وكذا النهار ونحوهما لشیء الا عمی قال البقاعی وتلك السيمى والله اعلم زرقة العيون وسواد
الوجوه والعمى والصمم والمشی على الوجوه ونحو ذلك وكما يعرف المحسنون بسيماهم من بياض
الوجوه واشراقها وتبسمها والغرة والتحجيل ونحو ذلك وسبب عن هذه المعرفة قوله تعالى مشيرا
بالبناء للمفعول الى سهولة الاخذ من ای آخذ كان فيؤخذ بالنواصی ای منهم وهی مقدمات الرؤس
والاقدام ای بعد ان يجمع بينهما فيسحبون باسحبها من كل ساحب قامه الله تعالى لذلك لا يقدرون
على الامتناع بوجه فيلقون فی النار وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه فی سلسلة من
وراء ظهره وعنه يؤخذ برجلی الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى فی النار وقيل
يفعل ذلك ليكون اشد لعذابه وقيل تسحبه الملائكة الى النار تارة تأخذ بناصيته وتجره على وجهه
وتارة تأخذ بقدميه وتسحبه على وجهه فبای آلاء ای نعم ربكما ای المنعم عليكما الذی رب مصالحكم بعد ان اوجدكم
تكذبان ابتلك النعم ام بغيرها مما وعد ان يفعل من الجزاء فی الآخرة لكل شخص بما كان يعمل فی الدنيا
او بغير ذلك من الفضل هذه جهنم ای يقال لهم اذا القوا فيها هذه جهنم التی يكذب ای ماضيا وحالا
ومآلا استهانة ولو ردوا الى الدنيا بعد ادخالهم اياها لعادوا لما نهوا عنه بها المجرمون ای المشركون وقف لازم
المتحققون بالاجرام وهو قطع ما من حقه ان يوصل وهو ما امر الله تعالى به وخص هذا الاسم اشارة
الى انما تلقاهم بالتجهم والعبوسة والكلاحة والفظاظة كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الاجرام المذكور
يطوفون بينها ای بين دركات النار وبين حميم آن ای حار متناه فی الحرارة وهو منقوص كقاض يقال انی
يأنی فهو آن كقضى يقضی فهو قاض والمعنى انهم يسعون بين الجحيم والحميم فاذا استغاثوا من النار جعل غياثهم
الحميم الآن الذی صار كالمهل وهو قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وقال كعب
الاحبار واد من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم فی الاغلال فيغمسون فيه
حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله تعالى لهم خلقا جديدا فيلقون فی النار
فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن فان قيل هذه الامور ليست نعمة فكيف قال عز
وجل فبای آلاء ای نعم ربكما ای المحسن اليكما ايها الثقلان تكذبان اجيب من
وجهين احدهما ان ما وصف من هول يوم القيامة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصی
وترغيب فی الطاعات وهذا من اعظم النعم روی ان النبی صلى الله عليه وسلم اتى على شاب يقرأ فی

الليل فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول
ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا فتى مثلها فوالذي نفسي
بيده لقد بكت ملائكة السماء من بكائك الثاني ان المعنى ان كذبتم بالنعمة المتقدمة استحققتم هذه
العقوبات وهي دالة على الايمان بالغيب وهو من اعظم النعم ولما عرف ما للمجرم المجترئ على العظائم
وقدمه لما اقتضاه مقام التكذيب من الترهيب وجعله سابعا اشارة الى ابواب النار السبع عطف
عليه ما للخائف الذي دعاه خوفه الى الطاعة وجعله ثامنا على عدد ابواب الجنة الثمانية فقال تعالى
﴿ولمن خاف﴾ اي من الثقلين ووحد الضمير مراعاة للفظ من اشارة الى قلة الخائفين ﴿مقام ربه﴾
اي قيامه بين يدي ربه للحساب بترك المعصية والشهوة قال القرطبي ويجوز ان يكون المقام للعبد
ثم يضاف الى الله تعالى وهو كالاجل في قوله تعالى فاذا جاء اجلهم وقوله تعالى في موضع اخر ان
اجل الله اذا جاء لا يؤخر وقال مجاهد هو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها من مخافته
عز وجل ﴿جنتان﴾ اي لكل خائف جنتان على حدة قال مقاتل جنة عدن وجنة النعيم
وقال محمد بن علي الترمذي جنة لخوفه ربه وجنة بتركه شهوته وقال ابن عباس من خاف مقام ربه
بعد اداء الفرائض وقيل جنتان لجميع الخائفين وقيل جنة لخائف الانس واخرى لخائف الجن فيكون من باب
التوزيع وقيل مقام هنا مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد ونفيت عنه
مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب قال ابن عادل وليس بجيد لان زيادة الاسم
ليست بالسهلة وقيل ان الجنتين جنته التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى
منزل ازواجه كما يفعله رؤساء الدنيا وقيل احدى الجنتين مسكنه والاخرى بستانه وقيل احدى الجنتين
اسافل القصور والاخرى اعاليها وقال الفراء انها جنة واحدة وانما ثنى مراعاة لرؤس الاي وانكر القتيبي هذا وقال لا يجوز ان يقال
خزنة النار عشرون وانما قال تسعة عشر مراعاة لرؤس الاي وقيل جنة واحدة وانما ثنى تاكيدا كقوله تعالى القيا في جهنم
وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان
يبلغه الله تعالى اليه الا ان يبلغه الله تعالى الجنة اخرجه الترمذي قوله ادلج الادلاج مخففا سير اول الليل
ومثقلا سير اخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد في اول الامر فان من سار في اول الليل
كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوي بسنده عن ابي الدرداء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت الثالثة وان زنى وان
سرق يا رسول الله قال وان زنى وان سرق على رغم انف ابي الدرداء * فائدة * قال القرطبي في
هذه الآية دليل على ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه لا يحنث ان كان
هم بالمعصية وتركها خوفا من الله تعالى وحياء منه وقاله سفيان الثوري وافتى به هذا مذهب

الشافعي انه لا يحنث اذا كان مسلما ومات على الاسلام وقال عطاء نزلت هذه الآية في ابي بكر
حين ذكر ذات يوم الجنة حين ازلفت والنار حين ابرزت وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا
على ظما فاعجبه فسأل عنه فاخبر عنه انه من غير حل فاستقاه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر
اليه فقال رحمك الله لقد انزلت فيك آية وتلا عليه الآية فَبِأَيِّ آلَاءِ اي نعم رَبِّكُمَا المربي لكما باحسانه
الكبار التي لا يقدر احد على شيء منها تُكَذِّبَانِ أبتلك النعمة ام بغيرها من نعمه التي لا تحصى ثم وصف
الجنتين بقوله تعالى ذَوَاتَا اي صاحبتا او خبر لمبتدأ محذوف اي هما ذواتا وفي تثنية ذات لغتان الرد
الى الاصل فان اصلها ذوية فالعين واو واللام ياء لانها مؤنثة ذو والثانية التثنية على اللفظ
فيقال ذاتا وقوله تعالى أَفْنَانٍ فيه وجهان احدهما انه جمع فنن كطلل وهو الغصن المستقيم
طولا تكون به الزينة والورق والثمر وكمال الانتفاع قال النابغة الذبياني * بكاء حمامة تدعو هديلا
مفجعة على فنن تغني * وفي الحديث اهل الجنة مرد مكحلون اولو افانين يريد الافانين وهي جمع
افنان وافنان جمع فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقال قتادة ذواتا افنان اي ذواتا
سعة وفضل على سواهما والوجه الثاني انه جمع فن واليه اشار ابن عباس والمعنى ذواتا انواع و
اشكال وقال الضحاك الوان من الفاكهة وواحدها فن الا ان الكثير في فن ان يجمع على فنون وقال
عطاء كل غصن فنون من الفاكهة ولذا سبب عنه قوله تعالى فَبِأَيِّ آلَاءِ اي نعم رَبِّكُمَا
اي المحسن اليكما والمدبر لكما تُكَذِّبَانِ أبتلك النعم من وصف الجنة الذي جعل لكم من امثاله
ما تعتاد به وتشابه ام بغيرها ولما كانت الجنان لا تقوم الا بالانهار قال تعالى فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ
اي في كل واحدة منهما عين جارية قال ابن عباس تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على
اهل الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء الزلال احدى العينين التسنيم والاخرى
السلسبيل وقال عطية احدهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من
جبل من مسك قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة
الله عز وجل فتجريان في اي مكان شاء صاحبهما وان علا مكانه كما تصعد المياه في الاشجار في كل غصن
منها وان زاد علوها فَبِأَيِّ آلَاءِ اي نعم رَبِّكُمَا اي المالك لكما المحسن اليكما تُكَذِّبَانِ
ابتلك النعم التي ذكرها وجعل لها في الدنيا اشكالا كثيرة ام بغيرها فِيهِمَا اي الجنتين مِنْ كُلِّ
فَاكِهَةٍ اي تعلمونها او لا تعلمونها زَوْجَانِ اي صنفان ونوعان قيل معناه ان فيهما من كل ما
يتفكه به ضربين رطبا ويابسا وقال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى
الحنظل الا انه حلو فان قيل قوله تعالى ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة
زوجان كلها اوصاف للجنتين فما الحكمة في فصل بعضها عن بعض بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما
تكذبان مع انه تعالى لم يفصل حين ذكر العذاب بين الصفات بل قال تعالى يرسل عليكما شواظ من
نار ونحاس فلا تنتصران مع ان ارسال الشواظ غير ارسال النحاس اجيب بانه تعالى جمع

العذاب جملة وفصل آيات الثواب ترجيحا لجانب الرحمة على جانب العذاب وتطييبا للقلب وتهييجا
للسامع فان اعادة ذكر المحبوب وتطويل الكلام في اللذات مستحسن فان قيل فما وجه توسط
آية العينين بين ذكر الافنان وآية الفاكهة والفاكهة انما تكون على الاغصان فالمناسبة ان لا يفصل
بين آية الاغصان والفاكهة اجيب بان ذلك على عادة المتنعمين اذا خرجوا متفرجين في البستان
فاول قصدهم الفرجة بالخضرة والماء ثم يكون الاكل تبعا فَبِأَيِّ آلَاءِ اي نعم رَبِّكُمَا التي ادخرها
الموجد لكما المحسن اليكما تُكَذِّبَانِ أبتلك النعم ام بغيرها مما في جنة الدنيا من سائر النعم
التي لا تحصى ولما كانت التفكه لا يكمل حسنه الا مع التنعم من طيب الفرش وغيره
قال تعالى مخبرا عن هؤلاء الذين يخافون مقام ربهم مُتَّكِئِينَ اي لهم ما ذكر حال الاتكاء
والعامل في الحال محذوف اي يتنعمون متكئين عَلَى فُرُشٍ وعظمها بقوله تعالى مخاطبا
للمكلفين بما يحتمل عقولهم والا فليس في الجنة ما يشبهه على الحقيقة شئ من الدنيا بَطَائِنُهَا
مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو هريرة اذا كانت البطائن التي تلي الارض
هكذا فما ظنك بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن عباس انما وصف لكم بطائنها لتهتدي اليه قلوبكم فاما
الظواهر فلا يعلمها الا الله تعالى ونظير ذلك في الجنة قوله تعالى عرضها السموات والارض واما الطول فلا يعلمه الا الله
عز وجل لكن قال القرطبي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نور يتلألأ وقيل الظهائر من سندس
وعن الحسن البطائن هي الظواهر وهو قول الفراء وروي عن قتادة والعرب تقول البطن ظهرا فيقولون
هذا بطن السماء وظهر الارض وقال الفراء قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد
منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذي تراه وانكر ابن قتيبة
وغيره هذا وقالوا لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد منهما قوما كالحائط بينك وبين
قوم وعلى ذلك امر السماء وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف ما الظواهر
تنبيه قال الرازي الاستبرق معرب وهو الديباج الثخين اي وهذا ومثله لا يخرج القرآن عن كونه
عربيا لان العربي ما نطقت به العرب وضعا واستعمالا من لغة غيرها وفي ذلك سهولة عليهم وبه يحصل
الاعجاز بخلاف ما لو استعملوه من كلام العجم لصعوبته عليهم وذكر الاتكاء لانه حال الصحيح الفارغ
القلب المتنعم البدن بخلاف المريض والمهموم وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ اي ثمرهما دَانٍ اي قريب قال
ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله تعالى ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء
مضطجعا وقال قتادة لا يرد يده بعد ولا شوك قال الرازي جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة
اوجه احدها ان الثمرة على رؤوس الشجر في الدنيا بعيدة على الانسان المتكئ وفي الجنة هو متكئ
والثمرة تتدلى اليه وثانيها ان الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفي الآخرة هي
تدنو اليهم وتدور عليهم وثالثها ان الانسان في الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار

الجنة كلها تدنو اليهم في وقت واحد ومكان واحد فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المربي لكما
الذي يقدر على كل ما يريده تكذبان أمن قدرته على قطف الاغصان وتقريب الثمار
ام من غيرها ولما كان ما ذكر لا تتم نعمته الا بالنسوان الحسان قال تعالى فيهن اي الجنان التي
علم مما مضى ان لكل فرد من الخائفين منها جنتين فصح الجمع وقال الزمخشري فيهن في هذه الآلاء
المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن
وقصور ومجالس اهـ قال ابو حيان وفيه اي الاول بعد لان الاستعمال ان يقال على الفراش كذا
ولا يقال في الفراش كذا الا بتكلف ولذلك جمع الزمخشري مع الفرش غيرها حتى صح له ان يقول ذلك
وقيل يعود على الجنتين لان اقل الجمع اثنان وقال الفراء كل موضع في الجنة جنة فلذلك صح ان يقال
فيهن قاصرات الطرف اي الاعين على ازواجهن المتكئين من الانس والجن قال الرازي
وقوله قاصرات الطرف اي نساء او ازواج فحذف الموصوف لنكتة وهو انه تعالى لم يذكرهن باسم الجنس
وهو النساء بل بالصفات فقال تعالى حور عين كواعب اترابا قاصرات الطرف حور مقصورات و
لم يقل نساء عربا ولا نساء قاصرات لوجهين اما على عادة العظماء كبنات الملوك انما يذكرن بالاوصاف
واما لانهن لما كملن كانهن خرجن عن جنسهن وقوله تعالى قاصرات الطرف يدل على عفتهن
وعلى حسن المؤمنين في اعينهن فيحببن ازواجهن حبا تشتد به اشتغالهن عن النظر الى غيرهم قال
ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني
زوجتك ويدل ايضا على الحياء لان الطرف حركة الجفن والحيية لا تحرك جفنها ولا ترفع راسها
تنبيه انظر الى حسن هذا الترتيب فانه تعالى اولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو البساتين
والاعين الجارية ثم ذكر الماكول فقال تعالى فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو
الفراش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه ولما كان الاختصاص بالشيء من اعظم اللذات لا سيما المراة قال تعالى
لم يطمثهن اي لم يجامعهن ويتسلط عليهن يقال طمثت المراة كضرب وفهم حاضت وطمثها الرجل افتضها
وايضا جامعها انس قبلهم اي المتكئين ولا جان فكانه قال هن ابكار لم يطمثهن احد فان هذا اجمع كل من
يمكن منه جماع وفي ذلك دليل على ان الجني يغشى كما يغشى الانسي ويدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات قال
ضمرة للمؤمنين منهم ازواج من الحور فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال اي لانهن خلقن في الجنة
فعلى قوله يكن من حور الجنة وقال الشعبي من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ انشئن خلق وهو قول الكلبي
اي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشئن فيه انس ولا جان واما في الدنيا فقال مجاهد اذا جامع
الرجل ولم يسم انطوى الجني على احليله فجامع معه وقال القرطبي لم يطمثهن لم يصبهن
بالجماع قبل ازواجهن احد وهذا شامل لنساء الجنة ولنساء الدنيا بعد انشائهن خلقا جديدا
وقرا الكسائي يطمثهن بضم الميم في الموضعين بخلاف عنه وتخيير في احدهما وهما لغتان يقال
طمثها يطمثها ويطمثها اذا جامعها فبأي آلاء اي نعم ربكما المدبر مصالحكما تكذبان

اي بأي نوع من انواع هذا الاحسان ام غيره كأنهن الياقوت اي صفاء والمرجان
اي اللؤلؤ بياضا والياقوت حجر نفيس يقال ان النار لا تؤثر فيه والمرجان صغار اللؤلؤ واشد بياضا
وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب بحمرة قال
ابن الخازن والاصح انه شبههن بالياقوت لصفائه فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته
لرايت السلك من ظاهره لصفائه قال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة
فيرى مخ ساقيها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر من الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المرأة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقيها
من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت
فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته من ورائه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر وفي رواية ثم الذين يلونهم على اشد
كوكب دري في السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة
وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة اي بخورهم العود ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان
يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد
فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المالك المربي بدائع التربية تكذبان اما بجعله مثلا لما ذكر
من نعمه ام بغيره هل جزاء الاحسان اي بالطاعة من الانس والجن وغيرهما الا الاحسان
اي بالثواب وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة
وعن انس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال اتدرون
ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدي
بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله عز وجل
هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي فبأي آلاء
اي نعم ربكما اي الكبير الرحيم الحاصر لاوصاف الكمال تكذبان ابشيء من هذه النعم الجزيلة
ام بغيرها ومن دونهما اي من ادنى مكان في رتبة تحت جنتي هؤلاء المحسنين المقربين
جنتان اي لكل واحد ممن دون هؤلاء المحسنين من الخائفين وهم اصحاب اليمين قال ابو موسى الاشعري
جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هي اربع جنان جنتان للمقربين السابقين
فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال الكسائي ومن دونهما
اي امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان من ياقوت وعلى
هذا فهما افضل من الاوليين والى هذا القول ذهب ابو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
وقال ومعنى ومن دونهما جنتان اي دون هذا الى العرش اي اقرب وادنى الى العرش وقال مقاتل
الجنتان الاوليان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة المأوى

فيهما

فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المحسن بنعمه لجميع خلقه تكذبان اي بشيء مما تفضل به عليكم
ام بغيره ثم وصف تلك الجنتين بقوله تعالى مدهامتان قال ابن عباس رضي الله عنهما خضراوان
وقال مجاهد مسودتان لان الخضرة اذا اشتدت تضرب الى السواد وهذا مشاهد بالنظر ولذلك قالوا
سواد العراق لكثرة شجره وزرعه وكل نبت اذا اخضر كان غاية الخضرة تضرب الى سواد قال الرازي
والتحقيق فيه ان ابتداء الالوان هو البياض وانتهاؤها هو السواد فان الابيض يقبل كل لون والاسود
لا يقبل شيئا من الالوان فبأي آلاء اي نعم ربكما اي المحسن اليكما بالرزق وغيره تكذبان اي بشيء من
تلك النعم ام بغيرها ثم وصف تلك الجنتين ايضا بقوله تعالى فيهما اي في جنتي كل شخص منهم
عينان نضاختان قال ابن عباس اي فوارتان بالماء والنضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضح بالحاء المهملة
لان النضح بالمهملة الرش وبالمعجمة فوران الماء وقال مجاهد المعنى نضاختان بالخير
والبركة وعن ابن مسعود تنضخ على اولياء الله تعالى بالمسك والكافور والعنبر في دور اهل الجنة
كما ينضح رش المطر وقال سعيد بن جبير بانواع الفواكه والماء فبأي آلاء اي نعم ربكما المربي البليغ
الحكمة في التربية تكذبان اي بشيء من تلك النعم ام بغيرها ثم وصف الجنتين ايضا بقوله تعالى فيهما
فاكهة وخص اشرفها واكثرها وجودا في الخريف والشتاء في جنان الدنيا التي جعلت مثالا لها تين
بقوله تعالى ونخل ورمان فان كلا منهما فاكهة واعاده لافراده تشريفا وتنبيها على ما فيهما
من التفكه اولهما اعم نفعا واعجب خلقا ولذا قدمه فعطفهما على الفاكهة من باب ذكر الخاص بعد العام
تفضيلا له كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى وقال بعض العلماء ليسا من الفاكهة ولهذا قال ابو حنيفة اذا حلف لا يأكل الفاكهة
فاكل رطبا او رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وقال القرطبي وقيل انما كررهما لان النخل والرمان
كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر
غرسهما عندهم لحاجتهم اليه وكانت الفواكه عندهم من الوان الثمار التي يعجبون بها فانما ذكر الفاكهة
ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة الى مكة الى ما والاها من ارض اليمن
فاخرجهما من ذكر الفواكه وافرد الفواكه على حدتها وقيل افردا لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان
فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه قال البغوي وعن ابن عباس نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكرانيفها ذهب
احمر وسعفها كسوة اهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال والدلاء اشد بياضا من
اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم وعن ابن عباس ان الرمانة من رمان الجنة مثل جلد البعير المقتب
وقيل ان نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا
فبأي آلاء اي نعم ربكما المحسن الى الثقلين بابلغ التربية تكذبان اي بتلك النعم ام بغيرها مما
احسن به اليكم فيهن اي الجنان الاربع او الجنتين ويقويه قوله خيرات حسان او في الفرش او النساء
الواحدة خيرة على معنى ذوات خير وقيل خيرات بمعنى خيرات فخففت كهين ولين [illegible]

ام سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اخبرني عن قوله تعالى خيرات حسان
قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال ابو صالح لانهن عذارى ابكار قال الحكيم الترمذي
فالخيرة ما اختارهن الله تعالى فابدع خلقهن باختياره فاختيار الله تعالى لا يشبهه اختيار الآدميين
فوصفهن بالحسن فاذا وصف الله تبارك وتعالى خالق الحسن شيئا بالحسن فانظر ما هنالك وقال الرازي
في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن فبأي آلاء اي نعم ربكما اي الكامل الاحسان اليكما
تكذبان ابنعمة ما جعل لكم من الفواكه ام غيرها ثم زاد في وصفهن بقوله تعالى حور
جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين الشديدة بياضها مقصورات والمقصورات المحبوسات
المستورات في الخيام وهي الحجال فلسن بالطوافات في الطرق قاله ابن عباس والنساء تمدح
بملازمتهن البيوت كما قال قيس بن الاسلت شعر وتكسل عن جيرانها فيزرنها * وتعتل من اتيانهن
فتعذر ويقال امراة مقصورة قصيرة وقصورة بمعنى واحد قال كثير عزة شعر وانت التي حببت كل قصيرة
الي ولم يعلم بذاك القصائر * عنيت قصيرات الحجال ولم ارد * قصار الخطا شر النساء البحاتر
والخيام جمع خيمة وهي اربعة اعواد تنصب وتسقف بشيء من نبات الارض وجمعها خيم كتمرة وتمر
وتجمع الخيم على خيام فهو جمع الجمع واما ما يتخذ من شعر او وبر او نحوه فيقال له خباء وقد يطلق عليه
خيمة تجوزا وقال عمر الخيمة درة مجوفة وقاله ابن عباس قال وهي فرسخ في فرسخ لها اربعة آلاف
مصراع من ذهب وفي الحديث ان في الجنة خيمة من لؤلؤ مجوفة عرضها ستون ميلا في كل
زاوية منها اهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون وقال ابو عبد الله الحكيم الترمذي
قال بلغنا ان سحابة امطرت من العرش فخلقن اي الحور العين من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل
واحدة خيمة على شاطئ الانهار سعتها اربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا دخل ولي الله
تعالى بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله ان ابصار المخلوقين من الملائكة والخدم
لم تاخذها فهي مقصورة قد قصرها الله عن ابصار المخلوقين وقال مجاهد معناه قصرن اطرافهن
وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بدلا وقال صلى الله عليه وسلم لو ان امراة من نساء اهل
الجنة اطلعت على اهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير
من الدنيا وما فيها * فائدة * اختلفوا ايهما اكثر حسنا واتم جمالا الحور ام الآدميات فقيل
الحور لما ذكر في وصفهن في القرآن والسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه في صلوة الجنازة
وابدله زوجا خيرا من زوجه وقيل الآدميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف
روي ذلك مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من ازواج
النبيين والمؤمنين يخلقن في الآخرة على احسن صورة قاله الحسن البصري قال ابن عادل والمشهور
ان الحور العين لسن من نساء اهل الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لان الله تعالى قال
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نساء اهل الدنيا مطموثات اهلكت من انه

لم يطمثهن بعد انشائهن خلقا آخر وعلى هذا لا دليل في ذلك فبأي آلاء اي نعم ربكما الذي صوركم
فاحسن صوركم تكذبان ٥ أبهذه النعم ام بغيرها لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ٥ كحور
الجنتين الاوليين وضمير هم في قبلهم لاصحاب الجنتين فبأي آلاء اي نعم ربكما الذي جعل
لكم في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تكذبان ٥ أبهذه النعم ام
بغيرها متكئين اي لهم ما ذكر حالة الاتكاء والعامل في الحال محذوف اي ينعمون متكئين على رفرف
اي ثياب ناعمة وفرش رقيقة النسج من الديباج لينة ووسائد عظيمة ورياض باهرة وبسط لها اطراف
فاضلة وهو جمع رفرفة لان الله تعالى وصفه بالجمع بقوله خضر ووصفه بذلك لان الخضرة احسن
الالوان وابهجها وقال الجوهري هو ثياب خضر تتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة واشتقاقه من رف الطائر
اي ارتفع في الهواء ورفرف بجناحيه اذا نشرهما للطيران وقيل الرفرف طرف الفسطاط والخباء الواقع على
الارض دون الاطناب والاوتاد وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرفع الرفرف فرأينا وجهه كانه
ورقة اي فرفع طرف الفسطاط وقال الحكيم الترمذي في نوادر الاصول الرفرف اعظم خطرا من الفرش فذكر
في الاوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر فالرفرف
هو مستقر الولي على شيء اذا استوى عليه الولي رفرف به اي طار به حيثما يريد كالمرجاح وروي في حديث
المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاء الرفرف فتناوله من جبريل وطار به
الى سند العرش فذكر انه قال طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ثم لما جاء
الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى اداه الى جبريل عليه السلام فالرفرف خادم من الخدم
بين يدي الله تعالى له خواص الامور من الدنو والقرب كما ان البراق دابة تركبها الانبياء عليهم السلام مخصوصة
بذلك وهذا الرفرف الذي سخر لاهل الجنتين الدانيتين هو متكؤهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك
الانهار حيث يشاء الى خيام ازواجه وقوله تعالى وعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن
فينسبون اليه كل شيء عجيب قال في القاموس عبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها في غاية الحسن والعبقري
الكامل من كل شيء وقال الخليل هو كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم وقال قطرب
ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسي وبختي اهـ والمراد به الجنس ولذلك قال تعالى
حسان جملا على المعنى اي هي في غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف فبأي
آلاء اي نعم ربكما المحسن الواحد الذي لا محسن غيره ولا احسان الا منه تكذبان ٥
أبشيء من هذه النعم ام بغيرها ولما دل ما ذكر في هذه السورة من النعم على احاطة مبدعها
باوصاف الكمال وختم نعم الدنيا بقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة
الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعم الآخرة بقوله عز من قائل تبارك قال
ابن برجان تفاعل من البركة ولا يكاد يذكر جل ذكره الا عند امر معجب اهـ ومعناه ثبت ثباتا
لا تسعه العقول وصفه ولما كان تعظيم الاسماء ابلغ في تعظيم المسمى قال تعالى اسم ربك

اى المحسن اليك بانزال هذا القرآن الذى جبلك على مثل نعته فصرت مظهرا له وصار خلقا لك
فصار احسانه اليك فوق الوصف وقيل لفظ اسم زائد وجرى عليه الجلال المحلى والاول اولى
ذِي الْجَلَالِ اى العظمة الباهرة وَالْإِكْرَامِ قال القرطبى كانه يريد به الاسم الذى افتتح به
السورة فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض
وصنعه وانه تعالى كل يوم هو فى شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة واهوالها
وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال فى آخر السورة تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام
اى هذا الاسم الذى افتتح به هذه السورة كانه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتى فمن رحمتى
خلقتكم وخلقت لكم السماء والارض والخليقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح
اسمه فقال تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام اى جليل فى ذاته كريم فى افعاله
وقرأ ابن عامر بالواو رفعا صفة للاسم والباقون بالياء خفضا صفة للرب فانه هو الموصوف
بذلك روى الثعلبى عن على انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل
شئ عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه حديث موضوع

سورة الواقعة مكية

فى قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها نزلت بالمدينة وهى
قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبى مكية الا اربع آيات منها آيتان
افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا فى سفره الى مكة وقوله تعالى
ثلة من الاولين وثلة من الآخرين نزلتا فى سفره الى المدينة وقد مر ان فى المدنى والمكى اصطلاحين
وان المشهور ان المكى ما نزل قبل الهجرة والمدنى ما نزل بعدها وهى ست وتسعون آية قال الجلال المحلى
وهى ست او سبع او تسع وتسعون آية اهـ وثلثمائة وثمان وتسعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف
بِسْمِ اللَّهِ الذى له الكمال كله ففاوت بين الناس فى الاحوال الرَّحْمَٰنِ الذى عم بنعمة البيان
وفاضل فى قبولها بين اهل الادبار واهل الاقبال الرَّحِيمِ الذى قرب اهل حزبه ففازوا بمحاسن
الاقوال والافعال ولما قسم سبحانه الناس فى تلك السورة الى ثلاثة اصناف مجرمين وسابقين
ولاحقين شرح احوالهم فى هذه السورة وبين الوقت الذى يظهر فيه اكرامه وانتقامه بقوله
تعالى إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ اى التى لابد من وقوعها ولا واقع يستحق ان يسمى الواقعة بلام
الكمال وتاء المبالغة غيرها وهى النفخة الثانية التى يكون عنها البعث الاكبر الذى هو القيامة
الجامعة لجميع الخلائق فسميت واقعة لتحقق وقوعها وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد وانتصاب
اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت وقال الجرجانى اذا صلة كقوله تعالى اقتربت
الساعة واتى امر الله وهو كما يقال جاء الصوم اى دنا وقرب وقوله تعالى لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا ٢٧ ٥٦

وقف لازم

كاذبة مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية اي لغو والمعنى ليس لها كذب قاله الكسائي او صفة والموصوف محذوف اي ليس لوقعتها حال كاذبة اي كل من يخبر عن وقعتها صادق او نفس كاذبة بان تنفيها كما نفتها في الدنيا وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة اي لا يردها شيء وقيل ان قيامها جد لا هزل وقوله تعالى خافضة رافعة تقرير لعظمتها وهو خبر لمبتدأ محذوف اي هي قال عكرمة ومقاتل خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت من نأى يعني اسمعت القريب والبعيد وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين وقال قتادة خفضت اقواما في عذاب الله تعالى ورفعت اقواما الى طاعة الله تعالى وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خفضت اعداء الله تعالى في النار ورفعت اولياء الله تعالى في الجنة وقال ابن عطاء خفضت قوما بالعدل ورفعت آخرين بالفضل وكلاهما نعرف ان كل ذلك سوى ... والرفع والخفض يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب سبحانه وتعالى الخفض والرفع الى القيامة توسعا ومجازا على عادة العرب في اضافتها الفعل الى المحل والزمان وغيرهما مما لا يمكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى واللام في قوله تعالى لوقعتها اما للتعليل اي لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة وقعتها واما للتعدية كقولك ليس لزيد ضارب فيكون التقدير اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها امر يوجد لها كاذب اذا اخبر عنه قال الرازي وعلى هذا لا تكون ليس عاملة في اذا وهو بمعنى ليس لها كاذب اذا رجت الارض اي كلها على سعتها وثقلها بامر الله رجا اي حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل قال بعض المفسرين ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم ما عليها وينكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها والرجة الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب وفي الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعني اذا اضطربت امواجه تعالى وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته قال ابن عباس ومجاهد كما يبس الدقيق اي يلت والبسيسة السويق او الدقيق يلت بالسمن او الزيت ثم يؤكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز لا تخبزا خبزا وبسا بسا * ولا تطيلا بمناخ حبسا او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها وبست الابل وابسستها لغتان اذا زجرتها وقلت بس بس قاله ابو زيد وقال الحسن بست قلعت من اصلها فذهبت ونظيرها ينسفها ربي نسفا وقال عطية بسطت بالرمل والتراب فكانت اي بسبب ذلك هباء اي غبارا هو في غاية الانسحاق والى شدة لطافته اشار بصفته فقال تعالى منبثا اي منتشرا متفرقا بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه فهو كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل من كوة وعن ابن عباس هو ما تطاير من النار اذا اضطرمت يطير منها شرر فاذا وقع لم يكن شيئا وكنتم اي قسمتم بما كان في جبلاتكم وطباعكم في الدنيا ازواجا اي اصنافا ثلاثة كل صنف

اشياء كل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة قال البيضاوي وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج ثم بين من هم بقوله تعالى ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يؤتون كتبهم بايمانهم مبتدأ وقوله تعالى ﴿مَآ﴾ استفهام فيه تعظيم مبتدأ ثان وقوله تعالى ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر الاول وتكرير المبتدأ هنا بلفظه مغن عن الضمير ومثله الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا في مواضع التعظيم ولما ذكر الناجين بقسميهم اتبعهم اضدادهم بقوله تعالى ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ اي الشمال وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقوله تعالى ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار وقال السدي اصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب المشامة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار والمشأمة الميسرة وكذا الشامة والعرب تقول لليد الشمال الشؤمى وللجانب الشمال الاشأم وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن ولما جاء عن الشمال الشؤم قال البغوي ومنه سمي الشام واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها وقال ابن عباس رضي الله عنهما اصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين آدم حين اخرجت الذرية من صلبه فقال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقال زيد بن اسلم هم الذين اخذوا من شق آدم الايمن وقال ابن جريج اصحاب الميمنة هم اصحاب الحسنات واصحاب المشأمة هم اصحاب السيئات وفي صحيح مسلم من حديث الاسراء عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت يا جبريل من هذا قال آدم عليه السلام وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المبرد اصحاب الميمنة اصحاب التقدم واصحاب المشأمة اصحاب التأخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتأخرين ❊ تنبيه ❊ الفاء في قوله تعالى فاصحاب تدل على التقسيم وبيان ما ورد عليه التقسيم كانه قال ازواجا ثلاثة اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون ثم بين حال كل قسم فقال فاما اصحاب الميمنة وترك التقسيم اولا واكتفى بما يدل عليه وهو ذكر الاقسام الثلاثة مع احوالها فان قيل ما الحكمة في اختيار لفظ المشأمة في مقابلة الميمنة مع انه قال في بيان احوالهم واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال اجيب ❊ بان اليمين وضع للجانب المعروف واستعملوا منه الفاظا في مواضع فقالوا هذا ميمون تيمنا به ووضعوا مقابلة اليمين اليسار من الشيء اليسير اشارة الى ضعفه واستعملوا منه الفاظا تشاؤما به فذكر المشأمة في مقابلة الميمنة وذكر الشمال في مقابلة اليمين فاستعمل كل لفظ مع مقابله ولما ذكر تعالى القسمين وكان كل منهما قسمين فكل على اهل القسم الاول ترغيبا في حسن حالهم و ... تقسيم اهل المشأمة ترهيبا في سوء حالهم فقال تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ اي الى الاعمال الصالحة مبتدأ وقوله تعالى ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ تأكيد للتعظيم وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السابقون الذين ٢٧

اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم وقال محمد بن كعب
القرظي هم الانبياء عليهم السلام وقال الحسن وقتادة السابقون الى الايمان من كل امة وقال
محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
وقال مجاهد والضحاك هم السابقون الى الجهاد واول الناس رواحا الى الصلوة وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه هم السابقون الى الصلوات الخمس وقال سعيد بن جبير الى التوبة واعمال البر قال تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم اثنى عليهم فقال تعالى اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم اربعة منهم سابق امة موسى عليه السلام وهو
حزقيل مؤمن آل فرعون وسابق امة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقا امة
محمد صلى الله عليه وسلم وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال سميط بن عجلان الناس ثلاثة رجل ابتكر
الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب
ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من اصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب
ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من اصحاب الشمال وروي عن كعب قال هم اهل القرآن المتوجون
يوم القيامة وقيل هم اول الناس رواحا الى المسجد واولهم خروجا في سبيل الله وخبر المبتدا
اولئك اي العالو المرتبة جدا المقربون اي الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت
مراتبهم واصطفاهم الله تعالى للسبق فازادهم القربة ولولا فضله في تقريبهم لم يكونوا سابقين قال الرازي
في اللوامع المقربون تخلصوا من نفوسهم واعمالهم كلها لله تعالى دينا ودنيا من حق الله تعالى وحق الناس وكلاهما
عندهم حق الله تعالى والدنيا عندهم آخرة لانهم يراقبون ما يبدو لهم من ملكوته فيتلقونه بالرضا والانقياد
وهم صنفان صنف قلوبهم في جلال الله وعظمته هائمة قد ملكتهم هيبته فالحق يستعملهم وصنف
آخر قد ارخي من عنانه والامر عليه اسهل لانه قد جاوز بقلبه هذه الخطة وجعله امينا من الله تعالى في ارضه
فيكون عليه او سعاه ثم بين تقريبه لهم بقوله تعالى في جنات النعيم اي الذي لا كدر فيه بوجه
ولا منغص ولما ذكر السابقين فصلهم بقوله تعالى ثلة اي جماعة وقيدها الزمخشري بالكثيرة
وانشد وجاءت اليهم ثلة خندفية * بجيش كتيار من السيل مزبد * قال ابن عادل ولم يقيدها غيره
بل صرحوا بانها الجماعة قلت او كثرت ثم قال والكثرة التي فهمها الزمخشري قد تكون من السياق اه لكن
قال البغوي والثلة جماعة غير محصورة العدد من الاولين اي من الامم السابقة من لدن آدم الى محمد صلى الله
عليه وسلم من النبيين عليهم السلام ومن آمن بهم وقليل من الآخرين وهم من آمن بمحمد صلى الله
عليه وسلم فقد كان الانبياء عليهم السلام مائة الف وبضعا وعشرين الفا وكان من خرج مع موسى
عليه السلام من مصر وهو من الرجال المقاتلين ممن هو فوق العشرين ودون الستين ستمائة
الف فما ظنك بمن عداهم من الشيوخ ومن دون العشرين من البالغين والصبيان ومن النساء فكيف
بمن عداهم من سائر النبيين عليهم السلام المجددين من بني اسرائيل وغيرهم قال البيضاوي ولا يخالفه

قوله عليه الصلوة والسلام امتى يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقو سائر الامم اكثر من سابقى هذه الامة وتابعو هذه الامة اكثر من تابعيهم قيل لما نزلت هذه الآية شق على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى لارجوان تكونوا ربع اهل الجنة بل نصف اهل الجنة وتقاسمونهم فى النصف الثانى رواه ابو هريرة رضى الله عنه ذكره الماوردى وغيره ومعناه ثابت فى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود وكانه اراد انها منسوخة قال الرازى وهذا فى غاية الضعف لان عدد امة محمد صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك الزمان بل الى آخر الزمان بالنسبة الى ما مضى فى غاية القلة والمراد بالاولين الانبياء وكبار اصحابهم وهم اذا اجتمعوا كانوا اكثر من السابقين من هذه الامة ولان هذا اخير والخير لا ينسخ وقال الحسن سابقو من مضى اكثر من سابقينا فلذا قال تعالى وقليل من الآخرين وقال فى اصحاب اليمين وهم سوى السابقين ثلة من الآخرين ولذا قال صلى الله عليه وسلم انى لارجوان تكون امتى شطر اهل الجنة ثم تلا ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وروى الطبرانى ان الثلة والقليل كلاهما من هذه الامة فتكون الصحابة كلهم من هذه الثلة وكذا من تبعهم باحسان الى راس القرن الثالث وهم لا يحصيهم الا الله تعالى ومن المعلوم انه تناقص الامر بعد ذلك الى ان صار السابق فى الناس اقل من القليل لرجوع الاسلام الى الحال التى بدأ عليها من الغربة بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء اى وهم الذين اذا فسد الناس صلحوا كما فسره به النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وقال ابو بكر كلا الثلتين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو فى اول امته ومنهم من هو فى آخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل المراد بالاولين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبالآخرين ذرياتهم الملحقون بهم فى قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم واشتقاق الثلة وهى مبتدأ من الثل وهو القطع والخبر على سرر جمع سرير وهو ما يجعل للانسان من المقاعد العالية الموضوعة للراحة والكرامة موضونة قال ابن عباس رضى الله عنهما منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس رضى الله عنهما ايضا موضونة اى مصفوفة لقوله تعالى فى موضع آخر على سرر مصفوفة وقيل منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والموضونة المنسوجة واصله من وضنت الشئ اى ركبت بعضه على بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتركب حلقها قال الاعشى ومن نسج داود موضونة تسير مع الحى عيرا فعيرا ومنه ايضا وضين الناقة وهو حزامها لتراكب طاقاته قال عمر رضى الله عنه وهو مار بوادى محسر

اليك تعدو قلقا وضينها معترضا فى بطنها جنينها مخالفا دين النصارى دينها

رواه البيهقى ومعناه ان ناقتى تعدو اليك مسرعة فى طاعتك قلقا وضينها وهو حبل كالحزام من كثرة السير والاقبال التام والاجتهاد البالغ فى طاعتك والمراد صاحب الناقة فيسرع للمسارعة

بوادي محسر يقول هذا الكلام الذي قاله عمر رضي الله تعالى عنه ولما ذكر تعالى السرر وبين عظمتها ذكر غايتها فقال سبحانه مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا اي السرر على الجنب او غيره كحال من يكون على كرسي فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه مُتَقَابِلِينَ فلا ينظر بعضهم الى قفا بعض وقال مجاهد وغيره هذا في المؤمن وزوجته واهله اي يتكؤن متقابلين قال الكلبي طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت وقيل انهم صاروا ارواحا نورانية صافية ليس لهم ادبار ولا ظهور. تنبيه. متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على سرر ويجوز ان تكون حالا متداخلة فيكون متقابلين حالا من ضمير متكئين ثم بين تعالى انهم في غاية الراحة بقوله تعالى يَطُوفُ عَلَيْهِمْ اي لكفاية كل ما يحتاجون اليه وِلْدَانٌ اي على احسن صورة وزي وهيئة مُخَلَّدُونَ قد حكم الله تعالى ببقائهم على ما هم عليه من الهيئة على شكل الاولاد قال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول امرئ القيس. وهل ينعمن الا سعيد مخلد. قليل الهموم ما يبيت باوجال. وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد والقرط ما يجعل في الاذنين من الحلق وقيل مقرطون اي ممنطقون من المناطق والمنطقة ما يجعل في الوسط واكثر المفسرين انهم على سن واحد انشاهم الله تعالى لاهل الجنة يطوفون عليهم نشؤا من غير ولادة فيها لان الجنة لا ولادة فيها وقال علي بن ابي طالب والحسن البصري رضي الله عنهم الولدان ههنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة قال الحسن لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيآت يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود ان اهل الجنة على اتم السرور والنعمة وقوله تعالى بِأَكْوَابٍ متعلق بيطوفون والاكواب جمع كوب وهي كيزان مستديرة الافواه بلا عرى ولا خراطيم لا يعوق الشارب منها عائق عن شربه من اي موضع اراد منها فلا يحتاج ان يحول الاناء عن الحالة التي تناوله بها ليشرب وقوله تعالى وَأَبَارِيقَ جمع ابريق وهي اوان لها عرى وخراطيم فيها من انواع المشارب ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين سمي بذلك لبريق لونه من صفائه وَكَأْسٍ اي اناء شراب الخمر مِّن مَّعِينٍ اي خمر صافية صفاء الماء ليس يتكلف عصرها جارية من منبع لا ينقطع ابدا فان قيل كيف جمع الاكواب والاباريق وافرد الكاس اجيب بان ذلك على عادة اهل الشرب فانهم يعدون الخمر في اوان كثيرة ويشربون بكاس واحد وقديما مما ينعم لاهل الدنيا من حيث انهم يطوفون بالاكواب والاباريق ولا تثقل عليهم بخلاف اهل الدنيا لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا اي بسببها قال الزمخشري وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها والصداع هو الداء المعروف الذي يلحق الانسان في راسه والخمر تعرض فيه قال علقمة بن عبدة في وصف الخمر

تشفي الصداع ولا يؤذيك صالبها ... ولا يخالطها في الراس تدويم

قال ابو حيان هذه صفة خمر الجنة كذا قال الشيخ ابو جعفر بن الزبير والمعنى لا يتصدع رؤسهم من شربها فهي لذة بلا اذى بخلاف خمر الدنيا وقيل لا يتفرقون عنها وَلَا يُنزِفُونَ اي تذهب

يعقوبهم لوجه من الوجوه اى يقرعهم شرابهم من نزفت البئر اذا نزحت ماؤها كله وقرأ عاصم وحمزة
والكسائى بكسر الزاى والباقون بفتحها وفاكهة مما يتخيرون اى يختارون مما يشتهون من الفواكه
لكثرتها وقيل المعنى وفاكهة متخيرة مرضية والتخير الاختيار ولحم طير مما يشتهون اى يتمنون قال
ابن عباس رضى الله عنهما يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ويقال انه يقع
على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهى ثم يطير فيذهب فان قيل ما الحكمة فى تخصيص الفاكهة بالتخير
واللحم بالاشتهاء * اجيب * بان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا
عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشتهٍ والشبعان غير مشته بل هو مختار واهل الجنة انما
يأكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت فى مواضع كثيرة فى القرآن
بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل ولهذا قدم الفاكهة
على اللحم فان قيل الفاكهة واللحم لا يطوف بهما الولدان والعطف يقتضى ذلك * اجيب * بان الفاكهة
واللحم فى الدنيا يطلبان فى حال الشرب فجاز ان يطوف بهما الولدان فيناولونهم الفواكه الغريبة
واللحوم العجيبة لا للاكل بل للاكرام كما يضع المكرم للضيف انواع الفواكه بيده او يكون
معطوفا على المعنى فى قوله جنات النعيم اى مقربون فى جنات النعيم وفاكهة ولحم اى فى هذا
النعيم يتقلبون * ولما لم يكن بعد الاكل والشراب اشهى من النساء قال تعالى وحور اى نساء
شديدات سواد العيون وبياضها عين اى ضخام العيون وقرأ حمزة والكسائى بخفض الاسمين
عطفا على بسرر فان النساء فى معنى المتكأ لانهن يسمين فراشا والباقون بالرفع عطفا على ولدان كامثال
اللؤلؤ المكنون اى المخزون فى الصدف المصون الذى لم تمسه الايدى ولم تقع عليه الشمس
والهواء فيكون فى نهاية الصفاء قال البغوى ويروى انه يسطع نور فى الجنة فيقولون ما هذا فيقال
ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها ويروى ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها
وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك فى نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما
من لؤلؤ يصران بالتسبيح ولما بالغ فى وصف جزائهم بالحسن والصفاء دل على ان اعمالهم كانت كذلك لان
الجزاء من جنس العمل فقال تعالى جزاء اى فعل ذلك لهم لاجل الجزاء بما كانوا يعملون اى يجددون عمله على
جهة الاستمرار قالت المعتزلة هذا يدل على ان ايصال الثواب واجب على الله تعالى لان الجزاء لا يجوز الاخلال به واجيب
بانه لو صح ما ذكروه لما كان فى الوعد بهذه الاشياء فائدة لان العقل اذا حكم بان ترك الجزاء
قبيح وعلم بالعقل ان القبيح من الله تعالى لا يوجد علم ان الله تعالى يعطى هذه الاشياء لانها جزاء
وايصال الجزاء واجب فكان لا يصح التمدح به لا يسمعون فيها لغوا اى شيئا مما لا ينفع والعبث
الساقط ولا تأثيما اى ما يحصل به الاثم والنسبة الى الاثم بل هم كانهم كلها فى رضا الله
تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما باطلا وكذبا قال محمد بن كعب ولا تأثيما اى لا يؤثم بعضهم
بعضا وقال مجاهد لا يسمعون شتما ولا مأثما وقوله تعالى الا قيلا فيه قولان احدهما انه

استثناء منقطع وهذا واضح لانه لم يندرج تحت اللغو والتأثيم والثاني انه متصل وفيه بعد قال
ابن عادل فكان هذا اي ان الاهل لا يسمعون فيها كلاما فاندرج عنده فيه ثم بين تعالى ذلك
بقوله سلاما سلاما اي قولا سلاما قال عطاء يحيي بعضهم بعضا بالسلام او تحييهم الملائكة او
يحييهم ربهم ودل على دوامه بتكريره فقال تعالى سلاما ففيه اشارة الى كثرة السلام عليهم ولهذا
تكرر في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقال القرطبي السلام الثاني بدل من الاول والمعنى الا قولا
يسلم فيه من اللغو ولما بين حال السابقين شرع في بيان حال اصحاب اليمين فقال تعالى واصحاب
اليمين شرفهم امرهم واعلى مدحهم لتعظيم جزائهم فقال تعالى ما اصحاب اليمين فان قيل ما الحكمة في
ذكرهم بلفظ اصحاب الميمنة عند تقسيم الازواج الثلاثة وبلفظ اصحاب اليمين عند ذكر الانعام
اجيب بان ذلك تفنن في العبارة والمعنى واحد في سدر اي شجر نبق مخضود اي لا شوك
فيه كانه خضد شوكه اي قطع ونزع منه قال ابن المبارك اخبرنا صفوان عن سليم بن عامر قال كان
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون انا لينفعنا الاعراب ومسائلهم قال اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله
لقد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة مؤذية ما كنت ارى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس يقول سدر
مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام
ما فيه لون يشبه الآخر وقال ابو العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطائف مخصب فاعجبهم
سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت قال امية بن ابي الصلت يصف الجنة وما فيها
ان الحدائق في الجنان ظليلة * فيها الكواعب سدرها مخضود ، قال مجاهد في سدر مخضود هو الموقر
حملا الذي تنثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وقال سعيد بن جبير ثمرها
اعظم من القلال وطلح منضود اي منظوم بالحمل من اعلاه الى اسفله ليست له ساق بارزة منه
يتركب بعضه على بعض على ترتيب هو في غاية الاعجاب والطلح جمع الطلحة قال علي وابن عباس رضي الله عنهم واكثر
المفسرين الطلح شجر الموز واحده طلحة وقال الحسن ليس هو موزا ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال الفراء و
ابو عبيدة شجر عظيم كثير الشوك والطلح كل شجر عظيم له شوك وقال الزجاج هو شجر ام غيلان قال مجاهد
ولكن ثمرها احلى من العسل وقال الزجاج لها نور طيب جدا فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله الا ان فضله
على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الدنيا وقال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن
له ثمر احلى من العسل وقال مسروق اشجار الجنة من عروقها الى افنانها نضيدة ثمر كله كلما اكلت
ثمرة عاد مكانها احسن منها وظل ممدود اي دائم لا يزول ولا تنسخه الشمس لقوله تعالى الم تر الى
ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقيل الظل
ليس ظل اشجار بل ظل يخلقه الله تعالى قال الربيع بن انس رضي الله عنه يعني ظل العرش وقال عمرو بن
ميمون رضي الله عنه مسيرة سبعين الف سنة وقال ابو عبيدة تقول العرب الدهر

والطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع ممدود قال الشاعر: غلب العزاء وكان غير مغلب * *
دهر طويل دائم ممدود * وفي صحيح الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا إن شئتم وظل
ممدود وفي هذا الحديث رد على من يقول إن الأشجار لا ظل لها وقد سئل السبكي عن الرجل الذي هو آخر
أهل الجنة دخولا إذا ارتفعت له شجرة يقول يا رب أدنني من هذه لأستظل في ظلها الحديث من أي شيء
يستظل والشمس قد كورت أجاب بقوله تعالى وظل ممدود وبقوله تعالى هم وأزواجهم في ظلال إذ
لا يلزم من تكوير الشمس عدم الظل لأنه مخلوق لله تعالى وليس بعدم بل أمر وجودي له نفع بإذن الله
تعالى في الأبدان وغيرها فليس الظل عدم الشمس كما قد يتوهم وروى عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تعالى وظل ممدود قال شجرة في الجنة يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون ويشتهي
بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله تعالى عليهم ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا وماء
مسكوب أي جار في منازلهم في غير أخدود لا يحتاجون فيه إلى جلب ماء من الأماكن
البعيدة ولا إلى كلام في تحصيله كأهل البوادي فإن العرب كانت أصحاب بادية وبلاد حارة وكانت
الأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء فوعدوا في الجنة خلاف ذلك
وفاكهة كثيرة أي أجناسها وأنواعها وأشخاصها لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس
رضي الله عنهما لا تنقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد إذا أراد أخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالأزمان
ولا ممنوعة بالأثمان كما تنقطع أكثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء ولا يوصل إليها إلا بالثمن وقيل لا يمنع
من أرادها شوك ولا بعد ولا حائط بل إذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها قال تعالى قطوفها دانية
وجاء في الحديث ما قطعت من ثمار الجنة إلا أبدل الله تعالى مكانها ضعفين ولما كان التفكه لا يكمل
إلا بالتلذذ به إلا مع الراحة قال تعالى وفرش مرفوعة أي رفيعة القدر يقال ثوب رفيع أي عزيز مرتفع
القدر والثمن بدليل قوله تعالى متكئين على فرش بطائنها من إستبرق فكيف ظهائرها أو مرفوعة فوق السرر
بعضها فوق بعض وروى الترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة
قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام قال حديث غريب وقيل هي كناية عن النساء
كما كني عنهن باللباس أي ونساء مرتفعات الأقدار في حسنهن وكمالهن والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا
على الاستعارة دليل هذا التأويل قوله تعالى إنا أي بما لنا من العظمة التي لا يتعاظمها شيء
أنشأناهن أي الفرش التي معناها النساء من أهل الدنيا بعد الموت بالبعث وزاد في التأكيد
فقال تعالى إنشاء أي خلقا جديدا من غير ولادة بل جمعناهن من التراب كسائر بني آدم ليحكين
أباهم آدم عليه السلام في خلقه من تراب لتكون الإعادة كالابتداء ولذلك يكون الكل عند
دخول الجنة على شكله عليه السلام وروى النحاس بإسناده أن أم سلمة سألت النبي صلى الله عليه وسلم
عن قوله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء فقال هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله

تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء وروى أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه في قوله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء قال هن العجائز العمش الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا وعن المسيب بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء قال هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وعن الحسن رضي الله عنه قالت أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أي الفرش المنشآت وغيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شيء أبكارا أي عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقال مقاتل وغيره هن الحور العين أنشأهن الله تعالى لم يقع عليهن الولادة وقوله تعالى عربا جمع عروب كصبور وصبر وهي الغنجة المحببة إلى زوجها قال الرازي في اللوامع الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب وقيل الحسناء وقيل المحسنة لكلامها وقال ابن عباس رضي الله عنهما هن العواشق وأنشد ولبيد في الخباء عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر وقرأ حمزة وشعبة بسكون الراء والباقون بضمها كرسل ورسل وفرش وفرش وقوله تعالى أترابا جمع ترب وهو المساوي لك في سنك لأنه يمس جلدهما التراب في وقت واحد وهو آكد في الائتلاف وهو من الأسماء التي لا تتعرف بالإضافة لأنه في معنى الصفة إذ معناه مساويك ومثله خدنك لأنه بمعنى مصاحبك قال القرطبي سن واحد وهو ثلاث وثلاثون سنة يقال في النساء أتراب وفي الرجال أقران وكانت العرب تميل إلى من جاوزت حد الصبا من النساء وانحطت عن الكبر وقال مجاهد لا أتراب لا أمثال فلا أشكال وقال السدي أتراب في الأخلاق لا تباغض فيهن ولا تحاسد وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعا في سبعة أذرع وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون ألف زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء وينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أدنى أهل الجنة منزلة وما منهم دني لمن يغدو ويراح عليه عشرة آلاف خادم مع كل واحد منهم طريفة ليست مع صاحبه وفي تعلق اللام في قوله تعالى لأصحاب اليمين وجهان أحدهما أنها متعلقة بأنشأناهن أي لأجل أصحاب اليمين والثاني أنها متعلقة بأترابا كقولك هذا ترب لهذا أي مساو له ثم بينهم بقوله تعالى

ثلة من الاولين ﴿ اى من اصحاب اليمين وثلة ﴾ اى منهم ﴿ من الآخرين ﴾ فلم يبين فيهم قلة ولا كثرة
قال البقاعي والظاهر ان الآخرين اكثر فان وصف الاولين بالكثرة لا ينافي كون غيرهم اكثر لتتفق مع
قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة ثلثا اهل الجنة فانهم عشرون ومائة صف هذه الامة
منهم ثمانون صفا واربعون من سائر الامم وعن عروة بن رويم قال لما انزل قوله تعالى ثلة من الاولين
وقليل من الآخرين بكى عمر وقال يا نبي الله امنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله
تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله تعالى
فيما قلت فقال عمر رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة
ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا سودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله وعن ابن عباس رضي الله
عنهما يرفعه قال عرضت على الامم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي
ليس معه احد ورفع الى سواد عظيم فقلت انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت
فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم تفرق
الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اما نحن
فولدنا في الشرك ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم ابناؤنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فقال هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة
ابن محصن فقال ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلني
منهم فقال سبقك بها عكاشة والرهط دون العشرة وقيل الى الاربعين وعن عبد الله ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الانبياء الليلة باتباعها حتى اتى على موسى في كبكبة
بني اسرائيل فلما رأيتهم اعجبوني فقلت اي رب من هؤلاء قيل هو اخوك موسى ومن معه من بني اسرائيل
قلت يا رب واين امتي قيل انظر عن يمينك فنظرت فاذا الظراب مكة قد سد بوجوه الرجال فقال هؤلاء
امتك ارضيت فقلت رضيت رب قيل انظر عن يسارك فنظرت فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال
فقيل هؤلاء امتك ارضيت قلت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين الفا يدخلون الجنة لا حساب
عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ان استطعتم ان تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا
من اهل الظراب فان عجزتم فكونوا من اهل الافق فاني قد رأيت اناسا يتهاوشون كثيرا وعن عبد الله بن مسعود
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة
قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفسي بيده اني لارجو ان تكونوا نصف
اهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود
او كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر وتقدم في الحديث انهم ثلثا اهل الجنة ولا منافاة لانه
صلى الله عليه وسلم اخبر اولا بالقليل ثم اطلعه الله تعالى على الزيادة ولما اتم وصف اصحاب
الجنة اتبعه اضدادهم بقوله تعالى ﴿ واصحاب الشمال ﴾ اى الجهة التي تتشاءم العرب بها ويعبر بها

عن الشيء الاخس والحظ الانقص قال البقاعي والظاهر انهم ادنى اصحاب المشأمة كما ان اصحاب
اليمين دون السابقين من اصحاب الميمنة ثم عظم ذمهم ومصابهم فقال تعالى ﴿ما اصحب الشمال﴾ اى انهم
بحال من الشؤم هو جدير بان يسال عنه وسماهم بذلك لانهم ياخذون كتبهم بشمالهم ثم بين متقلبهم
وما اعد لهم من العذاب فقال تعالى ﴿فى سموم﴾ اى ريح سادة من النار تنفذ فى المسام ﴿وحميم﴾ اى ماء
حار بالغ فى الحرارة الحد يذيب اللحم ﴿وظل من يحموم﴾ اى دخان اسود كالحمم اى الفحم شديد السواد وقيل النار
سوداء واهلها سود وكل شيء فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسماء النار قال الرازي وفى الامور الثلاثة
اشارة الى كونهم فى العذاب دائما لانهم ان تعرضوا لمهب الهواء اصابهم السموم وان استكنوا كما
يفعل الذي يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان بالكن يكونون فى ظل من يحموم وان ارادوا
التبرد بالماء من حر السموم يكون الماء من حميم فلا انفكاك لهم من العذاب ويقال ان السموم
تضربه فيعطش وتلتهب نار السموم فى احشائه فيشرب الماء فيقطع امعاءه فيريد الاستظلال بظل
فيكون ذلك الظل اليحموم وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالادنى على الاعلى كانه قال
ابرد الاشياء فى الدنيا حار عندهم فكيف احرها وقوله تعالى ﴿لا بارد﴾ اى ليروح النفس ﴿ولا كريم﴾
اى ليتوق لنس به ويلجأ اليه صفتان للظل كقوله تعالى من يحموم وقال الضحاك لا بارد اى كظلال
من الظلال بل حار لانه من دخان شفير جهنم ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب ولا حسن منظره
وكل شيء لا خير فيه ليس بكريم فسماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من ياوى اليه من اذى الحر وفى ذلك
كرمه ليمحق ما فى مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفى فى نحو هذا شانا
ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لا يستاهلون الظل البارد الكريم الذى هو لاضدادهم
فى الجنة ثم بين استحقاقهم لذلك بقوله تعالى ﴿انهم كانوا﴾ اى فى الدنيا ﴿قبل ذلك﴾ اى الامر العظيم
الذى وصلوا اليه ﴿مترفين﴾ اى انهم استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا فى الدنيا فى سعة من
العيش متمكنين فى الشهوات مستمتعين بها متمكنين منها ﴿وكانوا يصرون﴾ اى يقيمون ويديمون
على سبيل التجديد لما لهم من الميل الجبلى الى ذلك ﴿على الحنث﴾ اى الذنب ويعبر بالحنث عن البلوغ
ومنه قولهم لم يبلغ الحنث وانما قيل ذلك لان الانسان عند بلوغه اليه يؤاخذ بالحنث اى الذنب
وتحنث فلان اى جانب الحنث وفى الحديث كان يتحنث بغار حراء اى يتعبد لمجانبة الاثم نحو تحرج فتفعل
فى هذه كلها للسلب ولما كان ذلك قد يكون من الصغائر التى تغفر قال تعالى ﴿العظيم﴾ اى وهو الشرك قاله الحسن
والضحاك وقال مجاهد هو الذنب الذى لا يتوبون منه وقال الشعبى هو اليمين الغموس وهى من الكبائر يقال حنث
فى يمينه اى لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون ان لا بعث وان الاصنام انداد الله تعالى فذلك حنثهم فان قيل
الترفه هو التنعم وذلك لا يوجب ذما اجيب بان المذموم انما حصل بقوله تعالى وكانوا يصرون على الحنث العظيم
فان صدور المعاصى ممن كثرت النعم عليه اقبح القبائح وفى الاية مبالغات لان قوله تعالى يصرون يفيد
ان ذلك عادتهم والاصرار مداومة المعصية ولان الحنث ابلغ من الذنب لان الذنب مطلق

على الصغيرة ويدل على ذلك قولهم بلغ الحنث اى بلغ مبلغاً تلحقه فيه الكبيرة ووصفه بالعظيم
يخرج الصغائر فانها لا توصف بذلك قال الرازي والحكمة في ذكره سبب عذابهم ولم يذكر في اصحاب اليمين سبب
ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك تنبيه على ان الثواب منه فضل والعقاب
منه عدل والفضل سواء ذكر سببه او لم يذكر لا يتوهم بالتفضل نقص وظلم واما العدل ان لم يعلم سبب
العقاب يظن ان هناك ظلماً ويدل على ذلك انه تعالى لم يقل في حق اصحاب اليمين جزاء بما كانوا
يعملون كما قال في السابقين لان اصحاب اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته
يحسن اطلاق الجزاء في حقه وكانوا اى زيادة على ما ذكر يقولون اى انكاراً مجددين لذلك دائماً عناداً أئذا
اى انبعث اذا متنا وكنا اى كوناً ثابتاً تراباً وعظاماً ثم اعادوا الاستفهام تأكيداً لانكارهم فقالوا
أئنا لمبعوثون اى كائن وثابت بعثنا ساعة من الدهر واكد والكون انكارهم لما دون ذلك
بطريق الاولى وقرأ قالون أئذا بتحقيق الهمزة الاولى المفتوحة وتسهيل الثانية المكسورة وادخال الف
بينهما وكسر الميم من متنا وهمزة واحدة مكسورة في أئنا وقرأ ورش بتحقيق الاولى وتسهيل
الثانية ولا ادخال بينهما وكسر ميم متنا وهمزة واحدة مكسورة في أئنا مع النقل على اصله
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالاستفهام فيهما مع تسهيل الثانية الا ان ابا عمرو يدخل بينهما الفاً فيهما
وابن كثير لا يدخل الفاً وضما ميم متنا أوآباؤنا اى وتبعث آباؤنا الاولون اى الذين قد بليت
مع طول مدتهم عظامهم وصاروا واكلهم تراباً ولاسيما ان حملتهم السيول ففرقت اعضاءهم وذهبت بها
في الآفاق فان قيل كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن اجيب بانه حسن للفاصل
الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرأ قالون وابن عامر بسكون
الواو هنا والباقون بفتحها ثم رد الله تعالى عليهم قولهم ذلك بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل
اى لهؤلاء ولكل من كان مثلهم واكد لانكارهم ان الاولين اى الذين جعلتم الاستبعاد فيهم فهم لا بد
والآخرين وهم الابناء لمجموعون اى في المكان الذي يكون فيه الحساب الى ميقات يوم اى زمان
معلوم اى معين عند الله تعالى وهو يوم القيامة اذ هو من شأنه ان يعلم بما عليه من الامارات والميقات
ما وقت به الشيء من زمان او مكان الى حده ثم انكم اى بعد هذا الجمع ايها الضالون اى
الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لا يفهمون فضلوا عن الهدى ثم اتبع ذلك ما اوجب الحكم عليهم بالضلال
فقال تعالى المكذبون اى بالبعث والخطاب لاهل مكة ومن في مثل حالهم لآكلون من شجر من زقوم فهو من
الشجر المرة منبتها الله تعالى في الجحيم فهو في غاية الكراهة وبشاعة المنظر ونتن الرائحة وقد مر الكلام على
ذلك في الصافات تنبيه من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر فمالئون اى ملأ هو في غاية
الثبات وانتم في غاية الاقبال عليه مع ما هو عليه من عظيم الكراهة منها اى الشجر وانثه
لانه جمع شجرة وهو اسم جنس قال البقاعي وهم يكرهون الاناث فتأنيثه والله اعلم زيادة في
تعذيبهم وقال الزمخشري انث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه

لف ونشر مرتب البطون اى يضطركم الى تناول هذا الكريه حتى تملأ البطون منه ثم لما بين ما كلهم
اتبعه مشربهم فقال تعالى فشاربون عليه اى الاكل او الزقوم من الحميم لاجل مرارته
يحتاجون الى شرب الماء فيشربون من الماء الحار فشاربون اى منه شرب الهيم اى الابل العطاش
وهو جمع هيمان للذكر وهيمى للانثى كعطشان وعطشى والهيام داء معطش تشرب الابل منه
الى ان تموت او تسقم سقما شديدا وقيل انه جمع هائم وهائمة من الهيام ايضا الا ان جمع
فاعل وفاعلة على فعل قليل نحو نازل ونزل وعائذ وعوذ وقيل انه جمع هيام بفتح الهاء وهو الرمل
غير المتماسك الذي لا يروى من الماء اصلا فيكون مثل سحاب وسحب بضمتين ثم خفف باسكان
عينه ثم كسرت فاؤه لتصح الياء كما فعل بالذى قبله والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم
الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم
الذى يقطع امعاءهم فيشربون منه شرب الهيم فان قيل كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما
لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه اجيب بانهما ليستا بمتفقتين من حيث
ان كونهم شاربين الحميم على ما هو عليه من تناهى الحرارة وقطع امعائهم امر عجيب وشربهم له على ذلك
كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين وقرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين
والباقون بفتحها هذا اى ما ذكر نزلهم اى ما يعد لهم اول قدومهم مكان ما يعد للضيف اول حلوله كرامة له
يوم الدين اى الجزاء الذى هو حكمه واذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما يأتى بعدما استقروا فى الجحيم وفى هذا
تهكم كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فان النزل ما يعد للنازل تكرمة له ثم استدل على منكرى
البعث بقوله تعالى نحن اى لا غيرنا خلقناكم اى بما لنا من العظمة فلولا تحضيض اى فهلا تصدقون اى
بالبعث فان الاعادة اسهل من الابتداء وقيل نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان
لم تؤمنوا ومتعلق التصديق محذوف تقديره فلولا تصدقون بخلقنا أفرأيتم اى اخبرونى هل رأيتم
بالبصر والبصيرة ما تمنون اى تصبون من المنى فى ارحام النساء أأنتم تخلقونه اى توجدونه
مقدرا على ما هو عليه من الاستواء والحكمة بعد خلقه من صورة النطفة الى صورة العلقة
ثم من صورة العلقة الى صورة المضغة ثم منها الى صورة العظام والاعصاب ام نحن اى خاصة
الخالقون اى الثابت لنا ذلك وقرأ أفرأيتم فى الثلاثة مواضع نافع بتسهيل الهمزة التى هى عين الكلمة ولورش
وجه ثان وهو ابدالها الفا واسقطها الكسائى والباقون بالتحقيق وقرأ أأنتم فى الثلاثة المواضع نافع وابن كثير
وابو عمرو وهشام بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام
ولم يدخل بينهما ورش وابن كثير ولورش وجه ثان وهو ابدال الثانية الفا والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال
بينهما ولما كان الجواب قطعا انت الخالق وحدك اكد ذلك بقوله تعالى نحن اى بما لنا من العظمة لا غيرنا
قدرنا اى تقديرا عظيما لا يقدر سوانا على نقص شئ منه بينكم الموت اى قسمناه عليكم
فلم نترك احدا منكم بغير حصة واقتنا موت كل بوقت معين لا يتعداه فقصر عمر هذا او ربما كانت

في الاوج من قوة البدن وصحة المزاج فلو اجتمع الخلق كلهم على اطالة عمره ما قدروا ان يؤخروه لحظة
واطالنا عمر هذا وربما كان في الحضيض من ضعف البدن واضطراب المزاج فلو تمالؤا على تقصيره طرفة
عين لعجزوا وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال والباقون بالتشديد وما نحن اى على ما لنا من العظمة
بمسبوقين اى بالموت اى لا عاجزين ولا مغلوبين على اى عن ان نبدل اى تبديلا عظيما
امثالكم اى صوركم واشباهكم وننشئكم اى انشاء جديدا بعد تبديل ذواتكم في ما لا تعلمون
فان بعضكم تاكله الحيتان او السباع او الطيور فتنشئ ابدانه منها وبعضهم يصير ترابا فربما نشأ منه
نبات فاكلته الدواب فنشأت منه ابدانها وربما صار ترابه من معادن الارض الذهب والفضة والحديد
والحجر ونحو ذلك وقد علم الخلائق قوله تعالى كونوا حجارة او حديدا الى اخرها ويكون المعنى كما قال البغوي نأتي
بخلق مثلكم بدلا منكم ونخلقكم فيما لا تعلمون من الصور اى بتغيير اوصافكم وصوركم الى صور اخرى بالمسخ قردة قدر
على ذلك قدر على الاعادة وقال الطبري معنى الآية نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم بعد موتكم
باخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في آجالكم اى لا يتقدم متأخر ولا يتأخر متقدم وننشئكم فيما
لا تعلمون من الصور والهيآت قال الحسن اى نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل
المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فيجمل المؤمن ببياض وجهه ويقبح الكافر
بسواد وجهه. فائدة. في ما مقطوعة في الرسم ولقد علمتم النشأة الاولى اى الترابية لابيكم
آدم عليه السلام واللحمية لامكم حواء رضي الله عنها والنطفية لكم وكل منها تحويل من شئ الى
غيره فما الذي شاهدتم قدرته على ذلك لا يقدر على تحويلكم بعد ان تصيروا ترابا الى ما كنتم
عليه اولا من الصور ولهذا سبب عما تقدم قوله تعالى فلولا اى فهلا ولم لا تذكرون اى تذكرا
عظيما تكرهون انفسكم عليه فتعلمون ان من قدر على النشأة الاولى قدر على الثانية فانها اقل
صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وفي الخبر عجبا
كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو
يسعى لدار الغرور وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بفتح الشين وبعدها الف قبل الهمزة والباقون
بسكونها ولا الف بعدها فاذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة الى الشين وخفف الذال تذكرون حمزة والكسائي
وحفص وشددها الباقون ثم ذكر لهم حجة اخرى بقوله تعالى افرأيتم اى اخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة
ما نبهناكم عليه فيما تقدم فتسبب عن تنبيهكم لذلك انكم رأيتم ما تحرثون اى تجددون
حرثه على الاستمرار من اراضيكم فتطرحون فيه البذر أانتم تزرعونه اى تنشئونه بعد طرحكم
وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن خاصة الزارعون اى المنبتون له
والحافظون روى انه عليه الصلوة والسلام قال لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت
قال ابو هريرة ارايتم الى قوله تعالى افرأيتم الآية. ولما كان الجواب قطعا انت الفعال لذلك
وحدك قال تعالى مرشحا لانه ما زرعه غيره لو نشاء اى لو عاملناكم بصفة العظمة

لجعلناه اي بما لنا من العظمة حطاما اي مكسورا مفتتا لا حب فيه قبل النبات حتى لا يقبل
الخروج او بعده لا برد مفرط او حر مهلك او غير ذلك فلا ينتفع به فظلتم اي فاقمتم بسبب
ذلك نهارا في وقت الاشغال العظيمة وتركتم ما يهمكم تفكهون حذفت منه
احدى التاءين في الاصل تخفيفا اي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على ما سلف
منكم من المعاصي التي وجبت تلك العقوبة قال الزمخشري ومنه الحديث مثل العالم كمثل
الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينما هم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكهون
اي يتندمون وقال الكسائي التفكه التلهف على ما فات من الاضداد تقول العرب تفكهت
اي تنعمت وتفكهت اي حزنت وتقولون انا لمغرمون بحذف القول ومعنى الغرم
ذهاب المال بغير عوض من الغرام وهو الهلاك ومن مجيء الغرام بمعنى الهلاك قول القائل
ان يعذب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي وقال ابن عباس لغرام العذاب
اي عذبنا بذهاب اموالنا والمعنى ان غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض ومن الغرام
بمعنى العذاب قول القائل وثقت بان الحلم منك سجية وان فؤادي مبتلى بك مغرم
وقرأ شعبة ائنا بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة على الاستفهام والباقون بهمزة واحدة
مكسورة على الخبر بل نحن اي خاصة محرومون اي ممنوعون رزقنا حرمنا من لا يرد
قضاؤه فلا حظ لنا في الاكتساب فلو كان الزارع ممن له حظ لا فلح زرعه ثم ذكر تعالى لهم حجة
اخرى بقوله تعالى افرأيتم الماء اي اخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما نبهنا عليه فيما
مضى من المطعم وغيره فرأيتم الماء الذي تشربون تحيوا به انفسكم وتسكنوا به عطشكم
ذكرهم بنعمه التي انعم بها عليهم بانزال المطر الذي لا يقدر عليه احد الا الله عز وجل
أأنتم أنزلتموه من المزن اي السحاب وهو اسم جنس واحده مزنة قال القائل
فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها وعن ابن عباس والثوري المزن السماء والسحاب
وقال ابو زيد المزنة السحابة البيضاء اي خاصة وهي اعذب ماء والجمع مزن والمزنة المطرة ام نحن
اي خاصة المنزلون اي له بما لنا من العظمة لو نشاء اي حال انزاله وبعده قبل ان ينتفع به
جعلناه اي بما تقتضيه صفة العظمة اجاجا اي ملحا مرا محرقا كانه في الاحشاء لهيب النار
المؤجج فلا يبرد عطشا ولا ينبت نبتا ينتفع به وقال ابن عادل الاجاج المالح الشديد الملوحة فلولا
اي فهلا ولم لا تشكرون اي تجددون الشكر على سبيل الاستمرار باستعمال ما افادكم ذلك من القوى
في طاعة الله الذي اوجده لكم ومكنكم منه ثم ذكر تعالى لهم حجة اخرى بقوله تعالى افرأيتم النار
اي اخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما تقدم فرأيتم النار التي تورون اي تخرجون من الشجر الاخضر
أأنتم انشأتم اي اخترعتم واوجدتم واحييتم وربيتم ورفعتم شجرتها اي التي يقدح منها
النار وهي المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل اراد جميع

الشجر الذي توقد به النار أم نحن أي خاصة وأكد بقوله تعالى المنشئون أي لها بما لنا من العظمة على تلك الهيئة فمن قدر على إيجاد النار التي هي أيبس ما يكون في الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها كان أقدر على إعادة الطراوة في تراب الجسد الذي كان غضا طريا فيبس ولما كان الجواب قطعا أنت وحدك قال تعالى دالا على ذلك تنبيها على عظم هذا الخبر نحن أي خاصة جعلناها أي بما اقتضته عظمتنا تذكرة أي شيئا يتذكر به تذكرا عظيما جليلا كما أخبرنا به من البعث وعذاب النار الكبرى وما ينشأ فيها من شجرة الزقوم وغير ذلك وقيل تذكرة يتعظ بها المؤمن وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثلها مثل حرها ومتاعا أي بلغة ومنفعة للمقوين أي المسافرين والمقوي النازل في أرض القواء بالكسر والقصر والمد وهي القفر البعيدة من العمران والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والأسفار فإن منفعتهم بها أكثر من المقيم فإنهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال إلى غير ذلك من المنافع وقال مجاهد للمقوين أي المستمتعين بها من الناس أجمعين يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز إلى غير ذلك من المنافع ويتذكرون بها نار جهنم فيستجيرون بالله تعالى منها وقال ابن زيد للجائعين في إصلاح طعامهم يقال أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئا قال الشاعر: وإني لأختار القوى طاوي الحشى * محافظة من أن يقال لئيم * وقال قطرب المقوي من الأضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة للفقراء والأغنياء لا غنى لأحد عنها وقال المهدوي الآية تصلح للجميع لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغني والفقير * ولما ذكر تعالى ما يدل على وجوب وحدانيته وقدرته وإنعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم أو كل أحد من الناس بقوله تعالى فسبح أي أوقع التنزيه العظيم من كل شائبة نقص من ترك البعث وغيره ولا سيما بعد بلوغ هذه الأدلة باسم أي ملتبسا بذكر اسم ربك أي المحسن إليك بهذا البيان الأعظم * فائدة * أثبتوا ألف الوصل هنا في اسم ربك لأنه لم يكثر دوره كثرته في البسملة وحذفوه منها لكثرة دورها وهم شأنهم الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه وهذا معروف لا يجهل وإثبات ما أثبت من أشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف منه ولذلك لا تحذف مع غير الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير الجلالة الكريمة من الأسماء وقد أوضحت ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة * ولما كان المقام للعظمة قال الله تعالى العظيم أي الذي ملأ الأكوان كلها عظمة فلا شيء منها إلا وهو مملوء بعظمته تنزيها عن أن يلحقه شائبة نقص أو يفوته من كمال فالعظيم صفة للاسم أو الرب والاسم قيل بمعنى الذات وقيل زائد أي فسبح ربك واختلف في لا في قوله تعالى فلا أقسم فقال أكثر المفسرين معناه فأقسم ولا صلة مؤكدة بدليل قوله تعالى بعد ذلك وإنه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والتقدير

ليعلم وقال بعضهم انها حرف نفي وان المنفي بها محذوف وهو كلام الكافر الجاحد والتقدير فلا حجة
لما يقوله الكافر ثم ابتدأ قسما بما ذكر وضعف هذا بان فيه حذف اسم لا وخبرها قال ابو حيان ولا ينبغي
فان القائل بذلك مثل سعيد بن جبير تلميذ حبر القرآن وهو عبد الله ابن عباس ويبعد ان يقوله سعيد
الا بتوقيف وقال بعضهم انها لام الابتداء والاصل فلاقسم فاشبعت الفتحة فتولد منها الف كقول
بعضهم اعوذ بالله من العقراب قال الزمخشري ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها
ان تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال
وفعل القسم يجب ان يكون للحال واختلف ايضا في معنى قوله عز وجل بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ فقال اكثر
المفسرين بمساقطها لغروبها قال الزمخشري ولعل لله تعالى في اخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب
افعالا عظيمة مخصوصة وللملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين
اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم
ذلك بقوله تعالى وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ وقال عطاء بن رباح اراد بمواقعها منازلها
قال الزمخشري وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقال الحسن
مواقعها انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقال ابن عباس والسدي المراد نجوم القرآن اي اوقات
نزولها وقال الضحاك هي الانواء التي كانت الجاهلية تقول اذا مطروا مطرنا بنوء كذا وقال القشيري
هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة فان قيل
لو تعلمون جوابه ماذا اجيب بانه مقدر تقديره لعظمتموه اي لو كنتم من ذوي العلم
لعلمتم عظم هذا القسم لكنكم ما علمتموه فعلم انكم لا تعلمون وقرأ حمزة والكسائي
بسكون الواو ولا الف بعدها والباقون بفتح الواو والف بعدها وقوله تعالى إِنَّهُ اي القرآن الذي
افهمته النجوم بعموم افهامها لَقُرْآنٌ اي جامع سهل ذو انواع جليلة كَرِيمٌ اي بالغ الكرم
منزه عن كل شائبة لؤم ودناءة هو المقسم عليه وفي الكلام اعتراضان احدهما الاعتراض بقوله
تعالى وانه لقسم بين القسم والمقسم عليه والثاني الاعتراض بقوله تعالى لو تعلمون بين الصفة
والموصوف تنبيه من كرم هذا القرآن العظيم كونه من الملك الاعلى الى خير الخلق بسفارة روح القدس
مشتملا على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد وبلسان العرب الذين اتفقت علماء الفرق
على ان لسانهم افصح الالسن وعلى وجه اعجز العرب كافة وبقية الخلق اجمعين واختلف في معنى قوله
تعالى فِي كِتَابٍ اي مكتوب مَّكْنُونٍ اي مصون فالذي عليه الاكثر انه المصحف سمي قرآنا لقربه بالجوار
على الاتساع ولان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واراد به المصحف
وقوله تعالى لَّا يَمَسُّهُ خبر بمعنى النهي ولو كان باقيا على خبريته لزم منه الخلف لان غير المطهر يمسه
وخبر الله تعالى لا يقع فيه خلف لان المراد بقوله تعالى إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ لا المحدثون وهو قول عطاء
وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي رضي الله عنهما وقال

ابن عادل والصحيح ان المراد بالكتاب المصحف الذي بايدينا لما روى مالك وغيره ان كتاب عمرو
ابن حزم لا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمس القرآن الا وانت
طاهر وقالت اخت لعمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالمصحف لا يمسه الا المطهرون
فقام فاغتسل واسلم وعلى هذا قال قتادة وغيره معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث
والانجاس انتهى وقال ابن عباس مكنون محفوظ عن الباطل والكتاب هنا كتاب في السماء وقال
جابر هو اللوح المحفوظ اي لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال عكرمة التوراة
والانجيل فيهما ذكر القرآن وقال السدي الزبور وقيل لا من لا يمسه نافية والضمة في لا يمسه
ضمة اعراب وعلى هذا في الجملة وجهان احدهما ان محلها الجر صفة لكتاب والمراد به اما اللوح
المحفوظ والمطهرون حينئذ الملائكة او المراد به المصحف والمراد بالمطهرين الملائكة كلهم
والثاني محلها رفع صفة لقرآن والمراد بالمطهرين الملائكة فقط اي لا يطلع عليه لان نسبة
المس الى المعاني متعذرة وقيل انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك
فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب
وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم بضم الدال وان كان القياس يقتضي جواز فتحها تخفيفا وبهذا
ظهر فساد رد من رد بان هذا لو كان نهيا كان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء
في هذا النحو لا يحق سيبويه غيره واختلفوا في المس المذكور في الآية فقال انس وسعيد
ابن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة وقال ابو العالية وابن زيد هم الذين
طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بني آدم وقال الكلبي هم السفرة الكرام البررة وهذا
كله قول واحد وهو اختيار مالك وقال الحسين هم الملائكة الموصوفون في سورة عبس في قوله تعالى
صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة وقيل معنى لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون
اي الا الرسل من الملائكة على الرسل من الانبياء وقيل لا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون الا الملائكة
المطهرون ولو كان المراد طهر الحدث لقال المتطهرون والمطهرون بتشديد الطاء ومن قال بالاول قال المطهرون
يعني المتطهرون تنبيه اختلف العلماء في مس المصحف وحمله على غير وضوء فالجمهور على المنع
من مسه على غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن ابي وقاص
وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي
واما الحمل فلانه ابلغ من المس وسواء حمله بعلاقته ام في كمه ام على راسه وسواء مس نفس الاسطر
ام ما بينها ام الحواشي ام الجلد ام العلاقة ام الخريطة ام الصندوق اذا كان المصحف فيهما
وسواء باعضاء الوضوء ام بغيرها وقال جماعة بجواز مسه وحمله واحتجوا بان النبي صلى الله
عليه وسلم كتب الى هرقل كتابا فيه قرآن وهرقل محدث يمسه هو واصحابه وبان الصبيان
يحملون الالواح محدثين بلا انكار وبانه اذا لم تحرم القراءة فالحمل والمس اولى وبانه يجوز حمله

في امتعة واجيب عن الاول بان ذلك الكتاب كان فيه آيات ولا يسمى مصحفا ولا ما في معناه وبانه لو كان كتابا فقد تضمن مع القرآن دعاء الى الاسلام فلم يكن القرآن لانفراده مقصودا فجاز تغليبا للمقصود فيه وعن الثاني بانه ابيح للصبيان للضرورة لانهم غير مكلفين وعن الثالث بان القراءة ابيحت للحاجة وعسر الوضوء لها كل وقت وبانا لا نسلم الاولوية المذكورة بدليل ان الكافر لا يمنع من القراءة ويمنع من حمل المصحف وعن الرابع بان جواز حمل المصحف في الامتعة محله اذا لم يكن المصحف مقصودا بالحمل وقال آخرون بحرمة المس دون الحمل واحتجوا بان المحرم يحرم عليه مس الطيب دون حمله واجيب عنه بانه غير صحيح لان حمل المصحف ابلغ في الاستيلاء عليه من مسه فلما حرم الادنى كان تحريم الاعلى اولى ولان تحريم المصحف انما هو لحرمته فاستوى فيه مسه وحمله بخلاف طيب المحرم فان تحريمه مقصور على الاستمتاع به وليس في حمله استمتاع به ولو لف كمه على يده وقلب به اوراق المصحف حرم عليه لان القلب يقع باليد لا بالكم بخلاف قلبه ذلك بعود فيجوز ويحرم كتب شيء من القرآن او من اسمائه تعالى بنجس او على نجس ومسه اذا كان غير معفو عنه ولو خاف على المصحف من حرق او غرق او وقوع نجاسة عليه او وقوعه في يد كافر جاز حمله مع الحدث بل يجب ذلك صيانة للمصحف ولو لم يجد من يودعه المصحف وعجز عن الوضوء فله حمله مع الحدث ويلزمه ان يتيمم ان وجد التراب ولا تجوز المسافرة بالمصحف الى ارض الكفار اذا خيف وقوعه في ايديهم للنهي عنه في الصحيحين وخرج بالمصحف غيره كتب الفقه والحديث وكتب التفسير فلا يحرم حملها ولا مسها الا ان يكون القرآن اكثر من التفسير او مساويا له فيحرم الحمل والمس لانه حينئذ في معنى المصحف وفي ذلك زيادة ذكرتها في شرح المنهاج وغيره وقوله تعالى ﴿تَنْزِيلٌ﴾ اي منزل اليكم بالتدريج بحسب الوقائع والتقريب للافهام والتأني والترقية من حال الى حال وحكم الى حكم بوسائط الرسل من الملائكة ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ اي الخلق العالم بتربيتهم صفة القرآن اي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كقوله تعالى هذا خلق الله اي مخلوقه واوثر المصدر لان تعلق المصدر بالفاعل اكثر وفي ذلك رد على قول من قال بان القرآن شعر او سحر او كهانة ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ اي القرآن الذي تقدمت اوصافه العالية وهو يتجدد اليكم انزاله وقتا بعد وقت ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ اي متهاونون كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به قال ابن عباس الادهان والمداهنة الملاينة في الامور والتغافل والركون الى الجفا وزاد قال البقاعي فهو على هذا انكار على من سمع احدا يتكلم في القرآن بما لا يليق ثم لا يجاهره بالعداوة واهل الاتحاد كابن عربي الطائي صاحب الفصوص وابن الفارض صاحب التائية اول من صوبت اليه هذه الآية فانهم تكلموا في القرآن على وجه يبطل الدين اصلا وراسا ويحله عروة عروة فهم اضر الناس على هذا الدين ومن يتأول لهم او ينافح عنهم او يعتذر لهم او يحسن الظن بهم مخالف لاجماع الامة الخارج عنهم فان مراده ابقاء كلامهم الذي لا افسد للاسلام منه من غير ان يكون لابقائه مصلحة بما يوجه من الوجوه اهـ وجرى ابن المقري في روضه على

كفر من شك في كفر طائفة ابن العربي الذين ظاهر كلامهم عند غيرهم الاتحاد وهو بحسب ما فهمه
من ظاهر كلامهم ولكن كلام هؤلاء جار على اصطلاحهم اذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة في معناه
الاصطلاحي مجاز في غيره والمعتقد منهم لمعناه معتقد لمعنى صحيح واما من اعتقد ظاهره من جهلة
الصوفية الذين لا علم عندهم بل اكثرهم يدعي ان العلم حجاب ومدعي ذلك هو المحجوب
فانه يعرف فان استمر على ذلك بعد معرفته صار كافرا فنسأل الله تعالى التوفيق والعصمة ولما
كان هذا القرآن متكفلا بسعادة الدارين قال تعالى وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ اي حظكم ونصيبكم
وجميع ما تنتفعون به من هذا الكتاب وهو نفعكم كله أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ فتضعون الكذب
مكان الشكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اي لم يكونوا يصلون ولكنهم
كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة قال القرطبي وفيه بيان ان ما اصاب العباد من خير فلا ينبغي
ان يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بان تكون اسبابا بل ينبغي ان يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه
بشكر ان كان نعمة او صبر ان كان مكروها تعبدا له وتذللا وعن ابن عباس ان المراد به الاستسقاء بالانواء
وهو قول العرب مطرنا بنوء كذا رواه علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم
عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر فقال بعضهم هذه رحمة الله تعالى وقال بعضهم لقد صدق نوء
كذا قال فنزلت هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه
ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ارأيتم ان دعوت الله تعالى لكم فسقيتم لعلكم ان تقولوا هذا المطر بنوء كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا
بحين الانواء فصلى ركعتين ودعا الله تعالى فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف بقدح له وهو يقول سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله تعالى
فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر الله على رزقه اياكم انكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنوء
كذا كقول القائل جعلت احساني اليك اساءة منك الي وجعلت انعامي لديك ان اتخذتني عدوا
قال الشافعي لا احب لاحد ان يقول مطرنا بنوء كذا وان كان النوء عندنا الوقت لا يضر ولا ينفع
ولا يمطر ولا يحبس شيئا من المطر والذي احب ان يقول مطرنا وقت كذا كما يقول مطرنا شهر كذا ومن
قال مطرنا بنوء كذا وهو يريد ان النوء انزل الماء كما يقول اهل الشرك فهو كافر حلال دمه ان لم يتب
وحاصله ان اعتقد ان النوء هو الفاعل حقيقة فهو كافر والا فيكره له ذلك كراهة تنزيه وسبب
الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية
ومن سلك مسلكهم ثم بين سبحانه انه لا فاعل لشيء في الحقيقة سواه بقوله تعالى فَلَوْلَا وهي اداة
لفهم طلبا بزجر وتوبيخ وتقريع بمعنى فهلا ولم لا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ اي بلغت الروح منكم
ومن غيركم عند الاحتضار الحلقوم اضمرت من غير ذكر لدلالة الكلام عليها كما قال حاتم

وفي الحديث ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئاً فشيئاً حتى تنتهي الى الحلقوم
فيتوفاها ملك الموت والحلقوم مجرى الطعام في الحلق والحلق مساغ الطعام والشراب معروف
فكان الحلقوم مراد في الحلق الى جهة اللسان وانتم اي والحال انكم ايها العاكفون حول المحتضر
المترجون له حينئذ اي بلغت الروح ذلك الموضع تنظرون اي الى امري وسلطاني او الى الميت
ولا حيلة لكم ولا فعل بغير النظر وآخر فيقل تبصرون لئلا يظن ان لهم ادراكا بالبصر لشيء من البواطن
من حقيقة الروح ونحوها ونحن اي والحال انا نحن بما لنا من العظمة اقرب اليه اي المحتضر بعلمنا
وقدرتنا منكم على شدة قربكم منه قال عامر بن قيس ما نظرت الى شيء الا رأيت الله اقرب
الي منه ولكن لا تبصرون من البصيرة اي لا تعلمون ذلك فلولا اي فهلا ان كنتم ثلثة ارباع
ايها المكذبون بالبعث غير مدينين اي مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم او مقهورين
مملوكين مجزيين محاسبين بما عملتم في دار البلاء التي اقامكم فيها احكم الحاكمين من دانه اذا ذلله
واستعبده واصل تركيب دان للذل والانقياد قاله البيضاوي ترجعونها اي الروح الى ما كانت عليه
ان كنتم كونا ثابتا صادقين فيما زعمتم فلولا الثانية تأكيد الاولى واذ ظرف لترجعون المتعلق
به الشرطان والمعنى انكم تجحدون افعال الله تعالى وآياته في كل شيء ان انزل عليكم
كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا
يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون
الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي
المميت المبدئ المعيد ثم ذكر تعالى طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال عز من قائل فاما ان كان
المتوفى من المقربين اي السابقين الذين اجتذبهم الحق من انفسهم فقربهم منه فكانوا مرادين قبل ان يكونوا
مريدين وليس القرب قرب مكان لانه تعالى منزه عنه وانما هو بالتخلق بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية
ليصير الانسان روحا خالصا كالملائكة لا سبيل للحظوظ والشهوات عليها وقوله تعالى فروح مبتدأ خبره
مقدر قبله اي فله روح اي راحة ورحمة وما ينعشه من نسيم الريح وقال سعيد بن جبير فله فرح وقال
الضحاك مغفرة ورحمة وريحان اي رزق عظيم ونبات حسن بهيج وازاهير طيبة الرائحة وقال مقاتل
هو بلسان حمير رزق يقال خرجت اطلب ريحان الله اي رزقه وقيل هو الريحان الذي يشم قال
ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه
وقال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار وجنت اي بستان جامع للفواكه
والرياحين نعيم اي ذات تنعم ليس فيها غيره واهله مقصورة عليهم تنبيه
جنت هنا مجرورة التاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير وابو عمرو والكسائي فالكسائي
بالامالة في الوقف على اصله والباقون بالتاء على الرسم واما ان كان المتوفى من اصحاب اليمين
اي الذين هم في الدرجة الثانية من اصحاب الميمنة فسلام لك اي يا صاحب اليمين

من إخوانك أصحاب اليمين ۝ أي يسلمون عليك كقوله تعالى إلا قيلا سلاما سلاما وقال
القرطبي فسلام لك من أصحاب اليمين أي لست ترى منهم إلا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم
فإنهم يسلمون من عذاب الله تعالى وقيل المعنى سلام لك منهم أي أنت سالم من الاغتمام لهم
والمعنى واحد وقيل أصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بأن يصلي الله عليك ويسلم وقيل معناه سلمت
أيها العبد مما تكره فإنك من أصحاب اليمين فحذف إنك وقيل إنه يحيى بالسلام تكرما وعلى هذا في
محل السلام ثلاثة أقوال أحدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت قاله الضحاك
وقال ابن مسعود إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام الثاني
عند مسألته في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة
قبل وصوله إليها قال القرطبي ويحتمل أن يسلم عليه في المواطن الثلاثة ويكون ذلك إكراما بعد إكرام
ولما ذكر تعالى الصنفين الناجيين أتبعهما الهالكين جامعا لهم في صنف واحد لأن من أريدت له السعادة
يكفيه ذلك ومن قدرت له الشقاوة والعياذ بالله تعالى لا ينفعه الإغلاظ ولا الإكثار فقال تعالى وأما
إن كان المتوفى من المكذبين الذي أخذنا من أصحاب المشأمة وأنتم حوله تتقطع أكبادكم له
ولا تقدرون له على شيء أصلا الضالين أي عن الهدى وطريق الحق فنزل من حميم ۝ كما قال تعالى
ثم إنكم أيها الضالون المكذبون إلى أن قال فشاربون شرب الهيم وقال تعالى ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم
أي ما هيئ لهم في الحرارة بعد ما نالوا من العطش كما يرد أصحاب الميمنة الحوض كما يبادر به للقادم ليبرد به
غلة عطشه ويغسل به وجهه ويديه وتصلية جحيم ۝ أي ونزل من تصلية جحيم والمعنى إدخال
في النار وقيل إقامة في الجحيم ومقاساة لأنواع عذابها يقال أصلاه النار وصلاه أي جعله يصلاها والمصدر هنا
مضاف إلى المفعول كما يقال لفلان إعطاء ماله أي يعطى المال إن هذا أي الذي ذكر في هذه السورة من
أمر البعث الذي كذبوا به في قولهم أئنا لمبعوثون ومن قيام الأدلة عليه لهو حق اليقين ۝ أي حق الخبر اليقين
أي لما عليه من الأدلة القطعية المشاهدة كأنه مشاهد مباشر وقيل إنما جاز إضافة الحق إلى اليقين
وهما واحد لاختلاف لفظهما وذلك من باب إضافة المترادفين ولما حقق له تعالى هذا المقدر سبب
عن أمره لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتنزيه عما وصفوه به مما يلزم منه وصفه بالعجز فقال تعالى فسبح
أي أوقع التنزيه كله عن كل شائبة نقص بالاعتقاد والقول والفعل بالصلاة وغيرها بأن تصفه بكل ما وصف
به نفسه من الأسماء الحسنى وتنزهه عن كل ما نزه نفسه عنه باسم ربك أي المحسن إليك بما خصك به
مما لم يعطه أحدا غيرك وإذا كان هذا للاسم فكيف بما هو له العظيم ۝ الذي ملأت عظمته جميع الأقطار ع
والأكوان وزادت على ذلك بما لا يعلمه إلا هو العليم سواه لأن من له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم هذا
الكلام الأعز الأكرم لا ينبغي لشائبة نقص أن تلم بجنابه أو تدنو من فناء بابه وعن عقبة بن عامر قال
لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت
سبح اسم ربك الأعلى قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم خرجه أبو داود وعن

ابی ذر قال قال لی علیه الصلوٰة والسلام الا اخبرک باحب الکلام الی الله تعالی سبحان الله وبحمده وعن ابی هریرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم کلمتان خفیفتان علی اللسان ثقیلتان فی المیزان حبیبتان الی الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظیم هذا الحدیث اخر حدیث فی البخاری وعن جابر قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم من قال سبحان الله العظیم وبحمده غرست له نخلة فی الجنة وروی ابوطیبة عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول من قرأ سورة الواقعة کل لیلة لم تصبه فاقة ابدا ورواه البیهقی وغیره وکان ابوطیبة لایدعها ابدا واخرجه ابن الاثیر فی کتابه جامع الاصول ولم یعزه

سورة الحدید مکیة او مدنیة

وهی تسع وعشرون اٰیة وخمسمائة واربع واربعون کلمة والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا بسم الله الذی احاطت هیبته بجمیع الموجودات الرحمٰن الذی وسعهم جوده فی جمیع الحرکات والسکنات الرحیم الذی خص اهل ولایته بما یرضیه من العبادات ولما ختمت الواقعة بالامر بتنزیهه عما انکره الکفرة من البعث جاءت هذه لتقریر ذلک التنزیه فقال تعالی سبّح لله ای الملک المحیط بجمیع صفات الکمال ما فی السمٰوٰت ای الاجرام العالیة والذی فیها والارض والذی فیها ای نزهه کل شئ فاللام مزیدة وجیء بما دون من تغلیبا للاکثر وهو ای وحده العزیز الذی یغلب کل شئ ولا یغلبه شئ الحکیم ای الذی اتقن کل شئ صنعه وقرأ قالون وابوعمرو والکسائی بسکون الهاء والباقون بضمها له ای وحده ملک السمٰوٰت والارض وما فیهما وما بینهما ظاهرا وباطنا فالملک الظاهر ما هو الان موجود فی الدنیا من ارض مدحیة وسماء مبنیة وکواکب مضیئة وافلاک ورياح وسحاب مرئیة وغیر ذلک مما یحیط به علمه تعالی والملک الباطن الغائب عنا واعظمه المضاف الی الاخرة وهو الملکوت یحیی ای له صفة الاحیاء فیحیی ما شاء من الخلق بان یوجده علی صفة الحیوة کیف شاء فی اطوار یقلبها کیف شاء وبما شاء ویمیت ای له هاتان الصفتان علی سبیل الاختیار والتجدد والاستمرار فهو قادر علی البعث بدلیل ما ثبت له من صفة الاحیاء وهو علی کل شئ ای من الاحیاء والاماتة وغیرهما من کل ممکن قدیر ای بالغ القدرة هو ای وحده الاول بالازلیة قبل کل شئ فلا اول له والقدیم الذی منه وجود کل شئ ولیس وجوده من شئ لان کل ما نشاهده متأثر لانه متغیر وکل ما کان کذلک فلا بد له من موجد غیر متأثر ولا متغیر والاٰخر ای بالابدیة الذی ینتهی الیه وجود کل شئ فی سلسلة الترقی وهو بعد فناء کل شئ باق فلا اخر له لانه یستحیل علیه نعت العدم لان کل ما سواه متغیر وکل ما تغیر بنوع من التغیر جاز اعدامه وما جاز اعدامه فلا بد له من معدم یکون بعده ولا یمکن اعدامه والظاهر ای الغالب العالی علی کل شئ والباطن ای العالم بکل شئ هذا معنی قول ابن عباس وقال یمان هو الاول القدیم والاٰخر الرحیم والظاهر

الحكيم والباطن العليم وقال السدي هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك
التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذ عصيته فستر عليك
وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن
بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر
كعلمه بالباطن وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اي لكون الاشياء عنده على حد سواء والبطون والظهور انما
هو بالنسبة الى الخلق واما هو سبحانه وتعالى فلا باطن من الخلق عنده بل هم في غاية الظهور
لديه لانه الذي اوجدهم فان قيل ما معنى هذه الواوات أجيب بان الواو الاولى معناها الدلالة
على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى
فعلى انه الجامع بين الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات
الماضية والحاضرة والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك
بالحواس قال الزمخشري وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وهذا على رأيه الفاسد
وهو على رأي المعتزلة المنكرين رؤية الله تعالى في الآخرة واما اهل السنة فانهم
يثبتون الرؤية للاحاديث الدالة على ذلك من غير تشبيه ولا تكييف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وعن سهيل قال كان ابو صالح يامرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول
اللهم رب السموات والارض رب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة
والانجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل شيء انت آخذ بناصيته اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت
الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض
عنا الدين واغننا من فضلك وكان يروي ذلك عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هُوَ
اي وحده الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وجمعها لعلم العرب بتعددها وَالْأَرْضَ اي الجنس الشامل للكل
وافردها لعدم توصلهم الى العلم بتعددها وقال تعالى فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ اي من ايام الدنيا اولها الاحد و
آخرها الجمعة سنا للتأني في الامور وتقديرا للايام التي اوترها سابعها الذي خلق فيه الانسان
الذي دل يوم خلقه باسمه الجمعة على انه المقصود بالذات وبانه السابع نهاية المخلوقات وقوله تعالى
ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ اي السرير كناية عن انفراده بالتدبير واحاطة قدرته وعلمه كما يقال
في ملوكنا جلس فلان على سرير الملك بمعنى انه انفرد بالتدبير وان لم يكن هناك سرير فضلا عن جلوس
واتى باداة التراخي تنبيها على عظمته يَعْلَمُ مَا يَلِجُ اي يدخل دخولا يغيب فيه فِي الْأَرْضِ اي من النبات
وغيره من اجزاء الاموات وغيرها وان كان ذلك في غاية البعد فان الاماكن كلها بالنسبة اليه تعالى
على حد سواء في القرب والبعد وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا كذلك ✝ تنبيه ✝ في التعبير بالمضارع دلالة على التجدد
في الخافقين من القوى فصار بحيث يتجدد منهما ذلك بخلقه تجددا واستمرارا الى حين خرابهما وَمَا
يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ من الوحي والامطار والحر والبرد وغيرها من الاعيان والمنافع التي يوجدها سبحانه وتعالى

من مقابر اجساد بنى ادم وارزاقهم وغيرها من جميع شؤنهم وما يعرج اى يصعد ويرتقى ويغيب
فيها كالابخرة والانوار والكواكب والاعمال وغيرها ولم يجمع السماء لان المقصود حاصل
بالواحدة مع افهام التعبير بها الجنس الشامل للكل وهو معكم بالعلم والقدرة ايها الخلق اينما كنتم
لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال فهو عالم بجميع اموركم وقادر عليكم تعالى الله عن اتصال بالعالم
ومماسة او انفصال عنه بغيبة او مسافة والله اى المحيط بجميع صفات الكمال بما تعملون
اى على سبيل التجدد والاستمرار بصير اى عالم بجليله وحقيره فيجازيكم به وقدم الجار لمزيد
الاهتمام والتنبيه على تحقيق الاحاطة له اى وحده ملك السموات وجمع لاقتضاء المقام له
والارض وافرد لخفاء تعددها عليهم مع ارادة الجنس ودل على ارادة ملكه واحاطته بقوله
تعالى والى الله اى الملك الذى لا كفوء له وحده ترجع بكل اعتبار على غاية السهولة الامور اى
كلها حسا بالبعث ومعنى بالابتداء والافناء ودل على ذلك بقوله تعالى يولج اى يدخل ويغيب
بالنقص والمحو الليل فى النهار فاذا هو قد قصر بعد طوله وقد انمحى بعد شخوصه وحلوله وزاد النهار
وملأ الضياء الاقطار بعد ذلك الظلام ويولج النهار الذى تم الكون ضياؤه فى الليل الذى كان
قد غاب فى عمله فاذا الظلام قد طبق الافاق فيزيد الليل والطول الذى كان فى النهار قد صار
نقصا وهو اى وحده عليم اى بالغ العلم بذات الصدور اى بما فيها من الاسرار والمعتقدات
على كثرة اختلافها وتغيرها وان خفيت على اصحابها ولما قامت الادلة على توحيده سبحانه قال
تعالى امرا بالاذعان له ولرسوله صلى الله عليه وسلم آمنوا اى ايها الثقلان بالله اى الملك
الاعظم الذى لا مثل له ورسوله الذى عظمته من عظمته ونزل فى غزوة العسرة وهى غزوة تبوك
وانفقوا اى فى سبيل الله مما جعلكم مستخلفين فيه اى من الاموال التى فى ايديكم فانها اموال الله
تعالى لانها بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم بالاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف
فيها فليست هى باموالكم فى الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها فى حقوق
الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم
مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم
وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها انفسكم ولما امر تعالى بالانفاق ووصفه
بما سهله سبب عنه ما يرغب فيه فقال تعالى فالذين آمنوا منكم وانفقوا من اموالهم فى الوجوه
التى ندب اليها على وجه الاصلاح على ما دل عليه التعبير بالانفاق لهم اجر كبير اى لا تبلغ عقولكم
حقيقة تكبيره فاغتنموا الانفاق فى ايام استخلافكم قبل عزلكم وانتزاعه لكم وخصهم بالذكر بقوله
تعالى منكم لضيق فى زمانهم وقيل ان ذلك اشارة الى عثمان فانه جهز جيش العسرة وقوله
تعالى وما اى واى شئ لكم من الاعذار وغيرها فى انكم او حال كونكم لا تؤمنون
بالله اى تجددون الايمان تجديدا مستمرا بالملك الاعلى اى الذى له الملك كله والامر كله

خطاب للكفار اي لا مانع لكم بعد سماعكم ما ذكر والرسول اي والحال ان الذي له الرسالة العامة
يدعوكم في الصباح والمساء لتؤمنوا اي لاجل ان تؤمنوا بربكم الذي احسن تربيتكم
بان جعلكم من امة هذا النبي الكريم فتشرفكم به وقد اي والحال انه قد اخذ ميثاقكم
اي وقع اخذه فصار في غاية القباحة ترك التوثق بسبب نصب الادلة والتمكين من النظر بابداع
العقول وذلك كله منضم الى اخذ الذرية من ظهر آدم عليه السلام حين اشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى وقرأ ابو عمرو بضم الهمزة وكسر الخاء ورفع القاف على البناء للمفعول
ليكون المعنى من اي آخذ كان من غير نظر الى معين وقرأ الباقون بفتح الهمزة والخاء ونصب
القاف على البناء للفاعل والآخذ هو الله القادر على كل شيء العالم بكل شيء والحاصل انهم نقضوا الميثاق
في الايمان فلم يؤاخذهم حتى ارسل الرسل ان كنتم مؤمنين اي مريدين الايمان فبادروا اليه
هو اي لا غيره الذي ينزل اي على سبيل التدريج والموالاة بحسب الحاجة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي على عبده الذي هو اشرف
الناس بحضرة جماله واكرامه وهو محمد صلى الله عليه وسلم آيات اي علامات هي من ظهورها حقيقة
ان يرجع اليها ويتعبد بها بينات اي واضحات وهي آيات القرآن الكريم ليخرجكم اي الله بالقرآن
او عبده بالدعوة من الظلمات التي انتم منغمسون فيها من الحظوظ والنقائص التي
جبل عليها الانسان والغفلة الكاملة على تراكم الجهل فمن آتاه الله تعالى العلم والايمان فقد
اخرجه من هذه الظلمات التي طرأت عليه الى النور الذي كان له وصفا بالروح وفطرته الاولى
السليمة وان الله اي الذي له صفات الكمال بكم لرءوف رحيم اي حيث نبهكم بالرسل والآيات
ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وقرأ ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بقصر الهمزة
والباقون بالمد وورش على اصله بالمد والتوسط والقصر وليس قصره كقصر ابي عمرو ومن معه
وانما قصره كمد قالون ومن وافقه وما اي واي شيء يحصل لكم في ان لا تنفقوا اي توجدوا الانفاق
للمال في سبيل الله اي في كل ما يرضي الملك الاعظم الذي له صفات الكمال ليكون لكم به وصلة
فيخصكم بالرأفة التي هي اعظم الرحمة فانه ما بخل احد من وجه خير الا سلط الله عليه غرامة في وجه
شر ولله اي الذي له صفات الكمال لا سيما صفة الارث المقتضية للزهد في الموروث ميراث
السموات والارض اي يرث كل شيء فيهما فلا يبقى لاحد مال فمن تأمل انه زائل هو وكل ما في يده
والموت من ورائه وطوارق الحوادث مطيفة به وعما قليل ينتقل ما في يده الى غيره هان عليه
الجود بنفسه وماله ثم بين تعالى التفاوت بين المنفقين منهم فقال تعالى لا يستوي منكم من انفق اي
اوجد الانفاق في ماله وجميع قواه وما يقدر عليه من قبل الفتح اي الذي هو فتح جميع الدنيا في الحقيقة
وهو فتح مكة الذي كان سببا لظهور الدين الحق وقاتل تسبيبا في انفاق نفسه لمن امر به قبل الاسلام
وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد

الفتح فحذف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه وفضل الاول لما ناله اذ ذاك بالانفاق من كثرة المشاق
لضيق المال حينئذ وفي هذا دليل على فضل ابي بكر فانه اول من انفق لم يسبقه في ذلك احد وخاصم
الكفار حتى ضرب ضربا اشد بها اشرف منه على الهلاك روى محمد بن فضيل عن الكلبي ان هذه
الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعنده ابو بكر الصديق عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل
عليه السلام فقال ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح
قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط
فقال ابو بكر اسخط على ربي اني عن ربي راض اولئك اي المنفقون المقاتلون وهم السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه لمبادرتهم الى الجود بالنفس والمال اعظم درجة وتعظيم الدرجة يكون
لعظم صاحبها من الذين انفقوا من بعد اي من بعد الفتح وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا اي وكل
واحد من الفريقين وعد الله اي الذي له الجلال والاكرام الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت
الدرجات وقرأ ابن عامر برفع اللام على الابتداء اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والباقون
بنصبها اي وعد كلا والله اي الذي له الاحاطة الكاملة بجميع صفات الكمال بما تعملون اي
تجددون عمله على الاوقات خبير اي عالم بباطنه وظاهره علما لا مزيد عليه بوجه فيجعل جزاء الاعمال
على قدر النيات التي هي ارواح صورها ❊ تنبيه ❊ التقدم والتاخر قد يكون في احكام الدين وقد يكون
في احكام الدنيا فاما التقدم في احكام الدين فقالت عائشة امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل
الناس منازلهم واعظم المنازل مرتبة الصلوة وقد قال صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل
بالناس وقال يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله وقال فليؤمكما اكبركما واما احكام الدنيا فهي مرتبة على احكام
الدين فمن تقدم في الدين قدم في الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا وفي الحديث
ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه ثم رغب في الانفاق بقوله تعالى من
واكد بالاشارة بقوله تعالى ذا لاجل ما للنفوس من الشح الذي يقرض الله اي يعطي الذي له جميع صفات
الجلال والاكرام شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى المستحق ماله لوجه الله تعالى فكانه
اقرضه اياه قرضا حسنا اي طيبا خالصا مخلصا فيه متحريا به افضل الوجوه من غير من وكدر بتسويف
وغيره فيضعفه له اي يؤتي اجره من عشرة الى اكثر من سبعمائة كما ذكره في البقرة الى ما شاء
الله تعالى من الاضعاف وقيل القرض الحسن ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر وقال زيد بن اسلم هو النفقة على الاهل وقال الحسن التطوع بالعبادات وقرأ ابن عامر
وعاصم بنصب الفاء بعد العين والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر بغير الف
بعد الضاد وتشديد العين والباقون بالالف بعد الضاد وتخفيف العين وله اي للقرض زيادة

على ذلك اجر لا يعلم قدره الا الله تعالى وهو معنى وصفه بقوله تعالى كريم اى حسن طيب زاك نام وقوله تعالى يوم ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر اى واذكر يوم ترى اى بالعين المؤمنين والمؤمنات اى الذين صار الايمان لهم صفة راسخة يسعى نورهم اى ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى معهم ذلك النور جنبا لهم ومتقدما والاول نور الايمان والمعرفة والاعمال المقبولة والثانى نور الانفاق لانه بالايمان نبه عليه الرازى وقال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضئ نوره من المدينة الى عدن ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضئ نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد اخرى ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشريكم اليوم اى بشارتكم العظيمة فى جميع ما يستقبلكم من الزمان + تنبيه بشراكم اليوم مبتدأ واليوم ظرف وقوله تعالى جنات خبره على حذف مضاف اى دخول جنات وهو المبشر به ثم وصفها بما لا تكمل اللذة الا به بقوله تجرى من تحتها الانهار ثم امنهم من خوف الانقطاع بقوله تعالى خالدين فيها اى نحاورها لا اخوله لان الله تعالى اورثهم ذلك فلا يورث عنه لان الجنة لا موت فيها ذلك اى هذا الامر العظيم المتقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة هو الفوز العظيم اى الذى ملأ بعظمته جميع جهاتهم ولما شرح تعالى حال المؤمنين فى موقف القيامة اتبع ذلك بشرح حال المنافقين بقوله يوم يقول المنافقون والمنافقات وهم المظهرون الايمان المبطنون الكفر + تنبيه + يوم بدل من يوم ترى او منصوب باذكر للذين آمنوا اى ظاهرا وباطنا انظرونا اى انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركائب تزف بهم وهؤلاء مشاة او نظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرأ حمزة بقطع الهمزة فى الوصل وكسر الظاء والباقون بوصل الهمزة ورفع الظاء واما الوقف على آمنوا والابتداء بانظرونا فحمزة على حاله كما قرأ فى الوصل والباقون بضم همزة الوصل فى الابتداء والظاء على حالها من الضم نقتبس اى نستضئ من نوركم اى هذا الذى نراه لكم ولا يلحقنا منه شئ كما كنا فى الدنيا نرى ايمانكم بما نرى من ظواهركم ولا نتعلق من ذلك بشئ جزاء وفاقا وذلك لان الله تعالى يعطى للمؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو خادعهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه الآية مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين والقبس الشعلة من النار او السراج قال ابن عباس

وابو امامة يغشى الناس يوم القيامة ظلمة قال الماوردي اظنها بعد فصل القضاء ثم يعطون نورا يمشون فيه وقال الكلبي بل يستضئ المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل لهم جوابا لسؤالهم قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون اي قول رد وتوبيخ وتهكم وتنديم ارجعوا وراءكم اي ارجعوا الى الموقف حيث اعطينا النور فالتمسوا نورا هناك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين وتنحوا عنا والتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم وقال قتادة تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها ولما كان التقدير فرجعوا وقاموا في الظلمة سبب عنه وعقب قوله تعالى فضرب بينهم اي بين المؤمنين والمنافقين بسور اي حائط حائل بين شق الجنة وشق النار له اي لذلك السور باب موكل به حجاب لا يفتحون الا لمن اذن له الله تعالى من المؤمنين لما يعطيهم اليه من نورهم الذي بين ايديهم بشفاعة او نحوها باطنه اي ذلك السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة من جهة الذين امنوا اجزاء لايمانهم الذي هو غيب فيه الرحمة وهي ما لهم من الكرامة لانه يلي الجنة التي هي ساترة لمن فيها باشجارها وباستارها كما كانت بواطنهم ملانة رحمة وظاهره اي ما ظهر لاهل النار من قبله اي من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار لانه يليها لاقتصار اهلها على الظواهر من غير ان يكون لهم نفوذ الى باطن روي عن عبد الله بن عمرو ان السور الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الاية وقيل السور عبارة عن منع المنافقين عن طلب المؤمنين ينادونهم اي ينادي المنافقون الذين امنوا ويترفقون لهم الم نكن معكم اي في الدنيا نصلي ونصوم فيستحق المشاركة فيما صرتم اليه بسبب ذلك الذي كنا معكم فيه قالوا اي الذين امنوا بلى اي كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة وتربصتم اي بالايمان والتوبة وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وارتبتم اي شككتم في الدين وفي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفيما وعدكم به وغرتكم الاماني اي ما تتمنون من الارادات التي معها شهوة عظيمة من الاطماع الفارغة التي لا سبب لها غير شهوة النفس اياها بما كنتم تتوقعون لنا من دوائر السوء حتى جاء امر الله اي قضاء الملك المتصف بجميع صفات الكمال فلا كفؤ له ولا خلف وقرأ قالون وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية وايضا لهما ابدالها والباقون بتحقيقهما واما الالف بعد الميم حمزة وابن ذكوان والباقون

بالفتح واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الثانية مع المد والتوسط والقصر وغركم بالله
اى الملك الذى له جميع العظمة الغرور اى من لا صنعة له الا الكذب وهو الشيطان فانه
يزين لكم بغروره التسويف ويقول ان الله غفور رحيم وعفو كريم وما ذا عسى ان تكون
ذنوبكم عنده وهو عظيم ومحسن وحليم ونحو ذلك فلا يزال حتى يوقع الانسان فاذا اوقعه
واصل عليه مثل ذلك حتى يتمادى فاذا تمادى صار الباعث له حينئذ من قبل نفسه فصار طوع
يده فاليوم اى بسبب اعمالكم تلك لا يؤخذ منكم فدية اى نوع من انواع الفداء وهو البدل والعوض
للنفس على اى حال كان من قلة او كثرة لان الاله غنى وقد فات محل العمل الذى شرعه لكم
لانقياد انفسكم وقرأ ابن عامر بالتاء الفوقية على التأنيث والباقون بالتحتية على التذكير
ولا من الذين كفروا اى الذين اظهروا كفرهم ولم يستروه كما سترتموه انتم لبسا واستكم
لهم فى الكفر وانما عطف الكافر على المنافق وان كان المنافق كافرا فى الحقيقة لان للنافق ابطن
الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق مأواكم النار اى منزلكم ومسكنكم
لا مقر لكم غيرها تحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب الاولياء باقبالكم على الشهوات واضاعة حقوق ذوى
الحاجات وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون
بالفتح وورش لا يبدل هذه الهمزة ثم اكد ذلك بقوله تعالى هى اى لا غيرها مولاكم اى هى
اولى بكم وانشد قول لبيد: فغدت كلا الفرجين تحسب انه ٭ مولى المخافة خلفها وامامها
والشاهد فى مولى المخافة فمولى بمعنى اولى والفرجان الجانبان وهو الخلف والقدام وهو وصف
بقرة وحشية اى عدت على حالة كلا جانبيها مخوف ومتقيته فالاية هى مولاكم [illegible] اى
مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز ان
يراد هى ناصركم اى لا ناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على البتات وقيل تتولاكم كما توليتم فى الدنيا
اعمال اهل النار ولما كان التقدير بئس المولى هى عطف عليه قوله تعالى وبئس المصير اى هذه
النار واختلف فى سبب نزول قوله تعالى الم يأن اى يحن ويدرك وينتهى الى الغاية للذين
آمنوا اى اقروا بالايمان ان تخشع اى تلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمئن قلوبهم لذكر الله
اى الملك الاعظم الذى لا خير الا منه فيصدق فى ايمانه من كان كاذبا ويقوى فى الدين من كان ضعيفا
فيعرض عن الفانى ويقبل على الباقى ولا يطلب لداء دينه دواء ولا لمرض قلبه شفاء فى غير القرآن فقال
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة
من نزول القرآن وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع
سنين وعن الحسن اما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن اقل مما تقرؤن فانظروا فى طول ما قرأتم
منه وما ظهر فيكم من الفسق وقيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما
كانوا عليه فنزلت وعن ابى بكر رضى الله عنه ان هذه الاية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة

فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم وقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقال الشاعر شعر الم يان لى يا قلب
ان تترك الجهل ۞ وان يحدث الشيب المنير لنا عقله ۞ وقوله تعالى وما نزل من الحق اى القرآن عطف
على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر لان القرآن جامع للامرين للذكر والموعظة او انه حق نازل
من السموات ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله تعالى وقرأ نافع وحفص بتخفيف الزاى والباقون
بالتشديد وقوله تعالى ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل اى قبل ما نزل اليكم وهم اليهود والنصارى
معطوف على تخشع والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله تعالى فطال عليهم
الامد اى الاجل لطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست اى بسبب الطول قلوبهم
اى صلبت واعوجت بحيث لا تنفعل بالطاعات والخير فكانوا كل حين فى تعنت جديد على انبيائهم
عليهم السلام يسألونهم المقترحات واما بعد انبيائهم فابعد وابعد فى القساوة فمالوا الى هواها
الكدر واعرضوا عن نور الصفا فانجروا الى الهلاك باتباع الشهوات قال القشيرى وقسوة القلب
انما تحصل باتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة لا تجتمعان وعن ابى موسى الاشعرى انه بعث
الى قراء البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم
فاقرؤه ولا تطاولوا عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وكثير منهم
اخرجته شقاوته عن الدين اصلا ورأسا فهم فاسقون اى عريقون فى صفة الاقدام على
الخروج من دائرة الحق التى حدها لهم الكتاب حتى تركوا الايمان بعيسى ومحمد عليهما
الصلوة والسلام وقوله تعالى اعلموا ان الله اى الملك الاعظم الذى له الكمال كله فلا يعجزه
شئ يحيى اى على سبيل التجديد والاستمرار كما تشاهدونه الارض اى بالنبات بعد موتها
اى يبسها تمثيل لاحياء الاموات بجمع اجسادهم وافاضة الارواح عليها كما فعل بالنبات وكما
فعل بالاجسام اول مرة ولاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة فاحذروا سطوته وانتشروا فضله
وارجوا رحمته لاحياء القلوب فانه قادر على احيائها بروح الوحى كما احيا الارض بروح الماء للتيسير
باحيائها بالذكر خاشعة بعد قسوتها كما صارت الارض رابية بعد خشوعها وموتها ولما انكشف
الامر بهذه غاية الانكشاف انتج قوله تعالى قد بينا اى على ما لنا من العظمة لكم الآيات
اى العلامات النيرات لعلكم تعقلون اى لتكونوا عند من يعلم ذلك ويسمعه من الخلائق
على رجاء من حصول العقل لكم بما يتجدد لكم من فهمه على سبيل التواصل الدائم بالاستمرار وقرأ
ان المصدقين اى الفريقين فى هذا الوصف من الرجال والمصدقات اى من النساء ابن كثير و
شعبة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق بالايمان والباقون بالتشديد فيهما من التصدق
ادغمت التاء فى الصاد اى الذين تصدقوا وقوله تعالى واقرضوا الله اى الذى له الكمال كله عطف
على معنى الفعل فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين
اصدقوا واقرضوا الله قرضا حسنا اى بغاية ما يكون من طيب النفس واخلاص النية والنفقة

في سبيل الخير وحسنه كما قاله الرازي ان يصرف بصره عن النظر الى فعله والنفقة والامتنان به وطلب
العوض عليه فيضعفه اى ذلك القرض لهم من عشرة الى سبعمائة كما مر لان الذى كان له العوض
كريم وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين ولا الف بينها وبين الضاد والباقون بتخفيف العين
وبينها وبين الضاد الف وله اى مع المضاعفة اجر كريم اى ثواب حسن وهو الجنة والنظر الى وجهه
الكريم ثم بين سبحانه وتعالى الحامل على الصدقة ترغيبا فيه وهو الايمان فقال تعالى والذين آمنوا
اى اوجدوا هذه الحقيقة العظيمة فى انفسهم بالله اى الملك الاعلى الذى له الجلال والاكرام ورسله
اى كلهم لاجل ما لهم من النسبة اليه فمن كذب واحدا منهم لم يكن مؤمنا بالله تعالى اولئك
اى هؤلاء العالو الرتبة هم الصديقون اى الذين هم فى غاية الصدق والتصديق لما يحق له
ان يصدقه من سمعه وقال القشيرى الصديق من استوى ظاهره وباطنه ويقال هو الذى يحمل
الامر على الاشق ولا ينزل الى الرخص ولا يجنح للتاويلات وقال مجاهد كل من آمن بالله تعالى ورسله
عليهم السلام فهو صديق وتلا هذه الاية وقال الضحاك الاية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الامة
سبقوا اهل الارض فى زمانهم الى الاسلام ابو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضى الله عنهم الحقه الله تعالى بهم لما عرف من صدق نيته صلى الله
عليه وسلم وعلى آله واختلف فى نظم قوله تعالى والشهداء عند ربهم اى المحسن اليهم بالتربية لنيل تلك
الرتبة العالية فمنهم من قال هى متصلة بما قبلها والواو للنسق واراد بالشهداء المؤمنين المخلصين وقال
الضحاك هم التسعة الذين سميناهم رضى الله عنهم وقال مجاهد كل مؤمن صديق وشهيد وتلا هذه
الاية وقال قوم تم الكلام عند قوله تعالى هم الصديقون ثم ابتدأ بقوله تعالى والشهداء فهو مبتدأ وخبره
لهم اجرهم اى جعله ربهم لهم ونورهم اى الذى زادهم من فضله برحمته قالوا والواو للاستئناف
وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما ومسروق وجماعة ثم اختلفوا فيهم فمنهم من قال هم الانبياء عليهم
الصلاة والسلام الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو قول
مقاتل بن حيان وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا فى سبيل الله عز وجل ولما ذكر تعالى
اهل السعادة جعلنا الله تعالى ووالدينا ومحبينا منهم بما صالحا فيهم اتبعهم اهل الشقاوة لذلك
بقوله تعالى والذين كفروا اى ستروا ما دلت عليه الادلة وكذبوا بآياتنا اى على ما لها من العظمة بنسبتها
الينا اولئك اى هؤلاء البعداء من كل خير اصحاب الجحيم اى النار التى هى غاية فى توقدها وفى ذلك
دليل على ان الخلود فى النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة
تدل على الملازمة عرفا واما غيرهم من العصاة فدخولهم فيها ليس على وجه الصحبة الدالة على الملازمة
ولما ذكر تعالى حال الفريقين فى الآخرة حقر امر الدنيا بقوله تعالى اعلموا اى ايها العباد المبتلون بحب الدنيا
انما الحيوة الدنيا اى الحاضرة التى رغب فى الزهد فيها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن وما مزيدة
للتاكيد اى الحيوة فى هذه الدار لعب اى تعب لا ثمرة له فهو باطل كلعب الصبيان ولهو اى ٢٠

شئ يفرح به الانسان فيلهيه اى يشغله عما يعنيه ثم ينقضي كلهو الفتيان ثم اتبع ذلك اعظم ما يلهي فى الدنيا بقوله تعالى وَزِينَةٌ اى شئ يبهج العين ويسر النفس كزينة النسوان واتبعها ثمرتها بقوله تعالى وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ اى كتفاخر الاقران يفخر بعضهم على بعض فيجر ذلك الى الحسد والبغضاء واتبع ذلك بما يحصل به الفخر بقوله تعالى وَتَكَاثُرٌ اى من الجانبين كتكاثر الدهاقين فى الاموال اى التى لا يفتخر بها الا احمق لكونها مائلة وَالْاَوْلَادِ اى التى لا يفتخر بها الا سفيه لانها زائلة وآفاتها هائلة وانما هى فتنة وابتلاء يظهر بها الشاكر من غيره ثم ذلك كله قد يكون ذهابه عن قريب فيكون على اضداد ما كان عليه فيكون اشد فى الحسرة ثم فى آخر ذلك يموت فاذا هو قد اضمحل امره ونسى عما قليل ذكره وصار ماله لغيره وزينته متمتعا بها سواه فالدنيا حقيرة واحقر منها طالبها لانها جيفة وطالب الجيفة ليس له خطر واخسهم من بخل بها وقال على لعمار لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشياء مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الماء ويستوى فيه جميع الحيوان وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وافضل مشمومها المسك وهو دم فارة وافضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال واما المنكوح فهو النساء وهو مبال فى مبال والله ان المرأة لتزين احسنها فيراد منها اقبحها اه ويناسب بعض ذلك قول الشاعر

خير لباسها نسجات دود + وخير شرابها قئ الذباب + واشهى ما ينال المرء فيها + مبال فى مبال مستطاب

+ قال القشيرى وهذه الدنيا المذمومة هى ما يشغل العبد عن الآخرة فكل ما يشغله عن الآخرة فهو الدنيا اه اى واما الطاعات وما يعين عليها فمن امور الآخرة + ثم ضرب الله الدنيا مثلا بقوله تعالى كَمَثَلِ اى هذا الذى ذكرته من امرها يشبه مثل غَيْثٍ اى مطر حصل بعد جدب وسوء حال اَعْجَبَ الْكُفَّارَ اى الزراع الذين حصل منهم الحرث والبذر الذى يستره الحارث كما يستر الكافر حقيقة انوار الايمان بما يحصل منه من الجحد والطغيان نَبَاتُهُ اى نبات ذلك الغيث كما يعجب الكافر فى الغالب بسط الدنيا له استدراجا من الله تعالى ثُمَّ يَهِيجُ اى ييبس فيستوى جفافه فيتبين حصاده فَتَرٰىهُ اى عقب كل ذلك وبالقرب منه مُصْفَرًّا اى على حالة لا نمو بعدها ثُمَّ اى بعد تناهى الجفاف يَكُوْنُ اى كونا كانه مطبوع عليه حُطَامًا اى فتاتا يضمحل بالرياح + ولما ذكر تعالى الظل الزائل ذكر اثره الثابت الدائم مقسما له الى قسمين فقال تعالى وَفِى الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ اى على من آثر الدنيا واخذها بغير حقها معرضا عن ذكر الله تعالى وعن الآخرة هذا احد القسمين واما القسم الآخر فهو ما ذكره بقوله تعالى وَمَغْفِرَةٌ اى ولمن اقبل على الآخرة ورفض الدنيا ولم تشغله عن ذكر الله تعالى مغفرة مِنَ اللّٰهِ اى الملك الاعظم وَرِضْوَانٌ اى فى جنة عالية تنفصل منه تعالى ورحمة + وقوله تعالى جل وعلا وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا اى لكونها تشغل بزينتها مع انها زائلة اِلَّا مَتَاعُ الْغُرُوْرِ اى هو فى نفسه غرور لا حقيقة له

الا ذلك لانه لا يسر بقي وما يضره تاكيد لما سبق قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا الهتك
عن طلب الآخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة ثم
ارشدهم الله تعالى الى المسابقة الى الخيرات لان الدنيا خيال ومحال والآخرة بقاء وكمال بقوله تعالى
سابقوا اى سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار الى مغفرة اى ستر لذنوبكم عينا واثرا من ربكم
اى المحسن اليكم بانواع الخيرات التي توجب المغفرة لكم من ربكم وقال الكلبي سارعوا بالتوبة
لانها تؤدي الى المغفرة وقال مكحول هي التكبيرة الاولى مع الامام وقيل الصف الاول وجنة اى بستان
هو من عظيم اشجاره واطراد انهاره بحيث يستر داخله عرضها كعرض السماء والارض اى السموات
السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقال مقاتل
ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها الى بعض لكانت عرض
جنة واحدة من الجنان وسأل عمر ناس من اليهود اذا كانت الجنة عرضها ذلك فاين النار فقال
لهم ارايتم اذا جاء الليل اين يكون النهار واذا جاء النهار اين يكون الليل فقالوا انه لمثلها
في التوراة ومعناه انه حيث شاء الله وهذا عرضها ولا شك ان الطول ازيد من العرض
فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع
في نفوسهم وافكارهم واكثر ما يقع في انفسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بما تعرفه
الناس اعدت اى هيئت هذه الجنة الموعود بها وفرغ من امرها بايسر امر للذين آمنوا اى اوقعوا
هذه الحقيقة بالله اى الذي له جميع العظمة لاجل ذاته مخلصين له الايمان ورسله فلم يفرقوا بين
احد منهم وفي هذا اعظم رجاء واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع
الايمان شيئا آخر يدل عليه قوله تعالى في سياق الآية ذلك اى الفضل العظيم جدا فضل الله اى
الملك الذي لا كفؤ له فلا اعتراض عليه يؤتيه من يشاء فبين انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل الله
لا بعمله لما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احدا منكم
عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل رحمته ولا ينافي ذلك قوله
تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لان الباء في الحديث عوضية وفي الآية سببية فان قيل يلزم على هذا
ان يقطع بحصول الجنة لجميع العصاة وان يقطع بانه لا عقاب عليهم اجيب بانا نقطع بحصول الجنة
ولا نقطع بنفي العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا مدة ثم نقلوا الى الجنة بقوا فيها ابد الآباد فكانت معدة لهم
والله اى والحال ان الملك المختص بجميع صفات الكمال فله الامر كله ذو الفضل العظيم اى الذي
جل ان يحيط بوصفه العقول ما اصاب من مصيبة في الارض اى من قحط المطر وقلة النبات
ونقص الثمرات وغلاء الاسعار وتتابع الجوائح وغير ذلك ولا في انفسكم اى من الامراض والفقر وذهاب
الاولاد وضيق العيش وغير ذلك الا في كتاب اى مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله تعالى

من قبل ان نبرأها اى نخلق ونوجد ونقدر المصيبة فى الارض والانفس وهذا دليل على ان اكتساب
العباد بخلقه سبحانه وتعالى وتقديره ان ذلك اى الامر الجليل وهو علمه بالشئ وكتبه له على
تفاصيله قبل خلقه على الله اى لماله من الاحاطة بصفات الكمال يسير لان علمه محيط بكل شئ وقدرته
شاملة لا يعجزه فيها شئ ثم بين ثمرة اعلامه بذلك بقوله تعالى لكيلا اى اعلمناكم بانا على ما لنا من
العظمة قد فرغنا من التقدير فلا يتصور فيه تقديم ولا تاخير ولا تبديل ولا تغيير ولا الحزن يدفعه
ولا السرور يجليه ويجمعه كما قال صلى الله عليه وسلم يا معاذ ليقل همك ما قدر يكن لاجل ان لا
تأسوا اى تحزنوا حزنا كبيرا زائدا على ما فى اصل الجبلة فربما جر ذلك الى السخط وعدم الرضا بالقضاء
على ما فاتكم اى من المحبوبات الدنيوية ولا تفرحوا اى تبطروا وتسروا سرورا يوصلكم الى البطر بالتمادى على ما فى
اصل الجبلة وقوله تعالى بما اتاكم قرأه ابو عمرو بقصر الهمزة اى جاءكم منه والباقون بالمد اى
اعطاكم قال جعفر الصادق رضى الله عنه مالك تاسف على مفقود ولا يرده عليك الفوت
ومالك تفرح بموجود ولا يتركه فى يدك الموت اه ولقد عزى الله تعالى المؤمنين رحمة بهم
فى مصائبهم وزهدهم فى رغائبهم بان اسفهم على فوت المطلوب لا يعيده وفرحهم بحصول
المحبوب لا يبقيه وبان ذلك لا مطمع فى بقائه الا بادخاره عند الله تعالى وذلك بان يقول فى المصيبة
قدر الله تعالى وما شاء فعل ويصبر وفى النعمة هكذا قضى وما ادرى ماله هذا من فضل ربى ليبلونى
أأشكر ام اكفر فلا يزال خائفا عند النعمة قائلا فى الحالين ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن
والكمل من هذا ان يكون مسرورا بالمذكور به فى كلتا الحالتين وقيمة الرجال انما تعرف بالواردات المغيرة
فمن لم يتغير بالمضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته كما اشار اليه القشيرى وقال ابن عباس رضى الله
عنهما ليس من احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا والحزن
والفرح المنهى عنهما هما اللذان تتعدى فيهما الى ما لا يجوز والله اى الذى له صفات الكمال لا يحب
اى لا يفعل فعل المحب بان يكرم كل مختال اى متكبر نظرا الى ما فى يده من الدنيا فخور اى به على
الناس قال القشيرى الاختيال من بقايا النفس ورؤيتها والفخر من رؤية خطر ما به يفتخر وقوله
تعالى الذين يبخلون بدل من كل مختال فخور فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمرون الناس
اى كل من يعرفونه بالبخل ارادة ان يكونوا لهم رفقاء يعملون باعمالهم الخبيثة او مبتدأ خبره
محذوف مدلول عليه بقوله تعالى ومن يتول اى يكلف نفسه الاعراض ضد ما فى فطرته من محبة
الخير والاقبال على الله تعالى فان الله الذى له جميع صفات الكمال هو اى وحده الغنى الحميد
لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى اى عن ماله وعن انفاقه وكل شئ مفتقر اليه
وهو مستحق الحمد سواء احمده الحامدون ام لا لقد ارسلنا اى بما لنا من العظمة رسلنا اى الذين
لهم نهاية الجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة الى الانبياء على جميعهم افضل الصلوة والسلام ومن
الانبياء الى الامم بالبينات اى الحجج القواطع وانزلنا اى بعظمتنا التى لا شئ اعلى منها معهم الكتب

اى الكتب المتضمنة للاحكام وشرائع الدين والميزان اى العدل وقيل الالة روى ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به ليقوم الناس بالقسط اى ليتعاملوا بينهم بالعدل وانزلنا اى خلقنا خلقا عظيما بما لنا من القوة الحديد اى المعروف على وجه من القوة والصلابة واللين فلذلك سمى ايجاده انزالا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال نزل ادم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد وروى من الة الحدادين السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وحكاه القشيرى قال والميقعة ما يحدد به يقال وقعت الحديدة اقعها اى حددتها وفى الصحاح الميقعة الموضع الذى يالفه البازى فيقع عليه وخشبة القصار التى يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وروى ومعه المبرد والمسحاة وعن عمران النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال انزل ثلاثة اشياء مع ادم عليه السلام الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من اس طولها عشرة اذرع مع طول موسى وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه فيه باس اى قوة وشدة شديد اى قوة شديدة فمنه جنة وهى الة الدفع ومنه سلاح وهو الة الضرب ومنافع للناس بما يعمل منه من مرافقهم لتقوم احوالهم بذلك قال البيضاوى ما من صنعة الا والحديد التها وقال مجاهد يعنى جنة وقيل انتفاع الناس بالماعون الحديد كالسكين والفاس ونحو ذلك وروى ان الحديد انزل فى يوم الثلاثاء فيه باس شديد اى مهراق الدماء ولذلك نهى عن الفصد والحجامة فى يوم الثلاثاء لانه يوم جرى فيه الدم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان فى يوم الثلاثاء ساعة لا يراق فيها الدم وقوله تعالى وليعلم الله اى الذى له جميع العظمة علم شهادة لاجل اقامة الحجة بما يليق بعقول الخلق فيكون الجزاء على العمل لا على العلم عطف على قوله تعالى ليقوم الناس اى لقد ارسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم الله من ينصره اى ينصر دينه بالات الحروب من الحديد وغيره وقوله تعالى ورسله عطف على مفعول ينصره اى وينصر رسله وقوله تعالى بالغيب حال من هاء ينصره اى غائبا عنهم فى الدنيا قال ابن عباس رضى الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه ان الله اى الذى له العظمة كلها قوى اى فهو قادر على اهلاك جميع اعدائه وتاييد من ينصره من اوليائه عزيز فهو غير مفتقر الى نصرة احد وانما دعا عباده الى نصرة دينه ليقيم الحجة عليهم فيرحم من اراد بامتثال المامور ويعذب من يشاء بارتكاب المنهى ليبنى هذه الدار على حكمة ربط المسببات بالاسباب ولما اجمل الرسل فى قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا فصل هنا ما اجمل من ارسال الرسل بالكتب فقال تعالى ولقد ارسلنا اى بما لنا من العظمة نوحا وهو الاب الثانى وجعلنا الاغلب على رسالته مظاهر الجلال وابراهيم وهو ابو العرب والروم وبنى اسرائيل الذى اكثر الانبياء من نسله وجعلنا الاغلب على رسالته تجلى الاكرام وجعلنا اى بما لنا من العظمة فى ذريتهما النبوة

فقد یوجد نبی الا من نسلهما وَ الکتٰب ای الکتب الاربعة وهی التورٰة والانجیل والزبور والفرقان وعن ابن عباس رضی الله عنهما الکتاب الخط بالقلم یقال کتب کتابا وکتابة والضمیر فی قوله تعالیٰ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ یعود علی الذریة لتقدم ذکرها لفظا وقیل یعود علی المرسل الیهم لدلالة ارسلنا ای هو بعین الرضا منا وهو من لزم طریقة الاصفیاء وان کان من اولاد الاعداء وَکَثِیْرٌ مِّنْهُمْ ای المذکورین فٰسِقُوْنَ ای هم بعین السخط وان کانوا من اولاد الاصفیاء والمراد بالفاسق ههنا الکافر لانه جعل الفساق ضد المهتدین وقیل هو الذی ارتکب الکبیرة سواء اکان کافرا ام لم یکن لاطلاق هذا الاسم وهو یشمل الکافر وغیره ثُمَّ قَفَّیْنَا ای اتبعنا بما لنا من العظمة عَلٰۤی اٰثَارِهِمْ ای الابوین المذکورین ومن مضی قبلهما من الرسل او عاصرهما منهم بِرُسُلِنَا ای فارسلنا هم واحدا فی اثر واحد کموسیٰ والیاس وداود وغیرهم ولا یعود الضمیر علی الذریة لانها باقیة مع الرسل وبعدهم وایضا الرسل المقفی بهم من الذریة وَ قَفَّیْنَا ای اتبعنا بما لنا من العظمة علی اثارهم قبل ان تندرس بِعِیْسَی ابْنِ مَرْیَمَ وهو من ذریة ابراهیم من جهة امه وهو اخر من جاء قبل النبی الخاتم علیه الصلوٰة والسلام فامته اولی الامم باتباعه صلی الله علیه وسلم وَاٰتَیْنٰهُ ای بما لنا من العظمة الْاِنْجِیْلَ کتابا ضابطا لما جاء به مقیما لملته مبشرا بالنبی العربیّ موضحا لا مکثرا من ذکره وَجَعَلْنَا ای بما لنا من العظمة فِیْ قُلُوْبِ الَّذِیْنَ اتَّبَعُوْهُ ای علی دینه بغایة جهدهم فکانوا اعلی منها جه رَاْفَةً ای اشد رقة علی من کان ینسب الی الاتصال بهم وَّرَحْمَةً ای رقة وعطفا علی من لم یکن له سبب فی الاتصال بهم کما کان الصحابة رضی الله تعالی عنهم اجمعین رحماء بینهم حتی کانوا اذلة علی المؤمنین مع ان قلوبهم فی غایة الصلابة فهم اعزة علی الکافرین متوادین بعضهم لبعض وقوله تعالیٰ وَرَهْبَانِیَّةَ منصوب بفعل مقدر یفسره الظاهر وهو قوله تعالیٰ ابْتَدَعُوْهَا قال ابو علی ابتدعوا رهبانیة ابتدعوها فتکون المسئلة من باب الاشتغال والی هذا نحا الفارسی والزمخشری وابو البقاء وجماعة الا ان هذا یقال انه اعراب المعتزلة وذلک انهم یقولون ما کان من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرحمة والرافة لما کانتا من فعل الله تعالی نسب خلقهما الیه والرهبانیة لما لم تکن من فعل الله تعالی بل من فعل العبد یستقل بفعلها نسب ابتداعها الیه وقیل ان رهبانیة معطوفة علی رافة ورحمة وجعل اما بمعنی خلق او بمعنی صیر وابتدعوها علی هذا صفة الرهبانیة وانما خصت بذکر الابتداع لان الرافة والرحمة فی القلب امر غریزی لا تکلف للانسان فیهما بخلاف الرهبانیة فانها افعال البدن وللانسان فیها تکسب لکن ابو البقاء منع هذا بان ما جعله الله تعالی لیبتدعونه وجوابه ما تقدم من انه لما کانت مکتسبة صح ذلک فیها والمراد من الرهبانیة ترهبهم فی الجبال فارین من الفتنة فی الدین متحملین کلفا زائدة علی العبادات التی کانت واجبة علیهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النساء والتعبد فی الکهوف والغیران روی ان ابن عباس رضی الله عنهما قال فی ایام الفترة بین عیسیٰ و محمد صلی الله علیه وسلم غیر الملوک التورٰة والانجیل فساح نفر وبقی نفر قلیل فترهبوا وتبتلوا قال الضحاک

ان ملوكا بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلاثمائة سنة فانكرها عليهم من كان بقي على
منهاج عيسى فقتلوهم فقال قوم بقوا بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا
الناس واتخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع
وفي خبر مرفوع هي لحوقهم بالبراري والجبال وقوله تعالى مَا كَتَبْنَاهَا صفة لرهبانية ويجوز ان
يكون استئناف اخبار بذلك قال ابن زيد معناه ما فرضناها عليهم ولا امرناهم بها في كتابهم ولا على
لسان رسولهم وقوله تعالى إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ اي الملك الاعظم استثناء منقطع اي ولكنهم
ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل مما هو مفعول من اجله والمعنى ما كتبناها عليهم لشئ
من الاشياء الا ابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى قضى فصار المعنى كتبناها عليهم ابتغاء مرضاة
الله فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا اي ما قاموا بها حق القيام بل ضموا اليها التثليث وكفروا بدين عيسى
ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين عيسى كثير منهم وامنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فَآتَيْنَا
اي بما لنا من صفات الكمال الَّذِينَ آمَنُوا اي بالنبي صلى الله عليه وسلم مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ اي الذي يليق بهم
وهو الرضوان المضاعف وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ اي من هؤلاء الذين ابتدعوها فضيعوا فَاسِقُونَ اي عريقون
في وصف الخروج عن الحد والتي حدها الله تعالى وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى
عليه السلام روى البغوي بسنده عن ابن مسعود انه قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث
وهلك سائرهم فرقة عزت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى وفرقة لم يكن لهم طاقة بمعاداة الملوك
ولا ان يقيموا بين اظهرهم يدعوهم الى دين الله تعالى ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد فترهبوا
وهم الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
من امن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون وعن
ابن مسعود ايضا قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا ابن ام عبد هل تدري
من اين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى
يعملون بالمعاصي فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل
فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء قتلونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا نتفرق في الارض الى ان يبعث الله
تعالى النبي الذي وعدنا عيسى عليه السلام يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال
واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبانية ابتدعوها الى
قوله تعالى فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعني من ثبت عليها اجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلوة والصوم والحج
والعمرة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل
الله تعالى وعن ابن عباس قال كانت ملوك بني اسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدلوا التورية والانجيل

وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله تعالى فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منهما فقالوا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا بارض فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم ففعلوا بهم ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى عليه السلام وخلف قوم من بعدهم ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ابتدعها هؤلاء الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضاة الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاؤا من بعدهم قال فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا وصدقوا فقال الله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اي بموسى وعيسى عليهما السلام ايمانا صحيحا اتَّقُوا اللَّهَ اي خافوا عقاب الملك الاعظم وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ محمد صلى الله عليه وسلم ايمانا مضموما الى ايمانكم بمن تقدمه هذا اذا كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب واما اذا كان خطابا للمؤمنين من اهل الكتاب وغيرهم فالمعنى آمنوا برسوله ايمانا مضموما الى ايمانكم بالله تعالى فانه لا يصح الايمان بالله الا مع الايمان برسوله صلى الله عليه وسلم يُؤْتِكُمْ اي يثبكم على اتباعه كِفْلَيْنِ اي نصيبين ضخمين مِنْ رَحْمَتِهِ يحصنانكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من الوقوع وهو كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز وهذا التحصين لاجل ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن تقدمه مع خفة العمل ورفع الاصار ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم وقال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة وقال ابن زيد كفلين اجر الدنيا واجر الآخرة وعن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث يؤتون اجرهم مرتين رجل كانت له جارية فادبها فاحسن تاديبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل من اهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد احسن عبادة الله ونصح سيده وَيَجْعَلْ لَكُمْ اي مع ذلك نُورًا مجازيا في الدنيا من العلوم والمعارف القلبية وحسيا في الآخرة بسبب العمل تَمْشُونَ بِهِ اي مجازا في الدنيا بتوفيق العمل وحقيقة في الآخرة بسبب العمل وقال مجاهد النور هو البيان والهدى وقال ابن عباس هو القرآن وقال الزمخشري هو النور المذكور في قوله تعالى نورهم يسعى وقيل تمشون في الناس يدعونهم الى الاسلام فيكونون رؤساء في دين الاسلام لا تزول عنكم رياستكم فيه وذلك انهم خافوا ان تزول

رياستهم لو آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما كان يفوتهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف
احكام الله تعالى لا الرياسة الحقيقية في الدين ويغفر لكم اي ما فرط منكم من سهو وعمد وهزل
وجد والله اي المحيط بجميع صفات الكمال غفور اي بليغ المحو للذنوب عينا واثرا رحيم اي بليغ
الاكرام لمن يغفر له ويوفقه للعمل بما يرضيه ✦ ولما بلغ من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله تعالى
اولئك يؤتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من آمن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه
بكتابكم وبكتابنا ومن لم يؤمن منا فله اجر كاجوركم فما فضلكم علينا فانزل الله تعالى لئلا يعلم اي ليعلم
ولا زائدة للتاكيد اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ان مخففة من الثقيلة
اسمها ضمير الشان والمعنى انهم لا يقدرون على شيء في زمن من الازمان من فضل الله اي
الملك الاعلى فلا اجر لهم ولا نصيب في فضله ان لم يؤمنوا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وقال قتادة حسد الذين لم يؤمنوا من اهل الكتاب المؤمنين منهم فنزلت هذه الآية وقال
مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به
فنزلت الآية وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم
مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقيل المراد من فضل الله الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبي
من رزق الله وقيل نعم الله تعالى التي لا تحصى وان اي وليعلموا ان الفضل اي الذي لا يحتاج اليه
من هو عنده بيد الله الذي له الامر كله يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار فاتى المؤمنين منهم اجرهم
مرتين والله اي الذي احاط بجميع صفات الكمال ذو الفضل العظيم اي مالكه ملكا لا ينفك
ولا ملك لاحد فيه معه ولا تصرف بوجه اصلا فلذلك يخص من يشاء بما يشاء روى البخاري عن
ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على المنبر انما بقاؤكم فيمن سلف
قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر الى غروب الشمس اعطي اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف
النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطي اهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى صلوة العصر ثم عجزوا
فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين
قال اهل التوراة ربنا هؤلاء اقل عملا واكثر اجرا قال هل ظلمتكم من اجركم شيئا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه
من اشاء وفي رواية فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا الحديث وفي رواية انما اجلكم في اجل من كان
قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل
عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال
من يعمل لي من نصف النهار الى صلوة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى العصر
على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلوة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين تعملون
من صلوة العصر الى مغرب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى فقالوا نحن اكثر عملا واقل
عطاء قال الله تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلي اوتيه من شئت وعن ابي موسى الاشعري

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استاجر قوما يعملون له عملا يوما الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية عملكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر اخرين من بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذى شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلوة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذى جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فانما بقى من النهار شئ يسير فابوا فاستاجر اخرين على ان يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور ÷ وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله حديث موضوع

سورة المجادلة مدنية

فى قول الجميع الا رواية عن عطاء ان العشر الاول منها مدنى وباقيها مكى وقال الكلبى نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهى ثنتان وعشرون اية واربعمائة وثلاث وسبعون كلمة والف وسبعمائة واثنان وسبعون حرفا

بسم الله الذى تمت قدرته وكملت جميع صفاته الرحمن الذى شمل الخلائق جودا بالايجاد وارسال الهداة الرحيم الذى خص اصفياءه فتمت عليهم نعمة مرضاته ونزل فى خولة بنت ثعلبة وكانت تحت اوس بن الصامت وكان قد ظاهر منها قد سمع الله اى اجاب بعظيم فضله الذى احاط بجميع صفات الكمال فوسع سمعه الاصوات قول التى تجادلك اى تراجعك ايها النبى فى زوجها المظاهر منها روى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه مر بها فى خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستنى من اول النهار الى اخره لا زلت الا للصلوة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلبة سمع الله تعالى قولها من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وعن عائشة تبارك الذى وسع سمعه كل شئ انى لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تقول يا رسول الله اكل شبابى ونثرت له بطنى حتى اذا كبرت سنى وانقطع ولدى ظاهر منى اللهم انى اشكو اليك فما برحت حتى نزل بهذه الاية قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الاية وروى انها كانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها فاعجبه امرها فلما انصرفت ارادها فابت فغضب عليها قال عروة وكان امرأ به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت على كظهر امى وكان الايلاء والظهار من الطلاق فى الجاهلية فسالت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت

ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب فيّ فلما علا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي فقد طالت صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا حرمت عليه ولم اؤمر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليّ جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول ظهار في الاسلام فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت قال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرأ عليه الاربع آيات فقال له هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله اني ان اخطأني ان آكل في اليوم مرة او مرتين لكلّ بصري ولظننت اني اموت قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لها مريه اي يعتق رقبة فقالت اي رقبة والله لا يجد رقبة وما له خادم غيري فقال مريه ان يصوم شهرين فقالت والله ما يقدر على ذلك انه يشرب في اليوم كذا كذا مرة فقال مريه فليطعم ستين مسكينا فقالت اني له ذلك وتشتكي اي تتعمد بتلك المجادلة الشكوى منتهية الى الله اي سؤال الملك الاعظم الرحمة الذي احاط بكل شيء علما فان قيل ما معنى قد في قوله تعالى قد سمع اجيب بان معناها التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله تعالى مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها لصدقها في شكواها وقطع رجائها في كشف ما بها من غير الله ان الله تعالى يكشف كربتها والله اي والحال ان الذي وسعت رحمته كل شيء لان له الامر كله يسمع تحاوركما اي تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله اي الذي احاط بجميع صفات الكمال سميع اي بالغ السمع لكل مسموع بصير اي بالغ البصر لكل ما يبصر فهما صفتان كالعلم والقدرة والحيوة والارادة وهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما + ولما اتم تعالى الخبر عن احاطة العلم استانف الاخبار عن حكم الامر المجادل بسببه فقال تعالى الذين يظهرون اي يوجدون الظهار في اي زمان كان وقوله تعالى منكم اي ايها العرب المسلمون توبيخ لهم وتهجين لعادتهم لان الظهار كان خاصا بالعرب دون سائر الامم فنبه تعالى على ان اللائق بهم ان يكونوا ابعد الناس عن هذا الكلام لان الكذب لم يزل مستهجنا عندهم في الجاهلية ثم زاده الاسلام استهجانا من نسائهم اي يحرمون نساءهم على انفسهم تحريم الله تعالى عليهم ظهور امهاتهم والظهار لغة ماخوذ من الظهر لان صورته الاصلية ان يقول لزوجته انت علي كظهر امي وخصوا الظهر دون البطن

والفخذ وغيرهما لانه موضع الركوب والمرأة مركوب الزوج وقيل من العلو قال تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اى ان يعلوه وكان طلاقا فى الجاهلية وقيل فى اول الاسلام ويقال كان فى الجاهلية اذا كره احدهم امرأته ولم يرد ان تتزوج بغيره آلى منها او ظاهر فتبقى لا ذات زوج ولا خلية تنكح غيره فغير الشارع حكمه الى تحريمها بعد العود ولزوم الكفارة كما سيأتى وحقيقته الشرعية تشبيه الزوجة غير البائن بانثى لم تكن حلا له وسمى هذا المعنى ظهارا لتشبيه الزوجة بظهر الام وله اركان اربعة مظاهر ومظاهر منها وصيغة ومشبه به وشرط فى المظاهر كونه زوجا يصح طلاقه وشرط فى المشبه به كونه كل انثى محرم او جزء انثى محرم لم تكن حلا له كبنته واخته وشرط فى الصيغة لفظ يشعر بالظهار صريح كانت انت او رأسك او يدك كظهر امى او كجسمها او يدها او كناية كانت امى او كعينها او غيرها مما يذكر للكرامة كرأسها او روحها ويصح تأقيته وتعليقه واصل يظهرون يتظهرون ادغمت التاء فى الظاء وقرأ الذين يظاهرون عاصم بضم الياء وتخفيف الظاء وبعدها الف وتخفيف الهاء مكسورة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح الياء وتشديد الظاء وتخفيف الهاء مع فتحها وبين الظاء والهاء الف والباقون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء ولا الف بينهما ﴿مَّا هُنَّ﴾ اى نساؤهم ﴿أُمَّهَاتِهِمْ﴾ اى على الحقيقة ﴿إِنْ﴾ اى ما ﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾ اى حقيقة ﴿إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ ونساؤهم لم يلدنهم فلا يحرمن عليهم حرمة مؤبدة للاكرام والاحترام ولا هن ممن الحق بالامهات بوجه يصح كازواج النبى صلى الله عليه وسلم فانهن امهات لما لهن من حق الاكرام والاحترام ولان النبى صلى الله عليه وسلم اعظم فى الابوة الدينية من الاب النسبى وكالمرضعات لما لهن من حق الرضاع الذى هو وظيفة الام بالاصالة واما الزوجة فمباينة لجميع ذلك وقرأ قالون وقنبل بالهمزة المكسورة ولا ياء بعدها وقرأ ورش والبزى وابو عمرو بتسهيل الهمزة مع المد والقصر وللبزى وابى عمرو ايضا موضع الهمزة ياء ساكنة مع المد والباقون بهمزة مكسورة وبعدها ياء وهم على مراتبهم فى المد ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ اى المظاهرون ﴿لَيَقُولُونَ﴾ اى فى هذا التظهر على كل حالة ﴿مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ﴾ اذ الشرع انكره وهو حرام اتفاقا كما نقل عن الرافعى فى باب الشهادات ﴿وَزُورًا﴾ اى قولا مائلا عن السداد منحرفا عن القصد لان الزوجة معدة للاستمتاع الذى هو فى الغاية من الامتهان والام فى غاية البعد عن ذلك فان قيل المظاهر انما قال انت علىّ كظهر امى فشبهها بامه ولم يقل انها امه فما معنى انه منكر من القول وزور والزور الكذب وهذا ليس بكذب اجيب بان قوله هذا ان كان خبرا فهو كذب وان كان انشاء فهو كذلك لانه جعله سببا للتحريم والشرع لم يجعله سببا لذلك وايضا فانما وصف بذلك لان الام مؤبدة التحريم والزوجة لا يتأبد تحريمها بالظهار فهو زور محض فان قيل قوله تعالى الا اللائى ولدنهم يقتضى ان لا ام الا الوالدة وهذا مشكل بقوله تعالى وامهاتكم اللاتى ارضعنكم وقوله تعالى وازواجه امهاتهم اجيب بان الشارع الحقهن بالوالدات لما مر ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ اى الملك الاعظم الذى لا امر لاحد معه فى شرع ولا غيره ﴿لَعَفُوٌّ﴾ اى من صفاته ان يترك عقاب من شاء ﴿غَفُورٌ﴾ اى من صفاته ان يمحو عينا الذنب واثره

ثم بين احكام الظهار بقوله تعالى وَالَّذِينَ يُظٰهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا والعود
فى ظهار غير مؤقت من غير رجعية ان يمسكها بعد ظهاره مع علمه بوجود الصفة فى المعلق زمن امكان
فرقة ولم يفارق لان العود للقول مخالفته يقال قال فلان قولا ثم عاد له وعاد فيه اى خالفه
ونقضه وهو قريب من قولهم عاد فى هبته ومقصود الظهار وصف المراة بالتحريم وامساكها يخالفه
فلو اتصل بظهاره جنونه او اغماؤه او فرقة بموت او فسخ من احدهما بمقتضيه كعيب باحدهما او بطلاق
بائن او رجعى ولم يراجع فلا عود والعود فى ظهار غير مؤقت من رجعية سواء اطلقها عقب الظهار ام
قبله ان يراجع ولو ارتد متصلا بالظهار بعد الدخول ثم اسلم فى العدة فلا عود بالاسلام بل بعده والفرق
ان الرجعة امساك فى ذلك النكاح والاسلام بعد الردة تبديل للدين الباطل بالحق والحل تابع له
فلا يحصل به امساك وانما يحصل بعده فالعود فى ظهار مؤقت يحصل بتغييب حشفة او قدرها
من فاقدها فى المدة ويجب فى العود به وان حل نزع لما عينه كما لو قال ان وطئتك فانت طالق لحرمة
الوطء قبل التكفير كما سيأتى وانقضاء المدة واستمرار الوطء وطء ولما كان المبتدأ الموصول يتضمن معنى
الشرط ادخل الفاء فى خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال عز من قائل فَتَحْرِيرُ
اى فعليهم بسبب هذا الظهار والعود تحرير رَقَبَةٍ مومنة فلا تجزى كافرة قال تعالى فى كفارة القتل
فتحرير رقبة مومنة والحق بها غيرها قياسا عليها بجامع حرمة سببهما من القتل والظهار او حملا
للمطلق على المقيد كما فى حمل المطلق فى قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم على المقيد فى قوله
تعالى واشهدوا ذوى عدل منكم بلا عوض وبلا عيب يخل بعمل فيجزئ صغير ولو ابن يوم واقرع
واعرج يمكنه تباع مشى بان يكون عرجه غير شديد واعور لم يضعف عوره بصر عينه السليمة ضعفا
يخل بالعمل واصم واخرس يفهم الاشارة ويفهم عنه واخشم وفاقد انفه واذنيه واصابع رجليه
لا فاقد رجل او خنصر وبنصر من يد او انملتين من كل منهما او فاقد انملتين من اصبع غيرهما او فاقد انملة
ابهام لاخلال كل من الصفات المذكورة بالعمل ولا يجزئ مريض لا يرجى برؤه ولم يبرأ كهرم وشلل وهرم
بخلاف من يرجى برؤه ومن لا يرجى برؤه اذا برئ ولا مجنون افاقته اقل من جنونه تغليبا للاكثر ويجزى
معلق عتقه بصفة بان ينجز عتقه بنية الكفارة او معلقه كذلك بصفة اخرى وتوجد قبل الاولى ويجزئ
نصفا رقبتين اعتقهما عن كفارة باقيهما او فى احدهما كما استظهره بعضهم ويجزئ اعتاق رقبته عن كفارتيه
لا جعل العتق المعلق كفارة عند وجود الصفة ولا مستحق عتق كام ولد وصحيح كتابة مِنْ قَبْلِ اَنْ يَتَمَاسَّا اى
يحصل بينهما مس روى ابو داود وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ظاهر من امراته وواقعها لا تقربها
حتى تكفر وكالتكفير مضى مدة المؤقت لانتهائه بها وحمل الناس هنا لشبه الظهار بالحيض على التمتع
بما بين السرة والركبة ومن حمله على الوطء الحق به التمتع بغيره فيما بينهما ولو ظاهر من اربع بكلمة كانت
تظهر اربعا منى فان امسكهن فاربع كفارات لوجود سببها او ظاهر منهن باربع كلمات ولو متوالية فعائد من
غير اخيرة ولو كرر فى امرأة متصلا وقصد الظهار ان قصد استئنافا وتعدد الظهار ولو قصد المظاهر بالاستئناف عائدا

ذلكم اى ذلك الحكم بالكفارة توعظون به اى ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه والله اى الذى له الاحاطة بالكمال بما تعملون اى تجددون فعله خبير اى عالم بظاهره وباطنه فهو عالم بما يكفره فافعلوا بما امر به وقفوا عند حدوده وانما يلزم الاعتاق عن الكفارة من ملك رقبة او ثمنه فاضلا عن كفاية مونه من نفسه وغيره قال الرافعى وسكتوا عن تقدير مدة ذلك ويجوز ان تقدر بالعمر الغالب وان تقدر بسنة اه والذى عليه الجمهور هو الاول ولا يلزمه بيع عقار ورأس تجارة وماشية لا يفضل دخلها عن غلة العقار وربح مال التجارة وفوائد الماشية من نتاج وغيره عن كفاية مونه ولا بيع مسكن ورقيق نفيسين الفهما ولا يلزمه شراء بغبن فمن لم يجد اى الرقبة بان عجز المكفر عن الاعتاق حسا او شرعا وقت اداء الكفارة فصيام اى فعليه صيام شهرين متتابعين عن كفارته فالرقيق لا يكفر الا بالصوم لانه معسر لا يملك شيئا وليس لسيده منعه من الصوم ان ضره وانما اعتبر العجز وقت الاداء لا وقت الوجوب قياسا على سائر العبادات ولو ابتدأ الصوم ثم وجد الرقبة لم يلزمه الانتقال عنه لانه امر به حيث دخل فيه وقال ابو حنيفة يعتق قياسا على الصغيرة المعتدة بالشهور اذا رأت الدم قبل انقضاء عدتها فانها تستانف الحيض اجماعا ويكفيه نية صوم الكفارة وان لم ينو الولاء فان انكسر الشهر الاول اتمه من الثالث ثلاثين لتعذر الرجوع فيه الى الهلال وينقطع التتابع بفوات يوم ولو بعذر كمرض او سفر فيجب الاستئناف ولو كان الفائت اليوم الاخير او اليوم الذى نسيت النية له بخلافه فيما اذا فات بجنون او اغماء مستغرق لمنافاة ذلك الصوم من قبل ان يتماسا كما مر فى العتق فان جامع ليلا عصى ولم ينقطع التتابع لانه ليس محلا للصوم بخلافه نهارا وقال ابو حنيفة ومالك يبطل بكل حال ويجب عليه ابتداء الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع بان عجز عن صوم او ولاء لمرض يدوم شهرين بالظن المستفاد من العادة فى مثله او من قول الاطباء او لمشقة شديدة تلحقه بالصوم او ولائه ولو كانت المشقة لشدة شهوة الوطء او خوف زيادة مرض فاطعام اى فعليه اطعام ستين مسكينا اى من قبل ان يتماسا حملا للمطلق على المقيد بان يملك كل مسكين من اهل الزكوة مدا من جنس الفطرة كبر وشعير واقط ولبن فلا يجزئ لحم ودقيق وسويق وخرج باهل الزكوة غيره فلا يجزئ دفعها لكافر ولا لهاشمى ومطلبى ولا لمواليهما ولا لمن تلزمه مؤنته ولا لرقيق لانها حق الله تعالى فاعتبر فيها صفات الكمال ذلك اى الترخيص العظيم لكم والرفق بكم والبيان الشافى من امر الله الذى هو موافق للحنيفية السمحة ملة ابيكم ابراهيم عليه السلام لتؤمنوا اى ليتحقق ايمانكم بالله اى الملك الذى لا امر لاحد معه فتطيعوا بالانسلاخ عن امر الجاهلية ورسوله اى الذى تعظيمه من تعظيمه + ولما رغب فى هذا الحكم رهب فى التهاون به بقوله تعالى وتلك اى هذه الاحكام العظيمة المذكورة حدود الله اى اوامر الملك الاعظم ونواهيه التى يجب امتثالها والتعبد بها التوخى حق رعايتها فالتزموها وقفوا عندها ولا تعتدوها فانه لا يطاق انتقامه اذا تعدى نقضه وابرامه وللكافرين اى العريقين فى الكفر بها او بشئ

عن شرائعه عَذَابٌ أَلِيمٌ اي مؤلم بما الموصلون به من الاعتداء فان عجز عن جميع خصال الكفارة
لم تسقط الكفارة عنه بل هي باقية في ذمته الى ان يقدر على شيء منها فاذا قدر على خصلة من خصالها
فعلها ولا يتبعض العتق ولا الصوم بخلاف الاطعام حتى لو وجد بعض مد اخرجه لانه لا بدل له وبقي
الباقي في ذمته قال الزمخشري فان قلت فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة ان ترافعه قلت
لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة
الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع عن الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها فان قلت فان مس
قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه الصلاة والسلام
استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر والمراد بالاستغفار هنا التوبة ، ولما ذكر تعالى المؤمنين
الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها بقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ اي يخالفون
الملك الاعلى على حدوده ليجعلوا حدودا غيرها وذلك صورته صورة العداوة لان المحادة المعاداة والمخالفة
في الحدود وهو كقوله تعالى ومن يشاقق الله وَرَسُولَهُ اي الذي عزه من عزه وقيل يحادون الله اي
اولياء الله كما في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة والضمير في قوله تعالى ان الذين
يحادون الله ورسوله يحتمل ان يرجع الى المنافقين فانهم كانوا يوادون الكافرين ويظاهرونهم على
النبي صلى الله عليه وسلم فاذلهم الله تعالى ويحتمل ان يرجع لجميع الكفار فاعلم الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم انهم كُبِتُوا اي اذلوا وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال قتادة اخزوا وقال
ابو زيد عذبوا وقال السدي لعنوا وقال الفراء اغيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ اي المحادين المخالفين لرسلهم كقوم نوح ومن بعدهم ممن اصر على العصيان قال القشيري
ومن ضيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة او احدث في دينه بدعة انخرط في هذا السلك
وَقَدْ أَنْزَلْنَا اي بما لنا من العظمة عليكم وعلى من قبلكم آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ اي دلالات عظيمة هي في غاية
البيان لذلك ولكل ما يترتب عليه الايمان كترك المحادة وتحصيل الايمان وَلِلْكَافِرِينَ اي
الراسخين في الكفر بالآيات او بغيرها من اوامر الله تعالى عَذَابٌ مُهِينٌ بما تكبروا واعتدوا على اولياء
الله تعالى وشرائعه يهينهم ذلك العذاب ويذهب عزهم وشماختهم ويتركون به محادتهم وقوله
تعالى يَوْمَ منصوب باذكر كما قاله الزمخشري قال تعظيما لليوم او بلهم اي بالاستقرار الذي تضمنه لوقوعه
خبرا او بمهين مقدر وقدره ابو البقاء يهانون او يعذبون او استقر ذلك يوم يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ اي الملك الاعظم
جَمِيعًا اي حال كونهم مجتمعين الكافرين المصرح بهم والمؤمنين المشار اليهم الرجال والنساء احياء كما كانوا
لا يترك منهم احد وقيل مجتمعين في حال واحد فَيُنَبِّئُهُمْ اي يخبرهم اخبارا عظيما مستقصى بِمَا عَمِلُوا
تخجيلا وتوبيخا وتشهيرا لحالهم أَحْصَاهُ اللَّهُ اي احاط به عددا كما وكيفا وزمانا ومكانا بما له من صفات
الكمال والجلال اي وَنَسُوهُ لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه ولم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ

قوله او بلهم [illegible] الظرف له [illegible] للكافرين

يحفظ

معظمات الامور او لخروجه عن الحد في الكثرة فكيف كل واحد على انفراده والله اي بما له من القدرة
الشاملة والعلم المحيط على كل شيء اي على الاطلاق شهيد اي حفيظ حاضر لا يغيب ورقيب ع
لا يغفل ثم انه تعالى اكد بيان كونه عالما بكل المعلومات فقال جل ذكره الم تر اي تعلم علما هو في وضوحه
كالرؤية بالعين ان الله اي الذي له صفات الكمال كلها يعلم ما في السموات كلها وما في الارض كذلك
كليات ذلك وجزئياته لا يغيب عنه شيء منه بل ليل ان لي انه محيط بذلك على انه ما يكون وهو يخبر
من شاء من انبيائه واصفيائه بما يشاء من اخبار ذلك الماضية والراهنة والماضية والآتية
فيكون كما اخبر وقوله تعالى ما يكون من نجوى يكون فيه من كان التامة ومن نجوى فاعلها ومن
مزيدة فيه اي ما يقع من تناجي ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف اي اهل نجوى فيكون ثلاثة صفة
لاهل وان يؤول نجوى بمتناجين جعلوا نجوى مبالغة فيكون ثلاثة صفة لنجوى واشتقاقها من
النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر يرتفع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه وقوله
تعالى الا هو رابعهم استثناء من اعم الاحوال اي ما يوجد شيء من هذه الاشياء في حال من الاحوال
الا وهو يعلم نجواهم كانه حاضر معهم وشاهدهم كما تكون نجواهم عند الرابع الذي يكون معهم
ولا خمسة اي من نجواهم الا هو سادسهم اي يعلم نجواهم كما مر فان قيل ما الداعي الى تخصيص الثلاثة
والخمسة اجيب بوجهين احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي فيما بينهم دون المؤمنين
وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة
فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون ولا ادنى من ذلك اي من عددهم
ولا اكثر اي من ذلك الا هو معهم يسمع ما يقولون اينما اي في اي مكان كانوا فانه لا مسافة بينه
وبين شيء فقد روي عن ابن عباس انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية
كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا
وقال الثالث ان كان يعلم بعضه فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب
فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والوجه الثاني انه قصد ان
يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبون لذلك ليسوا
بكل احد وانما هم طائفة مجتباة من اولي النهى والاحلام ورهط من اهل الرأي والتجارب واول عددهم
اثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وجل
الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على ما يلي
هذا العدد ويقاربه وروي انه عليه الصلوة والسلام قال في خطبته الكبرى اخرجها الحرث
ابن ابي اسامة رقي المنبر وقال يا ايها الناس ادنوا واسمعوا لمن خلفكم ثلاث مرات فدنا
الناس وانضم بعضهم الى بعض والتفتوا فلم يروا احدا فقال رجل منهم بعد الثالثة لمن نسمع

يا رسول الله المائدة ثلثة فقال لا انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا بين ايديكم ولا خلفكم ولكن عن ايمانكم وعن شمائلكم وعلى ذلك فليسوا في مكان الايمان هنا والشمائل بل في المكانة من ذلك فالله جل جلاله اعلى واجل وانزه مكانة واكرم استواء ثم ينبئهم اي يخبر اصحاب النجوى اخبارا عظيما بما عملوا دقيقه وجليله يوم القيمة الذي هو الميعاد الاعظم من الوجود لاظهار الصفات العالية اتم اظهار ان الله الذي له الكمال كله بكل شيء اي مما ذكر وغيره عليم اي بالغ العلم فهو على كل شيء شهيد وهذا اخذ بمن اتعاصى وترغيب في الطاعات واختلف في سبب نزول قوله تعالى الم تر اي تعلم علما هو كالرؤية الى الذين نهوا عن النجوى فقيل في اليهود وقيل في المنافقين وقيل في فريق من الكفار وقيل في فريق من المسلمين لما روى ابو سعيد الخدري قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه النجوى فقلنا تبنا الى الله تعالى يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فرقا منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بما هو اخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي وقال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون باعينهم يوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم من اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل او موت او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك عليهم واشتكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم فانزل الله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون اي على سبيل الاستمرار لانه وقع مرة وبادروا الى التوبة منها او فلتة ونهوا عنها لما نهوا عنه اي من غير ان يعتدوا بما يوقع من جهة الناهي من الضرر عنده ويتناجون اي يقبل بعضهم على المناجاة اقبالا واحدا فيفعل كل منهم منها ما يفعله الآخر مرة بعد اخرى على سبيل الاستمرار وقرأ حمزة بعد الياء بنون ساكنة وبعدها تاء فوقية مفتوحة ولا الف قبل الجيم وضم الجيم والباقون بتاء فوقية مفتوحة وبعدها نون مفتوحة وبعد النون الف وفتح الجيم بالاثم اي بالشيء الذي لا ينبت عليهم به الذنب وبالكذب وبما لا يحل والعدوان اي العدوان الذي هو نهاية في قصد الشر بالافراط في مجاوزة الحدود ومعصيت الرسول اي مخالفة النبي الذي جاء اليهم من الملك الاعلى وهو كامل في الرسالة لكونه مرسلا الى جميع الخلق وفي كل الازمان فلا نبي بعده فهو لذلك مستحق غاية الاكرام + فائدة + رسمت معصية في الموضعين بالتاء المجرورة واذا وقف عليها فابو عمرو وابن كثير والكسائي بالهاء في الوقف والكسائي بالامالة والوقف على اصله ووقف الباقون بالتاء على الرسم واتفقوا في الوصل على التاء واذا جاؤك اي يا اشرف الخلق حيوك اي واجهوك بما يعدونه تحية بما لم يحيك به الله اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام

الموت وهم يوهمون انهم يقولون السلام عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليهم فيقول
وعليكم فقالت السيدة عائشة السام عليكم ولعنة الله وغضبه عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مهلاً يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش فقالت اولم تسمع ما قالوا يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب
لهم فيّ وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت
فانزل الله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله وروى انس انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم
عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو فقال بعض العلماء ان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه
ان ندخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت او من سآمة ديننا وهو الملال يقال سئم يسأم سآمة
وساما وقال بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول الشاعر فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى *
اي لما اجزنا انتحى فزاد الواو وقال آخرون هي للاستئناف كانه قيل والسام عليكم وقال آخرون هي على
بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم
لعائشة * تنبيه * اختلف العلماء في رد السلام على اهل الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة
هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك ليس بواجب فان رددت فقل وعليك وعندنا يجب
ان يقول له وعليك لما مر في الحديث وقال بعضهم يقول في الرد علاك السلام اي ارتفع عنك وقال
بعض المالكية يقال في الرد السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة * ولما كانوا يخفون ذلك جهدهم
ويظنون بامهال الله تعالى لهم انه صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه وان اطلع عليه لم يقدر ان ينتقم منهم
عبر عن ذلك بقوله تعالى ويقولون في انفسهم من غير ان يطلع عليه احد لولا اي هلا ولم لا يعذبنا
الله اي الذي له الاحاطة بكل شيء بما نقول اي لو كان نبياً لعذبنا الله بما نقول وقيل قالوا انه يرد علينا
ويقول وعليكم السام فلو كان نبياً لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا اهل
الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام كانوا يغضبون فلا يعاجلون من يغضبهم
بالعذاب حسبهم اي كافيهم في الانتقام جهنم اي الطبقة التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة والفظاظة
فان حصل لهم في الدنيا عذاب كان زيادة على الكفاية فاستعجالهم بالعذاب محض رعونة يصلونها
اي يقاسون عذابها دائماً فانا قد اعددناها لهم فبئس المصير اي مصيرهم يا ايها الذين امنوا اي
ادعوا انهم اوجدوا هذه الحقيقة اذا تناجيتم اي اطلع كل منكم الكلام من نفسه فرفعه وكشفه
لصاحبه سراً فلا تتناجوا اي توجدوا هذه الحقيقة بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول اي
الكامل في الرسالة كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل اراد تعالى بقوله امنوا المنافقين
امنوا بلسانهم وقال عطاء يريد الذين امنوا بزعمهم وقيل يا ايها الذين امنوا بموسى وتناجوا بالبر
والتقوى اي الطاعة والعفاف عما نهى الله تعالى عنه واتقوا الله اي اقصدوا قصداً يتبعه العمل
بان تجعلوا بينكم وبين سخط الملك الاعظم وقاية الذي اليه خاصة تحشرون اي تجمعون

باسمائه واسع له بقهره وكبره وهو يوم القيامة فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق والانصاف
بينهم بالعدل ومحاسبتهم على النقير والقطمير لا تخفى عليه خافية ولا تقي منه واقية ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾
اي المعهودة وهي المنهي عنها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ اي مبتدئة وممتدة من المحترق بطرده عن رحمة الله تعالى
فانه الحامل عليها بتزيينها فاعلها تابع لاعدى اعدائه مخالف لاعظم اوليائه ﴿لِيَحْزُنَ﴾ اي الشيطان
﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اي ليوهمهم انها بسبب شيء وقع مما يؤذيهم والحزن هم غليظ وتوجع يرق يقال
حزنه واحزنه بمعنى قال في القاموس او احزنه جعله حزينا وحزنا فهو بضم الياء وكسر الزاي من احزنه
والباقون بفتح الياء وضم الزاي من حزن والقراءة الاولى اشد في المعنى على ما في القاموس ﴿وَلَيْسَ﴾
اي الشيطان او ما حمل عليه من التناجي ﴿بِضَارِّهِمْ﴾ اي الذين آمنوا ﴿شَيْئًا﴾ من الضرر وان قل
﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ اي بمشيئة الملك المحيط علما وقدرة فان قيل كيف لا يضرهم ذلك ولا يحزنهم
اجيب بانهم كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال
تعالى لا يضرهم الشيطان والحزن بذلك الوهم الا باذن الله تعالى اي مشيئته وهو ان يقضي
الموت على اقاربهم والغلبة على الغزاة ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ اي الملك الذي لا كفء له لا على احد غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ﴾ اي الراسخون في الايمان في جميع امورهم فانه القادر وحده على اصلاحها وافسادها
فلا يحزنوا من احد ان يكيد لهم سرة ولا يجهره فانهم توكلوا عليه وفوضوا امورهم اليه وخص
الراسخين لامكان ذلك منهم في العادة واما اصحاب البدايات فلا يكون ذلك منهم الا خرق
عادة روى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث
الا باذنه فان ذلك يحزنه وعن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا
ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من اجل ان يحزنه فبين في هذا الحديث
غاية المنع وهو ان يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث مع رجل
فجاء آخر يريد ان يناجيه فلم يناجه حتى دعا رابعا فقال له وللاول تاخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة
خرجه في الموطا ونبه على العلة بقوله من اجل ان يحزنه اي يقع في نفسه ما يحزن لاجله وعلى هذا
يستوي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجى اربعة دون واحد ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك
المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير امكن واوقع فيكون بالمنع اولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه
اول عدد يتاتى ذلك فيه قال القرطبي وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال وذهب اليه
ابن عمر ومالك والجمهور وسواء كان التناجي في واجب او مندوب او مباح فان الحزن ثابت به
وقد ذهب بعض الناس الى ان ذلك كان في اول الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين فيتناجى
المنافقون دون المؤمنين فلما فشا الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر في المواضع
التي لا يامن الرجل فيها صاحبه فاما في الحضر وبين العمارة فلا لانه يجد من يغيثه بخلاف السفر فانه مظنة الاغتيال
وعدم المغيث ولما نهى المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر امرهم الآن بما يصير سببا لزيادة

المحبة والمودة بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اى الذين اتصفوا بهذا الوصف اذا قيل لكم
اى من اىّ قائل كان فان للخير يرغب فيه لذاته تفسّحوا اى توسعوا اى كلفوا انفسكم فى اتساع
المواضع فى المجلس اى الجلوس او مكانه لاجل من ياتى فلا يجد مجلسا يجلس فيه قال قتادة ومجاهد
كانوا يتنافسون فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس
المراد بذلك مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب قال الحسن وزيد بن ابى حبيب كان النبى صلى الله
عليه وسلم اذا قاتل المشركين تشاح اصحابه على الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة
فى القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله تعالى مقاعد للقتال وقال مقاتل كان النبى صلى الله عليه وسلم
فى الصفة وكان فى المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من اهل
بدر وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم على ارجلهم ينتظرون ان يوسع
لهم فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام وشق ذلك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان بعدد القائمين من اهل بدر فشق ذلك
على من قام وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهة فى وجوههم فقال المنافقون والله ما عدل على
هؤلاء ان قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطأ فنزلت الاية يوم الجمعة
وروى عن ابن عباس قال نزلت الاية فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه دخل المسجد
وقد اخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر اى الصمم الذى
كان فى اذنيه فوسعوا له حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى
بينه وبينهم كلام فنزلت وقد تقدمت قصته فى سورة الحجرات وقرأ عاصم بفتح الجيم والف بعدها
جمعا لان لكل جالس مجلسا اى فليفسح كل واحد فى مجلسه والباقون بسكون الجيم ولا الف افرادا قال
البغوى لان المراد منه مجلس النبى صلى الله عليه وسلم وقال القرطبى الصحيح فى الاية انها عامة فى كل
مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والاجر سواء كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم الجمعة وان كل
واحد احق بمكانه الذى سبق اليه قال صلى الله عليه وسلم من سبق الى ما لم يسبق اليه فهو احق به
ولكن يوسع لاخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه فيكون المراد بالمجلس الجنس ويؤيده
قراءة الجمهور فافسحوا اى وسعوا فيه عن سعة صدر يفسح الله اى الذى له الامر كله لكم فى كل ما تكرهون
ضيقه من الدارين وقال الرازى هذا يطلق فيما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق
والصدر والقبر والجنة قال ولا ينبغى للعاقل ان يقيد الاية بالتفسح فى المجلس بل المراد منه ايصال
الخير الى المسلم وادخال السرور فى قلبه واذا قيل اى من اى قائل كان كما مضى اذا كان يريد
الاصلاح والخير انشزوا اى ارتفعوا وانهضوا الى الموضع الذى تؤمرون به او يقتضيه الحال
للتوسعة او غيرها من الاوامر كالصلوة والجهاد فانشزوا اى فارتفعوا وانهضوا يرفع
الله اى الذى له جميع صفات الكمال الذين آمنوا وان كانوا غير علماء منكم اى ايها

المامورون بالتفسح السا سعون للاوامر المبادرون اليها بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامهم فى مجلسهم وتوسعهم لاخوانهم وَالَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجٰتٍ يجوزان يكون معطوفا على الذين امنوا فهو من عطف الخاص على العام فان الذين اوتوا العلم بعض المؤمنين ويجوزان يكون والذين اوتوا العلم من عطف الصفات اى تكون الصفتان لذات واحدة كانه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء ودرجات مفعول ثان وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله تعالى منكم وينتصب الذين اوتوا بفعل مضمر اى ويخص الذين اوتوا العلم درجات او ويرفع درجات قال المفسرون فى هذه الاية ان الله تعالى رفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم قال ابن مسعود مدح الله تعالى العلماء فى هذه الاية والمعنى ان الله تعالى يرفع الله الذين اوتوا العلم على الذين امنوا ولم يؤتوا العلم درجات فى دينهم اذا فعلوا ما امروا به وقال تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى وقل رب زدنى علما وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والايات فى ذلك كثيرة معلومة واما الاحاديث فكثيرة مشهورة منها من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وروى ان عمر رضى الله عنه كان يقدم عبد الله ابن عباس على الصحابة رضى الله تعالى عنهم فكلموه فى ذلك فدعاهم ودعاه فسألهم عن تفسير اذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال ابن عباس هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الله اياه فقال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا فى اثنتين رجل اتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الحق ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها والمراد بالحسد الغبطة وهى ان تتمنى مثله ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى كرم الله وجهه لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال من جاءه اجله وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام لم يفضله النبيون الا بدرجة واحدة ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وفى رواية كفضلى على ادناكم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اوحى الى ابراهيم عليه الصلوٰة والسلام انى عليم احب كل عليم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمنزلة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده احد المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون اليه والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمونه الجاهل فهؤلاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم والاحاديث فى ذلك كثيرة جدا واما اقوال السلف فلا تحصر فمنها ما قاله ابن عباس ان سليمان عليه السلام خير بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه ومما قاله بعض الحكماء ليت شعرى اى شئ ادرك

من فاته العلم واى شئ فات من ادرك العلم وما قاله الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز
لم يؤكد بعلم فالى ذل ما يصير وما قاله الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال وما قاله ابو مسلم
الخولانى مثل العلماء فى الارض مثل النجوم فى السماء اذا برزت للناس اهتدوا بها واذا خفيت عنهم
تحيروا وما قاله معاذ تعلم العلم فان تعلمه لك حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه
جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وما قاله على العلم خير من المال العلم يحرسك وانت
تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق وما قاله ابن عمر مجلس فقه خير من عبادة
ستين سنة وما قاله الشافعى من ان طلب العلم افضل من صلوة النافلة وقال ليس بعد الفرائض
افضل من طلب العلم وقال من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الاخرة فعليه بالعلم فانه يحتاج
اليه فى كل منهما وقد ذكرت فى اول شرح المنهاج من الاحاديث ومن اقوال السلف ما يسر الناظر
الراغب فى الخير وفيما ذكرته هنا كفاية لاولى الابصار والله اى والحال ان المحيط بكل شئ علما
وقدرة بما تعملون اى حال الامر وغيره خبير اى عالم بظاهره وباطنه فان كان العلم
مزينا بالعمل بامتثال الاوامر واجتناب النواهى وتصفية الباطن كانت الرفعة على حسبه
وان كان على غير ذلك فكذلك واختلف فى سبب نزول قوله تعالى يايها الذين امنوا اى ادعوا انهم
اوجدوا هذه الحقيقة اغنياء كانوا او فقراء اذا ناجيتم الرسول اى اردتم مناجاة الذى لا اكمل
منه فى الرسالة الاية فقال ابن عباس ان المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فكف كثير من الناس
وقال الحسن ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون بالنبى صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم
قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم فى النجوى فشق عليهم ذلك فامرهم الله تعالى بالصدقة عند
النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن اسلم ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبى صلى الله
عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع احدا من مناجاته فكان ذلك
يشق على المسلمين لان الشيطان كان يلقى فى انفسهم انهم يناجون ان جموعا اجتمعت
لقتال فنزلت يايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول اى اردتم مناجاته فقدموا اى بسبب
هذه الارادة وقوله تعالى بين يدى نجويكم استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم التى هى
سركم الذى تريدون ان ترفعوه صدقة لقول عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه
الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته والصدقة تكون
لكم برهانا على اخلاصكم كما ورد ان الصدقة برهان فهى مصدقة لكم فى دعوى الايمان بالله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به عن الله تعالى تنبيه + ظاهر الاية يدل على ان تقديم الصدقة
كان واجبا لان الامر للوجوب ويؤكد ذلك قوله تعالى بعده فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وقيل
كان مندوبا لقوله تعالى ذلك اى التصدق خير لكم واطهر اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا

انما يستعمل في التطوع لا في الواجب ولانه لو كان واجبا لما ازيل وجوبه والكلام متصل به وهو
قوله تعالى فان لم تجدوا والآية واجيب عن الاول بان المندوب كما يوصف بانه خير واطهر فكذلك
ايضا يوصف بهما الواجب وعن الثاني بانه لا يلزم من اتصال الآيتين في التلاوة كونهما متصلتين
في النزول كما قيل في الآية الدالة على وجوب الاعتداد اربعة اشهر وعشرا انها ناسخة للاعتداد بحول وان
كان الناسخ متقدما في التلاوة وعن علي انه قال لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك
اشتد عليهم فارتدعوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه واختلف في مقدار تاخر الناسخ
عن المنسوخ في هذه الآية فقال الكلبي ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال مقاتل
وابن حيان بقي ذلك التكليف عشرة ايام ثم نسخ لما روي عن علي انه قال ان في كتاب الله لآية ما عمل بها
احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وفي رواية
عنه فاشتريت به عشرة دراهم وكلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما
ثم نسخت فلم يعمل بها احد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا
فلم يناج احد الا علي تصدق بدينار وعدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال ان يكون لم يجد عند المناجاة
شيئا او ان لا يكون احتاج الى المناجاة ثم نزلت الرخصة وعن ابن عمر رضي الله عنه كان لعلي ثلاث
لو كان لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية
النجوى واختلف في الناسخ لذلك فقيل هي منسوخة بالزكوة واكثر المفسرين انها منسوخة بالآية
التي بعدها وهي ءاشفقتم كما سياتي وكان علي يقول وخفف عن هذه الامة فان لم تجدوا اي
ما تقدمونه فان الله اي الذي له جميع صفات الكمال غفور رحيم اي له صفتا الستر للمساوي والاكرام
باظهار المحاسن على الدوام فهو يعفو ويرحم تارة بقدم العقاب للعاصي وتارة بالتوسعة للضيق بان يبيح
ما يشق الى ما يخف وقوله تعالى ءاشفقتم اي خفتم العيلة لما يعدكم به الشيطان من الفقر وخوفا كادوا ان يفطر
قلوبكم ان تقدموا اي بالمداومة والتكرار وهم اخوانكم بين يدي نجواكم اي النبي صلى الله عليه وسلم صدقت وجمع
لانه اكثر توبيخا من حيث انه يدل على ان النجوى تتكرر واستفهام معناه التقرير وهو الناسخ عند الاكثر كما
مر وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وادخل بينهما الفا قالون
وابو عمرو وهشام والباقون بتحقيقهما ولا ادخال والاولى محققة بلا خلاف فاذ اي فحين لم تفعلوا
اي ما امرتكم به من الصدقة للنجوى بسبب هذا الاشفاق وتاب الله اي الملك الاعلى عليكم اي رجع بكم
عنها بان نسخها عنكم تخفيفا عليكم فاقيموا اي بسبب العفو عنكم شكرا اي على هذا الكرم والحلم
الصلوة التي هي طهرة لارواحكم وصلة لكم بربكم وآتوا الزكوة التي هي براءة لابدانكم وتطهير ونماء
لاموالكم وصلة لكم باخوانكم ولا تفرطوا في شيء من ذلك فتهملوه فالصلوة نور يهدي الى المقاصد
الدنيوية والاخروية ويعين على نوائب الدارين والصدقة برهان على صحة القصد في الصلوة

ثم عمم بعد ان خصص اشرف العبادات البدنية واعلى المناسك المالية بقوله تعالى وَأَطِيعُوا اللَّهَ اى الذى له الكمال كله وَرَسُولَهُ اى الذى عظمته من عظمته فى سائر ما يامركم به فانه تعالى ما امركم الا بحل اكرام رسولكم صلى الله عليه وسلم الا بالحنيفية السمحة وَاللَّهُ اى الذى احاط بكل شئ علما وقدرة خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ اى يعلم بواطنكم كما يعلم ظواهركم لا تخفى عليه خافية أَلَمْ تَرَ اى تنظر يا اشرف الخلق إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا اى تكلفوا بغاية جهدهم وهم المنافقون اى جعلوا اولياء هم الذين يتولون لهم امورهم قَوْمًا وهم اليهود وانبعوا عندهم العزة اغترارا بما يظهر لهم منهم من القوة غَضِبَ اللَّهُ اى الملك الاعلى الذى لا اند له عَلَيْهِمْ اى المتولى والمتولى لهم مَا هُمْ اى المنافقون مِنْكُمْ اى المؤمنين وَلَا مِنْهُمْ اى اليهود بل هم مذبذبون وزاد فى الشناعة عليهم باقبح الاشياء بقوله تعالى وَيَحْلِفُونَ اى المنافقون يجددون الحلف على الاستمرار ودل باداة الاستعلاء على انهم فى غاية الجراءة على استمرارهم على الايمان الكاذبة بان التقدير مجترئين عَلَى الْكَذِبِ فى دعوى الاسلام وغير ذلك مما يقعون فيه من عظائم الآثام فاذا عوتبوا عليه بادروا الى الايمان وَهُمْ يَعْلَمُونَ انهم كاذبون متعمدون روى ان عبد الله بن نبتل كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق العينين اسمر قصيرا خفيف اللحية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال النبى صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت أَعَدَّ اللَّهُ اى الذى له العظمة الباهرة فلا كفؤ له لَهُمْ عَذَابًا اى امرا قاطعا لكل عذوبة شَدِيدًا اى لا طاقة لهم به ثم علل عذابهم بما دل على انه واقع فى اثم مواقعة بقوله تعالى موكدا تقبيحا على من كان يستحسن فعالهم إِنَّهُمْ سَاءَ اى بلغ الغاية بما يسوء ودل على ان ذلك لهم كالجبلة بقوله تعالى مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى يجددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه قال الزمخشرى وهى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ اى الكاذبة التى لا يرعون على من فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان جُنَّةً وقاية وسترة من كل ما يفضحهم من النفاق كائنا ما كان فَصَدُّوا اى كان قبول ذلك منهم وتاخير عقابهم سببا لايقاعهم الصد عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ اى شرع الملك الاعلى الذى هو طريق الى رضوانه الذى هو سبب الفوز العظيم فانهم كانوا يثبطون من لقواعن الدخول فى الاسلام ويوهنون امره ويحقرونه ومن راهم قد خلصوا من المكاره بايمانهم الخائنة ودرت عليهم الارزاق اسندراجا وحصلت لهم الرفعة عند الناس بما يرضونه من اقوالهم المؤكدة بالايمان غره ذلك فاتبع سنتهم فى اقوالهم وافعالهم ونسج على منوالهم غرورا بظاهر امرهم معرضا عما توعدهم الله تعالى عليه من جزاء خداعهم وامرهم واجرى الامر على اسلوب التهكم باللام التى تكون فى المحبوب فقال تعالى فَلَهُمْ اى فتسبب عن صدهم انه كان لهم عَذَابٌ مُهِينٌ جزاء بما طلبوا بذلك الصد اعزازا نفسهم واهانة اهل الاسلام

لَنْ تُغْنِيَ اى بوجه من الوجوه عَنْهُمْ اَمْوَالُهُمْ اى فى الدنيا ولا فى الاخرة بالافتداء ولا بغيره وَلَا اَوْلَادُهُمْ اى بالنصرة والمدافعة مِنَ اللّٰهِ اى اغناء مبتدأ من الملك الاعلى شَيْئًا ولو قل جدا فهما اراد بهم سبحانه كان ونفذ ومضى لابد فعه شئ تكذيبا لمن قال منهم لئن كان يوم القيامة لنكونن اسعد فيه منكم كما نحن الان ولننجون بانفسنا واموالنا واولادنا اُولٰٓئِكَ اى البعداء من كل خير اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ اى خاصة فِيْهَا اى خاصة خٰلِدُوْنَ اى دائمون لازمون الى غير نهاية وقوله تعالى يَوْمَ منصوب باذكر اى واذكر يوم يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ اى الذى له جميع صفات الكمال جَمِيْعًا فلا يترك احدا منهم ولا من غيرهم الا اعاده الى ما كان قبل موته فَيَحْلِفُوْنَ اى فيتسبب عن ظهور القدرة التامة لهم ومعاينة ما كانوا يكذبون به انهم يحلفون لَهٗ اى لله فى الاخرة انهم مسلمون فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك كَمَا يَحْلِفُوْنَ لَكُمْ فى الدنيا انهم مثلكم وقال ابن عباس رضى الله عنهما يحلفون لله تعالى يوم القيامة كذبا كما حلفوا لاوليائه فى الدنيا وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وَيَحْسَبُوْنَ اى فى القيامة بايمانهم الكاذبة اَنَّهُمْ عَلٰى شَيْءٍ اى يحصل لهم به نفع بانكارهم وحلفهم وقيل يحسبون فى الدنيا انهم على شئ لانهم فى الاخرة يعلمون الحق باضطرار والاول اظهر والمعنى انهم لشدة توغلهم فى النفاق ظنوا يوم القيامة انهم يمكنهم ترويج كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب واليه الاشارة بقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد يوم القيامة اين خصماء الله تعالى فتقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة اعينهم مائل شدقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس رضى الله عنهما صدقوا والله اتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون انهم على شئ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها اَلَآ اِنَّهُمْ هُمُ الْكٰذِبُوْنَ المحكوم بكذبهم فى حسبانهم هم والله القدرية ثلاثا[عه] اِسْتَحْوَذَ اى استولى عَلَيْهِمُ الشَّيْطٰنُ مع انه طريد ومحترق ووصل منهم الى ما يريده وملكهم ملكا لم يبق لهم معه اختيار فصاروا رعيته وصار هو محيطا بهم من كل جهة غالبا عليهم ظاهرا وباطنا من قولهم حذت الابل وحذتها اذا استوليت عليها والحوذ ايضا السوق السريع ومنه الاحوذى الخفيف فى الشئ لحذقه واستحوذ مما جاء على الاصل وهو ثبوت الواو دون قلبها الفا فَاَنْسٰهُمْ اى فتسبب عن استحواذه عليهم ان انساهم ذِكْرَ اللّٰهِ اى الذى له الاسماء الحسنى والصفات العليا اُولٰٓئِكَ اى البعداء البغضاء حِزْبُ الشَّيْطٰنِ اى اتباعه وجنوده وطائفته واصحابه اَلَآ اِنَّ حِزْبَ الشَّيْطٰنِ اى الطريد المحترق هُمُ الْخٰسِرُوْنَ اى العريقون فى هذا الوصف لانهم لم يظفروا بغير الطرد والاحتراق اِنَّ الَّذِيْنَ يُحَآدُّوْنَ اللّٰهَ اى يفعلون مع الملك الاعظم الذى لا كفؤ له فعل من ينازع آخر فى الارض فيغلب على طائفة فيجعل لها حدا لا يتعداه خصمه وَرَسُوْلَهٗ اى الذى عظمته من عظمته اُولٰٓئِكَ اى البعداء البغضاء فِى الْاَذَلِّيْنَ اى فى جملة من هو اذل خلق الله تعالى واختلف فى معنى قوله عز وجل كَتَبَ اللّٰهُ اى الملك الذى لا كفؤ له

عه قوله هم والله القدرية الخ ولعله موقوف من كلام ابن عباس فى نقل النسخ من كلام جعله بعض

فقال اكثر المفسرين اى قضى الله عز وجل لاغلبن وقال قتادة كتب فى اللوح المحفوظ وقال الفراء
كتب بمعنى قال وقوله تعالى انا تاكيد ورسلى اى من بعث منهم بالحرب ومن بعث منهم بالحجة
فاذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة بالحرب كان اغلب واقوى وقال مقاتل قال المؤمنون لئن فتح
الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله
بن ابى ابن سلول اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا
من ان تظنوا فيهم ذلك فنزل لاغلبن انا ورسلى ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم
لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرأ نافع وابن عامر بفتح الياء والباقون بالسكون ان الله
الذى له الامر كله قوى اى على نصر اوليائه عزيز اى لا يغلب عليه فى مراده ثم نهى تعالى عن موالاة
اعداء الله تعالى بقوله سبحانه لا تجد اى بعد هذا البيان قوما اى ناسا لهم قوة على ما يريدون
يؤمنون اى يجددون الايمان ويديمونه بالله اى الذى له صفات الكمال واليوم الآخر الذى هو موضع
الجزاء لكل عامل بكل ما عمل الذى هو محط الحكمة يوادون اى يحصل منهم ود لا ظاهرا ولا باطنا
من حاد الله اى عادى بالمناصبة فى حدود الملك الاعلى ورسوله فان من حاده فقد حاد
الذى ارسله بل لا تجدهم الا يحادونهم لا انهم يوادونهم وزاد ذلك تاكيدا بقوله تعالى ولو كانوا آباءهم
اى الذين اوجب الله تعالى على الابناء طاعتهم فى المعروف وذلك كما فعل ابو عبيدة بن الجراح حيث
قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد او ابناءهم اى الذين حملوا على محبتهم ورحمتهم كما فعل
ابو بكر فانه دعا ابنه يوم بدر الى المبارزة وقال دعنى يا رسول الله اكن فى الرعلة الاولى فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى
او اخوانهم اى الذين هم اعضادهم كما فعل مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد
وخوف سعد بن ابى وقاص غير مرة فراغ منه روغان الثعلب فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عنه
وقال اتريد ان تقتل نفسك وقتل محمد بن مسلمة الانصارى اخاه من الرضاع كعب بن الاشرف
اليهودى رأس بنى النضير او عشيرتهم اى الذين هم انصارهم وامدادهم كما قتل عمر خاله
العاصى وهشام بن المغيرة يوم بدر وعلى وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا يوم بدر بنى عمهم
عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وعن الثورى ان السلف كانوا يرون ان الآية
نزلت فيمن يصحب السلطان اه ومدار ذلك على ان الانسان يقطع رجاءه من غير الله تعالى
وان لم يكن كذلك لم يكن مخلصا فى ايمانه * تنبيه * قدم الآباء اولا لانهم تجب طاعتهم
على ابنائهم وثنى بالابناء لانهم اعلق بالقلوب وهم حياتها ثم ثلث بالاخوان لانهم هم
الناصرون بمنزلة العضد من الذراع قال الشاعر * اخاك اخاك ان من لا اخا له
* كساع الى الهيجا بغير سلاح * وان ابن عم المرء فاعلم جناحه * وهل ينهض البازى بغير جناح
* ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد والمعنى ان الميل الى هؤلاء اعظم انواع المحبة ومع

هذا فيجب ان يكون هذا الميل مطروحا بسبب الدين قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه
الاية في ابي عبيدة بن الجراح لما قتل اباه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قتل خاله العاص ابن هشام
يوم بدر وروي انها نزلت في ابي بكر وذلك ان اباقحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه صكة
سقطت منها اسنانه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال او فعلت قال نعم قال لا تعد
اليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته فهؤلاء لم يوادوا اقاربهم قال
القرطبي استدل مالك بهذه الاية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال القرطبي وفي معنى اهل
القدر جميع اهل الظلم وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلا هذه
وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت الي لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر الاية اُولٰئِكَ اي العالو الهمة كَتَبَ اي اثبت قاله الربيع بن انس رضي الله عنه
وقيل خلق وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا وقوله تعالى فسأكتبها للذين
يتقون وقيل كتب فِي قُلُوبِهِمُ الْاِيْمَانَ بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم اي على قلوبهم كقوله تعالى
في جذوع النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان قال البيضاوي وهو دليل على خروج
العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه
وَاَيَّدَهُمْ اي وقواهم وشددهم وشرفهم بِرُوْحٍ اي نور شريف جدا يفهمون به ما اودع في كتابه وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم من نور العلم والعمل مِّنْهُ اي من الله تعالى احياهم به فلا انفكاك لذلك عنهم
في وقت من الاوقات فاثمر لهم استقامة المناهج ظاهرا وباطنا فعملوا الاعمال الصالحة فكانوا للدنيا
كالسرج فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله تعالى ومعاداة اعدائه بل هو عين
الاخلاص ومن جنح الى منحرف عن دينه او داهن مبتدعا في عقيدته نزع الله تعالى نور التوحيد
من قلبه قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان على انه في نفسه روح
لحياة القلوب به وقال ابن عباس رضي الله عنهما نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا لان
بها يحيا امرهم وقال الربيع بن انس رضي الله عنه بالقرآن وحججه وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى
وقيل برحمة وقيل ايدهم بجبريل عليه السلام وَيُدْخِلُهُمْ جَنّٰتٍ اي بساتين تستر داخلها من كثرة اشجارها
واخبر عن ريها بقوله تعالى تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا اي قصورها الْاَنْهٰرُ فهي بذلك كثيرة الرياض والاشجار وقال
تعالى خٰلِدِيْنَ فِيْهَا لان ذلك لا يلذ الا بالدوام وقال تعالى رَضِيَ اللّٰهُ اي الملك الاعظم عَنْهُمْ لان ذلك
لا يتم الا برضا مالكها الذي له الملك كله وَرَضُوْا عَنْهُ اي لانه اعطاهم فوق ما يؤملون اُولٰئِكَ اي الذين
هم في الدرجات العلى من العظمة لكونهم قصروا ودهم على الله تعالى علما منهم بانه ليس الضر والنفع
الا بيده حِزْبُ اللّٰهِ اي جند الملك الذي احاط بجميع صفات الكمال اَلَآ اِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ اي جند الملك
الاعلى وهم هؤلاء الموصوفون ومن والاهم هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ اي الذين حازوا الظفر بكل ما يؤملون
في الدارين وقد علم من الرضا من الجانبين والحزبية والافلاح عدم الانفكاك عن السعادة فاغنى

ذلك عن تقييد الخلود بالتابيد • فائدة • هذه السورة نصف القرآن عدداً وليس فيها اية الا وفيها
ذكر الجلالة الكريمة مرة او مرتين او ثلاثا وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيامة حديث موضوع والله تعالى اعلم

سورة الحشر مدنية

في قول الجميع وهي اربع وعشرون اية واربعمائة وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا
بِسْمِ اللَّهِ الملك الاعظم الذي لا خلف لميعاده الرَّحْمٰنِ الذي عمت نعمة ايجاده
الرَّحِيمِ الذي خص اهل وده بالتوفيق فهم اهل السعادة ولما ختمت المجادلة بانه يعز اهل
طاعته ويذل اهل معصيته تنزه عن النقائص تاييد الوعد بنصرهم فقال تعالى سَبَّحَ اى اوقع
التنزيه الاعظم عن كل شائبة نقص لِلَّهِ الذي احاط بجميع صفات الكمال مَا فِي السَّمٰوٰتِ
اى كلها وَمَا فِي الْأَرْضِ اى كذلك وقيل ان اللام مزيدة اى نزهه واتى بما تغليبا للاكثر
وجمع السماء لانها اجناس قيل بعضها من فضة وبعضها من غير ذلك وافرد الارض لانها جنس
واحد وَهُوَ اى والحال انه وحده الْعَزِيزُ الذي يغلب كل شئ ولا يمتنع عليه شئ الْحَكِيمُ
الذي نفذ علمه في الظواهر والبواطن واحاط بكل شئ فاتقن ما اراد فكل ما خلقه جعله على
وحدانيته دليلا والى بيان ماله من القدرة والحكمة سبيلا وقرأ قالون وابو عمرو والكسائى
بسكون الهاء والباقون بضمها قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما غزا بدرا
وظهر على المشركين قالوا هو النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون
ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة
فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودخل ابو سفيان في اربعين وكعب في اربعين من اليهود المسجد واخذ بعضهم على بعض الميثاق
بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه السلام واخبر النبي صلى الله
عليه وسلم بما عاقد عليه كعب وابو سفيان فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب
ابن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب وقالوا يا محمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية
قال نعم قالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة
فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن ابي
واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن

خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم
فارسلوا اليه ان اخرج فى ثلاثين رجلا من اصحابك ويخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف
بيننا وبينك فيسمعون منك فان صدقوك وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم
فى ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا كانوا فى براز من الارض قال بعض اليهود
لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون من رجال اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه
كيف نفهم ونحن ستون رجلا اخرج فى ثلاثة من اصحابك ونخرج اليك فى ثلاثة من علمائنا فيسمعون
منك فان امنوا بك امنا كلنا بك وصدقناك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة من اصحابه
واشتملوا على الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امراة ناصحة من
بنى النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبى صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم فلما كان الغد
عدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله فى قلوبهم
الرعب واليسوا من نصر المنافقين فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من
المدينة على ما يامرهم به النبى صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت
الابل من اموالهم الا الحلقة وهى السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر اموالهم قال ابن عباس
رضى الله عنهما على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبى صلى الله عليه وسلم
مابقى وقال الضحاك على كل ثلاثة نفر بعيرا ووسقا من طعام ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام

قوله على كل اثنين في النسخ ولعله على كل ثلاثة

الى اذرعات واريحاء الا اهل بيتين من آل بنى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت
طائفة بالحيرة فذلك قوله تعالى هُوَ اى وحده من غير ايجاف خيل ولا ركاب الَّذِىٓ اَخْرَجَ اى على
وجه القهر الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اى ستروا ما فى كتبهم من الشواهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه النبى الخاتم
وما فى فطرتهم الاولى من اتباع الحق مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ اى الذى انزله الله تعالى على رسوله موسى
صلى الله عليه وسلم وهم بنو النضير وفى التعبير بكفروا اشعار بانهم الذين ازالوا بالتبديل والاخفاء
ما قدروا عليه مما بقى من التورية مِنْ دِيَارِهِمْ اى مساكنهم بالمدينة عقوبة لهم لان الوطن عديل الروح
للبدن كالبدن للروح فكان الخروج منه فى غاية العسر قال ابن اسحٰق كان اجلاء بنى النضير مرجع النبى صلى الله
عليه وسلم من احد وفتح قريظة عند مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لِاَوَّلِ الْحَشْرِ هو حشرهم
الى الشام وآخره ان جلاهم عمر فى خلافته الى خيبر وقال مرة الهمدانى كان اول الحشر من المدينة
والحشر الثانى من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحا من الشام فى ايام عمر وقال القرطبى
الحشر الجمع وهو على اربعة اضرب حشران فى الدنيا وحشران فى الاخرة اما الذى فى الدنيا فقوله
تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر كانوا من سبط لم يصبهم
جلاء وكان الله تعالى قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم فى الدنيا وكان اول حشر فى الدنيا

الى الشام قال ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهم من شك ان المحشر فى الشام فليقرأ هذه الاية وان
النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر قال قتادة هذا اول الحشر
قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اول من حشر من اهل الكتاب واخرج من داره واما الحشر الثانى
فحشرهم قرب القيامة قال قتادة تاتى نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث
باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل من تخلف منهم وهذا ثابت فى الصحيح وذكروا ان تلك النار ترى
بالليل ولا ترى بالنهار وقال ابن العربى للحشر اول ووسط واخر فالاول جلاء بنى النضير والاوسط
جلاء خيبر والاخر حشر يوم القيامة وعن الحسن هم بنو قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة
ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبى مَا ظَنَنتُمْ ايها المؤمنون اَن يَخْرُجُوا اى يوقعوا الخروج من شئ
اورثتموه منهم لما كان لكم من الضعف ولهم من القوة لكثرتهم وشدة باسهم وقرب بنى قريظة
منهم واهل خيبر ايضا غير بعيدين عنهم وكلهم اهل ملتهم والمنافقون من انصارهم فخابت
ظنونهم فى جميع ذلك وَظَنُّوا اَنَّهُم وقوله تعالى مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم فيه وجهان احدهما ان
تكون حصونهم مبتدأ ومانعتهم خبرا مقدما والجملة خبر انهم الثانى ان تكون مانعتهم خبر انهم
وحصونهم فاعل به نحو ان زيدا قائم ابوه وان عمرا قائمة جاريته وجعله ابو حيان اولى لان
فى نحو قائم زيد على ان يكون خبرا مقدما ومبتدأ مؤخرا خلافا والكوفيون يمنعونه فمحل الوفاق
اولى وقال الزمخشرى فان قلت اى فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذى
جاء عليه قلت فى تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تصييرهم اسما لان
واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم ويطمع
فى معازتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم اه وهذا الذى ذكره انما ياتى على الاعراب الاول
وقد تقدم انه مرجوح ودل على ضعف عقولهم بان عبر عن جنده باسمه الاعظم بقوله تعالى مِّنَ اللهِ اى
الملك الاعظم الذى لا عز الا له فَاَتَاهُمُ اللهُ اى جاءهم الملك الاعظم الذى لا يحتملون مجيئه مِنْ حَيْثُ
لَمْ يَحْتَسِبُوا بما صور لهم من حقارة انفسهم على حبسها وهى خذلان المنافقين رعبا كرعبهم وقرأ حمزة
والكسائى بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بفتحها وَقَذَفَ اى انزل انزالا كانه
قذف بحجارة فثبت فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ اى الخوف الذى يسكنها بعد ان كان الشيطان زين لهم غير ذلك
وملأ قلوبهم من الاطماع الفارغة وقرأ فى قلوبهم الرعب وعليهم الجلاء ولاخوانهم الذين حمزة والكسائى
فى الوصل بضم الهاء والميم وابو عمرو بكسرهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم وحرك العين بالضم ابن عامر
والكسائى والباقون بالسكون ثم بين تعالى حالهم عند ذلك وفسر قذف الرعب بقوله تعالى
يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم اى لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره وقرأ ابو عمرو بفتح الخاء وتشديد الراء
والباقون بسكون الخاء وتخفيف الراء وهما بمعنى لان خرب عداه ابو عمرو بالتضعيف وهم بالهمزة وعن
ابى عمرو انه فرق بمعنى اخر فقال خرب بالتشديد هدم وافسد واخرب بالهمزة ترك الموضع خرابا وذهب عنه وهو

قول الفراء قال المبرد ولا اعلم لهذا وجها وزعم سيبويه انهما متعاقبان في بعض الكلام فيجرى كل واحد مجرى الآخر نحو فرحته وافرحته وقرأ ورش وابو عمرو وحفص بيوتهم بضم الباء الموحدة والباقون بكسرها بايديهم وايدى المؤمنين قال الزهرى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشبة في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقال قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا ما خرب من حصنهم وقال مقاتل ان المنافقين ارسلوا اليهم ان لا تخرجوا ودربوا عليهم الازقة وكان المسلمون سائر الجوانب فان قيل ما معنى تخريبها لها بايدى المؤمنين اجيب بانهم لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه وقال ابو عمرو بن العلاء بايديهم في تركهم لها وبايدى المؤمنين في اجلائهم عنها ولما كان في غاية الغرابة ان يعمل الانسان في نفسه كما يفعل فيه عدوه تسبب عن ذلك قوله فاعتبروا اى اجيلوا انفسكم بالامعان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى والاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شئ الى شئ ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمى علم التعبير لان صاحبه ينتقل من التخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعانى عن لسان القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره ولهذا قال القشيرى الاعتبار هو النظر في حقائق الاشياء وجهات دلالاتها ليعرف بالنظر فيها شئ آخر من جنسها ثم بين ان الاعتبار يحصل للاكمل بقوله تعالى يا اولى الابصار بالنظر بابصارهم وبصائرهم في غريب هذا الصنع لتحققوا به ما وعدكم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من اظهار دينه واعزاز نبيه ولا تعتمدوا على غير الله تعالى كما اعتمد هؤلاء على المنافقين فان من اعتمد على مخلوق اسلمه ذلك الى صغاره ومذلته ولولا ان كتب الله اى فرض فرضا حتما الملك الذى له الامر كله عليهم الجلاء اى الخروج من ديارهم والجولان في الارض فاما معظمهم فاجلاهم بختنصر من بلاد الشام الى العراق واما هؤلاء فحماهم الله تعالى بمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الجلاء وجعله على يده صلى الله عليه وسلم فاجلاهم فذهب بعضهم الى خيبر وبعضهم الى الشام مرة بعد مرة + تنبيه + قال الماوردى للجلاء اخص من الخروج لانه لا يقال الا للجماعة والاخراج يكون للجماعة والواحد وقال غيره الفرق بينهما ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد بخلاف الاخراج فانه لا يستلزم ذلك لعذبهم اى بالقتل والسبى في الدنيا كما فعل بقريظة من اليهود ولهم اى على كل حال اجلوا او تركوا في الآخرة التى هى دار البقاء عذاب النار وهو العذاب الاكبر ذلك اى الامر العظيم الذى فعله بهم من الجلاء ومقدماته في الدنيا ويفعله بهم في الآخرة بانهم شاقوا الله اى الملك الاعلى الذى له الاحاطة التامة فكانوا في شق غير شقه بان صاروا في شق الاعداء المحاربين بعد ما كانوا الموادعين وشاقوا رسوله اى

الذى ابداه له من اجله ومن يشاق الله اى يوقع فى الباطن مشاقة الملك الاعلى الذى لا كفؤ
له فى الماضى والحال والاستقبال فان الله اى المحيط بجميع العظمة شديد العقاب وذلك كما
فعل ببنى قريظة بعد هذا حيث نقضوا عهدهم واظهروا المشاقة فى غزوة الاحزاب وكما فعل باهل خيبر
وقوله تعالى ما شرطية فى موضع نصب بقوله تعالى قطعتم وقوله تعالى من لينة بيان له واختلف
فى معنى قوله تعالى من لينة فاكثر المفسرين على انها هى النخلة مطلقا كانهم اشتقوها من اللين قال
ذو الرمة شعر كان قتودى فوقها عش طائر + على لينة سوقاء تهفو جنوبها وقال الزهرى هى
النخلة ما لم تكن عجوة ولا برنية وقال جعفر بن محمد هى العجوة خاصة وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع
نوح عليه الصلوة والسلام فى السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة اصل الاناث كلها فلذلك
شق على اليهود قطعها حكاه الماوردى وقال سفيان هى ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد
الصفرة يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل هى
النخلة الكريمة اى القريبة من الارض وقيل هى الفسيلة اى بالفاء وهى صغار النخل لانها الين من
النخلة وقيل هى الاشجار كلها للينها بالحياة وقال الاصمعى هى الدقل قال ابن العربى والصحيح ما قاله
الزهرى ومالك وجمع اللينة لين لانه من باب اسم الجنس كتمرة وتمر وقد تكسر على ليان وهو شاذ
لان تكسير ما يفرق بتاء التانيث شاذ كرطبة ورطب وارطاب والضمير فى قوله تعالى او تركتموها قائمة
عائد على معنى ما ولما كان الترك يصدق ببقائها مغروسة او مقطوعة قال تعالى على اصولها
فباذن الله اى فقطعها بتمكين الملك الاعظم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل
ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله تعالى عند ذلك وقالوا
يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه
انزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك
فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم
بقطعه فانزل الله تعالى هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان
ذلك كان باذن الله وعن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير
وقطع واللام فى قوله تعالى وليخزى الفسقين متعلقة بمحذوف اى واذن فى قطعها ليخزى اليهود
فى اعتراضهم بان قطع الشجر المثمر فساد وليسر المؤمنين ويعزهم وليخزى الفاسقين فان قيل
لم خصت اللينة بالقطع اجيب بانه ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية
وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد واحتج بهذه الآية على ان حصون الكفرة
وديارهم يجوز هدمها وتحريقها وتغريقها وان ترمى بالمناجيق وكذا اشجارهم وعن ابن
مسعود انهم قطعوا منها ما كان موضعا للقتال وروى ان رجلين كانا يقطعان احدهما
العجوة والآخر اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله صلى الله

عليه وسلم وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضور
النبي صلى الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب وقال
الكيا الطبري وان كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم
ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من تقريره فقط قال
ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا اجتهاد مع حضوره صلى الله
عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذا بعموم الادلة للكفار
دخولا للاذن في الكل بما يقضي عليهم بالبوار وذلك قوله تعالى وليخزي الفاسقين وَمَآ اَفَآءَ اللّٰهُ
اي رد الملك الذي له الامر كله ردا سهلا بعد ان كان في غاية العسر والصعوبة عَلٰى رَسُوْلِهٖ فصيره
في يده بعد ان كان خروجه عنها بوضع ايدي الكفرة عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير بالفيء
الذي هو عود الظل الى الناحية التي كان ابتدأ منها مِنْهُمْ اي رده ابتداء من الفاسقين فبين تعالى ان هذا
فيء لا غنيمة ويدخل في الفيء اموال من مات منهم بلا وارث وكذا الفاضل عن وارث له غير حائز وكذا
الجزية وعشر تجاراتهم وما جلوا اي تفرقوا عنه ولو لغير خوف كضر اصابهم واما الغنيمة فهي ما حصل لنا
من الحربيين مما هو لهم بايجاف حتى ما حصل بسرقة او التقاط وكذا ما انهزموا عنه عند التقاء
الصفين ولو قبل شهر السلاح او اهداه الكافر لنا والحرب قائمة ولم تحل الغنائم لاحد قبل
الاسلام بل كانت الانبياء اذا غنموا مالا جمعوه فتاتي نار من السماء فتاخذه ثم احلت لنبينا صلى الله
عليه وسلم وكانت في صدر الاسلام له خاصة لانه كالمقاتلين كلهم نصرة وشجاعة بل اعظم ثم نسخ
ذلك واستقر الامر على ما هو في سورة الانفال في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الآية واما الفيء
فهو مذكور هنا بقوله تعالى فَمَآ اَوْجَفْتُمْ اي اسرعتم يا مسلمين عَلَيْهِ ومن في قوله تعالى مِنْ خَيْلٍ
مزيدة اي خيلا واكد باعادة النافي دفعا لظن من ظن انه غنيمة لاحاطتهم به بقوله تعالى وَّلَا رِكَابٍ
والركاب الابل غلب ذلك عليها من بين المركوبات واحدها راحلة ولا واحد لها من لفظها وقال
الرازي العرب لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا والمعنى
لم تقطعوا اليها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة فانها كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء فمشوا اليها
مشيا ولم يركبوا اليها خيلا ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم ركب جملا وقيل حمارا مخطوما بليف
فافتتحها صلحا قال الرازي ان الصحابة طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يقسم الفيء بينهم كما قسم
الغنيمة بينهم فذكر الله تعالى الفرق بين الامرين وان الغنيمة هي التي تعبتم انفسكم في تحصيلها واما
الفيء فلم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكان الامر مفوضا فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث
يشاء وَلٰكِنَّ اللّٰهَ اي الذي له الامر كله فلا كفؤ له يُسَلِّطُ رُسُلَهٗ اي له هذه السنة في كل زمن عَلٰى مَنْ
يَّشَآءُ بجعل ما اتاهم سبحانه من الهيبة رعبا في قلوب اعدائه وَاللّٰهُ اي الملك الذي له
الكمال كله عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ يصح ان تتعلق المشيئة به وهو كل ممكن من التسليط وغيره قَدِيْرٌ

اى بالغ القدرة الى اقصى الغايات فلا حق لكم فيه ويختص به النبى صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه فى الآية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان عليه القسمة من ان لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقى يفعل فيه ما يشاء ثم بين تعالى مصرف الفئ بقوله تعالى مَا أَفَاءَ اللّٰهُ اى الذى اختص بالعزة والقدرة والحكمة عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ اى قرية بنى النضير وغيرها من وادى القرى والصفراء وينبع وما هنالك من قرى العرب التى تسمى قرى عربية فيخمس ذلك خمسة اخماس وان لم يكن فى الآية تخميس فانه مذكور فى آية الغنيمة فحمل المطلق على المقيد وكان صلى الله عليه وسلم يقسم له اربعة اخماسه وخمس خمسه ولكل من الاربعة المذكورين معه خمس خمس وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح فقوله تعالى فَلِلّٰهِ اى الملك الاعلى الذى كله بيده ذلك للتبرك فان كل امر لا يبدأ فيه به فهو اجذم وَلِلرَّسُولِ اى الذى عظمته من عظمته تعالى وقد تقدم ما كان له صلى الله عليه وسلم واما بعده صلى الله عليه وسلم فيصرف ما كان له من خمس الخمس لمصالح المسلمين وسد ثغور وقضاة وعلماء بعلوم تتعلق بمصالح المسلمين كتفسير وقراءة والمراد بالقضاة غير قضاة العساكر اما قضاته وهم الذين يحكمون لاهل الفئ فى مغزاهم فيرزقون من الاخماس الاربعة لا من خمس الخمس يقدم وجوبا الاهم فالاهم واما الاربعة المذكورة معه صلى الله عليه وسلم فاولها المذكور فى قوله تعالى وَلِذِي الْقُرْبَىٰ اى منه وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب لاقتصاره صلى الله عليه وسلم فى القسم عليهم مع سؤال غيرهم من بنى عميهم نوفل وعبد شمس له ولقوله صلى الله عليه وسلم اما بنو هاشم وبنو المطلب فشئ واحد وشبك بين اصابعه فيعطون ولو اغنياء لانه صلى الله عليه وسلم اعطى العباس وكان غنيا ويفضل الذكر على الانثى كالارث فله سهمان ولها سهم لانه عطية من الله تعالى يستحق بقرابة الاب كالارث سواء الكبير والصغير والعبرة بالانتساب الى الآباء فلا يعطى اولاد البنات من بنى هاشم والمطلب شيئا لانه صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان مع ان ام كل منهما كانت هاشمية وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين وابو عمرو بين بين والباقون بالفتح وخالفهم ابو عمرو فى واليتامى ثانيها المذكور فى قوله تعالى وَالْيَتَامَىٰ اى الفقراء منا لان لفظ اليتيم يشعر بالحاجة لانه مال ونحوه اخذ من الكفار فاختص كسهم المصالح واليتيم صغير ولو انثى لخبر لا يتم بعد احتلام رواه ابو داود وحسنه النووى وان ضعفه غيره لا اب له وان كان له ام وحد اليتيم فى البهائم من فقد امه وفى الطيور من فقد اباه وامه ومن فقد امه فقط من الآدميين يقال له منقطع ثالثها المذكور فى قوله تعالى وَالْمَسَاكِينِ الصادقين بالفقراء وهم اهل الحاجة منا وتقدم تعريفهما فى سورة الانفال وكذا التعريف الرابع المذكور فى قوله تعالى وَابْنِ السَّبِيلِ اى الطريق الفقير منا ذكورا كانوا او اناثا ولو اجتمع فى واحد من هذه الاصناف يتم ومسكنة اعطى باليتم فقط لانه وصف لازم والمسكنة زائلة وللامام التسوية والتفضيل بحسب الحاجة ويعم الامام ولو نائبه الاصناف الاربعة الاخيرة بالاعطاء وجوبا لعموم الآية فلا يخص

الحاضر موضع حصول الفيء ثلاثة في كل ناحية منهم بالحاصل فيها نعم لو كان الحاصل لا يسد مسدا
بالتعميم قدم الاحوج فالاحوج ولا يعم للضرورة ومن فقد من الاربعة صرف نصيبه للباقين منهم
واما اخماس الاربعة فهي للمرتزقة وهم المرصدون للجهاد بتعيين الامام لهم يعمل الاولين به بخلاف
المتطوعة فلا يعطون من الفيء بل من الزكوة عكس المرتزقة ويشترك المرتزقة قضاتهم كما مر وائمتهم
ومؤذنوهم وعمالهم ويجب على الامام ان يعطي كلا من المرتزقة بقدر حاجة مؤنة من نفسه وغيرها
كزوجاته ليتفرغ للجهاد ويراعي في الحاجة الزمان والمكان والرخص والغلاء وعادة الشخص مروة
وضدها ويزاد ان زادت حاجته بزيادة ولد او حدوث زوجة فاكثر ومن لا عبد له يعطي من العبيد ما يحتاجه
للقتال معه او لخدمته ان كان ممن يخدم ويعطي مؤنته ومن يقاتل فارسا ولا فرس له يعطي من الخيل
ما يحتاجه للقتال ويعطي مؤنته بخلاف الزوجات يعطي لهن مطلقا لانحصارهن في اربع ثم ما يدفعه
اليه لزوجته وولده الملك فيه لهما حاصل من الفيء وقيل يملكه هو ويصير اليهما من جهته فان مات
اعطى الامام اصوله وزوجاته وبناته الى ان يستغنوا ويسن ان يضع الامام ديوانا وهو الدفتر الذي
يثبت فيه اسماء المرتزقة واول من وضعه عمر رضي الله عنه وان ينصب لكل جمع عريفا وان يقدم
في اسم واعطاء قريشا لشرفهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ولخبر قدموا قريشا وان يقدم منهم بني هاشم
وبني المطلب فبني عبد شمس فبني عبد العزى فسائر بطون العرب الاقرب فالاقرب الى النبي
صلى الله عليه وسلم فسائر العرب فالعجم ولا يثبت في الديوان من لا يصلح ومن مرض فكصحيح
وان لم يرج برؤه ويمحى اسم كل من لم يرج وما فضل عنهم وزع عليهم بقدر مؤنتهم وللامام صرف بعضه
في ثغور وسلاح وخيل ونحوها وله وقف عقار فيء او بيعه وقسم غلته او ثمنه كقسم المنقول اربعة
اخماسه للمرتزقة وخمسه للمصالح وله ايضا قسمه كالمنقول لكن خمس الخمس الذي للمصالح لا سبيل
الى قسمته ولما حكم سبحانه هذا الحكم في الفيء المخالف لما كانوا عليه في الجاهلية من اختصاص الاغنياء
به بين علته المظهرة لعظمته بقوله تعالى كَيْ لَا يَكُونَ اي الفيء الذي يسره الله تعالى بقوته من قذف
الرعب في قلوب اعدائه ومن حقه ان يعطاه الفقراء دُولَةً اي متداولا بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ
اي يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية فانهم كانوا يقولون من عز بز ومنه قول
الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستاثر به وقرأ هشام
بخلاف عنه تكون بالتانيث دولة بالرفع والباقون بالتذكير والنصب فاما الرفع فعلى ان كان
تامة واما التانيث والتذكير فواضحان لانه تانيث مجازي واما النصب فعلى انها الناقصة
واسمها ضمير عائد على الفيء والتذكير واجب لتذكير المرفوع ودولة خبرها وقيل دولة عائد على
ما اعتبارا بلفظها وكي لا هنا مقطوعة في الرسم وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ اي وكل شيء احضره لكم الكامل
في الرسالة من الغنيمة او مال الفيء او غيره فَخُذُوهُ اي فاقبلوه لانه حلال لكم وتمسكوا به فانه
واجب الطاعة وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ اي من جميع الاشياء فَانْتَهُوا لانه لا ينطق عن الهوى ولا يقول

ولا يفعل الا ما امر به ربه عز وجل + تنبيه + هذه الاية تدل على ان كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى لان الاية وان كانت في الغنائم فجميع اوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل تقرا علي بهذا اية من كتاب الله تعالى قال نعم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله بن محمد بن هرون الفريابي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عما شئتم اخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن اسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب انه امر بقتل الزنبور وهذا الجواب في غاية الحسن افتى بقتل الزنبور في الاحرام وبين انه يقتدي فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاقتداء به وان الله تعالى امر بقبول ما يقوله صلى الله عليه وسلم فجواز قتله من الكتاب والسنة وسئل عكرمة عن امهات الاولاد هل هن احرار فقال في سورة النساء في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله تعالى فبلغ ذلك امرأة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت فقالت بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لئن كنت قرأتيه فقد وجدتيه اما قرأت وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث + فائدة + الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بالكحل والمستوشمة هي التي تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل تتفلج في مشيها في كل شيء منهي عنه وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح والهمزة ممدودة بلا خلاف فيه لانها بمعنى الاعطاء واتقوا الله اي واجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب الملك الاعظم المحيط علما وقدرة وعلل ذلك بقوله تعالى ان الله اي الذي له الجلال والاكرام على الاطلاق شديد العقاب اي العذاب الواقع بعد الذنب قال البقاعي ومن زعم ان شيئا مما في هذه السورة نسخ بشيء مما في سورة الانفال فقد اخطأ لان الانفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة وقوله تعالى للفقراء اي الذين كان الانسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويتخذ الحفرة في الشتاء لتقيه البرد وماله دثار غيرها بدل من لذي القربى وما عطف عليه

قاله الزمخشري والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقراء في قوله تعالى وينصرون
الله ورسوله ولانه تعالى يترفع برسوله صلى الله عليه وسلم عن تسميته بالفقير وقال غيره انه خبر لمبتدأ
محذوف اي ولكن الفيء للفقراء وقيل تقديره ولكن يكون للفقراء وقيل تقديره اعجبوا للفقراء واقتصر على
هذا التقدير الجلال المحلي وانما جعله الزمخشري بدلا من لذي القربى لانه حنفي والحنفية يشترطون
الفقر في اعطاء ذوي القربى من الفيء ولذا قال البيضاوي ومن اعطى اغنياء ذوي القربى اي
كالشافعي خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير اه او انهم كانوا عند نزول الآية
كذلك ثم خصص بالوصف بقوله تعالى الْمُهَاجِرِينَ وقيد ذلك بقوله تعالى الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
لان الهجرة قد تطلق على من هجر اهل الكفر من غير مفارقة الوطن وقوله تعالى وَأَمْوَالِهِمْ اشارة
الى ان المال لما كان يستره الانسان كان كانه ظرف له ولما كان طلب الدنيا من النقائص
بين انه اذا كان من الله لم يكن كذلك وانه لا يكون قادحا في الاخلاص فقال تعالى يَبْتَغُونَ اي
اخرجوا حال كونهم يطلبون على وجه الاجتهاد وبين انه لا يجب عليه سبحانه لاحد شيء بقوله
تعالى فَضْلًا مِنَ اللَّهِ اي الملك الاعظم الذي لا كفء له لانه المختص بجميع صفات الكمال فيغنيهم
بفضله عمن سواه وَرِضْوَانًا بان يوفقهم لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم في العوض منه قادحا
في الاخلاص فيوصلهم الى دار كرامته وقرأ شعبة بضم الراء والباقون بكسرها وَيَنْصُرُونَ اي على
سبيل التجديد والاستمرار اللَّهَ اي دين الملك الاعظم وَرَسُولَهُ الذي عظمته من عظمته بانفسهم
واموالهم ليضمحل حزب الشيطان أُولَئِكَ اي العالو الرتبة في الاخلاق الفاضلة هُمُ الصَّادِقُونَ
اي العريقون في هذا الوصف لان مهاجرتهم لما ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه
من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من عاداهما ووالوا اولياءهما وان
بعدت دارهم وشط مزارهم ثم اتبع ذكر المهاجرين بذكر الانصار الذين كانوا في كل حال معه صلى الله
عليه وسلم كالميت بين يدي الغاسل مهما شاء فعل ومهما اراد منهم صاروا اليه بقوله تعالى
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا اي جعلوا بغاية جهدهم الدَّارَ اي الكاملة في الدور التي جعلها الله تعالى في الازل
للهجرة وهيأها للنصرة وجعلها محل اقامتهم وفي قوله تعالى وَالْإِيمَانَ اوجه احدها انه ضمن تبوؤا
معنى لزموا فيصح عطف الايمان عليه اذ الايمان لا يتبوأ ثانيها انه منصوب بمقدر اي واعتقدوا
او والفوا او واحبوا او واخلصوا كقول القائل * علفتها تبنا وماء باردا * وقول الآخر * ومتقلدا سيفا
ورمحا * ثالثها انه يتجوز في الايمان فيجعل لاختلاطه بهم وثباتهم عليه كالمكان المحيط فكانهم
نزلوه وعلى هذا فيكون جمعا بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور رابعها ان
يكون الاصل دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه
وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه خامسها ان يكون سمى المدينة به

لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان قال هذين الوجهين الزمخشري وليس فيه الا قيام ال مقام
المضاف اليه وهو محل خلاف وهو ان ال هل تقوم مقام الضمير المضاف اليه فالكوفيون يجوّزونه
كقوله تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواه والبصريون يمنعونه ويقولون الضمير محذوف اي المأوى
له واما كونها عوضا عن المضاف اليه فقال ابن عادل لا نعرف فيه خلافا والسادس انه منصوب
على المفعول معه اي مع الايمان قال وهب سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق
فقال ان المدينة تبوّئت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرأ والذين
تبوّؤا الدار والايمان مِنْ قَبْلِهِمْ اي وهم الانصار يُحِبُّونَ اي على سبيل التجديد والاستمرار مَنْ هَاجَرَ
وزادهم محبة فيهم بقوله تعالى إِلَيْهِمْ لان القصد الى الانسان يوجب حقه عليه لانه لولا كمال محبته
له ما خصه بالقصد اليه وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ اي التي هي مساكن قلوبهم فضلا عن ان تنطق
السنتهم حَاجَةً قال الحسن حسدا وحزازة وغيظا مِمَّا أُوتُوا اي اتى النبي المهاجرين من اموال
بني النضير وغيرهم واطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحزازة لان هذه الاشياء لا تنفك عن الحاجة
فاطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكناية فعلى هذا يكون الضمير الاول للجائين بعد المهاجرين
وفي اوتوا للمهاجرين وقيل ان الحاجة هنا على بابها من الاحتياج الا انها واقعة موقع المحتاج اليه
ولا يجدون طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفئ وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة تقول
خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته قاله الزمخشري والضميران على ما تقدم وقال ابو البقاء
مس حاجة اي انه حذف المضاف للعلم به وعلى هذا فالضميران للذين تبوّؤا الدار والايمان قال
القرطبي كان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم اموال بني النضير دعا الانصار
وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم منازلهم واشراكهم في الاموال ثم قال صلى الله عليه وسلم
ان احببتم قسمت ما افاء الله علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى
في مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل
تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث
بن الصمة ولما اخبر تعالى عن تخليهم عن الرذائل اتبعه الاخبار بتحليهم بالفضائل فقال عز من قائل
وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فيبذلون لغيرهم كائنا من كان ما في ايديهم فان الايثار تقديم الغير على النفس
وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الاخروية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر
على المشقة وذكر النفس دليل على انهم في غاية النزاهة عن الرذائل فان النفس اذا طهرت كان
القلب اطهر واكد ذلك بقوله تعالى وَلَوْ كَانَ اي كونا هو في غاية المكنة بِهِمْ اي خاصة
لا بالمؤثر خَصَاصَةٌ اي فقر وحاجة الى ما يؤثرون به روى عن ابي هريرة ان رجلا بات به ضيف

ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نومي الصبية واطفئ السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الاية وعنه ايضا قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشئ فاذا دخل ضيفنا فاطفئ السراج وذكر نحو الحديث الاول وفي رواية فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فانطلق به الى رحله وذكر المهدوي انها نزلت في ثابت بن قيس ورجل من الانصار يقال له ابو المتوكل ولم يكن عنده الا قوته وذكر القشيري قال اهدى لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعثها اليهم فلم يزل يبعث بها واحد الى اخر حتى تداولها سبعة ابيات حتى رجعت الى الاول فنزلت الاية وذكر القرطبي عن انس قال اهدى لرجل من الصحابة راس شاة وكان مجهودا فوجه بها الى جار له فتداولها سبعة انفس في سبعة ابيات ثم عادت الى الاول فنزلت فان قيل قد صح في الخبر النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء اجيب بان محل النهي فيمن لا يوثق منه بالصبر على الفقر وخاف ان يتعرض للمسئلة اذا فقد ما ينفقه فاما الانصار الذين اثنى الله تعالى عليهم بالايثار على انفسهم فكانوا كما قال تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس فكان الايثار فيهم افضل من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسئلة اولى من الايثار كما روى ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال ياتي احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال + والجود بالنفس اعلى غاية الجود + وافضل من الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين ان ابا طلحة ترس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي فاذا رجل يقول آه آه فاشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاصي فقلت اسقيك فاشار ان نعم فسمع اخر يقول آه آه فاشار هشام ان انطلق اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال ابو يزيد البسطامي ما غلبني احد ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم الينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا وسئل ذو النون ما حد الزهد قال ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت وحكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري وبينهم ارغفة معدودة لا تشبع

حبيبهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم ياكل احد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ اى يجعل بينه وبين اخذه فه الذميمة المشار اليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها فلا يكون مانعا لما عنده حريصا على ما عند غيره حسدا قال ابن عمر الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال القرطبي الشح والبخل سواء وجعل بعض اهل اللغة الشح اشد من البخل وفى الصحاح الشح البخل مع حرص والمراد بالشح فى الاية الشح بالزكوة وما ليس بفرض من صلة ذوى الارحام والضيافة وما شاكل ذلك وليس بشحيح ولا بخيل من انفق فى ذلك وان امسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكر من الزكوة والطاعات فلم يوق شح نفسه روى الاموى عن ابن مسعود ان رجلا اتاه فقال انى اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه وانا رجل شحيح لا اكاد اخرج من يدى شيئا فقال ابن مسعود ليس ذلك الذى ذكر الله تعالى انما الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل ففرق بين الشح والبخل وقال طاؤس البخل ان يبخل الانسان بما فى يده والشح ان يشح بما فى ايدى الناس يحب ان يكون له ما فى ايديهم بالحل والحرام فلا يقنع وقال بعضهم ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح منع الزكوة وادخار الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم وقال ابن عباس رضى الله عنهما من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال ابن زيد من لم ياخذ شيئا نهاه الله تعالى عنه ولم يمنع شيئا امره الله تعالى باعطائه فقد وقاه الله تعالى شح نفسه وعن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال برئ من الشح من ادى الزكوة واقرى الضيف واعطى فى النائبة وعنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم انى اعوذ بك من شح نفسى واسرافها وسوئها وقال ابن الهياج الاسدى رايت رجلا فى الطواف يدعو اللهم قنى شح نفسى لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسى لم اسرق ولم ازن ولم اقتل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف قال القرطبى ونزل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد ابدا وقال كسرى لاصحابه اى شئ اضر بابن ادم قالوا الفقر فقال الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع ابدا فَأُولَٰئِكَ اى العالو المنزلة هُمُ الْمُفْلِحُونَ اى الكاملون فى الفوز بكل مراد قال القشيرى ويقال الشح بالقلب من الاعراض والاملاك صفة السادة والاكابر لا من اسوته الاحطاد ولما اثنى سبحانه وتعالى على المهاجرين والانصار بما هم عليه واهله اشحهم ذكر التابعين لهم باحسان الى يوم الدين فقال تعالى وَالَّذِينَ جَاءُوا اى من اى طائفة كانوا اصلا مِنْ بَعْدِهِمْ اى بعد المهاجرين والانصار وهم من امن

بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعد ايمان الانصار الذين اسلموا امر النبيّ صلى الله عليه وسلم الى يوم
القيامة يَقُولُونَ على سبيل التجديد والاستمرار تعمد بقالا بما نهم بدعائهم رَبَّنَا اى ايها المحسن الينا
بايجاد من مهد الدين قبلنا اغْفِرْ لَنَا اى اوقع ستر النقائص آثارها واعيانها وَلِإِخْوَانِنَا اى فى الدين
فانهم اعظم اخوة وبينوا العلة بقولهم الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ قال ابن ابى ليلى الناس على ثلاثة
منازل المهاجرين والذين تبوّؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد ان لا تخرج
من هذه المنازل وقال بعضهم كن مهاجرا فان قلت لا اجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل باعمالهم
فان لم تستطع فاحبهم واستغفر لهم كما امر الله تعالى وقال مصعب بن سعد الناس على ثلاث منازل
فمضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما انتم عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التى بقيت وعن جعفر بن محمد
عن ابيه عن جده انه جاءه رجل فقال له يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول فى عثمان
فقال له يا اخى انت من قوم قال الله تعالى فيهم للفقراء المهاجرين الاية قال لا قال فانت من قوم
قال الله تعالى فيهم والذين تبوّؤا الدار والايمان الاية قال لا قال فوالله ان لم تكن من اهل الاية الثالثة
لتخرجن من الاسلام وهى قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم الاية وروى ان نفرا من اهل العراق
جاؤا الى محمد بن على بن الحسين فسبوا ابا بكر وعمر وعثمان فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين
انتم فقالوا لا فقال امن الذين تبوّؤا الدار والايمان قالوا لا فقال فقد تبرأتم من هذين الفريقين انا
اشهد انكم لستم من الذين قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم قوموا فعل الله بكم وفعل
تنبيه: هذه الاية دليل على وجوب محبة الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين لانه جعل لمن
بعدهم حظا فى الفىء ما اقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ومن ابغضهم او واحدا منهم
او اعتقد فيهم شرا انه لا حق له فى الفىء قال مالك من كان يبغض احدا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم او كان فى قلبه لهم غل فليس له حق فى فىء المسلمين ثم قرأ والذين جاؤا من بعدهم الاية وهى عامة
فى جميع التابعين الآتين بعدهم الى يوم القيامة وروى ان النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال
السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت لو رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله
السنا اخوانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انتم اصحابى واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا فرطهم
على الحوض فبين صلى الله عليه وسلم ان اخوانه كل من اتى بعدهم كما قال السدى والكلبى انهم الذين
هاجروا بعد ذلك وعن الحسن ايضا ان الذين جاؤا من بعدهم من قصد الى النبيّ صلى الله عليه وسلم
الى المدينة بعد انقطاع الهجرة وانما بدؤا فى الدعاء بانفسهم لقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك
وقال الشعبى تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل
ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسئلت
الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم فسبوهم
وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن

اخرها اولها اعاذنا الله تعالى ومحبينا من الاهواء المضلة ولا تجعل في قلوبنا غلا اي ضغنا وحسدا وحقدا وهو حرارة وغليان يوجب الانتقام للذين امنوا اي اقروا بالايمان وان كانوا في ادنى درجاته وفيه دوا القلب لان رذائل النفس قل ان تنفك وانها ان كانت مع صحة القلب وشك ان لا تؤثر ربنا اي ايها المحسن الينا بتعليم ما لم نكن نعلم واكد واعلاما بانهم يعتقدون ما يقولون بقولهم انك رءوف اي راحم اشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة بفعل من افعال الخير رحيم مكرم غاية الاكرام لمن اردت ولو لم يكن له وصلة فانت جدير بان تجيبنا لانا بين ان نكون لنا وصلة فنكون من اهل الرافة او لا فنكون من اهل الرحمة فقد افادت هذه الاية ان من كان في قلبه غل على احد من الصحابة فليس ممن عنى الله تعالى بهذه الاية وقرأ ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بكسر الهمزة وابا قون بمدها ولما ذكر حال المؤمنين اتبعهم بذكر حال المنافقين فقال تعالى الم تر اي تعلم علما هو في غاية الجزم كالمشاهدة يا اعلى الخلق ويبين بعدهم عن جنابه العالي ومنصبه الشريف العالي باداة الانتهاء فقال تعالى الى الذين نافقوا اي اظهروا غير ما اضمروا وبالغوا في اخفاء عقائدهم وهم عبد الله بن ابي ابن سلول واصحابه قالوا والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبله وهو استعارة من الضب في نافقائه وقاصعائه وصور حالهم بقوله تعالى يقولون لاخوانهم الذين كفروا اي غطوا انوار المعارف التي دلتهم على الحق من اهل الكتاب وهم اليهود من بني قريظة والنضير والاخوة هم الاخوة وهي هنا تحتمل وجوها احدها الاخوة في الاخرة لان اليهود والمنافقين اشتركوا في عموم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الاخوة بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة وثالثها الاخوة بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود لئن اخرجتم اي من مخرج ما من المدينة لنخرجن معكم اي منها ولا نطيع فيكم اي في خذلانكم احدا اي يريد خذلانكم من الرسول والمؤمنين واكدوا بقولهم ابدا اي ما دمنا نعيش ومثل هذا العزم يستحق الكافر الخلود الابدي في العذاب وان قوتلتم اي من اي مقاتل كان يقاتلكم ولم تخرجوا لننصرنكم اي لنعيننكم ولنقاتلن معكم ولما كان قولهم هذا كلاما يقضي عليه سامعه بالصدق من حيث كونه مؤكدا مع كونه مبتدأ من غير سؤال فيه بين حاله سبحانه بقوله تعالى والله اي يقولون ذلك والحال ان المحيط بكل شيء قدرة وعلما يشهد انهم اي المنافقين لكاذبون اي فيما قالوا ووعدوا وهذا من اعظم دلائل النبوة لانه اخبار بغيب بعيد عن العادة ثم اخبر تعالى عن حال المنافقين بقوله تعالى لئن اخرجوا اي بنو النضير من اي مخرج كان لا يخرجون اي المنافقون معهم اي بهمة لهم لاسباب يعلمها الله تعالى ولئن قوتلوا اي اليهود من اي مقاتل كان فكيف باشجع الخلق واعلمهم صلى الله عليه وسلم لا ينصرونهم اي المنافقون ولقد صدق الله تعالى وكذبوا في الامرين معا القتال والاخراج لا نصروهم ولا خرجوا معهم فكان ذلك من اعلام النبوة وعلم به من كان شاكا فضلا عن الموقنين ولئن نصروهم اي المنافقون في وقت من الاوقات ليولن اي

المنافقون ومن ينصرونه وحقرهم بقوله تعالى الأدبار اى ولو قدر وجود نصرهم لو لو الادبار منهزمين
ثم لا ينصرون اى لا يتجدد لفريقيهم ولا لواحد منهما نصرة فى وقت من الاوقات ولم يزل المنافقون
واليهود فى الذل لأنتم ايها المؤمنون اشد رهبة اى خوفا فى صدورهم اى اليهود ومن ينصرهم من الله
اى لتأخير عذابه واصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم
ويخافون منكم اشد الخوف واشد من رهبتهم من الله لما مر ذلك اى الامر الغريب وهو خوفهم الثابت
اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف الرؤيتهم له وعدم خوفهم من الخالق على ما له من العظمة فى ذاته
ولكونه غيبا عنهم بانهم قوم اى على ما لهم من القوة لا يفقهون اى لا يتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم
على مكرهم فى وقت من الاوقات فهم يتشرح صدورهم ليدركوا به ان الله تعالى هو الذى ينبغى ان يخشى
لا غيره بل هم كالانعام لا نظر لهم الى الغيب انما هم مع المحسوسات والفقه هو العلم بمفهوم الكلام
ظاهره الجلى وغامضه الخفى بسرعة فطنة وجودة قريحة لا يقاتلونكم اى اليهود والمنافقون
جميعا اى قتالا تقصدونه مجاهرة وهم مجتمعون كلهم فى وقت من الاوقات ومكان من الاماكن
الا فى قرى محصنة اى ممتنعة بحفظ الدروب وهى السكك الواسعة بالابواب والخنادق ونحوها
او من وراء جدر اى محيط بهم سواء كان بقربه ام بغيرها لشدة خوفهم وقد اخرج هذا ما حصل
من بعضهم عن ضرورة كالاسير ومن كان ينزل من اهل خيبر من الحصن يبارز ونحو ذلك فانه
لم يكن عن اجتماع او يكون هذا خاصا ببنى النضير فى هذه الكرة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الجيم
وفتح الدال والف بعدها وامال الالف ابو عمرو والباقون بضم الجيم والدال بأسهم اى حربهم
بينهم شديد اى بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم بينهم
من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله تعالى تحسبهم اى اليهود
والمنافقين يا اعلى الخلق او يا ايها الناظر وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائى بكسر السين
والباقون بفتحها جميعا لما هم فيه من اجتماع الاشباح وقلوبهم شتى اى متفرقة اشد افتراقا
وموجب هذا الشتات اختلاف الاهواء التى لا جامع لها من نظام العقل كالبهائم وان اجتمعوا
فى عداوة اهل الحق كاجتماع البهائم فى الهرب من الذئب قال القشيرى اجتماع النفوس مع
تنافر القلوب واختلافها اصل كل فساد وموجب كل تخاذل ومقتضى لتجاسر العدو واتفاق القلوب
والاشتراك فى الهمة والتساوى فى القصد موجب كل ظفر وكل سعادة وقرأ شتى الحسن وحمزة والكسائى
بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين وابو عمرو بين بين والباقون بالفتح وهى على وزن فعلى ذلك
اى الامر الغريب من الافتراق بعد الاتفاق الذى يحيل الاجتماع بانهم قوم اى مع شدتهم
لا يعقلون فلا دين لهم مثلهم فى ترك الايمان كمثل الذين من قبلهم قريبا اى بزمن قريب وهم
كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بنو قينقاع من اهل دينهم اليهود واظهروا بأسا شديدا
عند ما قصدهم النبى صلى الله عليه وسلم فى اثر غزوة بدر فوعظهم وحذرهم بأس الله تعالى

فقالوا لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم اما والله لو قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس ثم مكروا بامرأة من المسلمين فراودوها عن كشف وجهها فابت فعقد واطرف ثوبها من تحت خمارها فلما قامت انكشف سوقها فصاحت فغار لها شخص من الصحابة فقتل اليهودي الذي عقد ثوبها فقتلوه فانتقض عهدهم فانزل الله النبي صلى الله عليه وسلم بساحتهم فاذلهم الله تعالى ونزلوا من حصونهم على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا احلافا لابن ابي ولم يغن عنهم شيئا غير انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في ان لا يقتلهم والح عليه حتى كف عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بانفسهم من غير شيء لهم بالالزام بالجلاء ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ اي عقوبته في الدنيا من القتل وغيره وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اي مؤلم في الآخرة ومثلهم ايضا في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ اي البعيد من كل خير لبعده من الله تعالى المحترق بعذابه والشيطان هنا مثل المنافقين إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ وهو هنا مثل اليهود اكْفُرْ اي بالله بما زين له ووسوس اليه من اتباعه الشهوات القائم مقام الامر فَلَمَّا كَفَرَ اي اوجد الانسان الكفر على اي وجه ودلت الفاء على اسراعه في متابعة تزيينه قَالَ اي الشيطان الذي هو هنا عبارة عن المنافقين إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ اي ليس بيني وبينك علاقة في شيء اصلا ظنا منه ان هذه البراءة تنفعه شيئا مما استوجبه المامور بقبوله لامره وذلك مثل ضربه الله تعالى للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم وحذف حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حذف العطف كثير كقولك انت عاقل انت كريم انت عالم وقوله كمثل الشيطان كالبيان لقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان راهب نزلت عنده امرأة اصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفا من ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاؤا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده ان سجد له انجاه منهم فسجد له فتبرأ منه وروى عطاء وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان راهب يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله تعالى فيها طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال الا احد منكم من يكفيني برصيصا فقال له الابيض وهو صاحب الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل عليه السلام ليوسوس اليه على وجه الوحي فدفعه جبريل عليه السلام الى اقصى ارض الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزيا بزي الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة ايام مرة ولا يفطر في كل عشرة ايام الا مرة فلما رأه الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة في اصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم على نفسه حين لم يجبه فقال له انك حين ناديتني كنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال حاجتي اني احببت ان اكون معك فاتأدب بادبك واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة

وتدعو لي وادعو لك فقال برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما
ادعو للمؤمنين نصيبا ان استجاب الله لي ثم اقبل على صلاته وترك الابيض فاقبل الابيض يصلي
فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما التفت بعدها راه قائما يصلي فلما راى برصيصا شدة اجتهاد
الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتي ان تاذن لي ان ارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته
فاقام حولا يتعبد فلا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة ولا ينفتل من صلوته الا كذلك وربما مد الى الثمانين
فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض
لبرصيصا ان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت وكان بلغنا عنك انك غير الذي
رايت فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته للذي راه من شدة اجتهاده فلما ودعه
الابيض قال له ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهن خير مما انت فيه يشفي الله تعالى بها المريض
ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا اني اكره هذه المنزلة لان في نفسي شغلا واني اخاف ان علم
به الناس يشغلوني عن عبادة ربي عز وجل فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال
والله قد اهلكت الرجل فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاءه في صورة رجل متطبب فقال لاهله
ان بصاحبكم جنونا افاعالجه قالوا نعم فقال اني لا اقوى على جنيته ولكن سارشدكم الى من يدعو الله
تعالى فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعا به اجيب فانطلقوا به اليه
فسالوه فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم
الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل وكان لها
ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عمها ملك بني اسرائيل فقصد لها
وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل متطبب فقال لهم افاعالجها قالوا نعم قال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق
ولكن سارشدكم الى رجل تثقون به تدعونها عنده اذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا انها
قد عوفيت فتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا كيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو اعظم
شانا من ذلك قال ابنوا صومعة الى جنب صومعته ولتكن لزيق صومعته حتى يشرف عليها فان
قبلها والا فضعوها في صومعتها ثم قولوا له هي امانة عندك فاحتسب امانتك فانطلقوا اليه فسالوه
ذلك فابى فبنوا صومعة على ما امرهم به الابيض ووضعوا الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه
اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا من صلاته عاين الجارية وما هي
عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها
وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال ويحك واقعها فلن تجد مثلها وستتوب بعد ذلك ويتم لك
ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك ياتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان
ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سالوك فقل ذهب بها شيطانها ولم اقو عليه فدخل
فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فاخذ بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب

رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعهدون اختهم وكانوا يجيئون
فى بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فلما لم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جاء
شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا مكروبين جاء الشيطان الى اكبرهم
فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال الاخ هذا حلم
وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاوسط بمثل
ذلك فقال الاوسط له ما قال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله
لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط انا والله رايت مثله وقال الاكبر انا والله رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا
وقالوا له ما فعلت باختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم قد اتهمتمونى فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه
وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها مدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من
التراب فانطلقوا فراوا اختهم على ما راوا فى النوم فذهبوا اليه ومعهم غلمانهم ومواليهم بالفؤوس
والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم اتوا به الى الملك فاقر على نفسه وذلك
ان الشيطان اتاه فقال تقتلها ثم تكابر فيجتمع عليك امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف
امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا تعرفنى قال لا قال انا صاحبك
الذى علمتك الدعوات فاستجيب لك ويحك اما اتقيت الله تعالى فى الامانة خنت اهلها وانك
زعمت انك اعبد بنى اسرائيل اما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال الم يكفك ما صنعت حتى اقررت
على نفسك وفضحت نفسك واشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة فلم يفلح احد من نظائرك
قال فكيف اصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى انجيك مما انت فيه فاخذ باعينهم واخرجك
من مكانك قال وما هى قال تسجد لى قال افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذى اردت منك
صارت عاقبة امرك الى ان كفرت بربك انى برئ منك انى اخاف الله اى الملك الذى لا امر لاحد معه
وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها رب العلمين اى الذى اوجدهم
من العدم ورباهم بما يدل على جميع الاسماء الحسنى والصفات العليا فلا يغنى احد من خلقه
عن احد شيئا الا باذنه فكان اى فتسبب عن قوله ذلك انه كان عاقبتهما اى الغار والمغرور انهما
فى النار حال كونهما خالدين فيها لانهما ظلما ظلما لا قادح معه وذلك اى العذاب الاكبر جزؤا
الظلمين اى كل من وضع العبادة فى غير موضعها وهم الكافرون لقوله تعالى ان الشرك لظلم ع ٣
عظيم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ضرب الله تعالى هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين
من اهل المدينة فدس المنافقون اليهم وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم اليه ولا تخرجوا من دياركم فان
قاتلكم فانا معكم وان اخرجوكم خرجنا معكم فاجابوهم فدربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم
رجاء نصر المنافقين فناصبوهم الحرب فخذلوهم وتبرؤوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله
فكان عاقبة الفريقين فى النار قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكانت الرهبان بعد ذلك

فى بنى اسرائيل لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق فى الاحبار ورموهم بالبهتان
حتى وكان امر جريج الراهب فلما برأه الله تعالى مما رموه به انبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس
وكانت قصة جريج ما روى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة
عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلى
فقالت يا جريج فقال رب امى وصلاتى واقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقال مثل
مقالته الاولى فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر فى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته
وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت
راعيا كان يأوى الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج
فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فحملت
منك فقال اين الصبى فجاؤا به فقال دعوه حتى اصلى فلما انصرف من صلاته اتى الصبى وطعن
فى بطنه وقال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعى قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به
وقالوا نبنى لك صومعتك من ذهب قال لا اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا والثالث كلم امه
وهى ترضعه فى قصة مشهورة يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اى اقروا بالايمان باللسان اتَّقُوا اللّٰهَ اى اجعلوا لكم
وقاية تقيكم سخط الملك الاعظم باتباع اوامره واجتناب نواهيه واحذروا عقوبته بسبب تقصير
فيما حده لكم من امر ونهى وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ اى فى يوم القيامة لان هذه الدنيا كلها
كيوم واحد يجئ فيه ناس ويذهب آخرون والموت والآخرة لابد من كل منهما وكل ما لابد منه
فهو فى غاية القرب والعرب تكنى عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على ان الساعة قريبة
كقول القائل، وان غدا للناظرين قريب، وقال الحسن وقتادة قرب الساعة حتى جعلها كغد لان كل آت
قريب والموت لا محالة آت ومعنى ما قدمت اى من خير او شر ونكر النفس لاستقلال الانفس التى
تنظر فيما قدمت للآخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة فى ذلك ونكر الغد لتعظيمه وابهام امره كانه
قال الغد لا تعرف كنهه لعظمته وقوله تعالى وَاتَّقُوا اللّٰهَ اى الجامع لجميع صفات الكمال تاكيد وقيل
كرر لتغاير متعلق التقويين فمتعلق الاولى اداء الفرائض لاقترانه بالعمل والثانية ترك المعاصى لاقترانه
بالتهديد والوعيد قال معناه الزمخشرى اِنَّ اللّٰهَ اى الذى له الاسماء الحسنى والصفات العليا
خَبِيْرٌ اى عظيم الاطلاع على ظواهركم وبواطنكم والاحاطة بِمَا تَعْمَلُوْنَ فلا تعملون عملا الا كان
بمرأى منه ومسمع فاستحيوا منه وَلَا تَكُوْنُوْا ايها المحتاجون الى التحذير وهم الذين آمنوا كَالَّذِيْنَ
نَسُوا اللّٰهَ اى اعرضوا عن اوامر ونواهى الملك الاعظم وتركوها ترك الناسين لمن برزت عنه
مع ماله من صفات الجلال والاكرام فَاَنْسٰىهُمْ اى فتسبب عن ذلك ان انساهم بماله من
الاحاطة بالظواهر والبواطن اَنْفُسَهُمْ اى فلم يقدموا لها ما ينفعها وان قدموا شيئا كان
مشوبا بالمفسدات من الرياء والعجب فكانوا ممن قال فيه تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة نا

الاية لانهم لم يدعوا بابا من ابواب الفسق فان راس الفسق الجهل بالله وراس العلم ومفتاح
الحكمة معرفة النفس فاعرف الناس بنفسه اعرفهم بربه أُولَٰئِكَ اى البعداء من كل خير هُمُ
الْفَاسِقُونَ اى العريقون فى المروق من دائرة الدين لَا يَسْتَوِي اى بوجه من الوجوه أَصْحَابُ النَّارِ
اى التى هى محل الشقاء الاعظم وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ اى التى هى دار النعيم الاكبر لا فى الدنيا ولا فى الآخرة
واستدل بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ اى الناجون
من كل مكروه المدركون لكل محبوب واصحب النار هم الهالكون فى الدارين كما وقع فى هذه
الغزوة لفريق المؤمنين وبنى النضير ومن والاهم من المنافقين فشتان ما بينهما لَوْ أَنْزَلْنَا
اى بعظمتنا التى ابانها هذا الانزال هَٰذَا الْقُرْآنَ اى الجامع لجميع العلوم الفارق بين كل ملتبس
المبين لجميع الحكم عَلَىٰ جَبَلٍ اى جبل كان او جبل فيه تمييز كالانسان لَرَأَيْتَهُ يا اشرف الخلق وان
لم يتاهل غيرك لتلك الرؤية خَاشِعًا اى متذللا باكيا مُتَصَدِّعًا اى متشققا غاية التشقق
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ اى من الخوف العظيم ممن له الكمال كله وفى هذا حث على تامل مواعظ القرآن
وتدبر اياته وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ اى التى لا يضاهيها شئ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فيؤمنون
والمعنى انا لو انزلنا هذا القرآن على الجبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده وانتم ايها المشهورون
باعجازه لا ترغبون فى وعده ولا ترهبون من وعيده والغرض من هذا الكلام التنبيه على قساوة
قلوب هؤلاء الكفار وغلظ طباعهم ونظيره ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة
وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى لو انزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله
عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا عليه ان ثبته لما لم تثبت له الجبال وقيل انه
خطاب للامة والمعنى لو انذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله تعالى والانسان
اقل قوة واكثر ثباتا فهو يقوم بحقه ان اطاع ويقدر على رده ان عصى لانه موعود بالثواب ومزجور
بالعقاب ✽ ولما وصف تعالى القرآن بالعظم ومعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف اتبع ذلك
بوصف عظمته تعالى فقال عز من قائل هُوَ اى الذى وجوده من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه
فلا شئ يستحق الوصف بهو غيره لانه الموجود دائما ازلا وابدا فهو حاضر فى كل ضمير غائب بعظمته
عن كل حس فلذلك تصدع الجبل من خشيته ✽ ولما عبر عنه باخص اسمائه اخبر عنه لطفا بنا وتنزلا لنا
باشهرها الذى هو مسمى الاسماء كلها بقوله تعالى اللَّهُ اى المعبود الذى لا ينبغى العبادة والالوهية الا له
الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فانه لا مجانس له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور ان يكافئه او يدانيه شئ والاله اول
اسم لله تعالى فلذلك لا يكون احد مسلما الا بتوحيده فتوحيده فرض وهو اساس كل فريضة عَالِمُ الْغَيْبِ
اى الذى غاب عن جميع خلقه وَالشَّهَادَةِ اى الذى وجد فكان يحسه ويطلع عليه بعض خلقه
وقال ابن عباس معناه عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالآخرة
والدنيا وقيل استوى فى علمه السر والعلانية والموجود والمعدوم وقوله تعالى هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ

معناه ذو الرحمة ورحمة الله تعالى ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان رحمن
اشد مبالغة من رحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لانه تعالى باحسانه فى الدنيا يعم
المؤمن والكافر وفى الآخرة يختص انعامه واحسانه بالمؤمنين هُوَ اللَّهُ اى الذى لا يقدر على تعميم
الرحمة لمن اراد وتخصيصها بمن شاء الا هو الَّذِي لَا إِلَٰهَ اى لا معبود بحق إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ اى فلا ملك
فى الحقيقة الا هو لانه لا يحتاج كل شئ كائنا ما كان الا هو فهو متصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه فهم
تحت ملكه وقهره وارادته الْقُدُّوسُ اى البليغ فى النزاهة عن كل وصم يدركه حس او يتصوره خيال
او يسبق اليه وهم او يختلج اليه ضمير ونظيره السبوح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس
رب الملائكة والروح السَّلَامُ اى الذى سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فهو
بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة فى وصف كونه سليما من النقائص او فى اعطائه
السلامة الْمُؤْمِنُ قال ابن عباس هو الذى امن الناس من ظلمه وامن من آمن به عذابه وقيل
هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد
الكافرين من العذاب وقال مجاهد المؤمن الذى وحد نفسه لقوله تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو قال ابن عباس اذا كان يوم القيامة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق
اسمه اسم نبى حتى اذا لم يبق فيها من وافق اسمه اسم نبى قال الله تعالى لباقيهم انتم المسلمون
وانا السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين الْمُهَيْمِنُ قال
ابن عباس اى الشهيد على عباده باعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه بقدرته
وقيل هو الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن قلبت همزته هاء الْعَزِيزُ اى الذى لا يوجد له
نظير وقيل هو الغالب القاهر الْجَبَّارُ الذى جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه والجبار
فى صفة الله صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذا قوله تعالى الْمُتَكَبِّرُ اى الذى تكبر على كل ما يوجب
حاجة او نقصا وهو فى حقه تعالى صفة مدح لانه له جميع صفات العلو والعظمة وفى صفة الناس صفة
ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه التكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة
والذلة فاذا اظهر الكبر كان كذابا فى فعله سُبْحَانَ اللَّهِ اى تنزه الملك الاعلى الذى اختص بجميع
صفات الكمال تنزها لا تدرك العقول منه اكثر من انه علا عن اوصاف الخلق فلا يدانيه شئ من نقص
تعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ اى من هذه المخلوقات من الاصنام وغيرها مما فى الارض او فى السماء من صغير و
كبير وجليل وحقير هُوَ اى الذى لا شئ يستحق ان يطلق عليه هذا الضمير غيره لان وجوده
من ذاته ولا شئ غيره الا وهو ممكن ولما ابتدأ بهذا الغيب المحض الذى هو اظهر الاشياء واخبر
عنه باشهر الاشياء الذى لم يقع فيه شركة بوجه فقال تعالى اللَّهُ اى الذى ليس له سمى فلا كفء له
فهو المعبود بالحق فلا شريك له بوجه الْخَالِقُ اى المقدر للاشياء على مقتضى حكمته الْبَارِئُ اى
المخترع المنشئ للاشياء من العدم الى الوجود بريا من التفاوت وقوله تعالى الْمُصَوِّرُ اى الذى يخلق

صور الاشياء على ما يريد بكسر الواو ورفع الراء اما صفة واما خبر واحترزت بهذا الضبط عن قراءة امير المؤمنين علي بن ابي طالب والحسن فانهما قرأ بفتح الواو ونصب الراء وهي قراءة شاذة وانما تعرضت لها لابين وجهها وهو ان تخرج هذه القراءة على ان يكون المصور منصوبا بالبارئ والمصور هو الانسان اما آدم واما هو وبنوه وعلى هذه القراءة يحرم الوقف على المصور بل يجب الوصل ليظهر النصب في الراء والا فقد يتوهم منه في الوقف ما لا يجوز له اي خاصة **الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** التسعة والتسعون الوارد فيها الحديث وقد ذكرناها في سورة الاسراء والحسنى تانيث الاحسن **يُسَبِّحُ** اي يكرر التنزيه الاعظم عن كل شيء من شوائب النقص على سبيل التجدد والاستمرار **لَهُ** اي على وجه التخصيص **مَا فِي السَّمَاوَاتِ** اي السموات وما فيها **وَالْأَرْضِ** وما فيها **وَهُوَ** اي والحال انه وحده **الْعَزِيزُ** اي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء **الْحَكِيمُ** اي الجامع الكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم وعن معقل بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قاله حين يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن ابي هريرة انه قال سالت خليلي ابا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر سورة الحشر فاكثر قراءتها فاعدت عليه فاعاد علي وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الآية وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر حديث موضوع

سورة الممتحنة مدنية

وهي ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان واربعون كلمة والف وخمسمائة وعشرة احرف

بِسْمِ اللَّهِ الذي من تولاه اغناه عمن سواه **الرَّحْمَٰنِ** الذي شمل برحمة البيان من خاطبه بالعقل ودعاه **الرَّحِيمِ** الذي خص بالتوفيق من احبه وارتضاه ونزل في حاطب بن ابي بلتعة **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي** اي وانتم تدعون موالاتي **وَعَدُوَّكُمْ** اي الغريق في عداوتكم ما دمتم على مخالفته في الدين **أَوْلِيَاءَ** وذلك ما روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي يقال لها سارة اتت النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال افمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال صلى الله عليه وسلم فاين انت من شباب اهل مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب على اعطائها فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها

ع

كتابا لاهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدكم فخذوا حذركم وقد توجه اليكم بجيش كالليل واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله
تعالى بكم وانجز له موعده فيكم فان الله وليه وناصره فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام بالخبر
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا
فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة
فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت ما معها كتاب ففتشوا
متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت
الجد اخرجته من عقاص شعرها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما حملك عليه فقال
يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت
امرأ ملصقا في قريش وروي عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات
بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله
تعالى ينزل عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله
اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم واضافة العدو الى الله تعالى
تغليظا في جرمهم وهذه السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وتقدم نظيره في قوله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم روي
ان حاطبا لما سمع يا ايها الذين آمنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان ثم انه تعالى استأنف بيان
هذا الاتخاذ بقوله تعالى مشيرا الى غاية الاسراع والمبادرة الى ذلك بالتعبير بقوله تعالى تُلْقُونَ اي
جميع ما هو في حوزتكم مما لا تطمعون فيه القاء الشيء الثقيل من علو اِلَيْهِمْ على بعدهم منكم حسا ومعنى
بِالْمَوَدَّةِ اي بسببها قال القرطبي تلقون اليهم بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اما صاحبكم فقد صدق هذا نص في اسلامه وسلامة فؤاده
وخلوص اعتقاده وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها وقوله تعالى وَقَدْ كَفَرُوا اي غطوا جميع
ما لكم من الادلة بِمَا اي بسبب ما جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ اي الامر الثابت الكامل في الثبات
الذي لا شيء اعظم ثباتا منه فيه اوجه احدها الاستئناف ثانيها الحال من فاعل تتخذوا ثالثها
الحال من فاعل تلقون اي لا تتولوهم ولا توادوهم وهذه حالهم وقوله تعالى يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون تفسيرا لكفرهم فلا محل له على هذين وان يكون حالا

من فاعل كفروا وقوله تعالى وَإِيَّاكُمْ عطف على الرسول وتقدم عليهم تشريفا له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى أَنْ تُؤْمِنُوا اى لو قعوا حقيقة الايمان مع التجدد والاستمرار بِاللَّهِ اى الذى اختص بجميع صفات الكمال رَبِّكُمْ اى المحسن اليكم تعليل ليخرجون والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لان تؤمنوا بالله اى لاجل ايمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب ممن اخرج مع النبى صلى الله عليه وسلم وفى ذلك تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ اى عن اوطانكم وقوله تعالى جِهَادًا فِي سَبِيلِي اى بسبب ارادتكم تسهيل طريقى التى شرعتها لعبادى ان يسلكوها وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي اى ولاجل تطلبكم اعظم الرغبة لرضاى علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا وقرأ الكسائى بالامالة محضة والباقون بالفتح وقوله تعالى تُسِرُّونَ اى توجدون بجميع ما يدل على مناصحتكم اياهم والتودد اليهم بِالْمَوَدَّةِ اى بسببها بدل من تلقون قاله ابن عطية قال ابن عادل ويشبه ان يكون بدل اشتمال لان القاء المودة يكون سرا وجهرا او استئناف واقتصر عليه الزمخشرى وَأَنَا اى والحال انى أَعْلَمُ اى من كل احد حتى من نفس الفاعل وقرأ نافع بمد الالف بعد النون بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ قال ابن عباس بما اخفيتم فى صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم اى فاى فائدة لاسراركم ان كنتم تعلمون انى عالم به وان كنتم تتوهمون انى لا اعلمه فهى القاصمة وَمَنْ يَفْعَلْهُ اى يوجد اسرار خبر اليهم ويكاتبهم مِنْكُمْ اى فى وقت من الاوقات فَقَدْ ضَلَّ اى عمى ومال واخطأ سَوَاءَ السَّبِيلِ اى قويم الطريق الواسع الموصل الى القصد قويمه وعدله قال القرطبى هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال القائل ٭ اذا ذهب العتاب فليس ود ٭ ويبقى الود ما بقى العتاب ٭ وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الضاد والباقون بالادغام إِنْ يَثْقَفُوكُمْ اى يظفروا بكم فى وقت من الاوقات ومكان من الاماكن يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً اى ولا ينفعكم القاء المودة اليهم وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ اى خاصة وان كان هناك فى ذلك الوقت من غيركم من قتل اعز الناس عليهم أَيْدِيَهُمْ اى بالضرب ان استطاعوا وَأَلْسِنَتَهُمْ اى بالشتم مضمومة الى فعل ايديهم فعل من ضاق صدره بما تجرع من اخوتكم الغصص حتى اوجب له غاية السفه بِالسُّوءِ اى بكل ما من شأنه ان يسوء وَوَدُّوا اى تمنوا قبل هذا لَوْ تَكْفُرُونَ لان مصيبة الدين اعظم فهم اليها اسرع لان داب العدو القصد الى اعظم ضرر يراه لعدوه وعبر بما يفهم التمنى الذى يكون فى المحالات ليكون المعنى انهم احبوا ذلك غاية الحب وتمنوه وفيه بشرى بانه من قبيل المحال وقدم الاول لانه ابين فى العداوة وان كان الثانى انكى ٭ ولما كانت عداوتهم معروفة وانما عظاها محبة القرابات لان الحب للشئ يعمى ويصم قطعا رابهم فى موالاتهم بما اعلمهم به من حالهم فقال تعالى مستأنفا اعلاما بانها خطأ على كل حال

قوله وان كان هناك سبب انهم لما قيل من كنتم وان عليهم اعز الناس

لن تنفعكم بوجه من الوجوه ارحامكم اى قراباتكم الحاملة لكم على رحمتهم والعطف عليهم
ولا اولادكم اى الذين هم اخص ارحامكم ان واليتم اعداء الله تعالى لاجلهم فينبغي ان لا تعدوا
قربهم منكم بوجه اصلا ثم علل ذلك وبينه بقوله تعالى يوم القيمة اى القيام الاعظم يفصل اى
يوقع الفصل وهو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الاسباب وقرأ عاصم بفتح الياء واسكان الفاء وكسر
الصاد مخففة وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الفاء وفتح الصاد مشددة وحمزة والكسائي كذلك
الا انهما يكسران الصاد والباقون بضم الياء وسكون الفاء بينكم اى ايها الناس فيدخل من يشاء
من اهل طاعته الجنة ومن يشاء من اهل معصيته النار فلا ينفع احد احدا منكم بشيء من الاشياء
الا ان كان قد اتى الله تعالى بقلب سليم فياذن الله تعالى في اكرامه بذلك والله اى الذى له الاحاطة
التامة بما تعملون اى من كل عمل في كل وقت بصير فيجازيكم عليه في الدنيا والاخرة + ولما نهى
تعالى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام وان من سيرته التبري من الكفار
بقوله تعالى قد كانت اى وجدت وجودا تاما وكان تانيث الفعل اشارة الى الرضا بها ولو كانت
على ادنى الوجوه لكم اى ايها المؤمنون اسوة اى موضع اقتداء وتاسية في ابراهيم وطريقة
مرضية وقرأ اسوة في الموضعين عاصم بضم الهمزة والباقون بكسرها حسنة اى يرغب فيها
في ابراهيم اى في قول ابي الانبياء عليهم الصلوة والسلام والذين معه اى ممن كان قبله من الانبياء
قاله القشيري وممن آمن به في زمانه كابن اخيه لوط عليه الصلوة والسلام وهم قدوة اهل
الجهاد والهجرة وقيل المراد بمن معه اصحابه من المؤمنين وقرأ هشام بفتح الهاء والف بعدها
والباقون بكسر الهاء وبعدها ياء اى فاقتدوا به الا في استغفاره لابيه قال القرطبي الاية نص في الامر
بالاقتداء بابراهيم عليه الصلوة والسلام في فعله وذلك يدل على ان شرع من قبلنا شرع لنا فيما
اخبر الله ورسوله وقيل انه شرع لنا اذا ورد في شرعنا ما يقرره وقيل ليس بشرع لنا مطلقا وهو
الاصح عندنا اذ اى حين قالوا وقد كان من آمن به اقل منكم واضعف لقومهم اى الكفرة
وقد كانوا اكثر من عددكم واقوى وكان لهم فيهم ارحام وقرابات ولهم فيهم رجاء بالقيام والمحاولات
انا برآؤا اى متبرؤن تبرئة عظيمة منكم وان كنتم اقرب الناس الينا ولا ناصر لنا منهم غيركم
ومما تعبدون اى توجدون عبادته في وقت من الاوقات من دون الله اى الملك الاعظم
كفرنا بكم اى جحدناكم وانكرنا دينكم وبدا اى ظهر ظهورا عظيما بيننا وبينكم العداوة
وهي المباينة في الافعال بان يعدو كل احد على الاخر والبغضاء وهي المباينة بالقلوب بالبغض
العظيم + ولما كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا ابدا اى على الدوام وقرأ نافع و
ابن كثير وابو عمرو في الوصل بابدال الهمزة الثانية المفتوحة بعد المضمومة واوا خالصة والباقون
بتحقيقها وهم على مراتبهم في المد واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفا مع المد والتوسط
والقصر ولهما ايضا التسهيل مع المد والقصر والروم معهما + ولما كان ذلك مؤيسا من صلاح

الحال وقد يكون لحظ النفس بينوا غايته بقولهم حَتّٰى تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ اى الملك الذى له الكمال كله
وَحْدَهٗ اى تكونوا مكذبين بكل ما يعبد من دون الله تعالى وقوله تعالى اِلَّا قَوْلَ اِبْرٰهِيْمَ لِاَبِيْهِ فيه
اوجه احدها انه استثناء متصل من قوله تعالى في ابراهيم ولكن لابد من حذف مضاف ليصح الكلام
تقديره في مقالات ابراهيم الا قوله كيت وكيت ثانيها انه مستثنى من اسوة حسنة واقتصر على ذلك
الجلال المحلي وجاز ذلك لان القول ايضا من جملة الاسوة لان الاسوة الاقتداء بالشخص في اقواله
وافعاله فكانه قيل لكم فيه اسوة في جميع احواله من قول وفعل الا قوله كذا وهو اوضح لانه غير محوج
الى تقدير مضاف وغير محوج لاستثناء من الاتصال الذى هو اصله الى الانقطاع ولذلك لم يذكر
الزمخشري غيره ثالثها قال ابن عطية ويحتمل ان يكون الاستثناء من التبري والقطيعة التى ذكرت
اى لم تبق صلة الا كذا رابعها انه استثناء منقطع اى لكن قول ابراهيم وهذا بناء من قائله على ان القول
لم يندرج تحت قوله اسوة وهو ممنوع قال القرطبي معنى قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لَاَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ
اى فلا تتاسوا به في الاستغفار فتستغفروا للمشركين فانه كان عن موعدة منه له قاله
قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثناء ان ابراهيم هجر قومه وباعدهم الا في الاستغفار لابيه
ثم بين عذره في سورة التوبة وفي هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء
لانا حين امرنا بالاقتداء به امرنا امرا مطلقا في قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وحين امرنا بالاقتداء بابراهيم استثنى بعض افعاله وهذا انما جرى لانه ظن انه اسلم
فلما بان انه لم يسلم تبرأ منه وعلى هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم وانتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم
توالونهم وقوله وَمَآ اَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّٰهِ اى من عذاب او ثواب الملك الاعلى المحيط بنعوت الجلال
مِنْ شَيْءٍ من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع احواله وقوله رَبَّنَا
اى ايها المحسن الينا عَلَيْكَ اى لا على غيرك تَوَكَّلْنَا اى فوضنا امرنا اليك يجوز ان يكون من مقول ابراهيم
عليه الصلوة والسلام والذين معه فهو من جملة الاسوة الحسنة وفصل بينهما بالاستثناء ويجوز ان
يكون منقطعا عما قبله على اضمار قول وهو تعليم من الله تعالى لعباده كانه قال لهم قولوا ربنا عليك
توكلنا وَاِلَيْكَ اى وحدك اَنَبْنَا اى رجعنا بجميع ظواهرنا وبواطننا وَاِلَيْكَ اى وحدك
الْمَصِيْرُ اى الرجوع في الآخرة رَبَّنَا اى ايها المربي لنا والمحسن الينا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا
اى بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله او فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك
وقيل لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصابهم ذلك وقيل
لا تبسط عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم وَاغْفِرْ لَنَا اى استر ما وقع منا من الذنوب وامح عينه
واثره رَبَّنَا اى ايها المحسن الينا واكد والاعلام بشدة رغبتهم في حسن الثناء عليه فقالوا اِنَّكَ
اَنْتَ اى وحدك لا غيرك الْعَزِيْزُ اى الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء الْحَكِيْمُ اى الذى يضع الاشياء
في اوفق محالها فلا يستطيع نقضها ومن كان كذلك فهو حقيق بان يعطي من امله ما طلب وقوله

تعالى لقد كان لكم اي يا امة محمد جواب قسم مقدر فيهم اي ابراهيم ومن معه من الانبياء والاولياء
اسوة حسنة اي في التبري من الكفار وكرر للتاكيد وقيل نزل الثاني بعد الاول بمدة قال
القرطبي وما اكثر المكررات في القرآن على هذا الوجه وقوله تعالى لمن كان يرجوا الله اي الملك
المحيط بجميع صفات الكمال واليوم الآخر اي الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير بدل
بعض من كل او في ذلك بيان ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة ومن يتول
اي يوقع الاعراض عن اوامر الله تعالى فيوالي الكفار فان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة
هو اي خاصة الغني اي عن كل شيء الحميد اي الذي له الحمد المحيط لاحاطته باوصاف الكمال
فهو حميد في نفسه وصفاته او حميد الى اوليائه واهل طاعته + ولما نزلت الآية الاولى عادى
المسلمون اقرباءهم من المشركين فعلم الله تعالى شدة وجد المسلمين في ذلك فنزل عسى الله
اي انتم جديرون بان تطمعوا في الملك الاعلى المحيط بكل شيء قدرة وعلما ان يجعل اي
باسباب لا تعلمونها بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي كفار مكة مودة اي بان يلهمهم
الايمان فيصيروا لكم اولياء وقد جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه لان عسى من الله
تعالى وعد وهو لا يخلف الميعاد والله اي الذي له كمال الاحاطة قدير اي بالغ القدرة على كل ما يريد
فهو يقدر على تقليب القلوب وتيسير العسير والله اي الذي له جميع صفات الكمال غفور اي محاء
لاعيان الذنوب وآثارها رحيم يكرم الخاطئين اذا اراد بالتوبة ثم بالجزاء غاية الاكرام فيغفر لما فرط
منكم في موالاتهم من قبل وما بقي في قلوبكم من ميل الرحم وقوله تعالى لا ينهاكم الله اي الذي
اختص بالجلال والاكرام عن الذين لم يقاتلوكم اي بالفعل في الدين الآية رخصة من الله تعالى
في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم قال ابن زيد هذا كان في اول الاسلام عند الموادعة
وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال ابن عباس
نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه
احدا فرخص الله تعالى في برهم وقال اكثر اهل التاويل انها محكمة واحتجوا بان اسماء بنت
ابي بكر قدمت امها وهي مشركة عليها المدينة بهدايا فقالت اسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلي
على بيتا حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته فانزل الله تعالى هذه الآية فامرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخل منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها وفي ذلك
اشارة الى الاقتصاد في العداوة والولاية كما قال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون
بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وروى عامر بن عبد الله
بن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه طلق امرأته قتيلة في الجاهلية وهي ام اسماء بنت
ابي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار
قريش فاهدت الى اسماء بنت ابي بكر قرطا واشياء فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله صلى الله

عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان اى لا ينهاكم عن ان تبروهم بنوع من انواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح فى قصد المودة وتقسطوا اليهم اى تعطوهم قسطا من اموالكم على وجه الصلة قال ابن العربي وليس يريد به من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل وحكى ان القاضي اسمعيل بن اسحق دخل عليه ذمي فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون فى ذلك فتلا عليهم هذه الآية ان الله اى الذى له الكمال كله يحب اى يثيب المقسطين اى الذين يزيلون الجور ويوقعون العدل انما ينهاكم الله اى الذى له الاحاطة الكاملة علما وقدرة عن الذين قاتلوكم اى جاهدوكم متعمدين لقتالكم فى الدين اى عليه فليس شئ من ذلك خارجا عنه واخرجوكم من دياركم اى بانفسهم لبغضكم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا اى عاونوا غيرهم على اخراجكم وهم مشركو مكة وقوله تعالى ان تولوهم بدل اشتمال من الذين اى تتخذوهم اولياء وقرأ البزي بتشديد التاء والباقون بالتخفيف ولما كان التقدير فمن اطاع فاولئك هم المفلحون عطف عليه قوله تعالى ومن يتولهم اى يكلف نفسه الحمل على غير ما تدعو اليه الفطرة الاولى من المنابذة واطلق ولم يقيد بمنكم ليعم المهاجرين وغيرهم والمؤمنين وغيرهم فاولئك اى الذين ابعدوا عن العدل هم الظالمون اى العريقون فى ايقاع الاشياء فى غير مواضعها ولما امر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان التناكح من اوكد اسباب الموالاة فبين احكام مهاجرة النساء بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اى اقروا بالايمان اذا جاءكم المؤمنات اى بانفسهن مهاجرات اى من الكفار بعد الصلح معهم فى الحديبية فامتحنوهن اى بالحلف انهن ما هاجرن الا رغبة فى الاسلام لا بغضا فى ازواجهن الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفهن قيل ان سبب الامتحان انه كان من ارادت منهن اضرار زوجها قالت سأهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بامتحانهن الله اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما اعلم اى منكم ومن انفسهن بايمانهن هل هو كائن ام لا على وجه الرسوخ ام لا فانه المحيط بما غاب كاحاطته بما شوهد وانما وكل الامر اليكم فى ذلك سترا للناس فان علمتموهن مؤمنات اى العلم الممكن لكم وهو الظن المؤكد بالامارات الظاهرة بالحلف وغيره فلا ترجعوهن اى بوجه من الوجوه الى الكفار وان كانوا ازواجا قال ابن عباس لما جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم جاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية بعد فاقبل زوجها وكان كافرا وكان صيفي بن الراهب وقيل مسافر المخزومي فقال يا محمد اردد على امرأتي فانك شرطت ذلك وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فانزل الله تعالى هذه الآية وروي ان ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء اهلها

يسألونه ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها اخواها عمارة والوليد
فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها علينا
للشرط فقال صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله تعالى هذه الآية وعن عروة
قال كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية ان لا يأتيك منا احد وان
كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه
النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم يأته احد من الرجال
الا رده في تلك المدة وان كان مسلما حتى انزل الله تعالى في المؤمنات ما انزل وهذا يومي الى ان
الشرط في رد النساء نسخ بذلك وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن وقال بعض العلماء كله
منسوخ بالقرآن وقالت طائفة لم يشترط ردهن في العقد لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم فكان
ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال
لامرين احدهما انهن ذوات فروج تحرم عليهم الثاني انهن ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم فاما
المقيمة منهن على شركها فمردودة عليهم لَا هُنَّ اي المؤمنات حِلٌّ اي موضع حل ثابت لَّهُمْ اي
الكفار باستمتاع ولا غيره وقوله تعالى وَلَا هُمْ اي رجال الكفار يَحِلُّونَ لَهُنَّ اي المؤمنات تأكيد
للاول لتلازمهما وقال البيضاوي والتكرير للمطابقة والمبالغة والاولى لحصول الفرقة والثانية
للمنع عن الاستئناف وقيل اراد استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ماداموا مشركين
وهن مؤمنات والمعنى لم يحل الله تعالى مؤمنة الكافر في حال من الاحوال وهذا ادل دليل على ان الذي
اوجب فرقة المسلمة من زوجها الكافر اسلامها لا هجرتها وقال ابو حنيفة الذي فرق بينهما هو
اختلاف الدارين والصحيح كما قال ابن عادل الاول لان الله تعالى بين العلة وهو عدم الحل
بالاسلام لا باختلاف الدار ولما نهي عن الرد وعلله امر بما قدم من الاقساط اليهم فقال تعالى
وَآتُوهُم اي اعطوا الازواج مَّا أَنفَقُوا اي عليهن من المهور فان المهر في نظير اصل العشرة ودوامها
وقد فوتتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسارتان الزوجية والمالية واما الكسوة والنفقة فانهما
لما يتجدد من الزمان ❊ تنبيه ❊ امر الله تعالى برد ما انفقوا الى الازواج وان المخاطب بهذا الامام
وهل يجب ذلك او يندب ظاهر الآية الوجوب ولكن رجح الندب وعليه الشافعي لان البضع ليس
بمال فلا يشمله الامان كما لا يشمل زوجية والآية وان كان ظاهرها الوجوب محتملة للندب الصادق
بعدم الوجوب الموافق للاصل وقال مقاتل يرد المهر الذي يتزوجها من المسلمين وليس لزوجها
الكافر شيء وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما هو في نساء اهل الذمة فاما من لا عهد بينه
وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق قال القرطبي والامر كما قال وَلَا جُنَاحَ اي حرج وميل عَلَيْكُمْ
يا ايها المشرفون بالخطاب أَن تَنكِحُوهُنَّ اي تجددوا زواجكم بهن بعد الاستبراء وان
كان ازواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق عنهن لان الاسلام فرق بينهم قال

الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ولما كان قد امر برد مهور الكفار فكان ربما ظن انه مغن عن تجديد مهورهن اذا نكحهن المسلم نفى ذلك بقوله إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ اى لاجل النكاح أُجُورَهُنَّ اى مهورهن وفى شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذان بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ جمع عصمة وهى هنا عقد النكاح اى من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها فقد انقطعت عصمتها فلا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية والكوافر جمع كافرة كضوارب فى ضاربة قال النخعى المراد بالاية هى المراة المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر كان الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الاية فطلق عمر بن الخطاب حينئذ امراتين له بمكة مشركتين قريبة بنت ابى امية فتزوجها معاوية بن ابى سفيان وهما على شركهما بمكة وام كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد الله بن المغيرة فتزوجها ابو جهم بن حذافة وهما على شركهما بمكة فلما ولى عمر قال ابو سفيان لمعاوية طلق قريبة فلا يرى عمر سلبه فى بيتك فابى معاوية وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق الاسلام بينهما ثم تزوجها فى الاسلام خالد بن سعيد بن العاص وكانت ممن فر الى النبى صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالد بن سعيد بن العاص بن امية وقال الشعبى كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابى العاص بن الربيع اسلمت ولحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة واسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح الاول ولم يحدث شيئا قال محمد بن عمرو فى حديث بعد ست سنين وقال الحسن بن على بعد سنتين قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلو من وجهين اما انها لم تحض حتى اسلم زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن فى ذلك يعنى فى عدتهن وهذا مما لا خلاف فيه انه عنى به العدة قال الزهرى فى قصة زينب هذه كانت قبل ان تنزل الفرائض وقال قتادة كان هذا قبل ان تنزل سورة براءة بقطع العهود بينهم وبين المشركين + تنبيه + المراد بالكوافر هنا عبدة الاوثان ومن لا يجوز ابتداء نكاحها وقيل هى عامة نسخ منها نساء اهل الكتاب فعلى الاول اذا اسلم وثنى او مجوسى ولم تسلم امراته فرق بينهما وهو قول بعض اهل العلم منهم مالك والحسن وطاؤس وعطاء وعكرمة وقتادة لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال بعضهم ينتظر بها تمام العدة وهو قول الزهرى والشافعى واحمد واحتجوا بان ابا سفيان بن الحرث اسلم قبل هند بنت عتبة امراته وكان اسلامه بمر الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمة على كفرها فاخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت بعد بايام فاستقرا على نكاحهما لان عدتها لم تكن انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام اسلم قبل امراته ثم اسلمت بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعى ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى بعصم الكوافر لان نساء المؤمنين محرمات على الكفار كما ان المسلمين لا تحل لهم الكوافر الوثنيات ولا المجوسيات لقوله تعالى

لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد الله تعالى من قوله هذا انه لا يحل بعضهم لبعض الا ان اسلم الثاني منهما في العدة وقال ابو حنيفة واصحابه في الكافرين الذميين اذا اسلمت المرأة عرض على الزوج الاسلام فان اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كانا حربيين فهي امرأته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب او في دار الاسلام وان كان احدهما في دار الحرب والآخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما وقد تقدم ان اعتبار الدار ليس بشيء وهذا الخلاف انما هو في المدخول بها فاما غير المدخول بها فلا نعلم خلافا في انقطاع العصمة بينهما اذ لا عدة عليها وكذا يقول مالك في المرأة يرتد زوجها المسلم تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصري والحسن ابن صالح وقال الشافعي واحمد ينتظر بها تمام العدة فان كان الزوجان نصرانيين فاسلمت الزوجة فمذهب مالك والشافعي واحمد الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذا الوثني تسلم زوجته ان اسلم في عدتها فهو احق بها كما ان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل احق بزوجتيهما لما اسلما في عدتهما لما ذكر مالك في الموطا قال بعض العلماء كان بين اسلام صفوان وبين اسلام امرأته نحو من شهر قال ولم يبلغنا ان امرأة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتها بينها وبين زوجها الا ان يقدم زوجها مهاجرا قبل ان تنقضي عدتها وقال بعضهم ينفسخ النكاح بينهما لما روى يزيد بن علقمة قال اسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر وهو قول طاوس وعطاء والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل له عليها الا بخطبة وَاسْئَلُوا اي ايها المؤمنون الذين ذهبت زوجاتهم الى الكفار مرتدات مَا اَنْفَقْتُمْ اي من مهور نسائكم وَلْيَسْئَلُوا اي الكفار مَا اَنْفَقُوا اي من مهور ازواجهم اللاتي اسلمن قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدات الى الكفار من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جاء احد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين ذٰلِكُمْ اي الحكم الذي ذكر في هذه الآيات البعيد تعلق الرتبة عن كل سفيه حُكْمُ اللّٰهِ اي الملك الذي له صفات الكمال فلا تلحقه شائبة نقص يَحْكُمُ اي الله او حكمه على سبيل المبالغة بَيْنَكُمْ اي في هذا الوقت وفي غيره على هذا المنهاج البديع وذلك لاجل الهدنة التي كانت وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم واما قبل الحديبية فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك النساء ولا يرد الصداق وَاللّٰهُ اي الذي له الاحاطة التامة عَلِيْمٌ اي بالغ العلم لا يخفى عليه شيء حَكِيْمٌ اي فهو لتمام علمه يحكم كل اموره غاية الاحكام فلا يستطيع احد نقض شيء منها روي ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله تعالى وكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزل قوله تعالى وَاِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ اَزْوَاجِكُمْ اي واحدة فاكثر منهن او شيء من مهورهن بالذهاب اِلَى الْكُفَّارِ مرتدات فَعَاقَبْتُمْ فغزوتم وغنمتم من اموال الكفار فجاءت نوبة ظفركم باداء المهر الى اخوانكم طاعة وعدلا عقب نوبتهم التي اقتطعوا فيها ما انفقتم ظلما فَآتُوا اي فاحضروا

واعطوا

واعطوا من مهر المهاجرة ﴿الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ اى منكم من الغنيمة ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ اى لفواته عليهم من جهة الكفار روى الزهرى عن عروة عن عائشة انها قالت حكم الله تعالى بينهم فقال جل ثناؤه واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا فكتب اليهم المسلمون قد حكم الله تعالى بيننا بانه ان جاءتكم امراة منا ان توجهوا الينا صداقها وان جاءتنا امراة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئا فان كان لنا عندكم شئ فوجهوا به فانزل الله تعالى وان فاتكم شئ من ازواجكم الآية وقال ابن عباس فى قوله تعالى ذلكم حكم الله اى بين المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة يرد بعضهم على بعض قال الزهرى ولولا العهد لامسك النساء ولم يرد عليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد انما امروا ان يعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من الفئ والغنيمة وقالا هى فيمن بيننا وبينه عهد وقالا معنى فعاقبتم فاقتصصتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا اى من المهور وقال ابن عباس معنى الآية ان لحقت امراة مؤمنة بكفار اهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة قبل ان تخمس وقال الزهرى يعطى من مال الفئ وعنه يعطى من صداق من لحق بنا + تنبيه + محصل مذهب الشافعى فى هذه الآية ان الهدنة لو عقدت بشرط ان يردوا من جاءهم منا مرتدا صح ولزمهم الوفاء به سواء اكان رجلا او امراة حرا او رقيقا فان امتنعوا من رده فناقضون للعهد لمخالفتهم الشرط او عقدت على ان لا يردوه جاز ولو كان المرتد امراة فلا يبدلوا المتعين رده لانه صلى الله عليه وسلم شرط ذلك فى مهادنة قريش حيث قال لسهيل بن عمرو وقد جاء رسولا منهم من جاءنا منكم رددناه ومن جاءكم منا فسحقا سحقا ومثله ما لو اطلق العقد كما فهم بالاولى ويغرمون فيهما مهر المرتدة فان قيل لم غرموا مهر المرتدة ولم نغرم نحن مهر المسلمة على ما تقدم من الخلاف اجيب بانهم قد فوتوا عليه الاستتابة الواجبة علينا وايضا المانع جاء من جهتها والزوج غير متمكن منها بخلاف المسلمة الزوج متمكن منها بالاسلام وكذا يغرمون قيمة رقيق ارتد دون الحر فان عاد الرقيق المرتد الينا بعد اخذنا قيمته رددناها عليهم بخلاف نظيره فى المهر لان الرقيق بدفع القيمة يصير ملكا لهم والنساء لا يصرن زوجات فان قيل كونه يصير ملكا لهم مبنى على جواز بيع المرتد للكافر والصحيح خلافه اجيب بان هذا ليس مبنيا عليه لان هذا ليس بيعا حقيقة فاغتفر ذلك لاجل المصلحة وان شرطنا عدم الرد فان قيل هل يغرم الامام لزوج المرتدة ما انفق من صداقها لانا بعقد الهدنة حلنا بينه وبينها ولولاه لقاتلناهم حتى يردوها اجيب بان هذا ينبنى على ان الامام هل يغرم لزوج المسلمة المهاجرة ما انفق وقد تقدم الكلام على ذلك + فائدة + روى عن ابن عباس انه قال لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان وكانت تحت شداد بن عياض الفهرى وفاطمة بنت ابى امية بن المغيرة اخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز

ابن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابى جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص ابن وائل وام كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة ولما كان التحرى فى مثل ذلك عسرا فان المهور تتفاوت تارة وتتساوى اخرى قال تعالى وَاتَّقُوا اى فى الاعطاء والمنع وغير ذلك الله الذى له صفات الكمال وقدامركم بالتخلق بصفاته على قدر ما تطيقون الَّذِىٓ اَنۡتُمۡ بِهٖ مُؤۡمِنُوۡنَ اى متمكنون فى رتبة الايمان ولما خاطب المؤمنين الذين هم موضع الاجابة والنصرة للدين امر النبى صلى الله عليه وسلم بعد الحكم بايمانهن بمبايعتهن بقوله تعالى يٰۤاَيُّهَا النَّبِىُّ مخاطبا له بالوصف المقتضى للعلم اِذَا جَآءَكَ الۡمُؤۡمِنٰتُ جعل اقبالهن عليه صلى الله عليه وسلم لا سيما مع الهجرة مصححا لاطلاق الهجرة عليهن يُبَايِعۡنَكَ عَلٰٓى اَنۡ لَّا يُشۡرِكۡنَ اى كل واحدة منهن تبايعك على عدم الاشراك فى وقت من الاوقات بِاللّٰهِ اى الملك الذى لا كفوء له شَيۡـًٔا اى من اشراك على الاطلاق وَّلَا يَسۡرِقۡنَ اى يأخذن مال الغير بغير استحقاق فى خفية وَلَا يَزۡنِيۡنَ اى يمكن احدا من وطئهن بغير عقد صحيح وَلَا يَقۡتُلۡنَ اَوۡلَادَهُنَّ اى بالوأد كما كان يفعل فى الجاهلية من وأد البنات اى دفنهن احياء خوفا العار والفقر وَلَا يَاۡتِيۡنَ بِبُهۡتَانٍ اى بولد ملقوط او شبهة بان يَّفۡتَرِيۡنَهٗ اى يتعمدن كذبه بان ينسبنه للزوج ووصفه بصفة الولد الحقيقى بقوله تعالى بَيۡنَ اَيۡدِيۡهِنَّ اى بالحمل فى البطون لان بطنها التى تحمل فيها الولد بين يديها وَاَرۡجُلِهِنَّ اى بالوضع من الفروج لان فرجها الذى تلد منه بين رجليها اولان الولد اذا وضعته سقط بين يديها ورجليها وقيل ايديهن السنتهن بالنميمة ومعنى بين ارجلهن فروجهن وقيل ما بين ايديهن من قبلة او جسة وبين ارجلهن الجماع وروى ان هند لما سمعت ذلك قالت والله ان البهتان لامر قبيح وما يأمر الا بالارشد ومكارم الاخلاق وَلَا يَعۡصِيۡنَكَ اى على حال من الاحوال فِىۡ مَعۡرُوۡفٍ وهو ما وافق طاعة الله تعالى كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب وخمش الوجه فَبَايِعۡهُنَّ اى التزم لهن بما وعدن على ذلك من اعطاء الثواب فى نظير ما الزمن انفسهن من الطاعة فبايعهن صلى الله عليه وسلم بالقول ولم يصافح واحدة منهن قالت عائشة رضى الله عنها والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما امر الله عز وجل وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وروى انها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الاية ان لا يشركن بالله شيئا الى آخرها قالت وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة الا امرأة يملكها وقالت اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقال فيما استطعتن اطقن فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم بنا من انفسنا وقلت يا رسول الله صافحنا فقال انى لا اصافح النساء انما قولى لامرأة كقولى لمائة امرأة وروى انه صلى الله عليه وسلم بايع النساء وبين يديه وايديهن ثوب وكان يشترط عليهن وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار فى بيت ثم ارسل الينا

عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن ان لا تشركن بالله شيئا الاية فقلن نعم فمدّ يده من خارج البيت ومددنا ايدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه فغمسن ايديهن فيه وروى انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال يوم الفتح بمكة وهو على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه وهو يبايع النساء بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه ان لا يشركن بالله شيئا وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعت بحمزة يوم احد فقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايتك اخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان اباسفيان رجل شحيح واني اصيب من ماله قوتنا فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابوسفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك وروى انها قالت يارسول الله ان اباسفيان رجل مسيك فهل علي حرج ان اخذت ما يكفيني وولدي قال لا الا بالمعروف فخشيت هند ان نقتصر على ما يعطيها فتضيع او تاخذ اكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي لا حرج عليك فيما اخذت بالمعروف يعني من غير استطالة الى اكثر من الحاجة ثم قال ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن اي بالوأد ولا يسقطن الاجنة فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا وانت وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء قال اكثر المفسرين معناه لا يلحقن بازواجهن ولدا من غيرهن وكانت المراة تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من البهتان والافتراء وهذا عام في الاتيان بولد والحاقه بالزوج وان سبق النهي عن الزنا + تنبيه + ذكر تعالى في هذه الاية لرسوله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة خصالا ستا صرح فيهن باركان النهي ولم يذكر اركان الامر وهي ست ايضا الشهادة والزكوة والصلوة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهي دائم في كل زمان وكل الاحوال فكان التنبيه على اشتراط الدائم آكد وقيل ان هذه المناهي كانت في النساء كثيرا من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لهذا ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس وانهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فنبههم على ترك المعصية في شرب الخمر دون سائر المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا ترك المرء شهوته من المعاصي هان عليه ترك سائرها مما لا شهوة له فيها ولما كان

الانسان محل النقصان لاسيما النسوان رجاهن سبحانه بقوله تعالى وَاسْتَغْفِرْ اى اسأل لَهُنَّ اللّٰهَ اى الملك الاعظم ذا الجلال والاكرام فى الغفران ان وقع منهن تقصير وهو واقع لانه لا يقدر احد ان يقدر الله تعالى حق قدره اِنَّ اللّٰهَ اى الذى له صفات الكمال غَفُوْرٌ اى بالغ الستر للذنوب عينا واثرا رَّحِيْمٌ اى بالغ الاكرام بعد الغفران تفضلا منه واحسانا وروى ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك بقوله تعالى يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَوَلَّوْا اى لا تعالجوا انفسكم ان تولوا قَوْمًا اى ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من باب اولى غَضِبَ اللّٰهُ اى اوقع الملك الاعلى الغضب عَلَيْهِمْ لا قبالهم على ما احاط بهم من الخطايا فهو عام فى كل من اتصف بذلك يثنا والبهود تنا ولا اوليا قَدْ يَئِسُوْا اى تحققوا عدم الرجاء مِنَ الْاٰخِرَةِ اى من ثوابها مع ايقانهم بها لعنادهم النبى صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه الرسول المبعوث فى التوراة كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ اَصْحٰبِ الْقُبُوْرِ اى من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الاخرة اذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا امنوا وما يصيرون اليه من النار فيتبين لهم قبح حالهم وسوء منقلبهم وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة حديث موضوع نصف ع

سورة الصف مدنية

فى قول الاكثرين وذكر النحاس عن ابن عباس انها مكية وهى اربع عشرة اية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف بِسْمِ اللّٰهِ الملك الاعظم الذى لا كفء له الرَّحْمٰنِ الذى عم بفضله كل احد من خلقه الرَّحِيْمِ الذى خص من شاء من عباده فهيأه لعبادته واهله سَبَّحَ لِلّٰهِ اى اوقع التنزيه الاعظم للملك الاعظم مَا فِى السَّمٰوٰتِ من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالافلاك والنجوم وَمَا فِى الْاَرْضِ كذلك من الادميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة اى نزه الله واتى بما دون من قال الجلال المحلى تغليبا للاكثر فان قيل ما الحكمة فى انه تعالى قال فى بعض السور سبح لله بلفظ الماضى وفى بعضها يسبح بلفظ المضارع وفى بعضها فسبح بلفظ الامر اجيب بان الحكمة فى ذلك تعليم العبد ان يسبح الله تعالى على الدوام كما ان الماضى يدل عليه فى الماضى من الزمان والمستقبل يدل عليه فى المستقبل من الزمان والامر يدل عليه فى الحال فان قيل هلا قيل سبح لله السموات والارض وما فيهما وهو اكثر مبالغة اجيب بان المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها وبالارض جهة السفل فيشمل الارض وما فيها وَهُوَ اى وحده الْعَزِيْزُ اى الغالب على غيره اى شئ كان ذلك الغير ولا يمكن ان يغلب عليه غيره الْحَكِيْمُ اى الذى يضع الاشياء فى اتقن مواضعها روى الدارمى فى مسنده قال انبأنا محمد بن كثير عن الاوزاعى عن يحيى بن ابى كثير عن ابى سلمة عن عبد الله بن سلام

قال فقعدنا مع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله تعالى لعملناه فانزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اى ادعوا الايمان لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَا لَا تَفْعَلُوْنَ حتى ختمها قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها قال ابو سلمة قرأها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقرأها علينا ابو سلمة فقرأها علينا ابو يحيى فقرأها علينا الاوزاعى فقرأها علينا محمد فقرأها علينا الدارمى انتهى ولى بقراءتها سند متصل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لعملناه فلما نزل الجهاد كرهوه وقال الكلبى قال المؤمنون يا رسول الله لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزل هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلمها لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله تعالى عليها بقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله الاية فابتلوا يوم احد ففروا فنزلت هذه الاية تعيرهم بترك الوفاء وقال محمد بن كعب لما اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله تعالى بذلك وقال قتادة والضحاك نزلت فى قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا وقيل قد اذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فقال عمر لصهيب اخبر النبى صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت فى المنتحل وقال ابن زيد نزلت فى المنافقين وندائهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وكانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا وقال القرطبى هذه الاية توجب على كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة ان يفى به وفى صحيح مسلم عن ابى موسى انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وانا كنا نقرأ سورة فشبهها فى الطول والشدة ببراءة فانسيتها غير انى قد حفظت منها لو كان لابن ادم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب وكنا نقرأ سورة فشبهها باحدى المسبحات فانسيتها غير انى حفظت منها يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فلتكتب شهادة فى اعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة قال ابن العربى وهذا كله ثابت فى الدين لفظا ومعنى فى هذه السورة واما قوله شهادة فى اعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة فمعنى ذلك ثابت فى الدين فان من التزم شيئا لزمه شرعا وقال القرطبى ثلث ايات منعتنى ان اقضى على الناس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ويا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت ليلة اسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت من هؤلاء

يا جبريل قال هؤلاء خطباء امتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون به
* تنبيه * قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على وجه الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان
عن نفسه من الخير ما لا يفعله اما في الماضي فيكون كذبا واما في المستقبل فيكون خلفا وكلاهما
مذموم قال الزمخشري لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف
الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع
استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت
او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثه اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة
عليها محذوفة اهـ ووقف البزي له بهاء السكت بخلف عنه كَبُرَ اي عظم وقوله تعالى مَقْتًا تمييز والمقت
اشد البغض وزاد في تشنيعه زيادة في التنفير منه بقوله تعالى عِنْدَ اللّٰهِ اي الملك الاعظم الذي يحقر
عنده كل متعاظم وقيل ان كبر من امثلة التعجب وقد عده ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحو قال
صيغة ما افعله وافعل به وفعل نحو كرم الرجل واليه نحا الزمخشري فقال هذا من افصح الكلام وابلغه
في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله * غلت ناب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم
الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله وقوله تعالى
اَنْ تَقُولُوا اي عظم من تلك الجهة ان يقع في وقت من الاوقات او حال من الاحوال قولكم مَا لَا تَفْعَلُونَ
فاعل كبر قال الرازي وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان في السورة التي قبلها بيان الخروج
الى الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
وفي هذه السورة بين ما يحمل المؤمن ويحثه على الجهاد بقوله تعالى اِنَّ اللّٰهَ اي الذي له جميع صفات
الكمال يُحِبُّ اي يفعل فعل المحب مع الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ اي يوقعون القتال فِيْ سَبِيْلِهٖ اي بسبب
تسهيل طريقه الموصلة الى رضاه وقوله تعالى صَفًّا حال اي مصطفين حتى كانهم في اجتماع الاراء على
قلب واحد كما كانوا في التساوي في الاصطفاف كالبدن الواحد كَاَنَّهُمْ من شدة التراص
والمساواة بالصدور والمناكب والثبات في المركز بُنْيَانٌ وزاد في التأكيد بقوله تعالى مَرْصُوْصٌ اي
ملزق بعض الى بعض ثابت كثبوت البناء وقال ابن عباس يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم
يوضع اللبن عليه فيسميه اهل مكة المرصوص وقال الرازي يجوز ان يكون المعنى على انه يستوي
شانهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص
قال القرطبي استدل بعضهم بهذه الاية على ان قتال الراجل افضل من قتال الفارس لان الفرسان
لا يصطفون على هذه الصفة قال المهدوي وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس في الاجر و
الغنيمة ولا يخرج الفرسان من معنى الاية لان معناها الثبات ولهذا يحرم الخروج من الصف الا لحاجة ومنها
الا متحرفا لقتال كمن ينصرف ليكمن في موضع ويهجم او ينصرف من مضيق ليتبعه العدو الى متسع
سهل للقتال او متحيزا الى فئة يستنجد بها ولو بعيدة قليلة او كثيرة فيجوز انصرافه لقصده ذلك

لقتال وتجوز المبارزة لكافر لم يطلبها بلا كره وندب لقوي اذن له الامام او نائبه لاقراره صلى الله
عليه وسلم عليها وهي ظهور اثنين من الصفين للقتال من البروز وهو الظهور فان طلبها كافر سنت
للقوي المأذون له للامر بها في خبر ابي داود ولان في تركها حينئذ اضعافا لنا وتقوية لهم والا كرهت
ولما ذكر تعالى الجهاد ذكر قصة موسى وعيسى عليهما السلام تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم
ليصبر على اذى قومه مبتدئا بقصة موسى عليه السلام لتقدمه فقال تعالى وَاِذْ اي واذكر يا اشرف
الخلق اِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهٖ اي بني اسرائيل وقوله يٰقَوْمِ استعطاف لهم واستنهاض الى رضاهم
لِمَ تُؤْذُوْنَنِيْ اي تجددون اذاي مع الاستمرار وذلك حين رموه بالادرة كما في سورة الاحزاب
ومن الاذى ما ذكر في قصة قارون انه دس الى امرأة تدعي على موسى الفجور ومن الاذى قولهم
اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وقولهم انت
قتلت هرون وغير ذلك وقوله تعالى وَقَدْ تَّعْلَمُوْنَ جملة حالية اي علمتم علما قطعيا مع تجدده
لكم كل وقت بتجدد اسبابه بما اتيتكم به من المعجزات والكتاب الحافظ لكم من الزيغ اَنِّيْ رَسُوْلُ اللّٰهِ
الملك الاعظم الذي لا كفوء له اِلَيْكُمْ ورسوله يعظم ويحترم لانه تنتهك جلالته وتحترم وانا لا اقول
لكم شيئا الا عنه ولا انطق عن الهوى فَلَمَّا زَاغُوْٓا اي عدلوا عن الحق بمخالفة اوامر الله تعالى وبأذائه
وقرأ حمزة بالامالة والباقون بالفتح اَزَاغَ اللّٰهُ اي الملك الذي له الامر كله قُلُوْبَهُمْ اي امالها عن الهدى
على وفق ما قدره في الازل وَاللّٰهُ اي الذي له الحكمة البالغة لانه المستجمع لصفات الكمال لَا يَهْدِي
اي بالتوفيق بعد هداية البيان الْقَوْمَ الْفٰسِقِيْنَ اي العريقين في الفسق الذين لهم قوة الهوى وليس
لثباتهم على الفسق ضعف فاحذروا ان تكونوا مثلهم في الزيغ فتساووهم في عقوبات الجرائم وهذا
تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان اذاهم يؤدي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى ثم ذكر القصة
الثانية بقوله تعالى وَاِذْ اي واذكر يا اشرف المرسلين اِذْ قَالَ عِيْسَى ووصفه بقوله ابْنُ مَرْيَمَ ليعلم انه
من غير اب وثبتت نبوته بالمعجزات يٰبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ فذكرهم بما كان عليه ابوهم من الدين وما وصى به
بنيه من التمسك بالاسلام ولم يقل يا قوم كما قال موسى عليه السلام لانه لا اب له فيهم وان كانت
امه منهم فان النسب انما هو من جهة الاب ولكن لا انكار بعضهم فقال اِنِّيْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اي الملك الاعظم
اِلَيْكُمْ اي لا الى غيركم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ اي قبلي مِنَ التَّوْرٰىةِ التي تعلمون ان الله تعالى انزلها على موسى
عليه السلام وهي اول الكتب التي نزلت بعد الصحف وحكم بها النبيون فتصديقي لها مع تأييدي
بها مؤيد لان ما اتيتكم به من الدلائل حق ومبين انها ايلي فيما لم ينسخه منها كما يستدل بما قدامه
من الاعلام ويراعيه ببصره وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي بالامالة محضة وقرأ حمزة ونافع
بين بين بخلاف عنه عن قالون والباقون بالفتح وَمُبَشِّرًا اي في حال تصديقي للتوراة بِرَسُوْلٍ اي الى
كل من ثم له الربوبية يَّاْتِيْ مِنْۢ بَعْدِي اي بعد تصديقي بالتوراة فكانه قيل ما اسمه قال اسْمُهٗٓ
اَحْمَدُ والمعنى ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدم مني من التوراة وفي حال تبشيري برسول

يأتي من بعدي يعني انّ ديني التصديق بكتب الله تعالى وانبيائه جميعا ممن تقدّم وتأخر فان
قيل بم انتصب مصدّقا ومبشرا ابما في الرسول من معنى الارسال ام باليكم اجيب بانه بمعنى الارسال لانّ
اليكم صلة للرّسول فلا يجوز ان يعمل شيئا لانّ حروف الجرّ لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى
الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن تعمل وعن كعب انّ الحواريين قالوا لعيسى
يا رسول الله هل بعدنا من امّة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون
من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل وعن جبير بن مطعم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقد سماه الله
تعالى رؤفا رحيما وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اسمي في التورية احيد لاني احيد امتي عن النار
اسمي في الزبور الماحي محا الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد وفي القرآن محمد لاني محمود
في اهل السماء والارض بل ذكر بعض الحكماء انه له الف اسم قال البغوي والالف في احمد للمبالغة
في الحمد وله وجهان احدهما انه مبالغة من الفاعل اي ومعناه انّ الانبياء حمادون لله تعالى وهو
اكثر حمدا من غيره والثاني انه مبالغة من المفعول اي ومعناه ان الانبياء كلهم محمودون لما فيهم
من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها اهـ
وعلى كلا الوجهين منعه من الصرف للعلمية والوزن الغالب الا انه على الاحتمال الاوّل يمتنع معرفة
وينصرف نكرة وعلى الثاني يمتنع تعريفا وتنكيرا لانه يخلف العلمية الصفة واذا نكر بعد كونه
علما جرى فيه خلاف سيبويه والاخفش وهي مسئلة مشهورة بين النحاة وانشد حسان
يمدحه وصرفه ☆ صلى الاله ومن يحف بعرشه + والطيبون على المبارك احمد + احمد بدل
او بيان للمبارك واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن في معنى المبالغة
والتكرار فاحمد هو الذي حمد مرّة بعد مرّة قال القرطبي كما انّ المكرّم من اكرم مرّة بعد مرّة وكذلك
المدّح ونحو ذلك واسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه قبل ان يسمي به نفسه فهذا علم من
اعلام نبوّته وكان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا لما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود
في الآخرة بالشفاعة فقد تكرّر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه
فنبّاه وشرّفه فلذلك تقدّم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى
عليه السلام حين قال له ربه تلك امّة احمد فقال اللهمّ اجعلني من امّة محمد فباحمد ذكره قبل ان يذكره
بمحمد لانّ حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه
بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فدل ذلك على انه صلى الله عليه وسلم
اشرف الانبياء فاتحا لهم وخاتما عليهم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وشعبة بفتح الياء والباقون بالسكون
وقوله تعالى فَلَمَّا جَاءَهُمْ يحتمل ان يعود فيه الضمير لاحمد اي جاء الكفار واقتصر على ذلك الجلال المحلي

ويحتمل عوده لعيسى اى جاء بنى اسرائيل بالبينات اى من المعجزات العظيمة التى لا يسوغ لعاقل
الا التسليم بها ومن الكتاب المبين قالوا اى عند مجيئها من غير نظرة لتامل هذا اى الماتى به من البينات
او الاتى بها على المبالغة سحر فكانوا اول كافر به لان هذا وصف لهم لازم سواء بلغهم ذلك ام لا
مبين اى فى غاية البيان فى سحريته وقرأ حمزة والكسائى بفتح السين والف بعدها وكسر الحاء
وهذه القراءة مناسبة للتفسير الثانى والباقون بكسر السين وسكون الحاء وهذه مناسبة
للتفسير الاول ومن اى لا احد اظلم اى اشد ظلما ممن افترى اى تعمد على الله اى الملك
الاعلى الكذب اى بنسبة الشريك والولد اليه ووصف اياته بالسحر ووصف انبيائه بالسحر
وهو اى والحال انه يدعى اى من اى داع كان الى الاسلام اى الذى هو احسن الاشياء فان له
فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله تعالى والله اى الذى له الامر كله
فلا امر لاحد معه لا يهدى القوم اى لا يخلق الهداية فى قلوب من فيهم قوة المحاولة للامور
الصعاب الظالمين اى الذين يخبطون فى عقولهم خبط من هو فى الظلام يريدون اى يوقعون
ارادة ردهم للرسالة بافترائهم ليطفئوا اى لاجل ان يطفئوا نور الله اى الملك الذى لا شئ يكافئه
بافواههم اى بما يقولون من كذب لا منشأ له غير الافواه لانه لا اعتقاد له فى القلوب * تنبيه *
الاطفاء والاخماد يستعملان فى النار وفيما يجرى مجراها من الضياء والظهور ويفرق بين الاطفاء
والاخماد من حيث ان الاطفاء يستعمل فى القليل فيقال اطفأت السراج ولا يقال اخمدت السراج
وفى هذه اللام اوجه احدها انها تعليلية كما مر ثانيها انها مزيدة فى مفعول الارادة وقال
الزمخشرى اصله يريدون ان يطفئوا كما فى سورة التوبة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة
توكيدا له لما فيها من معنى الارادة فى قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام فى لا ابا لك تاكيدا
لمعنى الاضافة فى لا اباك قال الماوردى وسبب نزول هذه الآية ما حكاه عطاء عن ابن عباس ان النبى
صلى الله عليه وسلم ابطأ عليه الوحى اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر يهود ابشروا فقد
اطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تعالى هذه الآية واتصل الوحى بعدها واختلف فى المراد بالنور فقال ابن عباس هو القرآن اى يريدون
ابطاله وتكذيبه بالقول وقال السدى الاسلام اى يريدون رفعه بالكلام وقال الضحاك انه
محمد صلى الله عليه وسلم اى يريدون هلاكه بالاراجيف وقال ابن جريج حجج الله تعالى ودلائله يريدون
ابطالها بانكارهم وتكذيبهم وقيل انه مثل مضروب اى من اراد اطفاء نور الشمس بفيه فوجده
مستحيلا ممتنعا كذلك من اراد اطفاء الحق والله اى الذى لا مدافع له لتمام عظمته متم نوره
فلا يضره ستر احد له بتكذيبه ولا ارادة اطفائه وزاد ذلك بقوله تعالى ولو كره اى اتمامه له
الكافرون اى الراسخون فى جهة الكفر المجتهدون فى المحاماة عنه هو اى الذى ثبت انه جامع
لصفات الكمال والجلال وحده من غير ان يكون له شريك او وزير الذى ارسل رسوله اى الحقيق

بان بعظمه كل من بلغه امره لان عظمته من عظمته ولم يذكر حرف الغاية اشارة الى عموم الارسال الى كل من شمله الملك كما مضى بِالْهُدٰى اى البيان الشافى بالقرآن او المعجزة وَدِيْنِ الْحَقِّ اى والملة الحنيفية لِيُظْهِرَهٗ اى يعليه مع الشهرة واذلال المنازع عَلَى الدِّيْنِ اى جنس الشريعة التى سيجعل ليجازى من يسلكها ومن يزيغ عنها بما يشرع فيها من الاحكام كُلِّهٖ فلا يبقى دين الا كان دونه وامحق به وذل اهله ذلا لا يقاس به ذل وَلَوْ كَرِهَ اى اظهاره الْمُشْرِكُوْنَ اى المعاندون فى كفرهم الراسخون فى سلك المعاندة فان قيل قال اولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة فى ذلك اجيب بانه تعالى ارسل رسوله وهو من نعم الله تعالى والكافرون كلهم فى كفران النعم سواء فلهذا قال ولو كره الكافرون لان لفظ الكافر اعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ الكافر اليق به واما قوله تعالى ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه لانه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء الدعوة امر بالتوحيد بلا اله الا الله فلم يقولوها فلهذا قال ولو كره المشركون واختلف فى سبب نزول قوله تعالى يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اى اقروا بالايمان هَلْ اَدُلُّكُمْ اى وانا المحيط علما وقدرة فهى ايجاب فى المعنى ذكر بلفظ الاستفهام تشريفا ليكون اوقع فى النفس عَلٰى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ اَلِيْمٍ اى مؤلم فقال مقاتل نزلت فى عثمان بن مظعون قال يا رسول الله لو اذنت لى طلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا ولا افطر بنهار ابدا فقال صلى الله عليه وسلم ان من سنتى النكاح ولا رهبانية فى الاسلام انما رهبانية امتى الجهاد فى سبيل الله وخصاء امتى الصوم ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ومن سنتى انام واقوم وافطر واصوم فمن رغب عن سنتى فليس منى فقال عثمان والله لوددت يا رسول الله اى التجارة احب الى الله تعالى فاتجر فيها فنزلت وقيل ادلكم اى سادلكم والتجارة الجهاد قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية وهذا خطاب لجميع المؤمنين وقيل نزل هذا حين قالوا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله تعالى لعملنا به قال البغوى وجعل هذا بمنزلة التجارة لانهم يربحون بها رضا الله تعالى ونيل جنته والنجاة من النار وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الجيم والباقون بسكون النون وتخفيف الجيم ثم بين سبحانه تلك التجارة بقوله تعالى تُؤْمِنُوْنَ اى تدومون على الايمان بِاللّٰهِ اى الذى له جميع صفات الكمال وعلى هذا فلا ينافى ذلك قوله تعالى يايها الذين امنوا وقيل المراد من هذه الاية المنافقون وهم الذين امنوا فى الظاهر وقيل اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم امنوا بالكتب المتقدمة وَرَسُوْلِهٖ الذى تصديقه اية الاذعان للعبودية وَتُجَاهِدُوْنَ بيانا لصحة ايمانكم على سبيل التجديد والاستمرار فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اى الملك الاعظم الذى لا امر لغيره بِاَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ وقدم الاموال لعزتها فى ذلك الزمان ولانها قوام الانفس فمن بذل ماله كله لم يبخل بنفسه لان المال قوامها وقال القرطبى ذكر الاموال اولا لانها التى يبدأ بها فى الانفاق ذٰلِكُمْ اى الامر العظيم من الايمان والتصديق بالجهاد خَيْرٌ لَّكُمْ اى من اموالكم

خير

وانفسكم إن كنتم تعلمون اى ان كان يمكن ان يتجدد لكم علم في وقت فانتم تعلمون ان ذلك
خير لكم فاذا علمتم انه خير اقبلتم عليه فكان لكم به امر عظيم وان كانت قلوبكم قد طمست طمسا لا رجاء
لصلاحه فصلوا على انفسكم صلاة الموت وقوله تعالى يغفر لكم فيه اوجه احدها انه مجزوم على جواب
الخبر بمعنى الامر اى آمنوا وجاهدوا والثاني انه مجزوم في جواب الاستفهام كما قاله الفراء والثالث
انه مجزوم بشرط مقدر اى ان تؤمنوا يغفر لكم قال القرطبي وادغم بعضهم فقرأ يغفر لكم والاحسن
ترك الادغام فان الراء حرف متكرر قوى فلا يحسن الادغام في اللام لان الاقوى لا يدغم في الاضعف
وتقدم في آخر سورة البقرة مثل ذلك للزمخشري والبيضاوي ورد عليهما ذنوبكم اى يمحو
اعيانها وآثارها كلها ويدخلكم اى بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم جنات اى بساتين تجري من
تحتها اى من تحت اشجارها وغرفها وكل منتزه فيها الانهار فهي لا تزال غضة زهراء ولم يحتج
هذا الاسلوب الى ذكر الخلود لاغناء ما بعده عنه ودل على الكثرة المفرطة في الدور بقوله في صيغة
منتهى الجموع ومساكن طيبة روى الحسن قال سألت عمران بن حصين وابا هريرة عن قوله
تعالى ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من
لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة
خضراء في كل بيت سبعون سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة
من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت
سبعون وصيفا ووصيفة فيعطي الله تعالى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله
في جنات عدن اى بساتين هي اهل للاقامة بها لا يحتاج في اصلاحها الى شئ خارج يحتاج في تحصيله الى الخروج
عنها له قال حمزة الكرماني في كتابه جوامع التفسير هي اى جنات عدن قصبة الجنان ومدينة الجنة
اقربها الى العرش ذلك اى الامر العظيم جدا الفوز العظيم اى السعادة الدائمة الكبيرة واصل الفوز الظفر
بالمطلوب. ولما ذكر تعالى ما انعم به عليهم في الآخرة بشرهم بنعمته في الدنيا بقوله تعالى وأخرى تحبونها
اى ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون
العاجل على الآجل وقوله تعالى نصر من الله اى الذي احاطت عظمته بكل شئ خبر مبتدأ مضمر اى تلك
النعمة او الخصلة الاخرى نصر من الله وفتح قريب اى غنيمة في عاجل الدنيا قيل فتح مكة قال الكلبي
هو النصر على قريش وقال ابن عباس يريد فتح فارس والروم وقوله تعالى وبشر المؤمنين عطف على
محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا
ايها المؤمنون وبشرهم يا اشرف الرسل بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة يا ايها الذين آمنوا اى اقروا بذلك
كونوا اى بغاية جهدكم انصار الله اى لدينه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو انصارا بالتنوين و
جر اللام من الاسم الجليل وترقيقها والباقون بغير تنوين وتفخيم اللام كما اى كونوا لاجل اني
نبيكم انا بتولي من غير واسطة ولذلكم خطابي مثل ما كان الحواريون انصار الله حين قال

عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ حين ارسله الى بني اسرائيل ناسخا لشريعة موسى عليه السلام لِلْحَوَارِيّٖنَ اى خلص اصحابه وخاصته منهم مَنْ اَنْصَارِيْٓ اِلَى اللّٰهِ اى المحيط بكل شئ اى انصروا دين الله تعالى مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام من انصارى الى الله اى من ينصرني مع الله تعالى قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ معلمين انهم جادون فى ذلك حين الامر بين عليه لعلمهم ان اجابته اجابة الله تعالى لانه لا ينطق عن الهوى فليس كلامه الا عن الله تعالى نَحْنُ اى بجميعنا وكانوا اثنى عشر رجلا وهم اول من امن بعيسى اَنْصَارُ اللّٰهِ اى الملك الاعلى القادر على تمام نصرنا ولو كان عدونا كل اهل الارض + ولما كان التقدير ثم دعوا كل من خالفهم من بنى اسرائيل وبارزهم تسبب عنه قوله تعالى فَاٰمَنَتْ اى به طَّآئِفَةٌ اى ناس منهم اهل الاستدارة لما لهم من الكثرة مِّنْۢ بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ قومه وَكَفَرَتْ طَّآئِفَةٌ اى منهم واصل الطائفة القطعة من الشئ وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى فَاَيَّدْنَا اى قوينا بعد رفع عيسى عليه السلام الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اى اقروا بالايمان المخلص عَلٰى عَدُوِّهِمْ اى الذين عادوهم لاجل ايمانهم فَاَصْبَحُوْا اى صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل ظٰهِرِيْنَ اى عالين غالبين قاهرين فى اقوالهم وافعالهم لا يخافون احدا ولا يستخفون منه وروى المغيرة عن ابراهيم قال فاصبحت حجة من امن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام كلمة الله وعبده ورسوله وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه حديث موضوع ع

سورة الجمعة مدنية

وهى احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا

روى مسلم عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب الاول من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله تعالى لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه هدانا الله له وقال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى بِسْمِ اللّٰهِ الذى احاط علمه بكل معلوم فتم بيانه الرَّحْمٰنِ الذى تمت نعمة بيانه فعم العظيم شانه الرَّحِيْمِ الذى خص حزبه بالتوفيق فثبت عندهم حبه وايمانه يُسَبِّحُ اى يوقع التنزيه الاعظم الانهى الاكمل لِلّٰهِ اى الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما مَا فِى السَّمٰوٰتِ اى من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالافلاك والنجوم وَمَا فِى الْاَرْضِ

ع ٢

كذلك من الآدميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة اى ينزه الله واتى بما دون من قال الجلال المحلى تغليبا للاكثر ويحتمل ان يكون المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء ومافيها وبالارض جهة السفل فيشمل الارض ومافيها الْمَلِكِ اى الذى ثبت له جميع الكمالات فهو ينصر من يشاء من جنده ولو كان ذليلا فيصبح ظاهرا الْقُدُّوسِ اى المنزه عما لايليق به وعن احاطة احد من الخلق بعلمه وادراك كنه ذاته فليس فى ايدى الخلق الا التردد فى شهود افعاله والتدبير لمفاهيم نعوته وجلاله واحقهم بالقرب والعداد فى حزبه المتخلق باوصافه على قدر اجتهاده فينبغى للمؤمن التنزه عن ان يقول مالا يفعل اويبنى شيئا من اموره على غير احكام الْعَزِيزِ اى الذى يغلب كل شئ ولايغلبه شئ الْحَكِيمِ اى الذى يوقع كل ماأراد فى احكم مواضعه واتمها واتقنها هُوَ اى وحده الَّذِىْ بَعَثَ فِى الْاُمِّيّٖنَ اى العرب لان اكثرهم لايكتبون ولايقرؤن والامى من لايقرأ ولايكتب رَسُوْلًا مِّنْهُمْ اى من جملتهم اميا مثلهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومامن حى من العرب الاوله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه قال ابن اسحٰق الا بنى تغلب فان الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان اميا لم يقرأ من كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم علمه الله مالم يكن يعلم من غير تطلب فكانت اثار البشرية عنه مندرسة وانوار الحقائق عليه لائحة وذلك لئلا يتوهم الافتقار الى الاستعانة بالكتب لان مشاكلته لحال من بعث فيهم اقرب الى مساواتهم له لو امكنهم فيكون معنى عدم امكان المساواة ادل على الاعجاز وبعثه الى العرب لاينفى بعثه الى غيرهم لاسيما مع ماورد فيه من صرائح الدلائل القطعية فذكر موضع البعث وابتداءه فتكون الغاية مطلقة تقديرها الى عامة الخلق يَتْلُوْا اى يقرأ قراءة يتبع بعضها بعضا على وجه الكثرة والعلو والرفعة عَلَيْهِمْ مع كونه اميا مثلهم اٰيٰتِهٖ اى يأتيهم بها على سبيل التجدد والمواصلة وهى القرآن الذى اعجز الجن والانس ان يأتوا بسورة من مثله وَيُزَكِّيْهِمْ اى يطهرهم من الشرك والاخلاق الرذيلة والعقائد الزائغة فكانت تزكيته لهم مدة حياته بنظره الشريف اليهم وتعليمه لهم وتلاوته عليهم فربما نظر الى الانسان نظرة محبة فزكاه الله تعالى بها بحسب القابليات والامور التى قضى الله تعالى ان تكون مهيأت فكان له اعشق فكان لاتباعه الزم فكان فى كتاب الله وسنته ارسخ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ اى القرآن المنزل عليه الجامع لكل خير دينى ودنيوى فى الاولى والاخرى وَالْحِكْمَةَ وهى غاية الحكم للكتاب فى قوة فهمه والعمل به فهى العمل المزين بالعلم المتقن به وقال الحسن الكتاب القرآن والحكمة السنة وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم والحكمة السنة لان الخط انما فشا فى العرب بالشرع لما امروا بالتقييد بالخط وقال مالك بن انس الحكمة الفقه فى الدين وَاِنْ اى والحال انهم كَانُوْا اى كونا هو كالجبلة لهم مِنْ قَبْلُ اى قبل ارساله اليهم لَفِىْ ضَلٰلٍ اى بعد عن المقصود مُّبِيْنٍ اى ظاهر فى نفسه مناد لغيره انه ضلال باعتقادهم الا باطل الظاهر وظنهم انهم على شئ وعموم الجهل لهم ورضاهم به واختيارهم له وقوله تعالى وَّاٰخَرِيْنَ مِنْهُمْ فيه

وجهان احدهما انه مجرور عطفا على الاميين اى وبعث فى الاخرين من الاميين اى الموجودين والآتين منهم بعدهم لَمَّا اى لم يَلْحَقُوا بِهِمْ فى السابقة والفضل والثانى انه منصوب عطفا على الضمير المنصوب فى يعلمهم اى ويعلم اخرين لما يلحقوا بهم وسيلحقون وكل من تعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى اخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم معلمه بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم + تنبيه + الذين لم يلحقوا بهم هم الذين لم يكونوا فى زمنهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عمر وسعيد بن جبير هم العجم وفى الصحيحين عن ابى هريرة قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبى صلى الله عليه وسلم حتى ساله مرة او مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسى قال فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وفى رواية لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجال من فارس او قال من ابناء فارس حتى تتناوله وقال عكرمة هم التابعون وقال مجاهد هم الناس كلهم يعنى من بعد العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان هم من دخل فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وروى سهل بن سعد الساعدى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى اصلاب امتى رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال ابن عادل والقول الاول اثبت وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رايتنى اسقى غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا ابا بكر قال يا نبى الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذلك اولها الملك يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام رواه ابن ابى ليلى عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهو على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وَهُوَ اى والحال انه وحده الْعَزِيْزُ اى الذى يقدر على كل ما اراده ولا يغلبه شئ فهو يزكى من يشاء ويعلمه ما اراد من اى طائفة كان ولو كان اجهل اهل تلك الطائفة لان الاشياء كلها بيده الْحَكِيْمُ فهو اذا اراد شيئا موافقا الشرع وامره جعله على اتقن الوجوه واوثقها فلا يستطاع نقضه ومهما اراده كيف كان فلا بد من انفاذه فلا يطاق رده بوجه + ولما كان هذا امرا باهرا عظمه بقوله تعالى على وجه الاستئناف من قدرته ذٰلِكَ الامر العظيم الرتبة من تفضيل الرسول وقومه وجعلهم متبوعين بعد ان كان العرب اتباعا لا وزن لهم عند غيرهم من الطوائف فَضْلُ اللّٰهِ اى الذى له جميع صفات الكمال والفضل ما لا يكون مستحقا لحد فى الفرض يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَآءُ قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقال الكلبى يعنى الاسلام فضل الله يؤتيه من يشاء وقال مقاتل يعنى الوحى والنبوة وقيل انه المال ينفق فى الطاعة لما روى ابو صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه ان فقراء المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك فقالوا يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

افلا اعلمكم شيأ تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلوة ثلاثا وثلاثين مرة قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا من اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء وقيل انه انقياد الناس الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه ونصرته وَاللّٰهُ الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ولما ترك اليهود العمل بالتورية ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى مَثَلُ الَّذِيْنَ حُمِّلُوا التَّوْرٰىةَ اى اى كلفوا والزموا احمل الكتاب الذى اتاه الله تعالى لبنى اسرائيل على لسان موسى عليه الصلوة والسلام بان علمهم اياها سبحانه وكلفهم حفظ الفاظها عن التغيير والنسيان ومعانيها عن التحريف والتلبيس وحدودها واحكامها عن الاهمال والتضييع ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوْهَا اى بان حملوا الفاظها ولم يعملوا بما فيها من الوصية باتباع عيسى عليه الصلوة والسلام اذا جاءهم ثم محمد صلى الله عليه وسلم اذا جاء فهى ضارة لهم بشهادتها عليهم فاذا لهم النار من غير نفع اصلا كَمَثَلِ اى مثل مثل الْحِمَارِ اى الذى هو ابلد الحيوان فهو مثل فى الغباوة حال كونه يَحْمِلُ اَسْفَارًا اى كتبا كبارا من كتب العلم جمع سفر وهو الكتاب الكبير المسفر عما فيه فى عدم الانتفاع بها لانه يمشى ولا يدرى منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله ومثل ذلك قول الشاعر ؎ زوامل للاسفار لا علم عندهم + بجيدها الا كعلم الاباعر + لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا + باحماله او راح ما فى الغرائر + من انشاد الشيخ ابن الخباز بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ اى الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريدون الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا اى عمدا على علم بِاٰيٰتِ اللّٰهِ اى دلالات الملك الاعظم على رسله ولاسيما محمد صلى الله عليه وسلم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل وَاللّٰهُ اى الذى له جميع صفات الكمال لَا يَهْدِى الْقَوْمَ اى لا يخلق الهداية فى قلوب الذين تعمدوا الزيغ الظّٰلِمِيْنَ اى الذين تعمدوا الظلم منابذة الهدى الذى هو البيان الذى لم يدع لبسا حتى صار الظلم لهم صفة راسخة + ولما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه نزل قوله تعالى قُلْ اى يا اشرف الرسل يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ هَادُوْا اى تدينوا باليهودية اِنْ زَعَمْتُمْ اى قلتم قولا هو معرض للتكذيب ولذلك اكذبموه اَنَّكُمْ اَوْلِيَآءُ لِلّٰهِ اى الملك الاعلى الذى لا امر لاحد معه خصكم بذلك خصوصية مبتدأة مِنْ دُوْنِ اى ادنى رتبة من رتب النَّاسِ فلم تنفذ الولاية وتلك الرتبة فى الدنيا الى احد منهم غيركم بل خصكم بذلك عن كل من فيه اهلية التولية لاسيما الاميين فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ واخبروا عن انفسكم بذلك للنقلة من دار البلاء الى محل الكرامة والآلاء اِنْ كُنْتُمْ اى كونا راسخا صٰدِقِيْنَ اى عريقين عند انفسكم فى الصدق فان من علامات المحبة الاشتياق الى المحبوب ومن المقطوع به ان من كان فى كل

وكان له ولىّ قد وعده عند الوصول اليه الراحة التى لا يشوبها ضرر تمنى النقلة الى وليه روى انه صلى الله عليه وسلم قال لهم والذى نفسى بيده لا يقولها احد منكم الا غص بريقه فلم يقلها منهم احد علما منهم بصدقه صلى الله عليه وسلم فلم يقولوا ولم يؤمنوا عنادا منهم ثم اخبر الله تعالى عنهم انهم لا يتمنونه فى المستقبل ايضا بقوله تعالى وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ اى فى المستقبل اَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ اى بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى التى احاطت بهم فلم تدع لهم حظا فى الآخرة + تنبيه + قال تعالى هنا ولا يتمنونه وفى البقرة ولن يتمنوه قال الزمخشرى لا فرق بين لا ولن فى ان كل واحدة منهما نفى للمستقبل الا ان فى لن تاكيدا وتشديدا ليس فى لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه قال ابو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو ان لن تقتضى النفى على التابيد الى مذهب الجماعة وهى انها لا تقتضيه قال بعضهم وليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه وتشريكه بين لا ولن فى نفى المستقبل لا ينفى اختصاص لن بمعنى اخرا ودعواهم الولاية الى التوسل الى الجنة لا يلزم منها الاختصاص بالنعم بدليل ان الدنيا ليست خالصة لاولياء الحق لهم الولاية بل البر والفاجر مشترك فيها وَاللّٰهُ اى الذى له الاحاطة بكل شئ قدرة وعلما عَلِيمٌ بالغ العلم محيط بهم هكذا كان الاصل ولكنه تعالى قال بِالظّٰلِمِيْنَ تعميما وتعليقا بالوصف لا بالذات فالمعنى انه عالم باصحاب هذا الوصف الراسخين فيه منهم ومن غيرهم فهو مجازيهم على ظلمهم قُلْ اى لهؤلاء يا اشرف الرسل اِنَّ الْمَوْتَ الَّذِىْ تَفِرُّوْنَ مِنْهُ بالكف عن التمنى فَاِنَّهٗ مُلٰقِيْكُمْ اى لا تفوتونه لاحق بكم + تنبيه + فى هذه الفاء وجهان احدهما انها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول فى ذلك قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وههنا قال فانه ملاقيكم لما فى معنى الذى من الشرط والجزاء اى ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون مبالغة فى الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه الثانى انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور + ولما كان الحبس فى البرزخ امرا لا بد منه مهولا نبه عليه وعلى طوله باداة التراخى فقال تعالى ثُمَّ تُرَدُّوْنَ اِلٰى عٰلِمِ الْغَيْبِ اى السر وَالشَّهَادَةِ اى العلانية او كل ما غاب عن الخلق وكل ما شوهد فَيُنَبِّئُكُمْ اى يخبركم اخبارا عظيما مستقصى مستوفى بِمَا كُنْتُمْ اى بما هو لكم كالجبلة تَعْمَلُوْنَ اى بكل جزء منه مما برز الى الخارج ومما كان فى جبلتكم ولو بقيتم لفعلتموه ليجازيكم يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْۤا اى اقروا بالسنتهم بالايمان اِذَا نُوْدِىَ اى من اى مناد كان من اهل النداء لِلصَّلٰوةِ اى صلوة الجمعة مِنْ اى فى يَوْمِ الْجُمُعَةِ كقوله تعالى ارونى ماذا خلقوا من الارض اى فى الارض والمراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال وعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثانى على الدور وزاد فى رواية فثبت الامر على ذلك وعن ابى داود قال كان يؤذن بين يدى رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا جلس يوم الجمعة على المنبر على باب المسجد روى انه كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام الصلوة ثم كان
ابوبكر وعمر وعلي بالكوفة على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد اذانا فامر
بالتاذين الاول على دار له التي تسمى زوراء فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمان على المنبر اذن
الاذان الثاني الذي كان على زمن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا نزل اقام الصلوة فلم يعب ذلك
عليه لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي قال الماوردي
اما الاذان الاول فمحدث فعله عثمان بن عفان ليتاهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع
المدينة وكثرة اهلها وكان عمر امر ان يؤذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن سوقهم
فاذا اجتمعوا اذن في المسجد فجعله عثمان اذانين في المسجد قال ابن العربي وفي الحديث الصحيح ان الاذان
كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا فلما كان زمن عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء
وسماه في الحديث ثالثا لانه اضافه الى الاقامة كقوله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلوة لمن شاء
يعني الاذان والاقامة وتوهم بعض الناس انه اذان اصلي فجعلوا المؤذنين ثلاثة قال ابن عادل فكان
وهما ثم جمعوهم في وقت واحد فكان وهما على وهم واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فمنهم من قال
لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه الصلوة والسلام روى مالك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه الصلوة والسلام وفيه
اهبط وفيه مات وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وروى انه صلى الله
عليه وسلم قال اتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك
عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد ومنهم من قال لان
الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات ومنهم من قال لاجتماع الجماعات فيه للصلوة
وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لؤي وكان
اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة وعن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل
ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وقيل ان
الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع
فيه فنذكر الله تعالى فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة
فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم
فيه ثم انزل الله تعالى آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام وروى عن عبد الرحمن بن كعب
بن مالك عن ابيه كعب انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقلت له اذا سمعت
النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في بقيع يقال له
بقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعين اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها النبي

صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحى ومن تلك السنة يعد التاريخ فاقام بها الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان يامره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل بها على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وهو الذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيأته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في كتابه واوضح لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين واحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال بعضهم قد ابطل الله تعالى قول اليهود في ثلث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم الله بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع الله تعالى لهم يوم الجمعة + تنبيه + سمى الله تعالى الجمعة ذكره قال ابو حنيفة ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان انه صعد المنبر فقال الحمد لله فارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستاتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر

عليه

عليه احد وعند صاحبيه والشافعي لابد من كلام يسمى خطبة ولها اركان وشروط مذكورة في الفقه فان قيل كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله اجيب بان ما كان من ذكر رسوله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله واما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احق بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل فان المنصت للخطبة اذا قال لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ومن نكد الايام وقد خاطب الله تعالى المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يايها الذين امنوا ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل في عموم قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلوة ليدل على وجوبه وتاكد فرضه وقال بعض العلماء كون الصلوة الجمعة ههنا معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ وقال ابن العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهي قوله تعالى من يوم الجمعة وذلك يفيده لان النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلوة واما غيرها فهو عام في سائر الايام ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها واضافته اليها معنى فلا فائدة فيه واختلف في معنى قوله تعالى فاسعوا اي لتكونوا اولياء لله ولا تتهاونوا في ذلك فقال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية وقال الجمهور السعي العمل لقوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله تعالى ان سعيكم لشتى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقيمت الصلوة فلا تاتوها وانتم تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا واختلفوا ايضا في معنى قوله تعالى الى ذكر الله اي الملك الاعظم فقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام وقال غيره الخطبة والصلوة المذكرة بالملك الاعظم الذي من انقطع عن خدمته هلك ولما امر بالمبادرة الى تجارة الاخرة قال تعالى ناهيا عن تجارة الدنيا التي تعوق عن الجمعة وذروا البيع اي اتركوا البيع والشراء لان اسم البيع يتناولهما جميعا وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء وانما خص البيع من بين الامور الشاغلة عن ذكر الله تعالى لان يوم الجمعة يوم تهبط الناس فيه من بواديهم وقراهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واختصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة للذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل بادروا تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله ذلكم اي الامر العالي الرتبة من فعل السعي وترك الاشتغال بالدنيا خير لكم لان الامر الذي امركم به الذي له الامر كله وهو يريد تطهيركم في اديانكم وابدانكم واموالكم وبيده اسعادكم واشقاؤكم فان قيل اذا كان البيع في هذا الوقت محرما فهل هو فاسد اجيب بان عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا

لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض المغصوبة
والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد وزاد في الحث على ذلك
بقوله تعالى ان كنتم اي بما هو لكم كالجبلة تعلمون اي يتجدد لكم علم في يوم من الايام فانتم ترون ذلك
خيرا فاذا علمتموه خيرا اقبلتم عليه فكان ذلك خيرا لكم وصلاة الجمعة فرض عين تجب على كل
من جمع الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورة والاقامة اذا لم يكن له عذر مما ذكره الفقهاء
ومن تركها استحق الوعيد قال صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن
الله تعالى على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة
ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله تعالى على قلبه قال ابن عادل ونقل عن بعض الشافعية ان الجمعة
فرض على الكفاية اما من به عذر ويعذر به في ترك الجماعة مما تقدم هنا فلا تجب عليه وتجب على
اعمى وجد قائدا وشيخ هرم وزمن وجد مركبا لا يشق ركوبه عليهما واختلف اهل العلم في موضع
اقامة الجمعة وفي العدد الذي تنعقد به الجمعة وفي المسافة التي يجب ان يؤتى منها فذهب قوم
الى ان كل قرية اجتمع فيها اربعون رجلا بالصفة المتقدمة تجب عليهم اقامة الجمعة فيها
وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة
باقل من اربعين رجلا على هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع الاربعين ان يكون فيهم وال
وعند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط ولا تقام عنده الا في مصر جامع وقال الاوزاعي
وابو يوسف تنعقد بثلاثة ان كان فيهم وال وقال الحسن وابو ثور تنعقد باثنين كسائر الصلوات
وقال شعبة تنعقد باثني عشر رجلا ولا تجب الجمعة على اهل البوادي الا اذا سمعوا النداء من موضع تقام
فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحق والشرط
ان يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية
تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب
تجب الجمعة على من آواه المبيت قال الزهري تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على
اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل البوادي سواء
كانت القرية قريبة ام بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس انه قال
جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثا من
البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى البحرين تنبيه فضل يوم الجمعة مشهور واحاديثه
كثيرة مشهورة تقدم بعضها ومنها ان الله يعتق في كل جمعة ستمائة عتيق من النار وعن كعب
ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم
من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة
على ابواب المساجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم قال

الزمخشري وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه ويقول اراك رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة اي مثل غسلها ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وروى النسائي في الخامسة كالذي يهدي عصفورا وفي السادسة بيضة فمن جاء في اول ساعة منها ومن جاء في اخرها مشتركان في تحصيل البدنة مثلا لكن بدنة الاول اكمل من بدنة الاخر وبدنة المتوسط متوسطة وهذا في حق غير الامام اما هو فيسن له التاخير الى وقت الخطبة اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ويسن اكثار الدعاء يومها وليلتها اما يومها فلرجاء ان يصادف ساعة الاجابة وهي ساعة خفية وارجاها من جلوس الخطيب الى اخر الصلوة كما في خبر مسلم قال النووي واما خبر يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة فيه ساعة لا يوجد مسلم يسال الله شيئا الا اعطاه اياه فالتمسوها اخر ساعة بعد العصر فيحتمل ان هذه الساعة منتقلة تكون يوما في وقت ويوما في اخر كما هو المختار في ليلة القدر واما ليلتها فبالقياس على يومها وقد قال الشافعي بلغني ان الدعاء يستجاب في ليلة الجمعة ويسن اكثار الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في يومها وليلتها لخبر اكثروا علي من الصلوة ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى علي صلوة صلى الله عليه بها عشرا واكثار قراءة سورة الكهف يومها وليلتها لخبر من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة اضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق وخبر من قرأها يوم الجمعة اضاء له من النور ما بين الجمعتين وفي هذا القدر كفاية ولما حث على الصلوة وارشد الى ان وقتها لا يصلح لطلب شيء غيرها بين لهم وقت المعاش بقوله تعالى فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ اي وقع الفراغ منها على اي وجه كان فَانتَشِرُوا اي فدبوا وتفرقوا مجتهدين فِي الْأَرْضِ اي جميعها للتجارة والتصرف في حوائجكم ان شئتم لا جناح عليكم ولا حرج رخصة من الله تعالى لكم وَابْتَغُوا اي اطلبوا الرزق مِن فَضْلِ اللَّهِ اي الذي بيده كل شيء ولا شيء لغيره وهذا امر اباحة كقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله تعالى وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وَاذْكُرُوا اللَّهَ اي الذي له الامر كله كَثِيرًا اي بحيث لا تغفلون عنه بقلوبكم اصلا ولا بالسنتكم حتى عند الدخول الى الخلاء وعند اول الجماع واستثنى من الثاني وقت التلبس بالقذر كوقت قضاء الحاجة والجماع لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ اي تفوزون بالجنة والنظر الى وجهه الكريم وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة

فجاءت عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا وفي رواية انا فيهم فانزل الله تعالى وَاِذَا رَأَوْا تِجَارَةً اي حمولا هي موضع للتجارة اَوْ لَهْوًا اي ما يلهي عن كل نافع اِنْفَضُّوا اي نفروا متفرقين من العجلة اِلَيْهَا اي التجارة لانها مطلوبهم دون اللهو وايضا العطف باو فافراد الضمير اولى وقال الزمخشري تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عن مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما تحتاج اليه الناس من بر ودقيق وغيره فنزل عند احجار الزيت وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه فخرج الناس الا اثني عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وقال ابن عباس في رواية الكلبي لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط وقال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبقيع خشوا ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم احد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم المدينة لم يبق بالمدينة عاتق الا اتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وغيره فينزل عند احجار الزيت وكانت في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليتبايعوا منه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لرميت عليهم الحجارة من السماء وانزل الله تعالى هذه الآية والمراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوا بالطبل والتصفيق وقال علقمة سئل عبد الله اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائما او قاعدا فقال اما تقرأ وتركوك قائما وعن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس وذكر ابو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كانوا خليقا لفضلهم ان لا يفعلوا فقال حدثنا محمد بن خالد قال حدثنا الوليد قال اخبرني ابو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة كالعيدين حتى كان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل يقال له دحية بن خليفة قدم بتجارة وكان دحية اذا قدم تلقاه اهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه ليس في ترك الخطبة شيء فانزل الله تعالى هذه الآية فقدم النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة الخطبة واخر الصلاة وكان لا يخرج احد لرعاف او حدث بعد النهي حتى يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فيأذن له النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان في المنافقين من ثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان

اذا استأذن رجل من المسلمين قام المنافق الى جنبه مستترا به حتى يخرج فانزل الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الآية قال السهيلي وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا وقال قتادة وبلغنا انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة بعير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم دحية بتجارته ونظرهم الى العير وهي تمر لهو لا فائدة فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر نزل فيه من القرآن وتهجينه باسم اللهو ما نزل وقوله تعالى وَتَرَكُوكَ اي تخطب حتى بقيت في اثني عشر رجلا قال جابر انا احدهم قَائِمًا جملة حالية من فاعل انفضوا وقد مقدرة عند بعضهم

تنبيه في قوله تعالى قائما تنبيه على مشروعيته في الخطبتين وهو من الشروط للقادر على القيام واما اركانهما فخمسة حمد الله تعالى وصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظيهما ووصية بتقوى الله وهذه الثلاثة في كل من الخطبتين وقراءة اية مفهمة ولو في احدهما والاولى اولى ودعاء للمؤمنين والمؤمنات في ثانية ومن الشروط كونهما عربيتين وكونهما في الوقت وولاء وطهر وستر كالصلوة قُلْ يا اشرف الخلق للمؤمنين مَا عِنْدَ اللَّهِ اي المحيط بجميع صفات الكمال خَيْرٌ ما موصولة مبتدأ وخبرها مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ والمعنى ما عند الله تعالى من ثواب صلوتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم وقيل ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما اقتسمتموه من لهوكم وتجارتكم وَاللَّهُ اي ذو الجلال والاكرام وحده خَيْرُ الرَّازِقِينَ اي خير من رزق واعطى فاطلبوا منه واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين حديث موضوع

سورة المنفقون مدنية

وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وستة وسبعون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الذي له الاحاطة العظمى علما وقدرة الرَّحْمَنِ الذي سوى بعموم رحمته من اراد من عباده الرَّحِيمِ الذي وفق اهل وده لما يحبه ويرضاه إِذَا جَاءَكَ يا ايها الرسول المبشر بك في التورية والانجيل وقرأ حمزة وابن ذكوان بالامالة والباقون بالفتح واذا وقف حمزة سهل الهمزة مع المد والقصر وله ايضا ابدالها الفا مع المد والقصر الْمُنَافِقُونَ اي العريقون في وصف النفاق وهم عبد الله بن ابي ابن سلول واصحابه قَالُوا مؤكدين لاجل استشعارهم بتكذيب من يسمعهم لما عندهم من الارتياب نَشْهَدُ قال الحسن هو بمنزلة اليمين كانهم قالوا نقسم إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة فوافقوا الحق بظاهر احوالهم وخالفوا بقلوبهم وافعالهم وقوله تعالى وَاللَّهُ يَعْلَمُ اي وعلمه هو العلم في الحقيقة والذي سبحانه

بحسب انكار المنافقين فقال تعالى إِنَّكَ لَرَسُولُهُ سواء اشهد المنافقون بذلك ام لا فالشهادة
بذلك حق ممن يطابق لسانه قلبه جملة معترضة بين قولهم نشهد انك لرسول الله وبين قوله
تعالى والله يشهد لفائدة قال الزمخشري لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم
لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا
الايهام وَاللهُ اى المحيط بجميع صفات الكمال يَشْهَدُ شهادة هي الشهادة لانها محيطة بدقائق
الظاهر والباطن إِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ اى الراسخين فى وصف النفاق لَكٰذِبُوْنَ اى فى اخبارهم عن انفسهم
انهم يشهدون لان قلوبهم لا تطابق السنتهم فهم لا يعتقدون ذلك ومن شرط قول الحق ان
يتصل ظاهره بباطنه وسره بعلانيته ومتى تخالف ذلك فهو كذب الا ترى انهم كانوا يقولون
بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه الله تعالى كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم اِتَّخَذُوْٓا اَيْمَانَهُمْ
اى كلها من شهادتهم وكل يمين سواها جُنَّةً اى سترة عن اموالهم ودمائهم روى البخاري عن زيد
بن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي ابن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله
حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكره
عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي
واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم يصبني
مثله فجلست فى بيتي فانزل الله عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله تعالى هم الذين يقولون
لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك وروى الترمذي عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا
فيسبق الاعرابي اصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء اصحابه
قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء
فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها راس الانصاري فشجه فاتى عبد الله بن ابي راس المنافقين
فاخبره وكان من اصحابه فغضب عبد الله بن ابي ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
ينفضوا من حوله يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال
عبد الله اذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد وانا ردف عمي فسمعت عبد الله بن
ابي فاخبرت عمي فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال فجاء عمي
اليّ فقال ما اردت الا ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك المنافقون قال فوقع علي
من جرأتهم ما لم يقع على احد قال فبينا انا اسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قد خفقت

راسى من الهم اذ اتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذنى وضحك فى وجهى فكان ما يسرنى
ان لى بها الخلد فى الدنيا ثم ان ابا بكر لحقنى فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت
ما قال لى شيئا الا انه عرك اذنى وضحك فى وجهى فقال ابشر ثم لحقنى عمر فقلت له مثل قولى
لابى بكر فلما اصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال الترمذى هذا حديث
حسن صحيح وروى انه صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم
وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهنى حليف لعبد الله
بن ابى واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء
المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم وجوهنا
والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم
بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا
رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم
وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين
فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعنى اضرب
عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجرى
فامر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال صلى الله عليه وسلم
لعبد الله انت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا
من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا
وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له لعلك
غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق
صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وعت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين
تنبيه سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذى يصف الايمان ولا يعمل به وروى ابو هريرة ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وروى
عبد الله بن عمرو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة
منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم
فجر وروى عن الحسن انه ذكر هذا الحديث فقال ان بنى يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا
فخانوا انما هذا القول من النبى صلى الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان يعتادوا
هذه الخصال شفقة ان تفضى بهم الى النفاق وليس المعنى ان من ندرت منه هذه الخصال من غير اختيار و
اعتياد انه منافق وقال عليه الصلوة والسلام المؤمن اذا حدث صدق واذا وعد انجز واذا ائتمن وفى

والمعنى المؤمن الكامل فصدّوا اى فتسبب لهم اتخاذهم هذا ان اعرضوا بانفسهم مع سوء البواطن
وحرارة ما فى الصدور وحملوا غيرهم على الاعراض عن سبيل الله اى عن طريق الملك الاعظم الذى شرعه
لعباده ليصلوا به الى محل رضوانه ووصلوا الى ذلك بخداعهم ومكرهم وجراءتهم على الايمان الخائنة
انهم ساء ما كانوا اى جبلة وطبعا يعملون اى يجدّدون عمله مستمرين عليه بما هو كالجبلة من جرأتهم
على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وخلص عباده بالايمان الخائنة ولما كانت المعاصى تعمى القلوب
فكيف باعظمها علله بقوله تعالى ذلك اى سوء عملهم بانهم امنوا ثم كفروا فان قيل ان المنافقين
لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله تعالى امنوا ثم كفروا اجيب بثلاثة اوجه احدها
امنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا اى ثم ظهر كفرهم
بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير وقولهم فى غزوة
تبوك ايطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اى وظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم
بعد ايمانكم والثانى امنوا اى نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء
بالاسلام بقوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا الى قوله انما نحن مستهزؤن وهذا اعلام من الله
تعالى بان المنافقين كفار الثالث ان يراد ان ذلك فى قوم امنوا ثم ارتدوا فطبع اى فحصل الطبع
وهو الختم مع انه معلوم انه لا يقدر على ذلك غيره سبحانه على قلوبهم اى لاجل اجترائهم على ما هو اكبر
الكبائر على وجه النفاق فهم اى فتسبب عن ذلك انهم لا يفقهون اى لا يقع لهم فقه فى شئ
من الاشياء فهم لا يميزون صوابا من خطا ولا حقا من باطل واذا رايتهم اى ايها الرسول على
ما لك من الفطنة ونفوذ الفراسة او ايها الرائى كائنا من كان بعين البصر تعجبك اجسامهم
لضخامتها وصباحتها فان عنايتهم كلها باصلاح ظواهرهم وترفية انفسهم فهم اشباح وقوالب
ليس وراءها الباب وحقائق قال ابن عباس كان ابن ابى جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم
من المنافقين فى مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبى صلى الله عليه وسلم
ويستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبى صلى الله عليه وسلم
ومن حضر يعجبون بهياكلهم وان يقولوا اى يوجد منهم قول فى وقت من الاوقات تسمع
لقولهم اى لفصاحته فيلذ السمع ويروق الفكر كانهم اى فى حسن ظواهرهم وسوء بواطنهم
وفى عدم الانتفاع بهم فى شئ خشب جمع كثرة لخشبة وهو دليل على كثرتهم مسندة اى قطعت
من مغارسها ممالة الى الجدار وقرأ ابو عمرو والكسائى بسكون الشين والباقون بضمها
يحسبون اى لضعف عقولهم وكثرة ارتيابهم لكثرة ما يباشرون من سوء اعمالهم كل صيحة
اى من نداء مناد فى انشاد ضالة او انفلات دابة او نحو ذلك واقعة عليهم
[illegible] لجبنهم وهلعهم لما فى قلوبهم من الرعب ان ينزل فيهم ما يبيح دماءهم [illegible]

ـه ما ذلت تحسب كل شئ بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا * ومنه قول الأخوص كان بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل * يخال اليه ان كل ثنية * تيممها ترمى اليه بقاتل هُمُ الْعَدُوُّ اى الكامل العداوة بما دل عليه الاخبار بالمفرد الذى يقع على جمع اشارة الى انهم فى شدة عداوتهم للاسلام واهله وكمال قصدهم وشدة سعيهم فيه على قلب رجل واحد وان اظهروا التودد فى الكلام والتقرب به الى اهل الاسلام فان السنتهم معكم اذا لقوكم وقلوبهم عليكم مع اعدائكم فهم عيون لهم عليكم فَاحْذَرْهُمْ لان اعدى عدوك من يعاشرك وتحت ضلوعه الداء لكنه يكون بلطف الله دائم الهدى لان منكوسا فى الكثير تقلبا انه بين القهر والحرمان لسر قوله تعالى قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ اى احلهم الملك المحيط قدرة وعلما محل من يقاتله عدوا قاهر له اشد مقاتلة على عادة الفعل الذى يكون بين اثنين وقال ابن عباس اى لعنهم الله وقال ابو مالك هى كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما اشعره فيضعونه موضع التعجب اَنّٰى اى كيف ومن اى جهة يُؤْفَكُوْنَ اى يصرفهم عن قبح ما هم عليه صارف ما كائنا ما كان ليرجعوا عما هم عليه وقال ابن عباس انى يؤفكون اى يكذبون وقال مقاتل اى يعدلون عن الحق وقال الحسن يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ اى من اى قائل كان تَعَالَوْا اى ارفعوا انفسكم مجتهدين فى ذلك بالمجئ الى اشرف الخلق الذى لا يزال مكانه عاليا لعلو مكانته يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ اى يطلب الغفران لاجلكم خاصة من اجل هذا الكذب اى الذى انتم مصرون عليه رَسُوْلُ اللّٰهِ اى اقرب الخلق الى الملك الاعظم الذى لا شبيه لوجوده لَوَّوْا رُءُوْسَهُمْ اى فعلوا اللى بغاية الشدة والكثرة وهو الصرف الى جهة اخرى اعراضا وعتوا واظهارا للبغض والنفرة وَرَاَيْتَهُمْ اى بعين البصيرة يَصُدُّوْنَ اى يعرضون اعراضا قبيحا عما دعوا اليه مجددين لذلك كلما دعوا اليه والجملة فى موضع المفعول الثانى لرايت وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُوْنَ اى ثابتو الكبر عما دعوا اليه وعن احلال انفسهم فى محل الاعتذار فهم لشدة غلظهم لا يتركون قبح ما هم عليه ولا يهتدون الى دوائه واذا ارشدهم غيرهم ونبههم لا ينتهون فقد روى انه لما نزل القران فيهم اتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا ويحكم افتضحتم واهلكتم انفسكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبوا اليه من النفاق واسألوه ان يستغفر لكم فلووا رؤسهم اى حركوها اعراضا واباء قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله بن ابى موقف فى كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان فائته يستغفر لك فابى وقال لا اذهب اليه وروى ان ابن ابى راسهم لوى راسه وقال لهم اشرتم على بالايمان فامنت واشرتم على بان اعطى زكوة مالى فعلت ولم يبق الا ان تامرونى بالسجود لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا الاية ولم يلبث الا ايام قلائل حتى اشتكى

ومات ولما كان صلى الله عليه وسلم يحب صلاحهم فهو يحب ان يستغفر لهم وربما ندبه الى ذلك
بعض اقاربهم قال تعالى مبينا على انهم ليسوا اهل الاستغفار لانهم لا يؤمنون سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اى سواء عليهم
الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ اى الملك الاعظم لَهُمْ
لرسوخهم فى الكفر إِنَّ ٱللَّهَ اى الذى له كمال الصفات لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ اى الناس الذين لهم قوة
فى انفسهم على ما يريدون ٱلْفَٰسِقِينَ اى لانهم لا عذر لهم فى الاصرار على الفسق وهو المروق من حصن
الاسلام بخرقه وهتكه مرة بعد مرة والتمرن عليه حتى استولى فهم راسخون فى النفاق والخروج عن
مظنة الاصلاح هُمُ اى خاصة بخالص بواطنهم ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ اى اوجدوا هذا القول للانصار
ولا يزالون يجددونه لانهم كانوا مربوطين بالاسباب محجوبين عن شهود الفاعل لَا تُنفِقُوا۟ اى ايها
المخلصون فى النصرة عَلَىٰ مَنْ اى الذين عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ اى الملك المحيط بكل شئ وهم فقراء المهاجرين
حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ اى يتفرقوا فيذهب كل احد منهم الى اهله وشغله الذى كان له قبل ذلك قال البقاعى
وما درى الاجلاف انهم لو فعلوا ذلك اتاح الله تعالى غيرهم للانفاق او امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدعا فى الشئ اليسير فصار كثيرا او كان بحيث لا ينفد او اعطى كلا يسيرا من طعام على
كيفية لا ينفد معها كتمر ابى هريرة وشعير عائشة وعكة ام ايمن وغير ذلك كما روى غير مرة ولكن من
يضلل الله فما له من هاد ولذلك عبر فى الرد عليهم بقوله تعالى وَلِلَّهِ اى قالوا ذلك واستمروا على تجديد
قوله والحال ان للملك الذى لا امر لغيره خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ اى كلها وَٱلْأَرْضِ كذلك من الاشياء
المعدومة الداخلة تحت مقدوره انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ومن الاشياء التى
اوجدها فهو يعطى من يشاء منها حتى ما فى ايديهم لا يقدر احد على منع شئ من ذلك لا مما فى يده
ولا مما فى يد غيره ونبه على سوء غباوتهم وانهم تقيدوا بالوهم حتى سفلوا عن رتبة البهائم كما قال بعضهم
ان كان محمد صادقا فنحن شر من البهائم بقوله تعالى وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ اى العريقين فى وصف
النفاق لَا يَفْقَهُونَ اى لا يتجدد لهم فهم اصلا كالبهائم بل هم اضل لان البهائم اذا رات شيئا
ينفعها يوما فى مكان طلبته مرة اخرى وهؤلاء راوا غير مرة مما اخرج الله تعالى من خوارق البركات
على يد رسوله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ذلك ودل على عدم نفعهم بقوله تعالى يَقُولُونَ اى
يوجدون هذا القول ويجددونه مؤكدين لاستشعارهم بان اكثر قومهم ينكره لَئِن رَّجَعْنَآ اى ايتها
العصابة المنافقة إِلَى ٱلْمَدِينَةِ اى من غزاتنا هذه وهى غزوة بنى المصطلق حى من هذيل حتى انتهى اليهم
حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ يعنون
انفسهم مِنْهَا اى المدينة ٱلْأَذَلَّ يعنون النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم كاذبون
فى هذا الحكم بهم تصوروا الشدة غباوتهم ان العزة لهم وانهم يقدرون على اخراج
المؤمنين وَلِلَّهِ اى والحال ان كل من له نوع بصيرة يعلم ان الملك الاعلى هو الذى له وحده

العزة اي الغلبة كلها ولرسوله لان عزته من عزته وللمؤمنين فعزة الله قهره من دونه وكل من
عداه دونه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله تعالى اياهم على اعدائهم
ولكن المنافقين اي الذين استحكم فيهم مرض القلوب لا يعلمون اي لا يوجد لهم علم الآن ولا يتجدد
في حين من الاحيان فلذلك هم يقولون مثل هذا الخرافات روي انه لما نزلت هذه الآية جاء عبد الله
ولد عبد الله بن ابي ابن سلول الذي نزلت هذه الآيات بسببه كما مر الى ابيه وذلك في غزوة المريسيع
لبني المصطلق فاخذ بزمام ناقته وقال انت والله الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز
ولما اراد ان يدخل المدينة عبد الله بن ابي اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله غير رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتخليته وروي انه قال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال
نعم فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ختم الآية الاولى بقوله
تعالى لا يفقهون وختم الثانية بقوله تعالى لا يعلمون اجيب بانه ليعلم بالاولى قلة كياستهم وفهمهم
وبالثانية حماقتهم وجهلهم ولا يفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم او من فقه يفقه كعظم يعظم فالاول لحصول الفقه
بالتكلف والثاني لا بالتكلف فالاول علاجي والثاني مزاجي ثم نهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه
بالمنافقين فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اي اقروا بالايمان وقلوبهم مطمئنة لا تلهكم
اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم سواء كان ذلك في اصلاحها او التمتع بها بحيث تغفلون عن ذكر الله
اي الملك الاعظم حتى المؤمنين اخلاق المنافقين اي لا تشتغلوا باموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا
لاجل الشح باموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله تعالى عن ذكر الله قال الضحاك اي
عن الصلوات الخمس نظيره قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال الحسن عن جميع
الفرائض كانه قال عن طاعة الله تعالى وقيل عن الحج والزكوة وقيل عن قراءة القرآن وقيل عن ادامة
الذكر وقيل هذا خطاب للمنافقين اي آمنتم بالقول فآمنوا بالقلب ولما كان التقدير فمن انتهى
فهو من الفائزين عطف عليه قوله تعالى ومن يفعل اي يوقع في زمن من الازمان على سبيل التجديد
والاستمرار فعل ذلك اي الامر البعيد عن افعال ذوي الهمم من الانقطاع الى الاشتغال بالفاني والاعراض
عن الباقي فاولئك البعداء عن الخير هم الخاسرون اي العريقون في الخسارة في تجارتهم حيث
باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني حتى كانهم مختصون بها دون الناس وذلك بضد ما ارادوا وانفقوا
اي مما امرتم به من واجب او مندوب كما قاله بعض المفسرين وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما يريد زكوة الاموال وهو ظاهر الامر ثم ان الله تعالى زاد في الترغيب بالرضا منهم باليسير بقوله
تعالى من ما رزقناكم اي بعظمتنا قال الزمخشري من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق

الواجب اه ثم قال تعالى محذرا من الاغترار بالتسويف في اوقات البسط ومنبها ﴿قبل ان ياتي
احدكم الموت﴾ اي بان يرى دلائله واماراته وكل لحظة مرت فهي من دلائله واماراته قال القرطبي وهذا دليل
على وجوب تعجيل اخراج الزكوة ولا يجوز تاخيرها اصلا اي بلا عذر وكذا سائر العبادات اذا دخل وقتها
وقال الرازي وبالجملة فقوله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله تنبيه على المحافظة على الذكر
قبل الموت وقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك ولما كانت الشدة تقتضي الاقبال
الى الله تعالى سبب عن ذلك قوله تعالى ﴿فيقول﴾ اي سائلا في الرجعة واشار الى ترقيقها للقلوب بقوله
﴿رب لولا﴾ اي هلا ولم لا ﴿اخرتني﴾ اي اخرت موتي امهالا ﴿الى اجل﴾ اي زمان ﴿قريب﴾ يبين به ان مراده
استدراك ما فات ليس الا وقيل لا زائدة ولو للتمني اي لو اخرتني الى اجل قريب ﴿فاصدق﴾ اي للتزود
في سفري هذا الطويل الذي انا مستقبله وعن ابن عباس رضي الله عنهما تصدقوا قبل ان
ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكي
واذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان ياتيه الموت فيسال ربه الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت في
مانعي الزكوة ووالله لو راى خيرا ما سال الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسال المؤمنون الكرة قال نعم
انا اقرأ عليكم قرآنا يعني انها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من احد
لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سال الرجعة وقال الضحاك ينزل باحد لم يحج ولم يؤد الزكوة الموت الا وسال
الرجعة وعن عكرمة نزلت في اهل القبلة وقيل نزلت في المنافقين ولهذا نقل عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال هذه الآية تدل على ان القوم لم يكونوا من اهل التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع الى
الدنيا والتاخير فيها احد له عند الله تعالى خير في الآخرة اي اذا لم يكن بالصفة المتقدمة قال القرطبي
الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقرأ ﴿واكن من الصالحين﴾ اي الفريقين
في هذا الوصف بالتدارك ابو عمرو بواو بعد الكاف ونصب النون عطفا على فاصدق والباقون
بحذف الواو لالتقاء الساكنين وجزم النون واختلفت عبارات الناس في ذلك فقال الزمخشري
عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقال ابن عطية عطفا على الموضع لان
التقدير ان اخرتني اصدق واكن هذا مذهب ابي علي الفارسي وقال القرطبي عطفا على موضع
الفاء لان قوله فاصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما اي اصدق ثم زاد تعالى في الحث على المبادرة
بالطاعات قبل الفوات بقوله تعالى مؤكدا لاجل قطع الرجاء ممن هذا المقتضي بالتاخير ما فعلى
ما تقدم به فلا يؤخره الله فيفوته ما اراد ﴿ولن يؤخر الله﴾ اي الملك الاعظم الذي لا كفء له فلا اعتراض
عليه ﴿نفسا﴾ اي نفس كانت وحقق الاجل بقوله تعالى ﴿اذا جاء اجلها﴾ اي وقت موتها الذي حده الله
تعالى لها فلا يؤخر الله تعالى نفس هذا القائل لانها من جملة النفوس التي شملها النفي وقرأ قالون والبزي
وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية بعد تحقيق الاولى
ولهما ايضا ابدالها الفا والباقون بتحقيقهما ﴿والله﴾ اي الذي له الاحاطة الشاملة علما وقدرة ﴿خبير﴾ اي

بالغ الخبرة والعلم ظاهرا وباطنا بما تعملون ای توقعون عمله فی الماضی والحال والمآل کله باطنه وظاهره وفی شعبة بالیاء التحتیة علی الغیبة علی الخبر عمن مات وقال هذه المقالة والباقون بالفوقیة علی الخطاب وما قاله البیضاوی تبعا للزمخشری من انه صلی الله علیه وسلم قال من قرأ سورة المنافقین برئ من النفاق حدیث موضوع

سورة التغابن مدنیة

فی قول الاکثرین وقال الضحاک مکیة وقال الکلبی مدنیة ومکیة وعن ابن عباس رضی الله عنهما ان سورة التغابن نزلت بمکة الا آیات من آخرها نزلت بالمدینة فی عوف بن مالک الاشجعی شکا الی رسول الله صلی الله علیه وسلم جفاء اهله وولده فانزل الله عز وجل یا ایها الذین آمنوا ان من ازواجکم واولادکم عدوا لکم الی آخرها وهی ثمانی عشرة آیة ومائتان واحدی واربعون کلمة والف وسبعون حرفا بسم الله مالک الملک فلا کفء له ولا شبیه الرحمن الذی وسم الخلق بنعمه الجلیل الرحیم الذی خص من عمه فوفقهم للتحصیل یسبح ای ینزه التنزیه التام مع التجدید والاستمرار لله ای الذی له الاحاطة باوصاف الکمال ما فی السموات ای کلها وما فی الارض کذلک وقیل اللام زائدة ای ینزه الله تعالی قال الجلال المحلی واتی بما دون من تغلیبا للاکثر له ای وحده الملک ای کله مطلقا فی الدنیا والآخرة وله ای وحده الحمد ای الاحاطة باوصاف الکمال کلها فلذلک نزهه جمیع مخلوقاته وقدم الظرفین لیدل بتقدیمهما علی معنی اختصاص الملک والحمد بالله تعالی وذلک بان الملک علی الحقیقة له لانه مبدئ کل شئ ومبدعه والقائم به والمهیمن علیه وکذا الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملک غیره فتسلیط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت علی یده وهو علی کل شئ قدیر ای وحده الذی خلقکم ای انشاکم علی ما انتم علیه فمنکم ای فتسبب عن خلقه لکم وتقدیره کافر ای عریق فی صفة الکفر ومنکم مؤمن ای راسخ فی الایمان فی حکم الله تعالی فی الازل قال ابن عباس رضی الله عنهما ان الله خلق بنی آدم مؤمنا وکافرا ویعیدهم فی القیامة مؤمنا وکافرا وروی ابو سعید الخدری رضی الله عنه قال خطبنا رسول الله صلی الله علیه وسلم عشیة فذکر شیئا مما یکون فقال تولد الناس علی طبقات شتی یولد الرجل مؤمنا ویعیش مؤمنا ویموت مؤمنا ویولد الرجل کافرا ویعیش کافرا ویموت کافرا ویولد الرجل کافرا ویعیش کافرا ویموت مؤمنا ای وسکت عن القسم الآخر وهو ان یولد الرجل مؤمنا ویعیش مؤمنا ویموت کافرا اکتفاء بالمقابل وقال ابن مسعود رضی الله عنه قال النبی صلی الله علیه وسلم خلق الله تعالی فرعون فی بطن امه کافرا وخلق یحیی بن زکریا علیهما السلام فی بطن امه مؤمنا وفی الصحیح من حدیث ابن مسعود رضی الله عنه وان احدکم لیعمل بعمل اهل الجنة حتی ما یکون بینه وبینها الا ذراع او باع فیسبق علیه الکتاب فیعمل بعمل اهل النار فیدخلها وان احدکم لیعمل بعمل اهل النار حتی ما یکون بینه وبینها الا ذراع او باع فیسبق علیه الکتاب فیعمل بعمل

اهل الجنة فيدخلها وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل
النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة قال القرطبي قال علماؤنا والمعنى تعلق العلم الازلي بكل
معلوم فيجري ما علم واراد وحكم فقد يريد ايمان شخص على عموم الاحوال وقد يريده الى وقت معلوم
وكذلك الكفر وقيل في الكلام محذوف وتقديره فمنكم مؤمن ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف لما
في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف فيه لان المقصود ذكر الطرفين وقيل انه
خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا والتقدير هو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن كقوله
تعالى والله خلق كل دابة من ماء ثم قال تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الآية قالوا فالله
خلقهم والمشي فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم
بفعلهم في قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال البغوي وروينا عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع
على الكفر وقال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وروى انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي
خلقها قال يا رب ذكر ام انثى شقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال
الضحاك فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق ومنكم مؤمن في العلانية والسر كعمار بن
وقال عطاء بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يعني في
شان الانواء كما جاء في الحديث قال القرطبي وقال الزجاج وهو احسن الاقوال والذي عليه الائمة
ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب واختيار وخلق المؤمن وايمانه فعل له وكسب واختيار
كسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى
اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدره
عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد من كل منهما غير الذي قدره عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور
عجز ووجود خلاف المعلوم جهل فلا يليقان بالله تعالى قال البغوي وهذا طريق اهل السنة من سلكه
اصاب الحق وسلم من الجبر والقدر وقال الرازي فان قيل انه تعالى حكيم وقد سبق في علمه انه تعالى
اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فاي حكمة دعت الى خلقهم فالجواب اذا علمنا انه تعالى حكيم علمنا ان افعاله
كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه تعالى هذه الطائفة على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم علمنا بذلك
ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون خلقهم على وفق الحكمة والله اي الذي له الاحاطة الكاملة بما تعملون
اي توقعون عمله كسبا بصير اي بالغ العلم بذلك فهو الذي خلق جميع اعمالكم التي نسب كسبها اليكم
وهو خالق جميع الاستعدادات والصفات كما خلق الذوات خلافا للقدرية لانه لا يتصور

الخالق ما لا يعلمه ولو سئل الانسان كم مشى فى يومه من خطوة لم يدر فكيف لو سئل اين موضع مشيه
ومتى زمانه فكيف وانه يمشى اكثر مشيه وهو غافل عنه ومن جهل افعاله كما وكيفا واينا وغير ذلك
لم يكن خالقا لها بوجه ولما ذكر المظروف ذكر ظرفه دالا على تمام احاطته بالبواطن والظواهر فقوله
تعالى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ اى على علوها وكبرها وَالْاَرْضَ على سعتها بِالْحَقِّ اى بالامر الذى يطابقه الواقع
لما اراد وَصَوَّرَكُمْ اى آدم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قاله مقاتل وقيل جميع الخلائق على
صور لا توافق شيئا من صور العلويات ولا السفليات ولا فيها صورة توافق الاخرى من كل وجه
فَاَحْسَنَ صُوَرَكُمْ فجعلها احسن الحيوانات كلها كما هو مشاهد بدليل ان الانسان لا يتمنى
ان يكون على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب
كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم كما ياتى ان شاء الله تعالى فان قيل قد يوجد من افراد
هذا النوع من كل مشوه الخلقة سمج الصورة اجيب بانه لا سماجة لان الحسن فى المعانى وهو على
طبقات ومراتب فانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل فى حيز الحسن
غير خارج عن حده فقبح القبيح منه انما هو بالنسبة الى احسن منه وان اقال الحكماء شيئان لا نهاية
لهما الجمال والبيان فقدرة الله سبحانه وتعالى لا تتناهى قال البقاعى فاياك ان تصغى لما وقع
فى كتب الغزالى انه ليس فى الامكان ابدع مما كان فان ذلك يخيل الى انه سبحانه لا يقدر ان يخلق
احسن من هذا العالم وهذا لا يقوله احد واما من ينتقص مقدار الغزالى فان كل احد يؤخذ من كلامه
ويرد عليه كما قال الامام مالك وعزاه الغزالى نفسه الى ابن عباس رضى الله عنهما وقال الشافعى رضى الله عنه
هذه الكتب ما الوت فيها جهدا وانى لاعلم ان فيها الخطأ لان الله تعالى يقول ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولما كان التقدير فكان منه سبحانه المبدأ عطف عليه قوله تعالى وَاِلَيْهِ وحده
الْمَصِيْرُ اى الرجوع بعد البعث فيجازى كلا بعمله يَعْلَمُ اى علمه حاصل فى الماضى والحال والمآل مَا اى كل شئ
فِى السَّمٰوٰتِ اى كلها وَالْاَرْضِ كذلك وَيَعْلَمُ اى على سبيل الاستمرار مَا تُسِرُّوْنَ اى تخفون وَمَا تُعْلِنُوْنَ
اى تظهرون من الكليات والجزئيات وَاللّٰهُ اى الذى له الاحاطة التامة عَلِيْمٌ اى بالغ العلم بِذَاتِ
اى صاحبة الصُّدُوْرِ من الاسرار والخواطر التى لم تبرز فى الخارج سواء كان صاحب الصدر قد علمها ام
لا وعلمه لكل ذلك على حد سواء لا تفاوت فيه بين علم الخفى وعلم الجلى فهو يعلم ما فى السموات والارض
ثم يعلم ما يسره العباد ويعلنونه ثم يعلم ذوات الصدور وان شيئا من الجزئيات والكليات غير خاف
عليه ولا عازب عنه فلا يجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره
بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى فى معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر
نعمته اَلَمْ يَأْتِكُمْ ايها الناس ولا سيما الكفار نَبَؤُا اى خبر الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَبْلُ كقوم
نوح وهود وصالح فَذَاقُوْا اى باشروا مباشرة الذائق وَبَالَ اَمْرِهِمْ اى ضرر كفرهم فى الدنيا
واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل القطر وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ

اى مؤلم فى البرازخ ثم يوم القيامة التى هى موضع الفصل الاعظم ذلك اى الامر العظيم من الوبال
المذاق قطعا على ان الكفر ابطل الباطل وانه مما يغضب الخالق بانه اى بسبب ان الشان
العظيم البالغ فى الفظاعة كانت تاتيهم على عادة مستمرة رسلهم اى رسل الله الذين ارسلهم
اليهم بالبينات اى الحجج الظاهرات على الايمان فقالوا اى الكل لرسلهم منكرين غاية الانكار تكبرا
وقولهم ابشر يهدوننا يجوز ان يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال وهو الارجح لان
الاداة تطلب الفعل ويجوز ان يكون مبتدأ وخبرا وجمع الضمير فى يهدوننا اذ البشر اسم جنس
وقد ياتى الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس وقد ياتى الجمع بمعنى الواحد كقوله تعالى ما هذا بشرا فانكروا
على الملك الاعظم ارساله لهم فكفروا اى بهذا القول اذ قالوه استصغارا ولم يعلموا ان الله يبعث من يشاء
الى عباده وتولوا عن الايمان فان قيل قوله تعالى فكفروا تعميم يفهم منه التولى فما الحاجة الى ذكره اجيب
بانهم كفروا وقالوا ابشر يهدوننا وهذا فى معنى الانكار والاعراض بالكلية وهذا هو التولى فكانهم
كفروا وقالوا قولا يدل على التولى فلهذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسل وتولوا بالبرهان
واعرضوا عن الايمان والموعظة ونبه بقوله تعالى واستغنى الله اى الملك الاعظم الذى لا امر
لاحد معه على ان هذا انما هو لمصالح الخلق فهو غنى عن كل شئ فان قيل قوله تعالى وتولوا واستغنى
الله يوهم وجود التولى والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا اجيب بان معناه وظهر استغناء الله
حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك والله اى المستجمع لصفات
الكمال غنى عن خلقه حميد اى محمود فى افعاله زعم الذين كفروا اى اوقعوا الستر لما دلت عليه
العقول من وحدانية الله تعالى ولو على اخفى الوجوه زعما قال ابن عمر زعم كنية الكذب وقال الزمخشرى
الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شئ كنية
وكنية الكذب زعموا وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند ابى داود بئس مطية الرجل زعموا
ان لن يبعثوا اى من اى باعث ما بوجه من الوجوه قل اى يا اشرف الرسل لهؤلاء البعداء بلى اى
لتبعثن ثم اكد بصريح القسم فقال وربى اى المحسن الى بالانتقام ممن كذب بى لتبعثن اى باهون
شئ وايسر امر ثم لتنبؤن اى تخبرن اخبارا عظيما ممن يقيمه الله تعالى لاخباركم بما عملتم اى باعمالكم
لتجزون عليها وذلك اى الامر العظيم عندكم من البعث والحساب على الله اى المحيط بصفات
الكمال وحده يسير اذ الاعادة اسهل من الابتداء فان قيل كيف يفيد القسم فى اخباره عن البعث
وهم قد انكروا الرسالة اجيب بانهم انكروا الرسالة لكنهم يعتقدون وانه يعتقد ربه اعتقادا جازما
فيعلمون انه لا يقدم على القسم بربه الا وان يكون الاخبار عنده اصدق فاظهر من الشمس فى اعتقاده
ثم انه اكد الخبر باللام والنون فكانه قسم بعد قسم ثم انه تعالى لما اخبر عن البعث والاعتراف
بالبعث من لوازم الايمان قال تعالى فامنوا بالله اى الملك الذى له الاحاطة الكاملة بكل شئ
ورسوله اى كل من ارسله ولا سيما محمدا صلى الله عليه وسلم والنور اى القرآن الذى انزلنا

اى بما انا من العظمة لانه نور يهتدى به من ظلمة الضلالة كما يهتدى بالنور فى الظلمات فان قيل هلا قيل ونوره بالاضافة كما قال ورسوله اجيب بان الالف واللام فى النور بمعنى الاضافة فكانه قال ورسوله ونوره والله اى المحيط علما وقدرة بما تعملون خبير اى بالغ العلم بما تسرون وما تعلنون فراقبوه فى السر والعلانية وقوله تعالى يوم يجمعكم منصوب بقوله تعالى لتنبؤن عند النحاس وبخبير عند الحوفى لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله يعاقبكم يوم يجمعكم وباذكر مضمرا عند الزمخشرى فيكون مفعولا به او بما دل عليه الكلام اى تتفاوتون يوم يجمعكم قاله ابو البقاء ليوم الجمع اى لاجل ما يقع فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة الذى يجمع الله تعالى فيه الاولين والآخرين من الانس والجن وجميع اهل السماء والارض وقيل يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبى وامته وقيل يجمع فيه ثواب اهل الطاعة وعقاب اهل المعاصى بل هو جامع لجميع ما ذكر ذلك اى اليوم العظيم يوم التغابن والتغابن مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن ولهذا قيل التفاعل هنا من واحد لا من اثنين وفى الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا ارى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا ارى مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وهو معنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظاما له وان تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى امور الدنيا وان جلت وعظمت وذكر فى بعض التفاسير ان التغابن هو ان يكتسب الرجل مالا من غير وجهه ليرثه غيره فيعمل فيه بطاعة الله فيدخل الاول النار والثانى الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن البين والغابن ما اشتهى من البدن نحو الابطين والفخذين والمغبون من غبن فى اهله ومنازله فى الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان وتضييعه الايام قال الزجاج ويغبن من ارتفعت منزلته فى الجنة بالنسبة الى من هو اعلى منزلة منه فان قيل فاى معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها اجيب بانه تمثيل للغبن فى الشراء والبيع كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فلما ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا فى تجارتهم بل خسروا ذكر ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا واشترى اهل النار الدنيا بترك الآخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد فرق الله تعالى الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار وقال الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن على ثلاثة اصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقى به ورجل علم علما وعمل به فنجا به ورجل اكتسب مالا من وجوه يسأل عنها وشح عليه وفرط فى طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لا حساب عليه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عبد فعمل ذلك العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقى وروى القرطبى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامة

بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا ما انتما قائلان فيقول الرجل يا رب اوجبت نفقتها على
فانفقتها من حرام ومن حلال وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما اوفي فتقول المراة يا رب
وما عسى ان يقول اكتسبه حراما واكلته حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك فبعدا له وسحقا
فيقول الله تعالى قد صدقت فيؤمر به الى النار ويؤمر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة فتقول له
غبناك غبناك سعدنا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن * وقال بعض علماء الصوفية ان الله تعالى
كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له
استيفاء الثواب قال صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان
محسنا ان لم يزدد * تنبيه * استدل بعض العلماء بقوله تعالى ذلك يوم التغابن انه لا يجوز الغبن
في المعاملة الدنيوية لان الله تعالى خصص التغابن بيوم القيامة فقال تعالى ذلك يوم التغابن
وهذا الاختصاص يفيد ان لا غبن في الدنيا فكل من اطلع على غبن في مبيع فانه مردود اذا زاد على
الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لحسان بن سعد اذا بايعت
فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثا ولان الغبن في الدنيا ممنوع منه بالاجماع في حكم الدين اذ هو من باب
الخداع المحرم شرعا في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه فمضى في البيوع اذ لو حكمنا برده
ما نفذ بيع ابدا لانه لا يخلو منه فاذا كان كثيرا امكن الاحتراز عنه فوجب الرد به والفرق بين القليل
والكثير في الشريعة غير معلوم فقدر بالثلث وهذا الحد اعتبره الشارع في الوصية وغيرها ويكون معنى
الاية على هذا يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذي لا يستدرك ابدا
ومن يؤمن اي يوقع الايمان ويجدده على سبيل الاستمرار بالله اي الملك الاعظم الذي لا كفؤ له
ويعمل تصديقا لايمانه صالحا اي عملا هو مما ينبغي الاهتمام بتحصيله لانه لا مثل له في جلب المصالح ودفع
المضار نكفر عنه سيئاته التي غلبه عليها نقصان الطبع واتبع ذلك العامل الاخر وهو التوجيه بجانب
المسار لان الانسان يطير الى ربه سبحانه بجناحي الخوف والرجاء والرهبة والرغبة والنذارة والبشارة
ويدخله اي رحمة له واكراما وفضلا جنات اي بساتين ذات اشجار عظيمة واغصان ظليلة تستر
داخلها ورياض مديدة متنوعة الازاهير عطرة النشر يبهج ريها واشار الى دوام ريها بقوله تعالى تجري
من تحتها اي من تحت قصورها واشجارها الانهار وقرا نكفر عنه وندخله نافع وابن عامر بالنون
فيهما اي بحسب ما لنا من العظمة والباقون بالياء التحتية اي الله الواحد القهار خالدين اي
اي مقدرين الخلود فيها واكده بقوله ابدا فلا خروج لهم منها ذلك اي الامر العالي جدا من الغفران
والاكرام الفوز العظيم لانه جامع لجميع المصالح ودفع المضار وجلب المسار ومن جملة ذلك النظر الى
وجه الله الكريم ولما ذكر تعالى الفائز بلزومه التقوى ترغيبا اتبعه بضده ترهيبا فقال عز من
قائل والذين كفروا اي غطوا ادلة ذلك اليوم فكانوا في الظلام وكذبوا اي اوقعوا جميع
التغطية وجميع التكذيب باياتنا اي بسببها مع ما لها من العظمة باضافتها الينا وهي القرآن

فلم يعملوا به أُولَٰئِكَ اى البعداء البغضاء أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ اى مقدرين الخلود فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
هى قال الرازى فان قيل قال تعالى فى حق المؤمنين ومن يؤمن بالله بلفظ المستقبل وفى الكفار
قال والذين كفروا بلفظ الماضى فالجواب ان تقدير الكلام ومن يؤمن بالله من الذين كفروا وكذبوا
باياتنا يدخله جنات ومن لم يؤمن منهم اولئك اصحاب النار اه فان قيل قال تعالى يؤمن بلفظ الوحدان
وخالدين فيها بلفظ الجمع اجيب بان ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب المعنى فان قيل ما الحكمة
فى قوله تعالى وبئس المصير بعد قوله تعالى خالدين فيها وذلك بئس المصير اجيب بان ذلك وان كان
فى معناه فهو تصريح ما يؤكده كما فى قوله ابدا مَا أَصَابَ احدا مِن مُّصِيبَةٍ اى مصيبة كانت دينية
او دنيوية فى نفس او مال او قول او فعل تقتضى هما او توجب عقابا اجلا او عاجلا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ اى
بتقدير الملك الاعظم وقال الفراء يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزول هذه الاية ان
الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله تعالى عن المصائب فى الدنيا فبين الله تعالى
ان ما اصاب من مصيبة الا بقضائه وقدره فان قيل بم يتصل قوله تعالى ما اصاب من مصيبة
الا باذن الله اجيب بانه يتعلق بقوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يصدق بانه لا تصيبه
مصيبة الا بقضاء الله الملك الاعظم وتقديره واذنه يَهْدِ قَلْبَهُ قال ابن عباس رضى الله عنهما هو
ان يجعل فى قلبه اليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه اى فيسلم
لقضاء الله وقدره وقال الكلبى هو اذا ابتلى صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقيل يهد قلبه الى نيل
الثواب فى الجنة وقيل يثبته على الايمان وقال ابو عثمان الحيرى من صح ايمانه يهد الله قلبه لاتباع
السنة وقيل يهد قلبه عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون قاله ابن جبير وَاللَّهُ اى الملك
الذى لا نظير له بِكُلِّ شَيْءٍ مطلقا من غير استثناء عَلِيمٌ فلا يخفى عليه تسليم من انقاد لامره فاذا تحقق
من هدى قلبه ذلك انزاح عنه كل اعتقاد باطل من كفر او بدعة او صفة خبيثة وَأَطِيعُوا اللَّهَ اى الملك
الاعلى الذى له الامر كله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ اى هونوا على انفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله تعالى
واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول فى العمل بسنته فَإِن تَوَلَّيْتُمْ اى عن الطاعة فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا اضافه
اليه على وجه الكمال تعظيما له وتهديدا لمن يتولى عنه الْبَلَاغُ الْمُبِينُ اى الظاهر فى نفسه المظهر لكل
احد انه اوضح له غاية الايضاح ولم يدع لبسا وليس اليه خلق الهداية فى القلوب اللَّهُ اى المحيط بجميع
صفات الكمال لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فهو القادر على خلق الهداية فى القلوب والاقبال بها لا يقدر على ذلك
غيره وَعَلَى اللَّهِ اى الذى له الامر لا على غيره فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ اى لان ايمانهم بان الكل
منه يقتضى ذلك وقال الزمخشرى هذا بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه
والتقوى به فى امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه واختلف فى سبب نزول قوله تعالى
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ اى وان اظهرن غاية المودة وَأَوْلَادِكُمْ اى
وان اظهروا غاية الشفقة عَدُوًّا لَّكُمْ فقال ابن عباس نزلت بالمدينة فى عوف بن مالك

الاشجعي شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم جفاء اهله وولده فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبري
عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلاء الآيات يا ايها الذين امنوا ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم فانها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد
الغزو بكوه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الآية الى آخر السورة بالمدينة
وروى الترمذي عن ابن عباس وسئل عن هذه الآية قال هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا
ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد تفقهوا في الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى هذه الآية
حديث حسن صحيح وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان
قعد لابن ادم في طريق الايمان فقال له اتؤمن وتذر دينك فخالفه فآمن ثم قعد له على طريق
الهجرة فقال له اتهاجر وتترك اهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له
اتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساؤك ويقسم مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله ان يدخله
الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين احدهما يكون بالوسوسة والثاني ان يحمل على ما يريد
من ذلك الزوج والولد والصاحب قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم
وما خلفهم وفي حكمة عيسى عليه الصلاة والسلام من اتخذ اهلا ومالا وولدا كان في الدنيا
عبدا وقال عليه الصلاة والسلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد
القطيفة ولا دناءة اعظم من دناءة الدينار والدرهم ولا اخس من همة ترتفع بثوب جديد ويدخل في قوله
تعالى ان من ازواجكم الذكر والانثى فكما ان الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها
بهذا المعنى فاحذروهم اي ان تطيعوهم في التخلف عن الخير ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا اي توقعوا
المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فانه لا فائدة في ذلك فان من طبع على شيء لا يرجع عنه
وانما النافع الحث والذي ارشد اليه تعالى لئلا يكون سببا للذم المنهي عنه وتصفحوا اي بالاعراض
عن المقابلة بالتثريب باللسان وتغفروا اي بان تستروا ذنوبهم سترا تاما شاملا للعين والاثر
بالتجاوز فان الله اي الجامع لصفات الكمال غفور اي بالغ المحو لاعيان الذنوب وآثارها جزاء لكم
على غفرانكم لهم وهو جدير بان يصلحهم لكم بسبب غفرانكم رحيم فيكرمكم بعد ذلك الستر بالانعام
فتخلقوا باخلاقه تعالى يزدكم من فضله انما اموالكم اي عامة واولادكم كذلك فتنة اي اختبار
من الله تعالى لكم وهو اعلم بما في نفوسكم منكم لكي يظهر في عالم الشهادة من يميله ذلك فيكون عليه
نقمة ومن لا يميله فيكون عليه نعمة فربما اراد الانسان صلاح ماله وولده فبالغ فافسد نفسه
ثم لا يصلح ذلك ماله ولا ولده وروى ابو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري رضي الله عنه
انه قال يؤتى برجل يوم القيامة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات
ويكفي في فتنة المال قصة ثعلبة بن حاطب احد من نزل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد الله وعن

ابن مسعود لا يقولن احدكم اللهم اعصمني من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال ولا ولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وقال الحسن في قوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم ادخل من للتبعيض لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر في قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته * تنبيه * قدم الاموال على الاولاد لان فتنة المال اكثر وترك ذكر الازواج في الفتنة قال البقاعي لان منهن من يكون صلاحا وعونا على الآخرة وَاللّٰهُ اي ذو الجلال عِنْدَهٗ وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعظمته اَجْرٌ ثم وصفه بقوله تعالى عَظِيْمٌ اي لمن ائتمر باوامره التي امره بها وقوله تعالى فَاتَّقُوا اللّٰهَ اي الملك الاعلى مَا اسْتَطَعْتُمْ اي جهدكم ووسعكم ناسخ لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قاله قتادة والربيع ابن انس والسدي وذكر الطبري عن ابن زيد في قوله تعالى يايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال جاء امر شديد قال ومن يعرف قدر هذا ويبلغه فلما علم الله تعالى انه قد اشتد عليهم نسخه عنهم وجاء بهذه الاية الاخرى فقال فاتقوا الله ما استطعتم وقال ابن عباس هي محكمة لا نسخ فيها ولكن حق تقاته ان يجاهد وافيه حق جهاده ولا تاخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وآبائهم وابنائهم فان قيل اذا كانت الاية غير منسوخة فكيف الجمع بين الآيتين وما وجه الامر باتقائه حق تقاته مطلقا من غير تخصيص ولا مشروطا بشرط والامر باتقائه بشرط الاستطاعة اجيب بان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم معناه فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه فيما جعله فتنة لكم من اموالكم واولادكم ان تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة وانتم مستطيعون وذلك ان الله تعالى قد عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله تعالى فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم فاخبر تعالى انه قد عفا عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في دار الشرك فكذلك معنى قوله تعالى ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام ان تتركوها فتنة اموالكم واولادكم ويدل على صحة هذا ان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم عقب قوله تعالى يايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين علماء التاويل في ان هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تاخروا عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك كما تقدم وهذا اختيار الطبري وقال ابن جبير قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم اي فيما يتطوع به من نافلة او صدقة فانه لما نزل

قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته اشتد ذلك على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم
فانزل الله تعالى تخفيفا عليهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى قال الماوردي ويحتمل ان يثبت
هذا النقل لان المكره على المعصية غير مؤاخذ بها لانه لا يستطيع اتقاءها واسمعوا اي سماع اذعان
وتسليم لما توعظون به وجميع اوامره واطيعوا اي وصدقوا ذلك الاذعان بمباشرة الافعال الظاهرة
في الاسلاميات من القيام باوامر الله تعالى والشفقة على خلق الله في كل امر ونهي على حسب
الطاقة وحذف المتعلق ليصدق الامر بكل طاعة وانفقوا اي اوقعوا الانفاق كما حد لكم فيما وجب
او ندب اليه والانفاق لا يختص نوعا بل يكون بكل ما رزق الله من الذاتي والخارجي وقوله خيرا لانفسكم
في نصبه اوجه احدها قال سيبويه انه مفعول بفعل مقدر دل عليه وانفقوا تقديره قدموا
خيرا لانفسكم كقوله تعالى انتهوا خيرا لكم الثاني تقديره يكن الانفاق خيرا فهو خبر كان المضمرة
وهو قول ابي عبيدة الثالث انه نعت لمصدر محذوف وهو قول الكسائي والفراء اي انفاقا خيرا
لانفسكم فان الله يعطي خيرا منه في الدنيا مع ما تزكى به النفس ويدخر عليه من الجزاء في الآخرة
مما لا يدرى كنهه فلا يغرنكم عاجل شيء من ذلك فانما هو زخرف + ولما ذكر ما في الانفاق من
الخير عمم في جميع الاوامر بقوله تعالى ومن يوق شح نفسه فيفعل في ماله جميع ما امر به موقنا به
مطمئنا اليه حتى يرتفع عن قلبه الاخطار ويتحرر عن رق المكنونات والشح خلق باطني هو الداء
العضال والبخل فعل ظاهر ينشأ عن الشح والنفس تارة تشح بترك الشهوة من المعاصي فتفعلها
وتارة باعطاء الاعضاء في الطاعات فتتركها وتارة بانفاق المال ومن فعل ما فرض عليه خرج من
الشح + ولما كان الواقي هو الله تعالى سبب عن وقايته قوله تعالى فاولئك اي العالو الرتبة هم المفلحون
اي الفائزون الذين حازوا جميع المرادات بما اتقوا الله فيه ثم رغب في الانفاق بقوله تعالى
ان تقرضوا الله اي الملك الاعلى ذا الغنى المطلق الحائز لجميع صفات الكمال قرضا حسنا والقرض الحسن
هو التصدق من الحلال مع طيب النفس ومع الاخلاص والمبادرة يضاعفه لكم اي لاجلكم خاصة
اقل ما يكون بالواحد عشرا الى ما لا يتناهى على حسب النيات قال القشيري يتوجه الخطاب بهذا
على الاغنياء في بذل اموالهم وعلى الفقراء في اخلاء ايامهم واوقاتهم من مراداتهم وايثار مراد الحق
على مرادات انفسهم فالغني يقال له آثر حكمي على مرادك في مالك وغيره والفقير يقال له آثر حكمي
في نفسك وقلبك ووقتك + ولما كان الانسان لما له من النقصان وان اجتهد لا يبلغ جميع
ما امر به لان الدين وان كان يسيرا فهو متين لن يشاده احد الا غلبه قال تعالى ويغفر لكم
اي يوقع الغفران وهو محو ما فرط عينه واثره والله اي الذي لا تقاس عظمته بشيء شكور
اي بليغ الشكر لمن يعطي لاجله ولو كان قليلا فيثيبه ثوابا جزيلا خارجا عن الحصر وهو ناظر الى
المضاعفة حليم فلا يعجل بالعقوبة على ذنب من الذنوب وان عظم بل يمهل طويلا ليتذكر
العبد الاحسان مع العصيان فيتوب ولا يهمل ولا يغتر بحلمه فان غضب الحليم لا يطاق وهو

راجع الى الغفران عٰلِمُ الْغَيْبِ وهو ما غاب عن الخلق كلهم فيشمل ما هو داخل القلب مما تؤثره الجبلة ولا علم لصاحب القلب به فضلا عن غيره وَالشَّهَادَةِ وهو كل ما ظهر وكان بحيث يعلمه الخلق وهذا الوصف داع الى الاحسان من حيث انه موجب للمؤمن ترك ظاهر الاثم وباطنه وكل قصور وفتور وغفلة وتهاون فيعبد الله تعالى كانه يراه الْعَزِيزُ اى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ الْحَكِيمُ اى بالغ الحكمة التى يعجز عن ادراكها الخلائق وقال ابن الانبارى الحكيم هو المحكم الخلق الاشياء فصرف عن مفعل الى فعيل ومنه قوله تعالى الر تلك آيات الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن مفعل الى فعيل وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة حديث موضوع

سورة الطلاق مدنية

وهى احدى عشرة اية وقيل اثنتا عشرة اية وقيل ثلاث عشرة اية ومائتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا

بِسْمِ اللهِ الذى له جميع صفات الكمال الرَّحْمٰنِ الذى عم برحمته والنوال الرَّحِيْمِ الذى خص بتمام النعمة ذوى الهمم العوال وقرأ يٰاَيُّهَا النَّبِىُّ نافع بالهمزة وسهل الهمزة من اذا ابن لها ايضا واوا وخصه صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهار التقدمه واعتبار الرياسة وانه لسان قومه والذى يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده فى حكم كلهم وساد امسد جميعهم وقيل انه على اضمار قول اى يا ايها النبى قل لامتك اِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاۤءَ اى اردتم طلاق هذا النوع واحدة منهن فاكثر وقيل انه خطاب له ولامته والتقدير يا ايها النبى وامته فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه كقوله اذا حذفته رجليها اى ويديها وكقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وقيل انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كقوله ؎ فان شئت حرمت النساء سواكم + وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا قال الرازى وجه تعلق اول هذه السورة باخر التى قبلها هو انه تعالى اشار فى اخر التى قبلها الى كمال علمه بقوله تعالى عالم الغيب والشهادة وفى اول هذه السورة اشارة الى كمال علمه بمصالح النساء والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلى بهذه الجزئيات وروى ابن ماجة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فاتت اهلها فانزل الله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهى من ازواجك فى الجنة ذكره الماوردى والقشيرى وزاد القشيرى ونزل فى خروجها الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبى سبب نزول هذه الاية غضب رسول الله صلى الله

عليه وسلم على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعائشة فطلقها تطليقة فنزلت وقال السدى
نزلت فى عبد الله بن عمر طلق امرأته حائضا تطليقة واحدة فامره النبى صلى الله عليه وسلم بان
يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان شاء امسكها وان شاء طلقها قبل ان يجامع
فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء وهو قوله تعالى فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ اى فى الوقت
الذى يشرعن فيه فى العدة وقد قيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن عمرو
بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت الآية فيهم وروى الدارقطنى
عن ابن عباس انه قال الطلاق على اربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان حرامان فاما الحلالان
فان يطلقها طاهرا من غير جماع وان يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها حائضا
او ان يطلقها حين يجامعها لا يدرى اشتمل الرحم على ولد ام لا * تنبيه * الطلاق ينقسم الى سنى
وبدعى ولا ولا فطلاق موطوءة ولو فى دبرها تعتد باقراء سنى ان ابتدأتها الاقراء عقب الطلاق ولم يطأها
فى طهر طلقها فيه او علق طلاقها بمضى بعضه ولا وطئها فى نحو حيض قبله ولا فى نحو حيض طلق مع آخره
او علق بآخره وذلك لاستعقابه الشروع فى العدة وعدم الندم فيمن ذكرت والا فبدعى وان
سألته طلاقا بلا عوض وطلاق غير الموطوءة المذكورة بان لم توطأ او كانت صغيرة او آيسة او حاملا منه
ويخلع زوجته فى زمن حيض بعوض لا سنى ولا بدعى والبدعى حرام للنهى وقسم جماعة الطلاق الى واجب
كطلاق المولى اى واجب مخير ان لم يكن عذر ومعين ان كان عذر شرعى كالاحرام ومندوب
كطلاق غير مستقيمة الحال لسيئة الخلق ومكروه لمستقيمة الحال وحرام كطلاق البدعة
واشار الامام الى المباح بطلاق من لا يهواها ولا تسمح نفسه بمؤنتها من غير تمتع بها وروى الثعلبى
من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق
وعن على عن النبى عليه الصلاة والسلام قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن
ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله تعالى شيئا على وجه الارض احب
اليه من العتاق ولا خلق الله تعالى شيئا ابغض اليه من الطلاق وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق واختلفوا فى الاستثناء فى الطلاق
والعتق فقالت طائفة بجوازه وهو مروى عن طاؤس وبه قال حماد الكوفى والشافعى وابو ثور
واصحاب الراى وقال مالك والاوزاعى لا يجوز الاستثناء فى الطلاق خاصة قال ابن المنذر وبالقول
الاول اقول ولما كان نظر الشارع الى العدة شديدا امر بصيغة الامر فقال تعالى وَأَحْصُوا
اى اضبطوا اضبطا كأنه فى اتقانه محسوس الْعِدَّةَ ليعرف زمان الرجعة والنفقة والسكنى
وحل النكاح لاخت المطلقة مثلا ونحو ذلك من الفوائد الجليلة وَاتَّقُوا اى
فى ذلك اللَّهَ اى الملك الاعظم الذى له الخلق والامر رَبَّكُمْ اى لاحسانه فى تربيتكم
فى حملكم على الحنيفية السمحة ودفع جميع الآصار عنكم لَا تُخْرِجُوهُنَّ اى ايها الرجال

فى حال العدة ﴿مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ اى المساكن التى وقع الفراق فيها وهى مساكنهن التى يسكنها قبل العدة وهى بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وقرأ ورش وابو عمرو وحفص بضم الباء الموحدة والباقون بكسرها ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ اى من بيوتهن حتى تنقضى عدتهن ولو وافق الزوج على ذلك وعلى الحاكم المنع منه لان فى العدة حقا لله تعالى وقد وجبت فى ذلك المسكن وقوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها وقال ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذو على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقال ابن مسعود واراد بالفاحشة المبينة ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على النشوز فتتحول عن بيته ويجوز ان يكون مستثنى من الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على ان خروجها فاحشة هذا كله عند عدم العذر اما لعذر كشراء غيره من لها نفقة على المفارق نحو طعام كقطن وكتان نهارا وغزلها ونحوه كحديثها وتانيسها عند جارتها ليلا وترجع وتبيت ببيتها فانه جائز للحاجة الى ذلك وكخوف على نفسها ومال من نحو هدم وغرق وفسقة مجاورين لها وشدة تاذيها بجيران وشدة تاذيهم بها للحاجة الى ذلك بخلاف الاذى اليسير اذ لا يخلو منه احد ومن الجيران الاحماء وهم اقارب الزوج نعم ان اشتد اذاها بهم او عكسه وكانت الدار ضيقة نقلهم الزوج عنها وخرج بالجيران ما لو طلقت ببيت ابويها وتاذت بهما او هما بها فلا نقل لان الوحشة لا تطول بينهما ولو انتقلت لبلد او مسكن باذن زوجها فوجبت العدة ولو قبل وصولها اليه اعتدت فيه لانها مامورة بالمقام فيه فان انتقلت لذلك بلا اذن فتعتد فى الاول وان وجبت العدة بعد وصولها للثانى لعصيانها بذلك نعم ان اذن لها بعد انتقالها ان تقيم فى الثانى فكما لو انتقلت بالاذن ولو اذن لها فى الانتقال فوجبت العدة قبل خروجها اعتدت فى الاول ولو سافرت باذن زوجها فوجبت فى الطريق فعودها اولى من مضيها فان مضت وجب عودها بعد انقضاء حاجتها ان سافرت لها او بعد انقضاء مدة الاذن ان قدر لها مدة او مدة اقامة المسافر ان لم تقدر لها مدة فى سفر غير حاجتها ولو خرجت فطلقها وقال ما اذنت فى الخروج او قال وقد قالت اذنت فى نقلتى اذنت لا لنقلة صدق بيمينه ولو كان المسكن ملكا له ويليق بها تعين لان تعتد فيه كما مر ويصح بيعه فى عدة اشهر كالمكترى او كان مستعارا او مكرى وانقضت مدة الكراء انتقلت منه ان امتنع المالك وان كان ملكا لها تخيرت بين الاستمرار فيه باعارة او اجارة والانتقال منه كما لو كان المسكن خسيسا ويخير هو ان كان نفيسا وسكنى المعتدة عن فرقة واجب على الزوج حيث تجب نفقتها عليه لو لم تفارق سواء اكانت الفرقة بطلاق او فسخ او وفاة لقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم وقيس به الفسخ بانواعه بجامع فرقة النكاح فى الحيوة ولخبر فريعة بنت مالك فى الوفاة ان زوجها قتل فسالت النبى صلى الله عليه وسلم ان ترجع الى اهلها وقالت ان زوجى لم يتركنى فى منزل يملكه فاذن لها فى الرجوع قالت فانصرفت حتى اذا كنت فى الحجرة او فى المسجد دعانى فقال امكثى فى بيتك

حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا صححه الترمذي وغيره
وقرأ ابن كثير وابو بكر بفتح الياء التحتية والباقون بكسرها وتلك اى الاحكام العالية جدا لما فيها من
الجلالة وبانتسابها الى الملك الاعلى من هذا الذى ذكر فى هذه السورة وغيرها حدود الله اى الملك
الاعظم ومن يتعد اى يقع منه فى وقت من الاوقات انه تعمد ان يعدو حدود الله اى الملك
الذى لا كفء له او بعضها كان طلق بدعيا فقد ظلم نفسه اى عرضها للعقاب وقرأ قالون وابن كثير و
عاصم باظهار الدال عند الظاء والباقون بالادغام لا تدرى اى النفس او انت يا ايها النبى او المطلق
لعل الله اى الذى بيده القلوب ومقاليد جميع الامور يحدث اى يوجد شيئا بعد ذلك لم يكن احد دا
ثابتا لا تقدر الخلق على التسبب فى زواله بعد ذلك اى الحادث من الاساءة والبغض امرا بان يقلب
قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه
فيراجعها وقال اكثر المفسرين اراد بالامر هنا الرغبة فى الرجعة ومعنى الكلام التحريض على طلاق
الواحدة والنهى عن الثلاث وهذا احسن الطلاق واحله فى السنة وابعده عن الندم
ويدل عليه ما روى عن ابراهيم النخعى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون
ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقون غير ذلك حتى تنقضى العدة وكان احسن عندهم
من ان يطلق الرجل ثلاثا فى ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة
وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او مفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على
الواحدة فى طهر واحد فاما مفرقا فى الاطهار فلا لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر حين
طلق امرأته وهى حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل
قرء تطليقة وروى انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها تحيض ثم تطهر ثم يطلقها ان شاء
فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعى لا بأس بارسال الثلاث وقال لا اعرف
فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح ومالك يراعى فى طلاق السنة الواحدة والوقت
وابو حنيفة يراعى التفريق والوقت والشافعى يراعى الوقت وحده قال الزمخشرى فان قلت هل يقع
الطلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو آثم لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا طلق امرأته
ثلاثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم وفى حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارأيت
لو طلقتها ثلاثا فقال له قال اذا عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضى الله عنه انه كان لا يؤتى
برجل طلق امرأته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين
ان من خالف السنة فى الطلاق فاوقعه فى حيض او ثلاث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة
فخالف فان قيل قوله تعالى اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات
الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن اجيب بانه لا عموم
ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن

وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض + ولما حث سبحانه ما يفعل في العدة اتبعه ما يفعل عند انقضائها بقوله تعالى فَاِذَا بَلَغْنَ اي المطلقات اَجَلَهُنَّ اي شارفن انقضاء العدة مشارفة عظيمة فَاَمْسِكُوْهُنَّ اي بالمراجعة وهذا يدل على ان الاولى من الطلاق ما دون البائن لاسيما الثلاث بِمَعْرُوْفٍ اي حسن عشرة لا لقصد المضارة بطلاق آخر لاجل ايجاب عدة اخرى او غير ذلك اَوْ فَارِقُوْهُنَّ بعدم المراجعة لتتم العدة فتملك نفسها بِمَعْرُوْفٍ اي بايفاء الحق مع حسن الكلام وكل امر حسنه الشرع فلا يقصد اذاها بتفريقها من ولدها مثلا او منعه ان كانت عاشقة له لقصد الاذى فقط من غير مصلحة وكذا ما اشبه ذلك من انواع الضرر بالفعل او القول فقد تضمنت الاية بافصاحها الحث على فعل الخيرات وبافهامها اجتناب المنكرات + تنبيه + قال بعض العلماء في قوله تعالى فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان ان الزوج له حق في بدن الزوجة ولها حق في بدنه وذمته فكل من له دين في ذمة غيره سواء كان مالا او منفعة من ثمن او مثمن او اجرة او بدل متلف او ضمان مغصوب او نحو ذلك فعليه ان يؤدي ذلك الحق الواجب باحسان وعلى صاحب الحق ان يتبع باحسان كما قال تعالى في اية القصاص فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وكذا الحق الثابت في بدنه مثل حق الاستمتاع والاجارة على عينه ونحو ذلك فالطالب يطلب بمعروف والمؤدي يؤدي باحسان + ولما كان الاشهاد اقطع للنزاع قال تعالى حاثا على الكيس واليقظة والبعد عن افعال المغفلين العجزة وَّاَشْهِدُوْا اي على الرجعة او المفارقة وقيل المعنى واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنْكُمْ قطعا للنزاع وهذا الاشهاد مندوب اليه عند الجمهور كقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم واوجب الاشهاد في الرجعة الامام احمد في احدى الروايتين عنه والشافعي كذلك لظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفة واحمد والشافعي في القول الآخر ان الرجعة لا تفتقر الى القبول فلم تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق واذا جامع او قبل او باشر يريد بذلك الرجعة فليس بمراجع وقال ابو حنيفة واصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة وكذا النظر الى الفرج رجعة وقال الشافعي وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهي رجعة وقيل وطؤه مراجعة على كل حال نواها او لم ينوها وهو مذهب احمد واليه ذهب الليث وبعض المالكية قال القرطبي وكان مالك يقول اذا وطئ ولم ينو الرجعة فهو وطء فاسد ولا يعود الى وطئها حتى يستبرئها من مائه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة الاولى وليست له الرجعة في هذا الاستبراء + تنبيه + قوله تعالى منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من احراركم وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الاناث لان ذوي مذكر وقوله تعالى وَاَقِيْمُوْا اي ايها المامورون حيث كنتم شهودا الشَّهَادَةَ التي تحملتموها بادائها على اكمل احوالها لِلّٰهِ اي مخلصين لوجه الملك الاعلى لا لاجل المشهود له والمشهود عليه ولا شيء سوى وجه الله تعالى

وفيه حث على اداء الشهادة لما فيه من العسر على الشاهد بترك مهماته وعسر لقاء الحاكم الذي يؤدي عنده وربما بعد مكانه وكان للعدل في الاداء عوائق ايضا ذلكم اي الذي ذكرت لكم ايتها الامة من هذه الامور البديعة النظام العالية المرام وادلاها بذلك هذا الاشهاد واقامة الشهادة يوعظ اي يلين ويرقق به من كان اي كونا راسخا من جميع الناس يؤمن بالله اي الذي له الكمال كله واليوم الاخر فانه المحط الاعظم للترقيق واما من لم يكن متصفا بذلك فكانه لقساوة قلبه ما وعظ به لانه لم ينتفع به وقوله تعالى ومن يتق الله اي يخف الملك الاعظم فيجعل بينه وبين ما يسخطه وقاية بما يرضيه وهو اجتلاب ما امر به واجتناب ما نهى عنه من الطلاق وغيره ظاهرا وباطنا لان التقوى اذا انفردت في القرآن عن مقارن عمت الامر والنهي وان اقترنت بغيرها كخشيا حسان او رضوان خصت المناهي يجعل اي بسبب التقوى له مخرجا جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على اتقائه عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله تعالى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة اي من طلق كما امره الله تعالى يكن له مخرج في الرجعة في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ايضا يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والاخرة وقيل المخرج هو ان يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل شدة وقال الربيع بن خثيم مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقال الحسين بن الفضل ومن يتق الله في اداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه اي الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما اتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقال ابو سعيد الخدري ومن تبرأ من حوله وقوته بالرجوع الى الله تعالى يجعل له مخرجا مما كلفه الله بالمعونة له وتأول ابن مسعود ومسروق الاية على العموم وهذا هو الذي يقوى عندي وقال ابو ذر وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم وتلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكي اليه الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تامرني فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وامرك واياها ان تكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الى بيته وقال لامرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان نكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى المدينة وهي اربعة الاف شاة فنزلت الاية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له وروي

قوله وان يكون كاحد الخطاب هكذا في النسخ ويمكن والظاهر ... اه مصححه

انه جاء وقد اصاب ابلا من العدو وكان فقيرا فقال الكلبي انه اصاب خمسين بعيرا وفي رواية
فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة للقوم فمر بسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل اصاب غنما ومتاعا فقال
ابوه للنبي صلى الله عليه وسلم ايحل لي ان اكل مما اتى به ابني قال نعم ونزل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وروى الحسن عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
وقال الزجاج اي اذا اتقى وآثر الحلال والصبر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث
لا يحتسب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكثر الاستغفار
جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل اي يسند اموره
كلها معتمدا فيها على الله اي الملك الذي بيده كل شيء ولا كفء له فهو اي الله في غيبه فضلا عن
الشهادة بسبب توكله حسبه اي كافيه ما اهمه وحذف المتعلق للتعميم وحرف الاستعلاء
للاشارة الى انه كان حمل اموره كلها عليه سبحانه لانه القوي العزيز الذي يدفع عنه كل ضار ويجلب له
كل سار الى غير ذلك من المعاني الكبار فلا يبين وله في عالم الشهادة شيء يشينه وقيل من اتقى الله
وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب
في الدنيا وقد يقتل وفي الحديث لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا
وتروح بطانا ويؤخذ من هذا ان التوكل يكون مع مباشرة الاسباب لانه صلى الله عليه وسلم قال
تغدو وتروح وهي من المقامات العظيمة قال البقاعي نقلا عن الحرالي والاتكال اتكالا وليس بمقام بل
خسة همة وعدم مروءة لانه ابطال حكمة الله التي احكمها في الدنيا من ترتيب المسببات على الاسباب
اهـ ولما كان ذلك امرا لا يكاد يحيط به الوهم علله بقوله تعالى معبرا له بالتاكيد والاظهار في موضع
الاضمار ان الله اي المحيط بكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص بالغ امره اي جميع ما يريده فلا بد
من نفوذه سواء حصل توكل ام لا قال مسروق يعني قاض امره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه
الا ان من توكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا وقرأ حفص بالغ بغير تنوين وامره بالجر مضاف
اليه على التخفيف والباقون بالتنوين وامره بنصب الراء وضم الهاء قال ابن عادل وهو الاصل
خلافا لابي حيان قد جعل الله اي الملك الذي لا كفء له ولا معقب لحكمه جعلا مطلقا من غير
تقييد بجهة ولا حيثية لكل شيء كرخاء وشدة قدرا اي تقديرا لا يتعداه في مقداره وزمانه وجميع
عوارضه واحواله وان اجتهد جميع الخلائق في ان يتعداه فمن توكل استفاد الاجر وخفف عنه
الالم وقذف في قلبه السكينة ومن لم يتوكل لم ينفعه ذلك وزاد المه وطال غمه بشدة سعيه في
اسبابه التي يعتقد انها هي المنجية فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط جف القلم فلا يزاد في المقادير
شيء ولا ينقص منها شيء ويحكى ان رجلا اتى عمر فقال اولني مما اولاك الله فقال اتقرأ القرآن قال لا قال انا لا نولي
من لا يقرأ القرآن فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القرآن رجاء ان يعود الى عمر فيوليه فلما تعلم

القران تخلف عن عمر فراه ذات يوم فقال يا هذا هجرتنا فقال يا امير المؤمنين لست ممن يهجر
ولكني تعلمت القران فاغناني الله عن عمر وعن باب عمر قال فاى اية اغنتك قال قوله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا فمن توكل على غيره سبحانه ضاع لانه لا يعلم المصالح وان علم لا يعلم كيف يستعملها
وهو سبحانه المتفرد بعلم ذلك كله ولا يعلمه حق علمه غيره + تنبيه + الاية تفهم ان من لم يتق الله يقتر عليه
وهو موافق لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وتفهم ان من لم يتوكل لم يكف شيئا من الاشياء وقال عبد الله بن رافع لما نزل
قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن اذا توكلنا عليه
نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزل ان الله بالغ امره فيكم وعليكم وقال الربيع بن خثيم ان الله قضى
على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن
دعاه اجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سالك
عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان + ولما بين تعالى امر الطلاق والرجعة في التي
تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم قال ابو عثمان
عمر بن سليمان نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال
ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن شيء الصغار والكبار
وذوات الحمل فنزل وَاللَّائِي يَئِسْنَ اي من المطلقات مِنَ الْمَحِيضِ اي الحيض الاية وقال مقاتل لما ذكر
قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان يا رسول الله فما عدة
التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت وقيل ان معاذ بن جبل سال عن عدة
الكبيرة التي يئست فنزلت وقال مجاهد الاية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض هو او دم علة
واختلف في سن الياس فالذي عليه الاكثر انه اثنان وستون سنة وقيل خمس وخمسون وقيل ستون
وقيل سبعون + ولما كان هذا الحكم خاصا بازواج المسلمين لحرمة فرشهم وحفظ انسابهم قال تعالى
مِنْ نِسَائِكُمْ اي ايها المسلمون سواء كن مسلمات او من اهل الكتاب إِنِ ارْتَبْتُمْ اي شككتم في عدتهن
فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ كل شهر يقوم مقام حيضة لان اغلب عوائد النساء ان يكون كل قرء في شهر
وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ اي لصغرهن او لانهن لا حيض لهن اصلا وان كن بالغات فعدتهن ثلاثة اشهر
ايضا هذا كله في غير المتوفى عنهن ازواجهن اما هن فعدتهن ما في اية يتربصن بانفسهن اربعة
اشهر وعشرا وقرا واللائي في الموضعين ابن عامر والكوفيون بالهمز وياء بعده وقرا قالون وقنبل
بالهمز ولا ياء بعده وللبزي وابي عمرو ايضا ابدال الهمزة ياء ساكنة مع المد لا غير + ولما فرغ من ذكر الحوائل
اتبعه ذكر الحوامل بقوله تعالى وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ اي من جميع الزوجات المسلمات والكافرات
المطلقات والمتوفى عنهن أَجَلُهُنَّ اي لمنتهى العدة سواء كان لهن مع الحمل حيض ام لا أَنْ

يضعن حملهن وهذا على عمومه مخصص لآية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا لأن المحافظة
على عمومه أولى من المحافظة على عموم ذلك في قوله تعالى أزواجا لأن عموم هذه بالذات لأن الموصول
من صيغ العموم وعموم أزواجا بالعرض لأنه بدل لا يصلح لجميع الأزواج في حال واحد والحكم
معلل هنا بوصف الحملية بخلاف ذلك ولأن هذه الآية متأخرة النزول عن آية البقرة فتقديمها
على تلك تخصيص وتقديم تلك في العمل بعمومها رفع لما في الناسخ من الحكم فهو نسخ والأول هو الراجح
للوفاق ولأن سبيعة بنت الحارث وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال فأذن لها النبي صلى الله
عليه وسلم أن تتزوج. تنبيه: إذا وضعت المرأة ما في بطنها من علقة أو مضغة حلت عند مالك
وقال الشافعي وأحمد وأبو حنيفة لا تحل إلا بوضع ما يتبين فيه شيء من خلق الإنسان فإن كانت
حاملا بتوأمين لم تنقض عدتها حتى تضع الثاني منهما ولا بد أن يكون الحمل منسوبا للذي العدة
أما إذا كان من زنا فلا حرمة له والعدة بالأقراء. ولما كانت أمور النساء في المعاشرة والمفارقة
في غاية المشقة كرر الحث على التقوى إشارة إلى ذلك وترغيبا في لزوم ما حده سبحانه فقال
عاطفا على ما تقديره فمن لم يحفظ هذه الحدود عسر الله تعالى عليه أموره ومن يتق الله أي يوجد
الخوف من الملك الأعظم إيجادا مستمرا ليجعل بينه وبين سخطه وقاية من طاعته امتثالا للأوامر واجتنابا
للمنهي يجعل له أي يوجد إيجادا مستمرا باستمرار التقوى لأن الله لا يمل حتى تملوا من أمره أي كله في النكاح
وغيره يسرا أي سهولة وفرجا وخيرا في الدارين بالدفع والنفع وذلك أعظم من مطلق المخرج المتقدم
في الآية الأولى وقال مقاتل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسرا في توفيقه لطاعته
ذلك أي الأمر المذكور من جميع هذه الأحكام العالية المراتب أمر الله أي الملك الأعلى الذي له الكمال
كله أنزله إليكم وبينه لكم ومن يتق الله أي الذي لا أمر لأحد معه في أحكامه فيراعي حدودها يكفر أي
يغط تغطية عظيمة عنه سيئاته ليتخلى عن المبعدات فإن الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له أجرا
بأن يبدل سيئاته حسنات ويوفيه أجرها في الدارين مضاعفة فيتحلى بالقربات وهذا أعظم من مطلق
اليسر المتقدم أسكنوهن قال الرازي أسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله تعالى ومن
يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن وقوله تعالى من حيث سكنتم
فيه وجهان أحدهما أن من للتبعيض قال الزمخشري مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا
من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أي بعض أبصارهم
قال قتادة إن لم يكن إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه قال الرازي وقال الكسائي من صلة والمعنى
أسكنوهن حيث سكنتم والثاني أنها لابتداء الغاية قاله الحوفي وأبو البقاء قال أبو البقاء والمعنى
تسببوا إلى إسكانهن من الوجه الذي تسكنون أنفسكم ودل عليه قوله تعالى من وجدكم أي من
وسعكم أي مما تطيقونه وفي إعرابه وجهان أحدهما أنه عطف بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم وإليه
ذهب الزمخشري وتبعه البيضاوي قال ابن عادل أظهرهما أنه بدل من قوله من حيث بتكرار

العامل واليه ذهب ابو البقاء كانه قيل اسكنوهن من وسعكم ولا تضاروهن اى حال السكنى فى المسكن ولا فى غيره لتضيقوا عليهن حتى تلجؤهن الى الخروج وان كن اى المطلقات اولات حمل اى من الازواج من طلاق بائن اورجعى فانفقوا عليهن وان مضت اشهر حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات البوائن والاحاديث تؤيده قال القرطبى اختلف العلماء فى المطلقة ثلاثا على ثلاثة اقوال فمذهب مالك والشافعى ان لها السكنى ولا نفقة لها ومذهب ابى حنيفة واصحابه ان لها السكنى والنفقة ومذهب احمد واسحق وابى ثور لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس قالت دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى اخو زوجى فقلت ان زوجى طلقنى وان هذا يزعم ان ليس لى سكنى ولا نفقة قال بل لك السكنى والنفقة فقال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة لمن له عليها رجعة فلما قدمت الكوفة طلبنى الاسود ابن يزيد ليسالنى عن ذلك فان اصحاب عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة وعن الشعبى قال لقينى الاسود بن يزيد فقال يا شعبى اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة فقلت لا ارجع عن شئ حدثتنى فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه لو كان لها سكنى لما امر النبى صلى الله عليه وسلم ان تعتد فى بيت ابن ام مكتوم واجيب عن ذلك بما روت عائشة انها قالت كانت فاطمة فى مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وقال قتادة وابن ابى ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله تعالى اسكنوهن راجع لما قبله وهى المطلقة الرجعية فان ارضعن لكم اى بعد انقضاء علقة النكاح فآتوهن اجورهن اى على ذلك الارضاع وللرجل ان يستاجر امراته للرضاع كما يستاجر اجنبية ولا يجوز عند ابى حنيفة واصحابه الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم تبن ويجوز عند الشافعى مطلقا وقوله تعالى وأتمروا خطاب للازواج والزوجات اى ليامر بعضكم بعضا فى الارضاع والاجر فيه وغير ذلك وليقبل بعضكم امر بعض وقال الكسائى ائتمروا وتشاوروا وتلا قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك وانشد قول امرئ القيس * ويعدو على المرء ما يأتمر * وزادهم رغبة فى ذلك بقوله تعالى بينكم اى ان هذا الخير لا يعدوكم واكد ذلك بقوله تعالى بمعروف ونكره سبحانه تخفيفا على الامة بالرضا بالمستطاع وهو يكون مع الاخلاق بالانصاف وسمح النفس بالخلاف وان تعاسرتم اى طلب كل منكم ما يعسر على الآخر كان طلبت المراة الاجرة وطلب الزوج ارضاعها مجانا فسترضع له اى الاب اخرى اى مرضعة غير الام ويغنى الله تعالى عنها وليس له ان يكرهها على ذلك نعم اذا لم يقبل ثدى غيرها او لم يوجد غيرها اجبرت على ذلك بالاجرة وهذا الحكم لا يختص بالمطلقة بل المنكوحة كذلك واختلفوا فيمن يجب عليه رضاع الولد فقال مالك رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية الا لشرفها وموضعها فعلى الاب رضاعه حينئذ فى ماله وقال ابو حنيفة لا يجب على الام بحال وقيل يجب

عليها بكل حال ولو طلبت الام اجرة المثل وهناك اجنبية ترضع بدون اجرة المثل او متبرعة تخير الاب
بينهما ولا يضيق على الاب بدفع الاجرة لانه صلى الله عليه وسلم ما خير بين امرين الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما او قطيعة رحم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون
بالفتح لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ اي مال واسع ولم يكلفه تعالى جميع وسعه بل قال تعالى مِنْ سَعَتِهِ اي لينفق
الزوج على زوجته وولده الصغير على قدر وسعه فيوسع اذا كان موسعا عليه وَمَنْ قُدِرَ اي ضيق
عَلَيْهِ رِزْقُهُ فعلى قدر ذلك فيقدر النفقة بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد
على مجرى العادة قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم
لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف لكن نفقة الزوجة مقدرة عند الشافعي محدودة فلا
اجتهاد للحاكم ولا للمفتي فيها وتقديرها هو بحسب حال الزوج وحده من يسار واعسار ولا اعتبار
بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف
والمعسر مد لظاهر قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر ولان
الاعتبار بحالها يؤدي الى الخصومة لان الزوج يدعي انها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم انها تطلب
قدر كفايتها فقدرت قطعا للخصومة وقوله تعالى فَلْيُنْفِقْ اي وجوبا على الرضيع وغيرها من كل
ما اوجبه الله تعالى عليه مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ اي الملك الذي لا ينفد ما عنده ولو من رأس المال
ومتاع البيت لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ اي الذي له الملك كله نَفْسًا اي نفس كانت إِلَّا مَا آتَاهَا اي اعطاها من المال
سَيَجْعَلُ اللَّهُ اي الملك الذي له الكمال كله فلا خلف لوعده بَعْدَ عُسْرٍ اي بعد كل عسر يُسْرًا وقد صدق الله ع
وعده فيمن كانوا موجودين بعد نزول الآية ففتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس والروم حتى صاروا
اغنى الناس وصدق الآية دائم غير انه في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم امين لان ايمانهم
اتم قال القشيري وانتظار اليسر من الله صفة المتوسطين في الاحوال الذين انحطوا عن درجة الرضا
وارتقوا عن حد اليأس والقنوط ويعيشون في افناء الرجاء ويتعللون بحسن المواعيد اه ولما ذكر
الاحكام والمواعظ والترغيب لمن اطاع حذر من خالف بقوله تعالى وَكَأَيِّنْ هي كاف الجر دخلت على اي
بمعنى كم مِنْ قَرْيَةٍ اي وكثير من القرى وقرأ ابن كثير بالالف بعد الكاف وبعد الالف همزة مكسورة
وقفا ووصلا وقرأ الباقون في الوصل بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعد الهمزة ياء تحتية مكسورة
مشددة وعبر عن اهل القرية بها مبالغة فقال عَتَتْ اي استكبرت وجاوزت الحد في عصيانها
وطغيانها فاعرضت عنادا عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا اي الذي احسن اليها ولا محسن اليها غيره وَرُسُلِهِ فلم تقبل
منهم ما جاؤا به عن الله تعالى فان طاعتهم من طاعته فَحَاسَبْنَاهَا اي في الآخرة وان لم تجئ لتحقق
وقوعها حِسَابًا شَدِيدًا اي بالمناقشة والاستقصاء وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا اي منكرا فظيعا وهو عذاب
النار وقيل العذاب في الدنيا فيكون على حقيقته اي جازيناها بالعذاب في الدنيا وعذبناها عذابا
نكرا في الآخرة وقيل في الكلام تقديم وتأخير اي فعذبناها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط

والسيئة وبالمناقشة والعرض وبأنواع المصائب وحاسبناها حساباً شديداً في الآخرة وقرأ نافع
وابن ذكوان وشعبة بضم الكاف والباقون بسكونها فذاقت أي فتسبب عن ذلك أنها ذاقت
وبال أي عقوبة أمرها أي كفرها وكان عاقبة أمرها خسراً أي في الدنيا بالأسر والنهب والحروب
وغير ذلك وفي الآخرة بعذاب النار فإن من زرع الشوك كما قال القشيري لا يجني الورد ومن أضاع
حق الله تعالى لا يطاع في حظ نفسه ومن اقترف بمخالفة أمر الله تعالى فليصبر على عقوبته ثم
استأنف الجواب عمن يقول هل لها عذاب في غير هذه الدار بقوله تعالى أعد الله أي الملك
الأعظم لهم بعد الموت وبعد البعث عذاباً شديداً وفي ذلك تكرير للوعيد وبيان لما يوجب
التقوى المأمور بها فاتقوا الله أي الذي له الأمر كله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يا أولي الألباب
أي يا أصحاب العقول الصافية النافذة من الظواهر إلى البواطن وقوله تعالى الذين آمنوا منصوب
بإضمار أعني بياناً للمنادى في قوله تعالى يا أولي الألباب أو يكون عطف بيان للمنادى أو نعتاً له
أي خلصوا من دائرة الشرك وأوجدوا الإيمان حقيقة قد أنزل الله أي الذي له صفات الكمال
إليكم ذكراً هو القرآن وفي نصب رسولاً أوجه أحدها قال الزجاج والفارسي أنه منصوب بالمصدر
المنون قبله لأنه ينحل بحرف مصدري وفعل كأنه قيل أن ذكر رسولاً ويكون ذكره الرسول
قوله محمد رسول الله والمصدر المنون عامل كقوله تعالى أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً الثاني جعل
نفس الذكر مبالغة فأبدل منه ويكون محمولاً على المعنى كأنه قال قد أظهر لكم ذكراً رسولاً فيكون من باب بدل
الشيء من الشيء وهو هو الثالث أنه بدل منه على حذف مضاف من الأول تقديره أنزل ذا ذكر رسولاً
الرابع أنه بدل منه على حذف مضاف من الثاني أي ذكراً ذكر رسول الخامس أنه منصوب بفعل مقدر أي
وأرسل رسولاً يتلوا عليكم آيات الله هي دلائل الملك الأعظم الظاهرة جداً حال كونها مبينات أي لا لبس
فيها بوجه واختلف الناس في رسولاً هل هو النبي صلى الله عليه وسلم أو جبريل فالأكثر على الأول واقتصر عليه
الجلال المحلي واقتصر الزمخشري على الثاني وهو قول الكلبي وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر
الياء بعد الموحدة والباقون بالفتح ليخرج الذين آمنوا أي أقروا بالشهادتين وعملوا تصديقاً لما قالوه
بألسنتهم وتحقيقاً لأنه من قلوبهم الصالحات أي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل
الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه مؤمن من الظلمات أي الضلالة إلى النور أي الهدى ومن يؤمن
بالله أي يجدد في كل وقت على الدوام الإيمان بالملك الأعلى بأن لا يزال في ترق في معارج معارفه
ويعمل على التجديد والاستمرار صالحاً لله وفي الله فله دوام النعماء وهو معنى أدخله الجنة كما
قال تعالى يدخله أي عاجلاً مجازاً بما يفتح الله له من لذات المعارف ويفتح له من الأنس وآجلاً حقيقة
جنات أي بساتين هي في غاية ما يكون من جمع جميع الأشجار وحسن الدار وبين دوام ريها
بقوله تعالى تجري من تحتها أي من تحت غرفها الأنهار فهي في غاية الري بحيث أن ساكنها يجري
في أي موضع أراد نهراً وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون والباقون بالياء التحتية خالدين فيها ع

والى معنى الخلود بقوله تعالى ابدا يفهم الدوام بلا انقضاء وقوله تعالى قد احسن الله اى الملك الاعلى ذو الجلال والاكرام له اى خاصة رزقا اى عظيما عجيبا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب وقال القشيرى الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن اموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق حرصه كذلك ارزاق القلوب احسنها ان يكون له من الاحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا زيادة لا يقدر على الاستقرار عليها ثم بين كمال قدرته بقوله تعالى الله اى الذى له جميع صفات الكمال التى القدرة الشاملة احداها الذى خلق اى اوجد وحده من العدم بقدرته على وفق ما دبر بعلمه على هذا النوال الغريب البديع سبع سموات اى وانتم تشهدون عظمة ذلك وتشهدون انه لا يقدر عليه الا تام القدرة والعلم الكامل ومن الارض مثلهن اى سبعا اما كون السموات سبعا بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه لحديث الاسراء وغيره واما الارضون فقال الجمهور انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك انها سبع ارضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبى والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره روى ابو مروان عن ابيه ان كعبا حلف له بالله الذى فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين انا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من ارض طوقه يوم القيامة من سبع ارضين قال البقاعى رايت فى التعدد حقيقة حديثا صريحا لكن لا ادرى حاله ذكره ابن برجان فى اسمه تعالى الملك من شرحه الاسماء الحسنى قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما تحت هذه الارض قالوا الله ورسوله اعلم قال هواء اتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ارض اتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم حتى عد سبع ارضين ثم رايته فى الترمذى عن ابى رزين العقيلى ولفظه هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انها الارض ثم قال اتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم رايت فى الفردوس عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما بين السماء خمسمائة عام وعرض كل سماء وثخانة كل سماء خمسمائة عام وما بين السماء السابعة وبين الكرسى والعرش مثل ذلك وما بين السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام والارضون وعرضهن وثخانتهن مثل ذلك اه قال الماوردى وعلى انها سبع ارضين تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا ولا تلزم من فى غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها قال

ابن عادل وهذا قول من جعل الارض مبسوطة الثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض كرية وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعهم السماء فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض اخرى اختصت دعوة الاسلام باهل هذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان تلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم لان فصل البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه واحتمل ان لا تلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى الله عليه وسلم بها مامورا وقال بعض العلماء السماء في اللغة عبارة عما علاك فالاولى بالنسبة الى السماء الثانية ارض وكذلك الثانية بالنسبة الى الثالثة ارض وكذا البقية بالنسبة الى ما تحته سماء وبالنسبة الى ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع سموات وسبع ارضين يتنزل اي بالتدريج الامر قال مقاتل وغيره اي الوحي وعلى هذا يكون قوله تعالى بينهن اشارة الى ما بين هذه الارض العليا التي هي اولاها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها والاكثرون على ان الامر هو القضاء والقدر فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها فيجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن وعن قتادة في كل ارض من ارضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق ساله هل تحت الارض من خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن وقال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سماءين ارض وامر وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهيآتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على اتساع اللغة كما يقال للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوها وقوله تعالى لتعلموا متعلق بمحذوف اي اعلمكم بذلك الخلق والانزال لتعلموا ان الله اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة كلها على كل شيء اي من غير هذا العالم يمكن ان يدخل تحت المشيئة قدير اي بالغ القدرة فياتي بعالم اخر مثل هذا العالم وابدع منه وابدع من ذلك الى ما لا نهاية له بالاستبدال بهذا العالم فان من قدر على ايجاد ذرة من العدم قدر على ايجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها الى ما لا نهاية له لانه لا فرق في ذلك بين قليل وكثير وجليل وحقير ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قال البقاعي واياك ان تصغي الى من قال انه ليس في الامكان ابدع مما كان فانه مذهب فلسفي خبيث والاية نص في ابطاله وان نسبه بعض الملحدين الى الغزالي فاني لا اشك انه مدسوس عليه وان مذهبه فلسفي خبيث بشهادة الغزالي كما بينت ذلك في كتابي دلائل البرهان على ان في الامكان ابدع مما كان قال ومع كونه مذهب الفلسفة

اخذه الكفر العارفين ابن عربي واودعه في فصوصه وغير ذلك من كتبه واسنده في بعضها للغزالي والغزالي بريء منه بشهادة ما وجد من عقائده في الاحياء وغيره انتهى والبقاعي ممن يقول بكفر ابن عربي وابن المقري يقول بكفره وكفر طائفته وقد تقدم الكلام على كلامهم ﴿وان الله﴾ اي الذي له جميع صفات الكمال ﴿قد احاط﴾ بتمام قدرته ﴿بكل شيء﴾ مطلقا ﴿علما﴾ فله الخبرة التامة بما يامر به من الاحكام في العالم بمصالحه ومفاسده فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته فعاملوه معاملة من يعلم انه رقيب عليه تسلموا في الدنيا وتسعدوا في الآخرة * تنبيه * علما منصوب على المصدر لان احاط بمعنى علم وقيل بمعنى والله احاط احاطة علما وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

ع

سورة التحريم مدنية

وهي ثنتا عشرة آية ومائتان واربعون كلمة والف وستون حرفا

﴿بسم الله﴾ الذي له الكمال كله على الدوام ﴿الرحمن﴾ الذي عم عباده بعظيم الانعام ﴿الرحيم﴾ الذي اتم على خواصه نعمة الاسلام واختلف في سبب نزول قوله تعالى ﴿يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله﴾ اي الذي لا امر لاحد معه ﴿لك﴾ فقالت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند زينب بنت جحش فشرب عندها عسلا قالت فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني اجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له فنزل لم تحرم ما احل الله لك الى قوله تعالى ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة وعنها ايضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسائه فدخل على حفصة فاحتبس عندها اكثر ما كان يحتبس فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت اليها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت لها اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك له وقولي انت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت سودة والله الذي لا اله غيره لقد كدت ان اباديه بالذي قلت وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه منه قالت فقلت لها اسكتي ففي هذه الرواية ان التي شرب عندها النبي صلى الله عليه وسلم حفصة وفي الاولى زينب وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس رضي الله

عنهما انه شربه عند سودة وقيل انما هي ام سلمة رواه اسباط عن السدى وقاله عطاء بن ابي مسلم
تنبيه في شرح غريب الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب
الحلوا بالمد والقصر قاله في المصباح وهو يقع على كل شيء حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا في جملة
الحلوا تنبيها على شرفه ومرتبته وهو من باب الخاص بعد العام وقولها فتواطيت انا وحفصة هكذا
وقع في الرواية واصله فتواطأت بالهمزة اي اتفقت انا وحفصة وقولها اني لاجد منك ريح مغافير بغين
معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله ريح كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم
العين المهملة والفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق يفرش على الارض له شوكة وثمرة خبيثة
الرائحة وقال اهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان توجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط بالجيم والراء
وبالسين المهملتين ومعناه اكلت نحله العرفط فصار منه العسل قال القاضي عياض والصواب
ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره النووي في شرح مسلم وكذا ذكره ايضا القرطبي وقال
اكثر المفسرين في سبب نزول ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم
حفصة استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة
وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة
تبكي فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقالت انما اذنت لي من اجل ذلك ادخلت امتك بيتي ثم وقعت
عليها في يومي على فراشي اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليس هي جاريتي قد احلها الله لي فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري
بهذا امراة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين
عائشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية وان الله قد اراحنا منها
واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغضبت عائشة فلم يزل نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها وعن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان له امة يطؤها فلم تزل عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى يا ايها
النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية اخرجه النسائي فان قيل قوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك يوهم ان الخطاب
بطريق العتاب وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم ينافي ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم اجيب
بانه ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي فان قيل تحريم
ما احل الله غير ممكن فكيف قال لم تحرم ما احل الله لك اجيب بان المراد بهذا التحريم هو الامتناع من
الانتفاع بالازواج لا اعتقاد كونه حراما بعد ما احله الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم امتنع من الانتفاع
بها مع اعتقاد كونها حلالا فان من اعتقد ان هذا التحريم هو تحريم ما احل الله فقد كفر فكيف

يضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم تبتغي اي تريد ارادة عظيمة من مكارم اخلاقك وحسن صحبتك مرضات ازواجك اي الاحوال والامور والمواضع التي يرضين بها وهن اولى بان يبتغين رضاك وكن اجمع الخلق لتتفرغ لما يوحى اليك من ربك لكن ذلك للزوجات آكد والله اي الملك الاعلى غفور رحيم اي محاء ستور لما يشق على خلص عباده مكرم لهم فقد غفر لك هذا التحريم ثم علل وبين ذلك بقوله تعالى قد فرض الله اي قدر ذو الجلال والاكرام الذي لا شريك له ولا امر لاحد معه وعبر بالفرض حثا على قبول الرخصة اشارة الى ان ذلك لا يقدح في الورع ولا يخل بحرمة اسم الله تعالى لان اهل الهمم العوالي لا يجوزون النقلة من عزيمة الى رخصة بل من رخصة الى عزيمة او عزيمة الى مثلها ولما كان التخفيف على امته تعظيما له صلى الله عليه وسلم قال تعالى لكم ايتها الامة التي انت راسها تحلة اي تحليل ايمانكم بالكفارة المذكورة في سورة المائدة وقيل قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى بمعنى استثن في يمينك اذا اطلقتها بان تقول ان شاء الله منفصلا بحلفك وتنويه قبل الفراغ منه واختلف اهل العلم في لفظ التحريم فقال قوم هو ليس بيمين فان قال لزوجته انت حرام او حرمتك فان نوى به طلاقا فهو طلاق وان نوى به ظهارا فهو ظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة يمين وان قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه واليه ذهب الشافعي وروى الدارقطني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اتاه رجل فقال اني جعلت امرأتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام وتلا هذه الاية وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله يروى ذلك عن ابي بكر وعائشة وبه قال الاوزاعي وابو حنيفة وعند ابي حنيفة ان نوى الطلاق بالحرام كان بائنا وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى نقله الزمخشري وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال اذا حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة قال مقاتل فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة رقبة قال زيد بن اسلم وعاد الى مارية وقال الحسن لم يكفر عليه السلام لانه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكفارة اليمين في هذه السورة انما امر بها الامة قال ابن عادل والاول اصح وان المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم الامة تقتدي به في ذلك والله اي والحال ان المختص باوصاف الكمال مولاكم اي يفعل معكم فعل القريب الصديق فهو سيدكم ومتولي اموركم وهو اي وحده العليم اي البالغ العلم بمصالحكم وغيرها الى ما لا نهاية له الحكيم اي الذي يضع كل ما يصدر عنه لكم في اتقن محاله بحيث لا يقدر غيره ان يغيره ولا شيئا منه والعامل في قوله تعالى واذ اذكر فهو مفعول به لا ظرف والمعنى اذكروا اذ اسر النبي اي الذي شأنه ان يرفعه الله تعالى دائما فانه ما ينطق عن الهوى الى بعض ازواجه وابهمها ولم يعينها تشريفا له صلى الله عليه وسلم ولها وهي حفصة صيانة لهن

حرمتهن من حرمته صلى الله عليه وسلم حديثا ليس هو من شأن الرسالة ولو كان من شأنها لم تسر به و
لم يخص به ولا اسره وذلك هو تحريمه فتاته على نفسه وقوله لحفصة لا تخبري بذلك احدا وقال سعيد
بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما اسر امر الخلافة بعده فحدثت حفصة وقال الكلبي اسر اليها
ان اباك وابا عائشة يكونان خليفتين على امتي من بعدي وقال ميمون بن مهران اسر ان ابا بكر خليفتي
من بعدي ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ﴾ اى اخبرت به عائشة ظنا منها انه لا حرج عليها في ذلك ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ اى اطلعه
الملك الذي له الاحاطة بكل شيء ﴿عَلَيْهِ﴾ اى الحديث على لسان جبريل عليه السلام بانه قد افشى منا صحه له
في اعلامه بما يقع في غيبته ليحذره ان كان شرا ويثبت عليه ان كان خيرا وقيل اظهر الله الحديث
على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور ﴿عَرَّفَ﴾ اى النبي صلى الله عليه وسلم التي اسر اليها ﴿بَعْضَهُ﴾ اى بعض
ما فعلت ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ اى اعلام ببعض تكرما منه ان يستقصي في العبارات وحياء وحسن عشرة
قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وانما عاتبها على ذكر
الامامة واعرض عن ذكر الخلافة خوفا من ان ينتشر في الناس فربما اثار حسد بعض المنافقين واورث
المحسود للصديق كيدا وقال بعض المفسرين انه اسر الى حفصة شيئا فحدثت به غيرها فطلقها
مجازاة على بعضه ولم يؤاخذها بالباقي وهو من قبيل قوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله اى
يجازيكم عليه وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى انه قال لها ويلك
لم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى
بها اباها ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ﴾ اى بما فعلت على وجه لم يغادر من ذلك الذي عرفها به شيئا منه ولا من عوارضه
لتزداد بصيرة روى عنه انها قالت لعائشة سرا فانا اعلم انها لا تظهره قاله الملوي وهو معنى قوله تعالى
﴿قَالَتْ﴾ اى ظنا منها ان عائشة افشت عليها ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ اى من اخبرك اني افشيت السر ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ﴾
وحذف المتعلق اختصار اللفظ وتكثير المعنى بالتعميم اشارة انه اخبره بجميع ما دار بينها وبين عائشة
على اتم ما كان ﴿الْعَلِيمُ﴾ اى المحيط العلم ﴿الْخَبِيرُ﴾ اى المطلع على الضمائر والظواهر فهو اولى ان يحذر فلا يتكلم
سرا وجهرا الا بما يرضيه وقوله تعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ اى الملك الاعظم شرط وفي جوابه وجهان احدهما
قوله تعالى ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ والمعنى ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن
الواجب في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حب ما يحب وكراهة ما يكره وصغت مالت
وزاغت عن الحق قال القرطبي وليس قوله فقد صغت قلوبكما جواب الشرط لان هذا الصغو كان
سابقا فجزاء الشرط محذوف للعلم به اى ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما الثاني ان الجواب
محذوف تقديره فذلك واجب عليكما او فتاب الله عليكما قاله ابو البقاء ودل على المحذوف
فقد صغت لان اصغاء القلب الى ذلك ذنب قال بعضهم وكانه زعم ان ميل القلب ذنب وكيف
يحسن ان يكون جوابا وقد غفل عن المعنى الصحيح لكونه جوابا وبينه وقوله تعالى قلوبكما من افصح الكلام
حيث اوقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمجيء تثنيتين لو قيل قلباكما ومن شأن العرب اذا ذكروا الشيئين

ع قوله روى انهم كذا في الاصول وهو غير مستقيم اه

من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل والاحسن في هذا الباب الجمع ثم الافراد ثم التثنية كقوله ــ
فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط الذى من شأنه لم يرقع * وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد الا في
ضرورة كقوله ــ حمامة بطن الواديين ترنمي * سقاك من الغر الغوادى مطيرها * وتبعه ابو حيان
وغلط ابن مالك في كونه جعله احسن من التثنية قال ابن عادل وليس بغلط لكراهة توالي
تثنيتين مع امن اللبس وقوله تعالى ان تتوبا فيه التفات من الغيبة الى الخطاب والمراد بهن الخطاب
امّا المؤمنتان بنتا الشيخين الكريمين عائشة وحفصة حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل
الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهما كرها ما احب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان صلى الله عليه وسلم يحب العسل والنساء وقال ابن زيد
مالت قلوبكما بان سرّهما ان يحتبس عن ام ولده فسرّهما ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
قد مالت قلوبكما الى التوبة روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال مكثت سنة وانا اريد ان
اسال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن اية فما استطيع ان اساله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه
فلما رجع وكان ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه باداوة ثم
جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ فلما رجع قلت يا امير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال تلك حفصة وعائشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسالك
عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندى من علم فسلني عنه
فان كنت اعلمه اخبرتك وفي رواية قال واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهرى كره والله ما ساله
عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنت انا وجار لي من الانصار وكان
منزلي في بني امية وهم من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوما
وانزل يوما فاذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي او غيره واذا نزل فعل مثل ذلك
وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة على الانصار اذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق
نساؤنا يتعلمن من نسائهم فصخبت على امرأتي فراجعتني فانكرت ان تراجعني قالت لم تنكر ان اراجعك
فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فانطلقت
فدخلت على حفصة فقلت لها اى حفصة اتغاضب احداكن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى
الليل قالت نعم فقلت قد خبت وخسرت افتامنين ان يغضب الله لغضب رسوله لا تراجعي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك
هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عائشة رضي الله عنها قال عمر وكنا قد تحدثنا
ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل الانصارى يوم نوبته ثم اتانى عشاء فضرب بابى ثم ناداني فخرجت
فخرجت اليه فقال قد حدث اليوم امر عظيم قلت ما هو اجاء غسان قال لا بل اعظم من ذلك واهول طلق النبي
صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا

الصبح فشددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت لا أدري ها هو ذا معتزل في المشربة فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل
ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك له فصمت ثم انطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جلوس
يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال
ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فإذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو مضطجع على رمال حصير وليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال
بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف ثم قلت وأنا قائم يا رسول الله أطلقت نساءك
فرفع إلي بصره وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت وأنا قائم لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب
النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قلت يا رسول الله
لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريد عائشة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى فجلست حين رأيته تبسم فرفعت
بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع
على أمتك فإن فارسا والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله فجلس النبي صلى الله
عليه وسلم وكان متكئا وقال أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم في حياتهم
الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر الله لي فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك الحديث حين
أفشته حفصة إلى عائشة تسعا وعشرين ليلة وكان قال ما أنا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته
عليهن حين عاتبه الله تعالى فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة
يا رسول الله إنك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدا فقال
الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة قالت عائشة ثم أنزل الله التخيير فبدأ بي أول امرأة
من نسائه فاخترته ثم خيرهن فقلن مثلها وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله
أن يخير أزواجه قالت فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن
لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت ثم قال إن الله تعالى
قال يا أيها النبي قل لأزواجك إلى تمام الآيتين فقلت أوفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله
والدار الآخرة وفي رواية أن عائشة قالت له لا تخبر نساءك أني اخترتك فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الله أرسلني مبلغا وفي رواية قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
ما يشق عليك من أمر النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل
وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن الله يصدق قولي الذي أقول
ونزلت هذه الآية عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وإن تظاهرا عليه الآية وفي رواية
أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له وأنه قام على باب

المسجد ونادى باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ثم شرح بعض الفاظ
هذا الحديث قوله فعدلت معه اى ملت معه بالاداوة اى الركوة والعوالى جمع عالية وهى اماكن باعلى
ارض المدينة وقوله لا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهى عائشة واوسم منك اى اكثر حسنا
وقوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو ان يفعله الانسان مرة ويفعله آخر بعده والمشربة بضم الراء
وفتحها الغرفة وقوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ظفرته ونسجته والمراد انه
لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير وقوله ما رايت فيه ما يرد البصر الا اهبة ثلاثة الاهبة والاهب
جمع اهاب وهو الجلد وقوله من شدة موجدته الموجدة الغضب وقرأ وَإِنْ تَظَاهَرَا الكوفيون بتخفيف
الظاء والباقون بتشديدها اى تتعاونا عليه اى النبى صلى الله عليه وسلم فيما يكرهه فَإِنَّ اللَّهَ اى
الملك الاعظم الذى لا كفء له وقوله تعالى هُوَ يجوز ان يكون فصلا وقوله مَوْلَاهُ الخبر وان يكون مبتدأ
ومولاه خبره والجملة خبر ان والمعنى فان الله وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما وقوله
تعالى وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه ويجوز ان يكون جبريل
مبتدأ وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع فتختص الولاية بالله واختلف فى صالح المؤمنين
فقال عكرمة هو ابو بكر وعمر وقال المسيب بن شريك هو ابو بكر وقال سعيد بن جبير هو عمر وحكى عن اسماء
بنت عميس هو على بن ابى طالب وقال الطبرى هو خيار المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى
ان الانسان لفى خسر وقال قتادة هم الانبياء وقال ابن زيد هم الملائكة وقال السدى هم اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم والاولى ان يحمل هذه الاقوال كلها وَالْمَلَائِكَةُ اى كلهم بَعْدَ ذَلِكَ اى الامر العظيم الذى
تقدم ذكره ظَهِيرٌ اى ظهراء اعوان له فى نصرته عليكما تنبيه افرد عن الجمع باسم الجنس اشارة الى انهم
على كلمة واحدة ثم هو جبريل عليه السلام فهو مذكور مخصوصا وعموما ثلاث مرات على القول بان صالح
المؤمنين هم الملائكة ان قلنا بالعموم وذلك اظهار لشدة محبته وموالاته للنبى صلى الله عليه وسلم
وهذه الاية عكس اية البقرة وهى قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال
فانه ذكر الخاص بعد العام تشريفا له وهنا ذكر العام بعد الخاص قال ابن عادل ولم يذكر الناس الا القسم
الاول وفى جبريل لغات تقدم ذكرها فى البقرة ولما كان اشق ما على المرأة ان تطلق ثم اذا طلقت
ان يستبدل بها ثم يكون البدل خيرا منها قال تعالى محذرا لهن عَسَى رَبُّهُ اى المحسن اليه بجميع انواع
الاحسان التى عرفتموها وما لم تعرفوه منها اكثر جدير وحقيق ووسط بين عسى وخبرها اعتراضا [illegible]
قوله تعالى إِنْ طَلَّقَكُنَّ اى بنفسه من غير ان يتوقف على شئ ثم اشار او بعضكن قيل كل عسى فى القرآن
واجب الا هذه الاية وقيل هو واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فان
طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اى ان طلقكن فعسى ربه
وقوله تعالى أَنْ يُبْدِلَهُ اى بجزيل الهبة وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال والباقون
بسكون الموحدة وتخفيف الدال أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ خبر عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل

لعدم وجود الشرط فان قيل كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خيرا منهن لانهن امهات المؤمنين اجيب بانه اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن وايذائهن اياه كان غيرهن من الموصوف بالصفات الآتية مع الطاعة له صلى الله عليه وسلم خيرا او ان هذا على سبيل الفرض وهو عام في الدنيا والآخرة فلا يقتضي وجود من هو خير منهن مطلقا وان قيل بوجوده في خديجة لما جرت من تحاملها على نفسها في حقه صلى الله عليه وسلم وبلوغها في حبه والادب معه ظاهرا وباطنا الغاية القصوى ومريم احسنت حين كانت من القانتين فذلك في الآخرة وتعليق تطليق الكل لا يدل على انه لم يطلق حفصة فقد روي انه طلقها ولم يردها ذلك الافضل لان الله تعالى امره ان يرجعها لانها صوامة قوامة + ثم بين تعالى الخيرية بقوله تعالى ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ الى آخره وهو اما نعت او حال او منصوب على الاختصاص قال سعيد بن جبير مسلمات يعني مخلصات وقيل مسلمات لامر الله عز وجل وامر رسول الله خاضعات لله تعالى بالطاعات ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ اي مصدقات بتوحيد الله تعالى وقيل مصدقات بما امرن به ونهين عنه وقيل مسلمات مقرات بالاسلام مؤمنات مخلصات ﴿قَانِتَاتٍ﴾ اي مطيعات والقنوت الطاعة وقيل داعيات ﴿تَائِبَاتٍ﴾ اي راجعات من الهفوات والزلات سريعا ان وقع منهن شيء من ذلك وقيل راجعات الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لحاب انفسهن ﴿عَابِدَاتٍ﴾ اي كثيرات العبادات لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة في القرآن فهو التوحيد ﴿سَائِحَاتٍ﴾ قال ابن عباس صائمات وقال الحسن مهاجرات وقال ابن زيد وليس في امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياحة الجولان في الارض وقال الفراء وغيره سمي الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا ذهب ﴿ثَيِّبَاتٍ﴾ جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه او زالت بكارتها بوطء من غير نكاح ﴿وَأَبْكَارًا﴾ اي عذارى جمع بكر وهي ضد الثيب وسميت بذلك لانها على اول حالها التي خلقت بها وقدم الثيبات لانهن اخبر بالعشرة التي هي اساسها ووسط الواو بين الثيبات والابكار لتنافي الوصفين دون سائر الصفات فان قيل كيف ذكر الثيبات في مقام المدح وهن من جملة ما يقلل رغبة الرجال فيهن اجيب بانه يمكن ان يكون بعض الثيبات خيرا من كثير من الابكار لاختصاصهن بالمال والجمال + ولما بالغ سبحانه في وعظ نساء النبي صلى الله عليه وسلم مع صيانتهن عن التسمية اكراما له صلى الله عليه وسلم اتبع ذلك امر الامة بالتاسي به في هذه الاخلاق الكاملة فقال تعالى متبعا لهن بالموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للاقرب فالاقرب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اي اقروا بذلك ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ﴾ اي اجعلوا لها وقاية بالتاسي به صلى الله عليه وسلم وترك المعاصي وفعل الطاعات وفي ادبه مع الخلق والخالق ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ من النساء والاولاد وكل من يدخل في هذا الاسم ﴿نَارًا﴾ بالنصح والتاديب ليكونوا متقين بالخلاف اهل النبي صلى الله عليه وسلم كما روى الطبراني عن سعيد بن العاص ما نحل والد ولدا

افضل من ادب حسن وفى الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلوتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم فى الجنة وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرا قام من الليل فصلى فايقظ اهله فان لم تقم رش على وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل تصلى وايقظت زوجها فان لم يقم رشت على وجهه من الماء وقال بعض العلماء لما قال قوا انفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد بعض منه كما دخلوا فى قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم وقوله عليه الصلوة والسلام ان احل ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه فلم يفرد بالذكر افراد سائر القرابات فيعلمه الحلال والحرام وقال عليه الصلوة والسلام حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ ثم بين تعالى وصف تلك النار بقوله عز وجل وَقُودُهَا اى الذى توقد به النَّاسُ اى الكفار وَالْحِجَارَةُ كاصنامهم منها وعن ابن عباس انها حجارة الكبريت وهى اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها والمعنى انها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه عَلَيْهَا مَلٰٓئِكَةٌ خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى سورة المدثر غِلَاظٌ اى غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبنى ادم اكل الطعام والشراب شِدَادٌ اى شداد الابدان وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال يدفع واحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا فى النار لم يخلق الله فيهم الرحمة وقيل فى اخذهم اهل النار شداد عليهم يقال فلان شديد على فلان اى قوى عليه يعذبه بانواع العذاب وقيل غلاظ اجسامهم ضخمة شداد اى اقوياء قال ابن عباس ما بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة وقال صلى الله عليه وسلم فى خزنة جهنم ما بين منكبى كل واحد منهم كما بين المشرق والمغرب لَا يَعْصُوْنَ اللّٰهَ اى الملك الاعلى فى وقت من الاوقات وقوله تعالى مَآ اَمَرَهُمْ بدل من الجلالة اى لا يعصون امر الله وقوله تعالى وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ تاكيد هذا ما جرى عليه الجلال المحلى وقال الزمخشرى فان قلت اليست الجملتان فى معنى واحد قلت لا فان معنى الاولى انهم يقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقيل لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل وصدر بهذا البيضاوى فان قيل انه تعالى خاطب المشركين فى قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته للمؤمنين بذلك اجيب بان الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار فى دار واحدة فقيل للذين امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه الدار الموصوفة ويجوز ان يامرهم بالتوقى عن الارتداد والندم على الدخول فى الاسلام وان يكون خطابا للذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون قال الزمخشرى ويعضد ذلك قوله تعالى على الاثر يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اى بالاخلال بالادب مع النبى صلى الله عليه وسلم فاداهم ذلك الى الاخلال بالادب مع الله تعالى وبالادب مع

سائر خلقه لا تعتذروا اى لا تبالغوا فى اظهار العذر وهو ايساغ الحيلة فى وجه يزيل ما ظهر من التقصير
اليوم فانه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار وقد فات زمان الاعتذار وصار الامر الى ما صار وهذا النهى
لتحقيق الياس انما تجزون اى فى هذا اليوم ما كنتم اى مما هو لكم كالجبلة والطبع تعملون فى الدنيا
ونظيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم قال البقاعى ولا يبعد على الله فى ان يصور لكل انسان صورة
عمله بحيث لا يشك انه عمله ثم يجعل تلك الصورة عذابه الذى يجد فيه من الالم ما علم الله تعالى انه
مقدار استحقاقه + ولما بين تعالى ان المعذرة لا تنفع فى ذلك اليوم امر بالتوبة فى الدنيا بقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا توبوا اى ارجعوا رجوعا تاما الى الله اى الملك الذى لا نظير له توبة وقوله نصوحا
صيغة مبالغة اسند النصح اليها مجازا وهى من نصح الثوب اذا خاطه فكان التائب يرقع بالمعصية
وقيل من قولهم ناصح اى خالص وقرأ شعبة بضم النون والباقون بفتحها + تنبيه + امرهم بالتوبة وهى
فرض على الاعيان فى كل الاحوال وفى كل الازمان واختلفوا فى معناها فقال عمر ومعاذ التوبة النصوح
ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن فى الضرع وقال الحسن هى ان يكون العبد نادما على
ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه وقال الكلبى ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن
وعن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن سماك ان تنصب الذنب الذى اقللت فيه
الحياء من الله تعالى امام عينيك وتستعده نظرك وعن السدى لا تصح الا بنصيحة النفس ونصيحة المؤمنين
لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقال سعيد بن المسيب توبة تنصحون فيها
انفسكم وقال القرطبى يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك
العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان وقال الفقهاء التوبة التى لا تتعلق بحق آدمى فيها لها ثلاثة شروط
احدها ان يقلع عن المعصية وثانيها ان يندم على ما فعله وثالثها ان يعزم على ان لا يعود اليها فاذا اجتمعت
هذه الشروط فى التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته وان كانت تتعلق بآدمى فشروطها
اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى
مالكه وان كانت حد قذف ونحوه مكنه من نفسه او طلب العفو منه وان كانت غيبة استحله منها
قال العلماء التوبة واجبة من كل معصية كبيرة او صغيرة على الفور ولا يجوز تاخيرها وتجب من جميع الذنوب
وان تاب من بعضها صحت توبته عما تاب منه وبقى عليه الذى لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة
والجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب اليه فى اليوم مائة مرة وعن
ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من
سبعين مرة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم
سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة وعن ابى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله
يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعن
ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن على انه سمع اعرابيا يقول

اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار بالتوبة توبة الكذابين فقال
وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم
واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما اذبتها في المعصية وان
تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب
من الذنب ثم يعود فيه وقوله تعالى عَسَىٰ رَبُّكُمْ اي المحسن اليكم أَن يُكَفِّرَ اي يغطي تغطية عظيمة عَنكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ اي ما بدا منكم مما يسوء بالتوبة اطماع من الله لعباده في قبول التوبة وذلك تفضل وتكرما لا وجوبا
عليه واذا كان التائب على خطر فما ظنك بالمصر ولكن الفضل واسع ولما ذكر نفع التوبة في دفع
المضار ذكر نفعها في جلب المسار بقوله تعالى وَيُدْخِلَكُمْ اي يوم الفصل جَنَّاتٍ اي بساتين كثيرة
الاشجار تستر داخلها تَجْرِي مِن تَحْتِهَا اي تحت غرفها واشجارها الْأَنْهَارُ فهي لا تزال ريا وقوله تعالى
يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ اي الملك الاعظم النَّبِيَّ اي الذي نبأه الله تعالى بما يوجب له الرفعة التامة من الاخبار
التي هي في غاية العظمة منصوب بيدخلكم او باضمار اذكر ومعنى يخزي هنا يعذب اي لا يعذبه وقوله
تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون منسوقا على النبي اي ولا يخزي الذين
آمنوا معه وعلى هذا يكون قوله تعالى نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ مستأنفا او حالا الثاني ان يكون
مبتدأ وخبره نورهم يسعى الى آخره وقوله تعالى يَقُولُونَ خبر ثان او حال + تنبيه + التقييد بالايمان لا ينفي
ان لهم نورا عن شمائلهم بل لهم نور لكن لا يلتفتون اليه لانهم اما من السابقين واما من اهل اليمين فهم
يمشون في هاتين الجهتين ويؤتون صحائف اعمالهم منهما واما اصحاب الشمال فيعطونها من وراء
ظهورهم ومن شمائلهم وهم بما لهم من النور ان قالوا سمع لهم وان شفعوا شفعوا رَبَّنَا اي ايها المفضل
علينا بهذا النور وبكل خير لنا او نكون فيه أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا اي الذي مننت به علينا حتى يكون في غاية
التمام قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم
يدعون تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون
من النور قدر ما يبصرون مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا وقيل
السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك
الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وَاغْفِرْ لَنَا اي وامح عنا كل نقص كان يميل بنا الى احوال المنافقين عينه
واثره وهذا النور من صور اعمالهم في الدنيا لان الآخرة تظهر فيها حقائق الاشياء وتتبع الصور معانيها
وهو شرع الله الذي شرعه وهو الصراط الذي يضرب بين ظهراني جهنم لان الفضائل في الدنيا
متوسطة بين الرذائل فكل فضيلة يكتنفها رذيلتان افراط وتفريط فالفضيلة هي الصراط
المستقيم والرذيلتان ما كان من جهنم عن يمينه وشماله فمن كان يمشي في الدنيا على
ما امر به سواء من غير افراط ولا تفريط كان نوره تاما ومن امالته الشهوات طفئ نوره في بعض
الاوقات واختطفته كلاليب هي صور الشهوات فتميل به في النار بقدر ميله اليها والمنافق يظهر نوره

اقراره بكلمة التوحيد فاذا مشى طفئ لان اقراره لا حقيقة له انك اى وحدك على كل شئ قدير لامكان
دخول المشيئة فيه قدير اى بالغ القدرة + ولما ذكر ما تقدم من لينه صلى الله عليه وسلم لاضعف
الناس وحسن ادبه وكرم عشرته لانه مجبول على الشفقة على عباد الله والرحمة لهم امره سبحانه
بالغلظة والشدة على اعدائه بقوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار اى بكل ما يجهدهم فيكفهم
من السيف وما دونه من المواعظ الحسنة والدعاء الى الله تعالى ليعرف ان ذلك اللين لاهل الله
تعالى انما هو من تمام عقلك وغزير علمك وفضلك والمنافقين اى جاهدهم بما يليق بهم من الحجة
والسيف ان امتنع البيان ابد وانوع مظاهرة وعرفهم احوالهم في الاخرة وانهم لا نور لهم يجوزون به على
الصراط مع المؤمنين وقال الحسن وجاهدهم باقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم بالفعل والقول بالتوبيخ
والزجر والابعاد والهجر فالغلظة عليهم من اللين لله تعالى كما ان اللين لاهل الله من خشية الله تعالى
وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها ومأواهم اى في الاخرة جهنم وبئس المصير اى هي + ولما كان للكفار
قرابات بالمسلمين ربما توهموا انها تنفعهم وللمسلمين قرابات بالكفار توهموا انها تضرهم ضرب لكل
مثلا وبدأ بالاول فقال تعالى ضرب الله اى الملك الذى احاط بكل شئ قدرة وعلما مثلا يعلم به من فيه
قابلية العلم ويتعظ به من له اهلية الاتعاظ للذين كفروا اى غطوا الحق على انفسهم وعلى غيرهم وقوله
تعالى امرات نوح عليه السلام الذى اهلك الله تعالى من كذبه بالغرق وامرات لوط عليه السلام
الذى اهلك الله تعالى من كذبه بالحصب والخسف يجوز ان يكون بدلا من قوله مثلا على تقدير
حذف المضاف اى ضرب الله مثلا مثل امراة نوح وامراة لوط ويجوز ان يكونا مفعولين وضرب
الله تعالى هذا المثل تنبيها على انه لا يغنى احد عن قريب ولا نسيب في الاخرة اذا فرق بينهما الدين
قال مقاتل وكان اسم امراة نوح والهة واسم امراة لوط والعة وقال الضحاك عن عائشة ان جبريل
عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان اسم امراة نوح واعلة وان اسم امراة لوط والهة
+ تنبيه + رسمت امرات في الثلاثة وبنت بالتاء المجرورة فوقف عليهن بالهاء ابن كثير و
ابو عمرو والكسائي ووقف الباقون بالتاء وقوله تعالى كانتا اى مع كونهما كافرتين تحت عبدين
جملة مستانفة كانها مفسرة لضرب المثل ولم يأت بضميرهما فيقال تحتهما اى تحت نوح ولوط
لما قصد من تشريفهما بهذه الاضافة الشريفة قال القائل : لا تدعني الا بيا عبدها + فانه
اشرف اسمائي ودل على كثرة عبيده تنبيها على غناه بقوله تعالى من عبادنا ووصفهما باجل
الصفات وهو قوله تعالى صالحين واختلف في معنى قوله تبارك وتعالى فخانتاهما فقال
عكرمة والضحاك بالكفر وعن ابن عباس كانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به
احد اخبرت الجبابرة من قومه وكانت امراة لوط تخبر باضيافه وعن ابن عباس ما بغت امراة
نبي قط وانما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهما
النميمة اذا اوحى اليهما شئ افشتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امراة لوط اذا نزل به ضيف

دخلت لتعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال فلم اى فتسبب عن ذلك
ان العبد من الصالحين لم يغنيا عنهما اى المرأتين بحق النكاح من الله اى من عذاب الملك
الذى له الامر كله فلا امر لغيره شيئا اى من اغناء لاجل خيانتهما وقيل اى للمرأتين ممن اذن له
فى القول النافذ الذى لا مرد له ادخلا النار اى قيل لهما ذلك عند موتهما او يوم القيامة مع
الداخلين اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء فلم يغن نوح ولوط
عن امرأتيهما شيئا من عذاب الله تعالى وفى هذا المثل تعريض بامى المؤمنين عائشة وحفصة
وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلى وجه واشده وفيه تنبيه على ان العذاب يدفع بالطاعة
لا بالوسيلة وقيل ان كفار مكة استهزؤا وقالوا ان محمدا يشفع لنا فبين تعالى ان الشفاعة لا تنفع
كفار مكة وان كانوا اقرباء كما لا يشفع نوح لامرأته ولا لوط لامرأته مع قربهما لهما لكفرهما ثم شرع تعالى
فى ضرب المثل الثانى فقال تعالى وضرب الله اى الملك الاعلى الذى له صفات الكمال مثلا للذين
امنوا امرأت فرعون واسمها آسية وهى بنت مزاحم امنت وعملت صالحا فلم تضرها الوصلة بالكافر
بالزوجية التى هى من اعظم الوصل ولا نفعه ايمانها كل امرئ بما كسب رهين واثابها ربها تعالى
ان جعلها فى الآخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم فى دار كرامته بصبرها على [illegible] الله تعالى
وهى فى حبالة عدوه [illegible] فقط ووصفه بالعبودية دليلا على تحقيره وعدم رحمته له [illegible]
وقوله تعالى اذ قالت ظرف للمثل المحذوف اى مثلهم مثلها حين قالت رب اى ايها المحسن الى بالهداية
وانا فى حبالة هذا الكافر الجبار ابن لى عندك بيتا [illegible] فقالت فى الجنة [illegible]
وقد اجابها سبحانه بان جعلها زوجة اكمل خلقه محمد صلى الله عليه وسلم فكانت معه فى منزله الذى
هو اعلى المنازل ونجنى من فرعون اى فلا اكون [illegible]
فلا اعمل بشئ من عمله وهو شركه وقال ابن عباس [illegible] ونجنى [illegible] من القوم
الظالمين اى الناس الاقوياء الذين يضعون الاشياء فى غير مواضعها [illegible] فاستجاب الله تعالى
دعاءها واحسن اليها [illegible]
[illegible]
[illegible]
ان فرعون [illegible]
من مرة بيضاء [illegible]
[illegible] امرأة فرعون [illegible]
امرأة فرعون آسية [illegible] التى احصنت فرجها اى [illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين [illegible]

اى بما لنا من العظمة بواسطة ملكنا جبريل عليه السلام فيه اى فى جيب درعها قال البقاعى او فى فرجها الحقيقى وعلى هذا فلا حاجة الى التاويل من روحنا اى من روح خلقناه بلا توسط اصل وهو روح عيسى عليه السلام وصدقت بكلمات ربها اى الصحف المنزلة واختلف فى تلك الكلمات فقال مقاتل يعنى بالكلمات عيسى وانه نبى وعيسى كلمة الله وقال البغوى يعنى الشرائع التى شرعها الله تعالى للعباد بكلماته المنزلة وقيل هى قول جبريل عليه السلام لها انما انا رسول ربك الاية وعلى كل قول استحقت ان تسمى لذلك صديقة وقرأ وكتبه ابو عمرو وحفص بضم الكاف والتاء جمعا والباقون بكسر الكاف وفتح التاء وبعدها الف افرادا والمراد منه الاية فالمراد به الجنس فيكون فى معنى كل كتاب انزله الله تعالى على ولده وغيره وقوله تعالى وكانت من القانتين يجوز فى من وجهان احدهما انها لابتداء الغاية والثانى انها للتبعيض وقد ذكرهما الزمخشرى فقال ومن للتبعيض ويجوز ان تكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخى موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما وعلينا وعلى سائر الانبياء والمرسلين اجمعين قال الزمخشرى فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه وقيل اراد من القوم القانتين ويجوز ان يرجع هذا الى اهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله والقنوت الطاعة وقال عطاء من المصلين بين المغرب والعشاء وعن معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهى تجود بنفسها اذا قدمت على ضراتك فاقرئيهن منى السلام مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وعن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كمل من نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية بنت مزاحم امراة فرعون وروى الشيخان عن ابى موسى الاشعرى كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا حديث موضوع

سورة الملك مكية

وتسمى الواقية والمنجية وتدعى فى التورية المانعة لانها تقى وتنجى من عذاب القبر وعن ابن شهاب انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن صاحبها فى القبر وهى ثلاثون اية وثلثمائة وثلاثون كلمة والف وثلثمائة حرف

بسم الله الذى خضعت لكمال عظمته الملوك الرحمن الذى عم بنعمة الايجاد كل من فى الوجود الرحيم الذى خص اولياءه بالنعيم بدار الخلود تبارك اى تكبر وتقدس وتعالى وتعاظم وثبت ثباتا لا مثل له مع اليمن والبركة وقيل دام فهو الدائم الذى لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه الذى بيده اى بقدرته وتصرفه لا بقدرة غيره الملك اى له الامر والنهى



وملك السموات في الدنيا والآخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي
ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع قال الرازي وهذه الكلمة تستعمل لتأكيد كونه تعالى
ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل والعقد وذكر اليد انما هو تصوير للاحاطة ولتمام
القدرة لانها محلها مع التنزه عن الجارحة وعن كل ما يفهم حاجة او شبها وهو اي وحده على كل شيء اي
من الممكنات قدير اي تام القدرة تنبيه احتج اهل السنة بهذه الآية على انه لا مؤثر الا قدرة الله
تعالى وابطلوا القول بالطبائع كقول الفلاسفة وابطلوا القول بالمتولدات كقول المعتزلة وابطلوا
القول بكون العبد موجدا لافعال نفسه لقوله تعالى وهو على كل شيء قدير ودلت هذه الآية
على الوحدانية لانا لو قدرنا الها ثانيا فاما ان يقدر على ايجاد شيء او لا فان لم يقدر على ايجاد شيء لم يكن
الها وان قدر كان مقدور ذلك الاله الثاني شيئا فيلزم كون ذلك الشيء مقدورا لله الاول
لقوله وهو على كل شيء قدير فيلزم وقوع مخلوق من خالقين وانه محال لانه اذا كان كل واحد منهما
مستقلا بالايجاد يلزم ان يستغني كل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا
عنهما وذلك محال وقرأ وهو على كل شيء قدير وهو العزيز الغفور وهو اللطيف وما اشبه ذلك ابو عمرو
وقالون والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها وخرج بقولنا من الممكنات انه تعالى ليس قادرا على
نفسه واجاب بعضهم بان هذا عام مخصوص ويدل على تمام قدرته قوله تعالى الذي خلق اي قدر
واوجد الموت والحياة قيل خلق الموت في الدنيا والحياة في الآخرة وقدم الموت على الحياة لان الموت الى
القهر اقرب كما قدم البنات على البنين فقال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقيل قدمه
لانه اقدم لان الاشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوه وقال قتادة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت
وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وعن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طأطأ
ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت وقيل انما قدم الموت على الحياة لان من نصب الموت بين عينيه
كان اقوى الدواعي الى العمل وحكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل ان الموت والحياة جسمان
والموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحياة على صورة فرس انثى بلقاء
وهي التي كان جبريل عليه السلام والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها
مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد ريحها الا حيي ولا تطأ على شيء
الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها فالقاه على العجل فحيي حكاه الثعلبي والقشيري
عن ابن عباس وعن مقاتل خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة وخلق الحياة
يعني خلق انسانا ونفخ فيه الروح فصار انسانا قال القرطبي وهذا حسن يدل عليه قوله
تعالى ليبلوكم اي يعاملكم وهو اعلم بكم من انفسكم معاملة المختبر لاظهار ما عندكم من
العمل بالاختيار ايكم احسن عملا اي من جهة العمل اي عمله احسن من عمل غيره

وروى من عمر مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقال الحسن ايكم ازهد فى الدنيا واترك لها وقال السدى ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن استعدادا واشد خوفا وحذرا وقيل يعاملكم معاملة المختبر فيبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره وبالحياة ليبين شكره وقيل خلق الله تعالى الموت للبعث والجزاء وخلق الله الحياة للابتلاء فان قيل الابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه هل يطيع او يعصى وذلك فى حق الله تعالى العالم بجميع الاشياء محال اجيب بان الابتلاء من الله تعالى هو ان يعامل عبده معاملة تشبه المختبر كما مرت الاشارة اليه ﴿وَهُوَ﴾ اى وحده ﴿الْعَزِيزُ﴾ اى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ ﴿الْغَفُورُ﴾ اى الذى مع ذلك يفعل فى محو الذنوب عينا واثرا فعل البالغ فى ذلك ويتلقى من اقبل اليه احسن تلق كما قال تعالى فى الحديث القدسى ومن اتانى يمشى اتيته هرولة وقوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ اى ابدع على هذا التقدير من غير مثال سبق ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يجوز ان يكون تابعا للعزيز الغفور نعتا او بيانا او بدلا وان يكون منقطعا عنه خبر مبتدأ محذوف او مفعولا لفعل مقدر وقوله تعالى ﴿طِبَاقًا﴾ صفة لسبع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه جمع طبق نحو جبل وجبال والثانى انه جمع طبقة نحو رحبة ورحاب والثالث انه مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا ثم اما ان يجعل نفس المصدر مبالغة واما على حذف مضاف اى ذات طباق واما ان ينتصب على المصدر بفعل مقدر اى طوبقت طباقا من قولهم طابق النعل اى جعله طبقة فوق اخرى وقال ابن عباس طباقا اى بعضها فوق بعض قال البقاعى بحيث يكون كل جزء منها مطابقا للجزء من الاخرى ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك قال وهى لا تكون كذلك الا ان تكون الارض كرية والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى ان يكون العرش محيطا بالكل والكرسى الذى هو اقربها بالنسبة اليه كحلقة ملقاة فى فلاة فالذى تحته بالنسبة اليه اولى وكل سماء فى التى فوقها بهذه النسبة وقد قرر اهل الهيئة انها كذلك وليس فى الشرع ما يخالفه بل ظواهره توافقه ولا سيما التشبيه بالحلقة الملقاة فى فلاة فى بيان العظمة الخبير ولا شك ان من تفكر فى هذه العظمة من الطبقات بانها من امرها الناصر المدبر افرده سبحانه بالحب وافرده عن كل ضد فانقطع بالكلية اليه ولم يعول الا عليه فى كل خير ونفع وسارع فى مرضاته ومحابه فى كل خفض ورفع وتنبيه دلت هذه الآية على القدرة من وجوه احدها من حيث بقاؤها فى جو الهواء معلقة بلا عماد ولا سلسلة ثانيها ان كل واحد منها اختص بمقدار خاص مع جواز ما هو ازيد منه وانقص ثالثها انه اختص كل واحد منها بحركة خاصة مقدرة بقدر معين من السرعة والبطء الى جهة معينة رابعها كونها فى ذواتها محدثة وكل ذلك يدل على استنادها الى قادر تام القدرة وقوله تعالى ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ اى فى السموات وغيرها والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وكذا الخطاب فى قوله تعالى ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ ثم ارجع

البصر ينقلب اليك البصر من تفوت اى من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هى
مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلفت صورة وقيل المراد بذلك السموات خاصة اى
ما ترى فى خلق السموات من عيب واصله من الفوت وهو ان يفوت بعضها بعضا فيقع الخلل لعدم
استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال السدى اى من اختلاف وعيب يقول
الناظر لو كان كذا لكان احسن وقيل المراد من التفاوت الفطور لقوله تعالى بعد ذلك فارجع البصر
هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج قال القفال ويحتمل ان يكون المعنى ما ترى
فى خلق الرحمن من تفاوت فى الدلالة على حكمة الصانع وانه لم يخلقها عبثا * تنبيه * دلت هذه
الآية على كمال علم الله تعالى وذلك ان الحس دل على ان هذه السموات السبع اجسام مخلوقة
على وجه الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فلا بد وان يكون عالما فدلت
الآية على كونه تعالى عالما بالمعلومات فقوله تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت اشارة
الى كونها محكمة متقنة وقرأ ما ترى وهل ترى ابو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وورش
بين بين والباقون بالفتح وادغم لام هل فى التاء ابو عمرو وهشام وحمزة والكسائى وقرأ من تفوت
حمزة والكسائى بغير الف بعد الفاء وتشديد الواو والباقون بالف بعد الفاء وتخفيف
الواو وقوله تعالى فَارْجِعِ الْبَصَرَ مسبب عن قوله تعالى ما ترى وقوله تعالى هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ
جملة يجوز ان تكون معلقة لفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر اى فارجع البصر فانظر
هل ترى وان يكون فارجع البصر مضمنا معنى انظر لانه بمعناه فيكون هو المعلق والفطور جمع
فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم وطلع
قال المفسرون الفطور الصدوع والشقوق قال القائل شعر شققت القلب ثم ذررت فيه
* هواك فليط فالتام الفطور * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ وقوله تعالى كَرَّتَيْنِ نصب على المصدر كمرتين
وهو مثنى لا يراد به حقيقته بل التكثير بدليل قوله تعالى يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا اى صاغرا
ذليلا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار وَهُوَ حَسِيرٌ اى كليل من طول
المعاودة وكثرة المراجعة وهذان الوصفان لا ياتيان بنظرتين ولا ثلاث وانما المعنى كرات
وهذا كقولهم لبيك وسعديك وحنانيك ودواليك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية
تشفيع الواحد انما يريدون التكثير اى اجابة لك بعد اجابة والا لتناقض الغرض والتثنية تفيد
التكثير لقرينة كما يفيده اصلها وهو العطف لقرينة كقوله * لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم * اى قبور
كثيرة ليتم المدح وقال ابن عطية كرتين معناه مرتين ونصبهما على المصدر وقيل الاولى ليرى
حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها فى مسيرها وانتهائها وهذا بظاهره يفهم التثنية فقط
وروى البغوى عن كعب انه قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد
والرابعة صفر او قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء ومن

السماء السابعة والحجب السبعة صحارى من نور ثم ذكر تعالى دلالة اخرى بعد تلك الدلالة تدل
على تمام قدرته بقوله تعالى وَلَقَدْ زَيَّنَّا بما لنا من العظمة السَّمَاءَ الدُّنْيَا اى القربى لانها اقرب
السموات الى الارض وهي التي تشاهد ونها بِمَصَابِيحَ جمع مصباح وهو السراج اى بنجوم متقدة
عظيمة جدا تفوت الحصر ظاهرة سائرة مضيئة ظاهرة زاهرة وهي الكواكب التي تنور الارض بالليل
انارة السرج التي تنورون بها سقوف دوركم وسمي الكواكب مصابيح لاضاءتها ولزينة لان الناس
يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكانه قال ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح
والتزيين بها لا يمنع ان تكون مركوزة فيما فوقها من السموات وهي تتراءى بحسب الشفوف ولما
لاجرام السموات من الصفاء ولتلك المصابيح من شدة الاضاءة وَجَعَلْنَاهَا اى المصابيح بما لنا من
العظمة مع كونها زينة واعلاما للهداية رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ اى الذين يحق لهم الطرد من الجن المالهم
من الاحتراق حراسة للسماء التي هي محل تنزل امرنا بالقضاء والقدر وانزال هذا الذكر الحكيم
لئلا يفسدوا باستراق السمع فيها على الناس دينهم الحق ويلبسوا عليهم امرهم بخلط الحق الذي
قد ختمنا به الاديان بالباطل والرجوم جمع رجم وهو مصدر في الاصل اطلق على المرجوم به كضرب
الامير ويجوز ان يكون باقيا على مصدريته ويقدر مضاف اى ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار انواعه
والشهاب المرجوم به منفصل من نار الكوكب وهو قار في فلكه على حاله كقبس النار يؤخذ منها وهي
باقية لا تنقص وفي ذلك مسوغ لتسميتها بالنجوم فمن لحقه الشهاب منهم قتله او خضع امره وخبله
وقال ابو علي جوابا لمن قال كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى كيفية الرجم ان يؤخذ نار من ضوء الكوكب
يرمى بها الشيطان والكوكب في مكانه لا يرجم به وقيل الرجوم هنا الظنون والشياطين شياطين
الانس كما قال القائل • وما هو عنها بالحديث المرجم • فيكون المعنى جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب
لشياطين الانس وهم المنجمون يتكلمون بها رجما بالغيب في اشياء من عظيم الابتلاء وعن قتادة
خلقت النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك
اخطأ وتكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم وَأَعْتَدْنَا اى هيانا في الاخرة مع هذا الذي في الدنيا بما لنا
من العظمة لَهُمْ اى للشياطين عَذَابَ السَّعِيرِ اى التي في غاية الاتقاد في الاخرة قال المبرد سعرت
النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتول وقتيل وهذه الآية تدل على ان النار مخلوقة الآن لان قوله
تعالى واعتدنا لهم خبر عن الماضي ولما اخبر تعالى عن تهيئة العذاب لهم بالخصوص اخبر عن تهيئته
لكل عامل باعمالهم على وجه اندرجوا هم فيه فقال عز من قائل وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا اى اوقعوا التغطية
لما من حقه ان يظهر ويشهر من الاذعان لله بِرَبِّهِمْ اى الذي تفرد بايجادهم والاحسان اليهم
فانكروا ايجاده لهم بعد الموت كفروا بما شاهدوا من اختراعه لهم من العدم عَذَابُ جَهَنَّمَ اى الدركة النارية
التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة والغضب وَبِئْسَ الْمَصِيرُ اى هي إِذَا أُلْقُوا اى طرح الكفار فِيهَا
اى في نار جهنم من اي طارح امره بطرحهم كما يطرح الحطب في النار العظيمة سَمِعُوا لَهَا

اى جهنم نفسها شهيقا اى صوتا هائلا اشد نكارة من اول صوت الحمار لشدة توقدها
وغليانها قال ابن عباس الشهيق لجهنم عند القاء الكفار فيها كشهيق البغلة للشعير ولا
بد من حذف مضاف كما قال عطاء الشهيق للكفار اى سمعوا من انفسهم شهيقا كقوله تعالى لهم
فيها زفير وشهيق قال القرطبى والشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق وقد مضى فى سورة هود
وهى تفور اى تغلى بهم ومنه قول حسان بن ثابت تركتم قدركم لا شئ فيها + وقدر القوم حامية تفور
قال ابن عباس تغلى بهم كغلى المرجل وقرأ قالون وابو عمرو والكسائى بسكون الهاء والباقون
بكسرها تكاد تميز اى تتقطع وينفصل بعضها من بعض كما يقال يكاد فلان ينشق من
غيظه وفلان ينقد غضبا فصارت شدة منه فى الارض وشقة فى السماء كناية عن شدة الغضب
وقرأ البزى بتشديد التاء فى الوصل والسوسى على اصله بادغام الدال فى التاء من الغيظ
اى عليهم وقال سعيد بن جبير تكاد تتميز من الغيظ يعنى تتقطع وينفصل بعضها من بعض
وقال ابن عباس تتفرق من شدة الغيظ على اعداء الله تعالى وذلك كله لغضب سيدها
وتاتى يوم القيامة تقاد الى المحشر بالف زمام لكل زمام سبعون الف ملك يقودونها وهى
من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الازمة جميعا وتحطم اهل المحشر فلا يردها
عنهم الا النبى صلى الله عليه وسلم بالنور الذى فيه مع ان لكل ملك من القوة ما لو امر ان يقلع الارض
وما عليها من الجبال ويصعد بها فى الجو فعل من غير كلفة وهذا كما اطفاها فى الدنيا بنفخة روى ابو داود
عن ابن عمرو انه قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر صلوته الى ان قال
ثم نفخ فى اخر سجوده فقال اف اف الم تعدنى ربى ان لا تعذبهم وانا فيهم الم تعدنى ان لا تعذبهم وهم يستغفرون
ولما ذكر تعالى حالها ذكر حال اهلها فقال تعالى كلما القى فيها اى فى جهنم من فم الزبانية فوج اى
جماعة فى غاية الاسراع والافواج التى عادتها فى ثورة ومنه قوله تعالى فتاتون افواجا والمراد هنا بالفوج
جماعة من الكفار سالهم اى الفوج خزنتها اى النار وهم مالك واعوانه سؤال توبيخ وتقريع
الم ياتكم اى فى الدنيا نذير اى رسول يخوفكم هذا اليوم حتى تحذروا قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة
لهم فى العذاب قالوا بلى قرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بالفتح والوقف عليها كما فى الوصل قد جاءنا نذير اى محذر بليغ التحذير + تنبيه +
فى ذلك دليل على جواز الجمع بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها اذ لو قالوا بلى لفهم المعنى ولكنهم
اظهروه تحسرا وزيادة فى تغمهم على تفريطهم فى قبول قول النذير وليعطفوا عليه قولهم فكذبنا
اى فتسبب عن مجيئه انا اوقعنا التكذيب بكل ما قاله النذير وقلنا اى زيادة فى التكذيب
ما نزل الله اى الذى له الكمال كله عليكم ولا على غيركم من شئ لا وحيا ولا غيره وما كفانا
هذا الفجور حتى قلنا مؤكدين ان اى ما انتم اى ايها النذر المذكورون فى نذير
المراد به الجنس الا فى ضلال اى بعد عن الطريق كبير فبالغنا فى التكذيب والسفه

بالاستجهال والاستخفاف وقيل قوله تعالى ان انتم الا في ضلال كبير من كلام الملائكة للكفار حين اخبروا بالتكذيب وَقَالُوا اي الكفار زيادة في توبيخ انفسهم لَوْ كُنَّا اي بما لنا من الغريزة نَسْمَعُ اي كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات أَوْ نَعْقِلُ اي بما ادته الينا حاسة السمع فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين مَا كُنَّا اي كونا دائما فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ اي في عداد من اعدت له النار التي هي في غاية الايقاد + تنبيه + في الآية اعظم فضيلة للعقل روى عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع او نعقل الآية فَاعْتَرَفُوا اي بالغوا في الاعتراف حيث لا ينفعهم الاعتراف بِذَنْبِهِمْ اي في دار الجزاء كما بالغوا في التكذيب في دار العمل والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر والمراد به تكذيب الرسل فَسُحْقًا اي فبعدا لهم من رحمة الله تعالى وهو دعاء عليهم مستجاب لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ اي الذين قضت عليهم اعمالهم بملازمتها وقال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق وقرأ الكسائي بضم الحاء والباقون بسكونها ولما ذكر اصحاب السعير اتبعهم ذكر اضدادهم بقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اي يخافون رَبَّهُمْ اي المحسن اليهم خوفا ارق قلوبهم واذرف اعينهم بحيث لا يقر لهم قرار من توقعهم العقوبة كلما ازدادوا طاعة ازدادوا خشية يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة بِالْغَيْبِ اي حال كونهم غائبين عن عذابه سبحانه او وعيده غائبا عنهم او وهم غائبون عن اعين الناس فهم مع الناس يتكلمون وقلوبهم تتلظى بنيران الخوف وتتكلم بسيوف الهيبة فيتركون المعصية حيث لا يراهم احد من الناس ولا يكون لهم هذا الا برياضة عظيمة فعلى العاقل ان يطوع نفسه لترجع مطمئنة بان ترضى بالله ربا لتدخل في رق العبودية وبالاسلام دينا ليصير عريقا فيها فلا ينازع الملك في ردائه الكبرياء وازاره العظمة وتاجه الجلال وحلته الجمال ولا ينازعه فيما يديره من الشرائع ويظهره من المعارف ويحكم به على عبيده من قضائه وقدره لَهُمْ مَغْفِرَةٌ اي عظيمة تاتي على جميع ذنوبهم وَأَجْرٌ اي من فضل الله تعالى كَبِيرٌ يكون لهم به من الاكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا من شدائد الآلام ويصغر في جنبه لذائذ الدنيا العظام وَأَسِرُّوا اي ايها الخلائق قَوْلَكُمْ اي خيرا كان او شرا أَوِ اجْهَرُوا بِهِ فانه يعلمه ويجازيكم به اللفظ لفظ الامر والمراد به الخبر يعني ان اخفيتم كلامكم في امر محمد صلى الله عليه وسلم او غيره او جهرتم به فسواء إِنَّهُ اي ربكم عَلِيمٌ اي بالغ العلم بِذَاتِ الصُّدُورِ اي بحقيقتها وكنهها وحالها وجبلتها وما يحدث عنها من الخير والشر وقال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد فاسروا قولكم او اجهروا به يعني واسروا قولكم في محمد صلى الله عليه وسلم وقال غيره انه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم على اي سبيل وجد

فالحال واحد فی علمه تعالی فاحذروا من المعاصی سرًّا کما تحذرون عنها جهرًا فان ذلک لا یتفاوت
بالنسبة الی علم الله تعالی ولما قال تعالی انه علیم بذات الصدور ذکر الدلیل علی انه عالم فقال تعالی
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ای من خلق لا بدّ وان یکون عالمًا بما خلقه لان الخلق هو الایجاد والتکوین علی
سبیل القصد والقاصد الی الشیٔ لا بدّ وان یکون عالمًا بحقیقة ذلک المخلوق کیفیة وکمیة والمعنی
الا یعلم السرّ من خلق السرّ یقول انا خلقت السرّ فی القلب افلا اکون عالمًا بما فی قلوب العباد قال
اهل المعانی ان شئت جعلته من اسماء الخالق تعالی ویکون المعنی الا یعلم الخالق خلقه وان شئت
جعلته من اسماء المخلوق والمعنی الا یعلم الله من خلقه ولا بدّ ان یکون الخالق عالمًا بما خلقه
وما یخلقه قال ابن المسیب بینما رجل واقف باللیل فی شجر کثیر وقد عصفت الریح فوقع فی نفس
الرجل اتری الله یعلم ما یسقط من هذا الورق فنودی من جانب الغیضة بصوت عظیم الا یعلم
من خلق ﴿وَهُوَ﴾ ای والحال انه هو ﴿اللَّطِيفُ﴾ الذی یعلم ما بثّه فی القلوب ﴿الْخَبِيرُ﴾ ای البالغ العلم بالظواهر ع
والبواطن فکیف یخفی علیه شیٔ من الاشیاء وقال ابو اسحق الاسفراینی من اسماء صفات الذات ما هو
للعلم منها العلیم ومعناه تعمیم جمیع المعلومات ومنها الحکیم ویختص بان یعلم دقائق الاوصاف
ومنها الشهید ویختص بان یعلم الغائب والحاضر ومعناه ان لا یغیب عنه شیٔ ومنها الحافظ
ویختص بانه لا ینسی شیئًا ومنها المحصی ویختص بانه لا یشغله الکثرة عن العلم مثل ضوء النور و
اشتداد الریح وتساقط الاوراق فیعلم عند ذلک اجزاء الحرکات فی کل ورقة وکیف لا یعلم وهو الذی
یخلق وقد قال الا یعلم من خلق وهو اللطیف الخبیر ولما کان هذا امرًا غامضًا دل علیه بامر مشاهد ابدعه
بلطفه واتقنه بخبره فقال مستانفا ﴿هُوَ﴾ ای وحده ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ﴾ علی سعتها وعظمتها وخزونة
کثیر منها ﴿ذَلُولًا﴾ ای مسخرة لا تمتنع لتتوصلوا الی منافعکم فیها قابلة للانقیاد لما تریدون منها من
مشی وزرع حبوب وغرس اشجار وغیر ذلک وقیل ثبتها بالجبال لئلا تزول باهلها ولو کانت متمایلة
لما کانت منقادة لنا وقیل لو کانت مثل الذهب والحدید لکانت تسخن جدًا فی الصیف وتبرد جدًا
فی الشتاء ❊ تنبیه ❊ فی ذکر هذه الاٰیة بعد الاٰیة المتقدمة تهدید للکفرة کقول السید لعبده
الذی اساء الیه سرًّا یا فلان انا اعرف سرّک وعلانیتک فاجلس فی هذه الدار التی وهبتها لک
وکل هذا الخبز الذی هیأته لک ولا تأمن مکری وتادیبی فکانه تعالی یقول یا ایها الکفار انا عالم بسرّکم
وجهرکم وضمائرکم فخافونی فان الارض التی هی قرارکم انا ذللتها لکم ولو شئت خسفت بکم وقوله تعالی
﴿فَامْشُوا﴾ ای الهوینا مکتسبین وغیر مکتسبین ان شئتم من غیر صعوبة توجب لکم وثوبًا وجبوا ﴿فِي مَنَاكِبِهَا﴾
مثل لفرط التذلل ومجاوزته الغایة لان المنکبین وملتقاهما من الغارب ارق شیٔ من البعیر وانباه
عن ان یطأه الراکب بقدمه ویعتمد علیه فاذا جعلها فی الذل بحیث یمشی فی مناکبها لم یترک شیئًا
وهذا امر اباحة وفیه اظهار الامتنان وقیل خبر بلفظ الامر ای لکی تمشوا فی اطرافها ونواحیها واکامها
وجبالها وقال ابن عباس وبشیر بن کعب وقتادة فی مناکبها فی جبالها وتذللها ادل علی

تذليل غيرها وليكن مشيكم فيها وتصرفاتكم بذل واخبات وسكون استصغارا لانفسكم وشكرا لمن
سخر لكم ذلك وروى ان بشير بن كعب كانت له سرية فقال لها ان اخبرتيني ما مناكب الارض
فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فقال لها صرت حرة فاراد ان يتزوجها فسأل ابا الدرداء فقال
دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال مجاهد في اطرافها وعنه ايضا في طرقها وفجاجها وهو قول السدي
والحسن وقال الكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانباه فائدة حكى قتادة عن ابي الجلد ان الارض اربعة
وعشرون الف فرسخ للسودان اثنا عشر الفا وللروم ثمانية الاف وللفرس ثلاثة الاف وللعرب
الف ثم ذكرهم تعالى بانه سهلها لاخراج البركات بقوله تعالى وكلوا ودل على ان الرزق فوق الكفاية
بقوله تعالى من رزقه الذي اودعه لكم فيها قال الحسن مما احل لكم وقيل مما خلقه الله لكم رزقا
في الارض واليه اي وحده النشور وهو اخراج جميع الحيوانات التي اكلتها الارض وافسدتها
بتجديدها سبحانه في الوقت الذي يريده على ما كان كل منها عليه عند الموت كما اخرج تلك
الارزاق لا فرق بين هذا وذاك فكيف انكم لا تتأملون فيها فيا فوز من شكر ويا هلاك من كفر فعودوا انفسكم
بالخيرات لعلها تنقاد كما قيل + هي النفس ما عودتها تتعود + ولما كان لم يكن بعد الاستعطاف
الا الانذار قال تعالى مهددا للمكذبين ءامنتم قرأ قنبل في الوصل بابدال الهمزة بعد راء النشور
واوا ويسهل الهمزة الثانية نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بخلاف عنه وحققها الباقون وادخل
بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال وقوله تعالى من في السماء فيه وجوه احدها
من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها ينزل قضاياه
وكتبه واوامره ونواهيه والثاني ان ذلك على حذف مضاف اي امنتم خالق من في السماء والثالث
ان في بمعنى على اي على السماء كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل وانما احتاج القائل
بهذين الوجهين الى ذلك لانه اعتقد ان من واقعة على الباري تعالى شأنه وهو الظاهر وثبت
بالدليل القطعي انه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الى ذلك فان من هنا المراد بها الملائكة
سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة والرابع انهم خوطبوا بذلك على اعتقادهم فان القوم كانوا
مجسمة مشبهة وانه في السماء وان الرحمة والعذاب نازلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل
لهم على حسب اعتقادهم امنتم من في السماء اي من تزعمون انه في السماء قال الرازي هذه الآية
لا يمكن اجراؤها على ظاهرها باجماع المسلمين لان ذلك يقتضي احاطة السماء به من جميع الجوانب
فيكون اصغر منها والعرش اكبر من السماء بكثير فكان حقيرا بالنسبة الى العرش وهو باطل بالاتفاق ولانه
تعالى قال قل لمن ما في السموات والارض فلو كان فيها لكان مالكا لنفسه فالمعنى اما من في السماء عذابه
واما ان ذلك بحسب ما كانت العرب تعتقده واما من في السماء سلطانه وملكه وقدرته كما قال
تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فان الشيء الواحد لا يكون دفعة في مكانين والغرض من ذكر السماء تفخيم
سلطان الله سبحانه وتعظيم قدرته والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام وقوله تعالى

أن يخسف بكم الأرض بدل من من في السماء بدل اشتمال وقال القرطبي يحتمل أن يكون المعنى أمنتم
خالق من في السماء أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون وقرأ من في السماء ان نافع وابن كثير و
ابو عمرو بابدال الهمزة الثانية المفتوحة بعد الكسرة ياء في الوصل والباقون بتحقيقهما فإذا هي
اي الأرض التي استقر عليها تمور اي تضطرب وهي تهوي بكم وتجري هابطة في الهواء وتتكفأ الى حيث
شاء سبحانه قال في القاموس المور الاضطراب والجريان على وجه الأرض والتحرك وقال الرازي
ان الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون
فيها يذهبون والأرض فوقهم تمور فتقلبهم الى اسفل السافلين وقال القرطبي قال المحققون أمنتم
من فوق السماء كقوله تعالى فسيحوا في الأرض اي فوقها لا بالمماسة والتحيز بل بالقهر والتدبير والأخبار
في هذا صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة الى العلو لا يدفعها الا ملحد او جاهل او معاند والمراد بها
توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود لأنها
صفات الأجسام وإنما ترفع الأيدي بالدعاء الى السماء لأن السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل
القدس ومعدن المطهرين من الملائكة وإليها ترفع أعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل
الله تعالى الكعبة قبلة للصلاة ولأنه تعالى خلق الأمكنة وهو غير متحيز وكان في أزله قبل خلق المكان
والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان وقوله تعالى أم أمنتم اي ايها المكذبون من في السماء
أن يرسل بدل من من في السماء بدل اشتمال عليكم اي من السماء حاصبا قال ابن عباس رضي الله
عنهما اي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصباء
كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة فستعلمون اي عن قريب بوعد
لا يخلف عند معاينة العذاب كيف نذير اي إنذاري البليغ إذا شاهدتم العذاب وهو بحيث لا يستطاع
ولا تتعلق الأطماع بكشف له ولا دفاع قال البقاعي وحذف الياء منه ومن نكير إشارة الى أنه وإن كان
خارجا عن الطوق ليس منتهى مقدوره بل لديه مزيد لا غاية له بوجه ولا نكير اي على قراءة أكثر
القراء فقد قرأ ورش بالياء في الوصل فيهما دون الوقف والباقون بغير ياء وقفا ووصلا ولقد كذب
الذين من قبلهم فكيف كان نكير اي إنكاري عليهم لما أصبتهم به من العذاب ولما ذكر تعالى ما تقدم
من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته بقوله تعالى أولم يروا أجمع القراء على القراءة بالغيب لأن السياق
للرد على المكذبين بخلاف ما في النحل وأشار الى بعد الغاية بحرف النهاية فقال تعالى إلى الطير وهو جمع
طائر فوقهم اي في الهواء وقوله تعالى صافات اي باسطات أجنحتهن يجوز أن يكون حالا من الطير وأن
يكون حالا من فوقهم إذا جعلناه حالا فتكون متداخلة وفوقهم ظرف لصافات على الأول وليروا او قوله
تعالى ويقبضن عطف الفعل على الاسم لأنه بمعناه اي وقابضات فالفعل هنا مؤول بالاسم عكس قوله
تعالى ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا فإن الاسم هنالك مؤول بالفعل وقال ابو حيان
وعطف الفعل على الاسم لما كان في معناه ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فأثرن عطف الفعل على الا
سم

الا كان المعنى فاللاتى اعزن فاتزن ومثل هذا العطف فصيح وكذا عكسه الا عند السهيلي فانه قبيح وقال الزمخشري صافات باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قال ويقبضن ولم يقل قابضات قلت لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجئ بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح اهـ وقال ابو جعفر النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمهما فاصابا جنبيه قابض لانه يقبضهما وقيل ويقبضن اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن من الطيران ما يمسكهن اى عن الوقوع فى حال البسط والقبض الا الرحمن اى الملك الذى رحمته عامة لكل شئ بان هيأهن بعد ان افاض عليهن رحمة الايجاد على اشكال مختلفة وخصائص مفرقة هيأهن للجرى فى الهواء انه اى الرحمن سبحانه بكل شئ بصير اى بالغ البصر والعلم بظواهر الاشياء وبواطنها فهما اراد كان والمعنى اولم يستدلوا بثبوت الطير فى الهواء على قدرتنا ان نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب وقوله تعالى امن مبتدأ وقوله تعالى هذا خبره وقوله تعالى الذى بدل من هذا وقوله تعالى هو جند اى اعوان لكم صلة الذى وقوله تعالى ينصركم صفة جند من دون الرحمن اى غيره يدفع عنكم عذابه اى لا ناصر لكم وقال ابن عباس رضى الله عنهما جند لكم اى حزب ومنعة لكم ولفظ الجند يوحد ولذلك قال تعالى هذا الذى هو جند لكم وهو استفهام انكارى اى لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن اى من سوى الرحمن وقرأ ابو عمرو بسكون الراء والدورى باختلاس الضمة ايضا والباقون بالرفع ان الكافرون اى ما الكافرون الا فى غرور اى من الشيطان يغرهم بان لا عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون النبى صلى الله عليه وسلم معتمدين على شيئين احدهما قوتهم بما لهم وعددهم والثانى اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله تعالى عليهم الاول بقوله تعالى امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم الآية ورد عليهم الثانى بقوله تعالى امن هذا الذى يرزقكم اى على سبيل التجدد والاستمرار ان امسك رزقه بامساك الاسباب التى ينشأ عنها كالمطر ولو كان الرزق موجودا او كثيرا وسهل التناول فوضع الاكل فى فيه فامسك الله تعالى عنه قوة الازدراد عجز اهل السموات والارض عن ان يسوغوه تلك اللقمة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اى فمن يرزقكم اى لا رازق لكم غيره بل لجوا اى تمادوا اسفاهة لا احتياطا وشجاعة قال الرازى فى اللوامع واللجاج تقحم الامر مع كثرة الصوارف عنه فى عتو اى مظروفين لعناد وتكبر عن الحق وخروج الى فاحش الفساد ونفور اى تباعد عن الحق واستولى ذلك عليهم حتى احاط بهم مع انه لا قوة لاحد منهم فى جلب سار ولا دفع ضار والداعى الى ذلك الشهوة والغضب أفمن يمشى مكبا اى واقعا

عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا اى معتدلا عَلَى صِرَاطٍ اى طريق مُسْتَقِيمٍ وخبر من الثانية
محذوف دل عليه خبر الاولى اى اهدى والمثل فى المؤمن والكافر اى ايهما اهدى وقيل المراد
بالمكب الاعمى لانه يتعسف فينكب وبالسوى البصير وقيل المكب هو الذى يحشر على وجهه الى النار
ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة وقال ابن عباس والكلبى رضى الله عنهم عنى بالذى
يمشى مكبا على وجهه اباجهل وبالذى يمشى سويا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ابوبكر وقيل
حمزة وقيل عمار بن ياسر قال عكرمة وقيل عام فى الكافر والمؤمن اى ان الكافر لايدرى اعلى حق هو ام
على باطل اى اهذا الكافر اهدى ام المسلم الذى يمشى سويا معتدلا يبصر الطريق وهو على صراط مستقيم
وهو الاسلام وقرأ قنبل بالسين وقرأ خلف بالاشمام اى بين الصاد والزاى والباقون بالصاد الخالصة
قُلْ اى يا اشرف الخلق واشفقهم عليهم مذكرا لهم بما دفع عنهم الملك من المفسدات وجمع لهم من
المصلحات ليرجعوا اليه ولا يعولوا فى حال من احوالهم الا عليه هُوَ اى الذى شرفكم من الذكر بين
لكم هذا البيان الَّذِي أَنْشَأَكُمْ اى اوجدكم ودرجكم فى مدارج التربية حيث طوركم فى اطوار المختلفة
فى الرحم ويسر لكم بعد الخروج اللبن حيث كانت المعدة ضعيفة عن اكثف منه وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
اى لتسمعوا ما تعقله قلوبكم فيهديكم ووحده لقلة التفاوت فيه ليظهر سر تصرفه سبحانه
فى القلوب بغاية المفاوتة مع انه اعظم الطرق الموصلة للمعانى اليها وَالْأَبْصَارَ لتنظروا صنائعه
فتعتبروا وتنزجروا عما يرديكم وَالْأَفْئِدَةَ اى القلوب التى جعلها سبحانه فى غاية التوقد بالادراك
لما لا يدركه بقية الحيوان لتتفكروا وتقبلوا على ما يعليكم وجمعهما لكثرة التفاوت فى نور الابصار
وادراك الافئدة قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ اى باستعمالها فيما خلقت لاجله وما مزيدة والجملة مستأنفة
مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه النعم وهم يدعون انهم اشكر الناس للاحسان واعلاهم فى العرفان
قُلْ هُوَ اى وحده الَّذِي ذَرَأَكُمْ اى خلقكم وبثكم ونشركم وكثركم وانشاكم بعد ما كنتم كالذر اطفالا ضعفاء
فِي الْأَرْضِ التى تقدم انه ذللها لكم ودبر لكم منها النبات وغيره وَإِلَيْهِ اى وحده بعد موتكم تُحْشَرُونَ
شيئا فشيئا الى البرزخ ودفعة واحدة يوم البعث للحساب فيجازى كلا بعمله وَيَقُولُونَ اى
يجددون هذا القول تجديدا مستمرا استهزاء وتكذيبا مَتَى هَذَا وزادوا فى الاستهزاء بقولهم
الْوَعْدُ اى يوم القيامة والعذاب الذى توعدونا به إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اى فى انه لابد لنا منه
وانكم مقربون عند الله فلو كان لهم ثبات الصبر لما كانوا طاشوا هذا الطيش بايراد هذا القول القبيح
ثم انه تعالى اجاب عن هذا السؤال بقوله عز وجل قُلْ اى يا اكرم الخلق لهؤلاء البعداء إِنَّمَا الْعِلْمُ
اى علم وقت قيام الساعة ونزول العذاب عِنْدَ اللَّهِ اى الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال فهو
الذى يكون عنده وبيده جميع ما يراد منه لا يطلع عليه غيره وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ اى كامل فى امر النذارة
التى يلزم منها البشارة لمن اطاع النذير ولا وظيفة لى عند الملك الاعظم غير ذلك فلا وصول لى سواله
عما لا يؤذن لى فى السؤال عنه مُبِينٌ اى بين الانذار باقامة الادلة حتى يصير ذلك كانه مشاهد لمن تقبل

العلم فلما راوه اى العذاب بعد الحشر زلفة اى ذا قرب عظيم منهم سيئت قال ابن عباس رضى الله عنهما اى اسودت وجوه واظهر فى موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال تعالى الذين كفروا اى اظهروا السوء وغاية الكراهة فى وجوه من اوقع هذا الوصف + تنبيه + الاصل ساء اى احزن وجوههم العذاب ورؤيته ثم بنى للمفعول وساء هنا ليست المرادفة لبئس واشم كسرة السين نافع وابن عامر والكسائى والباقون باخلاص الكسرة وقيل اى قال لهم الخزنة تقريعا وتوبيخا هذا الذى كنتم اى جبلة وطبعا به اى بسببه ومن اجله تدعون اى تتمنون وتسألون وتزعمون انكم لا تبعثون وهذه حكاية حال تاتى عبر عنها بطريق المضى لتحقق وقوعها وقرأ هشام والكسائى بضم القاف والباقون بكسرها قل اى يا اكرم الخلق لهؤلاء الذين طال تمردهم منك وهم يتمنون هلاكك كما قال تعالى ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ارءيتم اى اخبرونى خبرا انتم فى الوثوق به على ما هو كالرؤية ان اهلكنى الله اى اماتنى بعذاب او غيره الذى له من الجلال والاكرام ما يعصم به وليه ويقصم عدوه وقرأ قل ارأيتم فى الموضعين نافع بتسهيل الهمزة بعد الواو ولورش ايضا ابدالها الفا واسقطها الكسائى والباقون بالتحقيق واذا وقف حمزة سهل الهمزة وقرأ ان اهلكنى الله حمزة بسكون الياء والباقون بفتحها ومن سكن الياء رقق اللام من الاسم الجليل ومن فتحها فخم ومن معى اى من المؤمنين او رحمنا اى بالنصر واظهار الاسلام كما نرجو فانجانا بذلك من كل سوء ووقانا كل محذور وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء والباقون بالسكون فمن يجير الكفرين اى الفريقين فى الكفر بان يدفع عنهم ما يدفع الجار عن جاره من عذاب اليم اى لا مجير لهم منه قل اى يا خير الخلق هو اى الله وحده الرحمن اى الشامل الرحمة امنا به اى انا ومن معى وعليه اى وحده توكلنا اى لانه لا شئ فى يد غيره والا لرحم من يريد عذابه او عذب من يريد رحمته فكل ما جرى على ايدى خلقه من رحمة او نقمة فهو الذى اجراه لانه الفاعل بالذات المستجمع ما يليق به من الصفات فنحن نرجو خيره ولا نخاف غيره فستعلمون اى عند معاينة العذاب عما قليل بوعد لا خلف فيه من هو فى ضلل مبين اى بين الخفى ام انتم وقرأ الكسائى بعد السين بياء الغيبة نظرا الى قول الكافرين والباقون بتاء الخطاب اما على الوعيد واما على الالتفات من الغيبة المرادة قراءة الكسائى وهو تهديد لهم قل اى يا اعظم خلقنا واعلمهم بنا ارءيتم اى اخبرونى اخبارا لا لبس فيه ان اصبح ماؤكم اى الذى تعدونه فى ايديكم مما نبهت عليه الاضافة غورا اى غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الدلاء وكان ماؤهم من بئرين بئر زمزم وبئر ميمونة فمن ياتيكم على ضعفكم حينئذ وانخلاع قلوبكم واضطراب افكاركم بماء معين اى دائم لا ينقطع وظاهر للاعين سهل المأخذ وقال ابن عباس رضى الله عنهما بماء معين اى ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معن الماء اى كثر فهو على هذا فعيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما ايضا ان المعنى فمن ياتيكم بماء عذب اى لا ياتيكم به الا الله فكيف تنكرون ان يبعثكم ويستحب ان يقول القارئ عقب معين الله رب العالمين كما فى الحديث

وتليت هذه الاية عند بعض المتجبرين فقال تاتي به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينيه وعمي نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى اياته وروى ابوهريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل يوم القيامة فاخرجته من النار وادخلته الجنة وهي سورة تبارك وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل راسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل كان يقرأ بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد اكثر واطيب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك الملك في قلب كل مؤمن واما ما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر فحديث موضوع

سورة ن وتسمى القلم مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم من اولها الى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى يعلمون مدني ومن بعد ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها مكي قاله الماوردي وهي اثنتان وخمسون اية وثلثمائة كلمة والف ومائتان وستة وخمسون حرفا

بسم الله اي الذي له الاحاطة الكاملة فهو بكل شئ عليم الرحمن الذي عمت نعمة ايجاده لاهل معاده البريء منهم والسقيم الرحيم الذي اتم تلك النعمة على من وفقه لطاعته فالزمه صراطه المستقيم وقوله تعالى ن كقوله تعالى ص والقرآن وجواب القسم الجملة المنفية بعدها واختلفوا في تفسير ذلك فقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الحوت الذي على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي وروى ابوظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ابن عباس ن الاية واختلفوا في اسمه فقال الكلبي ومقاتل يهموت وقال الواقدي ليوثا وقال كعب لوثا وقال علي تلهوت وقال الرواة لما خلق الله تعالى الارض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله عز وجل من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فاخذ الله تعالى ياقوتة خضراء من اعلى درجة الفردوس غلظها خمسمائة عام ووضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين

فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة ولم يكن للصخرة
مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت
على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة تقل الدنيا كلها بما عليها حرفان قال لها الجبار كوني
فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له
اتدري ما على ظهرك يا لوبيا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم القيتهم عن ظهرك
فهم لوبيا ان يفعل فبعث الله تعالى دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله
تعالى منها فاذن الله تعالى لها فخرجت فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان همّ
بشئ من ذلك عادت اليه كما كانت وقال بعضهم نون آخر حروف الرحمن وهي رواية عكرمة عن
ابن عباس رضي الله عنهما وقال الحسن وقتادة والضحاك النون الدواة وهو مروي ايضا عن
ابن عباس رضي الله عنهما وقال القرطبي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اوّل ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ومنه قول الشاعر ❊ اذا ما الشوق
برح بي اليهم ❊ القت النون بالدمع السجام ❊ ويكون على هذا اقسم بالدواة والقلم فان المنفعة
بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم يحصل تارة بالنطق وتارة بالكتابة وقيل النون لوح من نور تكتب
فيه الملائكة ما يؤمرون به رواه معاوية ابن قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذي تكتب به الملائكة
وقال عطاء وابو العالية هو افتتاح اسمه تعالى نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى بنصرة
المؤمنين وقال الزمخشري هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي
ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين
وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلابدّ له من موقع في تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به
وجب ان كان جنسا ان تجرّه وتنوّنه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان
علما ان تصرفه وتجرّه او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون
من النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك
اه ❊ تنبيه ❊ في القلم المقسم به قولان احدهما ان المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به في السماء والارض
قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولانه ينتفع به كما ينتفع بالنطق قال تعالى خلق
الانسان علمه البيان فالقلم يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتابة للغائب والحاضر والثاني انه القلم
الذي جاء في الخبر عن ابن عباس رضي الله عنهما اوّل ما خلق الله تعالى القلم ثم قال له اكتب قال
ما اكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة من عمل او اجل او رزق او اثر فجرى القلم بما هو كائن الى
يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة قال وهو قلم من نور طوله كما بين السماء
والارض وروى مجاهد اوّل ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب المقدر فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة
وانما يجري في الناس على امر قد فرغ منه قال ابن عادل قال القاضي هذا الخبر يجب حمله على المجاز

لان القلم آلة مخصوصة للكتابة لا يجوز ان يكون حيا عاقلا فيؤمر وينهى فان الجمع بين كونه
حيوانا مكلفا وبين كونه آلة للكتابة محال بل المراد منه انه تعالى اجراه بكل ما يكون وهو قوله تعالى
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فانه ليس هناك امر ولا تكليف بل هو مجرد نفاذ القدرة
في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة اهـ وقوله فان الجمع الى قوله محال ممنوع فان الله تعالى خلق فيه
ذلك كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال الزمخشري اقسم بالقلم
تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي
لا يحيط بها الوصف وقيل القلم المذكور ههنا هو العقل وانه شيء كالاصل لجميع المخلوقات قالوا والدليل
عليه انه روي في الاخبار اول ما خلق الله تعالى القلم وفي خبر آخر اول ما خلق الله تعالى العقل فقال
الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت
قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته وفي خبر آخر
اول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وسخنت فارتفع منها دخان وزبد
فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الارض قالوا وهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل
وتلك الجوهرة التي هي اصل المخلوقات شيء واحد والا حصل التناقض وقال البغوي القلم هو الذي
كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال اول ما خلق الله تعالى القلم ونظر اليه
فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وقرأ قالون و
ابن كثير وابو عمرو وحفص وحمزة وورش بخلاف عنه باظهار النون عند الواو وهنا والباقون بالادغام
وَمَا يَسْطُرُونَ اي الملائكة من الخير والصلاح وقيل وما تكتبه الملائكة الحفظة من اعمال بني آدم وقيل
ما يكتبون اي الناس ويتفاهمون به وقال ابن عباس رضي الله عنهما معنى وما يسطرون وما يعلمون
وما موصولة او مصدرية قال الزمخشري ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه
قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة وقال البقاعي وما يسطرون
اي قلم القدرة وجمعه واجراه مجرى اولي العلم للتعظيم لانه بفعل افعالهم والاقلام على ارادة الجنس ويجوز ان
يكون الاسناد الى الكاتبين به لما دل عليهم من ذكره واما الملائكة ان كان المراد ما كتب في الكتاب
المبين واللوح المحفوظ وغيره مما يكتبونه واما كل من يكتب منهم ومن غيرهم وقوله تعالى مَا أَنْتَ
اي يا اعلى المتاهلين لخطابنا بِنِعْمَةِ اي بسبب انعام رَبِّكَ اي المربي لك بمثل تلك الهمم العالية
والسجايا الكاملة بان خصك بالقرآن الذي هو الجامع لكل علم وحكمة بِمَجْنُونٍ جواب القسم وهو نفي
قال الزجاج انت هو اسم ما وبمجنون الخبر وقوله تعالى بنعمة ربك كلام وقع في الوسط اي انتفى
ذلك الجنون بنعمة ربك كما يقال انت بحمد ربك عاقل بل الذي وصفك بهذا هو الحقيق باسم
الجنون وقال البغوي ما انت بنعمة ربك بمجنون اي انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله تعالى
عليك بالنبوة والحكمة وقيل بعصمة ربك وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ما انت

بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اى والحمد لك وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حرا فطلبته فلم تجده فاذا به ووجهه متغير امتلأ غبارا فقالت له ما لك فذكر جبريل عليه السلام وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو اول ما نزل من القرآن قال ثم نزل بى الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلوة يا محمد فذكر النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت به خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل فى النصرانية فسألته فقال ارسلى الىّ محمدا فارسلته فقال هل امرك جبريل عليه السلام ان تدعو احدا قال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة فى السنة كفار قريش فقالوا انه مجنون واقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس ايات من اوّل هذه السورة وقال ابن عباس اوّل ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وهذه الاية هى الثانية نقله الرازى وذكر القرطبى انّ المشركين كانوا يقولون للنبىّ صلى الله عليه وسلم مجنون به شيطان وهو قولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردّا عليهم وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون اى برحمة ربك والنعمة ههنا الرحمة وقال عطاء وابن عباس يريد بنعمة ربك عليك بالايمان والنبوّة وقال القرطبى يحتمل انّ النعمة ههنا قسم تقديره ما انت ونعمة ربك بمجنون لانّ الواو والباء من حروف القسم وقال الرازى انه تعالى وصفه بصفات ثلاث الاولى نفى الجنون عنه ثم قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها لانّ قوله بنعمة ربك يدلّ على انّ نعم الله تعالى ظاهرة فى حقه من الفصاحة التامّة والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم المحسوسة ظاهرة ووجودها ينافى حصول الجنون فالله تعالى نبه على انّ هذه الدقيقة جارية مجرى الدلالة اليقينية على كذبهم فى قولهم مجنون الصفة الثانية قوله تعالى وَاِنَّ لَكَ اى على ما تحملت من اثقال النبوّة وعلى صبرك عليهم فيما يرمونك به وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم لَاَجْرًا اى ثوابا غَيْرَ مَمْنُوْنٍ اى مقطوع ولا منقوص فى دنيا ولا اخرة يقال مان الشئ اذا ضعف ويقال مننت الحبل اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير متين قال لبيد ✦ غبسا كواسب لا يمنّ طعامها ✦ اى لا يقطع يصف كلابا ضارية ونظيره قوله تعالى غير مجذوذ وقال مجاهد ومقاتل والكلبى غير ممنون اى غير محسوب عليك قال الزمخشرى لانه ثواب تستحقه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال انتهى وهذا قول المعتزلة فان الله تعالى لا يجب عليه شئ وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك رضى الله تعالى عنه اجرا بغير عمل واختلفوا فى هذا الاجر على اى شئ حصل فقيل معناه ما مر وقيل معناه انّ لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح اجرا عظيما دائما وقيل ان لك فى اظهار النبوة والمعجزات وفى دعاء الخلق الى الله تعالى وفى بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدائم فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه المنزلة

العالية الصفة الثالثة قوله تعالى وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات
من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم قال ابن عباس ومجاهد على دين عظيم من الاديان ليس
دين احب الى الله تعالى ولا ارضى عنده منه وروى مسلم عن عائشة ان خلقه كان القرآن وقال
علي هو ادب القرآن وقيل رفقه بامته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من الله وينتهي عنه
مما نهى الله تعالى عنه وقيل انك على طبع كريم وقيل هو الخلق الذي امر الله تعالى به في قوله تعالى
خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال الماوردي حقيقة الخلق في اللغة ما يأخذ
الانسان في نفسه من الادب يسمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الادب
فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي قال القرطبي ما ذكره مسلم في صحيحه
عن عائشة اصح الاقوال وسئلت ايضا عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقرأت قد افلح المؤمنون
الى عشر آيات قال الرازي وهذا اشارة الى ان نفسه القدسية الشريفة كانت بالطبع منجذبة
الى عالم الغيب والى كل ما يتعلق به وكانت شديدة التعري عن اللذات البدنية والسعادات
الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة وقالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما دعاه احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى وانك
لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال الجنيد
سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لاتمم
مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال وعن ابي اسحق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم احسن الناس وجها واحسن الناس خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وعن انس بن مالك
قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته
ولا لشيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا ولا مسست خزا قط
ولا حريرا ولا شيئا كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عنبرا كان
اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا
ولا متفحشا وكان يقول خياركم احسنكم اخلاقا وعن انس ان امرأة عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في طريق من طرق المدينة فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة فقال يا ام فلان اجلسي في اي سكك
المدينة شئت اجلس اليك قال ففعلت فقعد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضيت حاجتها
وعن انس بن مالك قال كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتنطلق به حيث شاءت وعن انس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صافح رجلا لم ينزع
يده حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وعن عائشة
قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى ولا ضرب خادما
ولا امرأة وعنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما

قال كان اذا كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شئ قط الا
ان تنتهك حرمة الله فينتقم وعن انس قال كنت امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد
نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال مر لى من مال الله الذى
عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء وعنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لى اخ يقال له ابو عمير وهو فطيم كان اذا جاءنا قال يا ابا عمير
ما فعل النغير لنغير كان يلعب به والنغير طائر صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار وعن الاسود
قال سالت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فى بيته قالت كان فى مهنة اهله
فاذا حضرت الصلوة توضأ وخرج الى الصلوة والمهنة الخدمة وعن عبد الله بن الحرث قال ما رايت
احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ام الدرداء تحدث عن ابى الدرداء عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اثقل شئ يوضع فى ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن
وان الله يبغض الفاحش البذئ وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
اتدرون اكثر ما يدخل الناس النار قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان
الفرج والفم اتدرون اكثر ما يدخل الناس الجنة قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اكثر ما يدخل الناس
الجنة تقوى الله وحسن الخلق وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
المؤمن يدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار فستبصر اى فستعلم عن قرب بوعد لا خلف فيه
علما انت فى تحققه كالمبصر بالحس الباصرة ويبصرون اى يعلم الذين يرمونك بالبهتان علما هو كذلك وقوله
تعالى بايكم المفتون فيه اربعة اوجه احدها ان الباء مزيدة فى المبتدا والتقدير ايكم المفتون فزيدت
كزيادتها فى نحو بحسبك زيد والى هذا ذهب قتادة قال ابن عادل الا انه ضعيف من حيث ان الباء
لا تزاد فى المبتدا الا فى حسبك فقط الثانى ان الباء بمعنى فى فهى ظرفية كقولك زيد بالبصرة اى فيها
والمعنى فى اى فرقة وطائفة منكم المفتون اى المجنون افى فرقة الاسلام ام فى فرقة الكفر واليه ذهب
مجاهد والفراء الثالث انه على حذف مضاف اى بايكم فتن المفتون فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه واليه ذهب الاخفش وتكون الباء سببية الرابع ان المفتون مصدر جاء على مفعول
كالمفتول والميسور والتقدير بايكم الفتنة وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار
اذا احميته قال تعالى يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون وقيل الشيطان لانه مفتون فى دينه
وكانوا يقولون انه به شيطان وعنوا بالمجنون هذا فقال تعالى سيعلمون غدا بايهم الشيطان
الذى يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل فائدة بايكم رسمت ههنا بياءين ان ربك
اى الذى رباك احسن تربية وفضلك على سائر الخلائق هو اى وحده اعلم اى من كل احد
بمن ضل اى حاد عن سبيله اى دينه وسلك غير سبيل القصد واخطا موضع الرشد وهو اى

وحده اعلم بالمهتدين اي الثابتين على الهدى وهم اولو الاحلام والنهى اي لذو علم بمعنى عالم
+ تنبيه + قوله تعالى وهو اعلم وهو كظيم وهو من موضع قرأه قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء
والباقون بضمها وقوله تعالى فلا تطع المكذبين اي الفريقين في التكذيب وهم مشركو مكة فانهم
كانوا يدعونه الى دين آبائه فنهاه ان يطيعهم تهييج التصميم على معاداتهم ودّوا اي تمنوا واحبوا محبة
واسعة متجاوزة للحد تديما مع الاستمرار على ذلك لو مصدرية تدهن فيدهنون قال الضحاك
لو تكفر فيكفرون وقال الكلبي لو تلين لهم فيلينون لك وقال الحسن لو تصانعهم في دينك فيصانعونك
في دينهم وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤن وقال ابن قتيبة ارادوا ان
يعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة وقال ابن العربي ذكر المفسرون في ذلك نحو عشرة اقوال
كلها دعاوى على اللغة والمعنى وامثلها ودّوا لو تكذب فيكذبون ودّوا لو تكفر فيكفرون وقال
القرطبي كلها ان شاء الله تعالى صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى + تنبيه + في رفع فيدهنون
وجهان احدهما انه عطف على تدهن فيكون داخلا في حيز لو والثاني انه خبر مبتدأ مضمر اي فهم
يدهنون وقال الزمخشري فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت
قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدأ محذوف اي فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن
بربه فلا يخاف بخسا على معنى ودّوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودّوا ادهانك فهم الآن يدهنون
لطمعهم في ادهانك + واختلفوا في سبب نزول قوله تعالى ولا تطع كل حلاف اي كثير الحلف بالباطل
فقال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف له ان يعطيه ان رجع
عن دينه وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام وقال عطاء هو الاخنس بن شريق لانه حليف
ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما وقال مجاهد هو الاسود بن عبد يغوث مهين اي ضعيف
حقير قيل هو فعيل من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول
لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه وقال الحسن وقتادة هو المكثار في الشر وقال الكلبي المهين
العاجز هماز اي كثير العيب للناس في غيبتهم وقال الحسن هو الذي يغمز باخيه في المجلس وقال ابن زيد
الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم
واللماز الذي يذكرهم في غيبتهم وقال مقاتل بالعكس وقال مرة هما سواء ونحوه عن ابن عباس وقتادة
مشاء اي كثير المشي بنميم اي فتان يأتي النميمة بين الناس ليفسد بينهم فينقل ما قاله الانسان
في آخر واذاعة سر لا يريد صاحبه اظهاره على وجه الافساد والبين مبالغ في ذلك مناع اي كثير المنع
شديده للخير اي كل خير من المال والايمان وغيرهما من نفسه وغيره من الدين والدنيا وقال
ابن عباس مناع للخير اي الاسلام يمنع ولده وعشيرته من الاسلام وكان له عشرة من الولد يقول لهم لئن
دخل احد منكم في دين محمد لا انفعه بشيء ابدا معتد اي ثابت التجاوز للحد وفي كل ذلك اثيم
اي مبالغ في ارتكاب ما يوجب الاثم فيترك الصالحات ويفعل الخبائث مسرع في المعاصي

ويتطلبها جميع الطاعات ويزهد فيها عتل العتل الغليظ الجافی وقال الحسن هو الفاحش الخلق السیء الخلق وقال الفراء هو الشديد الخصومة فی الباطل وقال الكلبی هو الشديد فی كفره وكل شديد عند العرب عتل واصله من العتل وهو الدفع بالعنف وقال ابو عبيدة بن عمير العتل الاكول الشروب القوی الشديد الذی لا يزن فی الميزان شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعين الفا دفعة واحدة بعد ذلك ای مع ذلك يريد مع ما وصفناه به زنيم وهو الدعی الملصق بالقوم وليس منهم وقال عطاء عن ابن عباس يريد مع هذا هو دعی فی قريش وقال عزة الهمدانی انما ادعاه ابوه بعد ثمانی عشرة سنة وقيل الزنيم الذی له زنمة كزنمة الشاة وروی عكرمة عن ابن عباس انه قال فی هذه الآية نعت فلم يعرف حتی قيل زنيم فعرف وكانت زنمة فی عنقه يعرف بها وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وقال مجاهد زنيم كانت له ستة اصابع فی يده فی كل ابهام له اصبع زائدة وقال ابن قتيبة لا نعلم ان الله تعالی وصف احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه فی الدنيا والآخرة وعن حارثة بن وهب الخزاعی قال قال رسول الله صلی الله عليه وسلم الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم علی الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر وفی رواية كل جواظ زنيم متكبر الجواظ الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال فی مشيته وقيل القصير البطين وقال عكرمة هو ولد الزنا الملحق فی النسب بالقوم وكان الوليد دعيا فی قريش ادعاه ابوه بعد ثمانی عشرة سنة من مولده قال الشاعر فيه ؎ زنيم ليس يعرف من ابوه ✲ بغی الام ذو حسب لئيم ✲ وقيل بغت امه ولم يعرف حتی نزلت الآية وهذا لان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد كما روی ان النبی صلی الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الله بن عمر ان النبی صلی الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يحشرون يوم القيامة فی صور القردة والخنازير ولعل المراد به الدخول مع السابقين والا فمن مات مسلما دخل الجنة وقالت ميمونة سمعت النبی صلی الله عليه وسلم يقول لا تزال امتی بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا اوشك ان يعمهم الله بعذابه وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قال القرطبی ومعظم المفسرين علی ان هذه الآية نزلت فی الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهل منی حيسا ثلاثة ايام وينادی الا لا يوقدن احد تحت برمة الا لا يدخين احد بكراع الا من اراد الحيس فليأت الوليد بن المغيرة وكان ينفق فی الحجة الواحدة عشرين الفا واكثر لا يعطی المسكين درهما واحدا وقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة ولما كان حطام هذه الدنيا كله عرضا فانيا وظلا متقلصا زائلا لا يفتخر به ولا يلتفت اليه الا من كان بهذه الاوصاف فاذا كان ذلك اكبر همه ومبلغ علمه اثمر له التوفر علی الفسوق والتكبر علی العباد قال الله تعالی ان ای لاجل ان كان ای هذا الموصوف ذا مال ای [illegible] بالكثرة وبنين [illegible] عليه [illegible] فصار بطاع لاجلهما فكان [illegible] عليه [illegible]

بسببهما اذا تتلى اى تذكر على سبيل المتابعة عليه ولو كان ذلك على سبيل المخصوص له اياتنا اى العلامات الدالة دلالة هى فى غاية الظهور على الملك الاعلى وعلى ماله من صفات العظمة قال اى مفاجاة من غير تامل ولا توقف عوضا عن شكرنا اساطير جمع سطور جمع سطر الاولين اى اشياء سطروها ودونوها وفرغوا منها فضلوا فى طبعه على تاثره بالمال فورطه فى التكذيب باعظم ما يمكن سماعه فجعل الكفر موضع الشكر ولم يستح من كونه يعرف كذبه كل من سمعه فاعرض عن الشكر ووضع موضعه الكفر فكان هذا دليلا على جميع تلك الصفات السابقة مع التعليل بالاستناد الى ما هو عند العاقل اوهى من بيت العنكبوت والاستناد اليه وحده كاف فى الاتصاف بالرسوخ فى الدناءة وقرأ ابن عامر وشعبة وحمزة بهمزتين مفتوحتين وابن عامر يسهل الثانية وشعبة وحمزة بتحقيقهما وهشام على اصله يدخل بينهما الفا والباقون بهمزة واحدة مفتوحة قال القرطبى فمن قرأ بهمزة مطولة او بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدى ان كان على معنى لان كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن قرأ ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ولا يعمل فى ان تلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل التى بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما مؤخرا فى حال واحد ويجوز ان يكون المعنى لانه لان كان ذا يسار وعدد قال ابن الانبارى ومن قرأ بلا استفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لان كان ذا مال كان فان متعلقة بما قبلها وقال غيره يجوز ان تتعلق بقوله تعالى مشاء بنميم والتقدير يمشى بنميم لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو على ان تتعلق بعتل ومعنى اساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم سنسمه اى نجعل له سمة اى علامة يعرف بها على الخرطوم اى الانف يعير بها ما عاش قال ابن عباس سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذى نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات والتعبير عن الانف بهذا للاستهانة والاستخفاف وقال قتادة سنسمه يوم القيامة على انفه سمة يعرف بها وقال الكسائى سنكويه على وجهه وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم اى على انفه ونسود وجهه فى الاخرة فيعرف بسواد وجهه قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهى علامة ظاهرة ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فهذه علامة اخرى ظاهرة وافادت هذه الاية علامة ثالثة وهى الوسم على الانف بالنار وهذا كقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قال القرطبى والخرطوم الانف من الانسان ومن

السباع موضع الشفة وخراطيم القوم ساداتهم قال الفراء وان كان الخرطوم قد خص بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض الشيء يعبر به عن الكل وقال القرطبي نبين امره تبيانا واضحا فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا شك ان المبالغة العظيمة في ذمه بقيت على وجه الدهر ولا نعلم ان الله تعالى بلغ من ذكر عيوب احد ما بلغ منه فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم وقيل ما ابتلاه الله تعالى به في الدنيا في نفسه واهله وماله من سوء وذل وصغار وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم قال الرازي كالزمخشري وهذا تعسف اه وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم * تنبيه * الانف اكرم موضع في الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمى انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذلال فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها ولما ذكر تعالى في اول الملك انه خلق الموت والحياة للابتلاء في الاعمال وختم هنا بعيب من يغتر بالمال والبنين وهو يعلم ان الموت وراءه اعاد ذكر الابتلاء واكده بقوله تعالى انا اي بما لنا من القهر والعظمة بلوناهم اي عاملنا اهل مكة بما وسعنا عليهم به معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر والباطن فغرهم ذلك وظنوا انهم احباب ومن قترنا عليه من اوليائنا اعداء واستهانوا بهم واستضعفوهم لاجل تقللهم من الدنيا الى السغب والعيون وكان ابتلاؤنا لهم بالقحط الذي دعا عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكلوا الجيف كما بلونا اي اختبرنا اصحاب الجنة بان عاملناهم معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر وحاصله انه استخراج ما في البواطن ليعلمه العباد في عالم الشهادة كما يعلمه الخالق في عالم الغيب او انه كناية عن الجزاء وعرف الجنة لانها كانت شهيرة عندهم وهي بستان عظيم كان دون صنعاء بفرسخين يقال له الضروان يطؤه اهل الطريق كان صاحبه ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او القته الريح او بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة وكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات شح بنوه بذلك وقالوا ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن ذو عيال فحلفوا على ان يجذوها قبل الشمس حتى لا تأتي الفقراء الا بعد فراغهم وذلك معنى قوله تعالى اذ اي حين اقسموا ودل على تأكيد القسم بالتأكيد فقال ليصرمنها عبر به عن الجذاذ لدلالته على القطع البائن المستأصل المانع للفقراء من الصريم الذي [illegible] لئلا يوضع او من الصرماء للمفازة التي لا ماء بها والناقة القليلة اللبن مصبحين داخلين في اول وقت الصباح لئلا تشعر بهم المساكين فلا يعطوهم منها ما كان ابوهم يتصدق به عليهم منها ولا اي والحال انهم لا يستثنون في يمينهم اي ولا يقولون ان شاء الله فان قيل لم سمي استثناء وانما هو شرط

اجيب بانه سمى استثناء لانه اخراج لشيء يكون حكمه غير المذكور اولا وكان الاصل فيه
الا ان يشاء الله فالحق به ان شاء الله لرجوعه اليه في اتحاد الحكم فطاف اي فتسبب عن فعلهم
هذا ان طاف عليها اي جنتهم طائف اي عذاب من ملك محيط وهو نار احرقتها ليلا لم تدع منها
شيئا والطائف غلب في الشر وقال الفراء هو الامر الذي يأتي ليلا ورد عليه بقوله اذا مسهم طائف
من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقوله تعالى من ربك يجوز ان يتعلق بطاف وان يتعلق
بمحذوف صفة لطائف وهم اي والحال ان اصحاب الجنة المقسمين نائمون وقت ارسال الطائف
فاصبحت اي فتسبب عن هذا الطائف الذي ارسله القادر الذي لا يغفل ولا ينام على مال من لا يزال
اسير العجز والنوم فهلا وقت كالصريم اي كالاشجار التي صرم عنها ثمرها او كالليل المظلم الاسود لانه
يقال الصريم يسمى الليل والصريم ايضا النهار وقيل الصبح لانه انصرم من الليل قاله الاخفش وهو من
الاضداد وقيل كالرماد الاسود وليس بها ثمرة بلغة خزيمة قاله ابن عباس لان ذلك الطائف اتلفها
لم يدع فيها شيئا لانهم طلبوا الكل فلم يكن لهم ما يمنع عنه الطوارق لضد ما كان لابيهم من ثمرة عمله
الصالح من الدفع عن ماله والبركة في جميع احواله قال القرطبي والآية دليل على ان العزم مما يؤاخذ به
الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم
نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل
صاحبه وهذا محمول على العزم المصمم اما ما كان يخطر بالبال من غير عزم فلا يؤاخذ به فتنادوا
مصبحين اي في حال اول دخولهم في الاصباح وقوله تعالى ان اغدوا اي بكروا جدا مقبلين ومستولين
وقادرين ويجوز ان تكون ان المفسرة لانه تقدمها ما هو بمعنى القول على حرثكم اي محل فائدتكم الذي
اصلحتموه وتعبتم فيه فلا يستحقه غيركم قال مقاتل لما اصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم يعني
بالحرث الثمار والزروع والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم ارادوا قطع الثمار من الاشجار فقال
الزمخشري فان قلت هلا قال اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو اليه ليصرموه
ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو وقال الزمخشري ويجوز ان يضمن الغدو معنى
الاقبال اي فاقبلوا على حرثكم ان كنتم صارمين اي مريدين القطع وجواب الشرط دل عليه
ما قبله اي فاغدوا ويجوز ان تكون ان المصدرية اي تنادوا بهذا الكلام + تنبيه + مقتضى
كلام الزمخشري ان غدا متعد في الاصل بالى فاحتاج الى تأويل فقدره بعلى قال ابن عادل وفيه
نظر لوروده تعديه بعلى في غير موضع كقوله سه وقد اغدو على ثبة + نشاوى واجدين لما نشاء
+ واذا كانوا قد عدوه وامرادنه بعلى فليس بعد وقرأ ان اغدوا ابو عمرو وعاصم وحمزة في الوصل
بكسر النون والباقون بضمها واتفقوا على الابتداء بالهمزة بالضم فانطلقوا اي فتسبب عن هذا الحث
عقبه كانهم كانوا متهيئين له اي والحال انهم يتخافتون اي يقولون في حال انطلاقهم قولا

هو في غاية السر كأنهم ذاهبون الى سرقة من دار هي في غاية الحراسة من الخفوت وهو الخمود
وخفيا وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفش والخفاش ثم فسروا ما يتخافتون به بقوله
تعالى أن لا يدخلنها وان ... مفسرة كما مر واكدوه لانه لا يمكن ان اهل البصرة الى هذه
الرقاعة وانّا هذا يخلونهم سائل اليوم اي في جميع النهار بان تدخل عليه ... ليتكوا عليه
مرادا وتفتشوه فلو مكنتموه مرة واحدة لا وضعا يطمع فيه احد في قصدكم عليكم وانتم بها
مسكين وهو نهي للمساكين في اللفظ للمبالغة في نهي انفسهم ان لا يدعوه يدخل عليهم اي لا يمكنوه
من الدخول حتى يدخل كقولك لا اريتك ههنا ... وسطهم سنا وخيرهم نفسا واعدلهم طبعا
... ايدل عليه ما يأتي لا تقولوا ... كان ينهاهم قال البقاعي وكأنه
طواه سبحانه لانه مع الدلالة عليه بما يأتي ... وغدوا اي ساروا اليها غدوة على حرد اي منع
للمساكين قال ابو عبيدة على حرد اي على منع من حاردت الابل حرادا اي قل لبنها والحرود من النوق القليلة
الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها وقال السدي وسفيان على حنق وغضب من المساكين
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على قدر قادرين عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول
بينهم وبينها احد اي بدليل عدم استثنائهم فان الخبر عن الفعل في المستقبل فضلا عن ان يكون مع الحلف
فعل من لا كفء له وقال الحسن وقتادة على جد وجهد وقال القرطبي ومكرمة على امر مجتمع ...
من منزلهم بالناء فقال تعالى فلما رأوها اي ... الزرع ولا الثمر ... قالوا انا لضالون
عن طريق جنتنا لانها صارت لسوء ما بها من ذلك الطائف بعيدة من حال ما كانت عليه عند
تواعدهم ونضيرتها فهم فادهشهم منظرها بحيث ... ولان مثلهم لا يصدق مع قرب
عهدهم وكثرة ملابستهم لها ... ما ادهشهم في الحال قالوا مضربين عن الضلال
بل نحن محرومون اي ثابت حرماننا ما كنا فيه من الخير الذي لم نحسب عنه الا سوء الحال فحرمنا الله
تعالى اياه بما عزمنا عليه من حرمان المساكين ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقرأ الكسائي
بادغام اللام في النون والباقون بالاظهار قال اوسطهم اي رأيا وعقلا وسنا وفضلا منكرا عليهم
الم اقل لكم اي ما فعلتموه لا ينبغي وان الله تعالى بالمرصاد لمن يحوم ما في نفسه ... لولا اي هلا ولم لا
تسبحون اي تستثنون فكان استثناؤهم تسبيحا قال مجاهد وغيره وهذا يدل على ان هذا الاوسط
كان يامرهم بالاستثناء فلم يطيعوه قال ابو صالح كان استثناؤهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون
الله اي تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما اعطاكم وقال النحاس اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل
فجعل مجاهد التسبيح في موضع ان شاء الله لان المعنى تنزيه الله ان يكون شيء الا بمشيئته وقال الرازي
التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل سوء فلو دخل شيء في الوجود على خلاف ارادة الله تعالى
لنسب النقص الى قدرة الله تعالى فقولك ان شاء الله يزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا
وقيل المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم فان القوم اعزموا

على منع الزكوة فاغتروا بالمال والقوة قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب
فلما راوا العذاب ذكرهم اوسطهم كلامه الاول وقال الم اقل لكم لولا تسبحون فحينئذ اشتغلوا بالتوبة
بان قالوا اي من غير تلعثم بما عاد عليهم من بركة ابيهم سُبْحٰنَ رَبِّنَا اي تنزه المحسن الينا التنزيه
الاعظم ان يكون وقع منه فيما فعل بنا ظلم واكدوا قباحة فعلهم هضما لانفسهم وخضوعا لربهم
وتحقيقا لتوبتهم بقولهم اِنَّا كُنَّا اي بما في جبلتنا من الفساد ظٰلِمِيْنَ اي متجاوزين الحدود فيما
فعلنا من التقاسم على منع المساكين وعلى جذها في الصباح من غير استثناء فَاَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
اي في الحال مبادرة في الخضوع عَلٰى بَعْضٍ يَّتَلَاوَمُوْنَ اي يلوم بعضهم بعضا يقول هذا لهذا انت
اشرت علينا بهذا الراي ويقول ذلك لهذا انت الذي خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره انت
رغبتني في جمع المال ثم نادوا على انفسهم بالويل بان قَالُوْا منادين لما شغلهم قربه منهم وملازمته
لهم عن كل شيء يٰوَيْلَنَآ اي هذا وقت حضورك ايها الويل ايانا ومنادمتك لنا فانه لا نديم لنا الان
غيرك والويل الهلاك والاشراف عليه اِنَّا كُنَّا اي جبلة وطبعا طٰغِيْنَ اي عاصين بمنع حق
الفقراء وترك الاستثناء وقال ابن كيسان طاغين نعم الله فلم نشكرها كما شكرها اباؤنا من قبل
ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا عَسٰى رَبُّنَآ اي الذي احسن الينا بتربية هذه الجنة واهلاك ثمرها
الان تاديبا لنا اَنْ يُّبْدِلَنَا من جنتنا شيئا خَيْرًا مِّنْهَآ يقيم لنا امر معايشنا فتنقلب احوالنا هذه
التي نحن فيها من الهموم والبذاذة بسرور ولذاذة وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال
والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال اِنَّآ اِلٰى رَبِّنَا اي المحسن الينا والمربي لنا بالايجاد ثم الابقاء
خاصة لا الى غيره رٰغِبُوْنَ اي ثابتة رغبتنا ورجاؤنا الخير والاكرام وقد قيل ان الله تعالى قبل رجوعهم
واخلف عليهم فابدلهم جنة يقال لها الحيوان كان القطف الواحد منها يحمله وحده من كبره
البغل رواه البغوي عن ابن مسعود وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها
كالرجل الاسود القائم وقال الحسن قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك
منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في كونهم مؤمنين وسئل
قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار قال لقد كلفتني تعبا والاكثرون
يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري + ولما كان المقام لترهيب من ركن الى ماله واحتقر
الضعفاء من عباد الله تعالى ولم يحلهم بحلاوة طوى ذكر ما انعم به عليهم وذكر ما يخوفهم فقال
تعالى مرهبا كَذٰلِكَ اي مثل هذا الذي بلونا به اصحاب الجنة من اهلاك ما كان عند انفسهم
في غاية القدرة عليه والثقة به مع الاستحسان لفعلهم والاستصواب وهددنا به اهل مكة
فلم يبادروا الى المتاب الْعَذَابُ اي الذي نحذرهم منه ونخوفهم به في الدنيا فاذا تم الاجل الذي
قدرناه له اخذناهم به غير مستعجلين ولا مفرطين لانه لا يعجل الا ناقص يخاف الفوت وَلَعَذَابُ
الْاٰخِرَةِ اي الذي يكون فيها للعصاة اَكْبَرُ اي من كل ما يتوهمون لَوْ كَانُوْا اي الكفار يَعْلَمُوْنَ

ع ١

اى لو كان لهم علم بشئ من عواقبهم فى وقت من الاوقات لرجعوا عما هم فيه + ولما ذكر ما لاهل
الجحود الذين لا يجوزون الممكنات ذكر تعالى اضدادهم فقال تعالى مؤكدا لاجل انكارهم
إنّ للمتقين اى العريقين فى صفة التقوى عند ربهم اى المحسن اليهم فى موضع دوم
او لذلك وجنة اما لهم جنات جمع جنة وهى لغة البستان الجامع وفى عرف الشرع مكان
اجتمع فيه جميع السرور وانتفى عنه جميع الشرور النعيم اى جنات ليس فيها الا التنعيم
الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية قال
كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم فى الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم فى الآخرة
فان لم يحصل التفضيل فلا اقل من المساواة فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه أفنجعل المسلمين
اى الذين هم عريقون فى الانقياد لاوامرنا والصلة لما امرنا بوصله طلبا لمرضاتنا فلا اختيار
لهم اصلا فى نفس ولا غيرها لحسن جبلاتهم كالمجرمين اى الراسخين فى قطع ما امرنا به
ان يوصل وانتم لا تقرون بمثل هذا ففى ذلك انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ايضا ان
صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا
وقوله تعالى ما لكم اى اى شئ يحصل لكم من هذه الاحكام الجائرة البعيدة عن الصواب
كيف تحكمون اى اى عقل دعاكم الى هذا الحكم الذى يتضمن التسوية من العبد بين المحسن
من عبيده والمسئ مع التفاوت فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر عن
اختلال فكر واعوجاج رأى أم اى بل ألكم كتاب اى سماوى معروف انه من عند الله خاص
بكم فيه اى لا فى غيره من اساطير الاولين تدرسون اى تقرؤن قراءة ايقنتكم
إنّ لكم فيه اى خاصة على وجه التاكيد الذى لا رخصة فى تركه لما تخيرون اى ما تختارونه
وتشتهونه وكسرت وكان حقها الفتح لدخول اللام لان ما بعدها هو المدروس ويجوز ان تكون
الجملة حكاية للمدروس وان تكون استئنافية أم لكم أيمان اى عهود ومواثيق علينا
قد حملتمونا اياها بالغة اى واثقة نعت لايمان وقوله تعالى إلى يوم القيمة متعلق بما تعلق به
لكم من الاستقرار اى ثابتة لكم الى يوم القيامة اى مبالغة اى تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهى اليه
وقوله تعالى إنّ لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى أم لكم ايمان علينا اى اقسمنا لكم
ولما عجب منهم ونبههم بل وبخهم بذلك سببه على وجه يكشف عوارهم غاية الكشف فقال
تعالى سلهم يا اشرف الرسل أيهم بذلك اى الامر العظيم الذى يحكمون به لانفسهم من
انهم يعطون فى الآخرة افضل من المؤمنين زعيم اى كفيل وضامن او سيد او رئيس او متكلم
بحق او باطل الآتيهم فى ادعائه صحة ذلك أم لهم شركاء موافقون لهم فى هذا القول يكفلونه
لهم فان كان لهم ذلك فليأتوا بشركائهم اى الكافلين لهم به إن كانوا صادقين اى عريقين
فى هذا الوصف كما يدعونه وقوله تعالى يوم منصوب بقوله تعالى فليأتوا اى فليأتوا بشركائهم يوم

یکشف ای یحصل الکشف فیه بنی للمفعول لان المخیف وقوع الکشف الذی هو کنایة عن تفاقم
الامر وخروجه عن حد الطوق لا کونه من معین مع انه من المعلوم انه لا فاعل هناک غیره سبحانه
وتعالی عن ساق ای یشتد فیه الامر غایة الاشتداد لان من اشتد علیه الامر وجد فی فصله
شمر عن ساقه لاجله وشمرت حرمه عن سوقهن غیر محتشمات فهو کنایة عن هذا ولذلک نکره
تهویلا له وتعظیما ونقل هذا التاویل عن ابن عباس وسعید بن جبیر وغیرهما وعن ابن عباس
جمیع الخلائق وظهور الجلائل فیه والدقائق من الاحوال وغیرها کما کشفت هذه الآیات هنا عن الشمس
فترکت الساعة لها فی مثل ضوء النهار ویجوز ان یکون منصوبا باضمار اذکر فیکون علی هذا مفعولا به
وعلی الاول لا یوقف علی صادقین تنبیه علم مما تقرر ان کشف الساق کنایة عن الشدة قال الراجز
عجبت من نفسی ومن اشفاقها + ومن طرادی الطیر عن ارزاقها + فی سنة قد کشفت عن ساقها
+ حمراء تبری اللحم عن عراقها + وقال الطائی + اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها + وان
شمرت عن ساقها الحرب شمرا + وقال آخر + قد شمرت عن ساقها فشدوا + وجدت الحرب بکم فجدوا
وقال ابو عبیدة اذا اشتد الامر والحرب قیل کشف الامر عن ساقه والاصل فیه ان من وقع فی شیء
یحتاج فیه الی الجد شمر عن ساقه فاستعیر الساق والکشف عنها فی موضع الشدة وقال القرطبی
واما ما روی ان الله تعالی یکشف عن ساقه فانه تعالی متعال عن الاعضاء والابعاض وان ینکشف
وینغطی ومعناه ان یکشف عن العظیم من امره وقیل یکشف عن نوره عز وجل وروی ابو موسی
عن النبی صلی الله علیه وسلم فی قوله تعالی عن ساق قال یکشف عن نور عظیم یخرون له سجدا وروی
ابو بردة عن ابی موسی قال حدثنی ابو موسی قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول اذا کان
یوم القیامة مثل لکل قوم ما کانوا یعبدون فی الدنیا فیذهب کل قوم الی ما کانوا یعبدون ویبقی
اهل التوحید فیقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فیقولون ان لنا ربا کنا نعبده فی الدنیا ولم نره
قال او تعرفونه اذا رأیتموه فیقولون نعم فیقال فکیف تعرفونه ولم تروه قالوا انه لا شبیه له فیکشف لهم
الحجاب فینظرون الی الله تعالی فیخرون له سجدا ویبقی اقوام ظهورهم کصیاصی البقر فینظرون الی الله تعالی
فیریدون السجود فلا یستطیعون فذلک قوله تعالی یوم یکشف عن ساق ویدعون ای یدعوهم داعی
الملک الدیان الی السجود توبیخا علی ترکه الآن وتندیما وتحسیرا لا تعبدا وتکلیفا فیریدون ذلک لما یعلمون
مما یرون من المخاوف فلا ای فیتسبب عن ذلک انهم لا یستطیعون لانهم غیر سالمین لاعضاء لا
تنقاد به مع شدة معالجتهم لانفسهم فیقول الله تعالی ای للساجدین عبادی ارفعوا رؤسکم فقد جعلت
بدل کل رجل منکم رجلا من الیهود والنصاری فی النار قال ابو بردة فحدثت بهذا الحدیث عمر
ابن عبد العزیز فقال لی والله الذی لا اله الا هو لقد حدثک ابوک بهذا الحدیث فحلفت له ثلاثة
ایمان فقال ما سمعت فی اهل التوحید حدیثا هو احب الی من هذا الحدیث وقال ابن مسعود
تعقم اصلابهم ای ترد عظامها بلا مفاصل لا تنثنی عند الرفع والخفض

وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة وقوله تعالى خاشعة حال من مرفوع
يدعون وقوله تعالى ابصارهم فاعل به ونسب الخشوع للابصار لان ما في القلب يعرف في العين
وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم اضوأ من الشمس ووجوه الكافرين
والمنافقين سود مظلمة ترهقهم اي تغشاهم ذلة اي عظيمة لانهم استعملوا الاعضاء التي
اعطاهم الله سبحانه ليتقربوا بها اليه في دار العمل في غير طاعته وقد اي والحال انهم قد كانوا يدعون
الى السجود اي في الدنيا من كل داع يدعو الينا وقال ابراهيم التيمي اي يدعون بالاذان والاقامة فيأبون
وقوله تعالى وهم سالمون اي معافون اصحاء حال من مرفوع يدعون الثانية وقال سعيد بن جبير
كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين
يتخلفون عن الجماعات ، ولما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته
فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فذرني اي اتركني على اي حالة اتفقت ومن يكذب
اي يوقع التكذيب لمن يتلو ما جددت انزاله من كلامي القديم على اي حالة كان ايقاعه
وافرد الضمير نصا على تهديد كل واحد من المكذبين بهذا الحديث اي القرآن اي خل بيني وبينهم
لا تشغل قلبك به فاني اكفيك امره لانه لا مانع منه فلا تهتم به اصلا سنستدرجهم اي سنأخذهم
بعظمتنا على التدريج لا على غرة الى عذاب لا شك فيه من حيث اي من جهات لا يعلمون
اي لا يحصل لهم علم ما في وقت من الاوقات فعذبوا يوم بدر وقال ابو روق كلما احدثوا خطيئة
جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر
وقال الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال
ابن عباس سنمكر بهم وروي ان رجلا من بني اسرائيل قال يا رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني
فاوحى الله الى نبي زمانهم ان قل له كم من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر ان جمود عينيك وقساوة
قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة واصله النقل من حال الى حال كالتدرج
ومنه قيل درجات وهي منزلة بعد منزلة واستدرج فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال
درجه الى كذا واستدرجه بمعنى ادناه منه على التدريج فتدرج ومعنى الآية انا لما انعمنا عليهم اعتقدوا
ان ذلك الانعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة والواقع سبب لهلاكهم واملي لهم اي
امهلهم واطيل المدة كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما والملاوة المدة من الدهر واملى الله له اي اطال
له والملوان الليل والنهار وقيل لا اعاجلهم بالموت والمعنى واحد والملا مقصورا الارض الواسعة
سميت بها لامتدادها ان كيدي اي ستري لاسباب الهلاك عمن اريد اهلاكه وابرازي ذلك له في ملابس
الاحسان متين اي قوي شديد فلا يقوى احد على نقضه وسمي احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة
الكيد ووصفه بالمتانة لقوة اثره في التسبب للهلاك ام تسألهم اي انت يا اعلى الخلق
واعلاهم هما اجرا على تبليغ الرسالة فهم اي فتسبب عن ذلك وتعقبه انهم من مغرم اي غرامة

كلفتهم بها مثقلون اى ثقل حمل الغرامات عليهم فى بذل المال فثبطهم ذلك عن الايمان
والمعنى ليس عليهم كلفة فى متابعتك بل يستولون بالايمان على خزائن الارض ويصلون الى جنات
النعيم ام عندهم اى خاصة الغيب اى علمه من اللوح المحفوظ اوغيره فهم اى بسبب ذلك يكتبون
اى ما يريدون منه ايكونوا قد اطلعوا على ان هذا الذكر ليس من عند الله اوانهم لا درك عليهم
فى التكذيب به فقد علم من هذا انهم لا شهوة لهم فى ذلك عادية ولا شبهة وانما ليدهم مجرد خبث
طباع وظلمة نفوس واماني فارغة واطماع فاصبر اى اوقع الصبر واوجده على كل ما يقولونه
فيك وعلى غير ذلك من كل ما يقع منهم ومن غيرهم من مر القضاء لحكم ربك اى القضاء الذى
قضاه وقدره المحسن اليك الذى اكرمك بما اكرمك به من الرسالة واكرمك بما اكرمك من
البلاغ وخذلهم بالتكذيب ومد لهم على ذلك فى الاجل واسبغ عليهم النعم واخر ما وعدك به
من النصر وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك وقيل ان ذلك منسوخ باية السيف وقال قتادة ان الله
تعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ويامره بالصبر ولا يعجل ولا تكن اى ولا يكن حالك يا اشرف
الخلق فى الضجر والعجلة كصاحب اى كحال صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام وقوله تعالى
اذ منصوب بمضاف محذوف اى ولا يكن حالك كحاله او قصتك كقصته حين نادى اى ربه
فى الظلمات من بطن الحوت وظلمة ما يحيط به من الجثة وظلمة البحر لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين ويدل على الحذف ان الذوات لا ينصب عليها النهى انما ينصب
على احوالها وصفاتها وقوله تعالى وهو مكظوم جملة حالية من الضمير من نادى والمكظوم الممتلئ
حزنا وغيظا ومنه كظم السقاء اذا ملأه قال ذو الرمة ؎ وانت من حب مى مضمر حزنا + عانى
الفؤاد قريح القلب مكظوم وقال القرطبى ومعنى وهو مكظوم اى مملوء غما وقيل كربا فالاول قول
ابن عباس ومجاهد والثانى قول عطاء وابى مالك قال الماوردى والفرق بينهما ان الغم فى القلب
والكرب فى الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم كظم غيظه اى حبس
غضبه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبلى ببلائه + ولما تشوف
السامع الى ما كان من امره بعد هذا الامر العجيب قال تعالى لولا ان تداركه اى ادركه ادراكا عظيما
نعمة اى عظيمة جدا + تنبيه + حسن تذكير الفعل لفصل الضمير فى تداركه من ربه اى الذى
احسن اليه بارساله وتهذيبه للرسالة والتوبة عليه والرحمة وقال الضحاك النعمة هنا النبوة
وقال ابن جبير عبادته التى سلفت وقال ابن زيد نداؤه بقوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت
من الظالمين وقال ابن بحر اخراجه من بطن الحوت وقوله تعالى لنبذ اى لولا هذه الحالة
السنية التى انعم الله تعالى عليه بها لطرح طرحا هينا حقيرا بالعراء اى الارض الفضاء الواسعة
التى لا بناء فيها ولا جبال ولا نبات البعيدة عن الانس جواب لولا وقيل جوابها مقدر اى لولا هذه
النعمة لبقى فى بطن الحوت وهو اى والحال انه مذموم اى ملوم على الذنب وقيل مبعد

من كل خير وقال الرازى وهو مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب من ثلاثة اوجه الاول ان كلمة لولا دالة على ان هذه المذمومية لم تحصل الثانى لعل المراد من المذمومية ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى فَاجْتَبَاهُ اى اختاره لرسالته رَبُّهُ والفاء للتعقيب قيل ان هذه الآية نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف ثم سبب عن اجتبائه قوله تعالى فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ اى الذين رسخوا فى رتبة الصلاح فصلحوا فى انفسهم للنبوة والرسالة وصلح بهم غيرهم فنفى سيئاتهم بالاصلاح وهو محمود قال ابن عباس رد الله تعالى اليه الوحى وشفعه فى نفسه وفى قومه وقبل توبته وجعله من الصالحين بان ارسله الى مائة الف او يزيدون وبسبب صبره فمن صبر اعظم من صبره كان اعظم اجرا من اجره وانت كذلك فانت اشرف العالمين + تنبيه + استدل اهل السنة على ان فعل العبد خلق لله تعالى بقوله سبحانه فجعله من الصالحين لان الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى وخلقه وقال الجبائى يحتمل ان يكون معنى جعل انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطف به حتى صلح اذ الجعل يستعمل فى اللغة فى هذه المعانى والجواب ان ذلك مجاز والاصل فى الكلام الحقيقة وَإِنْ هى المخففة اى وانه يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا اى ستروا ما قدروا عليه مما جئت به من الدلائل واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف + ولما كانت ان مخففة اتى باللام التى هى علمها فقال لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ اى ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد ان يصرعك من قامتك الى الارض كما يزلق الانسان فيسقط لما يتراءى فى عيونهم او يهلكونك من قولهم نظر الىّ نظرا يكاد يصرعنى ويكاد يأكلنى اى لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعل قال القائل شعر يتقارضون اذا التقوا فى موطن + نظرا يزيل مواطئ الاقدام وقيل ارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين فى بنى اسرائيل فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شئ فيقول لم اركاليوم مثله الا عانه حتى ان البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذى المكتل والدرهم فأتينا من لحم هذه الناقة فما تبرح الناقة حتى تقع للموت فتنحر وقال الكلبى كان رجل من العرب يمكث لا ياكل شيئا يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الابل او الغنم فيقول لم اركاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فلا تذهب الا قليلا حتى تسقط منها طائفة هالكة فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم فلما مر النبى صلى الله عليه وسلم انشد شعر قد كان قومك يحسبونك سيدا + واخال انك سيد معيون فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية وذكر الماوردى ان العرب كانت اذا اراد احدهم ان يصيب احدا يعنى فى نفسه او ماله يجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله

فيقول تالله ما رايت اقوى منه ولا اشجع ولا اكبر منه ولا احسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله فانزل الله تعالى هذه الاية وروى ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وعن اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان بني جعفر تصيبهم العين افاسترقى لهم قال نعم فلو كان شئ يسبق القضاء لسبقته العين وقال الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الاية وقرأ نافع بفتح الياء والباقون بضمها وهما لغتان يقال زلقه يزلقه زلقا وازلقه يزلقه ازلاقا وقال ابن قتيبة ليس يريد انهم يصيبونك باعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وانما اراد انهم ينظرون اليك ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ اى القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك وقال الزجاج يعني من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء ان يصرعوك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ اى قولا لا يزالون يجددونه حسدا وبغضا على انهم لم يؤدهم تمادى الزمان الا حمقا ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ اى ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه ﴿وَمَا هُوَ﴾ اى القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الجلال المحلي الانس والجن وظاهره اخراج الملائكة وهو ما جرى عليه في شرحه على جمع الجوامع وظاهر الاية انه ارسل لجميع الخلائق وهو كما قال بعض المتأخرين الظاهر ويدل له قول البيضاوي لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الامن كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم حديث موضوع

سورة الحاقة مكية

وهي اثنان وخمسون اية والف واربعة وستون حرفا

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ اى الذي له الكمال كله ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذي عمت العالمين جوده ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي خص اهل وده بالوقوف عند حدوده وقوله تعالى ﴿الْحَاقَّةُ﴾ مبتدأ وقوله تعالى ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ مبتدأ وخبر والجملة خبر الاول والاصل الحاقة ما هي اى اى شئ هي تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها والحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجئ التي هي اتية لا ريب فيها او التي فيها حواق الامور من البعث والحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اى لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وقيل سميت القيامة بذلك لانها احقت لاقوام الجنة ولاقوام النار وقوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ اى اى شئ اعلمك ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ زيادة تعظيم لشانها فما الاولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لادرى يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لا علم له بكنهها وصفتها فقيل له ذلك تفخيما لشانها كانك لست تعلمها اذ لم تعاينها وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شئ في القرآن وما ادراك فقد دراه

وعلمه وكل شيء قال وما يدريك فانه مما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما ادراك
فانه اخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به وقرأ ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي و
ابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح ولما ذكرها تعظيما وتخويفا اتبع ذلك ذكر من
كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم فقال تعالى
كَذَّبَتْ ثَمُودُ قدم لان بلادهم اقرب الى قريش وواعظ القرب ابلغ واهلاكهم بالصيحة وهي اشبه
بصيحة النفخ في الصورة المعثرة لما في القبور وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ اي القيامة سميت بذلك لانها
تقرع قلوب العباد بالمخافة ولانها تقرع الناس باهوالها يقال اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله
وشدائده وقوارع القرآن الآيات التي يقرؤها الانسان اذا فزع من الانس او الجن نحو آية
الكرسي كانه يقرع الشيطان بها وقال المبرد القارعة ماخوذة من القرعة من رفع قوم وحط
آخرين وقوارع القيامة انفطار السماء بانشقاقها والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم
بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف
شدتها وقيل عني بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه
وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز قال ابن اسحق وهو وادي القرى وكانوا عربا
واما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف رمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي
بسطة في الخلق فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا اي بايسر امر من اوامرنا بِالطَّاغِيَةِ اي الواقعة التي جاوزت
الحد في الشدة فرجفت منها القلوب واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن
قتادة بعث الله تعالى عليهم صيحة فاهمدتهم وقال مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهو
مصدر كالكاذبة والعاقبة اي اهلكوا بطغيانهم وكفرهم قال الزمخشري وليس بذاك لعدم الطباق
بينها وبين قوله تعالى بريح صرصر لكن قال ابن عادل ويوضحه كذبت ثمود بطغواها اهلكوا بها ولاجلها
قال والباء سببية على الاقوال كلها الا على قول قتادة فانها فيه للاستعانة كعملت بالقدوم وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُوا اي باشق ما يكون عليهم وبايسر ما يكون علينا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ اي شديدة الصوت لها
صرصرة وقيل هي الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها وقال مجاهد هي
الشديدة السموم عَاتِيَةٍ اي مجاوزة للحد في شدة عصفها والعتو استعارة او عتت على عاد فما قدروا
على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكانهم
وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ما ارسل الله
تعالى سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على
الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان
فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية سَخَّرَهَا ارسلها عَلَيْهِمْ وقال مقاتل رضي الله عنه
سلطها عليهم سَبْعَ لَيَالٍ اي لا تفتر فيها الريح لحظة وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ كذلك قال وهب هي الايام

التى تسميها العرب العجوز ذات برد وريح شديدة قيل سميت عجوزا لانها فى عجز الشتاء وقيل سميت بذلك لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب حُسُومًا قال مجاهد وقتادة رضى الله عنهما متتابعة ليس فيها فترة فعلى هذا هو من حسم الكى وهو ان يتابع على موضع الداء المكواة حتى يبرأ ثم قيل لكل شئ يتقطع حاسم وجمعه حسوم مثل شاهد وشهود وقال الكلبى حسوما دائما وقال النضر بن شميل حسمتهم قطعتهم واهلكتهم والحسم القطع والمنع ومنه حسم الداء وقال عطية حسوما شؤما كانها حسمت الخير عن اهلها

تنبيه ✣ فى اعراب حسوما اوجه احدها ان ينتصب نعتا لما قبله ثانيها ان ينتصب على الحال اى ذات حسوم ثالثها ان ينتصب على المصدر بفعل من لفظها اى تحسمهم حسوما واختلفوا فى اولها فقال السدى غداة يوم الاحد وقال الربيع بن انس رضى الله عنه غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام ووهب بن منبه رضى الله عنهم غداة يوم الاربعاء وهو اليوم النحس المستمر قيل كان اخر اربعاء فى السنة واخرها يوم الاربعاء وقال البقاعى وهى من صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال غروب الاربعاء الاخر وهو اخر الشهر وقد لزم من زيادة عدد الايام ان الابتداء كان بها قطعا والا لم تكن الليالى سبعا فتأمل ذلك اه وهو ظاهر ✣ ولما كان الحاسم المهلك تسبب عنه قوله تعالى مصورا لما لهم الماضية فَتَرَى الْقَوْمَ اى الذين هم غاية فى القدرة على ما يحاولونه فِيهَا اى تلك المدة من الايام والليالى لم يتأخر واحد منهم عنهم صَرْعَىٰ اى مجندلين على الارض موتى جمع صريع وهى حال نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى والضمير فيها للايام والليالى كما مرّ او البيوت او للريح قال ابن عادل والاول اظهر لقربه كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ اى اصول نَخْلٍ قد شاخت وهرمت فهى فى غاية العجز خَاوِيَةٍ اى متآكلة الاجواف ساقطة من خوى النجم اذا سقط للغروب ومن خوى المنزل اذا خلا من قطانه قالوا كانت تدخل من افواههم فتخرج ما فى اجوافهم من الحشو من ادبارهم والوصف بذلك لعظم اجسامهم وتقطيع الريح لهم قطعها الرؤس وخلوهم من الحياة وتسويدها لهم فَهَلْ تَرَىٰ اى ايها المخاطب الخبير بالناس فى جميع الاقطار لَهُمْ اى خصوصا واغرق فى النفى وعبر بالمصدر الملحق بالهاء مبالغة فقال تعالى مِّن بَاقِيَةٍ فيكون المراد بالباقية البقاء كالطاغية بمعنى الطغيان اى من باق والاحسن ان تكون صفة لفرقة او لطائفة او نفس او بقية او نحو ذلك وقيل فاعلة بمعنى المصدر كالعافية والباقية قال المفسرون والمعنى هل ترى لهم احدا باقيا قال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احياء فى عذاب الله تعالى من الريح فلما امسوا فى اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم فى البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ونجى الله تعالى صالحا عليه السلام ومن امن به من بنى ثمود ولم تصبهم الصاعقة وهودا عليه السلام ومن امن به من عاد ولم يهلك منهم احد فدل ذلك دلالة واضحة على ان له تعالى تمام العلم بالجزئيات كما ان له تمام الاحاطة بالكليات وعلى قدرته واختياره وحكمته فلا يجعل المسلم كالمجرم ولا المسئ كالمحسن وجزاء بما لم يبق

ربع

منهم احد وَجَاءَ فِرْعَوْنُ اى الذى ملكناه طائفة من الارض وتجبر وادّعى الالهية ناسيا نعمتنا
وقدرتنا وقوله تعالى وَمَنْ قِبَلَهُ قرأه ابو عمرو والكسائى بكسر القاف وفتح الباء الموحدة اى
ومن عنده من اتباعه وقرأه الباقون بفتح القاف وسكون الباء الموحدة على انه ظرف اى ومن
تقدّمه من الامم الكافرة وَالْمُؤْتَفِكَاتُ اى اهلها وهى قرى قوم لوط اى المنقلبات باهلها
حتى صار عاليها سافلها لما حصل لاهلها من الانقلاب بِالْخَاطِئَةِ اى بالفعلات ذات الخطأ الذى
يتخطى منها الى نفس الفعل القبيح من اللواط والصفع والضراط مع الشرك وغير ذلك من انواع
الفسق + ولما كانت الرسل كالفرد الواحد لاتفاقهم وتعاضدهم فى الدعاء الى الله تعالى والحمل على طاعته
قال مسببا عن مجيئهم بذلك موحدا فى اللفظ ما هو صالح للكثير بارادة الجنس فَعَصَوْا اى خالفوا رَسُولَ رَبِّهِمْ
اى خالفت كل امّة من ارسله المحسن اليها بابداعها من العدم وابداعها القوى وترزيقها وبعث رسولها
لارشادها اغترارا باحسانه ولم يجوّزوا انّ المحسن يقدر على الضرّ كما قدر على النفع لانه الضارّ كما انه النافع
فالتنبيه على مثل ذلك لا يجوز فصل احد الاسمين عن الآخر وسبب عن العصيان قوله تعالى فَأَخَذَهُمْ
اى ربهم اخذ قهر وغضب أَخْذَةً لم تبق من امّة منهم احدا ممن كذب الرسول فلم يكن لكن ينتصر على
عدّة من المؤمنين لا بدّ ان يفوته كثير منهم وان اجتهد فى الطلب وما ذاك الا لتمام علمه سبحانه
بالجزئيات والكليات وشمول قدرته وتلك الاخذة مع كونها بهذه العظمة من انها اخذتهم كنفس
واحدة جعلها سبحانه رَابِيَةً اى عالية عليهم زائدة فى الشدّة على غيرها وعلى عذاب الامم يقال ربا الشئ
يربو اذا زاد ومنه الربا اذا اخذ فى الذهب والفضة اكثر مما اعطى والمعنى انها كانت زائدة فى الشدّة
على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم كانت زائدة فى القبح على افعال سائر الكفار وقيل لانّ عقوبة
آل فرعون متعلقة بعذاب الآخرة لقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة الآخرة اشدّ من عقوبة الدنيا
فتلك العقوبة كانت كانها تنمو وتربو + ثم ذكر تعالى قصة قوم نوح عليه السلام وهى قوله تعالى إِنَّا اى
على عظمتنا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ اى زاد على الحد حتى علا على اعلى جبل فى الارض بقدر ما يغرق من كان عليه
حين اغرقنا قوم نوح عليه السلام به فلم يطيقوا ضبطه ولا قدره بوجه من الوجوه وقال صلى الله
عليه وسلم طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه تعالى فلم يقدروا على حبسه قال المفسرون زاد على
كل شئ خمسمائة ذراع وقال ابن عباس رضى الله عنهما طغى الماء زمن نوح عليه السلام على خزانه
فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم والمقصود
من قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم فى معصية الرسول ثم
منّ الله عليهم بان جعلهم ذرية من نجى من الغرق بقوله تعالى حَمَلْنَاكُمْ اى فى ظهور آبائكم فِي الْجَارِيَةِ
اى السفينة التى جعلناها بحكمتنا عريقة فى الجريان حتى كانه لا جارية غيرها على وجه الماء الذى
جعلنا من شانه الاغراق والمحمول فى الجارية انما هو نوح عليه السلام واولاده وكل من على
وجه الارض من نسل اولئك والجارية من اسماء السفينة ومنه قوله تعالى وله الجوار المنشآت

في البحر كالاعلام وغلب استعمال الجارية في السفينة كقول بعض الالغاز شعر رأيت جارية
في بطن جارية + في بطنها رجل في بطنه جمل + ونوح عليه السلام اول من صنع السفينة وانما صنعها
بوحي من الله تعالى وحفظه له قال اجعلها كهيئة صدر الطائر ليكون ما يجري في الماء مقاربا لما يجري
في الهواء واغرقنا سوى من كان في تلك السفينة من جميع اهل الارض من ادمي وغيره لنجعلها اي
اي هذه الفعلة العظيمة وهي انجاء المؤمنين بحيث لا يهلك منهم بهذا العذاب احد واهلاك الكافرين
بحيث لا يشذ منهم احد وكذا السفينة التي حملنا فيها نوحا عليه السلام ومن معه لكم ايها الناس
تذكرة اي عبرة ودلالة على قدرته تعالى وعظمته ورحمته وقهره فيقودكم ذلك اليه وتقبلوا بقلوبكم
عليه وقوله تعالى وتعيها عطف منصوب على لنجعلها اي ولتحفظ قصة السفينة وغيرها مما تقدم حفظا
ثابتا مستقرا كانه يجري في وعاء اذن اي عظيمة النفع واعية اي من شأنها ان تحفظ ما ينبغي حفظه
من الاقوال والافعال الالهية والاسرار الربانية لنفع عباد الله تعالى كما كان نوح عليه السلام ومن معه
وهم قليل سببا لادامة النسل والبركة فيه حتى استلأت منه الارض والوعي الحفظ في النفس والايعاء
الحفظ في الوعاء قال الزمخشري فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت للايذان
بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت
وعقلت عن الله تعالى فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم باله وان ملوا ما بين
الخافقين اهـ وقرأ نافع بسكون الذال والباقون بضمها + ولما ذكر تعالى القيامة وهول امرها بالتعبير
بالحاقة وغيرها شرع سبحانه وتعالى في تفاصيل احوالها وبدأ بذكر مقدماتها بقوله تعالى فاذا نفخ
وبنى الفعل للمجهول دلالة على هوان ذلك عليه وان ما يتأثر عنه لا يتوقف على نافخ معين بل من اقامه
لذلك من جنده تأثر عنه ما يريده في الصور اي القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام قال البقاعي
كانه عبر عنه به دون القرن مثلا لانه يتأثر عنه تارة اعدام الصورة وتارة ايجادها وردها الى
اشكالها وسعته كما بين السماء والارض نفخة واحدة للفصل بين الخلائق قال الزمخشري فان
هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها ثم قال فان قلت فاي النفختين هي قلت
الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد روي عنه انها الثانية
اهـ قال البقاعي وظاهر السياق انها الثانية التي بها البعث وجواب ما ذكروه من قيام هم انسب لانه
اهيب وكونها الثانية احدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما اهـ واقتصر البيضاوي على انها
الاولى والجلال المحلي على انها الثانية وهو الانسب كما قاله البقاعي ثم ان الزمخشري سأل سؤالا على انها
النفخة الاولى بقوله فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية
قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب
فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئتك عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته
اهـ + ولما ذكر التأثير في الاحياء اتبعه التأثير في الجمادات وبدأ منها بالسفليات لملابستها للاحياء

فتكون علوته بها اكثر فقال تعالى وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ اى التى بها ثباتها حملتهما الريح او
الملائكة او القدرة من اماكنهما فَدُكَّتَا اى مسحت الجملتان الارض واوتادها وبسطت وضرب
بعضها ببعض دَكَّةً وَاحِدَةً اى فصارتا كثيبا مهيلا باسهل امر فلم يتميز شئ منهما عن الآخر بل صارتا
فى غاية الاستواء ومنه اندك سنام البعير اذا انفرش فى ظهره وقال الفراء لم يقل فدككن لانه جعل
الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض كالجملة الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا
ففتقناهما ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة لقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وقوله تعالى
فَيَوْمَئِذٍ منصوب بوقعت وقوله تعالى وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لابد فيه من تاويل وهو ان تكون الواقعة
صارت علما بالغلبة على القيامة او الواقعة العظيمة والا فقيام القائم لا يجوز اذ لا فائدة فيه
والتنوين فى يومئذ للعوض من الجملة تقديره يوم اذ نفخ فى الصور ونوع تعالى اسماء القيامة
بالحاقة والواقعة والقارعة تهويلا لها * ولما ذكر تاثير العالم السفلى ذكر العلوى بقوله تعالى
وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ اى ذلك الجنس لشدة هول ذلك اليوم اى انصدعت وتفطرت وقيل انشقت
لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
اى ضعيفة متساقطة خفيفة لا تتماسك كالعهن المنفوش بعد ما كانت محكمة يقال وهى البناء
يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اى ضعيف وقيل واهية اى متفرقة ماخوذ
من قولهم وهى السقاء اذا تخرق ومن امثالهم ؎ خل سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق بالفلاة ماؤه
اى من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه وقرأ ابو عمرو وقالون والكسائى بسكون الهاء والباقون
بكسرها وَالْمَلَكُ اى هذا النوع عَلَى أَرْجَائِهَا اى نواحى السماء واطرافها وحواشى ما لم ينشق منها
قال الضحاك يكونون بها حتى يامرهم الله تعالى فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها وقال
سعيد بن جبير رضى الله عنه المعنى والملك على حافات الدنيا اى ينزلون الى الارض ويحرسون
اطرافها وقيل اذا صارت السماء قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التى ليست متشققة
فى انفسها والارجاء فى اللغة النواحى والاقطار بلغة هذيل واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان
مثل عصا وعصوان قال القائل ؎ فلا يرمى بى الرجوان انى * اقل القوم من يغنى مكانى
قال ابن عادل ورجا هنا يكتب بالالف عكس رحى لانه من ذوات الواو فان قيل الملائكة
يموتون فى النفخة الاولى لقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض فكيف يقال
انهم يقفون على ارجاء السماء اجيب من وجهين الاول انهم يقفون لحظة على ارجاء السماء
ثم يموتون والثانى المراد الذين استثنوا فى قوله تعالى الا من شاء الله وقيل ان الناس اذا راوا
جهنم هالهم امرها فيندّوا كما تند الابل فلا يأتون قطرا من اقطار الارض الا راوا الملائكة
فيرجعوا من حيث جاؤا وقيل على ارجائها ينتظرون ما يؤمرون به فى اهل النار من السوق اليها
وفى اهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله يرجع الى قول ابن جبير رضى الله عنه ويدل عليه

قوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا قال الزمخشرى فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة اھ قال ابو حيان ولا يظهر ان الملك اعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف واللام قصارا ان يكون مرادا به الجمع المحلى ولذلك صح الاستثناء منه ثم قال وكان قوله على ارجائها يدل على الجمع لان الواحد لا يمكن ان يكون على ارجائها فى وقت واحد بل فى اوقات والمراد والله اعلم ان الملائكة على ارجائها لا انه ملك واحد ينتقل على ارجائها فى اوقات ولما كان الملك يظهر فى يوم العرض سرير ملكه ومحل عزه قال تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ اى المحسن اليك بكل ما تريد لا سيما فى ذلك اليوم بما يقع من رفعتك على سائر الخلق والضمير فى قوله تعالى ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ اى فى يوم وقعت الواقعة يجوز ان يعود على الملك لانه بمعنى الجمع كما تقدم وان يعود على الحاملين فى قوله تعالى ﴿ثَمَانِيَةٌ﴾ وقيل يعود على جميع العالم اى ان الملائكة تحمل عرش الله تعالى فوق العالم كله واختلف فى هذه الثمانية فقال ابن عباس رضى الله عنهما ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال ابن زيد هم ثمانية املاك وعن الحسن رضى الله عنه الله اعلم كم هم اثمانية ام ثمانية الاف ام ثمانية صفوف وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة امدهم الله تعالى باربعة اخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال وفى رواية ثمانية اوعال من اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وفى حديث اخر لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسال الله الرزق لذلك الجنس فان قيل اذا لم يكن فيهم صورة الوعل فكيف سموا اوعالا اجيب بان وجه الثور اذا كانت له قرون اشبه الوعل وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح وعن ابن عباس رضى الله عنهما حملة العرش ما بين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته خمسمائة ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال الذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى مؤخر عينه خمسمائة عام وفى الخبر ان فوق السماء السابعة ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء وفوق ظهورهن العرش وفى حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع وروى ان ارجلهن فى الارض السابعة واضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت اليه وليس البيت للسكنى فكذلك العرش ليس للجلوس تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فانه الخالق للعرش ولحملة العرش لا تحيط به جهة وهو العلى العظيم وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك والاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ولما بلغ تعالى النهاية فى تهويل يوم العباد سوى يوم التناد وكان لهم حالتان عامة وخاصة فالعامة العرض والخاصة التقسيم الى محسن ومسئ زادوا تخطيا

بقوله تعالى يومئذ اى اذ كان جميع ما تقدم تعرضون على الله للحساب كما يعرض السلطان
الجند لينظر فى امرهم ليختار منهم المصلح للتقريب والاكرام والمفسد للابعاد والتعذيب
عبر بالعرض عن الحساب الذى هو جزؤه والمحسن لا يكون له غير ذلك والمسئ يناقش لا تخفى منكم
اى فى ذلك اليوم على احد بوجه من الوجوه وقرأ حمزة والكسائى بالياء التحتية لان التانيث مجازى
والباقون بالتاء وهو ظاهر خافية اى من السرائر التى كان من حقها ان تخفى فى دار الدنيا فانه
عالم بكل شئ من اعمالكم ونظيره قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شئ قال الرازى والعرض للمبالغة
فى التهديد يعنى تعرضون على من لا تخفى عليه خافية قال القرطبى هذا هو العرض على الله تعالى
ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا ليعلم ما لم يكن عالما به بل ذلك العرض عبارة
عن المحاسبة والمسائلة وتقرير الاعمال عليهم للمجازاة قال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة
ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى
فاخذ بيمينه واخذ بشماله قال تعالى فاما من اوتى كتابه بيمينه اى الذى اثبتت فيه اعماله فيقول
لما يرى من سعادته فرحا بحاله واظهارا لنعمة ربه لان الانسان مطبوع على ان يظهر ما اتاه الله
تعالى من خير تكميلا للذته قيل انه تكتب سيئاته فى باطن صحيفته وحسناته فى ظاهرها فيقرأ الباطن
ويقرأ الناس الظاهر فاذا انهاه قيل له قد غفرها الله تعالى اقلب الصحيفة فحينئذ يكون قوله
هاؤم اقرؤا اى خذوا اقرؤا كتابيه يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند العرب
من دلائل الفرح قال الشاعر اذا ما راية رفعت لمجد + تلقاها عرابة باليمين قال ابن عباس رضى الله
عنهما اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شعاع كشعاع
الشمس قيل فاين ابو بكر قال هيهات زفته الملائكة الى الجنة وقال ابن زيد معنى هاؤم تعالوا فتعدى
بالى وقال مقاتل هلم وقال غيره خذوا ومنه الحديث فى الربا الا هاء وهاء اى يقول كل لصاحبه خذ وهذا
هو المشهور ولذلك فسرت به الاية الكريمة وقيل هى كلمة وضعت لاجابة الداعى عند الفرح والنشاط
وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم ناداه اعرابى بصوت عال فاجابه النبى صلى الله عليه وسلم هاؤم يطول
صوته وقيل معناها اقصدوا وزعم هؤلاء انها مركبة من ها التنبيه وامّوا من الام وهو القصد فصيره
التخفيف والاستعمال الى هاؤم وقيل الميم ضمير جماعة الذكور وزعم القتيبى ان الهمزة بدل من الكاف
قال ابن عادل فان عنى انها تحل محلها فصحيح وان عنى البدل الصناعى فليس بصحيح + تنبيه +
كتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين والاصل
كتابى فادخلت الهاء لتبيين فتحة الياء والهاء فى كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه للسكت
وكان حقها ان تحذف وصلا وتثبت وقفا وانما اجرى الوصل مجرى الوقف او وصل بنية الوقف
فى كتابيه وحسابيه اتفاقا فاثبت الهاء وكذا فى ماليه وسلطانيه وماهيه فى القارعة عند القراء كلهم الا حمزة فانه
حذف الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلا واثبتها وقفا لانها فى الوقف يحتاج اليها لتحصين حركة الموقوف

عليه وفى الوصل مستغنى عنها فان قيل فلم يفعل ذلك فى كتابيه وحسابيه أجيب بانه جمع
بين اللغتين انى ظننت قال ابن عباس رضى الله عنهما اى ايقنت وعلمت وقيل ظننت بان يؤاخذنى
الله بسيئاتى فقد تفضل علىّ بعفوه ولم يؤاخذنى بها وقال الضحاك كل ظنّ من المؤمن فى القرآن
فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد رضى الله عنه ظنّ الآخرة يقين وظن الدنيا شك وقال
الحسن رضى الله عنه فى هذه الآية انّ المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وانّ المنافق
اساء بربه الظن فاساء العمل انّى ملاق اى ثابت لى ثباتا لا ينفك الى القى حسابيه اى فى الآخرة ولم
انكر البعث يعنى انه ما نجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن انّ الله تعالى يحاسبه فعمل للآخرة
فحقق الله تعالى رجاءه وامن خوفه فعلم الآن انه لا يناقش الحساب وانما حسابه بالعرض وهو الحساب
اليسير فصار من الله تعالى فى نعمة فهو فى عيشة اى حالة من العيش وقوله تعالى راضية فيه ثلاثة
اوجه احدها انه على النسب اى ذات رضا نحو لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر اى ثابت لها الرضا دائم
لها لانها فى غاية الحسن والكمال والعرب لا تعبر عن اكبر السعادات باكثر من العيشة الراضية
بمعنى ان اهلها راضون بها والمعتبر فى كمال اللذة الرضا الثانى انه على المجاز جعل العيشة راضية لمحلها
وحصولها فى مستحقها وانه لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها الثالث قال ابو عبيدة
والفراء ان هذا مما جاء فيه فاعل بمعنى مفعول نحو ماء دافق بمعنى مدفوق كما جاء مفعول بمعنى فاعل
كما فى قوله تعالى حجابا مستورا اى ساترا وقال صلى الله عليه وسلم انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون
فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون بأسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا فى جنة اى بساتين جامعة
لجميع ما يراد منها عالية اى مرتفعة فى المكان والمكانة والابنية والدرجات والاشجار وكل اعتبار وقوله
تعالى قطوفها جمع كثرة لقطف بالكسر وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح وهو ما يجتنيه الجانى من الثمار
واما القطف بالفتح فالمصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف دانية اى قريبة المأخذ سهلة
التناول جدا للراكب والقائم والقاعد والمضطجع كل ذلك على حد سواء دائما من غير انقطاع ولا كلفة
على احد فى تناوله شيئا من ذلك وقوله تعالى كلوا واشربوا على اضمار القول اى يقال لهم ذلك وجمع
الضمير للمعنى لانّ قوله تعالى فاما من اوتى كتابه يتضمن معنى الجمع وهذا امر امتنان لا امر تكليف
هنيئا اى اكلا طيبا لذيذا شهيا مع البعد عن كل اذى وسلامة العاقبة بكل اعتبار ولا فضلة هناك
من بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا قرف ولا وهن ولا صداع ولا ثقل والباء فى قوله تعالى بما اسلفتم
سببية وما مصدرية او اسمية اى بما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الخالية اى الماضية فى الدنيا
التى انقضت وذهبت واسترحتم من تعبها وعن مجاهد رضى الله عنه ايام الصيام اى كلوا واشربوا
بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى وروى يقول الله تعالى يا اوليائى طالما نظرت اليكم
فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا
واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية ولما كانت العادة جارية بانّ اهل العرض ينقسمون الى مقبول

ومن دونه وذكر سبحانه المفعول بادنائه تشويقا الى حاله وتغبيطا بعاقبته وحسن حاله انتهى
المودود تغافلوا عن اعماله بما ذكر من قبائح احواله فقال تعالى وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ اي صحيفة
حسابه بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ اي عندما يرى من سوء عاقبته التي كشف له عنها الغطاء حتى لم يشك
فيها لما راى من قبائحه التي قدمها يَا لَيْتَنِي تمنيا للمحال لَمْ أُوتَ اي من اي موت كان كِتَابِيَهْ اي هذا
الذي ذكرني خبائث اعمالي وعرفني جزاءها ولم ار اي ويا ليتني لم ادر ما حقيقة حِسَابِيَهْ من ذكر
العدل وذكر جزائه بل استمريت جاهلا لذلك كما كنت في الدنيا ثم يتمنى الموت ويقول يَا لَيْتَهَا
اي الموتة الاولى وان لم تكن مذكورة الا انها لظهورها كانت كالمذكورة كَانَتِ الْقَاضِيَةَ اي القاطعة
لامري بان لا ابعث بعدها ولم الق ما وصلت اليه قال قتادة رضي الله عنه يتمنى الموت ولم يكن
في الدنيا عنده شيء اكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت قال الشاعر ﴿ وشر
من الموت الذي ان لقيته * تمنيت منه الموت والموت اعظم * والمعنى ياليت هذه الحالة كانت
الموتة التي قضيت علي وقوله مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ يجوز ان يكون نفيا تاسفا على فوات ما كان
يرجو من نفعه والمفعول على هذا التقدير محذوف للتعميم ويجوز ان يكون استفهام توبيخ لنفسه
حيث سولت له ما اورثه كل سوء وكل محال اي اي شيء اغنى ما كان لي من اليسار الذي منعت
منه حق الفقراء وتعظمت به على عباد الله تعالى هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ اي ملكي وتسلطي على
الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في الاسود
بن عبد الاشد وعن فناخسرو الملقب بالعضد انه لما قال ﴿ عضد الدولة وابن ركنها * ملك
الاملاك غلاب القدر * لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطق لسانه الا بهذه الاية وقال ابن عباس
رضي الله عنهما ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وذكر الضحاك ان الاية
الاولى في اخي الاسود عبد الله بن عبد الاسد المخزومي * ولما كان كانه قيل هذا ما قال فما يقال له اجيب
بانه يقال للزبانية على رؤس الاشهاد خُذُوهُ اي ايتها الزبانية الذين كان يستهزئ بهم عند سماع
ذكرهم فَغُلُّوهُ اي اجمعوا يديه الى عنقه ورجليه الى وراء قفاه الى ناصيته ثُمَّ الْجَحِيمَ اي النار العظمى التي
تجحم على من يريد دفاعها وتجحم عنها من راها لانها في غاية الحر والتوقد والتغيظ والتلظي صَلُّوهُ اي
بالغوا في تصليته اياها وكرروها بغمسه في النار كالشاة المصلية مرة بعد اخرى لانه كان يتعاظم على
الناس فناسب ان يصلى اعظم النيران وعبر ايضا باداة التراخي لعلو رتبته من غيرها فقال مؤذنا بعدم الخلاص
وتقديم المفعول يفيد الاختصاص عند بعضهم ولذلك قال الزمخشري ثم لا يصلوه الا الجحيم قال ابو حيان
وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا الحذاق النحاة اه ولكن كلام النحاة لا ياباه ما قاله ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ اي عظيمة
جدا وقوله تعالى ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا يحتمل ان يكون هذا العدد حقيقة وعلى هذا قال ابن عباس رضي الله
عنهما سبعون ذراعا بذراع الملك فتدخل في دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل من فيه وتخرج
من دبره وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان

ما

في رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن رضي الله عنه الله اعلم اي ذراع
هو ويحتمل ان يكون مبالغة كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها
اذا طالت كان الارهاق اشد والذي يدل على هذا ما رواه الترمذي وقال اسناده حسن عن
عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة
ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت
من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها او قعرها وعن كعب
رضي الله عنه انه قال لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها اجارنا الله تعالى ومحبينا منها وجميع
المسلمين فاشار سبحانه الى ضيقها على ما يحيط به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال تعالى
فَاسْلُكُوهُ اي ادخلوه بحيث يكون كانه السلك اي الحبل الذي يدخل في ثقب الخرزة بعسر لضيق
ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه او بجميع بدنه بان تلف قال الزمخشري والمعنى في تقديم
السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها
افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها
وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة اه ولما ذكر سبحانه على الاجمال عقابه اتبعه اسبابه
فقال تعالى انَّهُ كَانَ اي جبلة وطبعا وان اظهر شيئا يلبس به على الضعفاء ويدلس على الاغبياء
لَا يُؤْمِنُ اي الآن ولا في مستقبل الزمان بِاللَّهِ اي الملك الاعلى الذي يعلم السر واخفى الْعَظِيمِ اي
الكامل العظمة وهذا تعليل على طريق الاستئناف وهو ابلغ كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب
الشديد فاجيب بذلك وفي قوله تعالى وَلَا يَحُضُّ اي يحث عَلَى بذل طَعَامِ الْمِسْكِينِ دليلان قويان
على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل
ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القائل شعر اذا نزل الاضياف
كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله * يريد حضهم على القرى واستعجالهم وعن ابي الدرداء رضي الله
عنه انه كان يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع
نصفها الثاني بالطعام وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام
المسكين * ولما وصفه سبحانه باتبع العقائد واشنع الرذائل تسبب عنه قوله تعالى فَلَيْسَ لَهُ
الْيَوْمَ هٰهُنَا اي في مجمع القيامة كله حَمِيمٌ اي صديق خالص يحميه من العذاب لانهم كلهم له اعداء
كما انه كان لا يرق على الضعفاء لما فيه من الافلاول من حطام الاموال وَلَا طَعَامٌ اِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ اي
غسالة اهل النار وصديدهم وقيحهم فعلين من الغسل لَا يَاْكُلُهُ اِلَّا الْخَاطِئُونَ اي اصحاب الخطايا من
خطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون لا من الخطا المضاد للصواب وهذا الطعام بغسل ما في
بطونهم من الاعيان والمعاني التي بها قوام صاحبها وهي منزلة ما كانوا يشحون من اموالهم التي
ابطنوها وادخروها في خزائنهم واستاثروا بها على الضعفاء فَلَا اُقْسِمُ اي لا يقع مني اقسام بما

تُبْصِرُونَ من المخلوقات وَمَا لَا تُبْصِرُونَ منها اى بكل الموجودات واجبها وجائزها معقولها ومحسوسها لانها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة لان الامر اوضح من ان يحتاج الى اقسام وان كنت اقسم فى غير هذا الموضع بما شئت ولو قيل بهذا فى الواقعة لكان حسنا وقيل لا زائدة وجرى على ذلك الجلال المحلى إِنَّهُ اى القرآن لَقَوْلُ اى تلاوة رَسُولٍ اى انا ارسلناه به وعنى اخذه وليس فيه شئ من تلقاء نفسه انما هو كله رسالة واضحة جدا انا شاهد بها بما له من الاعجاز الذى يشهد انه كلامى كَرِيمٍ اى على الله تعالى فهو فى غاية الكرم الذى هو البعد من مساوى الاخلاق باظهار معاليها لشرف النفس وشرف الآباء وهو محمد صلى الله عليه وسلم وكرم الشئ اجتماع الكمالات فيه اللائقة به وقيل هو جبريل عليه السلام قاله الحسن والكلبى رضى الله عنهما لقوله تعالى رسول كريم ذى قوة واستدل للاول بقوله تعالى وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ اى يأتى بكلام مقفى موزون بقصد الوزن قال مقاتل رضى الله عنه سبب نزول هذه الآية ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ساحر وقال ابوجهل شاعر وقال عقبة كاهن فرد الله تعالى عليهم بذلك فان قيل كيف يكون كلام الله تعالى ولجبريل عليه السلام ولمحمد صلى الله عليه وسلم اجيب بان الاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة فالله سبحانه وتعالى اظهره فى اللوح المحفوظ وجبريل عليه السلام بلغه للنبى صلى الله عليه وسلم وهو بلغه للامة قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ منصوب نعتا لمصدر او زمان محذوف اى ايمانا قليلا او زمانا قليلا والناصب تؤمنون وما مزيدة للتاكيد وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون وما يحتمل ان تكون نافية فينتفى ايمانهم البتة ويحتمل ان تكون مصدرية وتتصف بالقلة فهو الايمان اللغوى لا الشرعى لانهم قد صدقوا باشياء يسيرة لا تغنى عنهم شيئا وهو اخلاصهم بالوحدانية عند الاضطرار واقرارهم الخالق بالخلق والربوبية وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ وهو المنجم الذى يخبر عن الاشياء واغلبها ليس له صحة وقوله تعالى قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ يأتى فيه ما تقدم فى قليلا ما تؤمنون وقال البغوى اراد بالقليل نفى اسلامهم اصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وانت تريد ما تأتينا اصلا وقرأ قليلا ما يؤمنون قليلا ما يذكرون ابن كثير وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان بالياء التحتية فيهما والباقون بالفوقية وخفف الذال حمزة والكسائى وحفص وشدد ها الباقون وقوله تعالى تَنْزِيلٌ خبر لمبتدأ مضمر اى هو تنزيل على وجه التنجيم قال البقاعى واشار الى الرسالة الى جميع الخلق من اهل السموات والارض بقوله تعالى مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ اى موجدهم ومدبرهم بالاحسان اليهم بما يفهم كل منهم من هذا الذكر الذى رباهم به ورتب سبحانه نظمه على وجه سهل على كل منهم يكفى فى هدايته اه وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم ارسل للملائكة وهو الذى ينبغى وان لم يكونوا مكلفين تشريفا لهم زيادة فى شرفه بارساله صلى الله عليه وسلم اليهم وَلَوْ تَقَوَّلَ اى كلف نفسه ان يقول مرة من الدهر كذبا عَلَيْنَا اى على ما لنا من العظمة بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ اى التى لم نقلها او قلناها ولم ناذن له فيها قال الزمخشرى التقول افتعال القول لان فيه

تكلفا من المفتعل وسمي الاقوال المنقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعيب واضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى لو نسب الينا قولا لم نقله او لم ناذن له في قوله لَأَخَذْنَا
اي لنلنا مِنْهُ اي عقابا بِالْيَمِينِ اي بالقوة والقدرة + تنبيه + الباء على اصلها غير مزيدة والمعنى لاخذناه بقوة منا فالباء حالية والحال من الفاعل وتكون منه في حكم الزائدة واليمين هنا مجاز عن القوة والغلبة فان قوة كل شئ في ميامنه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم ومنه قول الشماخ شعر اذا ما راية رفعت لمجد + تلقاها عرابة باليمين + وقال ابو جعفر الطبري هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب ويجوز ان تكون الباء زائدة والمعنى لاخذنا منه يمينه والمراد باليمين الجارحة كما يفعل بالمقتول صبرا يؤخذ بيمينه ويضرب بالسيف في جيده مواجهة وهو اشد عليه وقال الحسن رضي الله عنه لقطعنا يده اليمنى وقال الزمخشري المعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده فتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذه بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذه بيمينه اه وقال نفطويه المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال السدي ومقاتل رضي الله عنهما المعنى انتقمنا منه بالحق واليمين على هذا بمعنى الحق كقوله تعالى انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي من قبل الحق ثُمَّ لَقَطَعْنَا اي بما لنا من العظمة قطعا يتلاشى عنده كل قطع مِنْهُ الْوَتِينَ اي نياط القلب وهو يتصل من الراس اذا انقطع مات صاحبه قال ابو زيد وجمعه الوتن وثلاثة اوتنة والموتون الذي قطع وتينه وقال الكلبي هو عرق بين العلباء والحلقوم وهما علباوان بينهما العرق والعلباء عصب العنق وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر وقال مجاهد رضي الله عنه هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه وقال محمد بن كعب رضي الله عنه انه القلب ومراقه وما يليه وقال عكرمة رضي الله عنه ان الوتين اذا قطع لا ان جاع عرف ولا ان شبع عرف وقيل الوتين من مجمع الوركين الى مجمع الصدر بين الترقوتين ثم تنقسم منه سائر العروق الى سائر الجسد ولا يمكن في العادة الحياة بعد قطعه وقال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد انه لو كذب لاهنّاه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري والابهر عرق متصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه فكانه قال هذا اوان يقتلني السم وحينئذ صرت كمن انقطع ابهره فَمَا مِنْكُمْ اي ايها الناس واغرق في النفي فقال مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ اي القتل حَاجِزِينَ اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه اي الرسول صلى الله عليه وسلم اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه + تنبيه + من احد اسم ما ومن زائدة لتاكيد النفي ومنكم حال من احد وعنه حاجزين خبر ما وجمع لان احدا في سياق النفي بمعنى

الجمع وضمير عنه للقتل او النبى كما مر وانه اى القرآن لتذكرة للمتقين اى لانهم المنتفعون
به لاقبالهم عليه اقبال مستفيد وانا اى بما لنا من العظمة لنعلم اى علما عظيما محيطا ان منكم
اى ايها الناس مكذبين بالقرآن ومصدقين فانزلنا الكتب وارسلنا الرسل لنظهر منكم الى عالم
الشهادة ما كنا نعلم فى الازل غيبا من تكذيب وتصديق تستحقون بذلك الثواب والعقاب فلذلك
وجب فى الحكمة ان نعيد الخلق الى ما كانوا عليه دون اجسامهم قبل الموت لنحكم بينهم فنجازى كلا بما
يليق به اظهارا للعدل وانه اى القرآن لحسرة اى ندامة على الكافرين اى اذا راوا ثواب المصدقين
وعقاب المكذبين به وانه اى القرآن او الجزاء يوم الجزاء لحق اليقين اى الامر الثابت الذى لا يقبل
الشك فهو يقين مؤكد بالحق من اضافة الصفة الى الموصوف وهو فوق علم اليقين وقال ابن عباس
رضى الله عنهما انما هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين فسبح اى اوقع التنزيه الكامل عن كل
شائبة نقص باسم اى بسبب علمك بصفات ربك اى الموجد والمولى لك والمحسن اليك
بانواع الاحسان العظيم اى الذى ملأت الاقطار كلها عظمته وزادت على ذلك بما شاء سبحانه
مما لا تسعه العقول وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى فصل لربك العظيم وقول البيضاوى تبعا
للزمخشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع

سورة المعارج مكية

وهى اربع واربعون اية ومائتان وست عشرة كلمة والف واحد وستون حرفا

بسم الله اى الذى تنقطع الاعناق والآمال دون علياته الرحمن الذى لا مطمع لاحد فى
حصر اوصافه الرحيم الذى اصطفى من عباده من وفقه فكان من اوليائه سأل سائل اى دعا
داع بعذاب واقع فضمن سأل معنى دعا فلذلك عدى تعديته وقيل الباء بمعنى عن كقوله تعالى
فاسأل به خبيرا اى عنه اى سأل سائل عن عذاب واقع والاول اولى لان التجوز فى الفعل اولى
منه فى الحرف لقوته واختلف فى هذا الداعى فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر
ابن الحرث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم فنزل سؤاله وقتل يوم بدر هو وعقبة بن ابى معيط لم يقتل صبرا غيرهما
وقيل هو الحرث بن النعمان وذلك انه لما بلغه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى على من كنت
مولاه فعلى مولاه ركب ناقته فجاء حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان
لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصلى خمسا ونزكى اموالنا فقبلناه منك وان
نصوم شهر رمضان فى كل عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك
علينا افهذا شىء منك ام من الله تعالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى لا اله الا هو ما هو الا
من الله فولى الحرث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره

فقتله فنزلت وقال الربیع هو ابو جهل وقیل انه قول جماعة من كفار قریش وقیل هو نوح علیه السلام
سال العذاب علی الكافرین وقیل هو نبینا صلی الله علیه وسلم استعجل بعذاب الكافرین ویدل علیه
قوله تعالی بعد ذلك فاصبر صبرا جمیلا ای لا تستعجل فانه قریب وقرأ نافع وابن عامر بغیر همز
بعد السین والباقون بهمزة مفتوحة بعد السین تنبیه ما تقدم من الوجهین فی كون سال
ضمن او ان الباء بمعنی عن هو علی القراءة بالهمز واما علی عدمه ففیه وجهان احدهما انه لغة
فی السؤال یقال سال یسال كخاف یخاف وعین الكلمة واو قال الزمخشری وهی من لغة قریش
والثانی انه من السیل ومعناه اندفع علیهم وادی عذاب وقیل سال واد من اودیة جهنم وقوله تعالی
لِّلْكَافِرِينَ فیه اوجه احدها انه یتعلق بسال مضمنا معنی دعا كما مر ای دعا لهم بعذاب واقع الثانی
انه یتعلق بواقع واللام للعلة ای نازل لاجلهم الثالث ان یتعلق بمحذوف صفة ثانیة للعذاب ای
كائن للكافرین الرابع ان یكون جوابا للسائل فیكون خبر مبتدأ مضمر ای هو للكافرین الخامس ان تكون
اللام بمعنی علی ای واقع علی الكافرین لَيْسَ لَهُ ای بوجه من الوجوه ولا حیلة من الحیل دَافِعٌ
یرده وقوله تعالی مِّنَ اللَّهِ ای الملك الاعلی الذی لا كفؤ له یجوز ان یتعلق بدافع بمعنی لیس له دافع
من جهته اذا جاء وقته تعلق ارادته به وان یتعلق بواقع وبه بدأ الزمخشری ای واقع من عنده
ذِي الْمَعَارِجِ ای المصاعد وهی الدرجات التی یصعد فیها الكلم الطیب والعمل الصالح او یترقی فیها المؤمنون
فی سلوكهم او فی دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات قال ابن عباس رضی الله عنهما ای ذی السموات
سماها معارج الملائكة لان الملائكة یعرجون فیها فوصف نفسه بذلك او ذی العلو والدرجات الفواضل
والنعم لانها تصل الی الناس علی مراتب مختلفة قاله ابن عباس وقتادة رضی الله عنهم فالمعارج مراتب
انعامه علی الخلق وقیل ذی العظمة والعلاء وقیل المعارج الغرف ای انه ذو الغرف ای جعل لاولیائه
الجنة غرفا وقرأ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ الكسائی بالیاء التحتیة والباقون بالتاء الفوقیة وادغم الجیم
فی تاء تعرج هنا السوسی واستضعف بعضهم ذلك من حیث ان مخرج الجیم بعید من مخرج التاء
واجیب عن ذلك بان الادغام یكون لمجرد الصفات وان لم یتقاربا فی المخرج والجیم تشارك التاء فی
الاستفال والانفتاح والشدة والجملة من تعرج مستأنفة وقوله تعالی وَالرُّوحُ من عطف الخاص
علی العام ان ارید بالروح جبریل علیه السلام كما قاله ابن عباس رضی الله عنهما لقوله تعالی نزل به
الروح الامین او ملك آخر من جنسهم عظیم الخلقة وقال ابو صالح انه خلق من خلق الله كهیئة
الناس ولیس بالناس وقال قبیصة بن ذویب انه روح المیت حین یقبض إِلَيْهِ ای مهبط امره من السماء
وقیل هو كقول ابراهیم علیه السلام انی ذاهب الی ربی ای الی الموضع الذی امرنی به وقیل الی عرشه ویتعلق
بالعروج او بواقع قوله تعالی فِي يَوْمٍ ای من ایامكم وبین عظمه بقوله تعالی كَانَ ای كونا هو فی غایة الثبات
مِقْدَارُهُ ای لو كان الصاعد فیه آدمیا خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ای من سنی الدنیا وذلك ان تصعد من منتهی امر الله
تعالی من اسفل الارض السابعة روی عن مجاهد رضی الله عنه ان مقدار هذا خمسین الف سنة وقال

محمد بن اسحق لو سار بنو آدم من الدنيا الى موضع العرش ساروا خمسين الف سنة وقال عكرمة وقتادة رضى الله عنهما هو يوم القيامة واراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون الف سنة من سنى الدنيا ليس يعنى به ان مقدار طوله هكذا دون غيره لان يوم القيامة ليس له اول وليس له آخر لانه يوم ممدود ولو كان له آخر لكان منقطعا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقيل معناه لو ولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله تعالى لم يفرغ منه فى خمسين الف سنة قال عطاء رضى الله عنه ويفرغ الله تعالى فى مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقيل فيه خمسون موطنا على الكافر كل موطن الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر وروى عن الكلبى انه قال يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك الملائكة والانس والجن وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين الف سنة وانا افرغ منه فى ساعة من النهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وفيه تقديم وتأخير كانه قال ليس له دافع من الله ذى المعارج فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة تعرج الملائكة والروح اليه فان قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فى سورة السجدة فى يوم كان مقداره الف سنة اجيب بانه يحتمل ان من اسفل العالم الى اعلى العرش خمسين الف سنة ومن اعلى سماء الدنيا الى الارض الف سنة لان عرض كل سماء خمسمائة سنة وما بين اسفل الى قرار الارض خمسمائة فقوله فى يوم من ايام الدنيا وهو مقدار الف سنة لو صعدوا فيه الى سماء الدنيا ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى اعلى العرش وقوله تعالى فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا متعلق كما قال الرازى بسأل سائل لان استعجالهم بالعذاب كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر والمعنى جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر على اذى قومك والصبر الجميل هو الذى لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله تعالى وقيل ان يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدرى من هو وقال ابن زيد والكلبى رضى الله عنهم هذه الآية منسوخة بالامر بالقتال إِنَّهُمْ اى الكفار يَرَوْنَهُ اى ذلك اليوم الطويل او عذابه بَعِيدًا اى زمن وقوعه لانهم يرونه غير ممكن او يفعلون افعال من يستبعده وَنَرَاهُ قَرِيبًا اى لما النا من العظمة التى قضت بوجوده وهو علينا هين قريبا سواء اريد بذلك قرب الزمان او قرب ٥
المكان فهو هين على قدرتنا وهو آت لا محالة وكل آت قريب والقريب والبعيد عندنا على حد سواء وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالى يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ متعلق بمحذوف اى يقع فيه من الاهوال كَالْمُهْلِ اى كدردى الزيت وعن ابن مسعود رضى الله عنه كالفضة البيضاء فى تلونها وَتَكُونُ الْجِبَالُ اى التى هى اشد الارض واقرها فيها كَالْعِهْنِ اى كالصوف فى الخفة والطيران بالريح وقيل اول ما تتفرق الجبال تصير رملا ثم عهنا منفوشا ثم هباء منثورا ٧

ولا يسئل اي من شدة الاهوال حميم حميما اي قريب في غاية القرب والصداقة قريبا مثله
عن شيء من الاشياء لفرط الشواغل ولانه قد كشفت لهم انه لا تغني نفس عن نفس شيئا وانه قد
تقطعت الاسباب وتلاشت الانساب وعلم انه لا عز الا بالتقوى يبصرونهم اي يبصرهم بصر
مبصر فلا يخفى احد على احد وان بعد مكانه يود المجرم اي يتمنى الكافر او هذا النوع سواء كان
كافرا ام مسلما عاصيا علم انه يعذب بعصيانه لو بمعنى ان يفتدي اي يفدي نفسه من عذاب
يومئذ اي يوم اذ كانت هذه المخاوف وقرأ نافع والكسائي بفتح الميم والباقون بكسرها ببنيه
اي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه لشدة ما يرى ولما ذكر الصق الناس بالفؤاد واعون
يلزمه نصره والذب عنه اتبعه ما يليه في الرتبة والمودة بقوله تعالى وصاحبته اي زوجته التي
يلزمه الذب عنها لاسيما عند العرب من اقبح العار ولكونه دائما معها ولما ذكر الصاحبة
لما لها من تمام الوصلة اتبعها الشقيق الذي هو عليه شفيق بقوله تعالى واخيه اي الذي له به
النصرة على من يريد قال الشاعر ؎ اخاك اخاك ان من لا اخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح
ولما كان من بقي من الاقارب بعد ذلك متقاربين في الرتبة ذكر اقربهم بقوله تعالى وفصيلته اي
عشيرته الذين هم اقرب من فصل عنه وقال ثعلب الفصيلة الآباء الادنون وقال ابو عبيدة الفخذ
الفخذ وقال مجاهد وابن زيد رضي الله عنهم عشيرته الاقربون التي تؤويه اي تضمه اليها
عند الشدائد تحميه لانه اقرب الناس اليها واعزهم عليها ولما خصص عم بقوله تعالى ومن في الارض
اي من الثقلين وغيرهم سواء كان فيهم صديق لا صبر عنه ولا بد في كل حال منه ام لا ثم اكد المعنى
بقوله تعالى جميعا وقوله تعالى ثم ينجيه اي ذلك الافتداء عطف على يفتدي وقوله تعالى كلا ردع
وزجر لما يوده وقال القرطبي وانها تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت
بمعنى حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اذ ليس من عذاب الله
افتداء ولما كان الاضمار قبل الذكر لتعظيم ذلك المضمر اشار الى انه مستحضر في الذهن لا يغيب
قال تعالى انها اي النار وان لم يجر لها ذكر لدلالة لفظ عذاب عليها وقيل الضمير للقصة وقيل مبهم
يفسره قوله تعالى لظى اي ذات اللهب الخالص المتناهي في الحر اسم لجهنم تتلظى اي تتوقد فتاكل
بسببه بعضها بعضا ان لم تجد ما تاكله وتاكل كل ما وجدته كائنا ما كان وقوله تعالى نزاعة للشوى
جمع شواة وهي جلدة الراس اي شديدة النزع لجلود الرؤس وقال في القاموس اليدان والرجلان
والاطراف وقحف الراس وما كان غير مقتل اه وقرأ حفص بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة
والمستقلة على ان لظى متلظية والباقون بالرفع على انها خبر ان تدعوا من ادبر وتولى عن الايمان
تقول الي يا مشرك الي يا فاسق ونحو هذا ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب ولما كانت الدنيا والآخرة
ضرتين فكان الاقبال على احدهما دالا على الاعراض عن الاخرى قال تعالى دالا على ادباره بقلبه
وجمع اي كل ما كان منسوبا الى الدنيا فاوعى اي جعل ما جمعه في وعاء وكنزه حرصا وطول

امل ولم يعط حق الله تعالى منه فكان همه الاعطاء لا ابطاء ما وجب من الحق اقبالا على الدنيا
واعراضا عن الآخرة وقرأ لظى وللشوى وتولى فاوعى حمزة والكسائى بالامالة محضة وورش وابو عمرو
بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح ان الانسان اى الجنس عبر به لما له من الانس
بنفسه والرؤية لمحاسنها والنسيان لرابه وللدنية خلق هلوعا اى جبل جبلة هو فيها بليغ الهلع
وهو افحش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح على المال والسرعة فيما لا ينبغى وعن ابن عباس
رضى الله عنهما انه الحريص على ما لا يحل له وروى عنه ان تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى اذا مسه
اى ادنى مس الشر اى هذا الجنس وهو ما تطاير شرره من الضر جزوعا اى عظيم الجزع وهو ضد الصبر
بحيث يكاد صاحبه ينقد نصفين ويتفتت واذا مسه كذلك الخير هذا الجنس وهو ما يلائمه من سعة
فيجمعه من السعة فى المال وغيره من انواع الرزق منوعا اى مبالغا فى الامساك عما يلزمه من الحقوق
للانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليه وقوفا مع المحسوس لغلبة الجمود والبلادة وهذا
الوصف ضد الايمان لانه نصفان شكر وصبر فان قيل حاصل هذا الكلام انه نفر عن المضار وطالب
للراحة وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله تعالى عليه اجيب بانه انما ذمه عليه لقصور نظره على
الامور العاجلة والواجب عليه ان يكون شاكرا راضيا فى كل حال وقوله تعالى الا المصلين
استثناء للموصوفين بالصفات الآتية من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك
الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان
بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة عن الانهماك
فى حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم اى بكلية ضمائرهم وظواهرهم على صلاتهم اى التى هى
معظم دينهم وهى الداعية لهم لا لغيرهم بما افادته الاضافة والواحد الجنس الشامل لجميع الانواع لان معظم
المقصود الفرض ولذلك عبر بالاسم الدال على الثبات فى قوله تعالى دائمون اى لا فتور لهم عنها
ولا انفكاك لهم منها وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدائم الساكن
ومنه نهى عن البول فى الماء الدائم اى الساكن وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع
منها فان قيل كيف قال تعالى على صلاتهم دائمون وقال تعالى فى موضع آخر على صلواتهم يحافظون
اجيب بان دوامهم عليها ان لا يتركوها فى وقت ومحافظتهم عليها ترجع الى الاهتمام بحالها حتى تأتى
على اكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها والاتيان بها فى الجماعة وفى المساجد الشريفة وفى تفريغ
القلب عن الوسواس والرياء والسمعة وان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب فاهما
للاذكار مطلعا على حكم الصلوة متعلق القلب بدخول اوقات الصلوة + ولما ذكر تعالى زكوة الروح
اتبعه زكوة عديلها فقال تعالى منبها على تمكنهم فى الوصف بالعطف بالواو والذين فى اموالهم التى
من الله سبحانه بها عليهم حق معلوم اى من الزكوات وجميع النفقات الواجبة وقال ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما من ادى زكوة ماله فلا جناح عليه ان لا يتصدق للسائل اى الذى

سأل

يسال والمحروم اى الذى لا يسال فيحسب غنيا فيحرم فهو يتلظى بناره فى ليله ونهاره ولا مفزع
له بعد ربه المالك لعلانيته وسره الا الى افاضة مدامعه بذلة وانكسار وهذا من الله تعالى حث
على تفقد ارباب الضرورات ممن لا كسب له ومن افتقر بعد الغنى وقد كان السلف الصالح فى هذا
قصب السبق حكى عن زين العابدين انه لما مات وجد فى ظهره آثار سواد كانها السيور فتحيروا منها
فقال بعد موته نسوة ارامل كان شخص ياتى الينا ليلا بقرب الماء على ظهره واجربة الدقيق ففقدناه
واحتجنا فعلموا انه هو وان تلك السيور من ذلك وحكى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه رأى شخصا
ماشيا فى زمن خلافته فى الليل فتبعه فجاء الى بيت نسوة ارامل فقال اعندكن ماء ولا املك لكن
فاعطينه جرة فاخذها وذهب فملأها على كتفه واتى بها اليهن والحكايات عنهم فى هذا كثيرة
والذين يصدقون اى يوقعون التصديق لمن يخبرهم ويجددونه كل وقت بيوم الدين اى الجزاء
الذى ما مثله يوم وهو يوم القيامة الذى يقع الحساب فيه على النقير والقطمير والتصديق به
حق التصديق الاستدلال بالاعمال الصالحة فالذين يعملون لذلك اليوم هم العمال واما المصدقون
بمجرد الاقوال فلهم الوبال وان انفقوا امثال الجبال والذين هم اى بجميع ضمائرهم وظواهرهم من عذاب ربهم
اى المحسن اليهم لا من عذاب غيره فان المحسن اولى بان يخشى ولو من قطع احسانه مشفقون
اى خائفون فى هذه الدار خوفا عظيما هو فى غاية الثبات من ان يعذبهم فى الآخرة او فى الدنيا او فيهما
فهم لذلك لا يفعلون الا ما يرضيه سبحانه ان عذاب ربهم اى الذى هم مغمورون باحسانه وهم
عارفون بانه قادر على الانتقام ولو بقطع الاحسان غير مأمون اى لا ينبغى لاحد ان يأمنه بل يجوز ان
يحل به وان بالغ فى الطاعة لان الملك مالك وهو تام الملك له ان يفعل ما يشاء ومن جوز وقوع
العذاب ابعد عن موجباته غاية الابعاد ولم يزل مترجحا بين الخوف والرجاء والذين هم اى ببواطنهم
النابية على ظواهرهم لفروجهم اى سواء كانوا ذكورا ام اناثا حافظون اى حفظا ثابتا دائما عن كل
ما نهى الله تعالى عنه الا على ازواجهم اى من الحرائر بعقد النكاح وقدمهن لشرفهن وشرف الولد
ثم اتبعه قوله تعالى او ما ملكت ايمانهم اى من السرارى التى هى محل الحرث والنسل واللاتى هن اقل
عقلا من الرجال ولهذا عبر بما التى هى فى الاغلب لغير العقلاء وفى ذلك اشارة الى اتساع النطاق
فى تحليلهن فانهم اى بسبب اقبالهم بالفروج عليهن وازالة الحجاب من اجل ذلك غير ملومين
اى فى الاستمتاع بهن من لائم ما كما نبه عليه البناء للمفعول فهم يصحبونهن للتعفف وصون النفس
وابتغاء الولد للتعاون على طاعة الله تعالى واكتفى فى مدحهم بنفى اللوم لاقباله على تحصيل ما له
من المرام فمن ابتغى اى طلب وعبر بصيغة الافتعال لان ذلك لا يقع الا عن اقبال عظيم من النفس
واجتهاد فى الطلب وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بالفتح وراء ذلك اى شيئا من هذا خارجا عن هذا الامر الذى احله الله تعالى له
والذى هو اعلى المراتب فى امر النكاح وقضاء اللذة واحسنها واجملها فاولئك اى الذين هم

فى الحضيض من الدناءة وغاية البعد عن مواطن الرحمة هُمُ اى بضمائرهم وظواهرهم الْعَادُونَ
اى المختصون بالخروج عن الحد المأذون فيه وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ اى من كل ما ائتمنهم الله تعالى
عليه من حقه وحق غيره وقرأ ابن كثير بغير الف بعد النون على التوحيد والباقون بالالف على الجمع
وَعَهْدِهِمْ اى ما كان من الامانات بربط وتوثيق رَاعُونَ اى حافظون لها معترفون بها على وجه نافع
غير ضار وَالَّذِينَ هُمْ اى بغاية ما يكون من توجه القلوب بِشَهَادَاتِهِمْ التى شهدوا بها او يستشهدون
بها بطلب او غيره وتقديم المعمول اشارة الى انهم فى فرط قيامهم بها ومراعاتهم لها كانهم
لا شاغل لهم سواها قَائِمُونَ اى يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام والحسن اداء من هو متهئ لها
واقف فى انتظارها وقرأ حفص بالف بعد الدال على الجمع اعتبارا بتعدد الانواع والباقون بغير الف
على التوحيد اذ المراد الجنس قال الواحدى والافراد اولى لانه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وان
اضيف الى الجمع كصوت الحمير قال اكثر المفسرين يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب
وبعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بشهاداتهم
ان الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ اى من الفرض والنفل
يُحَافِظُونَ اى يبالغون فى حفظها ويجددونه حتى كانهم يبادرونها الحفظ ويسابقونها فيه
فيحفظونها لتحفظهم ويسابقون غيرهم فى حفظها وتقدم ان المداومة غير المحافظة فدوامهم
عليها محافظتهم على اوقاتها وشروطها واركانها ومستحباتها فى ظواهرها وبواطنها من الخشوع
والمراقبة وغير ذلك من خلال الاحسان التى اذا فعلوها كانت ناهية لفاعلها ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر فتحمل على جميع هذه الاوامر وتبعد عن اضدادها فالدوام يرجع الى نفس
الصلوة والمحافظة الى احوالها ذكره القرطبى + ولما ذكر تعالى خلالهم انتجه ما اعطاهم فقال عز من قائل
مستأنفا او منتجا من غير فاء اشارة الى ان رحمته هى التى اوصلتهم الى ذلك من غير سبب منهم
فى الحقيقة أُولَئِكَ اى الذين فى غاية العلو لما لهم من الاوصاف العالية فِى جَنَّاتٍ اى فى الدنيا
والآخرة اما فى الآخرة فواضح واما فى الدنيا فلانهم لما جاهدوا فيه باتعاب انفسهم فى هذه الاوصاف
حتى تخلقوا بها اعطاهم بثمرتها لذاذات من انس القرب وحلاوة المناجاة لا يساويها شئ اصلا
والجنة هى اجتمع فيه جميع الراحات والمستلذات والسرور وانتفى عنه جميع المكروهات والشرور
وضدها النار وزادهم على ذلك بقوله تعالى مُكْرَمُونَ معبرا باسم المفعول اشارة الى عموم الاكرام من
الخالق والخلق الناطق وغيره لانه سبحانه قضى بان يعلى مقدارهم فيكرمهم بانواع الكرامات فيتلقاهم
بالبشرى حين الموت وفى قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم الى دخولهم الى قصورهم هذا حال
المؤمنين واما حال الكافرين فقال الله تعالى فى حقهم فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا وقف ابو عمرو على الالف
بعد الميم والكسائى يقف على الالف وعلى اللام ووقف الباقون على اللام واما الابتداء فالجميع
يبتدئون اول الكلمة اى اى شئ من السعادات للذين ستروا مرائى عقولهم عن الاقرار بمضمون هذا

الكلام الذى هو اوضح من الشمس حال كونهم قبلك اى نحوك ايها الرسول الكريم وفيما اقبل
عليك مهطعين اى مسرعين مع مد الاعناق وادامة النظر اليك فى غاية العجب من مقالك
هيئة من يسعى الى امر لا حياة له بدونه عن اى متجاوزين اليك مكانا عن جهة اليمين اى منك
حيث يتيمنون به وعن الشمال اى منك وان كانوا يتشاءمون به وقوله تعالى عزين حال من الذين
كفروا وقيل من الضمير فى مهطعين فتكون حالا متداخلة اى جماعات جماعات وحلقا حلقا متفرقين
فرقا شتى افواجا لا يتمهلون ليأتوا جميعا جمع عزة واصلها عزوة لان كل فرقة تعتزى الى غير ما تعتزى
اليه الاخرى فهم متفرقون قال الكميت ؎ ونحن وجندل باغ تركنا ؞ كتائب جندل شتى عزينا
وجمع عزة جمع سلامة شذوذا وقيل كان المستهزءون خمسة ارهط روى ان المشركين كانوا
يجتمعون حول النبى صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزءون به ويكذبونه ويقولون ان
دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فرد الله تعالى عليهم بقوله عز من قائل ايطمع
اى هؤلاء البعداء البغضاء وعبر بالطمع اشارة الى انهم بلغوا الغاية فى السفه لكونهم طلبوا اعز الاشياء
من غير سبب تعاطوه له ولما كان اتيانهم على هيئة التفرق من غير انتظار جماعة لجماعة قال تعالى
كل امرئ منهم اى على انفراده ان يدخل اى وهو كافر من غير ايمان يزكيه كما يدخل المسلم فيستوى
المسىء والمحسن جنة نعيم اى لا شىء فيها غير النعيم وقوله تعالى كلا ردع لهم عن طمعهم ودخولهم
الجنة اى لا يكون ما طمعوا فيه اصلا لان ذلك تمن فارغ لا سبب له كما دل عليه التعبير بالطمع
دون الرجاء ثم علل ذلك بقوله تعالى انا خلقناهم اى بالقدرة التى لا يقدر احد ان يقاومها
مما يعلمون اى انهم يعلمون انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق سائر
جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة
الله تعالى وقيل كانوا يستهزءون بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم فقال تعالى انا خلقناهم مما
يعلمون اى من القذر وهو منصبهم الذى لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفى اشعارا بانه
منصب يستحيا من ذكره فلا يليق بهم هذا التكبر ويدعون التقدم ويقولون ندخل الجنة
قبلهم قال قتادة فى هذه الآية انما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق الله وروى ان مطرف بن عبد الله
بن الشخير راى المهلب بن ابى صفرة يتبختر فى مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه
المشية التى يبغضها الله تعالى فقال له اتعرفنى قال نعم اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة
وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته ؞ فائدة ؞ قال ابن عربى فى الفتوحات خلق الله
الناس على اربعة اقسام قسم لا من ذكر ولا من انثى وهو آدم عليه السلام وقسم من ذكر فقط وهو حواء وقسم
من انثى فقط وهو عيسى عليه السلام وقسم من ذكر وانثى وهو بقية الناس فلا زيدت فيه لا اقسم برب اى مبدع
ومبدع ومدبر المشارق اى التى تشرق الشمس والقمر والكواكب السيارة كل يوم فى موضع منها
على المنهاج الذى دبره والطريق والقانون الذى اتقنه وسخره ستة اشهر صاعدة وستة اشهر هابطة

والمغارب كذلك وهي التي ينشأ عنها الليل والنهار والفصول الاربعة فكان بها صلاح العالم
بمعرفة الحساب واصلاح المآكل والمشارب وغير ذلك من المآرب فيوجد كلاً من الملوين بعد ان
لم يكن والنبات من النجم والشجر كذلك عادة مستمرة دالة على انه تعالى قادر على الايجاد والاعدام
لكل ما يريده كما يريده من غير كلفة ما كما قال تعالى انا اى على ما لنا من العظمة لقادرون على
ان نبدل اى تبديلاً عظيماً بما لنا من الجلالة عوضاً عنهم خيراً منهم اى بالخلق او بتحويل الوصف
فيكونون اشد بطشاً في الدنيا واكثر اموالاً واولاداً واعلى قدراً واكثر حشماً وجاهاً وخدماً فيكونون
عندك على قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل
ما يعمل هؤلاء من الهزء والتصفيق والصفير وكل ما يضيق به صدرك وقد فعل ذلك سبحانه
بالمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان بالسعة في الرزق باخذ اموال الجبارين من كسرى وقيصر و
التمكين في الارض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم ملك الآخرة ففرجوا الكرب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبذلوا في مرضاته الانفس والاموال وما نحن بمسبوقين اى لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا
امر نريده بوجه من الوجوه فذرهم اى اتركهم ولو على اسوأ احوالهم يخوضوا اى في باطلهم من مقالهم
وفعالهم ويلعبوا اى يفعلوا في دنياهم فعل اللاعب الذي لا فائدة لفعله الا ضياع الزمان
واشتغل انت بما امرت به حتى يلاقوا اى يلقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم كشف الغطاء الذي
اوله حينئذ عند النفخة وتناهيه النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين في داره ومحل استقراره
وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قاله البقاعي وابن عادل وقوله تعالى يوم يخرجون
يجوز ان يكون بدلاً من يومهم او منصوباً باضمار اعني من الاجداث اى القبور التي صارت بتغييبهم
فيها شئت وقع الحوافر والخف فهم مختبئون لا يدرون شيئاً يفعل بهم بل هم كلهم في فم ما صغر فان الجدث
القبر والجدثة صوت الحافر والخف ومضغ اللحم وقوله تعالى سراعاً اى نحو صوت الداعي ذاهبين
الى المحشر حال من فاعل يخرجون جمع سريع كظراف في ظريف وقوله تعالى كانهم الى نصب قرأ ابن عامر و
حفص بضم النون والصاد والباقون بفتح النون واسكان الصاد على انه مصدر بمعنى المفعول كما تقول
هذا نصب عيني وضرب الامير والنصب كل ما نصب فعبد من دون الله يوفضون اى يسرعون
الى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الى نصب
اى الى غاية وهي التي ينتصب اليها بصرك وقال الكلبي هو شيء منصوب علم او راية وقال الحسن كانوا
يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى لا يلوي اولهم
على آخرهم وقوله تعالى خاشعة حال اما من فاعل يوفضون وهو اقرب او من فاعل يخرجون وفيه
بعد منه وفيه تعدد الحال لذي حال واحدة وفيه الخلاف المشهور وقوله تعالى ابصارهم فاعل
والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله تعالى ترهقهم اى تغشاهم فتعمهم
وتحمل عليهم فتكلفهم كل عسر وضيق على وجه لا سراح عليهم ذلة اى ضد ما كانوا عليه في الدنيا

لان من تعزز فی الدنیا علی الحق ذل فی الاخرة ومن [illegible] للحق فی الدنیا عز فی الاخرة ذلک ای الامر الذی هو فی غایة یکون من علو الرتبة فی العظمة الیوم الذی کانوا یوعدون ای یوعدون فی الدنیا ان لهم فیه العذاب واخرج الخبر بلفظ الماضی لان ما وعد الله تعالی به فهو حق کائن لا محالة وهذا هو العذاب الذی سالوا عنه اول السورة فقد رجع اخرها علی اولها وما قاله البیضاوی تبعا للزمخشری من انه صلی الله علیه وسلم قال من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله تعالی ثواب الذین هم لاماناتهم وعهدهم راعون حدیث موضوع

سورة نوح علیه السلام مکیة

وهی سبع وعشرون ایة ومائتان واربع وعشرون کلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

بسم الله ذی الجلال والاکرام الرحمن الذی عم بما افاضه من ظاهر الانعام الرحیم الذی حفظ اولیاءه من الابتداء الی الختام ولما ختمت سأل بالانذار للکفار وکانوا عبادا وثانا بعذاب الدنیا والاخرة اتبعها اعظم عذاب کان فی الدنیا علی تکذیب الرسل بقصة نوح علیه السلام فقال تعالی انا ای بما لنا من العظمة البالغة ارسلنا نوحا الی قومه ای الذین کانوا فی غایة القوة علی القیام بما یحاولونه وهم بصدد ان یجیبوه ویکرموه لما بینهم من القرب بالنسب واللسان وکانوا جمیع اهل الارض من الادمیین روی قتادة عن ابن عباس رضی الله تعالی عنهما عن النبی صلی الله علیه وسلم قال اول نبی ارسل نوح علیه السلام وارسل الی جمیع اهل الارض ولذلک لما کفروا اغرق الله تعالی اهل الارض جمیعا وهو نوح بن لمک بن متوشلح بن اخنوخ وهو ادریس بن یرد بن مهلائیل بن انوش بن قینان بن شیث بن ادم علیه السلام قال وهب وکلهم مؤمنون ارسل الی قومه وهو ابن خمسین سنة وقال ابن عباس رضی الله تعالی عنهما وهو ابن اربعین سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسین سنة ویجوز فی قوله تعالی ان انذر ای حذر تحذیرا عظیما قومک ای الاستمرار علی الکفران تکون ان مفسرة فلا یکون لها موضع من الاعراب لان فی الارسال معنی الامر فلا حاجة الی اضمار ویجوز ان تکون المصدریة ای ارسلناه بالانذار قال الزمخشری والمعنی ارسلناه بان قلنا له انذر قومک ای ارسلناه بالامر بالانذار وهذا الذی قدره جواب عن سؤال وهو ان قولهم ان ان المصدریة یجوز ان توصل بالامر مشکل لانه ینسبک منها وما بعدها مصدر وحینئذ فتفوت الدلالة علی الامر الا تری انک اذا قدرت کتبت الیه بان قم کتبت الیه القیام تفوت الدلالة علی الامر حال التصریح بالمصدر فینبغی ان یقدر کما قاله الزمخشری ای کتبت الیه بان قلت له قم ای کتبت الیه بالامر بالقیام وقال القرطبی ای بان انذر قومک من قبل ان یاتیهم ای علی ما هم علیه من الاعمال الخبیثة عذاب الیم ای عذاب الاخرة او الطوفان قال ای نوح علیه السلام یقوم فاستعطفهم بتذکیرهم انه اخوهم یهمه ما یهمهم انی لکم نذیر ای مبالغ فی انذارکم مبین ای امری بین فی نفسه بحیث انه صار فی شدة وضوحه کانه مظهر لما یتضمنه

منادىٰ بذلك للقريب والبعيد والفطن والغبي ويجوز في قوله تعالى أنِ اعبُدُوا اللهَ أي الملك الأعظم الذي له جميع الكمال أن تكون أن تفسيرية لنذير وأن تكون مصدرية والكلام فيها كما تقدم في أختها وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة في الوصل بكسر النون والباقون بالضم والمعنى وحدوا الله وَاتَّقُوهُ أي اجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن كل ما يكرهه فلا تتحركوا حركة ولا تسكنوا سكنة إلا في طاعته وهذا هو العمل الواقي من كل سوء وَأَطِيعُونِ أي لأعرفكم ما تقصر عنه عقولكم من صفات معبودكم ودينكم ودنياكم ومعادكم وأدلكم على اجتلاب آداب تهديكم واجتناب شبه ترديكم فمن طاعتي فلاحكم برضا الملك عنكم وقوله يَغْفِرْ لَكُمْ جواب الأمر وفي من في قوله مِنْ ذُنُوبِكُمْ أوجه أحدها أنها تبعيضية الثاني أنها لابتداء الغاية الثالث أنها مزيدة قال ابن عطية وهو مذهب كوفي ورد بأن مذهبهم ليس ذلك لأنهم يشترطون تنكير مجرورها ولا يشترطون غيره والأخفش لا يشترط شيئًا فالقول بزيادتها هنا ماش على قوله لا على قولهم قاله القرطبي وقيل لا يصح كونها زائدة لأن من لا تزاد في الموجب وإنما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين وَيُؤَخِّرْكُمْ أي بلا عذاب تأخيرًا ينفعكم إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى أي قد سماه الله تعالى وعلمه قبل إيجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه فيكون موتكم على العادة أو يأخذكم جميعًا فالأمور كلها قد دبت وفرغ من ضبطها لإحاطة العلم والقدرة فلا يزاد فيها ولا ينقص ليعلم أن الإرسال إنما هو مظهر لما قدره في الأزل ولا يظن أنه قالب للأعيان بتغيير ما سبق به القضاء من الطاعة والعصيان وقرأ ويؤخركم ولا يؤخر ورش بإبدال الهمزة واوًا وقفًا ووصلًا وحمزة في الوقف دون الوصل والباقون بالهمز إِنَّ أَجَلَ اللهِ أي الذي له الكمال كله فلا راد لأمره إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ أي إذا جاء الموت لا يؤخر بعذاب كان أو بغير عذاب وأضاف الأجل إليه سبحانه لأنه الذي أثبته وقد يضاف إلى القوم كقوله تعالى إذا جاء أجلهم لأنه مضروب لهم لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أي لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك ولكنهم لانهماكهم في حب الدنيا كأنهم شاكون في الموت ✲ ولما كان عليه السلام أطول الأنبياء عمرًا وكان قد طال نصحه لهم ولم يزدادوا إلا طغيانًا وكفرًا قَالَ مناديًا لمن أرسله لأنه تحقق أن لا قريب منه غيره رَبِّ أي يا سيدي وخالقي إِنِّي دَعَوْتُ أي أوقعت الدعاء إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة قَوْمِي أي الذين هم جديرون بإجابتي لمعرفتهم بي وقربهم مني وفيهم قوة المجادلة لما يريدون لَيْلًا وَنَهَارًا أي دائمًا متصلًا لا أفتر عن ذلك وقيل معناه سرًا وجهرًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي أي شيئًا من أحوالهم التي كانوا عليها إِلَّا فِرَارًا أي بعدًا وإعراضًا عن الإيمان كأنهم حمر مستنفرة استثناء مفرغ وهو مفعول ثان وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بسكون الياء والباقون بفتحها وهم على مراتبهم في المد وَإِنِّي كُلَّمَا أي على تكرار الأوقات وتعاقب الساعات دَعَوْتُهُمْ أي إلى الإقبال إليك بالإيمان بك والإخلاص لك لِتَغْفِرَ لَهُمْ أي ليؤمنوا فتمحو ما فرطوا فيه في حقك فأفرطوا لأجله في الجنا وفي الحد محوًا بالغًا فلا يبقى لشيء من ذلك عين ولا أثر حتى لا تعاقبهم عليه ولا تعاتبهم

جعلوا اصابعهم كراهة منهم واحتقار الداعي في آذانهم حقيقة لئلا يسمعوا الدعاء اشارة الى
انا لا نريد ان نسمع ذلك منك فان ابيت الا الدعاء فانا لا نسمع لسد اسماعنا ودل على الافراط في
كراهة الدعاء بما ترجم عنه قوله واستغشوا ثيابهم اي اوجدوا التغطية لرؤسهم بثيابهم لئلا يبصروه
كراهة للنظر الى وجه من ينصحهم في دين الله تعالى وهكذا حال النصحاء مع من ينصحونه دائما واصروا
اي اكبوا على الكفر وعلى المعاصي من اصر الحمار على العانة وهي القطيع من الوحش اذا صر اذنيه واقبل
عليها يكدمها ويطردها واستكبروا اي اوجدوا الكبر طالبين له راغبين فيه واكد ذلك بقوله استكبارا
تنبيها على ان فعلهم منابذ للحكمة وقد افادت هذه الآيات بالصريح في غير موضع انهم عصوا نوحا
عليه السلام وخالفوه مخالفة لا اقبح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار وباطنا بالاصرار والاستكبار
ثم اني دعوتهم جهارا اي معلنا بالدعاء قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما باعلى صوتي ثم
اني اعلنت لهم اي كررت لهم الدعاء معلنا وقرأ نافع وابن كثير بفتح الياء والباقون بسكونها
واسررت لهم اسرارا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد الرجل بعد الرجل اكلمه
سرا بيني وبينه ادعوه الى عبادتك وتوحيدك فقلت اي في دعائي لهم استغفروا ربكم اي
اطلبوا من المحسن اليكم المبدع لكم المدبر لاموركم ان يمحو ذنوبكم اعيانها وآثارها بان تؤمنوا بالله وتستغفروه
انه كان اي ازلا وابدا ودائما سرمدا غفارا اي متصفا بصفة الستر على من رجع اليه يرسل السماء
اي المظلة لان المطر منها ويجوز ان يراد السحاب والمطر عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
اي ويكثر اموالكم واولادكم وذلك ان قوم نوح عليه السلام لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله تعالى عنهم
المطر وعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح استغفروا ربكم
من الشرك اي استدعوا المغفرة بالتوحيد يرسل السماء عليكم مدرارا وروى الشعبي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار فلما نزل قيل يا امير المؤمنين ما رايناك
استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي بها يستنزل القطر ثم قرأ هذه الآية شبه
الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطئ وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله
وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح
اتاك رجال يشكون ابوابا ويسالون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية وقال القشيري
من وقعت له حاجة الى الله تعالى فلن يصل الى مراده الا بتقديم الاستغفار وقال ان عمل قوم نوح كان
بضد ذلك كلما ازداد نوح عليه السلام في الضمان ووجوه الخير والاحسان ازدادوا في الكفر والنسيان
ويجعل لكم اي في الدارين جنات اي بساتين عظيمة واعاد العامل للتاكيد فقال ويجعل لكم انهارا
اي يخصكم بذلك عمن لم يفعل ذلك فان من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن
كل ضيق مخرجا وقال تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
وقال تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم

ومن تحت ارجلهم وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ما لكم لا ترجون لله اي الملك الذي له الامر كله وقارا اي ما لكم لا تاملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة الوقار وقال بالمعرفة تزكو الاعمال وتصلح الاقوال انما سبق ابو بكر رضي الله عنه بشيء وقر في صدره وانما يصح تعظيمه سبحانه بان لا ترى لك عليه حقا ولا تنازع له اختيارا وتعظم امره ونهيه بعدم المعارضة وقد اي والحال انه قد احسن اليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره فدل ذلك على تمام قدرته ثم لم يقطع احسانه عنكم فاستحق ان تؤمنوا به لانه هل جزاء الاحسان الا الاحسان ورجاء لدوام احسانه وخوفا من قطعه لانه خلقكم اي اوجدكم من العدم مقدرين اطوارا اي تارات عناصر اولا ثم مركبات تغذي الحيوانات ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما واعصابا ودماء ثم خلقا آخر تاما ناطقا ذكورا واناثا الى غير ذلك من الامور الدالة على قدرته على كل مقدور ومن قدر على هذا الابتداء كان على الاعادة اعظم قدرة الم تروا اي ايها القوم كيف خلق الله اي الذي له العلم التام والقدرة البالغة والعظمة الكاملة سبع سموات هن في غاية العلو والسعة والاحكام والزينة طباقا اي متطابقة بعضها فوق بعض وكل واحدة في التي تليها محيطة بها ما لها من فروج ولا يكون تمام المطابقة كذلك الا بالاحاطة من كل جانب وجعل القمر اي الذي ترونه فيهن نورا اي لامعا منتشرا كاشفا للمرئيات احد وجهيه يضيء لاهل الارض والثاني لاهل السموات قال الحسن يعني في السماء الدنيا كما تقول اتيت بني فلان وانما اتيت بعضهم وفلان متوار في دور بني فلان وهو في دار واحدة وبدأ به لقربه وسرعة حركته وقطعه جميع البروج في كل شهر وغيبوبته في بعض الليالي ثم ظهوره وذلك اعجب في القدرة ولما كان نوره مستفادا من نور الشمس قال تعالى وجعل اي فيها الشمس اي في السماء الرابعة سراجا اي نورا عظيما كاشفا لظلمة الليل عن وجه الارض وهي السماء الرابعة كما مر وقيل في الخامسة وقيل في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن عمر ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء واقفيتهما الى الارض وجعلهما سبحانه آية على رؤية عباده المؤمنين له في الجنة والله اي الملك الاعظم الذي له الامر كله انبتكم اي بخلق ابيكم آدم عليه السلام من الارض اي كما ينبت الزرع وعبر بذلك تذكيرا لنا بما كان من خلق ابينا آدم عليه السلام لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض نباتا اي انشاكم منها انشاء فاستعير الانبات له لانه ادل على الحدوث والتكون واصله انبتكم فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم على التدريج فيها اي الارض بالموت والاقبار وان طالت الآجال ويخرجكم اي منها بالاعادة واكد بالمصدر الجاري على الفعل اشارة الى شدة العناية به وتحتم وقوعه لانكارهم له فقال تعالى اخراجا اي غريبا ليس هو كما تعلمون بل تكونون به في غاية ما يكون من الحياة الباقية تدوبس ارواحكم بها اجسامكم ملابسة

لا انفكاك لبعض هالا عن الآخر والله اى المستجمع لجميع الجلال والاكرام جعل لكم اى نعمة
عليكم اهتماما بامركم الارض بساطا اى سهل عليكم التصرف فيها والتقلب عليها سهولة التصرف
في البساط ثم علل ذلك بقوله تعالى لتسلكوا اى متخذين منها اى الارض مجددين ذلك
سبلا اى طرقا واضحة مسلوكة بكثرة فجاجا اى ذوات اتساع لتتوصلوا الى البلاد الشاسعة
براو بحرا فيتم الانتفاع بجميع البقاع فالذي قدر على ابداعكم واقدركم على التصرف في اصلحكم
مع ضعفكم قادر على اخراجكم من اجداثكم التي لم تزل طوع امره وتحت عظمته وقهره + ولما
اكثروا مع نوح عليه السلام الجدال ونسبوه الى الضلال وقابلوه باشنع الاقوال والافعال قال نوح
اى بعد رفقه بهم ولينه لهم رب اى ايها المحسن الى المدبر لى المتولى لجميع امري انهم اى
قومي الذين دعوتهم اليك مع صبري عليهم الف سنة الا خمسين عاما عصوني اى فيما
امرتهم به ودعوتهم اليه فابوا ان يجيبوا دعوتي وشردوا عني اشد شرود وخالفوني اقبح مخالفة
واتبعوا اى بغاية جهدهم نظرا الى الظنون الفاسدة من اى رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين
باولادهم وفسرهم بقوله تعالى لم يزده اى شيئا من الاشياء ماله اى كثرته وولده كذلك
الا خسارا اى بالبعد من الله تعالى في الدنيا والآخرة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواو
واللام والباقون بضم الواو الثانية واسكان اللام ومكروا اى هؤلاء الرؤساء في تنفير
الناس عني مكرا وزاده تأكيدا بصيغة هي النهاية في المبالغة بقوله كبارا فانه ابلغ من كبار المخفف
الابلغ من كبير واختلفوا في معنى مكرهم فقال ابن عباس قالوا قولا عظيما وقال الضحاك
افتروا على الله تعالى وكذبوا رسله وقيل منع الرؤساء اتباعهم عن الايمان بنوح عليه السلام
فلم يدعوا احدا منهم بذلك المكر يتبعه وحرشوهم على قتله وقالوا اى لهم لا تذرن اى تتركن آلهتكم
اى عبادتها على حالة من الحالات لا قبيحة ولا حسنة واضافوها اليهم تحببا فيها ثم خصوا بالتسمية
زيادة في الحث وتصريحا بالمقصود فقالوا مكررين اليمين والعامل تأكيدا ولا تذرن ودا وقرأ نافع بضم
الواو والباقون بفتحها وانشد بالوجهين قول الشاعر ؎ حياك ود من هداك لفتية +
وخص بانى ذى فضالة مهجور + وقال القرطبي قال الليث ود بفتح الواو صنم كان لقوم نوح
وود بالضم صنم لقريش وبه سمى عمرو بن ود وفي الصحاح والود بالفتح الوتد في لغة اهل نجد
كانهم سكنوا التاء وادغموها في الدال اهـ ثم اعادوا النفي تأكيدا فقالوا ولا سواعا واكدوا هذا
التأكيد بالنواهي فقالوا ولا يغوث + ولما بلغ التأكيد نهايته وعلم ان القصد النهي عن كل
فرد فرد لا عن المجموع تركوا التأكيد في قولهم ويعوق ونسرا العلم بارادته واختلف المفسرون
في هذه الاسماء فقال ابن عباس وغيره هي اصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب
وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك
خصوها بالذكر بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقال عروة بن الزبير اشتكى آدم عليه السلام وعنده

بنو ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب كان لآدم عليه السلام خمسة بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم وتناقصت الاشياء كما تنا قصت اليوم الى ان تركوا عبادة الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيأ قالوا وما نعبد قال الهتكم والهة آبائكم الا ترون انها في مصلاكم فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية وقال محمد بن كعب ايضا ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس ان يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر اليها فصوروهم فلما ماتوا جاء آخرون فقالوا ليت شعري ما هذه الصور التي كان يعبدها آباؤنا فجاءهم الشيطان فقال كان آباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدئ عبادة الاوثان من ذلك الوقت وبهذا المعنى فسر ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رأتاها بارض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولئك كانوا اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة وروي عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام كان يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل الهند فمنع الكافرين ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنو آدم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطوفون به فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها فلما كان ايام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكان للعرب اصنام اخر فاللات كانت لقديد واساف ونائلة وهبل كانت لاهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود ونائلة حيال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة وقال الماوردي اما ود فهو اول صنم معبود فسمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم وقال الرازي وسواع لهمدان واما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان وقال ابو عثمان النهدي رأيت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل اجرد ويسيرون معه ولا يهيجونه حتى يبرك بنفسه فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل واما يعوق فكان لهمدان وقيل لمراد واما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير قال البقاعي ولا يعارض هذا انهم صور لناس صالحين لان تصويرهم لهم يمكن ان يكون منتزعا من معانيهم فكان ود لكامل في الرجولية وكان سواع امرأة

كاملة فى العبادة وكان يغوث شجاعا وكان يعوق سابقا قويا وكان نسر عظيما طويل العمر ولما
ذكرهم مكرهم وما اظهروا من قولهم عطف عليه ما توقع السامع من امرهم فقال تعالى وَقَدْ اَضَلُّوا
اى الرؤساء او الاصنام وجمعهم جمع العقلاء معاملة لهم معاملة العقلاء كقوله رب انهن اضللن
كَثِيرًا من عبادك الذين خلقتهم على الفطرة السليمة من اهل زمانهم ومن اتى بعدهم فانهم اوّل من سنّ
هذه السنة السيئة فعليهم وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقول نوح عليه السلام
وَلَا تَزِدِ الظّٰلِمِيْنَ اى الراسخين فى الوصف الموجب للنار اِلَّا ضَلٰلًا اى طبعا على قلوبهم حتى يعموا عن
الحق عطف على قد ضلوا دعاء عليهم بعد ما اعلمه الله تعالى انهم لا يؤمنون بقوله تعالى انه لن يؤمن
من قومك الا من قد آمن وكذلك دعا موسى وهرون عليهما السلام فى الشدّ على قلوب فرعون
وملئه لئلا يؤمنوا فى حال ينفعهم فيه وما فى قوله تعالى مِّمَّا خَطِيْٓئٰتِهِمْ اى من اجل خطياتهم مزيدة
للتاكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو بفتح الطاء وبعدها الف وبعد الالف ياء وبعد الياء الف وضم الهاء
على وزن قضاياهم والباقون بكسر الطاء وبعدها ياء تحتية ساكنة وبعد الياء همزة مفتوحة بعدها
الف وبعد الالف تاء فوقية مكسورة وكسر الهاء على وزن قضياتهم اُغْرِقُوْا اى بالطوفان الطاف
عليهم جميع الارض السهل والجبل فلم يبق منهم احد وكذا الكلام فيما تسبب عنه وتعقبه فى قوله
فَاُدْخِلُوْا اى فى الآخرة التى اوّلها البرزخ يعرضون فيه على النار بكرة وعشيا نَارًا اى عظيمة جدّا اخفها ما يكون
من مباديها فى البرزخ قال الملوى عذبوا فى الدنيا بالغرق وفى الآخرة بالحرق وقال الضحاك فى حالة
واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون فى الماء من جانب بقدرة الله تعالى فَلَمْ يَجِدُوْا لَهُمْ
اى عند ما اناخ الله بهم سطوته واحل بهم نقمته مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اى الملك الاعظم الذى تضمحل
المراتب تحت رتبة عظمته وتذل لعزه وجليل سطوته اَنْصَارًا ينصرونهم على من اراد بهم ذلك ليمنعوه
مما اراده سبحانه من اغراقهم من غير ان يتخلف منهم احد على كثرتهم وقوتهم لكونهم اعداءه وانجاء
نبيه عليه السلام ومن آمن معه على ضعفهم وقلتهم لم يفقد منهم احد لكونهم اولياءه كما انه لم يسلم
ممن اراد اغراقهم احد على كثرتهم وقوتهم قال البقاعى فمن قال عن عوج ما تقوله القصاص فهو ضلال
اشدّ ضلال قال وقائل ذلك هو ابن عربى صاحب الفصوص الذى لم يرد بتصنيفه الا هدم الشريعة
وزاد فى المحط عليه وعلى ابن الفارض وعلى الحلاج وعلى من شابههم وامر هؤلاء الى الله تعالى فانه
العالم بحقائق الامور وما تخفى الصدور وقال نوح واسقط الاداة كما هو عادة اهل الحضرة فقال رَّبِّ
لَا تَذَرْ اى لا تترك عَلَى الْاَرْضِ اى كلها مِنَ الْكٰفِرِيْنَ اى الراسخين فى الكفر دَيَّارًا اى احدا يدور ومنها
وهو من الفاظ العموم التى تستعمل فى النفى فيعال من الدور او الدار لا فعال والا لكان دوارا
قال قتادة دعا عليهم بعد ان اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فاجاب
الله تعالى دعوته واغرق امته وهذا كقول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب
اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعائه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح

عليه السلام فقال احذر هذا فانه يضلك فقال يا ابت انزلني فانزله فرماه فشجه فحينئذ غضب
ودعا عليهم فان قيل ما فعل صبيانهم حين اغرقوا أجيب بانهم اغرقوا معهم لا على وجه العقاب
ولكن كما يموتون بالانواع من اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة
في عذاب الاباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يهلكون
مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله تعالى براءتهم
فاهلكهم بغير عذاب وقال محمد بن كعب ومقاتل انما قال هذا حين اخرج الله تعالى كل مؤمن من اصلابهم
وارحام نسائهم واعقم ارحام امهاتهم وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة وقيل
بسبعين سنة فاخبر الله تعالى نوحا عليه السلام انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا كما قال تعالى
انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم
كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد
التكذيب من الاطفال وقال ابن عربي دعا نوح عليه السلام على الكافرين اجمعين ودعا
النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين وكفى بهذا اصلا في الدعاء على الكافرين
في الجملة واما كافر معين لم تعلم خاتمته فلا يدعى عليه لان ماله عندنا مجهول وربما كان عند الله
معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم عتبة وشيبة واصحابه لعلمه بمآلهم
وما كشف الله له من الغطاء عن حالهم ولما كان الرسل عليهم السلام لا يقولون ولا يفعلون الا ما كان
فيه مصلحة الدين علل دعاءه بقوله انك اي يا رب ان تذرهم اي تتركهم على اي حالة كانت في ابقائهم
سالمين على وجه الارض ولو كانت حالة دنيئة يضلوا عبادك اي الذين آمنوا بك وبي والذين يولدون
على الفطرة السليمة ولا يلدوا اي ان قدرت بقاءهم الا فاجرا اي مارقا عن كل ما ينبغي الاعتصام به كفارا
اي بليغ الستر لما يجب اظهاره من آيات الله فان قيل بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم
بالكفر عند الولادة أجيب بانه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل
ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك
وقد اخبر الله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا الا من
سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ولما دعا
على اعداء الله تعالى دعا لاوليائه وبدأ بنفسه فقال مسقطا الاداة على عادة اهل الخصوص رب اي ايها
المحسن الي باتباع من اتبعني وتجنب من تجنبني اغفر لي اي فانه لا يسعني وان كنت معصوما الا حلمك
وعفوك ومغفرتك ولوالدي وكانا مؤمنين ويدل ابويه اسم ابيه لمك بن متوشلخ وامه سمحا بنت انوش
وعن ابن عباس لم يكفر لنوح عليه السلام اب فيما بينه وبين آدم عليه السلام وقيل هما آدم وحواء واعاد
الجار اظهارا للاهتمام فقال ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا اي مصدقا
بالله تعالى مؤمنا حال وعن ابن عباس اي دخل في ديني فان قيل على هذا يصير قوله مؤمنا

تكرارا أجيب بان من دخل فى دينه ظاهرا قد يكون مؤمنا وقد لا يكون فالمعنى ولمن دخل دخولا مع تصديق القلب ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ خص نفسه اولا بالدعاء ثم من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عمم المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبى من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول اولى واظهر ثم ختم الكلام مرة اخرى بالدعاء على الكافرين فقال ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ اى الفريقين فى الظلم فى حال من الاحوال ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ اى هلاكا مدمرا والمراد بالظالمين الكافرون فهى عامة فى كل كافر ومشرك وقيل اراد مشركى قومه وتبارا مفعول ثان والاستثناء مفرغ وقيل الهلاك الخسران وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام حديث موضوع

سورة الجن وتسمى سورة قل اوحى مكية

وهى ثمان وعشرون اية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ المحيط بالكمال ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذى عم برحمته الناس بالارسال ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذى خص من بين اهل الدعوة من شاء بمحاسن الاعمال + ولما كان نوح عليه السلام اول رسول ارسله الله تعالى الى المخالفين من اهل الارض وكان نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فهو اخر رسول بعثه الله تعالى الى اهل الارض وغيرهم ناسب ذكره بعد نوح فقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ﴾ اى يا اشرف الرسل للناس ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وقال ابن عباس قل يا محمد لامتك اوحى الى على لسان جبريل ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ والنفر الجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة قال البغوى وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل كانوا سبعة وفى هذه العبارة دليل على انه صلى الله عليه وسلم ما راهم ولا قرأ عليهم وانما اتفق حضورهم عند قراءته ففى صحيح مسلم عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب فقالوا ما ذاك الا من شئ حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو واصحابه بنخلة قاصدين سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلوة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء وهل هذا الاستماع هو المذكور فى الاحقاف او غيره قال ابو حيان المشهور انه هو وقيل غيره والجن الذين اتوه جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى والسورة التى استمعوها قال عكرمة العلق وقيل الرحمن ولم يذكر هنا ولا فى الاحقاف انه راهم وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اتلو القرآن على الجن فمن يذهب فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب ابن ابى دب خط على خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه

امثال الحجل كانهم رجال الزط قال ابن الاثير في النهاية الزط قوم من السودان والهنود وكانت
وجوههم كالمكاكي يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت
فاومأ الي بيده ان اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لا اراهم
وفي رواية اخرى قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من انت قال انا نبي قالوا فمن يشهد لك على
ذلك فقال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال
على ماذا تشهدي قالت اشهد انك رسول الله قال اذهبي فرجعت كما جاءت حتى صارت كما كانت
قال ابن مسعود فلما عاد الي قال اردت ان تأتيني قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك هؤلاء
الجن اتوا يستمعون القرآن ثم ولوا الى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر
فلا يستطيبن اي يستنجي احدكم بعظم ولا بعر وفي رواية انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ وضع رأسه
على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضوء قال لا الا ان معي اداوة نبيذ فقال هل هو الا تمر و
ماء فتوضأ منه قال الرازي وطريق الجمع بين رواية ابن عباس ورواية ابن مسعود من وجوه احدها
لعل ما ذكره ابن عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امر بالخروج اليهم بعد ذلك كما روي
عن ابن مسعود اي فالواقعة متعددة ثانيها انها واقعة واحدة الا انه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولا عرف
ماذا قالوا ولا اي شيء فعلوا فالله تعالى اوحى اليه انه كان كذا وكذا وفعلوا كذا وكذا ثالثها انها كانت واحدة
وانه صلى الله عليه وسلم رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم رجعوا الى قومهم قالوا لهم على سبيل الحكاية
انا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى نبيه صلى الله عليه وسلم ما قالوه لقومهم
قال ابن عادل ابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة
وقال القرطبي ان الجن اتوا النبي صلى الله عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود
والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس وقال البيهقي الذي حكاه ابن مسعود انما هو في اول ما سمعت
الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه
ابن عباس ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه ابن مسعود وقال
القشيري لما رجم ابليس بالشهب فرق ابليس جنوده لعلم ذلك فاتى سبعة منهم بطن نخلة فاستمعوا
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا ثم اتوا قومهم فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يعني ولم يرجعوا الى ابليس
لما علموه من كذبه وسفاهته وجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين من قومه فاسلموا فذلك
قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا الآيات فقالوا اي فتسبب عن استماعهم ان قالوا انا سمعنا اي حين
تعمدنا الاصغاء والقينا اليه افهامنا قرآنا اي كلاما هو في غاية الانتظام في نفسه والجمع لجميع
ما يحتاج اليه وقرأ ابن كثير بالنقل وقفا ووصلا وحمزة في الوقف دون الوصل والباقون بغير نقل
وقفا ووصلا ثم وصفوا القرآن بالمصدر مبالغة في امره فقالوا عجبا اي بديعا خارجا عن عادة امثاله من
جميع الكتب الالهية فضلا عن جميع الناس في جلالة النظم واعجاز التركيب يهدي اي يبين

غاية البيان الى الرشد اى الحق والصواب فآمنا به اى كل من استمع منا لم يتخالف منا احد ولا توقف
بعد الاستماع به اى القرآن اى فاهتدينا به وصدقنا انه من عند الله ولن نشرك بربنا احدا
اى لا نرجع الى ابليس ولا نطيعه ولا نعود الى ما كنا عليه من الاشراك وهذا يدل على ان اولئك الجن
كانوا مشركين قال الرازى واعلم ان قوله تعالى قل امر لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه
ما اوحى اليه فى واقعة الجن وفيه فوائد احدها ان يعرفوا بذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث الى الجن كما بعث الى الانس ثانيها ان تعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن وعرفوا
اعجازه آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ثالثها ان يعلم القوم ان الجن مكلفون كالانس رابعها
ان يعلم ان الجن يستمعون كلامنا ويفهمونه من لغتنا خامسها ان يظهر المؤمن منهم يدعو غيره
من الجن الى الايمان وفى هذه الوجوه مصالح كثيرة اذا عرفها الناس + تنبيهات احدها اختلف
العلماء فى اصل الجن فروى عن الحسن البصرى ان الجن ولد ابليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء
وهؤلاء مؤمنون وكافرون وهم شركاء فى الثواب والعقاب فمن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا
فهو شيطان وروى الضحاك عن ابن عباس ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين ومنهم
المؤمن ومنهم الكافر والشياطين ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس وروى ان ذلك النفر كانوا يهودا
وذكر الحسن ان منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين + ثانيها اختلفوا فى دخول الجن الجنة
على حسب الاختلاف فى اصلهم فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم
ومن قال انهم من ذرية ابليس فلهم فيهم قولان احدهما وهو قول الحسن يدخلونها والثانى وهو رواية
مجاهد لا يدخلونها + ثالثها قال القرطبى قد انكر جماعة من كفرة الاطباء والفلاسفة الجن وقالوا انهم
بسائط ولا يصح طعامهم اجتراء على الله تعالى والقرآن والسنة يردان عليهم وليس فى المخلوقات بسيط
بل مركب مزدوج انما الواحد الواحد سبحانه وغيره مركب ليس بواحد وليس يمتنع ان يراهم النبى صلى الله
عليه وسلم فى صورهم كما يرى الملائكة واكثر ما يتصورون لنا فى صور الحيات ثم عطفوا على قولهم انا سمعنا
وانه اى الشان العظيم قال الجن تعالى اى انتهى فى العلو الى حد لا يستطاع جد اى عظمة وسلطان
وكذا غنى ربنا يقال جد الرجل اذا عظم ومنه قول انس كان الرجل اذا قرأ
البقرة وآل عمران جد فينا اى عظم قدره وقال السدى جد ربنا اى امر ربنا وقال الحسن غنى ربنا ومنه
قيل للحظ جد ورجل مجدود اى محظوظ وفى الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيد
والخليل اى ذا الغنى منك الغنى انما تنفعه الطاعة وقال ابن عباس قدرة ربنا وقال الضحاك
فعله وقال القرطبى آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقال الاخفش علا ملك ربنا والاول جميع هذه المعانى
وقرأ وانه تعالى جد ربنا وما بعده الى قوله تعالى وانا منا المسلمون وهى اثنا عشر موضعا ابن عامر وحفص
وحمزة والكسائى بفتح الهمزة فى الجميع والباقون بالكسر + ولما وصفوه بهذا التعالى الاعظم
المستلزم للغنى المطلق والتنزه عن كل شائبة نقص بينوه بنفى ما ينافيه من قولهم ليطابق الدال

ما اتخذ صاحبة اى زوجة لان الصاحبة لابد وان تكون من نوع صاحبها ومن له نوع فهو مركب تركيبا عقليا من صفة مشتركة وصفة مميزة ولا ولدا لان الولد لابد وان يكون جزءا منفصلا عن الوالد ومن له اجزاء فهو مركب تركيبا حسيا ومن المقطوع به ان ذلك لا يكون الا للمحتاج وان الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسي او عقلي قال القشيري ويجوز اطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر في القرآن غير انه لفظ موهم فتجنبه اولى اى لانه قيل انهم عنوا بذلك الجد الذى هو ابو الاب ويكون ذلك من قول الجن قال ابن جعفر الصادق ليس لله تعالى جد وانما قاله الجن للجهالة فلم يؤاخذوا به وقال القرطبي معنى الآية وانه تعالى جد ربنا ان يتخذ ولدا او صاحبة للاستئناس بهما او الحاجة اليهما والرب تعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظراء وانه اى وقالوا ان الشان هذا على قراءة الكسر واما بانه على قراءة الفتح كان يقول اى قولا هو في عراقته في الكذب بمنزلة الجبلة سفيهنا هو للجنس فيتناول ابليس راس الجنس تناولا اوليا وكل من تبعه ممن لم يعرف الله تعالى لان ثمرة العقل العلم وثمرة العلم معرفة الله تعالى فمن لم يعرفه فهو السفيه يقول على الله الذى له صفات الكمال المنافية لقول هذا السفيه شططا اى كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد والشطط والاشتطاط الغلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور وقال الكلبي هو الكذب واصله البعد فعبر به عن الجور لبعده عن العدل وعن الكذب لبعده عن الصدق وانا اى يامعشر المسلمين من الجن ظننا اى حسبنا لسلامة فطرتنا ان اى انه وزادوا في التاكيد فقالوا لن تقول وبدؤا بافضل المنتسبين فقالوا الانس واتبعوهم قرناءهم فقالوا والجن على الله اى الملك الاعلى الذى بيده النفع والضر كذبا اى قولا هو لعراقته في مخالفة الواقع نفس الكذب وانما كنا نظنهم صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحق قيل انقطع الاخبار عن الجن ههنا وانه اى الشان كان رجال اى ذوو قوة وباس من الانس اى النوع الظاهر في عالم الحس يعوذون اى يلتجؤن ويعتصمون خوفا على انفسهم وما معهم اذا نزلوا واديا برجال من الجن اى القبيل المستتر عن الابصار وذلك ان القوم منهم كانوا اذا نزلوا واديا او غيره من القفر تعبث بهم الجن في بعض الاحيان لانه لا مانع لهم منهم من ذكر الله ولا دين صحيح ولا كتاب من الله تعالى صحيح فحملهم ذلك على ان يستجيروا بعظمائهم فكان الرجل يقول عند نزوله اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيبيت في امن وفي جوار منهم حتى يصبح فلا يرى الا خيرا وربما هدوه الى الطريق وردوا عليه ضالته قال مقاتل كان اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن من بنى حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله تعالى وتركوهم وقال كردم بن ابى السائب الانصارى خرجت مع ابى الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعى وقال يا عامر الوادى جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فكان ذلك فتنة للانس

باعتقادهم فی الجن غیر ما هم علیه فتبعوهم فی الضلال وفتنة للجن بان یغتروا بانفسهم ویقولوا سدنا
الانس والجن فیضلوا ویضلوا ولذلک سبب عنه قوله تعالی فَزَادُوهُمْ ای الانس والجن باستعاذتهم
رَهَقًا ای ضیقا وشدة وغشیا نا لجاءهم فیه من احوال الضلال التی یلزم منها الضیق والشدة قال
مجاهد الرهق الاثم وغشیان المحارم ورجل رهق اذا کان کذلک ومنه قوله تعالی وترهقهم ذلة وقال
الاعشی لا شیء ینفعنی من دون رؤیتها * هل یشتفی عاشق ما لم یصب رهقا * یعنی اثما وقال
مجاهد ایضا زادوهم ای ان الانس زادوا الجن طغیانا بهذا التعوذ حتی قالت الجن سدنا الانس و
الجن وقیل لا ینطلق لفظ الرجال علی الجن فالمعنی وانه کان رجال من الانس یعوذون برجال من
الانس من شر الجن فکان الرجل مثلا یقول اعوذ بحذیفة بن بدر من جن هذا الوادی قال القشیری و
فی هذا تحکم اذ لا یبعد اطلاق لفظ الرجل علی الجن * تنبیه قوله تعالی من الانس صفة لرجال وکذا قوله
تعالی من الانس صفة لرجال وکذا قوله من الجن وَأَنَّهُمْ ای الانس ظَنُّوا والظن قد یصیب وقد یخطئ
وهو الاکثر کما ظَنَنْتُمْ ای ایها الجن ویجوز العکس أَنْ مخففة ای انه أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ ای الذی له الاحاطة
الکاملة علما وقدرة أَحَدًا ای بعد موته لما لبس به ابلیس علیهم حتی راوا حسنا ما لبس بالحسن
او احدا من الرسل یزیل به عمایة الجهل وقد ظهر بالقران ان هذا الظن کاذب انه لا بد من البعث وکلام من
قال الجن وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ ای رمنا استراق السمع منها قال الکلبی السماء الدنیا ای التمسنا اخبارها علی ما کان من
عادتنا من استماع ما تقوی به الانس واللمس المس فاستعیر للطلب لان الماس طالب متعرف والمعنی طلبنا
بلوغ السماء واستماع کلام اهلها فَوَجَدْنَاهَا فی وجد وجهان اظهرهما انها متعدیة لواحد لان معناها اصبنا
وصادفنا وعلی هذا فالجملة من قوله مُلِئَتْ فی موضع نصب علی الحال علی اضمار قد والثانی انها
متعدیة لاثنین فتکون الجملة فی موضع المفعول الثانی ویکون حَرَسًا منصوبا علی التمییز نحو
امتلأ الاناء ماء والحرس اسم جمع لحارس نحو خدم لخادم وهم الملائکة الذین یرجمونهم بالشهب و
یمنعونهم من الاستماع ویجمع تکسیرا علی احراس والحارس الحافظ الرقیب والمصدر الحراسة
شَدِيدًا صفة لحرس علی اللفظ ولو جاء علی المعنی لقیل شدادا بالجمع لان المعنی ملئت ملائکة
شدادا کقولک السلف الصالح یعنی الصالحین قال القرطبی ویجوز ان یکون حرسا مصدرا علی
معنی حرست حراسة شدیدة وَشُهُبًا جمع شهاب ککتاب وکتب وهو انقضاض الکواکب المحرقة
لهم المانع لهم عن استراق السمع وَأَنَّا كُنَّا ای فیما مضی نَقْعُدُ مِنْهَا ای السماء مَقَاعِدَ ای
کثیرة قد علمناها لا حرس فیها صالحة لِلسَّمْعِ ای ان نسمع منها بعض ما تتکلم به الملائکة
مما امروا بتدبیره وقد جاء فی الخبر ان صفة قعودهم هو ان یکون الواحد منهم فوق الآخر
حتی یصلوا الی السماء فکانوا یسترقون الکلمة فیلقونها الی الکهان فیزیدون معها الکذب
فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ ای فی هذا الوقت وفیما یستقبل لانهم ارادوا وقت قولهم فقط
يَجِدْ لَهُ ای لاجله شِهَابًا ای شعلة من نار ساطعة تحرقه رَصَدًا ای ارصد به لیرمی به

تنبيه اختلفوا هل كانت الشياطين تقذف قبل البعث او ذلك امر حدث بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة عام وانما كان من اجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي نبئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب قال الزمخشري والصحيح انه كان قبل البعث وقد جاء شعره في اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم * والعير يرهقها الغبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب * ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاحوال فلما بعث صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد قال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم فقال صلى الله عليه وسلم انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى امرا في السماء سبح حملة العرش ثم سبح اهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء فيقول اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سماء حتى ينتهي الخبر الى اهل هذه السماء وهذا يدل على ان هذه الشهب كانت موجودة قال ابن عادل وهذا قول الاكثرين فان قيل كيف تتعرض الجن لاحتراق انفسها بسبب سماع خبر بعد ان صار ذلك معلوما لهم اجيب بان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة قال القرطبي والرصد قيل من الملائكة اي رصدا من الملائكة والرصد الحافظ للشيء والجمع ارصاد وقيل الرصد هو الشهاب اي شهابا قد ارصد له ليرجم به فهو فعل بمعنى مفعول واختلف فيمن قال وَأَنَّا لَا نَدْرِي اي بوجه من الوجوه أَشَرٌّ أُرِيدَ اي بعدم استراق السمع بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ اي المحسن اليهم المدبر لهم رَشَدًا اي خيرا فقال ابن زيد معنى الآية ان ابليس قال لا ندري هل اراد الله بهذا المنع ان ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان يستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم ام اراد ان يؤمنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته علموا انهم منعوا من السماء حراسة للوحي وقيل قالوا لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين اي لما آمنوا اشفقوا ان لا يؤمن كثير من اهل الارض فقالوا انا لا ندري ايكفر اهل الارض بما آمنا به ام يؤمنون قال الجن وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ اي المعرفون في صفة الصلاح قال الجلال المحلي بعد استماع القرآن وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ اي قوم غير صالحين كُنَّا اي

كنا

كونا هو كالجبلة طرائق قددا اى جماعات متفرقين واصنافا مختلفة قال سعيد بن المسيب معنى الآية كنا مسلمين ويهود اونصارى ومجوسا وقال الحسن والسدى الجن امثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة وخوارج وشيعة وسنية وقال ابن كيسان شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كاهواء الناس وقال سعيد بن جبير الوانا شتى وقال ابو عبيدة اصنافا وقيل منا الصالحون ومنا المؤمنون لم يتناهوا فى الصلاح قال القرطبى والاول احسن لانه كان فى الجن من آمن بموسى وعيسى قد اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتورية تنبيه القدد جمع قدة والمراد بها الطريقة واصلها السيرة يقال قدة فلان حسنة اى سيرته وهو من قد السير اى قطعه فاستعير للسيرة المعتدلة قال الشاعر ٭ القابض الباسط الهادى بطاعته ٭ فى فتنة الناس اذ اهواؤهم قدد ٭ وقال لبيد ٭ لم تبلغ العين كل نهمتها ٭ يوم تمشى الجياد بالقدد ٭ والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال ماله قد ولا قحف فالقد اناء من جلد والقحف اناء من خشب وانا ظننا ان لن نعجز الله اى وانا علمنا وتيقنا بالتفكر والاستدلال فى آيات الله انا فى قبضته الملك وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره لما له من الاحاطة بكل شئ علما وقدرة لانه واحد لامثل له تنبيه اطلقوا الظن على العلم اشارة الى ان العاقل ينبغى له ان يتجنب ما يتخيله ضارا ولو بادنى انواع التخيل فكيف اذا تيقن وقولهم فى الارض حال وكذلك هربا فى قولهم ولن نعجزه اى بوجه من الوجوه هربا فانه مصدر فى موضع الحال تقديره لا نفوته كائنين فى الارض او هاربين منها الى السماء فليس لنا مهرب الا فى قبضته فاين ام اسلك بالمهرب وانا لما سمعنا اى من النبى صلى الله عليه وسلم الهدى اى القرآن الذى له من العراقة التامة فى صفة البيان والدعاء الى الخير ما سوغ ان يطلق عليه نفس الهدى آمنا به اى بالله وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم على رسالته وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الانس والجن قال الحسن بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجن ولا من اهل البادية ولا من النساء وذلك لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى وفى الصحيح وبعثت الى الاحمر والاسود اى الانس والجن وفى ارساله الى الملائكة خلاف قدمنا الكلام عليه فمن يؤمن بربه اى المحسن اليه منا ومن غيرنا فلا اى فهو خاصة لا يخاف بخسا ولا رهقا قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد فى سيآته لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان المحارم وانا منا اى الجن المسلمون اى المخلصون فى صفة الاسلام ومنا القاسطون اى الجائرون اى وانا بعد سماع القرآن مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه عدل عن الحق والمقسط العادل الى الحق قسط اذا جار واقسط اذا عدل فقسط الثلاثى بمعنى جار واقسط الرباعى بمعنى عدل وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول فى قال قاسط عادل فقال القوم

ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انما سماني ظالما مشركا
وتلا لهم قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فمن اسلم اي
اوقع الاسلام كله بان اسلم ظاهره وباطنه من الجن وغيرهم فاولئك اي العالو الرتبة تحروا اي توخوا
وتعمدوا واجتهدوا رشدا اي صوابا عظيما وسدادا لما كان عندهم من النقائص شاردا عنهم فعالجوا
انفسهم حتى ملكوه فجعلوه لهم منزلا واما القاسطون اي العريقون في صفة الجور عن الصواب من
الانس والجن فاولئك اهملوا انفسهم فلم يتحروا لها فضلوا فابعدوا عن الطريق القويم فوقعوا
في المهالك التي لا منجى منها فكانوا لجهنم اي النار البعيدة القعر التي تلقاهم بالتجهم والكراهة و
العبوسة حطبا اي توقد بهم النار فهي في اتقاد ما داموا احياء وما دامت تتقد لا يموتون فيستريحون
ولا يحيون فينتعشون تنبيه قوله تعالى فكانوا اي في علم الله عز وجل فان قيل لم ذكروا عقاب القاسطين
ولم يذكروا ثواب المسلمين اجيب بانهم في مقام الترهيب فذكروا ما يحذر وطووا ما يجب للعلم به لان الله لا يضيع
اجر من احسن عملا بل لا بد ان يزيد عليه بسعة اضعافه وعنده المزيد او انهم ذكروه بقولهم تحروا رشدا
اي تحروا رشدا عظيما لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومثل هذا لا يتحقق الا في الثواب فان قيل ان الجن
مخلوقون من النار فكيف يكونون حطبا للنار اجيب بانهم وان خلقوا منها لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية
فيصيرون لحما ودما هكذا قيل وهذا آخر كلام الجن وان في قوله تعالى وان هي المخففة من الثقيلة واسمها
محذوف اي انهم وهو معطوف على انه استمع اي اوحي الي ان الشان العظيم لو استقاموا على الطريقة
اي طريقة الاسلام لاسقيناهم اي بما لنا من العظمة ماء غدقا قالوا من هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم
في الدنيا ولبسطنا لهم في الرزق وضرب الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله في المطر كما قال تعالى ولو ان
اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم الآية وقال تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من
ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم الآية وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية
وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله ويمددكم باموال
وبنين الآية لنفتنهم اي نعاملهم معاملة المختبر بما لنا من العظمة فيه اي في ذلك الماء الذي
تكون عنه انواع النعم لينكشف حال الشاكر والكافر قال الرازي وهذا بعد ما حبس عنهم
المطر سنين اه قال الجلال المحلي سبع سنين وقال عمر رضي الله تعالى عنه اينما كان الماء كان
المال وايما كان المال كانت الفتنة وقال الحسن وغيره كانوا سامعين مطيعين ففتحت عليهم
كنوز كسرى وقيصر ففتنوا بها فوثبوا بامامهم فقتلوه يعني عثمان رضي الله تعالى عنه قال
البقاعي ويجوز ان يكون مستعارا للعلم وانواع المعارف الناشئة عن العبادات التي هي للنفوس
كالنفوس للابدان وتكون الفتنة بمعنى التخليص من الهموم والرذائل في الدنيا والنعم في الآخرة
من فتنت الذهب اذا خلصته من غشه ومن يعرض اي اعراضا مستمرا الى الموت عن ذكر ربه
اي محيا وزاعن عبادة المحسن اليه المربي له الذي لا احسان عنده من غيره وقيل المراد بالذكر

القرآن

القرآن وقيل الوحي وقيل الموعظة نسلكه أي ندخله عذابا يكون مظروفا فيه كالخيط في ثقب الخرزة
في غاية الضيق صعدا أي شاقا شديدا يعلوه ويغلبه ويصعد عليه ويكون كل يوم أعلى مما قبله جزاء
وفاقا وقال ابن عباس هو جبل في جهنم قال الخدري كلما جعلوا أيديهم عليه ذابت وعن ابن عباس أن
المعنى مشقة من العذاب لأن الصعد في اللغة هو المشقة تقول تصعدني الأمر إذا شق عليك ومنه قول
عمر ما تصعدني شيء ما تصعدني في خطبة النكاح يريد ما شق علي وما غلبني والمشي في الصعود يشق وقال
عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم كان صعودها فإذا انتهوا إلى أعلاها حدروا إلى جهنم وقال الكلبي يكلف
الوليد بن المغيرة أن يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء يجذب من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه
بمقامع حتى يبلغ أعلاها ولا يبلغ في أربعين سنة فإذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها ثم يكلف أيضا الصعود
فذلك دأبه أبدا وهو قوله تعالى سأرهقه صعودا وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالياء التحتية على الغيبة
لإعادة الضمير على الله تعالى والباقون بالنون على الالتفات وهذا كما في قوله تعالى سبحان الذي أسرى
بعبده ليلا ثم قال باركنا حوله لنريه من آياتنا واتفقوا على فتح الهمزة في قوله تعالى وأن أي وأوحي إلي أن
المساجد لله أي مختصة بالملك الأعظم والمساجد قيل جمع مسجد بالكسر وهو موضع السجود وقال
الحسن أراد بها كل البقاع لأن الأرض جعلت كلها مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم يقول أينما كنتم
فصلوا وأينما صليتم فهو مسجد وقيل إنه جمع مسجد بالفتح مرادا به الأعضاء الواردة في الحديث
الجبهة والأنف والركبتان واليدان والقدمان وهو قول سعيد بن المسيب وابن جبير والمعنى أن هذه
الأعضاء أنعم الله تعالى بها عليك فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة الله قال عطاء مساجدك أعضاؤك
التي أمرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة أعظم
وذكر الحديث وقال صلى الله عليه وسلم إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب قال ابن الأثير الآراب الأعضاء
وهذا القول اختاره ابن الأنباري وقيل بل جمع مسجد وهو مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع لاختلاف
الأنواع وقال القرطبي المراد بها البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة قال سعيد بن جبير قالت الجن
كيف لنا أن نأتي المساجد ونشهد معك الصلوة ونحن ناؤون عنك فنزلت وأن المساجد
لله أي بنيت لذكر الله تعالى وطاعته وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت
مكة مساجد لأن كل أحد يسجد إليها قال القرطبي والقول بأنها البيوت المبنية للعبادة أظهر
الأقوال إن شاء الله تعالى وهو مروي عن ابن عباس وإضافة المساجد إلى الله تعالى إضافة
تشريف وتكريم وخص منها المسجد العتيق بالذكر فقال تعالى وطهر بيتي وهي وإن كانت
لله ملكا وتشريفا قد تنسب إلى غيره تعريفا قال صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير
من ألف صلوة فيما سواه إلا المسجد الحرام وفي رواية أن صلوة فيه خير من مائة صلوة في مسجدي
هذا قال القرطبي وهذا حديث صحيح وفي حديث سابق صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي لم تضمر
من الثنية إلى مسجد بني زريق ويقال مسجد فلان لأنه حبسه ولا خلاف بين الأمة في تحبيس

المساجد والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك فلا تدعوا اي فلا تعبدوا ايها
المخلوقون مع الله الذي له جميع العظمة احدا وهذا توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله تعالى غيره
في المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر
الله تعالى نبيه والمؤمنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما
او غيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا المساجد لذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله تعالى فيها نصيبا و
في الصحيح من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وقال
الحسن من السنة اذا دخل رجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله تعالى فلا تدعوا مع الله احدا
في ضمنه امر بذكر الله تعالى ودعائه وروى الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل
المسجد قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم عبدك وزائرك وعلى
كل مزور حق وانت خير مزور فاسئلك برحمتك ان تفك رقبتي من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجله
اليسرى وقال اللهم صب على الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل
لي في الارض جدا اي غنى وقرأ وانه نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستئناف والباقون بالفتح اي و
اوحي الي انه لما قام عبد الله اي عبد الملك الاعلى الذي له الجلال كله والجمال فلا موجود يدانيه بل
كل موجود من فائض فضله وعبد الله هو محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن
فان قيل هلا قيل رسول الله او النبي اجيب بان تقديره واوحي فلما كان واقعا في كلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله
ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى تكونوا عليه لبدا ومعنى يدعوه اي يعبده وقال
ابن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا الى الله تعالى فهو في موضع الحال اي موحدا له كادوا
اي قرب الجن المستمعون لقراءته يكونون عليه اي على عبد الله لبدا اي متراكبين بعضهم على بعض من شدة ع
ازدحامهم حرصا على سماع القرآن وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله الضحاك وقال ابن عباس رغبة في
سماع القرآن وروى عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا
سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر وعن ابن عباس ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا
الى قومهم اخبروهم بما رأوا من طاعة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع
والسجود وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس
والجن على هذا الامر ليبطلوه فابى الله تعالى الا ان ينصره ويتم نوره واختار الطبري ان يكون
كادت العرب يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على اطفاء النور الذي جاء به و
قرأ هشام بضم اللام والباقون بكسرها فالاولى جمع لبدة بضم اللام نحو غرفة وغرف وقيل بل
هو اسم مفرد صفة من الصفات وعليه قوله تعالى مالا لبدا واما الثانية فجمع لبدة بالكسر نحو
قربة وقرب واللبد واللبدة الشيء الملبد اي المتراكب بعضه على بعض ومنه لبدة الاسد كقول زهير

لدى

الذي اسد شاكي السلاح مقذف * له لبد اظفاره لم تقلم * ومنه اللبد لتلبد بعضه فوق
بعض * ولما قال كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وقد عاديت
الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك قل صلى الله عليه وسلم مجيبا لهم انما ادعوا ربي اي الذي
اوجدني ورباني ولا نعمة عندي الا منه وحده لا ادعو غيره حتى تعجبوا مني ولا اشرك به اي الان
ولا في مستقبل الزمان بوجه من الوجوه احدا من ود وسواع ويغوث ويعوق وغيرها من الصامت والناطق
وقرأ عاصم وحمزة قل بصيغة الامر التفاتا اي قل يا محمد والباقون قال بصيغة الماضي والخبر اخبارا عن
عبد الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال الجعبري وهي في المصحف كذلك وقد تقدم لذلك نظائر في قل
سبحان ربي في اخر الاسراء وكذا في اول الانبياء واخرها واخر المؤمنين قل اي يا اشرف الخلق لهؤلاء الذين
خالفوك اني لا املك لكم اي الان ولا بعده بنفسي من غير اقدار الله تعالى لي ضرا ولا رشدا اي لا اقدر
ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق اليكم خيرا وقيل لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى لانه لا يؤثر شيء
من الاشياء الا الله تعالى وانما علي البلاغ وقيل الضر الموت والرشد الحيوة قل اي لهؤلاء اني واسناد
لتأكيد لان ذلك في غاية الاستقرار في النفوس ثم قال لن يجيرني اي فيدفع عني ما يدفع المجير عن جاره
من الله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه احد اي كائن من كان ان ارادني سبحانه بسوء ولن اجد اي
اصلا من دونه اي الله تعالى ملتحدا اي معدلا وموضع ميل وركون ومدخلا وملتجأ وحيلة وان اجتهدت
كل الجهد والملتحد الملجأ واصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقوله الا بلاغا فيه اوجه احدها
انه استثناء منقطع اي لكن ان بلغت عن الله فهو يجيرني لان البلاغ عن الله لا يكون داخلا تحت قوله ولن اجد
من دونه ملتحدا لانه لا يكون من دون الله بل يكون من الله تعالى وباعانته وتوفيقه الثاني انه
متصل وتأويله ان الاستجارة مستعارة من البلاغ اذ هو سببها وسبب رحمته تعالى والمعنى
لن اجد شيئا اميل اليه واعتصم به الا ان ابلغ واطيع فيجيرني واذا كان متصلا جاز نصبه من وجهين
ارجحهما ان يكون بدلا من ملتحدا لان الكلام غير موجب وهو اختيار الزجاج الثاني انه
منصوب على الاستثناء الثالث انه مستثنى من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما
بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة وقوله من الله اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما فيه
وجهان احدهما ان من بمعنى عن لان بلغ يتعدى بها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الا بلغوا عني
والثاني انه متعلق بمحذوف على انه صفة لبلاغا قال الزمخشري من ليست بصلة للتبليغ وانما
هي بمنزلة من في قوله تعالى براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله وقوله ورسالاته فيه وجهان
احدهما انه منصوب نسقا على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات ولم يقل
الزمخشري غيره والثاني انه مجرور نسقا على الجلالة اي الا بلاغا عن الله تعالى وعن رسالاته
كذا قدره ابو حيان وجعله هو الظاهر ويجوز فيه جعل من بمعنى عن والنحويون يأبون ذلك في الحروف ومذهب
كوفي ومع ذلك فغير منقاس عندهم ومن يعص الله اي الذي له العظمة كلها ورسوله الذي

ختم به النبوة والرسالة فجعل رسالته محيطة بجميع المال فى التوحيد وغيره على سبيل الجمع فان له
اى خاصة نار جهنم اى التى تلقاه بالعبوسة والغيظ وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الها
فى له والمعنى مقدر خلودهم والعامل الاستقرار الذى تعلق به هذا الجار وحمل على معنى من فعل ذلك
فوحد اولا للفظ وجمع للمعنى واكد بقوله تعالى فيها ردا على من يدعى الانقطاع قال البقاعى واما من
يدعى انها لا تحرق وان عذابها عذوبة فليس احد احق منه الا من تابعه على ضلاله وغيه ومحاله
وليس لهم دواء الا السيف فى الدنيا والعذاب فى الآخرة بما سمعوه عذوبة وهم صائرون اليه موقوفون
عليه وحتى فى قوله تعالى حتى اذا رأوا ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها اى لا يزالون على كفرهم
الى ان يروا ما يوعدون من العذاب فى الآخرة او فى الدنيا كوقعة بدر فسيعلمون اى فى ذلك اليوم
بوعده لا خلف فيه من اضعف ناصرا اى من جهة الناصر انا وان كنت فى هذا الوقت وحيدا مستضعفا
اوهم واقل عددا وانكانوا الآن بحيث لا يحصيهم عدد الا الله تعالى فيا لله يا لعظم كلام الرسل حيث
يستضعفون انفسهم ويذكرون قوتهم من جهة مولاهم الذى بيده الملك وله جنود السموات والارض
بخلاف الجبابرة فانهم لا كلام لهم الا فى تعظيم انفسهم وازدراء غيرهم قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى
حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحرث متى يكون هذا الذى توعدنا
به قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اى لهؤلاء فى جوابهم بانا اتهم العذاب سالوا استهزاء عن وقت
وقوعه ان اى ما ادرى بوجه من الوجوه اقريب ما توعدون اى يكون الآن او قريبا من هذا الاوان
بحيث يتوقع عن قرب وقوله ام يجعل اى ام بعيد يجعل له اى هذا الوعد ربى اى المحسن الى ان قدمه او
اخره امدا اى اجلا مضروبا فلا يتوقع دون ذلك الامد فهو فى كل حال متوقع فكونوا على غاية الحذر لانه
لا بد من وقوعه لا كلام فيه وانما الكلام فى تعيين وقته وليس الى فان قيل اليس انه صلى الله عليه
وسلم قال بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا ادرى اقريب
ام بعيد اجيب بان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقى من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب
معلوم فاما معرفة مقدار القرب المرتب فعدم ذلك فغير معلوم تنبيه اقريب خبر مقدم و
ما توعدون مبتدأ مؤخر ويجوز ان يكون قريب مبتدأ لاعتماده على الاستفهام وما
توعدون فاعل به اى اقريب الذى توعدون نحو اقائم ابواك وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح
الياء والباقون بسكونها وقوله تعالى عالم الغيب بدل من ربى او بيان او خبر مبتدأ مضمر اى هو
عالم الغيب كله وهو ما لم يبرز الى عالم الشهادة فهو مختص بعلمه سبحانه فلذلك سبب عنه قوله تعالى
فلا يظهر اى بوجه من الوجوه فى وقت من الاوقات على غيبه الذى غيبه عن غيره فهو
مختص به احدا لعزة علم الغيب ولانه خاصة الملك الا من ارتضى وقوله تعالى من رسول
تبيين لمن ارتضى اى الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب تارة يكون ع
ذلك الرسول ملكا وتارة يكون بشرا وتارة يظهره على ذلك بواسطة ملك وتارة بغير واسطة ٢٠

كموسى عليه السلام في اوقات المناجات ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في العالم الاعلى في حضرت قاب قوسين او ادنى وقال القرطبي المعنى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يظهرهم على مايشاء من غيبه لان الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الاخبار عن بعض المغيبات كما ورد في التنزيل في قوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وقال الزمخشري في هذه الآية ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا رسلا وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيها ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شئ من الارتضاء وادخله في السخط اه وانكار الكرامات مذهب المعتزلة واما مذهب اهل السنة فيثبتونها فانه يجوز ان يلهمهم الله تعالى بعض ما يقع لبعض الوقائع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان فيمن قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبياء وان يكن في امتي احد فانه عمر اخرجه البخاري قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي منهم احد فان عمر بن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات الاولياء فان قيل لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي من غيرها اذ هي الطريق الى معرفة الرسول من غيره اجيب بان معجزة النبي امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقترن بالتحدي ولا يجوز للولي ان يدعي خرق العادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة واما الكهانة وما شابهها فقال القرطبي ان العلماء قالوا لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فاعلمهم بما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ومن يضرب بالحصا وينظر في الكواكب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلماء وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها الف انسان مختلفي الاحوال والرتب فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغني والفقير والكبير والصغير مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة فان قال قائل انما اغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فائدة اذا في عمل المواليد ولا دلالة فيها على شقي وسعيد ولم يبق الا معاندة القرآن الكريم ولقد احسن القائل

حكم المنجم ان طالع مولدي + يقضي علي بميتة الغرق + قل للمنجم صبحة الطوفان هل + ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لعلي رضي الله عنه لما اراد لقاء الخوارج تلقهم والقمر في العقرب فقال فاين قمرهم

وكان ذلك فى آخر السنة فانظر الى هذه الكلمة التى اجاب بها وما فيها من المبالغة فى الرد على من يقول بالنجم وقال له مسافر بن عوف يا امير المؤمنين لا تسر فى هذه الساعة وسر بعد ثلاث ساعات تمضين من النهار فقال له على ولم قال له انك ان سرت فى هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك بلاء وضر شديد وان سرت فى الساعة التى امرتك بها ظهرت وظفرت واصبت ما طلبت فقال على ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ثم قال فمن صدقك فى هذا القول لم آمن عليه ان يكون اتخذ من دون الله ندا او ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير فى الساعة التى تنهانا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر فى النار والمنجم كالساحر والساحر فى النار والله لئن بلغنى انك تنظر فى النجوم او تعمل بها لاخلدنك فى الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ما كان لى سلطان ثم سافر فى الساعة التى نهاه عنها فلقى القوم فقتلهم وهى وقعة النهروان الثابتة فى صحيح مسلم ثم قال لو سرنا فى الساعة التى امرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال انما كان ذلك بتنجيمى ما لمحمد منجم وما لنا بعده وقد فتح الله تعالى علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفى عمن سواه فَإِنَّهُ اى الله سبحانه يظهر ذلك الرسول على ما يريد من ذلك الغيب وذلك انه اذا اراد اظهاره عليه يَسْلُكُ اى يدخل ادخال السلك فى الجوهرة فى تقومه ونفوذه من غير ادنى تعويج الى غير المراد مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ اى الجهة التى يعلمها ذلك الرسول وَمِنْ خَلْفِهِ اى الجهة التى تغيب عن علمه فصار ذلك كناية عن كل جهة قال البقاعى ويمكن ان يكون ذكر الجهتين دلالة على الكل وخصهما لان العدو متى اعرضت واحدة منهما اتى منها ومتى حفظنا لم يأت من غيرهما لانه يصير بين الاولين والآخرين رَصَدًا اى حرسا من جنوده يحرسونه ويحفظونه من الشياطين ان يسترقوا السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن ان يسمعوا الوحى فيلقوه الى الكهنة قبل الرسول فيطرح وكلام عنه ويعصمونه من وساوسهم حتى يبلغ ما يوحى اليه وقال مقاتل وغيره كان الله اذا بعث رسولا اتاه ابليس فى صورة ملك يخبر فيبعث الله تعالى من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين فاذا جاءه شيطان فى صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره واذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك وعن الضحاك ما بعث نبى الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك لِيَعْلَمَ اى الله علم ظهور كقوله تعالى حتى نعلم المجاهدين اَنْ مخففة من الثقيلة اى انه قَدْ اَبْلَغُوا اى الرسل رِسٰلٰتِ رَبِّهِمْ وحد اولا على اللفظ فى قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله تعالى فان له نار جهنم خالدين فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هى محروسة من الزيادة والنقصان وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان جبريل قد بلغ رسالات ربه وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم وَاَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ اى بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شئ ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها وَاَحْصٰى

أي الله سبحانه وتعالى كل شيء أي من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحر وغير ذلك عددًا ولو على أقل مقادير الذر فيما لم يزل وفيما لا يزال فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وقال ابن جبير رضي الله عنه ليعلم الرسل أن ربهم قد أحاط بما لديهم فيبلغوا رسالاته تنبيه هذه الآية تدل على أنه تعالى عالم بالجزئيات وبجميع الموجودات وعددًا يجوز أن يكون تمييزًا منقولًا من المفعول به والأصل أحصى عدد كل شيء كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيونًا أي عيون الأرض وأن يكون منصوبًا على الحال أي وضبط كل شيء معدودًا محصورًا وأن يكون مصدرًا في معنى الإحصاء وقول البيضاوي تبعًا للزمخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدًا وكذب به عتق رقبة حديث موضوع

سورة المزمل مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس رضي الله عنهما إلا آيتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي وقال الثعلبي إن ربك يعلم أنك تقوم إلى آخر السورة فإنه نزل بالمدينة وهي تسع عشرة أو عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفًا بسم الله الذي من توكل عليه كفاه في جميع الأحوال الرحمن الذي عم بنعمة الإيجاد المهتدي والضال الرحيم الذي خص به السداد في الأفعال والأقوال وقوله تعالى يا أيها المزمل أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي يقال تزمل يتزمل تزملًا فإذا أريد الإدغام قلبت همزة الوصل وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة أقوال الأول قال عكرمة يا أيها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وعنه يا أيها الذي زمل هذا الأمر أي حمله ثم فتر والثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما يا أيها المزمل بالقرآن والثالث قال قتادة رضي الله عنه يا أيها المزمل بثيابه قال النخعي كان متزملًا بقطيفة عائشة بمرط طوله أربعة عشر ذراعًا قالت عائشة رضي الله عنها كان نصفه علي وأنا نائمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي والله ما كان خزًا ولا قزًا ولا مرعزى ولا إبريسمًا ولا صوفًا كان سداه شعرًا ولحمته وبرًا ذكره الثعلبي ولحمة الثوب بفتح اللام وضمها والفتح أفصح ولحمة النسب كذلك والضم أفصح ولحمة البازي بالضم لا غير لأنها كاللقمة قال القرطبي وهذا القول من عائشة رضي الله عنها يدل على أن السورة مدنية فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها إلا بالمدينة والقول بأنها مكية لا يصح وقال الضحاك تزمل لمنامه وقيل بلغه من المشركين قول سوء فيه فاشتد عليه فتزمل وتدثر فنزلت يا أيها المزمل ويا أيها المدثر وقيل كان هذا في ابتداء ما أوحي إليه فإنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحي في غار حراء رجع إلى خديجة رضي الله عنها زوجته يرجف فؤاده فقال زملوني لقد خشيت على نفسي أي أن يكون هذا مبادئ شعر وكهانة وكل ذلك من الشيطان أو أن يكون الذي ظهر له بالوحي ليس الملك وكان صلى الله عليه وسلم يبغض الشعر والكهانة غاية البغضة فقالت له وكانت وزيرة صدق

رضي الله تعالى عنها كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتعين
على نوائب الحق ونحو هذا من الكمال الذي يثبت وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في الليل
متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن تلك الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته فقيل له
يا ايها المزمل قم الليل اي الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر فصل لنا في كل ليلة من هذا الجنس
وقف بين يدينا بالمناجاة والانس بما انزل عليك من كلامنا فانا نريد اظهارك واعلاء قدرك في البر
والبحر والسر والجهر وقيام الليل في الشرع معناه الصلوة فلذا لم يقيده وهي جامعة لانواع
الاعمال الظاهرة والباطنة وهي عمادها فذكرها دال على اعتمادها ولما كان للبدن حظ
في الراحة قال تعالى مستثنيا من الليل الا قليلا اي من كل ليلة فان الاشتغال بالنوم فعل من
لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة وكائن تخطت ناقتي من مفازة ومن نائم عن ليلها متزمل
يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق و
المتاعب ونحوه سهل اذا ما نام ليل الهوجل ومن امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل
فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد
وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة
وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيما في وجوههم وترامى
امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقال الكلبي انما تزمل صلى الله عليه وسلم بثيابه ليتهيأ
للصلوة وهو اختيار الفراء فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين للحالة التي كان عليها
وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عكرمة رضي الله عنه ان المعنى يا ايها الذي زمل
امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل قال البغوي قال الحكماء كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم في اول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي والرسول وقال السهيلي ليس المزمل
من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في اسمائه صلى الله عليه
وسلم وانما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب كذلك المدثر وفي خطابه بهذا
الاسم فائدتان احدهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه
باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب فاطمة
رضي الله تعالى عنهما فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم يا ابا تراب اشعارا له بانه غير
عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة قم يا نومان وكان نائما ملاطفة له
واشعارا بترك العتب والتأنيب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل قم تأنيس
له وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لان
يتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من

عن ذلك العمل في النصف بتلك الصفة والليل مدة من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال القرطبي واختلف
هل كان قيامه فرضا او نفلا والدلائل تقوي ان قيامه كان فرضا لان المندوب لا يقع على بعض الليل دون
بعض لان قيامه ليس مخصوصا بوقت دون وقت واختلف هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم
وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبياء او عليه وعلى امته على ثلاثة اقوال الاول قول سعيد بن جبير
رضي الله عنه لتوجه الخطاب اليه الثاني قول ابن عباس رضي الله عنهما قال كان قيام الليل فريضة على النبي
صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله الثالث قول عائشة وابن عباس رضي الله عنهم ايضا انه كان فرضا عليه
وعلى امته لما روى مسلم ان هشام بن عامر قال لعائشة رضي الله عنها انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت الست تقرأ يا ايها المزمل فقلت بلى فقالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا وامسك الله عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى انزل الله
عز وجل في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقيل عسر عليهم تمييز القدر الواجب
فقاموا الليل كله وشق عليهم فنسخ بقوله تعالى آخرها فاقرؤا ما تيسر من القرآن وكان بين الوجوب والنسخ سنة
وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة وروى وكيع ويعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
لما نزلت يا ايها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها وكان بين نزول اولها
وآخرها نحوا من سنة وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه مكث النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
عشر سنين يقومون الليل فنزلت بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من
ثلثي الليل فخفف الله تعالى عنهم وقيل كان قيام الليل واجبا ثم نسخ بالصلوات الخمس والصحيح
انه صلى الله عليه وسلم بعث يوم الاثنين في رمضان وهو ابن اربعين سنة وقيل ثلاث واربعين
وامنت به خديجة رضي الله عنها ثم بعدها قيل علي رضي الله عنه وهو ابن تسع سنين وقيل ابن
عشر وقيل ابو بكر وقيل زيد بن حارثة ثم امر بتبليغ قومه بعد ثلاث من مبعثه فاول ما فرض
عليه صلى الله عليه وسلم بعد الانذار والدعاء الى التوحيد من قيام الليل ما ذكر في اول السورة
ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء الى بيت المقدس بمكة
بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة اشهر ليلة سبع وعشرين من رجب هذا ما ذكره النووي
في روضته وقال في فتاويه بعد النبوة بخمس او ست وجعل الليلة من ربيع الاول وخالفهما
في شرح مسلم وجزم بانها من ربيع الآخر وقلد فيها القاضي عياضا والذي عليه الاكثر ما
في الروضة واستمر يصلي الى بيت المقدس مدة اقامته بمكة وبعد الهجرة ستة عشر شهرا
او سبعة عشر ثم امر باستقبال الكعبة ثم فرض الصوم بعد الهجرة بسنتين تقريبا وفرضت
الزكوة بعد الصوم وقيل قبله وفي السنة الثانية قيل في نصف شعبان وقيل في رجب
حولت القبلة وفيها فرضت صدقة الفطر وفيها ابتدأ صلى الله عليه وسلم صلوة عيد الفطر ثم
عيد الاضحى ثم فرض الحج سنة ست وقيل سنة خمس ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة الا حجة

الوداع واعتمر اربعا وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الاول
سنة احدى عشرة من الهجرة + فائدة + الانبياء عليهم الصلوة والسلام كلهم معصومون
قبل النبوة من الكفر وفي المعاصي خلاف وبعدها من الكبائر وكذا من الصغائر ولو سهوا عند المحققين
وقوله تعالى نِصْفَهُ بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل اَوِ انْقُصْ مِنْهُ اي من النصف قَلِيْلاً اي الى الثلث
اَوْ زِدْ عَلَيْهِ اي على النصف الى الثلثين واو للتخيير فكان صلى الله عليه وسلم مخيرا بين هذه المقادير الثلاثة
وكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب وكذا بعض اصحابه واشتد ذلك
عليهم حتى انتفخت اقدامهم وقد تقدم ان ذلك نسخ بايجاب الصلوات الخمس فصار قيام الليل تطوعا فينبغي
للمتعبد المواظبة عليه خصوصا في الوقت الذي يرى الله تعالى بالتجلي فيه فانه صح انه ينزل سبحانه تعالى
عن ان تشبه ذاته شيئا او نزوله نزول غيره بل هو كناية عن فتح باب السماء الذي هو كناية عن وقت استجابة الدعاء
حتى يبقى ثلث الليل وفي رواية حتى يبقى شطر الليل الآخر الى سماء الدنيا فيقول سبحانه هل من سائل فاعطيه
هل من تائب فاتوب عليه هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر ولما امر بالقيام وقدر وقته وعينه امر بهيئة
التلاوة التي هي روح الصلوة على وجه عام فقال تعالى وَرَتِّلِ الْقُرْاٰنَ اي اقرأه على ترسل وتؤدة وتبيين
حروفه واشباع حركاته بحيث يتمكن السامع من عدها ويجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج
المشبه بنور الاقحوان وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه شر السير
الحقحقة وشر القراءة الهذرمة وقال ابن مسعود رضي الله عنه ولا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ
الشعر لكن قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب لا يكن هم احدكم آخر السورة وقوله تعالى تَرْتِيْلاً تاكيد
في الامر به وانه لا بد منه للقارئ وعن ابن عباس رضي الله عنهما اقرأ على هينتك ثلاث آيات او اربعا
او خمسا وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وسئلت عائشة رضي الله عنها
عن قراءته صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفها لعدها وسئل
انس رضي الله عنه كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن
الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وجاء رجل الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال قرأت
المفصل الليلة في ركعة فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التي كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين في ركعة وروى الحسن رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ اية ويبكي فقال الم تسمعوا الى قول الله عز وجل وَرَتِّلِ
الْقُرْاٰنَ تَرْتِيْلاً هذا الترتيل وروى ابو داود عن عبد الرحمن بن عوف قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف في اول درج الجنة ويقال له اقرأ وارق ورتل كما
كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها وندب لسامع اليها بكاء عند القراءة و
تحسين صوت بها وتعوذ بها جهرا واعادته لنفسه طورا وجلوس لها واستقبال وتدبر وتخشع وكره

بفم نجس وجاز بحمام وهي نظرا في المصحف افضل منها على ظهر قلب ثم ان زاد خشوعه وحضور قلبه في القراءة عن ظهر قلب فهي افضل في حقه وهي افضل من ذكر لم يخص بمحل وحرم توسد مصحف وندب كتبه وايضاحه ونقطه وشكله ويحرم كتبه بنجس ومسه بنجس غير معفو عنه وتحرم القراءة بالشواذ وهي ما نقل احادا او بعكس الاي وكره العكس في السور الا في تعليم وندب ختم القرآن اول نهار او اول الليل وختمه في الصلوة افضل من ختمه خارجها وندب صيام يوم الختم الا ان يصادف يوما نهى الشرع عن صيامه وندب الدعاء بعده وحضوره والشروع بعده في ختمة اخرى وندب كثرة تلاوته ونسيانه كبيرة وكذا نسيان شئ منه ويحرم تفسيره بلا علم ﴿إِنَّا﴾ اي بما لنا من العظمة ﴿سَنُلْقِي﴾ اي بوعد لا خلف فيه ﴿عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ اي قرآنا واختلف في معنى قوله تعالى ﴿ثَقِيلًا﴾ فقال قتادة رضي الله عنه ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد رضي الله عنه حلاله وحرامه وقال محمد بن كعب رضي الله عنه ثقيلا على المنافقين لانه يهتك اسرارهم ويبطل اديانهم وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم وسب الهتهم قال السدي رضي الله عنه ثقيلا بمعنى كريم ماخوذ من قولهم فلان ثقل علي اي كرم علي وقال الفراء ثقيلا اي رزينا وقال الحسن بن الفضل ثقيلا اي لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الميزان يوم القيامة وقيل ثقيلا اي ثابت كثبوت الثقيل في محله ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه ابدا وقيل ثقيلا بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقهاء بحثوا في احكامه وكذا اهل اللغة والنحو وارباب المعاني ثم لا يزال كل متاخر يفوز منه بفوائد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله فصار كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله والاولى ان تحمل هذه المعاني كلها فيه وقيل المراد هو الوحي كما جاء في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها اي صدرها على الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه وعن الحرث بن هشام انه سال النبي صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد وقوله فيفصم عني اي ينفصل عني ويفارقني وقد وعيت اي حفظت ما قال وقال القشيري القول الثقيل هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة على الميزان وقال الزمخشري هذه الآية اعتراض ثم قال واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه اه فالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة وذلك ان قوله تعالى ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ اي القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ اي موافقة

السمع للقلب على تفهم القرآن هي اشد مطابق لقوله قم الليل فكانه شابه الاعتراض من حيث تخلله
بين هذين المناسبين والمعنى سنلقي عليك بافتراض صلوة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام
فمن امر بقيام اكثره لم يتهيأ له ذلك الا بحمل مشقة شديدة على النفس ومجاهدة الشيطان فهو امر
ثقيل على العبد ولما كان التهجد يجمع القول والفعل وبين ما في الفعل لانه اشق فكان بتقديم الترغيب
بالمدح احق اتبعه القول فقال واقوم قيلا اى اعظم سدادا من جهة القيل في فهمه ووقعه في القلوب
لحضور القلب لان الاصوات هادية والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه وقال قتادة ومجاهد رضي
الله عنهم اصوب للقراءة واثبت للقول لانه زمان التفهم لرياقة الليل بهدو الاصوات وتجلي الرب سبحانه
بحصول البركات واخلص من الرياء فبين الله تعالى بهذه الآية فضل صلوة الليل على صلوة النهار وان
الاستكثار من صلوة الليل بالقراءة فيها ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب كان علي بن الحسين رضي الله عنه
يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هو ناشئة الليل وقال عطاء وعكرمة رضي الله عنهم هو بدء الليل وقال
في الصحاح ناشئة الليل اول ساعاته وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لانه ينشأ بعد
النهار وهو اختيار مالك قال ابن عربي هو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة وقالت عائشة و
ابن عباس ايضا ومجاهد رضي الله عنهم انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ومن قام قبل النوم فما قام ناشئة
وقال يمان بن كيسان هو القيام من آخر الليل واما قوله تعالى اشد وطأ اى اثقل على المصلي من ساعات النهار
لان الليل وقت منام وراحة فاذا قام الى صلوة الليل فقد تحمل المشقة العظيمة هذا على قراءة كسر الواو
وفتح الطاء وبعدها الف ممدودة وهمزة منونة وهي قراءة ابي عمرو وابن عامر وقرأ الباقون بفتح الواو
وسكون الطاء وبعدها همزة منونة فهي مصدر واطأت وطأ ومواطأة اى وافقت على الامر من الوفاق
تقول فلان يواطئ اسمه اسمي اى يوافقه فالمعنى اشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع
الاصوات والحركات قاله مجاهد وغيره قال تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر وقيل اشد مهادا للتصرف في الفكر والتدبر
وقيل اشد ثباتا من النهار فان الليل يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك اثبت للعمل والوطء
الثبات تقول وطئت الارض بقدمي وفي الجملة عبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة
وابلغ في الثواب إِنَّ لَكَ اى ايها المتهجد او يا اكرم الخلق ان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم فِي النَّهَارِ الذي هو محل السعي في مصالح الدنيا سَبْحًا طَوِيلًا اى تصرفا وتقلبا واقبالا
وادبارا في حوائجك واشغالك والسبح مصدر سبح استعير للتصرف في الحوائج من السباحة
في الماء وهي البعد فيه وقال القرطبي السبح الجري والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه
بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري وقيل السبح الفراغ اى ان لك فراغا لحاجات النهار
وعن ابن عباس رضي الله عنهما سبحا طويلا يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك فاجعل ناشئة الليل
لعبادتك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ

اى المحسن اليك والموجد والمدبر لك بكل ما يكون ذكرا من اسم وصفة وثناء وخضوع وتسبيح وتحميد وصلوة وقراءة ودعاء واقبال على علم شرعى ادب مرعى دم على ذلك فى ليلك ونهارك واحرص عليه فاذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى بالتوحيد والاخلاص وذلك عون لك على مصالح الدارين اما الآخرة فواضح واما الدنيا فقد ارشد النبى صلى الله عليه وسلم اعز الخلق عليه فاطمة ابنته رضى الله تعالى عنها لما سالته خادما يقيها التعب الى التسبيح والتحميد والتكبير عند النوم وتبتل اى اجتهد فى قطع نفسك عن كل شاغل والاخلاص فى جميع اعمالها بالتدريج قليلا قليلا منتهيا اليه ولا تزل على ذلك حتى يصير ذلك لك خلقا فتكون نفسك كانها منقطعة بغير قاطع وقوله تعالى تبتيلا مصدر تبتل جئ به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتيل قال الزمخشرى فان قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لان معنى تبتل بتل نفسه فجئ به على معناه مراعاة لحق الفواصل اھ والتبتيل الانقطاع ومنه امرأة بتول اى منقطعة عن النكاح وفى الحديث انه نهى عن التبتل وقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة اى مؤن النكاح فليتزوج والمراد به فى الآية الكريمة الانقطاع الى عبادة الله تعالى كما مرت الاشارة اليه دون ترك النكاح والتبتل فى الاصل الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله ابن عرفة وقال ابن العربى هذا فيما مضى واما اليوم فقد مرجت عهود الناس وخفت اماناتهم واستولى الحرام على الحطام فالعزلة خير من الخلطة والعزبة افضل من التاهل ولكن معنى الآية وانقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله تعالى وكذلك قال له احمد رضى الله عنه معناه اخلص له العبادة ولم يرد التبتيل فصار التبتل مامورا به فى القرآن منهيا عنه فى السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهى فلا يتناقضان وانما بعث لتبيين ما انزل اليهم فالتبتل المامور به الانقطاع الى الله تعالى باخلاص العبادة كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهى عنه هو سلوك مسلك النصارى فى ترك النكاح والترهب فى الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن + ولما كان الواجب على كل احد شكر المنعم بين سبحانه الذى انعم بسكن الليل الذى امرنا بالتهجد فيه ومنتشر النهار الذى امرنا بالتسبيح فيه فقال تعالى رب المشرق اى موجد محل الانوار التى بها ينجلى هذا الليل الذى انت قائم فيه ويضئ بها الصباح وعند الصباح يحمد القوم السرى قال العلامة تقى الدين بن دقيق العيد + كم ليلة فيك وصلنا السرى + لا نعرف الغمض ولا نستريح + واختلف الاصحاب ماذا الذى + يزيل من شكواهم او يريح + فقيل تعريسهم ساعة + وقلت بل ذكراك وهو الصحيح + والمغرب اى الذى يكون عنده الليل الذى هو موضع السكون ومحل الخلوات ولذيذ المناجاة فلا تغرب شمس ولا قمر ولا نجم الا بتقديره لا اله اى لا معبود بحق الا هو اى ربك الذى دلت تربيته لك على مجامع العظمة واتهى صفات الكمال والتنزه عن كل شائبة نقص وقرب

ابن عامر وابو عمرو وحمزة والكسائى بكسر الباء على البدل من ربك وعن ابن عباس رضى الله عنهما
على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول لا احد فى الدار
الا زيد والباقون برفعها على انه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره لا اله الا هو فاتخذه اى
خذه بجميع جهدك وذلك بافرادك اياه بكونه وكيلا اى على كل من خالفك بان تفوض جميع
امورك اليه فانه يكفيكها كلها فانه المنفرد بالقدرة عليها ولا شئ فى يد غيره فلا تهتم لشئ اصلا
قال البقاعى وليس ذلك بان يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بالاجمال فى طلب كل
ما ندب الانسان الى طلبه لا بان يكون متوكلا فى السبب لا من دون سبب فانه يكون حينئذ كمن يطلب الولد
من غير زوجة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الاسباب ولم يكن فى افراده بالوكالة الا انه يفاد
الوكالة بالعظمة والشرف والرفق من جميع الوجوه فان وكيلك من الناس دونك وانت تتوهم ان يكلك
كثيرا فى مصالحك وربك اعظم العظماء وهو يأمرك بان تكله كثيرا فى مصالحك وتسأله طويلا ووكيلك
من الناس اذا حصل مالك سألك الاجرة وهو سبحانه يوفر مالك ويعطيك الاجر ووكيلك من الناس
ينفق عليك من مالك وهو سبحانه يرزقك وينفق عليك من ماله ومن تمسك بهذه الآية عاش حرا
كريما ومات خالصا شريفا ولقى الله تعالى بعمل صاف فاختطا راتبيا ومن شرط الموحد ان يتوجه الى الواحد
ويقبل عليه ويبذل له نفسه ويفوض اليه امره ويترك التدبير ويثق به ويركن اليه ويتذلل للربوبية ويتواضع
لعظمته واصبر على ما يقولون اى المخالفون المفهومون من الوكالة من الاذى والسب والاستهزاء ولا تجزع
من قولهم ولا تمتنع من دعائهم وفوض امرهم الى فانا اذا كنت وكيلا لك اقوم باصلاح امرك احسن من قيامك
بامور نفسك واهجرهم اى اعرض عنهم هجرا جميلا اى لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم فان ذلك ترك
للانتصار الى الله تعالى وكان هذا قبل الامر بالقتال فانه صلى الله عليه وسلم منع فى اول
الاسلام من قتال الكفار وامره واصحابه بالصبر على اذاهم بقوله تعالى لتبلون فى اموالكم
الآية ثم امر به اذا ابتدؤا بقوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ثم ابيح له
ابتداؤه فى غير الاشهر الحرم ثم امر به مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى واقتلوهم
حيث ثقفتموهم وذرنى اى اتركنى والمكذبين اى لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك
الا ان تخلى بينى وبينهم بان تكل امرهم الى وتستكفينيه فان فى ما يفرغ بالك ويجلى همك
وليس ثم مانع حتى تطلب اليه ان تذره واياه الا تركك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكل
اليه امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق
بانه يتمكن من الوفاء باقصى ما تدعو اليه امنية المخاطب مما يزيد عليه واختلف فى سبب
نزول هذه الآية فقال مقاتل نزلت فى المطعمين يوم بدر وهم عشرة فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا
ببدر وقال يحيى بن سلام انهم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنا عشر رجلا
وقال البغوى نزلت فى صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين وقوله تعالى اولى النعمة

نعت للمكذبين اي اصحاب التنعم والترفه × فائدة × النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم
المسرة ﴿ومهلهم﴾ اي اتركهم برفق وتأن وتدريج ولا تهتم بشأنهم وقوله تعالى ﴿قليلا﴾ نعت لمصدر
اي تمهيلا قليلا او لظرف زمان محذوف اي زمانا قليلا فقتلوا بعد يسير ببدر وقوله تعالى ﴿ان لدينا
انكالا﴾ جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل الذي لا ينفك ابدا وقال الكلبي اغلالا من حديد ﴿وجحيما﴾ اي
نارا حامية جدا شديدة الاتقاد مما كانوا يتقيدون به من تبديد الشرائع والتنعم برقيق اللباس وتكلف
انواع الراحة ﴿وطعاما ذا غصة﴾ اي يغص به في الحلق وهو الزقوم او الضريع او الغسلين او شوك من نار لا يخرج ولا ينزل
﴿وعذابا اليما﴾ اي مؤلما ومعنى الآية ان لدينا في الآخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وهي هذه الامور
الاربعة النكال والجحيم والطعام الذي يغص به والعذاب الاليم والمراد به سائر انواع
العذاب وروي انه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن انه امسى صائما
فاتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال
ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به
حتى شرب شربة من سويق وقوله تعالى ﴿يوم ترجف﴾ منصوب بالاستقرار المتعلق به لدينا
والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة اي تتزلزل ﴿الارض﴾ اي كلها ﴿والجبال﴾ اي التي هي اشدها
﴿وكانت﴾ اي وتكون ﴿الجبال﴾ التي هي مراسي الارض واوتادها وعبر عن شدة الاختلاط و
التلاشي بالتوحيد فقال تعالى ﴿كثيبا﴾ اي رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل
بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن ﴿مهيلا﴾ قال ابن عباس رملا سائلا يتناثر وقال
الكلبي هو الذي اذا اخذت منه شيئا تبعك ما بعده قال القرطبي واصله مهيول وهو
مفعول من قولك هلت عليه التراب اهيله اهالة وهيلا اذا صببته يقال مهيل ومهيول
ومكيل ومكيول ومعين ومعيون قال الشاعر ... قد كان قومك يحسبونك سيدا ... واخال انك سيد
معيون ... وقال عليه الصلاة والسلام حين شكوا اليه الجدوبة اتكيلون ام تهيلون قالوا نهيل قال
كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واصل مهيل مهيول استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الهاء
فالتقى ساكنان فسيبويه واتباعه حذفوا الواو وكانت اولى بالحذف لانها زائدة وان
كانت القاعدة ان ما يحذف لالتقاء الساكنين الاول ثم كسروا الهاء لتصح الياء ووزنه حينئذ
مفعل والكسائي ومن تبعه حذفوا الياء لان القاعدة حذف الاول كما مر ولما خوف تعالى
المكذبين اولي النعمة باهوال يوم القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال تعالى ﴿انا﴾ اي
بما لنا من العظمة ﴿ارسلنا اليكم﴾ يا اهل مكة شرفا لكم خاصة والى كل من بلغته الدعوة عامة
﴿رسولا﴾ اي عظيما جدا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وامامهم واجلهم وافضلهم
﴿شاهدا عليكم﴾ اي بما تصنعون ليؤدي الشهادة عند طلبها منه يوم تفرغ من كل امة
شهيدا وهو يوم القيامة ﴿كما ارسلنا﴾ اي بما لنا من العظمة ﴿الى فرعون﴾ اي ملك مصر

رسولا وهو موسى عليه الصلاة والسلام وهذا تهديد لاهل مكة بالاخذ الوبيل قال مقاتل
وانما ذكر موسى وفرعون من سائر الرسل لان اهل مكة ازدروا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به
لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى موسى عليه السلام لانه رباه ونشأ فيما بينهم كما قال تعالى
حكاية عن فرعون الم نربك فينا وليدا وذكر الرازي السؤال والجواب قال ابن عادل وهو ليس
بالقوى لان ابراهيم عليه السلام ولد ونشأ فيما بين قوم نمرود وكان آزر وزير نمرود على ما ذكره
المفسرون وكذا القول في هود ونوح وصالح ولوط لقوله تعالى في قصة كل واحد منهم لفظ اخاهم
لانه من القبيلة التي بعث اليها انتهى وقد يقال الجامع بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام التربية
فان ابا طالب ربى عنده النبي صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام ربى عند فرعون ولم يكن ذلك لغيرهما
فعصى فرعون الرسول انما عرفه لتقدم ذكره وهذه ال العهدية والعرب اذا قدمت اسما ثم اخبرت ثانيا
اتوا به معرفا بال واتوا بالضمير لئلا يلتبس بغيره نحو رايت رجلا فاكرمت الرجل او فاكرمته ولو قلت فاكرمت
رجلا لتوهم انه غير الاول وقال المهدوي ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره ولذا اختير
في اول الكتب سلام عليكم وفي اخرها السلام عليكم ثم تسبب عن عصيانه قوله تعالى فاخذناه اي فرعون
بما لنا من العظمة وبين انه اخذ قهر وغضب بقوله تعالى اخذا وبيلا اي ثقيلا شديدا وضرب وبيل و
عذاب وبيل اي شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد قاله الاخفش وقال الزجاج
اي ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا والمعنى عاقبناه عقوبة غليظة وفي ذلك تخويف
لاهل مكة ثم خوفهم بيوم القيامة فقال تعالى فكيف تتقون ان كفرتم اي توجدون الوقاية التي تقي انفسكم ان
اذا كفرتم في الدنيا والمعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا رأيتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب
يوم القيامة اذا كفرتم في الدنيا وقوله تعالى يوما مفعول تتقون اي عذابه اي باي حصن تتحصنون من
عذاب الله يوم يجعل الولدان وقوله تعالى شيبا جمع اشيب والاصل في الشين الضم وكسرت لمجانسة الياء
ويقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال وهو مجاز ويجوز ان يراد في الاية الحقيقة والمعنى
يصيرون شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث
بعث النار من ذريتك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم
فيقول لبيك وسعديك وفي رواية والخير في يديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج
من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعين
فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب
الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من يأجوج ومأجوج تسع مائة وتسعة وتسعين ومنكم
واحد ثم قال انتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض او كالشعرة البيضاء
في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وهي بفتح الراء وسكون القاف الاثر

الذي في بطن عضد الحمار وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبر القوم ثم قال ثلث اهل
الجنة فكبروا ثم قال شطر اهل الجنة فكبروا وفي هذا اشارة الى الاعتناء بهم لان اعطاء الانسان
مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفي هذا ايضا حملهم على تجديد شكر الله
تعالى وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم هذه البشارة العظيمة ثم وصف هول ذلك اليوم بقوله تعالى
﴿السماء منفطر﴾ اي ذات انفطار اي انشقاق ﴿به﴾ اي بسبب ذلك اليوم لشدته فالباء سببية وجوز
الزمخشري ان تكون للاستعارة فانه قال والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به
وقال القرطبي معنى به اي فيه اي في ذلك اليوم وقيل به اي بالامر اي السماء منفطر بما يجعل الولدان شيبا
وقيل منفطر بالله اي بامره تنبيه انما لم تؤنث الصفة لوجوه منها ما قال ابو عمرو بن العلاء لانها
بمعنى السقف تقول هذا سماء البيت قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا ومنها انها على النسبة اي
ذات انفطار نحو امرأة مرضع وحائض اي ذات ارضاع وذات حيض ومنها انها تذكر وتؤنث انشد الفراء
فلو رفع السماء اليه قوما لحقنا بالسماء وبالسحاب ومنها انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء
فيقال سماءة واسم الجنس يذكر ويؤنث ولهذا قال ابو علي الفارسي هو كقوله تعالى منتشر واعجاز نخل منقعر
يعني فجاء على احد الجائزين او لان تأنيثها ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره قال الشاعر * والعين
بالاثمد الحيري مكحول * والضمير في قوله تعالى ﴿كان وعده مفعولا﴾ يجوز ان يكون لله وان لم يجر له ذكر للعلم
به فيكون المصدر مضافا لفاعله ويجوز ان يكون لليوم فيكون مضافا لمفعوله والفاعل هو الله تعالى
مقدر قال المفسرون كان وعده بالقيامة والحساب والجزاء مفعولا كائنا لا شك فيه ولا خلف وقال
مقاتل كان وعده بان يظهر دينه على الدين كله ﴿ان هذه﴾ اي الآيات الناطقة بالوعيد الشديد
او السورة ﴿تذكرة﴾ اي تذكير عظيم هو اهل لان يتعظ به ويعتبر به المعتبر ولا سيما ما ذكر فيها لاهل
الكفر من العذاب ولما كان سبحانه قد جعل للانسان عقلا يدرك به الحسن والقبيح واختيارا
يتمكن به من اتباع ما يريد فلم يبق له مانع من جهة اختيار الاصلح والاحسن الا قهر المشيئة التي لا
اطلاع له عليها ولا حيلة له فيها سبب عن ذلك قوله تعالى ﴿فمن شاء اتخذ﴾ اي بغاية جهده ﴿الى ربه﴾
اي المحسن اليه خاصة لا الى غيره ﴿سبيلا﴾ اي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن له لانه
اظهر له الحجج والدلائل قيل نسخت باية السيف وكذلك قوله تعالى فمن شاء ذكره قال الثعلبي
والاشبه انه غير منسوخ ﴿ان ربك﴾ اي المدبر لامرك على ما يكون احسانا اليك ورفقا بك
﴿يعلم انك تقوم﴾ اي في الصلاة كما امرت به اول السورة ﴿ادنى﴾ اي زمانا اقل والادنى مشترك
بين الاقرب والادون لا الانزل رتبة لان كلا منهما يلزم عنه قلة المسافة ﴿من ثلثي الليل﴾ وقرأ
﴿ونصفه وثلثه﴾ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي بنصب الفاء بعد الصاد ونصب المثلثة بعد
اللام ورفع الهاء فيهما عطف على ادنى والباقون بكسر الفاء والمثلثة وكسر الهاء فيهما عطف
على ضمير ثلثي وقيامه كذلك مطابق لما وقع التخيير فيه اول السورة من قيام النصف

بتمامه او الناقص منه وهو الثلث او الزائد عليه وهو الثلثان او الاقل من الاقل من النصف وهو الربع
وقوله تعالى وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تاكيد للفصل اى وقيام طائفة
من اصحابه كذلك للتاسى بك ومنهم من كان لا يدرى كم يصلى من الليل وكم بقى منه فكان يقوم الليل
كله احتياطا فقاموا حتى انتفخت اقدامهم سنة واكثر فخفف عنهم بقوله تعالى وَاللَّهُ اى المحيط بكل شئ قدرة
وعلما يُقَدِّرُ اى تقديرا عظيما هو فى غاية التحرير اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اى هو العالم بمقادير الليل والنهار فيعلم
القدر الذى تقومون من الليل والذى تنامون منه عَلِمَ أَن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى انه
لَّن تُحْصُوهُ اى الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه الا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم فَتَابَ عَلَيْكُمْ اى رجع
بكم الى التخفيف بالترخص لكم فى ترك القيام المقدر اول السورة وقوله تعالى فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ اى سهل
مِنَ الْقُرْآنِ فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة فى الصلوة وذلك ان القراءة احد
اجزاء الصلوة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم قال الحسن فى صلوة المغرب والعشاء
قال قيس بن ابى حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ فى اول ركعة بالحمد واول اية من البقرة ثم ركع
ثم قام فى الثانية فقرأ بالحمد والاية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا فقال ان الله تعالى يقول
فاقرءوا ما تيسر منه قال القشيرى والمشهور ان نسخ قيام الليل كان فى حق الامة وبقيت الفريضة فى
حق النبى صلى الله عليه وسلم وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه بل نسخ بالكلية فلا تجب صلوة الليل اصلا و
اذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القرآن معناه اقرءوا ان تيسر عليكم ذلك
وصلوا ان شئتم والقول الثانى ان المراد بقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القرآن دراسته و
تحصيل حفظه وان لا يعرض للنسيان سواء كان فى صلوة ام غيرها قال كعب من قرأ فى ليلة
مائة اية كتب من القانتين وقال سعيد خمسين اية قال القرطبى قول كعب اصح لقوله
صلى الله عليه وسلم من قام بعشر ايات من القرآن لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة اية
كتب من القانتين ومن قام بالف اية كتب من المقنطرين خرجه ابو داود والطيالسى وروى انس
ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين اية فى يوم او فى ليلة
لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة اية كتب من القانتين ومن قرأ مائتى اية لم يحاجه القرآن
يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة اية كتب له قنطار من الاجر فقوله من المقنطرين اى اعطى
قنطارا من الاجر وجاء فى الحديث انه الف ومائتا اوقية والاوقية خير مما بين السماء والارض
وقال ابو عبيدة القناطير واحدها قنطار ولا تجد العرب تعرف وزنه ولا واحد للقنطار من لفظه
وقال ثعلب المعول عليه عند العرب انه اربعة آلاف دينار فاذا قالوا قناطير مقنطرة فهى اثنا
عشر الف دينار وقيل ان القنطار ملء جلد ثور ذهبا وقيل ثمانون الفا وقيل هو جملة كثيرة
مجهولة من المال نقله ابن الاثير قال القرطبى والقول الثانى اصح حمله للخطاب على ظاهر اللفظ
والقول الاول مجاز لانه من تسمية الشئ ببعض ما هو من اعماله واذا كان ذلك على قيام كان فى

قدر القراءة فلا دليل فيه على ان الفاتحة لا تتعين في الصلوة بل هي متعينة في كل ركعة لخبر الصحيحين
لا صلوة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ولخبر لا تجزئ صلوة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب رواه ابنا خزيمة
وحبان في صحيحيهما ولفعله صلى الله عليه وسلم كما في مسلم مع خبر البخاري صلوا كما رأيتموني
اصلي ويحمل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه مع خبر ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن على الفاتحة
او على العاجز عنها جمعا بين الادلة ولما كان هذا نسخا لما كان واجبا من قيام الليل اول السورة لعلمه
سبحانه بعدم احصائه فسر ذلك العلم المجمل بعلم مفصل بيانا لحكمة اخرى للنسخ فقال تعالى عَلِمَ اَنْ
مخففة من الثقيلة اي انه سَيَكُوْنُ اي بتقدير لا بد منه مِنْكُمْ مَرْضٰى جمع مريض وهذه السورة من اول
ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ففي ذلك اشارة بان اهل الاسلام يكثرون جدا وَاٰخَرُوْنَ غير المرضى
يَضْرِبُوْنَ اي يوقعون الضرب فِي الْاَرْضِ اي يسافرون لان الماشي يجد ويضرب برجله في الارض
يَبْتَغُوْنَ اي يطلبون طلبا شديدا مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ اي بعض ما اوجده الملك الاعظم لعباده بالتجارة وغيرها
وَاٰخَرُوْنَ اي منكم ايها المسلمون يُقَاتِلُوْنَ اي يطلبون ويوقعون قتل اعداء الله تعالى لاجل ذلك بنيته بقوله
فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اي الملك الاعظم وكل من الفرق الثلاث يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل وسوى سبحانه
في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان
فكان هذا دليلا على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم
ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون
في سبيل الله وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا
فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ وآخرون الآية وقال ابن عمر ما خلق الله تعالى
موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله احب الي من الموت بين شعبتي رحل ابتغي من فضل الله
ضاربا في الارض وقال طاوس الساعي على الارملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله واعاد
قوله تعالى فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ اي من القرآن للتأكيد وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ اي المكتوبة وهي خمس
بجميع الامور التي تقوم بها من اركانها وشروطها وابعاضها وهيئاتها وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ اي
زكوة اموالكم وقال عكرمة وقتادة صدقة الفطر لان زكوة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل
صدقة التطوع وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس طاعة الله تعالى والاخلاص وَاَقْرِضُوا اللّٰهَ
اي الملك الاعلى الذي له جميع صفات الكمال التي منها الغنى المطلق من ابدانكم واموالكم
في اوقات عسركم ويساركم قَرْضًا حَسَنًا من نوافل الخيرات كلها برغبة تامة وعلى
هيئة جميلة في ابتدائه وانتهائه وقال زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل و
قيل صلة الرحم وقرى الضيف وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله وَمَا تُقَدِّمُوْا
لِاَنْفُسِكُمْ اي خاصة سلفا لاجل ما بعد الموت حيث لا تقدرون على الاعمال مِنْ خَيْرٍ اي

خير كان من عبادات البدن والمال تجدوه اى محفوظا لكم عند الله اى المحيط بكل شئ قدرة
وعلما هو اى لا غيره خيرا اى لكم وجاز ضمير الفصل بين غير معرفتين لان افعل منه كالمعرفة
ولذلك يمتنع دخول اداة التعريف عليها والمعنى هو خير من الذى تدخرونه الى الوصية
عند الموت قاله ابن عباس وقال الزجاج خيرا لكم من متاع الدنيا وروى البغوى بسنده عن
عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله
ما منا من احد الا ماله احب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا
رسول الله قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر واعظم اجرا قال ابو هريرة يعنى
الجنة ويحتمل ان يكون اعظم اجرا لاعطائه بالجنة اجرا ولما كان الانسان اذا عمل ما يجب
عليه ولا سيما اذا كان المادح له ربه ربما ادركه الاعجاب بين له انه لا يقدر بوجه على
ان يقدر الله تعالى حق قدره فلا يزال مقصرا فلا يسعه الا العفو فقال عز من قائل واستغفروا الله
اى اطلبوا واوجدوا ستر الملك الاعظم الذى لا تحيطون بمعرفته فكيف باداء حق خدمته
لتقصيركم عينا واثرا بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه ان الله اى الملك الاعظم غفور
اى بالغ الستر لاعيان الذنوب وآثارها حتى لا يكون عنها عقاب ولا عتاب رحيم اى بالغ
الاكرام بعد الستر افضالا واحسانا وتشريفا وامتنانا وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة حديث موضوع

سورة المدثر مكية

وهى خمس وستون آية ومائتان خمس وخمسون كلمة والف عشرة احرف

بسم الله الملك الواحد القهار الرحمن الذى عم برحمته الابرار والفجار الرحيم الذى
خص اصفياءه بما يوصلهم الى دار القرار ولما ختمت المزمل بالبشارة لارباب البصارة بعد
ما بدئت بالاجتهاد فى الخدمة المهيئ للقيام باعباء الدعوة افتتحت هذه بمحط حكمة الرسالة
وهى النذارة فقال تعالى يا ايها المدثر روى عن يحيى بن ابى كثير قال سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن
عن اول ما نزل من القرآن قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك الذى خلق قال
ابو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ذلك الذى قلت فقال لى جابر لا احدثك
الا مثل ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى
هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم ار شيئا ونظرت عن شمالى فلم ار شيئا ونظرت عن خلفى فلم ار
شيئا فرفعت رأسى فرأيت شيئا فاتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا على ماء باردا قال فنزلت يا ايها
المدثر الآية وذلك قبل ان تفرض الصلوة وفى رواية فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت
الوادى وذكر نحوه وفيه فاذا هو قاعد على عرش فى الهواء يعنى جبريل عليه السلام فاخذتنى
رجفة شديدة وعن جابر من رواية الزهرى عن ابى سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم يحدث عن فترة الوحى فقال لى فى حديثه فبينما انا امشى سمعت صوتا من السماء فرفعت راسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملونى زملونى فدثرونى فانزل الله عز وجل يايها المدثر الى قوله فاهجر وفى رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلى وذكره ثم حمى الوحى وتتابع فان قيل ان هذا الحديث دال على ان سورة المدثر اول ما نزل ويعارضه حديث عائشة المخرج فى الصحيحين فى بدء الوحى وسيأتى فى موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث اجيب بان الذى عليه العلماء ان اول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الذى خلق كما صرح به فى حديث عائشة ومن قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن فضعيف وانما كان نزولها بعد فترة الوحى كما صرح به فى رواية الزهرى عن ابى سلمة عن جابر ويدل عليه ما فى الحديث وهو يحدث عن فترة الوحى الى ان قال فانزل الله تعالى يايها المدثر ويدل عليه قوله ايضا فاذا الملك الذى جاءنى بحراء وحاصله ان اول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك وان اول ما نزل بعد فترة الوحى سورة المدثر وبهذا يحصل الجمع بين الحديثين * قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذى يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحى اى احتباسه وعدم تتابعه وتواليه فى النزول وقوله فجئثت منه روى بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروى بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناها رعبت منه وفزعت وقوله حمى الوحى وتتابع اى كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرها وقوله وصبوا على ماء باردا فيه انه ينبغى لمن فزع ان يصب عليه الماء ليسكن فزعه واصل المدثر المتدثر وهو الذى يتدثر فى ثيابه ليستدفئ بها واجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سمى مدثرا لوجوه احدها قوله صلى الله عليه وسلم دثرونى وثانيها انه صلى الله عليه وسلم كان نائما متدثرا بثيابه فجاءه جبريل عليه السلام وايقظه صلى الله عليه وسلم وقال يايها المدثر قم فانذر اى حذر الناس من العذاب ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك واترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذى نصبك الله عز وجل له وثالثها ان الوليد بن المغيرة وابا جهل وابا لهب والنضر بن الحرث اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب يجتمعون فى ايام الحج وهم يسألون عن امر محمد وقد اختلفتم فى الاخبار عنه فمن قائل هو مجنون وقائل ساحر وقائل كاهن وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع فى رجل واحد فيستدلون باختلاف الاجوبة على انها اجوبة باطلة فسموه باسم واحد يجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام رجل منهم فقال انه شاعر فلما سمع صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة فانزل الله تعالى يايها المدثر وقيل انه ليس المراد التدثر بالثياب وعلى هذا ففيه وجوه ايضا احدها قال عكرمة المعنى يايها المدثر بالنبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم قال ابن العربى وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا بعد اى على القول بانها اول سورة نزلت واما على انها نزلت

بعد فترة الوحي فليس ببعيد وثانيها ان المدثر بالثوب يكون كالمختفي فيه وهو صلى الله عليه وسلم كان في جبل حراء كالمختفي من الناس فكانه قال يا ايها المدثر بدثار الاختفاء قم بهذا الامر واخرج من زاوية الخمول واشتغل بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق وثالثها انه تعالى جعله رحمة للعالمين فكانه قيل له يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر بعذاب ربك وعلى كلا القولين في ندائه بذلك ملاطفة في الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد وَرَبَّكَ اي خاصة فَكَبِّرْ اي عظمه عما يقول عبدة الاوثان ووصفه بانه اكبر من ان تكون له صاحبة او ولد وفي الحديث انهم قالوا بم نفتتح الصلاة فنزل وربك فكبر اي صفه بانه اكبر وقال ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة فانه يراد به التكبير والتقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا يتخذ وليا غيره ولا يعبد سواه وروي ان ابا سفيان قال يوم احد اعل هبل وهو اسم صنم كان لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة وذكرا بقول الله اكبر وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق في موارد منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال بالله تعالى تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه بالنسك وافراد ما شرع من امره بالنسك والمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم في التكبير في الصلاة هو لفظ الله اكبر وقال المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله تعالى عنها وفرحت وعلمت انه وحي من الله تعالى ذكره القشيري وقال مقاتل هو ان يقال الله اكبر وقيل المراد منه التكبير في الصلاة واستشكل ذلك على القول بانها اول سورة نزلت فان الصلاة لم تكن فرضت واجيب بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان له صلوات تطوع فامر ان يكبر فيها + تنبيه + دخلت الفاء في قوله تعالى فكبر وفيما بعده لافادة معنى الشرط كانه قيل وما يكن فكبر ربك او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ اي من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا قال الرازي اذا حملنا التطهير على حقيقته ففي الآية ثلاث احتمالات الاول قال الشافعي المقصود من الآية الاعلام بان الصلاة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها روي انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلى شاة فشق عليه فرجع الى بيته حزينا وتدثر في ثيابه صلى الله عليه وسلم فقيل يا ايها المدثر قم فانذر ولا تمنعك تلك السفاهة عن الانذار وربك فكبر عن ان لا ينتقم منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات وثالثها قال عبد الرحمن بن زيد بن

اسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فامره الله تعالى ان يصون ثيابه عنها وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة قال صلى الله عليه وسلم ازار المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان اسفل من ذلك ففي النار فجعل صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس الازار الكعب وتوعد على ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم وهذه حالة الكبر وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء وفي رواية من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ان احد شقي ازاري يسترخي الا اني اتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكنى به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما تقول اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عنى بتطهير الظاهر وتنقيته والى الاجتناب الخبيث وايثار الطهر في كل شيء وقال عكرمة سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا على غدر ثم قال اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي شعر واني بحمد الله لا ثوب فاجر ✻ لبست ولا من غدرة اتقنع ✻ والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء طاهر الثياب ويقولون لمن غدر انه لدنس الثياب وقال ابي بن كعب لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على اثم البسها وانت بر طاهر وقال الحسن والقرطبي وخلقك فحسن وقال سعيد بن جبير وقلبك وبيتك فطهر وقال مجاهد وابن زيد وعملك فاصلح وروى منصور عن ابي رزين قال يقول وعملك اصلح قال واذا كان الرجل خبيث العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات عليهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي وقيل المراد بالثياب الاهل اي طهرهم من الخطايا بالموعظة والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا واذا قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن وقيل المراد به الدين اي ودينك فطهر جاء في الصحيح انه عليه الصلوة والسلام قال رايت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك ورايت عمر بن الخطاب وعليه ازار يجره قالوا يا رسول الله فما اولت ذلك قال الدين وقوله تعالى والرجز فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالاوثان فاهجر اي دم على هجره وقيل الزاي فيه منقلبة من السين والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجيهما دليل هذا التاويل قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وروى عن ابن عباس ان معناه اترك المآثم وقرا حفص بضم الراء والباقون بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد وقال ابو العالية الرجز بضم الراء الصنم

وبالكسر النجاسة والمعصية وقال الضحاك يعني الشرك وقال الكلبي يعني العذاب قال البغوي
ومجاز الآية اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال وقوله تعالى ولا تمنن تستكثر مرفوع
منصوب المحل على الحال أي لا تعط مستكثرا أي لما تعطيه كثيرا واجعله خالصا لله تعالى ولا تطلب
عوضا أصلا ومعنى تستكثر أي طالبا للكثرة كارها أن ينقص المال بسبب العطاء فيكون الاستكثار هنا
عبارة عن طلب العوض كيف كان ليكون عطاؤه صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض
والتفات النفس إليه وقيل لا تعط شيئا طالبا للكثير نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيئا وهو
يطمع أن يعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب
من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر الآية
لأن الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الأخلاق والثاني أنه نهي تنزيه لا تحريم له ولأمته وقيل
إنه تعالى لما أمره بأربعة أشياء إنذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر الرجز ثم قال ولا تمنن
تستكثر أي لا تمنن على ربك بهذه الأعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله ولربك فاصبر أي على
الأوامر والنواهي متقربا بذلك إليه غير ممتن به عليه وقال الحسن لا تمنن بحسناتك تستكثرها وقال
ابن عباس ولا تعط عطية ملتمسا بها أفضل منها وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من أمر الدين
والوحي مستكثرا بذلك الإنعام فإنك إنما فعلت ذلك بأمر الله تبارك وتعالى فلا منة لك به
عليهم ولهذا قال تعالى ولربك فاصبر وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك لتستكثر أي لتأخذ منهم أجرا على
ذلك تستكثر به مالك وقال مجاهد والربيع لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير فإنه مما أنعم الله تعالى
به عليك وقال ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه من نفسك إنما عملك منة من الله تعالى عليك
إذ جعل لك الله تعالى سبيلا إلى عبادته وقال زيد بن أسلم إذا أعطيت عطية فأعطها لربك لا تقل دعوت
فلم يستجب لي وقيل لا تفعل الخير لترائي به الناس + ولما ذكر تعالى ما يتعلق بإرشاد النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر بعده وعيد الأشقياء بقوله تعالى فَإِذَا نُقِرَ أي نفخ فِي النَّاقُورِ أي في الصور وهو القرن النفخة الثانية
فاعول من النقر أي التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال تعالى
اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعداؤك عاقبة ضرهم وإذا ظرف لما دل عليه قوله تعالى
فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ لأن معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك إشارة إلى وقت النقر و
هو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل أو ظرف لخبره إذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وقرأ
على الكافرين وأصحاب النار أبو عمرو والدوري عن الكسائي بالإمالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين
والباقون بالفتح + ولما كان العسر قد يطلق على الشيء وفيه يسر من بعض الجهات أو يعالج فيرجع يسيرا
بين أنه ليس كذلك بقوله تعالى غَيْرُ يَسِيرٍ فجمع فيه بين إثبات الشيء ونفي ضده تحقيقا لأمره ودفعا
للمجاز عنه وتقييده بالكافرين يشعر بتيسيره على المؤمنين فإنهم لا يناقشون الحساب ويحشرون
بيض الوجوه ثقال الموازين قال الرازي ويحتمل أنه عسير على المؤمنين والكافرين إلا أنه على

يسير

الكافرين اشد + تنبيه + قال الحلبي سمي الصور باسمين فان كان هو الذي ينفخ فيه النفختان فان
نفخة الاصعاق تخالف نفخة الاحياء وجاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع
في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود
الجسد حيا باذن الله تعالى ذَرْنِي اي اتركني على اي حالة اتفقت وَمَنْ خَلَقْتُ معطوف على المفعول
او مفعول معه وقوله تعالى وَحِيدًا فيه اوجه احدها انه حال من الياء في ذرني اي ذرني وحدي معه
فانا اكفيك في الانتقام منه الثاني انه حال من التاء في خلقت اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه
احد فانا اهلكه الثالث انه حال من عائد المحذوف اي خلقته وحيدا فوحيدا على هذا حال من
ضمير المفعول المحذوف اي خلقته في بطن امه وحيدا لا مال له ولا ولد ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته
قاله مجاهد الرابع ان ينتصب على الذم لانه يقال ان وحيدا كان لقبا للوليد بن المغيرة المخزومي
ومعنى وحيد اذ لقبه به انه كان يزعم انه وحيد في فضله وماله وليس في ذلك ما يقتضي صدق
مقالته لان هذا اللقب له شهرة به وقد يلقب الانسان بما لا يتصف به واذا كان لقبا تعين نصبه
على الذم قال ابن عباس كان الوليد يقول انا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي المغيرة
نظير قال الرازي ورد هذا القول بعضهم بانه تعالى لا يصدقه في دعواه ذلك بانه وحيد لا نظير له
ذكره الواحدي وهو ضعيف من وجوه ثلاثة لانه قد يكون الوحيد علما فيزول السؤال لان اسم
العلم لا يفيد في المسمى صفة بل هو قائم مقام الاشارة الثاني ان يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده كقوله
عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم الثالث انه وحيد في كفره وعناده وخبثه لان لفظ الوحيد ليس
فيه انه وحيد في العلو والشرف الرابع قال ابو سعيد الوحيد الذي لا اب له كما تقدم في الزنيم
وَجَعَلْتُ لَهُ اي باسباب اوجدتها انا وحدي لا حول منه ولا قوة بدليل ان غيره اقوى منه بدنا
وقلبا واوسع فكرا وعقلا وهو دونه في ذلك مَالًا مَمْدُودًا اي مالا واسعا كثيرا قال ابن عباس
هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الابل والبقر والغنم والحجور والجنان والعبيد والجواري واختلفوا في
مبلغه فقال مجاهد وسعيد بن جبير الف دينار وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري
مرة اربعة الاف دينار ومرة الف الف دينار وقال ابن عباس تسعة الاف مثقال فضة وقال
الرازي الممدود هو الذي يكون له مدد ياتي منه الجزء بعد الجزء دائما ولذلك فسره عمر بغلة شهر
بشهر وقال النعمان الممدود بالزيادة كالزرع والضرع وانواع التجارات وقال مقاتل كان له
بستان بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا وَبَنِينَ اي وجعلت له بنين شُهُودًا اي حضورا معه
لغناهم عن الاسفار بكثرة المال وانتشار الخدم وقوة الاعوان وهم مع حضورهم في الذروة من النسب
بتمام العقل وقوة الحذق فهم في غاية المعرفة ومع ذلك فهم اعيان المجالس وصدور المحافل كانه
لا شاهد به غيرهم قال مجاهد وقتادة كانوا عشرة وقال السدي والضحاك كانوا اثني عشر رجلا
وعن الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة بالطائف وقال مقاتل كانوا سبعة ولعله اقتصر على من ولد بمكة

وعلى كل قول اسلم منهم ثلاثة خالد الذي من الله تعالى على المسلمين باسلامه فكان سيف الله
وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم وهشام وعمارة ومهدت اى بسطت له العيش والعمر والولد
والتمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة ومنه مهد الصبي وقال ابن عباس اى وسعت له ما بين
اليمن الى الشام وعن مجاهد انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش فلم يرع هذه النعمة العظيمة
وقوله تعالى تمهيدا تاكيد ثم اى بعد هذا الامر العظيم الذي ارتكبه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطمع اى بغير سبب يدليه مما جعلناه سبب المزيد من الشكر ان ازيد اى فيما اتيته في دنياه او في آخرته
وهو يكذب رسولنا صلى الله عليه وسلم وقال الحسن ثم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان
محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له كلا اى وعزتنا وجلالنا لا تكون له
زيادة على ذلك اصلا واما النقصان فسيرى ان استمر على تكذيبه فليرتدع عن هذا الطمع وليزدجر
وليبت بجمع فانه حمق محض وزخرف بحت وغرور صرف قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية
في نقصان من ماله وولده حتى هلك فقيرا. تنبيه: كلا قطع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة
فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويبتدئ بقوله تعالى انه اى هذا الموصوف كان
اى بخلق كانه جبلة له وطبع لا ينفك عنه لآياتنا على ما لها من العظمة خاصة
لكونها هادية الى الوحدانية لا الى غيرها من الشبه الفائتة الى الشرك عنيدا قال قتادة اى
جاحدا وقال مقاتل معرضا وقال مجاهد انه المجانب للحق وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف
والعنيد بمعنى المعاند والعناد كما قال الملوي من كبر في النفس ويبس في الطبع وشراسة في الاخلاق
او خبل في العقل وقد جمع ذلك كله ابليس لعنه الله تعالى لانه خلق من نار وهي من طبعها اليبوسة
وعدم الطواعية. تنبيه: في الآية اشارة الى ان الوليد كان معاندا في امور كثيرة منها انه
كان يعاند في دلائل التوحيد وصحة النبوة وصحة البعث ومنها ان كفره كان عنادا لانه كان يعرف
هذه الاشياء بقلبه وينكرها بلسانه وكفر العناد افحش انواع الكفر ومنها ان قوله تعالى كان يدل
على ان هذه حرفته من قديم الزمان سارهقه اى اكلفه صعودا اى مشقة من العذاب
لا راحة له فيها وروى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من نار يتصعد
فيه سبعين خريفا ثم يهوي وفي رواية انه كلما وضع يده في معالجة الصعود ذابت فاذا رفعها
عادت وكذا رجله وقال الكلبي انه صخرة ملساء في النار يكلف ان يصعدها يجذب من امامه
بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها
اسقط الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها فذلك دابه ابدا انه اى هذا العنيد فكر اى ردد فكره
واداره وتلعب الهواه لاجل الوقوع على شيء يطعن به في القرآن او النبي صلى الله عليه وسلم وقدر
اى اوقع تقديرا للامور التي يطعن بها وقاسها في نفسه لعلمه انها اقرب الى القبول وذلك ان الله
تعالى لما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله تعالى المصير قام

النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي
صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه
بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم
انصرف الى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابو جهل
انا اكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي قال
وما يمنعني ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت
كلام محمد وانك داخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد
وقال الم تعلم قريش اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام فيكون لهم فضل
ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط
قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن فقالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر
فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من
الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه
فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه وقدّر ما اسم قال الله تعالى فقُتِلَ اي هلك وطرد
ولعن في دنياه هذه كيف قدّر اي على اي كيفية اوقع تقديره هذا ثم قُتِلَ اي هلك ولعن هذا
اللعن هذا كان لعنا هو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة كيف قدّر فثم للدلالة
على ان الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله * الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي * ومعنى قول القائل
قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره للاستشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد
ويدعو عليه حاسده بذلك واما ثم المتوسطة بين الافعال التي بعدها فهي للدلالة على انه تأنى
في التامل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد وقوله تعالى ثم نظر عطف على فكر و
قدر والدعاء اعتراض بينهما والنظر اما في وجوه قومه واما فيما يقدح به في القرآن ثم عبس
اي قبض وجهه وكلحه ونظر متقبض عبل وما بين العينين بكراهة شديدة كالمهتم
للتفكر في شيء وهو لا يجد فيه فرجا لانه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد فيما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم مطعنا وقيل عبس وجهه في وجوه المؤمنين وذلك انه لما قال لقريش
ان محمدا ساحر مر على جماعة من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس في وجوههم وقيل عبس
على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه وبَسَرَ اي زاد في القبض والكلح يقال وجه باسر
اي منقبض اسود كالح متغير اللون قاله قتادة ثم ادبر اي بعد هذا الترقي العظيم ادبر اي عما ادى
اليه فكره من الايمان بسلامة المنظور فيه وخلوه عن المطاعن فاذعن وجوه الانكار الى اقتضتها
واستكبر اي اوجد الكبر عن الاعتراف بالحق ايجاد من هو في غاية الرغبة فيه فقال اي عقب ما نواه

طبعه الخبيث من ايقاع الكبر على هذا الوجه لكونه رآه نافعا لهم في الدنيا ان اي ما هذا اي الذي
اتى به محمد صلى الله عليه وسلم الا سحر اي امور تخييلية لا حقائق لها وهي لدقتها بحيث تخفى اسبابها
اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وماله وولده ومواليه فما هو الا سحر يؤثر اي من شانه ان ينقله
السامع عن غيره فهو ينقله من مسيلمة واهل بابل كما قال ان اي ما هو اي القرآن الا قول البشر
اي ليس فيه شيء عن الله تعالى فلا يتواخذ به ولا يحرم عليه فارتج النادي فرحا ثم تفرقوا متعجبين
بقوله متعجبين منه قيل وهذا شبيه بما قال بعضهم شعر لو قيل كم خمس وخمس لاغتدى + يوما
وليلة يعد ويحسب + ويقول معضلة عجيب امرها + ولئن فهمت لها لامر اعجب + خمس
وخمس ستة او سبعة + قولان قالهما الخليل وثعلب فكان قوله هذا سبب هلاكه فكان
كما قال بعضهم شعر احفظ لسانك ايها الانسان + لا يلدغنك انه ثعبان + كم في المقابر من
قتيل لسانه + كانت تهاب لقاءه الشجعان + وقوله تعالى سأصليه اي ادخله سقر اي جهنم
بوعد لا بد منه عن قريب بدل من سارهقه صعودا وقوله تعالى وما ادراك ما سقر تعظيم
لشأنها وقوله تعالى لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى
لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته فاذا اهلكته لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه
من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة وسميت سقر من سقرته الشمس اذا اذابته
ولا تنصرف للتعريف والتانيث قال ابن عباس سقر اسم للطبقة السادسة فان درك النار سبعة
جهنم ولظى والحطمة والسعير والجحيم وسقر والهاوية لواحة من لوح الهجير قال شعر تقول ما لاح
يا مسافر + يا ابنة عمي لاحني الهواجر + للبشر اي محرقة لظاهر الجلد فتدعه اشد سوادا من الليل قال تعالى
تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون والبشر جمع بشرة وجمع البشر ابشار وعن الحسن
تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقيل اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش ولوحه
اي غيره وقال الاخفش والمعنى انها معطشة للبشر اي لاهلها وانشد شعر
سقتني على لوح من الماء شربة + سقاها به الله الرهام الغواديا + يعني باللوح شدة
العطش والرهام جمع رهمة بالكسر وهي المطرة الضعيفة وارهمت السحابة اتت
بالرهام عليها تسعة عشر اي من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر وقيل
التسعة عشر نقباء وقال اكثر المفسرين تسعة عشر ملكا باعيانهم وقيل تسعة عشر الف ملك
قال ابن جريج نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال اعينهم كالبرق الخاطف
وانيابهم كالصياصي واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي
احدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم
قال عمرو بن دينار ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر
قال ابن الاثير الصياصي قرون البقر قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال

ابوجهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم اي الشجعان
افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد من خزنة جهنم فقال ابو الاشد بن كلدة بن خلف الجمحي انا اكفيكم
منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني انتم اثنين وروي انه قال انا امشي
بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وسبعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل
الجنة فانزل الله عز وجل وما جعلنا اي بما لنا من العظمة وان خفي وجه العظمة فيه على من عمي
قلبه اصحاب النار اي خزنتها الا ملائكة اي لم نجعلهم رجالا فتغالبونهم وانما جعلناهم ملائكة
لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرحمة والرافة
ولانهم اشد باسا واقوى بطشا فقوتهم اعظم من قوة الانس والجن ولذلك جعل الرسول الى البشر
من جنسهم ليكون له رافة ورحمة بهم فان قيل ثبت في الاخبار ان الملائكة مخلوقون من النور
فكيف تطيق المكث في النار اجيب بان الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما انه لا استبعاد في
انه يبقي الحي في مثل ذلك العذاب الشديد ابد الاباد ولا يموت فكذا لا استبعاد في ابقاء الملائكة
هنالك من غير الم وما جعلنا اي بما لنا من العظمة عدتهم اي مذكورة ومحصورة الا فتنة اي
بلية للذين كفروا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضلالة وفتنة مفعول ثان على حذف
مضاف اي الا سبب فتنة والذين صفة الفتنة وليست فتنة مفعولا له وقول البيضاوي وما جعلنا
عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر تبعا للزمخشري قال ابو حيان انه تحريف لكتاب الله
اذ زعم ان معنى الا فتنة للذين كفروا الا تسعة عشر وهذا لا يذهب اليه عاقل ولا من له ادنى ذكاء وقال
الرازي انما صار هذا العدد سببا لفتنة الكفار من وجهين الاول ان الكفار يستهزؤن ويقولون لم
لا يكونون عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا العدد والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف
يكونون وافين بتعذيب اكثر العالم من الجن والانس من اول ما خلق الله الى قيام الساعة واجيب
عن الاول بان هذا السؤال لازم على كل عدد يفرض وعن الثاني بانه لا يبعد ان الله تعالى يرزق ذلك
العدد القليل قوة تفي بذلك فقد اقتلع جبريل عليه السلام مدائن قوم لوط على احد جناحيه ورفعها
الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وايضا فاحوال القيامة لا تقاس
باحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال وذكر ارباب المعاني في تقرير هذا العدد وجهين احدهما ما قاله ارباب
الحكمة ان سبب فساد النفس الانسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية
فالقوى الحيوانية هي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب فهذه اثنا عشر واما القوى
الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسعة عشر
فلما كانت هذه منشأ الافات لا جرم كان عدد الزبانية هكذا ثانيهما ان ابواب جهنم سبعة فستة
منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك
العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر واما باب الفساق

فليس هنالك الاذلك العمل فالمجموع تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فلاجرم صار عدد الزبانية
تسعة عشر وقوله تعالى لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِيْنَ متعلق بجعلنا لا بفتنة وقيل بفعل مضمر اى فعلنا ذلك ليستيقن
الذين اُوْتُوا الْكِتٰبَ اى اعطوا التورٰىة والانجيل فانه مكتوب فيهما انه تسعة عشر فذلك موافقة
لما عندهم وَيَزْدَادَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اى من اهل الكتاب اِيْمَانًا اى تصديقا لموافقة النبى صلى الله عليه وسلم
لما فى كتبهم وَلَا يَرْتَابَ اى يشك الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ وَالْمُؤْمِنُوْنَ فى عددهم فان قيل قد اثبتت
الاستيقان لاهل الكتاب وزيادة الايمان للمؤمنين فما فائدة ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
اجيب بان الانسان اذا اجتهد فى امر غامض دقيق الحجة كثير الشبه فحصل له اليقين فربما غفل
عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك فاثبات اليقين فى بعض الاحوال
لا ينافى طريان الارتياب بعد ذلك ففائدة هذه الجملة نفى ذلك الشك وانه حصل لهم يقين جازم
لا يحصل عقبه شك البتة وَلِيَقُوْلَ الَّذِيْنَ فِىْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ اى شك ونفاق وان قل ونزول هذه السورة
قبل وجود المنافقين فهو علم من اعلام النبوة فانه اخبار بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ولا ينكر
جعل الله تعالى بعض الامور علة اصلاح ناس وفساد آخرين لانه لا يسئل عما يفعل على ان العلة
قد تكون مقصودة لشئ بالقصد الاول ثم يترتب شئ آخر يكون مقصودا بالقصد الثانى تقول خرجت
من البلد لمخافة الشر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض وَالْكٰفِرُوْنَ اى ويقول الراسخون فى الكفر الجازمون
بالتكذيب السائرون لما دلت عليه الادلة من الحق مَاذَا اى اى شئ اَرَادَ اللّٰهُ اى الملك الذى له
جميع العظمة بِهٰذَا اى العدد القليل فى جنب عظمته مَثَلًا قال الجلال المحلى سموه لغرابته بذلك
واعرب حالا وقال الليث المثل الحديث ومنه مثل الجنة التى وعد المتقون اى حديثها والخبر عنها وقال
الرازى انما سموه مثلا لانه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم انه ربما لم يكن مراد الله تعالى منه
ما اشعر به ظاهره بل جعله مثلا لشئ آخر وتنبيها على مقصود آخر لاجرم سموه مثلا على سبيل الاستعارة
لانهم لما استغربوه ظنوا انه ضرب مثلا لغيره ومثلا تمييز او حال وتسمية هذا مثلا على سبيل الاستعارة
لغرابته + ولما كان التقدير اراد بهذا اضلال من ضل وهو لا يبالى وهداية من اهتدى وهو لا يبالى كان
كأنه قيل هل يفعل مثل ذلك فى غير هذا فقال تعالى كَذٰلِكَ اى مثل هذا المذكور من الاضلال والهداية
يُضِلُّ اللّٰهُ اى الذى له مجامع العظمة ومعاقد العز مَنْ يَّشَآءُ باى كلام شاء كاضلال الله تعالى ابا جهل
واصحابه المنكرين لخزنة جهنم وَيَهْدِىْ بقدرته التامة مَنْ يَّشَآءُ بنفس ذلك الكلام او بغيره كهداية
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الاية تدل على مذهب اهل السنة لانه تعالى قال فى اول
الاية وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الخ ثم قال تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدى
من يشاء وَمَا يَعْلَمُ جُنُوْدَ رَبِّكَ اى المحسن اليك بانواع الاحسان المدبر لامرك اِلَّا هُوَ
اى الله سبحانه وتعالى قال مقاتل رضى الله عنه وهذا جواب لابى جهل حيث قال ما لمحمد اعوان
الا تسعة عشر وقال مجاهد رضى الله عنه وما يعلم جنود ربك يعنى من الملائكة الذين خلقهم

لتعذيب اهل النار ولا يعلم عددهم الا الله تعالى والمعنى ان تسعة عشر هم خزنة النار ولهم من
الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلم عددهم الا الله تعالى ولو اراد لجعل الخزنة اكثر من ذلك فقد روي
ان البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون اليه نوبة اخرى وروي
ان الارض في السماء كحلقة ملقاة في فلاة وكل سماء في التي فوقها كذلك وورد في الحديث اطت
السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع وفي رواية موضع قدم الا وفيه ملك قائم
يصلي وفي رواية ساجد وانما خص هذا العدد لحكمة لا يعلمها الا هو ثم رجع الى ذكر سقر فقال تعالى
وَمَا هِيَ اي النار التي هي من اعظم جنوده إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ اي ليتذكروا او ليعلموا كمال قدرة الله وانه ع
سبحانه لا يحتاج الى اعوان وانصار وللبشر مفعول لذكرى واللام فيه مزيدة وقرأ ابو عمرو وحمزة
والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالى كَلَّا ردع لمن انكرها
او انكار لان يتذكروا بها قاله البيضاوي وقال البغوي هذا قسم يقول حقا وقال الجلال
المحلي استفتاح بمعنى الا وَالْقَمَرِ اي الذي هو آية الليل الهادية من ضل بظلامه وَاللَّيْلِ
إِذْ أَدْبَرَ اي مضى فانقلب راجعا من حيث جاء فانكشف ظلامه وقرأ نافع وحمزة وحفص
بسكون الذال المعجمة والدال المهملة بعدها وهمزة قطع مفتوحة بين المعجمة والمهملة
الساكنين والباقون بفتح الذال المعجمة وبعدها الف وفتح المهملة بعد الالف فالقراءة الاولى
اذ ادبر والثانية اذا دبر وكلاهما لغة يقال دبر الليل وادبر اذا ولى مدبرا ذاهبا قال ابو عمرو وهي لغة
قريش وقال قطرب دبر اي اقبل تقول العرب دبرني فلان اي جاء خلفي فالليل يأتي خلف النهار
وقوله تعالى وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ اي اضاء وتبين وقوله تعالى إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ جواب للقسم او تعليل لكلا
والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل
جمعت فعلى عليها ونظير ذلك القواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة اي لاحدى البلايا او الدواهي
الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظير لها كما تقول هو احد الرجال
وهي احدى النساء وقوله تعالى نَذِيرًا تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي
احدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل باول السورة اي قم نذيرا للبشر قال الزمخشري وهو
من بدع التفاسير وقوله تعالى لِمَنْ شَاءَ اي بارادته مِنْكُمْ بدل من البشر أَنْ يَتَقَدَّمَ اي الى الخير او الى
الجنة بالايمان أَوْ يَتَأَخَّرَ اي الى الشر او النار بالكفر كُلُّ نَفْسٍ اي ذكر او انثى على العموم بِمَا كَسَبَتْ اي خاصة
لا ما كسب غيرها رَهِينَةٌ اي مرهونة مأخوذة وليست بتأنيث رهين في قوله تعالى كل امرئ بما كسب
رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه
المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت
رهن ومنه بيت الحماسة: ابعد الذي بالنعف نعف كويكب + رهينة رمس ذي تراب وجندل
+ كأنه قال والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ وهم المؤمنون

فانهم فكوا رقابهم بايمانهم وبما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة وروى عن علي انهم اطفال
المسلمين وقال مقاتل رضي الله عنه هم اهل الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق حين قال
لهم الله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وعنه ايضا هم الذين اعطوا كتبهم بايمانهم وقال الحسن رضي الله
عنه هم المسلمون المخلصون وقال القاسم كل نفس مأخوذة بكسبها خيرا وشرا الا من اعتمد على الفضل فكل
من اعتمد على الكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ + ولما اخرجهم من حكم
الارتهان الذي اطلق على الاهلاك لانه سببه استانف بيان حالهم فقال تعالى ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ اي
بساتين في غاية العظم لانهم اطلقوا انفسهم وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ اي فيما بينهم
يسأل بعضهم بعضا ويسألون غيرهم ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ اي عن احوالهم ويقولون لهم بعد اخراج
الموحدين من النار ﴿مَا﴾ محتملة للاستفهام والتعجب والتوبيخ ﴿سَلَكَكُمْ﴾ اي ادخلكم ايها
المجرمون ادخالا هو في غاية الضيق حتى كانكم السلك في الثقب وقرأ السوسي بادغام الكاف
في الكاف والباقون بالاظهار ﴿فِي سَقَرَ﴾ فاجابوا بان ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ اي صلوة يعتد بها
فكان هذا تنبيها على ان رسوخ القدم في الصلوة مانع من مثل حالهم وعلى انهم معاقبون على فروع
الشريعة وان كانت لا تصح منهم فلو فعلوها قبل الايمان لم يعتد بها وعلى ان الصلوة اعظم
الاعمال وان الحسنات بها تقدم على غيرها ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ اي نعطيه ما يجب علينا اعطاؤه
﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ اي نوجد الكلام الذي هو في غير مواقعه ولا علم لنا به ايجاد الشيء من الخائض
في ماء غمر ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ بحيث صار لنا هذا وصفا راسخا فنقول في القرآن انه سحر وانه كهانة وغير
هذا من الاباطيل لا نتورع عن شيء من ذلك ولا نقف مع عقل ولا نرجع الى صحيح نقل فلياخذ الذين
يبادرون الى الكلام في كل ما يسألون عنه من انواع العلم من غير تثبت حذرهم من هنا ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ﴾
اي بحيث صار ذلك وصفا ثابتا ﴿بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ اي بيوم البعث والجزاء ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ اي الموت
او مقدماته الذي قطعنا عن دار العمل قال الله تعالى حتى يأتيك اليقين فان قيل لم اخر التكذيب
وهو افحش الخصال الاربع اجيب بانهم بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين
والغرض تعظيم الذنب كقوله تعالى كان من الذين آمنوا + ولما اقروا على انفسهم بما اوجب العذاب
الدائم فكانوا ممن فسد مزاجه فتعذر علاجه سبب عنه قوله تعالى ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ﴾ اي في حال اتصافهم
بهذه الصفات ﴿شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ اي لا شفاعة لهم فلا انتفاع بها وليس المراد ان ثم شفاعة
غير نافعة كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذه الاية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين من
المؤمنين بمفهومها لان تخصيص هؤلاء بانهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على ان غيرهم تنفعهم شفاعة
الشافعين قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يشفع نبيكم عليه الصلوة والسلام رابع اربعة جبرائيل ثم ابراهيم
موسى او عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى
قوم في جهنم يقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فهؤلاء الذين في جهنم فما لهم عن التذكرة معرضين أي فما لأهل مكة أعرضوا وولوا
عن القرآن قال مقاتل رضي الله عنه معرضين عن القرآن من وجهين أحدهما الجحود والإنكار والثاني ترك العمل بما فيه
وقيل المراد بالتذكرة العظة بالقرآن وغيره من المواعظ ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا عن ما الاستفهامية
ومثل هذه الحال تسمى حالا لازمة وعن التذكرة متعلق به أي أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ كأنهم في نفرتهم وشدة
في إعراضهم عن التذكرة من شدة النفرة حمر أي من حمر الوحش وهي أشد الأشياء نفارا ولذلك
كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل بسرعة السير بالحمر في عدوها إذا وردت ماء فأحست
بما يريبها مستنفرة أي موجدة للنفار بغاية الرغبة حتى كأنها تطلبه من أنفسها لأنه شأنها
وطبعها وقرأ ابن عامر ونافع بفتح الفاء على أنه اسم مفعول أي نفرها القناص والباقون بكسرها
بمعنى نافرة فرت من قسورة قال مجاهد رضي الله عنه هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها لا
واحد له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال سعيد بن جبير رضي الله
عنه هو القناص وعن زيد بن أسلم فريق من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة
وعن أبي المتوكل هي لغط القوم وأصواتهم وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حبال الصيادين
وقال أبو هريرة رضي الله عنه هي الأسد وهو قول عطاء والكلبي وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت
كذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا وعن عكرمة رضي الله
عنه ظلمة الليل ويقال لسواد الليل قسورة وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في
قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل. ولما كان الجواب قطعا لا شيء لهم
في إعراضهم هذا أضرب عنه بقوله تعالى بل يريد أي على دعواهم في زعمهم كل امرئ منهم أي المعرضين
من ادعائه الكمال في المروءة أن يؤتى أي من السماء صحفا أي قراطيس مكتوبة منشرة أي مفتوحة و
ذلك أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء
عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك ونظيره لن نؤمن لك حتى تنزل
علينا كتابا نقرؤه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يقولون إن كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل
واحد منا صحيفة فيها براءته من النار وقال الكلبي رضي الله عنه إن المشركين قالوا يا محمد بلغنا أن الرجل
من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبا عند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وقالوا إذا كانت
ذنوب الإنسان تكتب عليه فما لنا لا نرى ذلك قال البغوي والصحف جمع
الصحيفة ومنشرة منشورة قال الله تعالى كلا أي لا يؤتون الصحف وقيل حقا قال البغوي
وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه قال ابن عادل والأول أجود لأنه رد لقولهم. ثم بين تعالى
سبب إعراضهم بقوله تعالى بل لا يخافون أي في زمن من الأزمان الآخرة فهذا هو السبب
في إعراضهم وقوله تعالى كلا استفتاح قاله الجلال المحلي وقال البيضاوي ردع عن إعراضهم
وقال البغوي ونحوه ابن عادل حقا إنه أي القرآن تذكرة أي عظيمة توجب إيجابا

عظيما اتباعه وعدم الانفكاك عنه بوجه فليس لاحد ان يقول انا مقصر ولم اجد مذكرا ولا مخوفا
فان عنده اعظم مذكر واشرف مخوف فمن شاء اى ان يذكره ذكره اى اتعظ به وجعله نصب
عينيه وعلم معناه وتخلق به فمن فعل فهو سهل عليه لفظه وحفظ معانيه فانه كالبحر الفرات فمن شاء
اغترف وما يذكرون اى فى وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اى الملك الاعظم الذى لا امر
لاحد معه ذكرهم او مشيئتهم كقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد
بمشيئة الله تعالى وقرأ نافع بتاء الخطاب وهو التفات من الغيبة الى الخطاب والباقون بياء
الغيبة جريا على ما تقدم من قوله تعالى كل امرئ هو اى الله سبحانه وتعالى وحده اهل التقوى
اى ان يتقيه عباده ويحذروا غضبه بكل ما تصل قدرهم اليه لما له من الجلال والعظمة والقهر
وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وابو عمرو بين بين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين واهل
المغفرة اى وحقيق ان يطلب غفرانه للذنوب لاسيما اذا اتقاه المذنب لان له الجمال واللطف وهو القادر
ولا قدرة لغيره فلا ينفعه شئ ولا يضره روى الترمذى وابن ماجة عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فى هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة يقول الله تعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى
ان يشرك بى غيرى فانا اهل ان اغفر له ووقف الكسائى على اهل المغفرة بالامالة على اصله وورش
بترقيق الراء وقفا ووصلا على اصله وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ سورة المدثر اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق محمدا وكذب به حديث موضوع

سورة القيمة مكية

وهى تسع وثلاثون اية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الذى له الجلال والكمال الرحمن الذى عم بنعمة الايجاد اهل الهدى والضلال
الرحيم الذى سدد اهل العناية فى الافعال والاقوال واختلف فى لا فى قوله تعالى لا اقسم
على اوجه احدها انها نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث اى ليس الامر كما زعموا ثم ابتدأ
اقسم بيوم القيمة قال القرطبى ان القران جاء بالرد على الذين انكروا البعث والجنة
والنار فجاء الاقسام بالرد عليهم كقولك لا والله لا افعل فلا رد لكلام قد مضى كقولك لا والله
ان القيامة لحق كانك اكذبت قوما انكروه الثانى انها مزيدة مثلها فى لئلا يعلم اهل الكتاب
واعترضوا هذا بانها انما تزاد فى وسط الكلام لا فى اوله واجيب بان القران فى حكم سورة واحدة
متصل بعضه ببعض يدل على ذلك انه قد يجئ ذكر الشئ فى سورة ويذكر جوابه فى سورة اخرى كقوله
تعالى يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه فى سورة اخرى ما انت بنعمة ربك بمجنون
واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط ورد هذا بان القران فى حكم
السورة الواحدة فى عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز الثالث قال
الزمخشرى ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس

سه كاقابيك ابنة العامري + لا يدّعي القوم اني افر + وفائدتها توكيد القسم ثم قال الزمخشري
بعد ان ذكر وجه الزيادة والاعتراض والجواب كما تقدّم والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك
انه لا يقسم بالشئ الا اعظاما له يدل عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون
عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق
ذلك قال بعضهم قول الزمخشري والوجه ان يقال الى اخره تقرير لقوله ادخال لا النافية فيه
على فعل القسم مستفيض الى اخره وحاصل كلامه يرجع الى انها نافية وانّ النفي متسلط على
فعل القسم بالمعنى الذي شرحه وليس فيه نفي لفظا ولا معنى وقرأ ابن كثير بخلاف عن البزي بغير الف
بعد اللام والهمزة مضمومة والباقون بالالف ويعبر عن قراءة ابن كثير بالقصر وعن قراءة الباقين
بالمدّ ولا خلاف في قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوّامة في المدّ والكلام في لا المتقدّمة وجرى
الجلال المحلي على انها زائدة في الموضعين واختلف في النفس اللوّامة فقيل هي نفس المؤمن الذي
لا تراه يلوم الا نفسه تقول ما اردت بكذا ولا تراه يعاتب الا نفسه وقال الحسن رضي الله عنه هي والله
نفس المؤمن ما ترى المؤمن الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي ما اردت بحديثي والفاجر
لا يحاسب نفسه وقال مجاهد رضي الله عنه هي التي تلوم على ما فات فتلوم نفسها على الشرّ لم فعلته
وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها وقيل المراد ادم عليه السلام لم يزل
لائما نفسه على معصيته التي اخرج بها من الجنة وقيل هي الملومة فتكون صفة ذم وهو قول من نفى
ان تكون قسما وعلى الاوّل صفة مدح فيكون القسم بها سائغا وقال مقاتل رضي الله عنه هي نفس
الكافر يلوم نفسه تحسّرا في الاخرة على ما فرّط في جنب الله تعالى وجواب القسم محذوف اي لتبعثنّ
دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان اي هذا النوع الذي جبل على الانس بنفسه والنظر في عطفيه
واسند الفعل الى النوع كله لانّ اكثرهم كذلك لغلبة الحظوظ على العقل الا من عصم الله تعالى
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها ألّن اي انا لا نجمع اي على ما لنا من العظمة
عظامه اي التي هي قالب بدنه فنعيدها كما كانت بعد تفرقها وتفتتها للبعث والحساب وقيل نزلت
في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة ختن الاخنس ابن شريق الثقفي وذلك ان عديا اتى النبيّ
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني عن القيامة متى تقوم وكيف امرها وحالها فاخبره
النبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن بك او يجمع الله
العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها في اباعد
الارض ولهذا كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول اللهمّ اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة والاخنس بن شريق
وقيل نزلت في عدو الله ابي جهل انكر البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه كلها لانّ العظام قالب
الخلق + تنبيه + الن هنا موصولة وليس بين الهمزة واللام نون في الرسم كما ترى وقوله تعالى بلى ايجاب لما بعد
النفي المنسحب عليه الاستفهام وهو وقف حسن ثم يبتدئ بقوله تعالى قادرين وقيل المعنى بل

نجمعها قادرین مع جمعها علی ان نسوی بنانه ای اصابعه وسلامیاته وهی عظامه الصغار التی فی
یده وخصها بالذکر لانها اطرافه واخر ما یتم به خلقه ای نجمع بعضها علی بعض کما کانت علیه قبل
الموت لانا قدرنا علی تفصیل عظامه وتفتیتها فنقدر علی جمعها وتوصیلها وقدرنا علی جمع صغار العظام
فنحن علی جمع کبارها اقدر وقال ابن عباس واکثر المفسرین علی ان نسوی بنانه ای نجعل اصابع یدیه
ورجلیه شیئا واحدا کخف البعیر وکحافر الحمار ونحوه فلا یمکنه ان یعمل بها شیئا ولکنا فرقنا
اصابعه حتی یفعل بها ما شاء وقیل نقدر ان نصیر الانسان فی هیئة البهائم فکیف فی صورته التی کان
علیها وهو کقوله تعالی وما نحن بمسبوقین علی ان نبدل امثالکم وننشئکم فیما لا تعلمون وقوله تعالی
بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ عطف علی ایحسب فیجوز ان یکون استفهاما وان یکون ایجابا ای لا یجوز ان یکون للاضراب
عن المستفهم وعن الاستفهام لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ای لیدوم علی فجوره فیما یستقبله من زمان لا یبرح
عنه ولا یتوب هذا قول مجاهد رضی الله عنه وقال سعید بن جبیر رضی الله عنه یقدم الذنب ویؤخر
التوبة فیقول سوف اتوب سوف اعمل حتی یاتیه الموت علی اشر احواله واسوأ اعماله وقال الضحاک
رضی الله عنه هو الامل یقول اعیش فاصیب من الدنیا کذا وکذا ولا یذکر الموت وقال ابن عباس رضی الله
عنهما یکذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور المیل وسمی الکافر والفاسق فاجرا لمیله
عن الحق يَسْأَلُ ای سؤال استهزاء واستبعاد أَيَّانَ ای متی یکون يَوْمُ الْقِيَامَةِ ولما کان
الجواب یوم یکون کذا وکذا عدل عنه الی ما سببه عن استبعاده لانه اهول فقال تعالی فَإِذَا بَرِقَ
الْبَصَرُ ای شخص ووقف لما یری مما کان یکذب به هذا علی قراءة نافع بفتح الراء واما علی قراءة
کسرها فالمعنی تحیر ودهش مما یری وقیل هما لغتان فی التحیر والدهشة وَخَسَفَ الْقَمَرُ
ای اظلم وذهب ضوؤه وقد اشتهر ان الخسوف للقمر والکسوف للشمس وقیل یکونان فیهما یقال
خسفت الشمس وکسفت وخسف القمر وکسف وقیل الکسوف اوله والخسوف اخره ولم تلحق
علامة التانیث فی قوله تعالی وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لان التانیث مجازی وقیل لتغلیب التذکیر
لانه لا یقال قام هند وزید عند الجمهور من العرب وقال الکسائی حمل علی جمع النیرین وقال الفراء
لم یقل جمعت لان المعنی جمع بینهما قال الفراء والزجاج جمع بینهما فی ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس
کما لا ضوء للقمر بعد خسوفه وقال ابن عباس وابن مسعود رضی الله عنهم قرن بینهما فی طلوعهما
من المغرب اسودین مکورین مظلمین مقرنین کانهما ثوران عقیران فی النار وقال عطاء بن یسار
رضی الله عنه یجمع بینهما یوم القیامة ثم یقذفان فی البحر فیکونان نار الله الکبری وقیل یجمعان فی
نار جهنم لانهما قد عبدا من دون الله تعالی ولا تکون النار عذابا لهما لانهما جماد وانما یفعل ذلک بهما
زیادة فی تبکیت الکفار وحسرتهم وقوله تعالی يَقُولُ الْإِنْسَانُ ای لشدة روعه جریا مع طبعه جواب اذا من قوله تعالی
فاذا برق البصر يَوْمَئِذٍ ای اذا کانت هذه الاشیاء وقوله تعالی أَيْنَ الْمَفَرُّ منصوب المحل بالقول والمفر مصدر
بمعنی الفرار قال الماوردی ویحتمل وجهین احدهما این المفر من الله تعالی استحیاء منه والثانی

ابن المفر من جهنم حذراً منها ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين احدهما ان يكون من
الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن لثقة المؤمن ببشرى ربه تعالى والثاني ان يكون من
قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها وقيل ابو جهل خاصة وقوله تعالى
كلا ردع عن طلب المفر لا وزر اي لا ملجأ ولا حصن يستجير من الجبل قال السدي كانوا في الدنيا
اذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله تعالى لهم لا وزر يعصمكم مني يومئذ واشتقاقه من الوزر وهو
الثقل الى ربك اي المحسن اليك بانواع الاحسانات لا الى شيء غيره يومئذ اي اذ كانت هذه
الامور المستقر اي استقرار الخلق كلهم بواطنهم وصاماتهم ومكان قرارهم وزمانه الى حكمه
سبحانه ومشيئته ظاهراً او باطناً لا حكم لغيره بوجه من الوجوه في ظاهر ولا باطن كما هو في الدنيا
وقال ابن مسعود المصير والمرجع قال الله تعالى الى ربك الرجعى واليه المصير وقال السدي المنتهى
نظيره وان الى ربك المنتهى ينبؤا اي يخبر تخبيراً عظيماً الانسان يومئذ اي اذ كانت الزلزال الاكبر
بما قدم قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم بما قدم قبل موته من عمل صالح وسيء
واخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وقال ابن عطية عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقال قتادة بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله
فضيعه وقال مجاهد باول عمله واخره وقال عطاء بما قدم في اول عمره وما اخر في اخر عمره
وقال زيد بن اسلم بما قدم من امواله لنفسه وما اخر خلفه للورثة والاولى ان يقال ينبأ بجميع
ذلك اذ لا منافاة بين هذه الاقوال بل الانسان اي كل واحد من هذا النوع على نفسه اي خاصة
بصيرة اي حجة بينة على اعماله والهاء للمبالغة يعني انه في غاية المعرفة باحوال نفسه فيشهد
عليه بعمله سمعه وبصره وجوارحه قال الله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً قال البغوي
ويحتمل ان يكون معناه بل للانسان على نفسه يعني جوارحه فحذف حرف الجر كقوله تعالى وان اردتم
ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم ويجوز ان يكون نعتاً لاسم مؤنث اي بل الانسان على نفسه عين
بصيرة ولو القى اي ذكر بغاية السرعة ذلك الانسان من غير تلعثم دلالة على غاية الصدق والاهتمام
والتملق وقوله تعالى معاذيره جمع معذرة على غير قياس قاله الجلال المحلي اي لو جاء بكل معذرة ما قبلت
منه وقال الزمخشري المعاذير ليس بجمع معذرة وانما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر اهـ قال
ابو حيان وليس هذا البناء من ابنية اسماء الجموع وانما هو من ابنية جموع التكسير اهـ وقيل معاذيره
معذاره وهو الستر والمعنى ولو ارخى ستوره والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله الضحاك وحكى
الماوردي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولو القى معاذيره اي ولو تجرد عن ثيابه ولما كان
صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة
الى الحفظ وخوفاً من ان يتفلت منه امره الله تعالى بان ينصت له ملقياً اليه بقلبه وسمعه حتى
يقضي الله تعالى وحيه ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ فيه بقوله تعالى لا تحرك به اي بالقرآن لسانك

ما دام جبريل عليه السلام يقرؤه لِتَعْجَلَ بِهِ اي لتأخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك فان
هذه العجلة وان كانت من الكمالات بالنسبة اليك والى اخوانك من الانبياء عليهم السلام كما قال
موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى تنقل صلى الله عليه وسلم من مقام كامل الى اكمل منه
ثم علل النهي عن العجلة بقوله تعالى إِنَّ عَلَيْنَا اي بما لنا من العظمة لا على احد سوانا جَمْعَهُ
اي في صدرك حتى تثبته وتحفظه وَقُرْآنَهُ اي قراءتك اياه يعني جريانه على لسانك فَإِذَا قَرَأْنَاهُ
عليك بقول جبريل عليه السلام فَاتَّبِعْ اي بغاية جهدك بالقاء سمعك واحضار قلبك قُرْآنَهُ
اي قرائته مجموعة على حسب ما اداه رسولنا وجمعناه لك في صدرك وكررناه حتى يصير لك
به ملكة عظيمة ويصير لك خلقا فيكون خاتمك الى كل خير وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما في قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل
جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله تعالى الآية
التي في لا اقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك الآية فكان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل
عليه السلام اطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى قال سعيد بن جبير قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما فانا احركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فانزل الله عز وجل
الآية ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا اي بما لنا من العظمة بَيَانَهُ اي بيان الفاظه ومعانيه لك سواء اسمعته من جبريل
عليه السلام على مثل صلصلة الجرس ام بكلام الناس المعتاد بالصوت والحروف ولنبينه على لسانك
وعلى السنة العلماء من امتك والآية مشيرة الى ترك مطلق العجلة لانه اذا نهى عنها في اعظم
الاشياء واهمها كان غيره بطريق الاولى والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها ان تلك تضمنت
الاعراض عن آيات الله تعالى وهذه تضمنت المبادرة اليها بحفظها وقوله تعالى كَلَّا استفتاح بمعنى الا
وقال الزمخشري ردع للنبي صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وقال جماعة من المفسرين حقا والاول
جرى عليه الجلال المحلي وهو الظاهر بَلْ تُحِبُّونَ محبة متجددة على تجدد الزمان الْعَاجِلَةَ بل انتم
يقبلون غاية الاقبال عليها وحبها اوجب لهم ارتكاب ما يغضبه فيه فان الآخرة والاولى ضرتان
من تقرب من احدهما لابد من تباعده عن الاخرى فان حبك للشيء يعمي ويصم وَتَذَرُونَ اي
تتركون على اي وجه كان ولو انه غير مستحسن الْآخِرَةَ لانهم يبغضونها لارتكابهم ما يضرهم فيها
وجمع الضمير وان كان مبنى الخطاب مع الانسان للمعنى وقرأ يحبون ويذرون ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر بياء الغيبة فيهما حملا على لفظ الانسان المذكور اولا لان المراد به الجنس لان الانسان
بمعنى الناس والباقون بتاء الخطاب فيهما اما خطابا بالكفار قريش اي تحبون يا كفار قريش العاجلة اي
الدار الدنيا والجاه فيها وتتركون الآخرة والعمل لها واما التفاتا عن الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال
عليه بالخطاب ٭ ولما ذكر تعالى الآخرة التي اعرضوا عنها ذكر ما يكون فيها بيانا لجهلهم وسفههم وقلة
عقولهم وترهيبا لمن ادبر عنها وترغيبا لمن اقبل عليها لطفا بهم ورحمة لهم فقال تعالى وُجُوهٌ

اى من المحشورين وهم جميع الخلائق يومئذ اى اذ تقوم الساعة ناضرة من النضرة بالضاد وهى النعمة والرفاهية اى هى نعمة مشرقة عليها اثر النعمة بحيث يدل ذلك على نعمة اصحابها الى ربها اى المحسن اليها خاصة باعتبار ان عد النظر الى غيره كلا نظر ناظرة اى دائما هم مستغرقون ابصارهم لا غفلة لهم عن ذلك فاذا ارتفع الحجاب عنهم ابصروه باعينهم بل امثل التجلى بالى وذلك النظر جهرة من غير اكتنان ولا انضمام ولا ازدحام كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم واكثر المفسرين وجميع اهل السنة وروى عن النبى عليه الصلوة والسلام فى الاحاديث الصحيحة من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة وتكون الرؤية كما مثلت فى الاحاديث كما يرى القمر ليلة البدر كل من يريد رؤيته من بيته يراه متجليا له هذا وجه التشبيه لانه فى جهة ولا فى حالة لو اشبه تعالى الله الكبير عن التشبيه فمن تلك الاحاديث ما روى عن جرير بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وصلوة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفى كتاب النسائى عن صهيب قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر ولا اقر لاعينهم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا عز وجل حتى ننظر الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول تعالى ارفعوا رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة وقدم الجار الدال على الاختصاص اشارة الى ان هذا النظر مباين للنظر الى غيره لانه بعد ذلك نظرا بالنسبة اليه وعبر بالوجوه عن اصحابها لانها ادل ما يكون على السرور وليكون ذكرها اصرح فى ان المراد بالنظر حقيقته روى مسلم فى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة كان ابن عمر يقول اكرم اهل الجنة على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم تلا هذه الاية وانكر الرؤية المعتزلة واحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار ويقولون النظر المقرون بالى ليس اسما للرؤية بل لمقدمة الرؤية وهى تقليب الحدقة نحو المرئى التماسا لرؤيته ونظر العين بالنسبة الى الرؤية كنظر القلب بالنسبة الى المعرفة وكالاصغاء بالنسبة الى السمع ويدل على ذلك قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فاثبت النظر حال عدم الرؤية فتكون الرؤية غاية النظر وان النظر يحصل والرؤية غير حاصلة قالوا ويمكن ان يكون معنى قوله تعالى ناظرة منتظرة كقولك انا انظر اليك فى حاجتى واجيب عن استدلالهم بقوله تعالى لا تدركه الابصار بان لا تدركه بالاحاطة والجهة فلا يكون ذلك مانعا للرؤية على هذا الوجه وعن بقية استدلالهم بما ذكروه بجوابين احدهما ان نقول النظر هو الرؤية لقول موسى عليه السلام ارنى انظر اليك فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئى لاقتضت الاية اثبات الجهة والمكان ولانه اخر النظر عن الاراءة فلا يكون تقليب الحدقة الجواب الثانى سلمنا ما ذكرتموه من ان النظر تقليب الحدقة تعذر حمله على الحقيقة فيجب حمله على الرؤية اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو اولى من حمله على الانتظار لعدم الملازمة لان تقليب الحدقة كالسبب للرؤية ولا تعلق بينه وبين

الانتظار واثباتهم بحمله على الانتظار فاجيب عنه ايضا بان الذى هو بمعنى الانتظار فى القرآن غير مقرون بالى كقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم هل ينظرون الا ان والذى ندعيه ان النظر المقرون بالى ليس الا بمعنى الرؤية لان وروده بمعنى الرؤية ظاهر فلا يكون بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك * ولما ذكر تعالى اهل النعمة اتبعه اضدادهم من اهل النقمة فقال سبحانه وتعالى ووجوه يومئذ اى فى ذلك اليوم بعينه باسرة اى شديدة العبوس والكلوح والتكره لما هى فيه من الغم كانها قد عرفت فيه وقال السدى باسرة متغيرة تظن اى تتوقع اربابها لما ترى من الامارات ان يفعل بها اى بهم فانه اذا اصيب الوجه الذى هو اشرف ما فى البدن كان ما عداه اولى فاقرة وهى الداهية العظيمة قال ابو عبيدة سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر يقال فقرته الفاقرة اى كسرت فقار ظهره ومنه سمى الفقير لانكسار فقاره من القل وقال قتادة الفاقرة الشر وقال السدى الهلاك وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دخول النار وقال الكلبى هى ان تحجب عن رؤية الرب عز وجل فقوله تعالى كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى ورد الزجرى كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا الى ما بين ايديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين اذا بلغت النفس التراقى واضمار النفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر * وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء والتراقى جمع ترقوة وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ولكل انسان ترقوتان قال البقاعى وبعلم جمع المثنى اشارة الى شدة انتشارها بغاية الجهد لما فيه من الكرب لاجتماعها من اقاصى البدن الى هناك انتهى وهذا كناية عن الاشفاء على الموت ذكرهم صعوبة الموت الذى هو اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقى ودنا زهوقها وقيل اى قال حاضرو صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق اى ايكم يرقيه مما به ليحصل له الشفاء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو من كلام ملائكة الموت اى ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب فالاول اسم فاعل من رقى يرقى بمعنى الرقية بالفتح فى الماضى والكسر فى المضارع والثانى الذى بمعنى الصعود بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع وظن اى ايقن المحتضر لما اجل له من انوار الآخرة وقيل القائل من راق من اهله انه اى الشان العظيم الذى هو فيه الفراق لما كان اى فيه من محبوبه العاجلة الذى هو الفراق الاعظم الذى لا فراق مثله فى الحيوان العبد يعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول السلام عليك تفارقنى وافارقك الى يوم القيامة وسمى اليقين هنا بالظن لان الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع فى الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها او ان المراد الظن الغالب اذ لا يحصل يقين الموت مع رجاء الحياة وقيل سماه بالظن تهكما قال الرازى وهذه الآية تدل على

ان الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لانه تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون
اذا كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف وَالْتَفَّتِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ اي اجتمعت احداهما بالاخرى اذ الالتفاف الاجتماع قال تعالى جئنا بكم لفيفا
وعلى الكلام اتصلت شدة اخر الدنيا بشدة اول الاخرة قاله ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما والحسن وغيرهما وقال الشعبي التفت ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب وقال
قتادة اما رأيته اذا اشرف على الموت يضرب برجله على الاخرى وقال سعيد بن المسيب هما ساقا
الانسان اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقال الضحاك الناس
يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقال السدي لا يخرج من كرب الا جاءه اشد منه
واول الاقوال كما قال النحاس احسنها والعرب لا تذكر الساق الا في الشدائد والمحن العظام ومنه
قولهم قامت الحرب على ساق قال اهل المعاني لان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه
فقيل للامر الشديد ساق قال الجعدي سعى اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ؛ وان شمرت
عن ساقها الحرب شمرا ؛ ولما صور وقت تأسفه على الدنيا واعراضه عنها ذكر غاية ذلك فقال
تعالى مفردا النبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب اشارة الى انه لا يفهم هذا حق فهمه غيره اِلٰى رَبِّكَ
اي المحسن اليك بجميع ما انت فيه يَوْمَئِذٍ اي اذ وقع هذا الامر الْمَسَاقُ اي السوق الى حكمه
تعالى فقد انقطعت عنه احكام الدنيا فاما ان تسوقه الملائكة الى سعادة واما الى شقاوة والضمير في
قوله تعالى فَلَا صَدَّقَ راجع للانسان المذكور في ايحسب الانسان اي فلا صدق النبي صلى الله
عليه وسلم فيما اخبره به بما كان يعمل من الاعمال البدنية ولا في ماله بالانفاق في وجوه الخير التي ندب
اليها واجبة كانت او مندوبة وحذف المعمول لانه ابلغ في التعميم وَلَا صَلّٰى اي ما امر به من فرض
وغيره فلا تمسك بحبل الخالق ولا وصل حبل الخلائق وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يصدق
بالرسالة ولا صلى اي دعا لربه عز وجل وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله
تعالى ولا صلى لله جل ذكره وَلٰكِنْ اي فعل ضد ما امر به بان كَذَّبَ اي بما اتاه به النبي صلى الله عليه وسلم
من قرآن وغيره وَتَوَلّٰى اي اعرض عنه وهذا الاستدراك واضح اذ لا يلزم من نفي التصديق والصلاة
التكذيب والتولي وقال القرطبي معناه كذب بالقرآن وتولى عن الايمان وقيل نزلت في ابي جهل ثُمَّ ذَهَبَ
اي هذا الانسان او ابو جهل اِلٰى اَهْلِهٖ غير متفكر في عاقبة ما فعل من التكذيب حالة كونه يَتَمَطّٰى
اي يتبختر افتخارا بتكذيبه واعراضه وعدم مبالاته بذلك واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر
يمد خطاه وانما ابدلت الطاء الثانية ياء كراهة اجتماع الامثال وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه
يلويه تبخترا في مشيته وقوله تعالى اَوْلٰى لَكَ فيه التفات من الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين
اي وليك ما تكره فَاَوْلٰى اي فهو اولى بك من غيرك وقوله تعالى ثُمَّ اَوْلٰى لَكَ فَاَوْلٰى تاكيد وقيل هذه
الكلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه واصلها من الولي وهو القرب قال الله تعالى قاتلوا الذين

يلونكم وقال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية اخذ بمجامع ثوب
ابي جهل بالبطحاء وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد فوالله
ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا واني لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه
الله شر مصرع وقتله اسوأ قتلة قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لكل امة فرعون وان فرعون
هذه الامة ابو جهل ﴿ايحسب﴾ اي يظن لقلة عقله ﴿الانسان﴾ اي الذي هو عبد مربوب ضعيف عاجز
جاير من نفسه وابناء جنسه ﴿ان يترك﴾ اي يكون تركه بالكلية ﴿سدى﴾ اي هملا لاغيا لا يكلف ولا يجازى
ولا يعرض على الملك الاعظم الذي خلقه فيسأله عن شكره فيما اسدى اليه فان ذلك مناف
للحكمة فانها تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن المساوي والجزاء على كل منهما واكثر الظالمين في الظاهر
يموتون من غير جزاء فاقتضت الحكمة انه لابد من البعث للجزاء ﴿الم يك﴾ اي الانسان ﴿نطفة﴾ اي
شيئا يسيرا ﴿من مني﴾ اي ماء من صلب الرجل وترائب المرأة ﴿يمنى﴾ اي تصب في الرحم سببه الله تعالى
لابقاء النسل العالمة في اقرانها بما ركب فيه من الشهوة وجعل له من الزوج التي يسير بها لقضاء وطره
حتى اذا وقت صبا في الرحم تصب منه بغير اختياره حتى كانه لا فعل له فيها اصلا فان قيل ما فائدة
يمنى بعد قوله تعالى من مني اجيب بان فيه اشارة الى حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني
الذي يجري على مجرى النجاسة فلا يليق بمثل هذا ان يتمرد عن طاعة الله تعالى الا انه عبر عن هذا
المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى في عيسى عليه السلام وامه مريم كانا ياكلان الطعام والمراد منه
قضاء الحاجة ﴿ثم كان﴾ اي كونا محكما ﴿علقة﴾ اي دما احمر غليظا شديد الحمرة والغلظ ﴿فخلق﴾ اي قدر سبحانه
عقب ذلك لحمه وعظامه وعصبه وغير ذلك من جواهره واعراضه ﴿فسوى﴾ اي عدل من ذلك خلقا
اخر غاية التعديل شخصا مستقلا ﴿فجعل﴾ اي بسبب النطفة ﴿منه﴾ اي من المني الذي صار علقة
اي قطعة دم ثم مضغة اي قطعة لحم ﴿الزوجين﴾ اي النوعين ﴿الذكر والانثى﴾ يجتمعان تارة وينفرد كل
منهما عن الاخر تارة قال القرطبي وقد احتج بهذه الآية من راى اسقاط الخنثى واجيب بان هذه
الآية وقرينتها خرجت مخرج الغالب او انه في نفس الامر ذكر او انثى ﴿اليس ذلك﴾ اي الخالق المسوي الاله
الاعظم الذي قدر على تمييز ما يصلح من ذلك للذكر وما يصلح منه للانثى ﴿بقادر على ان يحيي الموتى﴾
اي ان يعيد هذه الاجسام كما بدأها للبعث بعد البلى وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال
سبحانك اللهم بلى رواه ابو داود والحاكم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من قرأ سبح اسم ربك
الاعلى اماما كان او غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة الى اخرها فليقل
سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره وروى البغوي بسنده من طريق ابي داود عن اعرابي عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى اخرها اليس الله
باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون

بلغ

فليقل آمنا بالله وروي ان رجلا كان يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على ان يحيي
الموتى قال سبحانك اللهم بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة القيامة
شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا حديث موضوع

سورة الدهر

وتسمى هل أتى والامشاج والدهر مكية او مدنية وهي احدى وثلاثون
آية ومائتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا

واختلف فيها هل هي مكية او مدنية فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل والكلبي مكية وجرى عليه البيضاوي والزمخشري وقال الجمهور مدنية وقال الجلال المحلي مكية او مدنية و الجمهور بتثنيه وقال الحسن وعكرمة هي مدنية الا آية وهي قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا وقيل فيها مكي من قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا الى آخر السورة وما تقدمه مدني

بسم الله الذي له الاسماء الحسنى الرحمن الذي عم بنعمه الذكور والاناث الرحيم الذي خص منهم من شاء بالمقام الاسنى. ولما تم الاستدلال على البعث والقدرة عليه تلاه بهذا الاستفهام وهو قوله تعالى هل أتى قال الزمخشري بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل أهل بدليل قول الشاعر: سائل فوارس يربوع بشدتنا * أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا اي أتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب ام فقوله على التقرير يعني المفهوم من الاستفهام وقوله والتقريب يعني المفهوم من قد التي وقع موقعها هل ومعنى قوله في الاستفهام خاصة ان هل لا تكون بمعنى قد الا ومعها استفهام لفظا كالبيت المتقدم او تقديرا كالآية الكريمة ولو قلت هل جاء زيد بمعنى قد جاء من غير استفهام لم يجز وغيره جعلها بمعنى قد من غير هذا القيد وجرى عليه الجلال المحلي واعترض على الزمخشري بانه لم ير لغيره كونها بمعنى قد وفي قيده نظر وهو ان يقول في الجمل الفعلية لانها متى دخلت على جملة اسمية استحال كونها بمعنى قد لان قد مختصة بالافعال واجيب عنه بان هذا لا يحتاج اليه لانه تقرر ان قد لا تباشر الاسماء واختلف في المراد من الانسان فقال قتادة وعكرمة والشعبي هو آدم عليه السلام مكث عليه اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية الضحاك انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الحين المذكور هنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره وقال الحسن خلق الله

كل الاشياء ما يرى ومالا يرى من دواب البر والبحر فى الايام الست التى خلق الله تعالى فيها
السموات والارض وآخرها خلق ادم عليه السلام فهو قوله تعالى لم يكن شيأ مذكورا وروى
ان ابابكر رضى الله عنه لما قرأ هذه الاية قال ليتها تمت فلا نبتلى اى ليت هذه المدة التى اتت على
ادم عليه السلام لم يكن شيأ مذكورا تمت على ذلك فلا يلد ولا تبتلى اولاده وسمع عمر رجلا يقرأ
لم يكن شيأ مذكورا قال عمر ليتها تمت يقول ليته بقى على ما كان هذا وهما رضى الله عنهما خوفا من الله تعالى
ولكن بقدر القرب يكون الخوف فان قيل ان الطين والصلصال والحما المسنون قبل نفخ
الروح فيه ما كان انسانا والاية تقتضى انه مضى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر
مع انه فى ذلك الحين ما كان شيأ مذكورا اجيب بان الطين والصلصال اذا كان مصورا
بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته بانه
انسان روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لم يكن شيأ مذكورا
لا فى السماء ولا فى الارض بل كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه
ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قال ابن سلام لم يكن شيأ لانه خلقه بعد خلق
الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوانا وقال الزمخشرى وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد
بالانسان جنس بنى ادم بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ اى بعد خلق ادم عليه السلام
﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ اى مادة هى شئ يسير جدا من الرجل والمرأة وكل ماء قليل فى وعاء فهو نطفة كقول
عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه شعر مالى اراك تكرهين الجنة * هل انت الا نطفة فى شنة
وعلى هذا فالمراد بالحين المدة التى هو فيها فى بطن امه لم يكن شيأ مذكورا اذ كان علقة ومضغة
لانه فى هذه الحالة جماد لا خطر له وقوله تعالى ﴿أَمْشَاجٍ﴾ اى اخلاط من ماء الرجل وماء المرأة
المختلطين الممتزجين نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا لمفرد لانه فى معنى الجمع كقوله رفرف خضر
او جعل كل جزء من النطفة نطفة فوصفت بالجمع وقال الزمخشرى نطفة امشاج كبرمة اعشار
وبرد اكياش وهى الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال ايضا
نطفة مشج قال الشماخ شعر طوت احشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين
ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان فى الافراد لوصف المفرد بهما اه
فقد منع ان يكون امشاجا جمع مشج بالكسر قال ابو حيان وقوله مخالف لنص سيبويه
والنحويين على ان افعالا لا يكون مفردا واجاب بعضهم بان الزمخشرى انما قال يوصف به
المفرد ولم يجعل افعالا مفردا فكانه جعل كل قطعة من البرمة برمة وكل قطعة من البرد
بردا فوصفهما بالجمع والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وكل منهما مختلف الاجزاء متباين
الاوصاف فى الرقة والثخن والقوام والخواص يجمع من الاخلاط وهى العناصر الاربعة ماء
الرجل غليظ ابيض وماء المرأة رقيق اصفر فايهما علا كان الشبه له وعن ابن عباس رضى الله

تعالی عنهما قال یختلط ماء الرجل وهو ابیض غلیظ بماء المرأة وهو اصفر رقیق فیخلق منهما الولد فما کان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما کان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبی وقد روی هذا مرفوعا ذکره البزار وعن قتادة امشاج الوان واطوار یرید انها تکون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم خلقا آخر وعن ابن مسعود رضی الله عنه هی عروق النطفة وقال مجاهد نطفة الرجل بیضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء والغرض من هذا التنبیه علی ان الانسان محدث فلا بد له من محدث قادر علی تصویره وقد صوره علی صور مختلفة فمنها صغیر وکبیر وطویل وقصیر ومستدیر وعریض ولما کان الانسان محتاجا الی الحرکة بجملة بدنه وببعض اعضائه جعل بین العظام مفاصل ثم اوصلها باوتار وعروق ولحم ودور الراس وشق فی جانبیه السمع وفی مقدمه البصر والانف والفم وشق فی البدن سائر المنافذ ثم مد الیدین والرجلین وقسم رؤسها بالاصابع ورکب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة فسبحان من خلق تلک الاشیاء من نطفة سخیفة الیس ذلک بقادر علی ان یحیی الموتی ۔ وقوله تعالی نَّبْتَلِيهِ یجوز فیه وجهان احدهما انه حال من فاعل خلقنا ای خلقناه حال کوننا مبتلین له والثانی انه حال من الانسان وصح ذلک لان فی الجملة ضمیرین کل منهما یعود علی ذی الحال ثم هذه الحال یجوز ان تکون مقارنة ان کان المعنی نبتلیه نصرفه فی بطن امه نطفة ثم علقة کما قال ابن عباس رضی الله تعالی عنهما وان تکون مقدرة ان کان المعنی نبتلیه نختبره بالتکلیف لانه وقت خلقه غیر مکلف وفیما نختبره به وجهان احدهما قال الکلبی نختبره بالخیر والشر والثانی قال الحسن نختبر شکره فی السراء وصبره فی الضراء وقیل نبتلیه نکلفه بالعمل بعد الخلق قال مقاتل رضی الله عنه وقیل نکلفه لیکون مأمورا بالطاعة ومنهیا عن المعاصی فَجَعَلْنَاهُ ای بما لنا من العظمة بسبب ذلک سَمِيعًا بَصِيرًا ای عظیم السمع والبصر والبصیرة لیتمکن من مشاهدة الدلائل ببصره وسماع الآیات بسمعه ومعرفة الحجج ببصیرته فیصح تکلیفه وابتلاؤه فقدم العلة الغائیة لانها متقدمة فی الاستحضار علی التابع لها المصحح لورودها وقدم السمع لانه انفع فی المخاطبات ولان الآیات المسموعة ابین من الآیات المرئیة وخصهما بالذکر لانهما انفع الحواس ولان البصر یفهم البصیرة وهی تتضمن الجمیع وقال بعضهم فی الکلام تقدیم وتاخیر والاصل انا جعلناه سمیعا بصیرا لنبتلیه ای جعلنا له ذلک للابتلاء وقیل المراد بالسمیع المطیع کقولک سمعا وطاعة وبالبصیر العالم یقال لفلان بصر فی هذا الامر إِنَّا ای بما لنا من العظمة هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ای بیناله وعرفناه طریق الهدی والضلال والخیر والشر ببعثة الرسل وقال مجاهد رضی الله عنه بینا له السبیل الی السعادة والشقاوة وقال السدی رضی الله عنه السبیل هنا خروجه من الرحم وقیل منافعه ومضاره التی یهتدی الیها بطبعه وکمال عقله قال الرازی والآیة تدل علی ان العقل متاخر عن الحواس قال وهو کذلک وقوله تعالی إِمَّا شَاكِرًا ای لانعام ربه علیه وَإِمَّا كَفُورًا ای بلیغ الکفر بالاعراض والتکذیب نصب علی الحال وفیه وجهان احدهما انه حال من مفعول

هديناه اى هديناه مبيناله كلتا حالتيه والثانى انه حال من السبيل على المجاز قال الزمخشرى
ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله تعالى
وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا وروى الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه
الحديث وعن جابر رضى الله عنه كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا
ولما قسمهم الى قسمين ذكر جزاء كل فريق فقال تعالى انا اى على ما لنا من العظمة اعتدنا اى هيأنا
واحضرنا بشدة وغلظة للكافرين اى العريقين فى الكفر خاصة وقدم الاسهل فى العذاب فالاسهل
فقال تعالى سلاسلا جمع سلسلة اى يقادون ويوثقون بها واغلالا اى فى اعناقهم تشد فيها
السلاسل فتجمع ايديهم الى اعناقهم وسعيرا اى نارا حامية جدا شديدة الاتقاد وقرأ نافع وهشام
وشعبة والكسائى سلاسلا وصلا بالتنوين والباقون بغير تنوين واما الوقف على الثانية فوقف
عليها بغير الف قنبل وحمزة ووقف البزى وابن ذكوان وحفص بغير الف وبالالف ووقف الباقون
بالالف ولا وقف على الاولى والرسم بالالف اما من نون سلاسل فوجهه باوجه منها انه قصد بذلك
التناسب لان ما قبله وما بعده منون منصوب ومنها ان الكسائى وغيره من اهل الكوفة
حكوا عن بعض العرب انهم يصرفون جميع ما لا ينصرف الا افضل منك وقال الاخفش سمعنا من العرب
من يصرف كل ما لا ينصرف لان الاصل فى الاسماء الصرف وترك الصرف العارض فيها وروى عن
بعضهم انه يقول رأيت عمرا بالالف يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وايضا هذا الجمع قد جمع وان
كان قليلا قالوا صواحب وصواحبات وفى الحديث انكن صواحبات يوسف ومنها انه مرسوم فى الامام
اى مصحف الحجاز والكوفة بالالف رواه ابو عبيدة ورواه قالون عن نافع وروى بعضهم ذلك عن
مصاحف البصرة ايضا وقال الزمخشرى فيه وجهان احدهما ان يكون هذا التنوين بدلا من
حرف الاطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف والثانى ان يكون صاحب هذه القراءة ممن ضرى برواية
الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف اه قال بعض المفسرين وفى هذه العبارة فظاظة وغلظة
لاسيما على مشايخ الاسلام وائمة العلماء الاعلام واما من لم ينونه فوجهه ظاهر لانه على صيغة منتهى
الجموع وقولهم قد جمع نحو صواحبات لا يقدح لان المعتد جمع التكسير وهذا جمع تصحيح واما من لم يقف
بالالف فواضح ولما اوجز فى جزاء الكافر اتبعه جزاء الشاكر واطنب تأكيدا للترغيب فقال تعالى ان الابرار
جمع بر كارباب جمع رب او بار كاشهاد جمع شاهد وفى الصحاح وجمع البار البررة وهم الصادقون
فى ايمانهم المطيعون لربهم الذين سمت همتهم عن المستحقرات فظهرت فى قلوبهم ينابيع الحكمة وروى
ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الاباء والابناء
كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال الحسن رضى الله عنه البر الذى لا يؤذى الذر وقال
قتادة رضى الله عنه الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر وفى الحديث الابرار الذين لا يؤذون

اخذا يَشْرَبُوْنَ مِنْ كَأْسٍ هو اناء شرب الخمر وهى فيه والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل ومن
للتبعيض كَانَ مِزَاجُهَا اى ماتمزج به كَافُوْرًا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وذكر فعل الكون يدل
على ان له شانا فى المزج عظيما يكون فيه كانه من نفس الجبلة لا كما يعهد والكافور نبت معروف
وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطى الاشياء برائحته والكافور ايضا كمام الشجر الذى
هو ثمرتها والكافر البحر والكافر الليل والكافر الساتر لنعم الله تعالى والكافر الزارع لتوريته الحب
فى الارض قال الشاعر ؎ وكافورات على كفره + وجنة الفردوس للكافر + والكفارة تغطية
الاثم فى اليمين الفاجرة والنذور الكاذبة بالمغفرة والكافور ماء جوف الشجر مكفور فيغرز وتنه
بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهواء فيجمد وينعقد كالصمغ الجامد على الاشجار فان قيل
مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا فما السبب فى ذكره اجيب باوجه احدها قال ابن عباس
رضى الله عنهما الكافور اسم عين فى الجنة يقال لها عين الكافور اى يمازجها ماء هذه العين التى
تسمى كافورا فى بياض الكافور ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته ثانيها ان
رائحة الكافور عرض والعرض لا يكون الا فى جسم فخلق الله تعالى تلك الرائحة فى جرم ذلك
الشراب فسمى ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه طيبا فيكون الكافور ريحها لا طعمها ثالثها
ان الله تعالى يخلق الكافور فى الجنة مع طعم طيب لذيذ ويسلب عنه ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه
بذلك الشراب كما انه تعالى يسلب عن جميع الماكولات والمشروبات ما معها فى الدنيا من المضار
وقال سعيد عن قتادة رضى الله عنهم يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقيل يخلق فيها رائحة
الكافور وبياضه فكانها مزجت بالكافور وقوله تعالى عَيْنًا فى نصبه اوجه احدها انه بدل من كافورا
لان ماءها فى بياض الكافور وفى رائحته وبرده واقتصر على هذا الجلال المحلى الثانى انه بدل من محل من
كاس قاله مكى ولم يقدر حذف مضاف وقدر الزمخشرى على هذا الوجه حذف مضاف قال كانه
قيل يشربون خمرا خمر عين الثالث انه نصب على الاختصاص قاله الزمخشرى الرابع انه باضمار
اعنى قاله القرطبى وقيل غير ذلك يَشْرَبُ بِهَا قال الجلال المحلى منها وقال البقاعى اى مزاجها وقال
الزمخشرى بها الخمر قال كما تقول شربت الماء بالعسل والاول اوضح عِبَادُ اللّٰهِ اى اولياؤه فان قيل
الكفار عباد الله وهم لا يشربون منها بالاتفاق اجيب بان لفظ عباد الله مختص باهل الايمان
ولكن يشكل بقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فانه يصير تقدير الاية ولا يرضى لعباده المؤمنين
الكفر مع انه سبحانه لا يرضى الكفر للكافر ولا لغيره وقد يجاب بان هذا اكثرى لا كلى او يقال حيث
اضيف العباد او العبد الى اسم الله الظاهر سواء كان بلفظ الجلالة ام لا فالمراد به المؤمن وان
اضيف الى ضميره تعالى فيكون بحسب المقام فتارة يختص بالمؤمن كقوله تعالى ان عبادى ليس لك
عليهم سلطان وتارة يعم كقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وقوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور
الرحيم يُفَجِّرُوْنَهَا اى يجرونها حيث شاؤا من منازلهم وان علت تَفْجِيْرًا سهلا لا تمتنع عليهم

ولما ذكر جزاءهم ذكر وصفهم الذي يستحقون عليه ذلك بقوله تعالى يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وهذا يجوز ان
يكون مستأنفا ويجوز ان يكون خبرا لكان مضمرة قال الفراء التقدير كانوا يوفون بالنذر في الدنيا
وكانوا يخافون وقال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك قال ابو حيان
واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز واتى بالمضارع بعد عسى غير مقرون بان وهو قليل او في الشعر
الوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه
لوجه الله تعالى كان بما اوجبه الله تعالى عليه اوفى وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتمون العهود
لقوله تعالى واوفوا بعهد الله اوفوا بالعقود امروا بالوفاء بها لانهم عقدوها على انفسهم باعتقادهم
الايمان قال القرطبي والنذر حقيقة ما اوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله وان شئت قلت في حده
هو ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه وروى انه صلى الله عليه وسلم
قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه ولما دل وفاؤهم على سلامة طباعهم
قال تعالى عاطفا دلالة على جمعهم للامرين المنافيين فهم يفعلون الوفاء لا لاجل شيء بل لكرم
الطبع وَيَخَافُونَ اي مع فعلهم للواجبات يَوْمًا قال ابن عبد السلام شر يوم او اهوال يوم كَانَ
اي كونا هو في جبلته شَرُّهُ اي ما فيه من الشدائد مُسْتَطِيرًا اي فاشيا منتشرا غاية الانتشار من
استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وقال قتادة رضي الله عنه كان شره فاشيا في السموات فانشقت
وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة ونسفت الجبال وغارت المياه وتكسر
كل شيء على الارض من جبل وبناء وفي ذلك اشعار بحسن عقيدتهم واحسانهم واجتنابهم عن المعاصي
فان الخوف ادل دليل على عمارة الباطن قالوا اما فارق الخوف قلبا الا خرب ومن خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل
فان قيل لم قال تعالى كان شره ولم يقل سيكون اجيب بانه كقوله تعالى اتى امر الله فما قيل في ذلك
يقال هنا وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ اي على حسب ما يتيسر لهم من عال ودون وقوله تعالى عَلَى حُبِّهِ حال
اما من الطعام كائنين على حبهم اياه فهو في غاية المكنة منهم والاستعلاء على قلوبهم لقلته وشهوتهم له
وحاجتهم اليه كما قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليفهم انهم للفضل اشد بذلا وبهذا
قال صلى الله عليه وسلم في حق الصحابة رضي الله عنهم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه لقلة الوجود اذ ذاك وكثرته بعد واما من الفاعل والضمير في حبه لله اي على حب الله وعلى
التقديرين فهو مصدر مضاف للمفعول وقال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام مِسْكِينًا
اي محتاجا احتياجا يسيرا فنصا حب الاحتياج الكثير اولى وَيَتِيمًا اي صغيرا لا اب له وَأَسِيرًا اي
في ايدي الكفار وخص هؤلاء بالذكر لان المسكين عاجز عن الاكتساب بنفسه عما يكفيه واليتيم
مات من يكتسب له وبقي عاجزا عن الكسب لصغره والاسير لا يتمكن لنفسه نصرا ولا حيلة وقال
مجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم الاسير المحبوس فيدخل في ذلك المملوك والمسجون
والكافر الذي في ايدي المسلمين وقد نقل في غزوة بدر ان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يؤثر

اسيره على نفسه بالخبز وكان الخبز اذ ذاك عزيزا حتى كان ذلك الاسير يعجب من مكارمهم حتى كان ذلك مما دعاه الى الاسلام وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم لما دفعهم اليهم قال استوصوا بهم خيرا وقيل الاسير المملوك وقيل المرأة لقول النبىّ صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النساء فانهنّ عندكم عوان اى سبى وقوله تعالى اِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ على اضمار القول اى يقولون بلسان المقال او الحال انما نطعمكم ايها المحتاجون لِوَجْهِ اللّٰهِ اى لذات الملك الذى استجمع الجلال والاكرام لكونه امرنا بذلك وعبر بالوجه لان الوجه يستحيى منه ويرجى ويخشى عند رؤيته لَا نُرِيْدُ مِنْكُمْ لاجل ذلك جَزَآءً اى لنا من اعراض الدنيا وَلَا شُكُوْرًا اى لشئ من قول ولا فعل روى ان عائشة رضى الله تعالى عنها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى ثم عللوا قولهم هذا على وجه التاكيد بقولهم اِنَّا نَخَافُ مِنْ رَّبِّنَا اى الخالق لنا المحسن الينا يَوْمًا اى اهوال يوم هو فى غاية العظمة وبينوا عظمته بقولهم عَبُوْسًا قال ابن عباس رضى الله عنهم ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولك نهارك صائم روى ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه فى شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل قَمْطَرِيْرًا قال ابن عباس رضى الله عنهما طويلا وقال مجاهد وقتادة رضى الله عنهم القمطرير الذى يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقال الكلبى العبوس الذى لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله فى البلاء ويقال يوم قمطرير وقماطر اذا كان شديدا كريها ولما كان فعلهم هذا خالصا لله تعالى تسبب عنه جزاؤهم فقال تعالى فَوَقٰهُمُ اللّٰهُ اى الملك الاعظم بسبب خوفهم شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ اى العظيم ولابد لهم من نعيم ظاهر وباطن ومسكن يقيمون فيه وملبس وقد اشار الى الاول بقوله تعالى وَلَقّٰهُمْ اى اعطاهم نَضْرَةً اى حسنا دائما فى وجوههم واشار الى الثانى بقوله تعالى وَّسُرُوْرًا اى فى قلوبهم دائما فى مقابلة خوفهم فى الدنيا واشار الى الثالث بقوله تعالى وَجَزٰىهُمْ بِمَا صَبَرُوْا اى بسبب ما اوجدوا من الصبر على العبادة من لزوم الطاعة واجتناب المعصية ومنع انفسهم الشهوات وبذل المحبوبات جَنَّةً اى ادخلوا بستانا جامعا يأكلون منه ما يشتهون جزاء على ما كانوا يطعمون وان كان غيرهم يشاركهم فى ذلك دونهم فى الجزاء واشار الى الرابع بقوله تعالى وَّحَرِيْرًا اى البسوه اى هو فى غاية العظمة ومما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى عن ابن عباس ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلاثة ايام ان برئا فشفيا وما معهما شئ فاستقرض على من شمعون اليهودى الخيبرى ثلاثة اصوع من شعير وطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا

الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم اسير فاثروه ووقف
عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك زاد في الكشاف فلما اصبحوا اخذ علي رضي الله تعالى
عنه بيد الحسن والحسين فاقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون
كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة
في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال
خذها يا محمد اي السورة هنأك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة حديث موضوع ثم بين حالهم فيها
بقوله تعالى ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ اي الجنة واختلفوا في اعراب متكئين فقال الجلال المحلي حال من مرفوع
ادخلوها المقدر وقال ابو البقاء يجوز ان يكون حالا من المفعول في جزاهم وان يكون صفة واعترض
عليه في كونه صفة بانه لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم الضمير فيقال متكئين هم فيها
لجريان الصفة على غير من هي له وقيل انه من فاعل صبروا واعترض ان الصبر كان في الدنيا والاتكاء
في الآخرة واجيب بانه يصح ان يكون حالا مقدرة لان ما لهم بسبب صبرهم الى هذه الحالة ثم اشار الى
زيادة راحتهم بقوله تعالى ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ اي السرر في الحجال ولا تكون اريكة الا مع وجود الحجلة وقيل
الارائك الفرش على السرر وقوله تعالى ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾ اي الجنة حال ثانية على الحذف المتقدم في الاولى
ومن جوز ان تكون الاولى صفة جوزه في الثانية وقيل انها حال من الضمير المرفوع المستكن في
متكئين فتكون حالا متداخلة ﴿شَمْسًا﴾ اي حرا ﴿وَلَا﴾ يرون فيها ﴿زَمْهَرِيرًا﴾ اي بردا شديدا فالاية من
الاحتباك دل بنفي الشمس اولا على نفي القمر ودل بنفي الزمهرير الذي هو سبب البرد ثانيا على
نفي الحر الذي سببه الشمس فافاد هذا ان الجنة غنية عن النيرين لانها نيرة بذاتها واهلها غير
محتاجين الى معرفة زمان اذ لا تكليف فيها بوجه وانها ظليلة معتدلة دائما بخلاف الدنيا
فان فيها الحاجة الى ذلك الحر والبرد فيها من فيح جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشتكت النار الى ربها قالت يا رب اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتاء ونفسا
في الصيف فشدة ما تجدونه من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدونه من الحر من سمومها وقيل
الزمهرير القمر بلغة طي وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر اي ما طلع
﴿وَدَانِيَةً﴾ اي قريبة مع الارتفاع ﴿عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ اي شجرها من غير ان يحصل منها ما يزيل الاعتدال واختلف
في نصب دانية فقال البغوي عطف على متكئين وقال الجلال المحلي عطف على محل لا يرون وذكره البغوي
بعد الاول بصيغة قيل قال البيضاوي او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية لانهم وعدوا جنتين لقوله
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فان قيل ان الظل انما يوجد حيث توجد الشمس والجنة لا شمس فيها فكيف
يحصل الظل اجيب بان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظللة منها وان كان
لا شمس ولا قمر كما ان امشاطهم الذهب والفضة وان كان لا وسخ ولا شعث ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ جمع قطف
بالكسر وهو العنقود واسم للثمار المقطوفة اي الجنة ﴿تَذْلِيلًا﴾ اي سهل تناولها تسهيلا عظيما لا يرد اليد

عنها بعد ولا شوك تخل من يريد اخذها على اى حالة كانت من اتكاء وغيره فان كانوا قعودا دنا او مضطجعين تدلت اليهم وان كانوا قياما وكانت على الارض ارتفعت اليهم وقال البراء ذللت لهم فهم يتناولون منها كيف شاؤا فمن اكل قائما لم يؤذه ومن اكل جالسا لم يؤذه ومن اكل مضطجعا لم يؤذه وهذا جزاؤهم على ما كانوا يذللون انفسهم لامر الله تعالى + ولما وصف تعالى طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم بقوله تعالى وَيُطَافُ اى من اى طائف كان لكثرة الخدم عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ جمع اناء كسقاء واسقية وجمع الآنية اوان وهى ظروف للماء ومعنى يطاف اى يدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشرب ثم بين تلك الآنية بقوله تعالى مِّن فِضَّةٍ قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى الدنيا شئ مما فى الجنة الا الاسماء اى الذى فى الجنة اشرف واعلى ولم ينف الآنية الذهبية بل المعنى يسقون فى الاوانى الفضة وقد يسقون فى الاوانى الذهب كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد فنبه باحدهما على الاخر + ولما عم الآنية خص فقال تعالى وَّأَكْوَابٍ جمع كوب وهو كوز لا عروة له فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند التناول الى ادارة كَانَتْ اى تلك الاكواب كونا هو من جبلتها قَوَارِيرَا اى كانت بصفة القوارير من الصفاء والرقة والشفوف والاشراق جمع قارورة وهو ما قر فيه الشراب ونحوه من كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج + ولما كان راس اية وكان التعبير بالقوارير ربما افهم انها من الزجاج وكان فى الزجاج من النقص سرعة الانكسار لافراط الصلوبة قال تعالى معيدا اللفظ الاول للاية الثانية تاكيدا للاتصاف بالصالح من اوصاف الزجاج وبيانا لنوعها قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ اى قد جمعت صفتى الجوهرين المتباينين صفاء الزجاج وشفوفه وبريقه وبياض الفضة وشرفها ولينها وقال الكلبى ان الله تعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون منها وقرأ نافع وشعبة والكسائى وصلا بالتنوين فيهما ووافقهم ابن كثير فى الاول دون الثانى والباقون بغير تنوين واما الوقف فمن نون وقف بالالف ومن لم ينون وقف بغير الف الا هشاما فانه وقف على الثانى بالالف وفى الوصل لم ينون فالقراآت حينئذ على خمس مراتب احداها تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف الثانية مقابله وهو عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالالف الرابعة تنوين الاول دون الثانى والوقف على الاول بالالف وعلى الثانى بدونها الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول بالالف وعلى الثانى بدونها واما من نونهما فلما مر فى تنوين سلاسل لانهما صيغة منتهى الجموع ذاك على مفاعل وذا على مفاعيل والوقف بالالف التى هى بدل التنوين فاما عدم تنوينهما وعدم الوقف بالالف فظاهر واما من نون الاول دون الثانى فانه ناسب بين الاول وبين رؤس الاى ولم يناسب بين الثانى وبين الاول والوجه فى وقفه على الاول بالالف وعلى الثانى بغير الف ظاهر واما من لم ينونهما ووقف على الاول بالالف وعلى الثانى بدونها فلان الاول رأس اية فناسب بينه وبين رؤس الاى فى الوقف بالالف وفرق بينه وبين الثانى لانه ليس برأس اية واما من لم ينونهما ووقف عليهما بالالف فانه ناسب بين الاول

وبين رؤس الآى وناسب بين الثانى وبين الاول وقال الزمخشرى وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانها فاصلة وفى الثانى لاتباعه الاول يعنى انهم يأتون بالتنوين بدلا من حرف الاطلاق الذى للترنم كقوله + ياصاح ما هاج العيون الذرفن + وقوله تعالى قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا صفة لقوارير من فضة وفى الواو فى قدروها وجهان احدهما انه للمطاف عليهم ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها فى انفسهم ان تكون على تقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا والثانى انه للطائفين بها دل عليه قوله تعالى ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الرى وهو الذى للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنه ولا يعجز وعن مجاهد رضى الله عنه لا تفيض ولا تغيض وعن ابن عباس رضى الله عنهما قدروها على ملء الكف حتى لا تؤذيهم بثقل او بافراط صغر وجوز ابو البقاء ان تكون الجملة مستانفة وَيُسْقَوْنَ اى ممن اراد ولا من خدمهم الذين لا يحصون كثرة فِيهَا اى فى الجنة او تلك الاكواب كَأْسًا اى خمرا فى اناء كَانَ مِزَاجُهَا اى ما تمزج به على غاية الاحكام زَنْجَبِيلًا اى غاية اللذة وكانت العرب تلتذ بالشراب الممزوج به لهضمه وتطييبه الطعم والزنجبيل نبت معروف وسمى الكاس بذلك لوجود طعم الزنجبيل فيها قال الاعشى + كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا + وقال المسيب بن علس + وكان طعم الزنجبيل به + اذا ذقته وسلافة الخمر + وقوله تعالى عَيْنًا فِيهَا اى الجنة بدل من زنجبيلا وكون الزنجبيل عينا فيه خرق للعوائد لان الزنجبيل عند نا شجر يحتاج فى تناوله الى علاج فبين انه هنالك عين لا يحتاج فى صيرورته زنجبيلا الى ان تحيله الارض بتخميره فيها حتى يصير شجرا يتحول عن طعم الماء الى طعم الزنجبيل تُسَمَّى اى تلك العين لسهولة اساغتها ولذة طعمها وسمو وصفها سَلْسَبِيلًا والمعنى ان ماء تلك العين كالزنجبيل الذى تلتذ به العرب سهل المساغ فى الحلق فليس هو كزنجبيل الدنيا يلذع فى الحلق فتصعب اساغته والسلسبيل والسلسل والسلسال ما كان من الشراب غاية فى السلاسة زيدت فيه الباء زيادة فى المبالغة فى هذا المعنى وقال مقاتل وابن حبان رضى الله عنهما سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى اهل الجنان قال البغوى وشراب الجنة فى برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع وقال مقاتل رضى الله عنه يشربها المقربون صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة + ولما ذكر تعالى المطوف به لانه الغاية المقصودة وصف الطائف لما فى طوافه من العظمة المشهودة بقوله تعالى وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ اى بالشراب وغيره من الملاذ والمحاب وِلْدَانٌ اى غلمان هم فى سن من هو دون البلوغ لان الفقهاء قالوا الناس غلمان وصبيان واطفال وذرارى الى البلوغ ثم هم بعد البلوغ شبان وفتيان الى الثلاثين ثم هم بعدها كهول الى الاربعين ثم بعدها شيوخ واستنبط بعضهم ذلك من القرآن فى حق بعض الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال الله تعالى فى حق يحيى وآتيناه الحكم صبيا وفى حق عيسى يكلم الناس فى المهد وكهلا وعن ابراهيم قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له

ابراهيم وعن يعقوب ان له ابا شيخا كبيرا قالوا واقل اهل الجنة من يخدمه الف غلام ويعطى
في الجنة قدر الدنيا عشر مرات وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها * ثم وصف تعالى تلك الغلمان
بقوله تعالى مُخَلَّدُونَ اى قد حكم من لا يرد حكمه بان يكونوا كذلك دائما من غير علة ولا ارتفاع عن ذلك
الحد مع انهم مزينون بالحلى وهو الحلق والاساور والقرط والملابس الحسنة اِذَا رَأَيْتَهُمْ اى يا اعلى الخلق
وانت اثبت الناس نظرا او ايها الرائي الشامل لكل راء في اى حالة رأيتهم فيها حَسِبْتَهُمْ اى من بياضهم
وصفاء الوانهم وانتشارهم في الخدمة لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا اى من سلكه او من صدفه وهو احسن منه
في غير ذلك قال بعض المفسرين هم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم
اطفال المؤمنين لانهم ماتوا على الفطرة وقال ابن برجان وارى والله اعلم انهم من علم الله تعالى ايمانه من
اولاد الكفار وتكون خدما لاهل الجنة كما كانوا لنا في الدنيا سببا وخدما واما اولاد المؤمنين
فيلحقون بابائهم سنا وملكا سرورا لهم ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم في ابنه ابراهيم عليه السلام
ان له لظئرا تتم رضاعه في الجنة فانه يدل على انتقال شانه فيما هنالك كتنقله في الاحوال في الدنيا
ولا دليل على خصوصيته بذلك وقرأ السوسي وشعبة بابدال الهمزة الاولى الساكنة وقفا ووصلا
واذا وقف حمزة ابدل الاولى والثانية * ولما ذكر الخدم والحدم ذكر المكان بقوله تعالى وَاِذَا رَأَيْتَ اى
وجدت منك الرؤية ثَمَّ اى هنالك اى اى مكان كان في الجنة واى شئ كان فيها وقوله تعالى رَأَيْتَ
جواب اذا اى رأيت نَعِيمًا اى ليس فيه كدر بوجه من الوجوه ولا يتقيد بشئ وصفه واصف وَمُلْكًا كَبِيرًا
اى لم يخطر على باله مما هو فيه من السعة وكثرة الموجود والعظمة قال سفيان الثوري بلغنا ان الملك
الكبير تسليم الملائكة عليهم وقيل كون التيجان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك وقال الحكيم
الترمذي هو ملك التكوين اذا ارادوا شيئا قالوا له كن فيكون وفي الطبراني الملك الكبير هو ان
ادناهم منزلة اى وما فيهم دنيء الذي في ملكه مسيرة الف عام ويرى اقصاه كما يرى ادناه وان
اعظمهم منزلة من ينظر الى وجه ربه سبحانه وتعالى كل يوم اى قدر يوم من ايام الدنيا مرتين *
ولما ذكر الدار وساكنيها من مخدوم وخدم ذكر لباسهم بقوله تعالى عَالِيَهُمْ اى فوقهم ثِيَابُ سُنْدُسٍ
هو مارق من الحرير خُضْرٌ وَاِسْتَبْرَقٌ وهو ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر
وقرأ نافع وحمزة عاليهم بسكون الياء بعد اللام وكسر الهاء والباقون بفتح الياء وضم الهاء لان
الياء لما سكنت كسرت الهاء ولما تحركت ضمت الهاء فاما قراءة نافع وحمزة ففيها اوجه اظهرها
ان يكون خبرا مقدما وثياب مبتدأ مؤخرا واما قراءة الباقين ففيها ايضا اوجه اظهرها ان يكون
خبرا مقدما وثياب مبتدأ مؤخرا كانه قال فوقهم ثياب قال ابو البقاء لان عاليهم بمعنى فوقهم
والضمير المتصل به للمعطوف عليهم او للخادم والمخدوم جميعا وان كانت تتفاوت بتفاوت الرتب
وقرأ نافع وحفص خضر واستبرق برفعهما وقرأ حمزة والكسائي بخفضهما وقرأ ابو عمرو وابن عامر
برفع خضر وجر استبرق وقرأ ابن كثير وشعبة بجر خضر ورفع استبرق وحاصل القراءات

فى ذلك اربع مراتب الاولى رفعهما الثانية خفضهما الثالثة رفع الاول وخفض الثانى الرابعة
عكس ذلك فاما القراءة الاولى فان رفع خضر على النعت لثياب ورفع استبرق نسق على الثياب
ولكن على حذف مضاف اى وثياب استبرق واما القراءة الثانية فيكون جر خضر على النعت لسندس
ثم استشكل على هذا وصف المفرد بالجمع فقال مكى هو اسم جمع وقيل هو جمع سندسة كتمر وتمرة ووصف
اسم الجنس بالجمع صحيح قال تعالى وينشئ السحاب الثقال واعجاز نخل منقعر ومن الشجر الاخضر واذا
كانوا قد وصفوا المحلى لكونه مرادا به الجنس بالجمع فى قولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض
وفى التنزيل او الطفل الذين فلان يوصف بذلك فى اسماء الجموع او اسماء الاجناس الفارق بينها
وبين واحدها تاء التانيث بطريق الاولى وجر استبرق نسقا على سندس لان المعنى ثياب
من سندس وثياب من استبرق واما القراءة الثالثة فرفع خضر نعتا لثياب وجر استبرق
نسقا على سندس اى ثياب خضر من سندس ومن استبرق فعلى هذا يكون الاستبرق
ايضا اخضر واما القراءة الرابعة فجر خضر على انه نعت لسندس ورفع استبرق على النسق على
ثياب بحذف مضاف اى وثياب استبرق ثم اخبر تعالى عن تحليتهم بقوله سبحانه وحلوا اى
المخدوم والخادم اساور من فضة وان كانت تتفاوت بتفاوت الرتب وهى بالغة من الاعضاء
ما يبلغه التحجيل فى الوضوء كما قال صلى الله عليه وسلم الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء فلذلك
كان ابو هريرة يرفع الى المنكبين والى الساقين. تنبيه. قال هنا اساور من فضة وفى سورة فاطر يحلون
فيها من اساور من ذهب وفى سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا فقيل حلى الرجال الفضة
وحلى النساء الذهب وقيل تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع فى يدى احدهم
سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ ليجتمع لهم محاسن الجنة قاله سعيد بن
المسيب وقيل يعطى كل احد ما يرغب فيه وتميل نفسه اليه وقيل اسورة الفضة انما تكون للولدان واسورة
الذهب للنساء وقيل هذا للنساء والصبيان وقيل هذا يكون بحسب الاوقات والاعمال وسقاهم ربهم
اى الموجد لهم المحسن اليهم المدبر لمصالحهم شرابا طهورا اى ليس هو كشراب الدنيا سواء اكان من الخمر
من الماء ام من غيرهما فهو بالغ الطهارة وقال على رضى الله عنه اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج
من ساقها عينان فيشربون من احداهما فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم ولا تتشعث شعورهم
ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما فى بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعى وابو قلابة هو اذا شربوه بعد اكلهم طهرهم وصار ما اكلوه
رشح مسك وضمرت بطونهم وقال مقاتل هو من عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب
منها نزع الله تعالى ما كان فى قلبه من غش وغل وحسد وما كان فى جوفه من اذى وعلى هذا فيكون فعولا
للمبالغة وقال الرازى قوله تعالى طهورا فى تفسيره احتمالات احدها ان لا يكون نجسا
كخمر الدنيا وثانيها المبالغة فى البعد عن الامور المستقذرة لانه لم يعصر فتمسه الايدى الوضرة

ولذ وسه الارجل الدنسة ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها وثالثها انه لا يؤول
الى النجاسة لانها تترشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون الطهور
مطهرا لانه يطهر باطنهم من الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية فان قيل هل هذا نوع آخر غير ما ذكر
قبل ذلك من انهم يشربون من الكاس والزنجبيل والسلسبيل ام لا اجيب بانه نوع آخر لوجوه اولها
رفع ثانيها انه تعالى اضاف هذا الشراب الى نفسه بقوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وذلك
يدل على فضل هذا دون غيره ثالثها ما روي انه تقدم اليهم الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها
اتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهر ذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم مثل ريح المسك
وهذا يدل على ان هذا الشراب مغاير لتلك الاشربة ولان هذا الشراب يهضم سائر الاشربة ثم
ان له مع هذا الهضم تاثيرا عجيبا وهو انه يجعل سائر الاطعمة والاشربة عرقا يفوح منه ريح كريح المسك
ويطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله
متلذذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين وكل ذلك يدل على المغايرة وقوله تعالى
إِنَّ على اضمار القول اي ويقال لهم إن هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً اي على اعمالكم التي كنتم تجاهدون فيها انفسكم
عن هواها الى ما يرضي ربكم والاشارة الى ما تقدم من عطاء الله تعالى لهم وَكَانَ اي على وجه الثبات
سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا اي لا ننسى منه شيئا ونجازي باكثر منه اضعافا مضاعفة ولما بين تعالى
بهذا القرآن لعظيم الوعد والوعيد ذكر سبحانه انه من عنده وليس هو بسحر ولا كهانة ولا شعر
بقوله تعالى إِنَّا نَحْنُ اي على ما لنا من العظمة التي لا نهاية لها لا غيرنا نَزَّلْنَا عَلَيْكَ وانت اعظم
الخلق انزالا استعلى حتى صار المنزل خلقا لك الْقُرْآنَ اي الجامع لكل هدى تَنْزِيلًا قال ابن عباس
متفرقا اية بعد اية ولم ينزل جملة واحدة قال الرازي والمقصود من هذه الاية تثبيت الرسول صلى الله
عليه وسلم وشرح صدره فيما نسبوه اليه صلى الله عليه وسلم من كهانة وسحر فذكر تعالى ان ذلك
وحي من الله تعالى فكانه تعالى يقول ان كان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله الملك
الحق اقول على سبيل التاكيد ان ذلك وحي حق وتنزيل صدق من عندي وفي ذلك فائدتان الاولى
ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار لان الله تعالى عظمه وصدقه الثانية تقويته على تحمل
مشاق التكليف فكانه تعالى يقول له اني ما نزلت القرآن عليك متفرقا الا لحكمة بالغة تقتضي
تخصيص كل شيء بوقت معين وقد اقتضت تلك الحكمة تاخير الاذن في القتال
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ اي المحسن اليك قال ابن عباس اصبر على اذى المشركين ثم نسخ باية القتال وقيل اصبر لما حكم
عليك به من الطاعات او انتظر حكم الله اذ وعدك بالنصر عليهم ولا تستعجل فانه كائن لا محالة
وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ اي الكفرة الذين هم ضد الشاكرين آثِمًا اي داعيا الى اثم سواء كان مجردا عن مطلق
الكفر او مصاحبا له أَوْ كَفُورًا اي مبالغا في الكفر وداعيا اليه وان كان كبيرا وعظيما في الدنيا
فان الحق اكبر من كل كبير وقال قتادة اراد بالاثم والكفور ابا جهل وذلك انه

قوله اولها وثانيها وثالثها هكذا في النسخ ولعله [illegible]

لما فرضت الصلوة على النبىّ صلى الله عليه وسلم نهاه ابوجهل عنها وقال لئن رايت محمدا يصلى لاطأنّ على عنقه وقال مقاتل اراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وكانا اتيا النبىّ صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزويج على ان يترك ذكر النبوّة عرض عليه عتبة ابنته وكانت من اجمل النساء وعرض عليه الوليد ان يعطيه من الاموال حتى يرضى ويترك ما هو عليه فقرأ عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من اوّل حم السجدة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال احدهما ظننت انّ الكعبة ستقع علىّ فان قيل كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة فى قوله آثما او كفورا اجيب بانّ معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم امّا ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث ثم قال فان قيل معنى او ولا تطع احدهما فهلا جئ بالواو ليكون نهيا عن اطاعتهما جميعا اجيب بانه لو قال ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل ولا تطع احدهما علم ان الناهى عن طاعة احدهما انهى عن طاعتهما جميعا كما اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهى عن ضربهما بطريق الاولى فان قيل انه صلى الله عليه وسلم ما كان يطيع احدا منهم فما فائدة هذا النهى اجيب بان المقصود بيان انّ الناس محتاجون الى التنبيه والارشاد لاجل ما ركب فيهم من الشهوة الداعية الى الفساد وانّ الواحد لو استغنى عن توفيق الله تعالى وارشاده لكان احق الناس به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم دائما ابدا ومتى ظهر لك ذلك عرفت ان كل مسلم لا بدّ له من الرغبة الى الله تعالى والتضرّع اليه ان يصونه عن الشهوات ﴿وَاذْكُرِ﴾ اى فى الصلوة ﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾ المحسن اليك بكل جميل ﴿بُكْرَةً﴾ اى الفجر ﴿وَأَصِيلًا﴾ اى الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ اى بعضه والباقى للراحة بالنوم ﴿فَاسْجُدْ لَهُ﴾ اى المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ اى صلّ التطوّع فيه كما تقدّم من ثلثيه او نصفه او ثلثه او اذكره بلسانك بكرة عند قيامك من منامك الذى هو الموتة الصغرى وتذكرك انه يحيى الموتى ويحشرهم جميعا واصيلا اى عند انقراض نهارك وتذكرك انقراض دنياك وطى هذا العالم لاجل يوم الفصل وفى ذكر الوقتين اشارة الى دوام الذكر وذكر اسمه لازم لذكره والذى عليه اكثر المفسرين الاوّل قال ابن عباس وسفيان كل تسبيح فى القرآن فهو صلوة لانّ الصلوة افضل الاعمال البدنية لانها اعظم الذكر لانها ذكر اللسان والجنان والاركان فوظفت فيها اركان لسانية وحركات وسكنات على هيآت مخصوصة من عادتها ان لا تفعل الا بين يدى الملوك ولما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والامر والنهى عدل سبحانه الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ اى الذين يشغلون عن الله من الكفار والمتمردين ﴿يُحِبُّونَ﴾ اى محبة تجدد عندهم باستمرار فى كل وقت ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ لفسوق نظرهم وجمودهم على المحسوسات التى لا اتصال عليها بصفة البهيمية والقصور وعدت

١٩٨٢

الامراض للقلوب التى فى الصدور ومن تعاطى اسباب الامراض مرض وسمى كفورا ومن
تعاطى ضد ذلك شفى وسمى شاكرا ويذرون اى ويتركون وراءهم اى قدامهم على وجه
الاحاطة بهم وهم عنه معرضون كما يعرض الانسان عما وراءه او خلف ظهورهم لا يعبؤن به وقوله
تعالى يوما مفعول يذرون لا الظرف وقوله تعالى ثقيلا وصف له استعير له الثقل لشدته وهوله
من الشئ الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت فى السموات والارض نحن خلقناهم اى بما لنا من
العظمة لا غيرنا وشددنا اى قوينا اسرهم اى توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق عظامهم
بالاعصاب بعد ان كانوا نطفا امشاجا فى غاية الضعف واصل الاسر الربط والتوثيق ومنه
اسر الرجل اذا وثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق واذا شئنا اى بما لنا من العظمة
ان نبدل ما نشاء من صفاتهم او ذواتهم بدلنا امثالهم اى جئنا بامثالهم بدلا منهم اما بان
نهلكهم ونأتى ببدلهم ممن يطيع واما بتغيير صفاتهم كما شوهد فى بعض الاوقات من المسخ ونحوه
وقوله تعالى تبديلا تأكيد قال الجلال المحلى ووقعت اذا موقع ان نحو ان يشأ يذهبكم لانه تعالى
لم يشأ ذلك واذا لما يقع وفى ذلك رد لقول الزمخشرى وحقه ان يجئ بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ان يشأ يذهبكم ان هذه اى السورة او الآيات القريبة تذكرة اى عظة للخلق فان فى
تصفحها تنبيهات للغافلين وفى تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن القى سمعه
واحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على ما القى اليه سمعه فمن شاء اى بان اجتهد فى وصوله الى ربه
اتخذ اى اخذ بجهده فى مجاهدة نفسه ومغالبة هواه الى ربه اى المحسن اليه الذى ينبغى له
ان يحبه بجميع جوارحه وقلبه ويجتهد فى القرب منه سبيلا اى طريقا واضحا سهلا واسعا بافعال
الطاعة التى امر بها لانا بينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس وازلنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع
من استطراق الطريق غير مشيئتنا وما تشاؤن اى فى وقت من الاوقات شيئا من الاشياء
وقرأ ابو عمرو وابن عامر وابن كثير بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب واذا وقف
حمزة سهل الهمزة مع المد والقصر وله ايضا ابدالها واوا مع المد والقصر الا وقت ان يشاء الله
اى الملك الاعلى الذى له الامر كله والملك كله على حسب ما يريد ويقدر وقد صرح بهذا ما قال الاشعرى
وسائر اهل السنة من ان للعبد مشيئة تسمى كسبا لا تؤثر الا بمشيئة الله تعالى وانتفى مذهب القدرية
الذين يقولون انا نخلق افعالنا ومذهب الجبرية القائلين لا فعل لنا اصلا ومثل الملوى ذلك بمن
يريد قطع بطيخة فاخذ سكينة وهيأها واوجد فيها اسباب القطع وازال عنها موانعه ثم
وضعها على البطيخة فهى لا تقطع دون ان يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك ولو وضع عليها
ما لا يصلح للقطع كخشبة مثلا لم تقطع ولو تحامل فالعبد كالسكين خلقه الله تعالى وهيأه بما اعطاه
من القدرة للفعل فمن قال انا اخلق فعلى مستقلا به فهو كمن قال السكين تقطع بمجرد وضعها
من غير تحامل ومن قال الفاعل هو الله من غير نظر الى العبد اصلا كان كمن قال هو يقطع البطيخة

يتحامل بيده او قصبة ملساء من غير سكين والذى يقول انه بالشئ بقدرته المهيأة للفعل يخلقه الله
تعالى لها فى ذلك الفعل لكن قال ان السكين قطعت بالتحامل عليها بهذا اجرى الله سبحانه وتعالى
عادته فى الناس ولو شاء غير ذلك فعل ولا يخفى ان هذا هو الحق الذى لا مرية فيه ثم علل ذلك باحاطته
بمشيئتهم بقوله تعالى ان الله اى الجبار علما وقدرة كان اى ازلا وابدا عليما اى بما يستاهل كل احد
حكيما اى بالغ الحكمة فهو يمنع منها ممكنا من ان يشاء غيره ما لم ياذن فيه فمن علم فى جبلته خيرا اعانه
عليه ومن علم منه الشر ساقه اليه وحمله عليه وهو معنى قوله تعالى يدخل من يشاء اى ممن علمه
من اهل السعادة فى رحمته وهم المؤمنون وقوله تعالى والظالمين اى الكافرين منصوب بفعل
يفسره قوله تعالى اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجمل المعطوف عليها عذابا اليما ع
اى مؤلما فهم فيه خالدون ابد الآبدين وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا حديث موضوع

سورة والمرسلات مكية

فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها وهى قوله
تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فمدنية

وقال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه
نسير حتى اوينا الى غار منى فنزلت فبينا نحن نتلقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها
لنقتلها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم اهـ والغار المذكور
مشهور فى منى وقد زرته ولله الحمد وعن كريب مولى ابن عباس قال قرأت سورة والمرسلات
عرفا فسمعتنى ام الفضل امرأة العباس فبكت وقالت والله يا بنى لقد ذكرتنى بقراءتك هذه السورة
انها لآخر ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى صلوة المغرب وهى خمسون اية
واحدى وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا بسم الله الملك الحق المبين الرحمن المنعم على الخلق
اجمعين الرحيم الذى خص بكرامته عباده المؤمنين والمرسلات عرفا اى الرياح متتابعة كعرف
الفرس يتلو بعضها بعضا ونصبها على الحال هذا ما عليه الجمهور من انها الرياح قال تعالى
وارسلنا الرياح وقال تعالى ويرسل الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هى الملائكة ارسلت
بالعرف من امر الله تعالى ونهيه والخبر والوحى وهو قول ابى هريرة ومقاتل والكلبى وقال ابن عباس
رضى الله عنهما هم الانبياء عليهم السلام ارسلوا بلا اله الا الله وقال ابو صالح هم الرسل ترسل بما يعرفون
به من المعجزات وقيل المراد السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما ارسلت اليه وممن ارسلت
اليه فالعاصفات اى الرياح الشديدة عصفا اى عظيما بما لها من النتائج الصالحة وقيل الملائكة
شبهت لسرعة جريها فى امر الله تعالى بالرياح وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر يقال
عصف بالشئ اذا اباده واهلكه وقيل انها تعصف اى تعصف بركابها فتمضى كانها برق فى السرعة

وعصفت الحرب بالقوم اى ذهبت بهم وقيل يحتمل انها الايات المهلكة كالزلازل والخسوف والنّٰشِرٰتِ نَشْرًا اى الرياح اللينة تنشر المطر وقال الحسن هى الرياح التى يرسلها الله تعالى بين يدى رحمته وقيل الامطار لانها تنشر النبات بمعنى تحييه وروى عن السدى انها الملائكة تنشر كتب الله تعالى وروى الضحاك انها الصحف تنشر على الله تعالى باعمال العباد + تنبيه + انما قال الله تعالى والناشرات بالواو لانه استئناف قسم اخر فَالْفٰرِقٰتِ فَرْقًا اى الرياح تفرق السحاب وتبدده قاله مجاهد وعن ابن عباس هى الملائكة تفرق الاقوات والارزاق والاجال وقيل هم الرسل فرقوا بين ما امر الله تعالى به وما نهى عنه اى بينوا ذلك وقيل ايات القران تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام فَالْمُلْقِيٰتِ ذِكْرًا اى الملائكة تنزل بالوحى الى الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وقيل هو جبريل عليه السلام وحده سمى باسم الجمع تعظيما فان قيل ما المناسبة على هذا بين الرياح والملائكة فى القسم اجيب بان الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح وقيل المراد به الرسل يلقون الى اممهم ما انزل عليهم وذكرا مفعول به ناصبه الملقيات عُذْرًا اَوْ نُذْرًا مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما اما على البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرأ او نذرا نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بضم الذال والباقون بسكونها وقوله تعالى اِنَّمَا تُوْعَدُوْنَ لَوَاقِعٌ جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجئ القيامة كائن لا محالة وقال الكلبى المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع ثم بين وقت وقوعه فقال تعالى فَاِذَا النُّجُوْمُ اى على كثرتها طُمِسَتْ اى محى نورها او ذهب نورها ومحقت ذواتها وهو موافق لقوله تعالى انتثرت وانكدرت قال الزمخشرى ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور وَاِذَا السَّمَآءُ اى على عظمها فُرِجَتْ اى فتحت وشققت فكانت ابوابا والفرج الشق ونظيره اذا السماء انشقت وَاِذَا الْجِبَالُ اى على صلابتها نُسِفَتْ اى ذهب بها كلها بسرعة من نسفت الشئ اذا اختطفته او نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وَاِذَا الرُّسُلُ اى الذين انذروا الناس ذلك اليوم فكذبوا اُقِّتَتْ قال مجاهد والزجاج المراد بهذا التاقيت تبيين الوقت الذى فيه يحضرون للشهادة على اممهم اى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة والوقت الاجل الذى يكون عنده الشئ المؤخر اليه فالمعنى جعل لها وقت اجل للفصل والقضاء بينهم وبين الامم كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقرأ ابو عمرو بواو مضمومة والباقون بهمزة مضمومة وهما لغتان والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم وكدت واكدت وقوله تعالى لِاَيِّ يَوْمٍ اى عظيم متعلق بقوله تعالى اُجِّلَتْ وهذه الجملة معمولة لقول مضمر اى يقال لاى يوم اجلت وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا وان يكون حالا من مرفوع

أقتت أي مقولا فيها لأي يوم أجلت أي أخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم وتعجيب له وقوله تعالى
ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وقيل اللام بمعنى إلى ذكره مكي قال ابن عباس يوم فصل الرحمن
بين الخلائق كقوله تعالى إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ثم أتبع هذا التعظيم تعظيما آخر بقوله
تعالى وما أدراك ما يوم الفصل أي ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله في شدته ومهابته وقرأ
أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه بالإمالة محضة وقرأ ورش بين
بين والباقون بالفتح ثم أتبعه تهويلا ثالثا بقوله تعالى ويل يومئذ أي إذ يكون يوم الفصل
للمكذبين أي بذلك قال القرطبي ويل عذاب وخزي لمن كذب بالله تعالى وبرسله وكتبه وبيوم الفصل
وهو وعيد وكرره في هذه السورة عند كل آية كأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم فإن لكل مكذب بشيء
عذابا سوى عذابه بتكذيبه بشيء آخر ورب شيء كذب به هو أعظم جرما من تكذيبه لغيره لأنه أقبح في تكذيبه
وأعظم في الرد على الله تعالى وإنما يقسم له من الويل على قدر ذلك وعلى قدر وفاقه وهو قوله تعالى جزاء
وفاقا وقيل كرره لمعنى تكرار التخويف والوعيد وروي عن النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه
ألوان العذاب وقاله ابن عباس وغيره وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال عرضت علي جهنم فلم أر
فيها واديا أعظم من الويل وروي أيضا أنه مجمع ما يسيل من قيح أهل النار وصديدهم وإنما يسيل
الشيء فيما سفل من الأرض وقد علم العباد في الدنيا أن شر المواضع ما استنقع فيها مياه الأدناس والأقذار
والغسالات والجيف وماء الحمامات فذكر أن الوادي مستنقع صديد أهل الكفر والشرك ليعلم العاقل أنه
لا شيء أقذر منه قذارة ولا أنتن منه نتنا + تنبيه + ويل مبتدأ وسوغ الابتداء به الدعاء ويومئذ ظرف
للويل وللمكذبين خبره وقال الزمخشري فإن قلت كيف وقع النكرة مبتدأ قلت هو في أصله مصدر منصوب
ساد مسد فعله لكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه
سلام عليكم واعترض بأن الذي ذكره ليس من المسوغات التي ذكرها النحويون وإنما المسوغ كونه دعاء
وفائدة العدول إلى الرفع ما ذكره ألم نهلك أي بما لنا من العظمة الأولين من لدن آدم عليه السلام
إلى زمن محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود بتكذيبهم أي أهلكناهم ثم نتبعهم الآخرين أي
ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم كما أهلكنا الأولين ونسلك بهم سبيلهم لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم
كذلك أي مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بالمجرمين أي بكل من أجرم فيما يستقبل إما بالسيف
وإما بالهلاك ويل يومئذ أي إذ يوجد ذلك الفعل للمكذبين أي بآيات الله وأنبيائه قال
البيضاوي فليس تكرارا وكذا إن أطلق التكذيب أو علق في الموضعين بواحد لأن الويل الأول
بعذاب الآخرة وهذا للإهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب
ألم نخلقكم أي أيها المكذبون بما لنا من العظمة التي لا تعدلها عظمة من ماء مهين
أي ضعيف حقير وهو المني وهذا نوع آخر من تخويف الكفار وهو من وجهين الأول أنه تعالى
ذكرهم عظيم إنعامه عليهم وكل ما كان نعمه عليه أكثر كانت جنايته في حقه أقبح وأفحش الثاني

الله تعالى ذكرهم انه قادر على الابتداء والقادر على الابتداء قادر على الاعادة فلما انكروا هذه الدلالة
الظاهرة لاجرم قال تعالى في حقهم ويل يومئذ للمكذبين وهذه الآية نظير قوله تعالى ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين وقرأ كل القراء بادغام القاف في الكاف وابقاء الصفة ولهم ايضا
ادغام الصفة مع الحذف فجعلناه اي بما لنا من القدرة والعظمة بالانزال للماء في الرحم في قرار اي
مكان مكين اي حريز هو الرحم الى قدر معلوم اي وهو وقت الولادة كقوله تعالى ان الله عنده
علم الساعة الى قوله ويعلم ما في الارحام فقدرنا اي ذلك دون غيرنا فنعم القادرون وقرأ نافع
والكسائي بتشديد الدال فيصح على هذه القراءة ان يكون المعنى قدرناه والباقون بالتخفيف
وقال علي كرم الله وجهه ولا يبعد ان يكون المعنى في التخفيف والتشديد واحدا لان العرب
تقول قدر وقدر عليه الموت ويل يومئذ اي اذ كان ذلك للمكذبين اي بقدرتنا على ذلك
او على الاعادة وقوله تعالى الم نجعل اي نصير بما شئنا بما لنا من العظمة الارض كفاتا مصدر كفت
بمعنى ضم وعاء ضامة احياء اي على ظهرها في الدور وغيرها وامواتا اي في بطنها في القبور وغيرها
وقيل الاحياء والاموات ترجع الى الارض اي الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت
وهو الذي لا ينبت وقيل كفاتا جمع كافت كصيام وقيام جمع صائم وقائم وقال الخليل التقليب ظهر البطن
ظهرا لبطن او بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الى منازلهم اي انقلبوا فمعنى الكفات انهم يتصرفون على
ظهرها وينقلبون اليها فيدفنون فيها وجعلنا اي بما لنا من القدرة التامة فيها اي الارض رواسي
اي جبالا لولاها لمادت باهلها ومن العجائب مراسيها من فوقها خلافا للمراسي السفن شامخات
اي مرتفعات جمع شامخ وهو المرتفع جدا ومنه شمخ بانفه اذا تكبر وجعل كناية عن ذلك كثني العطف
وصعر الخد كما قال لقمان لابنه ولا تصعر خدك للناس واسقيناكم اي بما لنا من العظمة ماء
اي من الانهار والعيون والغدران والآبار وغير ذلك فراتا اي عذبا فتشربون منه وتسقون
منه زرعكم وهذه الامور اعجب من البعث روي في الارض من الجنة سيحان وجيحان والنيل والفرات
كل من انهار الجنة ويل يومئذ اي اذ تقوم الساعة للمكذبين اي بامثال هذه النعم وقوله تعالى
انطلقوا على ارادة القول اي يقال للمكذبين يوم القيامة انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها عيانا انطلقوا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من
يحموم ذي ثلث شعب اي تشعب لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وقيل
يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى
يفرغ حسابهم والمؤمنون في ظل العرش وقيل ان الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم
والغسلين لانها اوصاف النار وقوله تعالى لا ظليل اي كنين يظلهم من حر ذلك اليوم تهكم
بهم ورد لما يوهم لفظ الظل ولا يغني اي ولا يرد عنهم شيئا من اللهب اي لهب النار فليس
كالظل الذي يقي حر الشمس وهذا تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين والمؤمنون

على النار اذا اضطربت من احمر واصفر واخضر انها اى النار ترمى اى من شدة الاشتعال
بشرر وهو ما تطاير من النار كالقصر اى كل شررة كالقصر من البناء فى عظمه وارتفاعه قال
ابن مسعود يعنى الحصون وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ترمى بشرر كالقصر
قال هى الخشب العظام المقطعة قال وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق
ذلك ودونه ندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك هى اصول
النخل والشجر العظام واحدتها قصرة مثل جمرة وجمر وقوله تعالى كانه اى الشرر جملت قرأه حمزة
والكسائى وحفص بغير الف بعد اللام على التوحيد والباقون بالالف على الجمع جمع جمالة وهى
التى قرأتها اولا وهى جمع جمل مثل حجارة وحجر وقوله تعالى صفر جمع اصفر اى فى هيئتها ولونها
وفى الحديث شرار النار اسود كالقير والعرب تسمى سود الابل صفرا لشوب سوادها بصفرة
فقيل صفر فى الاية بمعنى سود لما ذكروا وفى شعر عمران بن حطان الخارجى سه دعتهم باعلى صوتها
ورمتهم + بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى + قال الترمذى وهذا القول ضعيف ومحال
فى اللغة ان يكون شئ يشوبه شئ قليل فينسب كله الى ذلك الشائب فالعجب ممن قد قال هذا وقد
قال الله تعالى جمالات صفر فلا نعلم من هذا شيئا فى اللغة وقيل شبه الشرر بالجمالات لسرعة
سيرها وقيل لمتابعة بعضها بعضا ويل يومئذ اى اذ يكون ذلك للمكذبين اى بهذه الامور العظام
هذا اى يوم القيامة يوم لا ينطقون اى بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا نوع اخر من انواع تخويف
الكفار بين انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبائح وهذا فى بعض المواقف فان يوم القيامة
يوم طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت ولا ينطقون فى وقت ولذلك ورد الامران فى القرآن
الكريم ففى بعضها يختصمون ويتكلمون وفى بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون وروى عكرمة ان
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سأله ابن الازرق عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع
الا همسا وقد اقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال ان الله تعالى يقول وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون فان لكل مقدار من هذه الايام لونا من هذه الالوان وقال الحسن فيه اضمار اى هذا
يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة فجعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع ومن نطق بما لا ينفع فكانه
ما نطق كما يقال لمن تكلم بكلام لا يفيد ما قلت شيئا وقيل ان هذا وقت جوابهم اخسؤا فيها ولا تكلمون
ولا يؤذن لهم اى فى العذر وقوله تعالى فيعتذرون عطف على يؤذن من غير تسبب عنه فهو داخل
فى حيز النفى اى لا اذن فلا اعتذار ويل يومئذ اى اذ كان هذا الموقف للمكذبين اى الذين لا تقبل
منهم معذرة هذا يوم الفصل وهذا نوع اخر من انواع تهديد الكفار وتخويفهم اى يقال لهم هذا اليوم الذى
يفصل فيه بين الخلائق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم ايها المكذبون من هذه الامة بما لنا من
العظمة والاولين من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
جمع الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا النبيين من قبل وقوله تعالى فان كان لكم

كَيْدٌ اى حيلة فى دفع العذاب عنكم فَكِيدُونِ اى فاحتالوا لانفسكم وقاودون ولن تجدوا ذلك تقريع لهم على كيدهم لدين الله تعالى وذويه وتسجيل عليهم بالعجز وقيل ان ذلك من قول النبى صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه السلام فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ اى اذ يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة فى عذابهم لِلْمُكَذِّبِينَ اى الراسخين فى التكذيب فى ذلك + ثم ذكر ضد المكذبين بقوله تعالى اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ اى الذين اتقوا الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين فِيْ ظِلٰلٍ اى تكاثف اشجار اذ لا شمس يظل من حرها وَّعُيُوْنٍ اى من ماء وعسل ولبن وخمر كما قال تعالى فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وقرأ نافع وابو عمرو وهشام وحفص بضم العين والباقون بكسرها وَّفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُوْنَ فى هذا اعلام بان المأكل والمشرب فى الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس فى الاغلب وقوله تعالى كُلُوْا وَاشْرَبُوْا فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال اى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك وقوله تعالى هَنِيْٓـًٔا حال اى متهنئين بِمَا اى بسبب ما كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ من طاعات الله تعالى اِنَّا اى بما لنا من العظمة كَذٰلِكَ اى كما جزينا المتقين هذا الجزاء العظيم نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ اى نثيب الذين احسنوا فى تصديقهم محمدا صلى الله عليه وسلم واعمالهم فى الدنيا وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ اى اذ يكون هذا النعيم للمتقين لِّلْمُكَذِّبِيْنَ اى يحصل لهم العذاب المخلد ضد النعيم المؤبد وقوله تعالى كُلُوْا وَتَمَتَّعُوْا خطاب للكفار فى الدنيا قَلِيْلًا اى من الزمان وغايته الى الموت وهو زمان قليل لانه زائل مع قصر مدته فى زمن الآخرة وفى هذا تهديد لهم ويجوز ان يكون ذلك خطابا لهم فى الآخرة ايذانا بانهم كانوا فى الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة بما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وهذا ما جرى عليه الزمخشرى اولا وذكر الاول ثانيا واقتصر الجلال المحلى على ما ذكرته اولا وهو اولى قال بعض العلماء التمتع بالدنيا من افعال الكافرين والسعى لها من افعال الظالمين والاطمئنان اليها من افعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والاخذ منها على قدر الحاجة من افعال عوام المؤمنين والاعراض عنها من افعال الزاهدين واهل الحقيقة اجل خطرا من ان يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها + ثم علل ذلك مؤكدا بقوله تعالى لانهم ينكرون وصفهم بذلك اِنَّكُمْ مُّجْرِمُوْنَ ففيه دلالة على ان كل مجرم يتمتع اياما قلائل ثم البقاء فى الهلاك ابدا وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ اى اذ تعذبون باجرامكم لِّلْمُكَذِّبِيْنَ حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل وَاِذَا قِيْلَ لَهُمُ اى لهؤلاء المجرمين من اى قائل كان ارْكَعُوْا اى صلوا الصلوة التى فيها الركوع كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما واطلقوه عليها تسمية لها باسم جزئها وخص هذا الجزء لانه يقال على الخضوع والطاعة ولانه خاص بصلوة المسلمين لَا يَرْكَعُوْنَ اى لا يصلون قال الرازى وهذا ظاهر لان الركوع من اركانها فبين تعالى ان هؤلاء الكفار من صفتهم انهم اذا دعوا الى الصلوة لا يصلون ويجوز ان يكون اركعوا بمعنى

اخشعوا وتواضعوا لله بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وان يكون بمعنى اركعوا في الصلوة اذ روى انها نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود قال في القاموس جبى تجبية وضع يديه على ركبتيه او على الارض او انكب على وجهه والتجبية ان تقوم قيام الراكع واستدل بهذه الاية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وانهم حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك الصلوة لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم وعلى ان الامر للوجوب لان الله تعالى ذمهم بمجرد ترك المامور به وهو يدل على ان الامر للوجوب فان قيل انما ذمهم لكفرهم اجيب بانه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الا انه تعالى انما ذمهم في هذه الاية لتركهم المامور به وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ﴾ اي يكون الفصل ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ اي بما امروا به قال الرازي انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من اول هذه السورة الى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين انهم اذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل القطعية مع تجليها ووضوحها ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ اي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ اي لا يمكن ايمانهم بغيره من كتب الله تعالى بعد تكذيبهم به لاشتماله على الاعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره واستدل بعض المعتزلة بهذه الاية على ان القرآن حادث لان الله تعالى وصفه بانه حديث والحديث ضد القديم والضدان لا يجتمعان فاذا كان حديثا وجب ان لا يكون قديما واجيب بان المراد منه هذه الالفاظ ولا نزاع في انها محدثة وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والمرسلات كتب الله تعالى له انه ليس من المشركين حديث موضوع

سورة عم يتساءلون

وتسمى سورة النبأ مكية وهي اربعون او احدى واربعون اية ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وسبعمائة وسبعون حرفا

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي له الملك كله ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذي عم الوجود بفضله ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي خص اولياءه بجنته وقوله تعالى ﴿عَمَّ﴾ اصله عن ما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وادغمت النون في الميم وحذفت الالف كقوله فيم واستعمال الاصل قليل ومنه قول حسان ع على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن اي شيء ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ ونحوه قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك فانت تسال عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية ولذا الماء وقف البزي الحق الميم هاء السكت بخلاف عنه والضمير في يتساءلون لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم وذلك ان النبي

ع

صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا
يتساءلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد ويسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء وقيل
الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يتساءلون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا
واما الكافر فليزداد استهزاء * ثم ذكر ان تساؤلهم عماذا فقال تعالى عن النبأ العظيم قال مجاهد
والاكثرون هو القرآن دليله قوله تعالى قل هو نبأ عظيم وقال قتادة هو البعث فان قيل اذا كان
الضمير يرجع للكافر فكيف يكون قوله تعالى الذي هم اي بضمائرهم مع ادعائهم انها اقوى الضمائر
فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين على انكار البعث اجيب بانا لا نسلم اتفاقهم على ذلك
بل كان فيهم من يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى واما المعاد الجسماني فمنهم
من يقطع القول بانكاره ومنهم من يشك واما اذا كان المتساءل عنه القرآن فقد اختلفوا فيه
كثيرا وقيل المتساءل عنه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى كلا ردع للمتسائلين هزؤا سيعلمون
ما يحل بهم على انكارهم له وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تأكيد وجيء فيه بثم للايذان بان الوعيد الثاني
اشد من الاول وقال الضحاك الاولى للكفار والثانية للمؤمنين اي سيعلم الكافرون عاقبة تكذيبهم
وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم * ثم اومأ تعالى الى القدرة على البعث بقوله تعالى ألم نجعل اي
بما لنا من العظمة الارض مهادا اي فراشا كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية
الممهود بالمصدر كضرب الامير والجبال اي التي تعرفون شدتها وعظمها اوتادا اي تثبت
بها الارض كما تثبت الخيام بالاوتاد والاستفهام للتقرير فيستدل بذلك على قدرته على جميع
الممكنات واذا ثبت ذلك ثبت القول بصحة البعث وانه قادر على تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها
وارضها وعلى ايجاد عالم الآخرة * تنبيه * مهادا مفعول ثان لان الجعل بمعنى التصيير ويجوز ان يكون بمعنى
الخلق فتكون حالا مقدرة وخلقناكم اي بما دل على ذلك من مظاهر العظمة ازواجا اي اصنافا ذكورا
واناثا وقيل الوانا وجعلنا اي بما لنا من العظمة نومكم سباتا اي راحة لابدانكم قال الزجاج السبات
ان ينقطع عن الحركة والروح فيه وقيل معناه جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم وقيل المسبوت الميت
من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وقوله تعالى وجعلنا
اي بما لنا من العظمة الليل اي بعد ذهاب الضياء حتى كانه لم يكن لباسا فيه استعارة اي
يستركم عن العيون بظلمته كما اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع
عليه من كثير من الامور وقال الشاعر * وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبر ان المانوية تكذب *
ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا فقال تعالى وجعلنا اي بما لنا من القدرة التامة
النهار الذي آيته الشمس معاشا اي حياة تبعثون فيه عن نومكم او وقت معاش
تتقلبون فيه في حوائجكم ومكاسبكم لتحصيل ما تعيشون به فمعاشا على هذا اسم زمان وبنينا
بما لنا من الملك التام فوقكم سبعا اي سبع سموات وقوله تعالى شدادا جمع شديدة اي قوية

محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان لا فطور فيها ولا فروج ونظيره قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وجعلنا اي بما لنا من العظمة مما لا يقدر عليه غيرنا سراجا اي منيرا متلألئا وهاجا اي وقادا وهي الشمس وانزلنا اي بما لنا من كمال الاوصاف من المعصرات اي السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اي حان ان يجز واعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وعن الحسن وقتادة هي السموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن وقيل من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقيل الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ الانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته لنخرج اي بعظمتنا التي ربطنا بها المسببات بالاسباب به اي بذلك الماء حبا اي شيئا ذا حب مما يتقوت به كالحنطة والشعير والارز ونباتا اي ما يعتلف به كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان وجنات اي بساتين تجمع انواع الاشجار والنبات المقتات وغيره الفافا اي ملتفة بالشجر جمع لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع الجمع يقال جنة لفاء وجمعها لف بضم اللام وجمع الجمع الفاف وقيل لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف قال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق + وندامى كلهم بيض زهر +

وقال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها ان يوم الفصل اي بين الخلائق كان اي في علم الله تعالى وفي حكمه كونا لابد منه ميقاتا اي وقتا للثواب والعقاب او وقتا توقت به الدنيا وتنتهي عنده مع ما فيها من الخلائق وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور اي القرن بدل من يوم الفصل او بيان له والنافخ اسرافيل عليه السلام او من اذن الله تعالى له في ذلك فتأتون اي بعد القيام من القبور الى الموقف افواجا اي جماعات مختلفة وعن معاذ انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه باكيا وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسر هؤلاء بقوله فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين

يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم فعلهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون حق الله تعالى فى اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء اه وقد تكلم فى صحة هذا الحديث نعوذ بالله تعالى من هؤلاء ونسأله التوفيق لنا ولاحبابنا فانه كريم جواد لا يرد من سأله وَفُتِحَتِ السَّمَآءُ اى شققت لنزول الملائكة فَكَانَتْ أَبْوَابًا فان قيل هذه الاية تقتضى ان السماء بجملتها تصير ابوابا اجيب بوجوه اولها ان تلك الابواب لما كثرت صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر ثانيها انه على حذف مضاف اى فكانت ذات ابواب ثالثها ان الضمير فى قوله تعالى فكانت ابوابا يعود الى مضمر والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا وقيل الابواب الطرق والمسالك اى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بتخفيف التاء بعد الفاء والباقون بتشديدها وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ اى ذهب بها عن اماكنها فَكَانَتْ سَرَابًا اى لا شئ كما ان السراب كذلك يظنه الرائى ماء وليس بماء قال الرازى ان الله تعالى ذكر احوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول اول احوالها الاندكاك وهو قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة والحالة الثانية ان تصير كالعهن المنفوش وهو قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش والحالة الثالثة ان تصير كالهباء وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا الحالة الرابعة ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة قارة فى مواضعها فترسل عليها الرياح فتنسفها عن وجه الارض فتطيرها فى الهواء وهو قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا الحالة الخامسة ان تصير سرابا اى لا شئ كما يرى السراب من بعد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بادغام تاء التانيث فى السين والباقون بالاظهار إِنَّ جَهَنَّمَ اى النار التى تلقى اصحابها متجهمة لهم بغاية ما يكرهون كَانَتْ مِرْصَادًا اى ترصد الكفار او موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مرورهم عليها وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد اولها عن شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان جاء بها تامة جاز الى الثانى فيسئل عن الصلوة فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكوة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا فيقال انظروا ان كان له تطوع اكملوا اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة واما الكافر فهو مستقر فيها كما قال تعالى لِلطَّاغِينَ اى الكافرين مَآبًا اى مرجعا يرجعون اليه وقرأ حمزة لَبِثِينَ فِيهَآ بغير الف بين اللام والباء الموحدة والباقون بالالف وهما لغتان والاولى ابلغ قاله البيضاوى وغيره قوله تعالى أَحْقَابًا جمع حقب والحقب الواحد

ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة روي ذلك عن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال مجاهد الأحقاب ثلاثة وأربعون حقبا وقال الحسن إن الله
تعالى لم يجعل لأهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل
آخر إلى الأبد فليس للأحقاب عدة إلا الخلود روي عن عبد الله أنه قال لو علم أهل النار أنهم
يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى
الدنيا لحزنوا وقال مقاتل بن حيان الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة قال وهذه الآية
منسوخة نسختها فلن نزيدكم إلا عذابا يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل وعلى تقدير عدم
النسخ فهو من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ويجوز أن يراد لابثين فيها
أحقابا لا يذوقون أي غير ذائقين فيها أي النار بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا ثم يبدلون
بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع حقب
من حقب عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب
فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جهدين وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا
ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا قال عطاء والحسن أي راحة
وروحا أي ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما أي ماء حارا
غاية الحرارة وغساقا هو ما يسيل من صديد أهل النار فإنهم يذوقونه وروي عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما أن البرد النوم ومثله قال الكسائي وأبو عبيدة تقول العرب منع البرد البرد أي أذهب
البرد النوم قال الشاعر: فلو شئت حرمت النساء سواكم + وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين والباقون بتخفيفها وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده جوزوا بذلك جزاء وفاقا أي موافقا لعملهم قال مقاتل
وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار وقوله تعالى إنهم كانوا
لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء أي لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون
بالبعث ولا أنهم يحاسبون وكذبوا بآياتنا أي بما جاءت به الأنبياء عليهم السلام وقيل القرآن
وقرأ كذابا غير الكسائي بالتشديد أي تكذيبا قال الفراء وهي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر
التفعيل فعال وقال الزمخشري وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون
غيره وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرأ الكسائي بالتخفيف
مصدر كذب بدليل قول الشاعر: فصدقتها وكذبتها + والمرء ينفعه كذابه
قال الزمخشري وهو مثل قوله أنبتكم من الأرض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا
أو تنصبه بكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا لأن كل مكذب بالحق كاذب وإن جعلته بمعنى المكاذبة
فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة وكذبوا بها مكاذبين لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين

وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وكل شيء اي من الاعمال وغيرها احصيناه اي ضبطناه وقوله تعالى كتابا فيه وجهان احدهما انه مصدر في موضع احصاء والاحصاء والكتب يتشاركان في معنى الضبط ثانيهما ان يكون حالا بمعنى مكتوبا في اللوح المحفوظ كقوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين وقيل اراد ما تكتبه الملائكة الموكلون بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة كقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم اي شيئا من الاشياء في وقت من الاوقات الا عذابا تسبيب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات قال الرازي وفي هذه الآية مبالغات منها التأكيد ومنها الالتفات ومنها اعادة قوله تعالى فذوقوا بعد ذكر العذاب قال ابو برزة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن اشد آية في القرآن فقال صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم سعيرا ولما ذكر تعالى ما للكافرين اتبعه بذكر ما للمؤمنين فقال تعالى ان للمتقين مفازا اي مكان فوز في الجنة وقوله تعالى حدائق اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض او بيان له وقوله تعالى واعنابا اي كروما عطف على مفازا وكواعب اي جواري تكعب ثديهن جمع كاعب اترابا اي على سن واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء وقيل الاتراب اللدات وكأسا دهاقا اي خمرا مالئة محالها وفي القتال وانها من خمر والدهاق المترعة وهي الحوض ملأه حتى قال قطني وقال ابن عباس مترعة مملوءة وقال عكرمة صافية لا يسمعون فيها اي الجنة في وقت ما عند شرب الخمر وغيره من الاحوال لغوا اي لغطا يستحق ان يلغى بان يكون ليس له معنى وقوله تعالى ولا كذابا قرأه بالتخفيف الكسائي وبالتشديد الباقون اي تكذيبا من واحد لغيره بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر جزاء من ربك اي المحسن اليك بما اعطاك جزاهم بذلك جزاء وقوله تعالى عطاء بدل من جزاء وهو اسم مصدر وجعله الزمخشري منصوبا بجزاء نصب المفعول به ورده ابو حيان بانه جعل جزاء مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التي هي ان للمتقين قال والمصدر المؤكد لا يعمل لانه لا ينحل لحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا حسابا اي كافيا وافيا يقال احسبت فلانا اي اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي وقال ابن قتيبة اي عطاء كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو رب السموات والارض وما بينهما الرحمن برفع رب والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان بخفض الاول ورفع الثاني اما رفعهما ففيه وجوه احدها ان يكون رب خبر مبتدأ مضمر اي هو رب والرحمن كذلك او مبتدأ خبره لا يملكون ثانيها ان يجعل رب مبتدأ والرحمن خبره ولا يملكون خبرا ثانيا او مستأنفا ثالثها ان يكون رب مبتدأ والرحمن نعته ولا يملكون خبر رب رابعها ان يكون رب مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر الاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه وهو

رأى الأخفش ويجوز أن يكون لا يملكون حالاً وتكون لازمة وأما جرهما فعلى البيان والنعت أو يجعل
رب السموات تابعاً للأول والرحمن تابعاً للثاني وأما جر الأول فعلى التبعية للأول ورفع الثاني فعلى
الابتداء والخبر الجملة الفعلية وهي لا يملكون أي الخلق منه أي من الله تعالى خطاباً والضمير في لا يملكون
لأهل السموات والأرض أي ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب
واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوا بشيء
من نقص العذاب أو زيادة في الثواب إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه وقوله تعالى يَوْمَ متعلق
بيملكون أو لا يتكلمون يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ وقوله تعالى صَفًّا حال أي مصطفين والروح أعظم
خلقاً من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ملك
عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقاً أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً وقامت
الملائكة كلهم صفاً واحداً فيكون عظم خلقه مثلهم وقال الشعبي هو جبريل عليه السلام وقيل ملك
موكل على الأرواح وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال
ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملك
يجيء يوم القيامة صفاً وحده وقال مجاهد وقتادة رضي الله عنهم الروح خلق على صورة بني آدم
وليسوا بناس يقومون صفاً والملائكة صفاً هؤلاء جند وهؤلاء جند وروى مجاهد عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك إلا معه واحد منهم وقال الحسن
رضي الله عنه هو بنو آدم ورواه قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال هذا مما كان يكتمه ابن عباس
وقيل هو جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام وقيل أرواح
بني آدم وقال زيد بن أسلم هو القرآن وقرأ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا وإذا كان هؤلاء لَا يَتَكَلَّمُونَ
وهم من أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه تعالى لا يملكون التكلم فما ظنك بمن عداهم من أهل
السموات والأرض ويجوز رجوع الضمير للخلق أجمعين إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ أي في الكلام إذناً خاصاً الرَّحْمَٰنُ
أي الملك الذي لا تكون النعمة إلا منه وَقَالَ قولاً صَوَابًا في الدنيا أي حقاً من المؤمنين والملائكة
وهما شريطتان أن يكون المتكلم مأذوناً له في الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى
لقوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وقيل القول الصواب لا إله إلا الله ذَٰلِكَ أي المشار إليه
لبعد مكانته وعظم رتبته وعلو منزلته الْيَوْمُ الْحَقُّ أي الكائن لا محالة وهو يوم القيامة فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ
رَبِّهِ أي المحسن إليه مَآبًا أي مرجعاً وسبيلاً لطاعته ليسلم من العذاب في ذلك اليوم فإن الله
تعالى جعل لهم قوة واختياراً ولكن لا يقدر أحد منهم على مشيئة شيء إلا بمشيئة الله تعالى إِنَّا أي
على ما لنا من العظمة أَنذَرْنَاكُمْ أي يا كفار مكة عَذَابًا قَرِيبًا أي عذاب يوم القيامة الآتي
وكل آت قريب وقوله تعالى يَوْمَ ظرف لعذاباً بصفته يَنظُرُ الْمَرْءُ أي كل امرئ سواء كان
مؤمناً أو كافراً انظر الامرية فيه مَا أي الذي قَدَّمَتْ يَدَاهُ أي كسبه في الدنيا من خير وشر

وقال الحسن رضي الله عنه اراد بالمرء المؤمن اي يجد لنفسه عملا واما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا ولانه تعالى قال وَيَقُولُ الْكَافِرُ فعلم انه اراد بالمرء المؤمن وقيل هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم ومعنى ما قدمت يداه من الشر كقوله تعالى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه او موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع الى الصلة محذوف وقال مقاتل رضي الله عنه نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي ويقول الكافر يٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا في اخيه الاسود بن عبد الاسد وقال الثعلبي سمعت ابا القاسم بن حبيب يقول الكافر هنا ابليس وذلك انه عاب آدم عليه السلام بانه خلق من تراب وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه من الثواب والراحة ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه كان بمكان آدم فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ورأيته في بعض التفاسير قال البغوي قال ابو هريرة رضي الله عنه فيقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وانسان ثم يقال للبهائم والطير كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اي فلا اعذب وقيل معنى يا ليتني كنت ترابا اي لم ابعث وقال ابو الزناد اذا قضي بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار قيل لسائر الامم ولمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا وقال ليث بن ابي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز ومجاهد وغيرهما مؤمنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها والذي عليه الاكثر انهم مكلفون مثابون ومعاقبون كبني آدم وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة عم سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة حديث موضوع

سورة النزعت مكية

وهي خمس او ست واربعون آية ومائة وسبعون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا

بِسْمِ اللّٰهِ الذي احاط علمه بالكائنات الرَّحْمٰنِ الذي انعم على سائر الموجودات الرَّحِيْمِ الذي خص اولياءه بالجنات وَالنّٰزِعٰتِ اي الملائكة تنزع ارواح الكفار غَرْقًا اي تنزع ارواحهم من اجسادهم بشدة كما يغرق النازع في القوس ليبلغ بها غاية المد بعد ما نزعها حتى اذا كادت تخرج ردها الى جسده فهذا عملهم بالكفار وقال علي وابن مسعود رضي الله عنهما يريد نفس الكفار ينزعها ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها الى اجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله في الكفار وقال السدي رضي الله عنه والنازعات هي النفوس حين تغرق

في الصدور وقال مجاهد رضي الله عنه هي الموت ينزع النفوس وقال الحسن وقتادة رضي الله عنهم
هي النجوم تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب وقال عطاء وعكرمة رضي الله عنهم هي النفوس وقيل الغزاة
اتنبيه • غرقا يجوز ان يكون مصدرا على حذف الزوائد بمعنى اغراقا وانتصابه بما قبله لملاقاته
في المعنى وان يكون على الحال اي ذوات اغراق يقال اغرق في الشيء يغرق فيه اذا اوغل وبلغ اقصى
غايته وَالنّٰشِطٰتِ نَشْطًا اي الملائكة تنشط ارواح المؤمنين اي تسلها برفق فتقبضها كما ينشط
العقال من يد البعير اذا حل عنه وفي الحديث كانما نشط من عقال وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هي انفس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة لان الجنة تعرض عليهم
قبل الموت وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هي الملائكة تنشط ارواح الكفار مما بين الجلد والاظفار
حتى تخرجها من افواههم بالكرب والغم والنشط الجذب والنزع يقال نشطت الدلو انشطها نشطا نزعتها وقال
السدي رضي الله عنه هي النفس تنشط من بين القدمين اي تجذب وقال قتادة رضي الله
عنه هي النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب يقال نشط من بلد الى بلد اذا خرج في سرعة
ويقال حمار ناشط ينشط من بلد الى بلد وقال الجوهري يعني النجوم تنشط من برج الى برج كالثور
الناشط من بلد الى بلد وَالسّٰبِحٰتِ سَبْحًا اي الملائكة تسبح من السماء بامره اي ينزلون من السماء
مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابح اذا اسرع في جريه وقال علي رضي الله عنه هي الملائكة
تسبح بارواح المؤمنين قال الكلبي كالذي يسبح في الماء فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها
سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح وعن مجاهد رضي الله عنه السابحات الموت
يسبح في نفوس بني ادم وقال قتادة والحسن رضي الله عنهم هي النجوم تسبح في افلاكها وكذا الشمس
والقمر قال تعالى كل في فلك يسبحون وقال عطاء هي السفن في الماء وقال ابن عباس رضي الله عنهما
ارواح المؤمنين تسبح شوقا الى لقاء الله تعالى ورحمته حتى تخرج وقيل هي خيل الغزاة قال عنترة شعر
والخيل تعلم حين تسبح في حياض الموت سبحا • فَالسّٰبِقٰتِ سَبْقًا اي الملائكة تسبق بارواح
المؤمنين الى الجنة وقال مجاهد رضي الله عنه هي الملائكة سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح
وقال ابن مسعود رضي الله عنه هي انفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها شوقا
الى لقاء الله تعالى وكرامته وقد عاينت السرور وقال قتادة رضي الله عنه هي النجوم يسبق بعضها بعضا
في السير وقال عطاء هي الخيل التي تسبق في الجهاد وقيل هي ما يسبق من الارواح قبل الاجساد الى جنة
او نار قال الجرجاني ذكر السابقات بالفاء لانها مسببة عن الذي قبلها اي واللاتي يسبحن فيسبقن قال
الواحدي وهذا غير مطرد في قوله تعالى فَالْمُدَبِّرٰتِ اَمْرًا اي الملائكة تدبر امر الدنيا اي تنزل بتدبيره م
قال الرازي ويمكن الجواب بانها لما امرت سبحت فسبقت فدبرت ما امرت بتدبيره فتكون هذه
افعالا يتصل بعضها ببعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما المدبرات هي الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله
ته الى العمل بها قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا اربعة من الملائكة جبريل

ومیکائیل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام فاما جبريل فوكل بالرياح والجنود واما ميكائيل
فوكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فوكل بقبض الارواح واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس
في الملائكة اقرب منه وبينه وبين العرش خمسمائة عام وقيل هي الكواكب السبعة حكى عن معاذ بن جبل
رضي الله عنه وفي تدبيرها بالامور وجهان احدهما تدبير طلوعها وافولها والثاني في تدبيرها ما قضى
الله تعالى فيها من تقليب الاحوال اقسم سبحانه وتعالى بهذه الامور على قيام الساعة والبعث وانما
حذف لدلالة ما بعده عليه ولله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه واما العباد فلا يصح لهم
ان يقسموا بغير الله تعالى وصفاته وقوله تعالى يَوْمَ تَرْجُفُ اي تضطرب اضطرابا كثيرا مزعجا
الرَّاجِفَةُ اي الصيحة منصوب بالجواب اي لتبعثن يا كفار مكة يوم ترجف الراجفة وهي النفخة
الاولى بها يرجف كل شيء اي يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلائق فوصفت بما
يحدث منها تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ اي الصيحة التابعة لها وهي النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون
سنة والجملة حال من الراجفة واليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب
الثانية وقال قتادة رضي الله عنه هما صيحتان فالاولى تميت كل شيء والاخرى تحيي كل شيء باذن الله
سبحانه وتعالى وقال عطاء الراجفة القيامة والرادفة البعث روى عن ابي بن كعب رضي الله عنه
انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت
تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ اي اذ قام الخلائق بالصيحة التابعة الاولى وَاجِفَةٌ
اي خائفة قلقة مضطربة من الوجيف وهو صفة القلوب وقال مجاهد رضي الله عنه وجلة وقال السدي
زائلة عن اماكنها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر أَبْصَارُهَا اي ابصار اصحابها فهو من الاستخدام
خَاشِعَةٌ اي ذليلة من الخوف ولذا اضافها الى القلوب كقوله تعالى خاشعين من الذل يقولون
اي ارباب القلوب والابصار في الدنيا استهزاء وانكارا للبعث أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ اي بعد الموت
فِي الْحَافِرَةِ اي في الحياة التي كنا فيها قبل الموت وهي حالتنا الاولى فنصير احياء بعد الموت كما كنا تقول
العرب رجع فلان في حافرته اي رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء واول الشيء
وقال بعضهم الحافرة وجه الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة بمعنى المحفورة كقوله تعالى عيشة
راضية اي مرضية وقيل سميت حافرة لانها مستقر الحوافر اي انا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا
نمشي عليها وقال ابن زيد الحافرة النار أَإِذَا كُنَّا اي كونا صار جبلة لنا عِظَامًا نَخِرَةً اي بالية متفتتة
نحيا بعد ذلك وقرأ ائنا واذا نافع وابن عامر والكسائي بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني والباقون
بالاستفهام فيهما وسهل نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون بالتحقيق وادخل بين الهمزتين قالون وابو عمرو
وهشام بخلاف عنه الفا والباقون بغير ادخال وقرأ نخرة حمزة وشعبة والكسائي بالالف بعد النون
والباقون بغير الف وهما لغتان مثل الطمع والطامع والحذر والحاذر ومعناهما البالية وفرق قوم بينهما
فقالوا النخرة البالية والناخرة المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر اي تصوت قالوا اي المنكرون

وتقدم كلام

للبعث تِلْكَ ای رجعتنا العجیبة الی الحیوة اِذًا ای ان صحت كَرَّةٌ ای رجعة خَاسِرَةٌ اَیْ ذات وقف لازم
خسران او خسار اصحابها والمعنی ان صحت فنحن اذا خاسرون تکذیبنا وهو استهزاء منهم
وعن الحسن رضی الله عنه ان خاسرة بمعنی کاذبة ای لیست کائنة قال الله تعالی فَاِنَّمَا هِیَ ای
الرادفة التی یتبعها البعث زَجْرَةٌ ای صیحة بانتهار تتضمن الامر بالقیام والسوق الی المحشر والمنع
من التخلف وَّاحِدَةٌ عبر بالزجرة لانه اشد من النهی لانها صیحة لا یتخلف عنها القیام اصلا فکان
کانه بلسان قال عن تلك الصیحة ایها الاجساد البالیة انتهی عن الرقاد وقومی الی المیعاد
بما حکمنا به من المعاد فقد انتهی زمن الحصاد وان اوان الاجتناء لما قدم من الزاد فیا خسارة
من لیس له زاد فَاِذَا هُمْ ای فتسبب عن تلك النفخة وهی الثانیة ان کل الخلائق بِالسَّاهِرَةِ ط
ای صاروا علی وجه الارض بعد ما کانوا فی جوفها والعرب تسمی الفلاة ووجه الارض ساهرة قال
بعض اهل اللغة تراهم سموها ساهرة لان فیها نوم الحیوان وسهرهم قال سفیان رضی الله عنه
هی ارض الشام وقال قتادة رضی الله عنه هی جهنم فان قیل بم یتعلق فانما هی زجرة واحدة اجیب
بانه متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هی زجرة واحدة یعنی لا تحسبوا تلك الکرة صعبة
علی الله تعالی فانها سهلة هینة فی قدرته تعالی وقال الزمخشری الساهرة الارض البیضاء المستویة
سمیت بذلك لان السراب یجری فیها من قولهم عین ساهرة ای جاریة الماء وفی ضدها نائمة
قال الاشعث بن قیس شعر وساهرة یضحی السراب مجللا + لاقطارها قد جبتها متلثما او لان
سالکها لا ینام خوف الهلکة وقال الراغب هی وجه الارض وقیل ارض القیامة وحقیقتها التی یکثر الوطء
بها کانها سهرت من ذلك والاسهران عرقان فی الانف والساهور غلاف القمر الذی یدخل فیه
عند کسوفه وروی الضحاك عن ابن عباس رضی الله عنهما قال الساهرة ارض من فضة لم یعص الله
علیها قط جعلها حینئذ وقیل الساهرة اسم للارض السابعة یاتی بها الله تعالی فیحاسب علیها الخلائق
وذلك حین تبدل الارض غیر الارض قال وهب بن منبه جبل بیت المقدس وقال عثمان
بن ابی العاتکة انه اسم مکان من الارض بعینه بالشام وهو الصقع الذی بین جبل اریحاء وجبل حسان یمده
الله تعالی کیف شاء ثم ان الله تعالی سلی نبیه صلی الله علیه وسلم بقوله تعالی هَلْ اَتٰىكَ یا اشرف
الخلق حَدِیْثُ مُوْسٰی ای الیس قد اتاك حدیثه فیسلیك علی تکذیب قومك ویهددهم علیه وقف لازم
بان یصیبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم فانه کان اقوی اهل الارض بما کان له من کثرة الجنود فلما اصر
علی التکذیب ولم یرجع ولا افاده التادیب اغرقناه وآله ولم نبق منهم احدا وقد کانوا لا یحصون عددا بحیث
قیل ان طلیعته کانت علی عدد بنی اسرائیل ستمائة الف فکیف بقومك الضعاف وقوله تعالی
اِذْ ای حین نَادٰىهُ منصوب بحدیث لا باتاك رَبُّهٗ ای المحسن الیه بالرسالة وغیرها بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ
ای المطهر غایة التطهیر بتشریف الله تعالی له بانزال النبوة المفیضة للبرکات وقوله تعالی طُوًی ج
اسم الوادی وهو الذی طوی فیه الشر عن بنی اسرائیل ومن اراد الله تعالی من خلقه ونشر فیه

بركات النبوّة على جميع اهل الارض المسلم باسلامه وغيره برفع عذاب الاستئصال عنه فسألت العلماء فقالوا انّ عذاب الاستئصال ارتفع حين انزلت التورٰىة وهو واد بالطور بين ايلة ومصر وقرأه نافع وابن كثير وابو عمرو بغير تنوين فى الوصل والباقون بالتنوين وقوله تعالى اِذْهَبْ اِلٰى فِرْعَوْنَ اى ملك مصر الذى كان يستعبد بنى اسرائيل على ارادة القول اِنَّهٗ طَغٰى اى تجاوز الحدّ فى الكفر وعلاه وتكبره قال الرازى لم يبين انه طغى فى اى شئ فقيل تكبر على الله تعالى وكفر به وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم وروى عن الحسن رضى الله عنه قال كان فرعون علجا من همدان وقال مجاهد رضى الله عنه كان من اهل اصطخر وعن الحسن ايضا كان من اصبهان يقال له ذو الظفر طوله اربعة اشبار وقوله تعالى فَقُلْ اى له هَلْ لَّكَ اى هل لك سبيل اِلٰۤى اَنْ تَزَكّٰى اى تتطهر من الكفر والطغيان قال ابن عباس رضى الله عنهما بان تشهد ان لا اله الا الله وقال ابو البقاء لما كان المعنى ادعوك جاء بالى وقال غيره يقال هل لك فى كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاى والاصل تتزكى والباقون بتخفيفها وَاَهْدِيَكَ اِلٰى رَبِّكَ اى وانبهك على معرفة المحسن اليك فَتَخْشٰى لانّ الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشى الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شئ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرفيق ليستدعيه للتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من علوه كما امر بذلك فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا الاية وقال الرازى سائر الايات تدل على انه تعالى لما نادى موسى عليه السلام ذكر له اشياء كثيرة نودى انا ربك الى قوله تعالى لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى فدل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه من جملة ما ناداه به لا كل ما ناداه به وايضا فليس الغرض انه عليه السلام كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من كان فى الطور الا انه خصه بالذكر لانّ دعوته جارية مجرى كل القوم والفاء فى قوله تعالى فَاَرٰىهُ عاطفة على محذوف يعنى فذهب فاراه الْاٰيَةَ الْكُبْرٰى كقوله تعالى اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت واختلفوا فى الاية الكبرى اى العلامة العظمى وهى المعجزة فقال عطاء وابن عباس رضى الله عنهم هى العصا وقال مقاتل والكلبى رضى الله عنهما هى اليد البيضاء تبرق كالشمس والاوّل اولى لانه ليس فى اليد الا انقلاب لونها وهذا حاصل فى العصا لانها لما انقلبت حية لابدّ وان يتغير اللون الاوّل فاذن كل ما فى اليد فهو حاصل فى العصا وامور اخر وهى الحياة فى الجرم الجمادى وتزايد اجزائه وحصول القدرة الكبيرة والقوّة الشديدة وابتلاعها اشياء كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها وذهاب تلك الاجزاء التى عظمت وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا بهما حية وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا فى نفسه فعلمنا انّ الاية الكبرى هى العصا وقال مجاهد رضى الله عنه هى مجموع العصا واليد وقيل فلق البحر وقيل جميع اياته التسع فَكَذَّبَ اى فتسبب عن رؤيته ذلك

ان كذب موسى عليه السلام وعصى الله تعالى بعد ظهور الاية وتحقيق الامر وقيل كذب
بالقول وعصى بالتمرد والتجبر ثم ادبر اى تولى واعرض عن الايمان بعد المهل والاناة اعراضا
عظيما بالتمادى على اعظم ما كان فيه من الطغيان بعد خطوب جليلة ومشاهد طويلة حال كونه يسعى
اى يعمل بالفساد فى الارض او انه لما راى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى اى يسرع فى مشيته قال
الحسن رضى الله عنه كان رجلا طياشا خفيفا وتولى عن موسى عليه السلام يسعى ويجتهد
فى مكايدته او ادبر ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر موضع
اقبل لئلا يوصف بالاقبال فحشر اى فتسبب عن ادباره انه جمع السحرة للمعارضة وجنوده للقتال
فنادى حينئذ باعلى صوته قال حمزة الكرمانى قال له موسى عليه السلام ان ربى ارسلنى اليك لئن
امنت بربك تكون اربعمائة سنة فى النعيم والسرور ثم تموت فتدخل الجنة فقال حتى استشير
هامان فاستشاره فقال اتصير عبدا بعد ما كنت ربا فعند ذلك جمع بعث الشرط وجمع السحرة والجنود
فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال انا ربكم الاعلى اى لا رب فوقى وقيل اراد ان الاصنام ارباب
وانا ربها وربكم وقيل امر مناديا فنادى فى الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال ذلك فاخذه الله اى
اهلكه بالغرق الملك الاعظم الذى لا كفء له نكال اى عقوبة الاخرة اى هذه الكلمة وهى قوله انا ربكم
الاعلى والاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى قال ابن عباس رضى الله عنهما وكان بين الكلمتين
اربعون سنة والمعنى امهله فى الاولى ثم اخذه فى الاخرة فعذبه بكلمتيه وقال الحسن رضى الله
عنه نكال الاخرة والاولى هو ان اغرقه فى الدنيا وعذبه فى الاخرة وعن قتادة رضى الله عنه الاخرة
هى قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عليه السلام ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله تعالى
ان فى ذلك اى الامر العظيم الذى فعله فرعون والذى فعل به حين كذب وعصى لعبرة اى لعظة
لمن يخشى اى لمن يخاف الله تعالى لان الخشية اساس الخير كما مرت الاشارة اليه ثم خاطب تعالى
منكرى البعث بقوله تعالى ءانتم اى ايها الاحياء مع كونكم خلقا ضعيفا اشد خلقا اى اخلقكم بعد
الموت اشد فى تقديركم ام السماء اى ام من قدر على خلق السماء على عظمها من السعة والكبر والعلو و
المنافع قدر على الاعادة وهذا كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والمقصود من الاية
الاستدلال على منكرى البعث ونظيره قوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم ومعنى الكلام التقريع والتوبيخ وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بخلاف عنه بتحقيق الاولى
وتسهيل الثانية والباقون بتحقيقهما وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال
وقوله تعالى بناها بيان لكيفية خلقه اياها فالوقف على السماء والابتداء بما بعدها وقوله تعالى
رفع سمكها جملة مفسرة لكيفية البناء والسمك الارتفاع اى جعل مقدارها فى سمت العلو مديدا
رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها اى فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور
او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان واغطش اى اظلم ليلها اى

جعله مظلما بغياب شمسها فاخفى ضياءها بامتداد ظل الارض على كل ما كانت الشمس ظهرت
عليه فصار لا يهتدى معه الى ما كان فى حال الضياء واضاف الليل الى السماء لان الليل يكون
بغروب الشمس والشمس تضاف الى السماء ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل وقوله تعالى
واخرج ضحاها فيه حذف اى ضحى شمسها واضاف الليل والضحى لها للملابسة التى بينها وبينهما
لان الليل ظلها والشمس هى السراج المثقب فى جوها وانما عبر عن النهار بالضحى لان الضحى اكمل اجزاء النهار
بالنور والضوء والارض بعد ذلك اى بعد المذكور كله دحاها اى بسطها ومهدها للسكنى
وبقية المنافع وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو فلا معارضة بينها وبين اية فصلت
لانه خلق الارض اولا غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الارض قال ابن عباس رضى الله عنهما
خلق الله تعالى الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض
بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك اى مع ذلك ومنه
قولهم انت احمق وانت بعد هذا سيئ الخلق وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد
الذكر اى من قبل وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال خلق الله تعالى الكعبة ووضعها على الماء
على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفى عام ثم دحيت الارض من تحت البيت اخرج منها اى الارض
ماءها اى بتفجير عيونها واضافتها اليها دلالة على انه موضوع فيها ومرعاها اى النبات الذى يرعى
ياكله الناس والانعام من العشب والشجر والثمر والحب حتى النار والملح لان النار من العيدان قال تعالى
افرايتم النار التى تورون الاية والملح من الماء واستعير الرعى للانسان كما استعير الرتع فى قوله تعالى
عن اخوة يوسف عليه السلام نرتع ونلعب والرتع فى الاصل موضع الرعى * تنبيه * اخرج حال باضمار قد اى
مخرجا واضمار قد هو قول الجمهور وخالف الكوفيون والاخفش والجبال ارسيها اى اثبتها على وجه الارض
لتسكن ونظيره قوله تعالى والجبال اوتادا وقوله تعالى متاعا مفعول له لمقدر اى فعل ذلك منفعة
او مصدر لعامل مقدر اى متعكم تمتيعا لكم وقوله تعالى ولانعامكم جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم وذكر
الانعام لكثرة الانتفاع بها فاذا جاءت الطامة الكبرى اى الداهية التى تطم على الدواهى اى تعلو وتغلب
وفى امثالهم جرى الوادى فطم على القرى قال ابن عباس وهى النفخة الثانية التى يكون معها البعث
وقال الضحاك هى القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ فتغمره وقال القاسم بن الوليد الهمدانى
هى الساعة التى تساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقوله تعالى يوم يتذكر اى تذكرا
عظيما الانسان اى الجاحد الانسى بنفسه الغافل عما خلق له بدل من اذا ما سعى فى الدنيا من خير وشر
يعنى اذا راى اعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله تعالى احصاه الله ونسوه وما فى
ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم اى اظهرت النار المحرقة اظهارا بينا مكشوفا لمن يرى
اى لكل راء كقولهم قد تبين الصبح لذى عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل فى الامر المنكشف
الذى لا يخفى على احد تراه الناجى لا ينصرف بصره اليها فلا يراها كما قال تعالى لا يسمعون

حسبها وجواب اذا قوله فاما من طغى اى تجاوز الحد فى العدوان حتى كفر بربه وآثر اى قدم
واختار الحيوة الدنيا اى انهماك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم
اى النار الشديدة التوقد العظيمة هى اى خاصة المأوى اى مأواه كما تقول للرجل غض الطرف
تريد طرفك وليست الالف واللام بدلا عن الاضافة ولكن لما علم ان الطاغى هو صاحب المأوى وانه
لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة + تنبيه + هى يجوز ان تكون فصلا او مبتدأ واما من خاف
مقام ربه اى قيامه بين يديه لعلمه بالمبدأ والمعاد وقال مجاهد خوفه فى الدنيا من الله تعالى عند
مواقعة الذنب فيقلع عنه نظيره ولمن خاف مقام ربه جنتان ونهى النفس اى الامارة بالسوء
عن الهوى وهو اتباع الشهوات وزجرها عنها وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير فان الجنة
اى البستان لكل ما يشتهى هى اى خاصة المأوى اى ليس له سواها مأوى وحاصل الجواب ان العاصى
فى النار والطائع فى الجنة قال الرازى هذان الوصفان مضادان للوصفين المتقدمين فقوله تعالى
فاما من خاف مقام ربه ضد قوله تعالى فاما من طغى ونهى النفس عن الهوى ضد قوله تعالى وآثر
الحيوة الدنيا فكما دخل فى ذينك الوصفين جميع القبائح دخل فى هذين الوصفين جميع الطاعات
وقال عبد الله بن مسعود انكم فى زمان يقود الحق الهوى وسيأتى زمان يقود الهوى الحق فتعوذوا
بالله من ذلك الزمان + تنبيه + اختلف فى سبب نزول هاتين الآيتين فقيل نزلتا فى مصعب بن عمير
واخيه روى الضحاك عن ابن عباس قال اما من طغى فهو اخو مصعب بن عمير اسر يوم بدر واخذته
الانصار فقالوا من انت قال انا اخو مصعب بن عمير فلم يشدوه فى الوثاق واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا
حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لى باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء حليا ومالا فاوثقوه
حتى تبعث امه فداءه واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص فى جوفه والمشاقص جمع مشقص وهو السهم
العريض فلما رآه صلى الله عليه وسلم متشحطا فى دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله احتسبك وقال صلى الله
عليه وسلم لاصحابه لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب وعن ابن عباس
ايضا نزلت فى رجلين ابى جهل بن هشام ومصعب بن عمير وقال السدى نزلت الآية الثانية فى ابى بكر
الصديق رضى الله عنه وقال الكلبى هما عامتان + ولما سمع المشركون اخبار القيامة ووصفها بالاوصاف
الهائلة مثل الطامة الكبرى والصاخة والقارعة وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء متى
تكون الساعة نزل يسئلونك يا اشرف الخلق عن الساعة اى البعث الآخر لكثرة ما توعدهم به من امرها
ايان مرسيها اى فى اى وقت ارساؤها اى اقامتها اراد متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل منتهاها
ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهى اليه فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه فيم
اى فى اى شئ انت من ذكريها اى من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به + تنبيه + فيم خبر مقدم وانت
مبتدأ مؤخر ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر والمعنى انت فى اى شئ من ذكراها اى ما انت من

ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكراها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ اي المحسن اليك بانواع النعم ﴿مُنتَهَاهَا﴾ اي منتهى علمها لم يؤت علمها احدا من خلقه كقوله تعالى انما علمها عند ربي وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قال القرطبي ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسألتهم اي فيم انت من ذلك حتى يسألونك بيانه ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل الوقف على قوله تعالى فيم وهو خبر مبتدأ مضمر اي فيم هذا السؤال ثم يبتدأ بقوله تعالى انت من ذكراها اي ارسلناك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها ﴿إِنَّمَا أَنتَ﴾ اي يا اشرف الرسل ﴿مُنذِرُ﴾ اي انما بعثت لانذار ﴿مَن يَخْشَاهَا﴾ اي لتخويف من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به اي انما ينفع انذارك من يخافها وان كنت منذرا للكل ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ قال البغوي يعني كفار قريش ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ اي يعلمون قيام الساعة علما هو كالرؤية ويرون ما يحدث فيها بعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور مع علمهم بما مر من زمانهم وما اتى فيه ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ اي في الدنيا او في القبور ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ اي من الزوال الى غروب الشمس ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ اي ضحى عشية من العشايا وهو البكرة الى الزوال والعشية بعد ذلك اضيف اليها الضحى لانها من النهار والاضافة تحصل بادنى ملابسة وهي هنا كونهما من نهار واحد فالمراد ساعة من نهار من اوله او آخره لم يستكملوا نهارا تاما ولم يجمعوا بين طرفيه وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فان قيل هلا قال الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة أجيب بان ذلك للدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة + تنبيه + قرأ حديث موسى طوى طغى تزكى فتخشى وعصى يسعى فنادى الاعلى والاولى يخشى ما سعى طغى الدنيا المأوى عن الهوى المأوى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وقرأ فاراه الآية الكبرى الطامة الكبرى لمن يرى من ذكراها ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح في الجميع وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله تعالى في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة حديث موضوع

سورة عبس مكية وتسمى سورة السفرة

وهي اثنان واربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وثلثمائة وثلاثون حرفا

بسم الله الواحد القهار الرحمن الذى عم بانعامه الابرار والفجار الرحيم الذى خص اولياءه برحمته في دار القرار عبس اى كلح وجه النبى صلى الله عليه وسلم وتولى اى اعرض بوجهه لاجل ان جاءه الاعمى وهو ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمها عاتكة بنت عامر ابن مخزوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وذلك انه جاءه وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابوجهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم اولئك الاشراف الذين كان يخاطبهم فيتأيد بهم الاسلام ويسلم باسلامهم اتباعهم فتعلو كلمة الله تعالى فقال يا رسول الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين يكلمهم فانزل الله تعالى هذه الآيات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين غزاهما قال انس بن مالك رأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع وله راية سوداء وما يدريك اى اى شئ يجعلك داريا بحاله لعله اى الاعمى يزكى فيه ادغام التاء فى الاصل فى الزاى اى يتطهر من الذنوب بما يسمع منك وفى ذلك ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فيه ادغام التاء فى الذال اى يتعظ وتسبب عن تزكيته وتذكره قوله تعالى فتنفعه الذكرى اى العظة المسموعة منك وقرأ عاصم بنصب العين والباقون برفعها فمن رفع فهو نسق على قوله تعالى او يذكر ومن نصب فعلى جواب الترجى كقوله تعالى فى غافر فاطلع الى اله موسى وقال ابن عطية فى جواب التمنى لان قوله تعالى او يذكر فى حكم قوله تعالى لعله يزكى واعترض عليه ابو حيان بان هذا ليس تمنيا وانما هو ترج واجيب عنه بانه انما يريد التمنى المفهوم وقت الذكرى وقرأ الذكرى ابو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وقيل الضمير فى لعله للكافر يعنى انك طمعت فى ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن اما من استغنى اى بالمال وقال ابن عباس رضى الله عنهما استغنى عن الله وعن الايمان بما له من المال فانت له اى دون الاعمى تصدى اى تتعرض له بالاقبال عليه والمصادة المعارضة وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الصاد بادغام التاء الثانية فى الاصل فيها والباقون بالتخفيف وما اى فعلت ذلك والحال انه ما عليك اى وليس عليك بأس الا يزكى اى فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك حال كونه يسعى اى يسرع فى طلب الخير وهو ابن ام مكتوم وهو اى والحال انه يخشى اى الله او الكفار فى اذاهم على الاتيان اليك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة وقرأ قالون وابو عمرو والدورى بسكون الهاء والباقون بضمها فانت عنه تلهى فيه حذف التاء الاخرى فى الاصل اى تتشاغل وقرأ وتولى الاعمى يزكى وما استغنى تصدى يزكى يسعى يخشى

يلهى

تلهى حمزة والكسائى بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح وقوله تعالى كَلَّا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله فان قيل ما فعله ابن ام مكتوم كان يستحق عليه التاديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على تاديبه لانه وان كان اعمى فقد سمع مخاطبته صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان بسماعه يعرف شدة اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم لغرض نفسه قبل تمام كلام النبى صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة وايضا فان الاهم يقدم على المهم وكان قد اسلم وتعلم ما يحتاج من امر الدين واما اولئك الكفار فلم يكونوا اسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام غيرهم فكان كلام ابن ام مكتوم كالسبب فى قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم وايضا فان الله تعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات بمجرد ندائهم فهذا النداء الذى هو كالصارف للكفار عن الايمان اولى ان يكون ذنبا وايضا فمع هذا الاعتناء كيف لقب بالاعمى وايضا فالنبى صلى الله عليه وسلم له ان يؤدب اصحابه بما يراه مصلحة والتعبيس من ذلك القبيل اجيب بان ما فعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما بان النبى صلى الله عليه وسلم مشغولا بغيره وانه يرجو اسلامهم ولكنه لم يعلم بذلك وايضا الله سبحانه وتعالى انما عاتبه على ذلك حتى لا تنكسر قلوب الضعفاء او ليعلم ان المؤمن الفقير خير من الغنى الكافر وقال ابن زيد انما عبس النبى صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذى كان يقوده ان يكفه فدفعه ابن ام مكتوم وابى الا ان يتكلم مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان فى هذا نوع جفاء منه ومع هذا نزل فى حقه ذلك واما ذكره بلفظ الاعمى فليس للتحقير بل كان بسبب عماه يستحق ان يزيده تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تادب الناس بادب الله تعالى فى هذا تاديبا حسنا فقد روى عن سفيان الثورى رضى الله عنه ان الفقراء كانوا بمجلسه امراء واما كونه صلى الله عليه وسلم كان ماذونا له فى تاديب اصحابه فلان تقديمهم ربما يوهم ترجيح تقديم الاغنياء على الفقراء فلهذا السبب عوتب قال الحسن رضى الله عنه لما تلا جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم هذه الايات عاد وجهه كانما سف فيه الرماد ينتظر ما يحكم الله تعالى عليه فلما قال كلا سرى عنه اى لا تفعل مثل ذلك وقد بينا نحن ان ذلك محمول على ترك الاولى ثم قال الله تعالى إِنَّهَا اى هذه السورة وقال مقاتل رضى الله عنه ايات القران وقيل القران وانثه لتانيث خبره وهو قوله تعالى تَذْكِرَةٌ اى عظة للخلق يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فَمَنْ شَآءَ ذَكَرَهُ اى كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ ثم ان الله تعالى اخبر عن جلالة ذلك عنده فقال سبحانه فِى صُحُفٍ اى منتسخة من اللوح المحفوظ وقيل هى كتب الانبياء عليهم السلام دليله قوله تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى مُّكَرَّمَةٍ اى عند الله تعالى مَّرْفُوعَةٍ اى فى السماء السابعة او مرفوعة المقدار مُّطَهَّرَةٍ اى منزهة عن ايدى الشياطين لا يمسها الا ايدى ملائكة كرام مطهرين كما قال تعالى بِأَيْدِى سَفَرَةٍ اى كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ وهم الملائكة الكرام الكاتبون

واحدهم سافر يقال سفرت اى كتبت ومنه قيل للكتاب سفر وجمعه اسفار وقيل هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير وهو الرسول وسفير القوم هو الذى يسعى بينهم بالصلح وسفرت بين القوم اذا اصلحت بينهم ثم اثنى تعالى عليهم بقوله سبحانه كِرَامٍ اى على الله تعالى وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما فى كرام قال مكرمون ان يكونوا مع ابن آدم الا اذا خلا بزوجته او برز لغائط وقيل يؤثرون منافع غيرهم على منافع انفسهم وقوله بَرَرَةٍ جمع بار كساحر وسحرة وفاجر وفجرة والبار هو الصادق المطيع ومنه بر فلان فى يمينه اى صدق وفلان يبر خالقه اى يطيعه فمعنى بررة مطيعين صادقين لله تعالى فى اعمالهم ولما ذكر تعالى ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين عجب عباده المؤمنين من ذلك فقال سبحانه قُتِلَ الْإِنْسَانُ اى لعن الكافر وقوله تعالى مَا أَكْفَرَهُ استفهام توبيخ اى ما اشد تغطيته للحق وجحده له وعناده فيه لانكاره البعث واشراكه بربه وغير ذلك مما حمله على الكفر وقوله تعالى مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ استفهام تقرير ثم بينه بقوله تعالى مِنْ نُطْفَةٍ اى ماء يسير جدا لا من غيره خَلَقَهُ اى اوجده مقدرا على ما هو عليه من التخطيط فَقَدَّرَهُ اى علقة ثم مضغة الى آخر خلقه فكأنه قيل واى سبب فى هذا الترفع مع ان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين الوقتين حامل عذرة فان خلقة الانسان تصلح ان يستدل بها على وجود الصانع لانه يستدل بها على احوال البعث والحشر قيل نزلت فى عتبة بن ابى لهب والظاهر العموم فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز فالقادر على الكل كيف يليق به ذلك والتعجب ايضا انما يليق بالجاهل بسبب الشئ فالعالم به كيف يليق به ذلك اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب لبيان استحقاقهم لاعظم العقاب حيث اتوا باعظم القبائح كقولهم اذا تعجبوا من شئ قاتله الله ما احسنه واخزاه الله ما اظلمه والمعنى اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل الاستفهام استفهام تحقير له فذكر اول مراتبه وهو قوله تعالى من نطفة خلقه ولا شك ان النطفة شئ حقير مهين ومن كان اصله ذلك كيف يتكبر وقوله تعالى فقدره اى اطوارا وقيل سواه كقوله تعالى ثم سواك رجلا او قدر كل عضو فى الكيفية والكمية بالقدر اللائق لمصلحته كقوله تعالى وخلق كل شئ فقدره تقديرا. ثم ذكر المرتبة الوسطى بقوله تعالى ثُمَّ بعد انتهاء المدة السَّبِيلَ اى طريق خروجه من بطن امه يَسَّرَهُ اى سهل له امره فى خروجه بان فتح له الرحم والهمه الخروج منه ولا شك ان خروجه من اضيق المسالك من اعجب العجائب يقال انه كان رأسه فى بطن امه من فوق ورجلاه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فمن الذى اعطاه ذلك الالهام المراد ومنه قوله تعالى وهديناه النجدين اى التمييز بين الخير والشر وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سبيل الشقاء والسعادة وقال ابن زيد سبيل الاسلام قال ابو بكر بن طاهر يسر على كل احد ما خلقه له وقدر عليه لقوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له. ثم ذكر المرتبة الاخيرة بقوله تعالى ثُمَّ أَمَاتَهُ واشار الى ايجاب المبادرة بالتجهيز بالفاء المعقبة فى قوله تعالى فَأَقْبَرَهُ اى جعله فى قبر يستره اكراما له ولم يجعله ممن يلقى على وجه الارض تاكله الطير وغيرها ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ اى احياه بعد موته للبعث ومفعول شاء

محذوف اى نشاء انشاره والنشر جواب اذا وقرأ قالون وابو عمرو والبزي باسقاط الهمزة الاولى مع المد
والقصر وسهل الثانية ورش وقنبل ولهما ايضا ابدالها الفا والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى كَلَّا ردع
للانسان عما هو عليه وقيل معناه حقا قال الاول الزمخشري وتبعه البيضاوي وقال الثاني الجلال
المحلي لَمَّا يَقْضِ اى يفعل مَا أَمَرَهُ به ربه من الايمان وترك التكبر وقيل لم يوف بالميثاق الذي اخذ عليه
في صلب ادم عليه السلام وقيل المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امره به من التأمل
في دلائل الله تعالى والتدبر في عجائب خلقه + ولما كانت عادة الله تعالى جارية في القرآن انه
كلما ذكر دلائل الانسان ذكر عقبها دلائل الآفاق بدأ من ذلك بما يحتاج اليه الانسان بقوله تعالى
فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ اى يوقع النظر التام بكل شيء يقدر على النظر به من بصره وبصيرته إِلَىٰ طَعَامِهِ
اى الذي هو قوام حياته كيف هيأ له اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد وقال الحسن ومجاهد فلينظر
الى طعامه الى مدخله ومخرجه وروى عن الضحاك انه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا قلت الى ما قد علمته قال
فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن ادم مثلا للدنيا وروى عن ابي بن كعب ان الرجل ليدخل الخلاء فينظر ما
يخرج منه فيأتيه الملك فيقول انظر الى ما بخلت به الام صار وقرأ أَنَّا صَبَبْنَا اى بما لنا من العظمة
الْمَاءَ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة على انه بدل اشتمال بمعنى ان صب الماء سبب في اخراج الطعام
فهو مشتمل عليه بهذا التقدير وانه على تقدير لام العلة اى فلينظر لانا صببنا فحذف الخافض وقال البغوي
انا بالفتح على تكرير الخافض مجازه فلينظر الى انا وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف تعديدا للنعمة
تعالى عليه وقوله تعالى صَبًّا تاكيد والمراد بالماء المطر + ولما كان الانسان محتاجا الى جميع ما في الوجود
ولو نقص منه شيء اختل امره وبدأ اولا بالسماوي لانه اشرف وبالماء الذي هو حياة كل شيء تنبيها له
على ابتداء خلقه ثنى بالارض التي هي كالانثى بالنسبة الى السماء فقال تعالى ثُمَّ اى بعد مهلة من انزال الماء
شَقَقْنَا اى بما لنا من العظمة الْأَرْضَ اى بالنبات الذي هو في غاية الضعف عن شق اضعف
الاشياء فكيف بالارض اليابسة وقوله تعالى شَقًّا تاكيد ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له فقال
تعالى فَأَنبَتْنَا اى بما لنا من القدرة التامة فِيهَا اى بسبب الشق حَبًّا اى قمحا وشعيرا وسلتا وسائر ما
يحصد ويدخر وقدم ذلك لانه كالاصل في التغذي به وَعِنَبًا وذكره بعد الحب لانه غذاء من وجه وفاكهة
من وجه وَقَضْبًا قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرطب لانه يقضب من النخل اى يقطع ورجحه
بعضهم لذكره بعد العنب لانهما يقترنان كثيرا وقيل القت الرطب وقيل كل ما يقضب من البقول
لبني ادم وقيل هو الرطبة والمقضاب ارضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد اخرى
وقال الحسن القضب العلف للدواب وَزَيْتُونًا وهو ما يعصر منه الزيت يكون فيه حرافة وفيه منفعة
فيه لصلاح المزاج وقوله تعالى وَنَخْلًا جمع نخلة وكل من هذه الاشياء مخالف للآخر في الشكل
والطعم وغير ذلك مع الموافقة في الارض والسقي وقوله تعالى وَحَدَائِقَ غُلْبًا جمع اغلب وغلباء

جمع فى احمر وحمراء اى بساتين كثيرة الاشجار والاصل فى الوصف بالغلب الرقاب يقال رجل اغلب وامرأة غلباء غليظا الرقبة فاستعير قال عمرو بن معد يكرب يمشى بها غلب الرجال كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا وقال مجاهد ومقاتل الغلب الملتفة الشجر بعضه فى بعض وقال ابن عباس رضى الله عنهما الطوال وقيل غلاظ الاشجار وفاكهة وهى ما تاكله الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ قال النووى فى منهاجه ويدخل فى فاكهة رطب وعنب ورمان واترج ورطب ويابس اى كالتمر والزبيب قال قلت وليمون ونبق وبطيخ ولب فستق وبندق وغيرها فى الاصح وابا وهو ما تاكله الدواب لانه يؤب اى يؤم وينتجع اليه وقال عكرمة الفاكهة ما ياكله الناس والاب ما تاكله الدواب وقيل التبن وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه سئل عن الاب فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله تعالى ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه انه قرأ هذه الاية فقال كل هذا عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده ثم قال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدرى ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فان قيل هذا يشبه النهى عن تتبع معانى القران والبحث عن مشكلاته اجيب بانه لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشئ من العلم الذى لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الاية مسوقة عندهم فى الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الاية ان الاب بعض ما انبته الله تعالى للانسان متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر لله تعالى على ما تبين لك و لم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذى هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين لك من مشكلات القران متاعا اى العشب اى منفعة او تمتيعا كما تقدم فى السورة قبلها لكم اى الفاكهة ولانعامكم وتقدم ايضا فى السورة التى قبلها معرفة الانعام والحكمة فى الاقتصار عليها ولما ذكر تعالى هذه الاشياء وكان المقصود منها ثلاثة اولها الدلائل الدالة على التوحيد وثانيها الدلائل الدالة على القدرة والمعاد وثالثها ان هذا الاله الذى احسن الى عبيده بهذه الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل ان يتمرد على طاعته وان يتكبر على عبيده اتبع ذلك بما يكون كالمؤكد لهذه الاغراض وهو شرح احوال القيامة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التامل فى الدلائل والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه ايضا الى ترك التكبر على الناس والى اظهار التواضع فقال تعالى فاذا جاءت اى كانت ووجدت لان كل ما هو كائن لا فيك وجاء اليك الصاخة اى صيحة القيامة وهى النفخة الثانية التى تصخ الاذن اى تصمها لشدة وقعها ماخوذة من صخه بالحجر اى صكه به وقال الزمخشرى صخ لحديثه مثل اصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها وقال ابن العربى الصاخة التى تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة كقوله

م

به اصمنى سترهم ايام فرقتهم + وهل سمعتم بسترٍ يورث الصمما + وجواب اذا محذوف دل عليه قوله تعالى
فاذا جاءت الصاخة اى اشتغل كل واحد بنفسه وقوله تعالى يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ بدل من اذا مِنْ اَخِيْهِ وَاُمِّهٖ وَاَبِيْهِ
وَصَاحِبَتِهٖ اى زوجته وَبَنِيْهِ لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا كقوله تعالى
يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا فيفر المؤمن من هؤلاء الذين كان يفر اليهم في دار الدنيا ويستجير بهم
لكثرة ما يشغله وبدأ بالاخ لانه ادناهم رتبة في الحب والذب ثم بالام لانها كانت مشاركة له في الالف
ويلزم من حمايتها اكثر مما يلزم للاخ وهو بها الف وعليها احنى وعليها ارق واعطف ثم بالاب لانه اعظم منها
في الالف لانه اقرب منها في النوع وللولد عليه من الدالة ما ليس له من مزيد النفع اكثر من فضله ثم بالصاحبة
لان الزوجة التي هي اهل لان تصحب الصدق بالفؤاد واعرق في الوداد وكان الانسان اذب عنها عند
الشدائد ثم بالولد لان له من المحبة والملاطفة بالسرور والمشاورة في الامر ما ليس لغيره ولذلك يضيع
عليه رزقه وعمره فقدم ادناهم مرتبة في الحب والذب فادناهم على سبيل الترقي واخر الاوجب في ذلك
فالاوجب بحذوف ما في سورة سأل تكأنه قيل يفر المرء من اخيه بل من امه بل من ابيه بل من صاحبته
بل من بنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان
قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا
وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم عليه السلام ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه
نوح + ولما ذكر الفرار اتبعه سببه فقال تعالى لِكُلِّ امْرِئٍ وان كان اعظم الناس مروءة مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ
اى اذ تكون هذه الدواهي العظام والشدائد والاهوال شَاْنٌ اى امر عظيم وقوله تعالى يُّغْنِيْهِ حال اى يشغله
عن شأن غيره وعن سودة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا اى بالقلفة قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان فقلت
يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال صلى الله عليه وسلم قد شغل الناس لكل امرئ
منهم يومئذ شأن يغنيه وقال قتيبة يغنيه اى يصرفه عن قرابته ومنه يقال اغن عني وجهك
اى اصرفه وقال اهل المعاني يغنيه اى ذلك الهم الذي حصل له قد ملأ صدره فلم يبق فيه
متسع لهم اخر فصار شبيها بالغني في انه ملك شيئا كثيرا + ولما ذكر تعالى حال القيامة
في الهول بين ان المكلفين على قسمين سعداء واشقياء فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى
وُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ اى اذ كان ما تقدم من الفرار وغيره مُّسْفِرَةٌ اى مضيئة متهللة من اسفر
الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل
حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله
تعالى ضَاحِكَةٌ اى مسرورة فرحة قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب مُّسْتَبْشِرَةٌ اى
بما آتاها الله تعالى من الكرامة ثم وصف الشقي بقوله تعالى وَوُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ اى اذ وجد
ما ذكر عَلَيْهَا غَبَرَةٌ اى غبار تَرْهَقُهَا اى تعلوها قَتَرَةٌ اى سواد كالدخان ولا يرى اوحش من

اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما يرى في وجوه الزنوج اذا اغبرت اولئك اى البعداء البغضاء الذين يصنع بهم هذا هُمُ اى خاصة الكفرة الفجرة جمع الكافر والفاجر وهو الكاذب والمفترى على الله تعالى فجمع تعالى الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر حديث موضوع وكان من حق البيضاوى ان لا يعبر بقال بل يعبر كالزمخشرى او نحوها ويأتى مثله فى نظائره

سورة التكوير مكية

وهى تسع وعشرون آية ومائة واربع كلمات واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا

بِسْمِ اللّٰهِ الذى احاط علمه بالكائنات الرَّحْمٰنِ الذى عم جوده سائر البريات الرَّحِيْمِ الذى خص حزبه بنعيم الجنات واختلف فى معنى قوله تعالى اِذَا الشَّمْسُ اى التى هى اعظم آيات السماء الظاهرة واوضحها للحس كُوِّرَتْ فقال ابن عباس اظلمت وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير غورت وقال مجاهد اضمحلت وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة يقال كورت العمامة على راسى اكورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها واصل التكوير جمع بعض الشئ الى بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة + تنبيه + ارتفاع الشمس على الفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط وَاِذَا النُّجُوْمُ اى كلها كبارها وصغارها انْكَدَرَتْ اى انقضت وتساقطت على الارض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت والاصل فى الانكدار الانصباب قال العجاج فى مدحه لعمرو بن معديكرب شعر اذا الكرام ابتدروا الباع ابتدر + تقضى البازى اذا البازى كسر + ابصر خربان فضاء فانكدر + اى فانقض وسقط والخربان جمع خرب وهو ذكر الحبارى والباع يستعمل فى الكرم يقال فلان كريم الباع والمعنى ان الكرام اذا ابتدروا فعل المكرمات بدرهم عمرو اى اسرع كانقضاض البازى وروى عن ابن عباس ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدى الملائكة عليهم السلام فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدى الملائكة لانه مات من كان يمسكها وَاِذَا الْجِبَالُ التى هى فى العالم السفلى كالنجوم فى العالم العلوى وهى اصلب ما فى الارض سُيِّرَتْ اى ذهب بها عن وجه الارض فصارت هباء منبثا وصارت الارض قاعا صفصفا وَاِذَا الْعِشَارُ اى النوق الحوامل جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء وهى التى اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهى انفس ما يكون عند اهلها روى انه صلى الله عليه وسلم مر فى اصحابه

بشّار من النوق فغض بصره فقيل له هذه انفس اموالنا فلم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله
عن ذلك ثم تلا ولا تمدّن عينيك الآية عُطِّلَتْ اي تركت مسيبة مهملة بلا راع او عطلها اهلها
عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم او السحاب عطلت عن المطر والعرب تشبه السحاب بالحامل
والاول على وجه المثل لان في القيامة لا تكون ناقة عشراء والمعنى ان يوم القيامة بحالة لو كان للرجل
ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه وَاِذَا الْوُحُوْشُ اي دواب الارض التي لا تأنس باحد التي
تظن انها لا غيرة بها ولا التفات اليها فما ظنك بغيرها حُشِرَتْ اي جمعت بعد البعث
ليقتص لبعضها من بعض ثم تصير ترابا قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل
اذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس
ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم
السنة وقرأ وَاِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ اي على كثرتها ابن كثير وابو عمرو بتخفيف الجيم والباقون
بالتشديد بما قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقال مجاهد فجر بعضها في بعض
العذب والملح فصارت البحار كلها بحرا واحدا وقال القشيري يرفع الله تعالى الحاجز الذي ذكره
فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت بحرا واحدا وروى ابو العالية
عن ابي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس
فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطربت
وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم
في بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت اي اختلطت واذا البحار سجرت قال الجن للانس
نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تتأجج قال فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة
واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح
فاماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكر
من بعد وَاِذَا النُّفُوْسُ اي من كل ذي نفس من الناس وغيرهم زُوِّجَتْ اي قرنت باجسادها
وروي ان عمر سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة
ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقال الحسن وقتادة الحق كل امرئ
بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقال عطاء زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين
وقرنت نفوس الشياطين بالكافرين وَاِذَا الْمَوْءٗدَةُ اي الجارية المدفونة حية كان الرجل
في الجاهلية اذا ولد له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم
في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب
بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيذهب بها الى البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها
من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالارض وقال ابن عباس كانت الحامل

اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة واذا ولدت ولدا حبسته وكانوا يفعلون ذلك لخوف لحوق العار بهم من اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد وفيه افتخر الفرزدق في قوله ؎ ومنا الذي منع الوائدات ✦ واحيا الوئيد فلم توأد سُئِلَتْ بِأَيِّ اي بسبب اي ذَنْبٍ يا ايها الجاهلون قُتِلَتْ اي استحقت به عندكم القتل وهي لم تباشر سوالكونها لم تصل الى حد التكليف فان قيل ما معنى سؤالها عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها اجيب بان سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى عليه السلام أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وروي ان قيس بن عاصم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني وأدت ثمان بنات كن لي في الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم اعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله اني صاحب ابل فقال له صلى الله عليه وسلم اهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة التي تقتل ولدها تاتي يوم القيامة متعلقا ولدها بثديها ملطخا بدمائه فيقول يا رب هذه امي وهذه قتلتني وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ اي فتحت بعد ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها اعمال العباد من خير وشر تطوى بالموت وتنشر في القيامة فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وروي عن عمر انه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما يشغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بتخفيف الشين والباقون بتشديدها على تكرير النشر للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرير ذلك من الانسان وَإِذَا السَّمَاءُ اي هذا الجنس كله افرده لانه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على الباقي كُشِطَتْ اي نزعت عن اماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة والغطاء عن الشيء قال القرطبي يقال كشطت البعير كشطا نزعت جلده ولا يقال سلخت لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته او جلدته والمعنى ازيلت عما فوقها وقال القرطبي طويت وَإِذَا الْجَحِيمُ اي النار الشديدة التأجج سُعِّرَتْ اي اججت فاضرمت للكفار وزيد في احمائها يقال سعرت النار واسعرتها وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة واحتج بهذه الآية من قال النار مخلوقة الآن لانه يدل على ان سعيرها معلق بيوم القيامة وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم بتشديد العين والباقون بتخفيفها وَإِذَا الْجَنَّةُ اي البستان

ذو الاشجار الملتفة والرياض المعجبة أُزْلِفَتْ اى قربت لاهلها الذين خلودها وقال الحسن انهم يقربون منها لا انها تزول عن موضعها وقال عبد الله بن زيد زينت والزلفى فى كلام العرب القربة وقوله تعالى عَلِمَتْ نَفْسٌ جواب اذا اول السورة وما عطف عليها اى علمت كل نفس من النفوس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة فالتنكير فيه مثله فى تمرة خير من جرادة ودلالة هذا السياق للهول على ذلك يوجب اليقين فيه مَّا اى كل شئ أَحْضَرَتْ من خير وشر روى عن ابن عباس وعمر انهما قرأ فلما بلغا علمت نفس ما احضرت قالا لهذا اجريت القصة قال الرازى ومعلوم ان العمل لا يمكن احضاره فالمراد اذن ما احضرته فى صحائفها او ما احضرته عند المحاسبة وعند الميزان من آثار تلك الاعمال وعن ابن مسعود ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وانقطع ظهراه فَلَآ أُقْسِمُ لا مزيدة اى اقسم بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ هى النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون اى ترجع فى مجراها وراءها بينما ترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله وتكنس بكسر النون تدخل فى كناسها اى تغيب فى المواضع التى تغيب فيها فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع فى اماكنها كالوحش فى كنسها وَالَّيْلِ اى الذى هو محل ظهور النجوم وزوال خنوسها وذهاب كنوسها إِذَا عَسْعَسَ قال البغوى قال الحسن اقبل بظلامه وقال آخرون ادبر تقول العرب عسعس الليل وسعسع اذا ادبر ولم يبق منه الا القليل وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ اى امتد حتى يصير نهارا بينا يقال للنهار اذا زاد تنفس ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وفى كيفية المجاز قولان الاول انه اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز فقيل تنفس الصبح الثانى انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذى حبس بحيث لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة فههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وقوله تعالى إِنَّهُۥ اى القرآن لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ هو المقسم عليه والمعنى انه لقول رسول عن الله تعالى كريم على الله تعالى اى انتفت عنه وجوه المذام كلها وثبتت له وجوه المحامد كلها وهو جبريل عليه السلام واضاف الكلام اليه لانه قاله عن الله عز وجل ذِى قُوَّةٍ اى شديد القوى روى الضحاك عن ابن عباس انه قال من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وابصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة القاه الى اقصى جبل بالهند وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ويهبط من السماء الى الارض ويصعد فى اسرع من الطرف عِندَ ذِى الْعَرْشِ اى الملك الاعلى المحيط عرشه بجميع الاكوان الذى لا عند فى الحقيقة الا له وهو الله سبحانه وتعالى وقوله تعالى مَكِينٍ اى ذى مكانة متعلق به عند اى ذى منزلة ومكانة ليس عندية جهة بل عندية اكرام وتشريف كقوله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم وقيل قوى فى اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها مُّطَاعٍ ثَمَّ اى فى السموات

قال الحسن فرض الله تعالى على اهل السموات طاعة جبريل عليه السلام كما فرض على اهل الارض طاعة
محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس من طاعة جبريل عليه السلام الملائكة انه لما اسري بالنبي صلى الله
عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان افتح له ففتح فدخلها فرأى ما فيها أَمِينٍ
اي بليغ الامانة على الوحي الذي يجيء به وقيل الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى حينئذ ذي قوة
على تبليغ الوحي مطاع اي يطيعه من اطاع الله تعالى وَمَا صَاحِبُكُمْ اي الذي طالت صحبته لكم وانتم تعلمون
انه في غاية الكمال حتى انه ليس له وصف عندكم الا الامين وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا عطف على
انه الى آخر المقسم عليه واغرق في النفي فقال تعالى بِمَجْنُونٍ اي كما زعمتم بتهمهم في قوله بل جاء بالحق وصدق
المرسلين فما القرآن الذي يتلوه عليكم قول مجنون ولا قول متوسط في العقل بل قول اعقل العقلاء
واكمل الكمل • تنبيه • استدل بذلك بعضهم على فضل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله
عليه وسلم حيث عد فضائل جبريل عليه السلام واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو كما قال البيضاوي ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر وقولهم افترى على الله كذبا
وقولهم ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما وَلَقَدْ رَآهُ اي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها وله ستمائة جناح بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ اي البين وهو الافق
الاعلى الذي عند سدرة المنتهى حيث لا يكون لبس اصلا ولا يكون للشيطان على ذلك المكان سبيل
فعرفه حق المعرفة وقال مجاهد وقتادة بالافق الاعلى من ناحية المشرق وعن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك على صورتك التي تكون فيها في السماء
قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فبمنى قال
لا يسعني قال فبعرفات قال ذلك بالحري ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت
فاذا هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه
في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه قال فتحول جبريل عن صورته
فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في
التخوم السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله تعالى حتى يصير مثل
الوصع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم
رأى ربه عز وجل بالافق المبين وهو قول ابن مسعود وقد مر ذلك في سورة النجم وَمَا اي [illegible]
والحال انه مَا هُوَ اي محمد صلى الله عليه وسلم عَلَى الْغَيْبِ اي ما غاب من الوحي وخبر السماء
ورؤية جبريل وغير ذلك مما اخبر به وقرأ بِظَنِينٍ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظاء المشالة
من الظنة وهي التهمة اي فليس بمتهم والباقون بالضاد موافقة [illegible] من الضن وهو البخل
اي فليس ببخيل بالوحي فيزوي [illegible] ما عنده حتى يأخذ
عليه حلوانا وهو في مصحف [illegible] الله عليه وسلم يقرأ

بهما قال الزمخشري واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لابد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهي احد الاحرف الذولقية اخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع المصلي احد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كوضع الذال مكان الجيم والثاء مكان السين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتهما اه كلامه بحروفه وَمَا هُوَ اي القرآن الذي من جملة معجزاته الاخبار بالمغيبات واغرق في النفي بالتاكيد بالباء فقال تعالى بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ اي مسترق للسمع فيوحيه اليه كما يوحيه الى بعض الكهنة رَّجِيمٍ اي مرجوم مطرود بعيد من الرحمة وذلك ان قريشا كانوا يقولون ان هذا القرآن يجيء به شيطان فيلقيه على لسانه يريدون بالشيطان الابيض الذي كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريدان يفتنه فنفى الله تعالى ذلك وقوله تعالى فَأَيْنَ منصوب بقوله تعالى تَذْهَبُونَ لانه ظرف مبهم وقال ابو البقاء اي الى اين فحذف الجار اي فاي طريق تسلكون في انكاركم القرآن واعراضكم عنه وفي هذا استضلال لهم فيما يسلكون من امر النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب إِنْ اي ما هُوَ اي القرآن الذي اتاكم به الرسول إِلَّا ذِكْرٌ اي عظة وشرف لِّلْعَٰلَمِينَ من الانس وجن وملك وقوله تعالى لِمَن شَآءَ مِنكُمْ بدل من العالمين باعادة الجار أَن يَسْتَقِيمَ باتباع الحق قال ابو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهذا هو القدر وهو راس القدرية فنزل وَمَا تَشَآءُونَ الاستقامة على الحق إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ اي الا وقت ان يشاء الملك الاعظم الذي بيده كل شيء مشيئتكم الاستقامة عليه رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ اي مالك الخلق وفي هذا اعلام ع
ان احد الا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه وتقل البغوي في اول السورة باسناده الى ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال من احب ان ينظر الى يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت واما قول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته فحديث موضوع

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة اية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

بِسْمِ ٱللَّهِ الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ٱلرَّحْمَٰنِ الذي دبر الكائنات تدبيرا ٱلرَّحِيمِ الذي ارسل رسوله للخلق نذيرا إِذَا ٱلسَّمَآءُ اي على شدة احكامها واتساقها وارتفاعها ٱنفَطَرَتْ

اى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وَإِذَا الْكَوَاكِبُ اى النجوم الصغار
والكبار كلها الغراء الزاهرة المتوقدة توقد النار الموضعة لزينة السماء انْتَثَرَتْ اى تساقطت
متفرقة لان عند انتقاض تركيب السماء تنتثر النجوم على الارض وَإِذَا الْبِحَارُ المتفرقة فى الارض
وهى ضابطة لها انم ضبط لنفع العباد على كثرتها فُجِّرَتْ اى فتح بعضها فى بعض فاختلط العذب
بالملح وزال البرزخ الذى بينهما فصارت البحار بحرا واحدا وروى ان الارض تنشف الماء
بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن فى قوله تعالى
واذا البحار سجرت وقال هنا فجرت بغت وَإِذَا الْقُبُورُ اى مع ذلك كله بُعْثِرَتْ اى قلبت يقال
بعثره وبحثره بالعين والحاء قال الزمخشرى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة
اليهما اى فهما بمعنى قلب اعلاها اسفلها وقلب باطنها ظاهرها وخرج ما فيها من الموتى احياء
وقيل البعثرة اخراج ما فى بطنها من الذهب والفضة ثم تخرج الموتى بعد ذلك وجواب اذا اول
السورة وما عطف عليه عَلِمَتْ نَفْسٌ اى كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة مَا قَدَّمَتْ
من عمل وَأَخَّرَتْ اى جميع ما عملت من خير او شر او غيرهما فان قيل اى وقت من القيامة يحصل
هذا العلم قال الرازى اما العلم الاجمالى فيحصل فى اول زمان الحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصى
يرى آثار الشقاوة فى اول الامر واما العلم التفصيلى فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة
وقوله تعالى يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ اى البشر الآنس بنفسه الناسى لما يعنيه خطاب لمنكرى البعث وروى عطاء
عن ابن عباس انها نزلت فى الوليد بن المغيرة وقال الكلبى ومقاتل نزلت فى ابى الشريق ضرب النبى صلى الله
عليه وسلم ولم يعاقبه الله تعالى فى اول امره وقيل تتناول جميع العصاة لان الاعتبار بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ اى ما خدعك وسوّل لك الباطل حتى تركت ما اوجب عليك
المحسن اليك واتيت بالمحرمات الْكَرِيمِ اى الذى له الكمال كله المقتضى لان لا يهمل الظالم ولا يسوى
بين المحسن والمسئ هذا اذا حملنا الانسان على جميع العصاة فان حملناه على الكافر فهو ظاهر لان الآية
فالمعنى ما الذى دعاك الى الكفر وانكار الحشر والنشر فان قيل كونه كريما يقتضى ان يغتر الانسان
بكرمه لانه جواد مطلق والجواد الكريم يستوى عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب
الاغترار كما يروى عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه صاح بغلام له مرات فلم يلبه فنظر فاذا هو
بالباب فقال له لم لا تجيبنى فقال لثقتى بحلمك وامنى عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا ايضا من
كرم ساء ادب غلمانه واذا ثبت ان كرمه يقتضى الاغترار به فكيف جعله ههنا مانعا من الاغترار اجيب
بان حق الانسان ان لا يغتر بكرم الله تعالى عليه حيث خلقه حيا وتفضل عليه فهو من كرمه لا يعاجل
بالعقوبة بسطا فى مدة التوبة وتاخيرا للجزاء الى ان يجمع الناس للجزاء فالحاصل ان تاخير العقوبة لاجل
الكرم وذلك لا يقتضى الاغترار بهذا التفضيل فانه منكر خارج عن حد الحكمة ولهذا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر غره حمقه وجهله وقال الحسن

غرّه والله شيطانه الخبيث اى زين له المعاصى وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذى تفضل
عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورّطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله
يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ما ذا تقول له قال اقول غرني ستورك المرخاة وهذا على سبيل
الاعتراف بالخطأ فى الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون
عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم
وقال مقاتل غرّه عفو الله حيث لم يعاقبه اول مرة وقال السدى غرّه رفق الله تعالى به وقال قتادة
سبب غرور ابن آدم تسويل الشيطان وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله تعالى به
يوم القيامة فيقول ما غرك بى يا ابن آدم ما ذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ما ذا اجبت المرسلين
الذى خلقك اى اوجدك من العدم مهيأ بتقدير الاعضاء فسوّاك عقب تلك الاطوار بتصوير
الاعضاء والمنافع بالفعل فعدلك اى جعل كل شئ من ذلك سليما مودعا فيه قوة المنافع التى خلقه
الله تعالى لها * تنبيه * قوله تعالى الذى يحتمل الاتباع على البدل والبيان والنعت والقطع الى الرفع
والنصب * واعلم انه سبحانه وتعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة على تحقيق
ذلك الكرم فقوله سبحانه الذى خلقك اى بعد ان لم تكن لا شك انه كرم لانه وجود والوجود خير من العدم
والحيوة خير من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقوله تعالى فسوّاك اى جعلك
مستوى الخلقة سالم الاعضاء غاية فى الكرم كما قال تعالى اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة
ثم سوّاك رجلا اى معتدل الخلق والاعضاء وقال ذو النون المصرى اى سخر لك المكوّنات اجمع
وما جعلك مسخرا لشئ منها ثم انطق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة ومتّعك
بالايمان وشرفك بالامر والنهى وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بتخفيف
الدال والباقون بالتشديد بمعنى جعلك متناسب الاطراف فلم يجعل احدى يديك او رجليك اطول ولا
احدى عينيك اوسع فهو من التعديل وهو كقوله تعالى بلى قادرين على ان نسوى بنانه وقال عطاء عن
ابن عباس جعلك قائما معتدلا احسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية وقال ابو على الفارسى عدلك
خلقك فى احسن تقويم مستويا على جميع الحيوان والنبات وواصلا فى الكمال الى ما لم يصل اليه شئ من
اجسام هذا العالم واما قراءة التخفيف فتحتمل هذا اى عدل بعض اعضائك ببعض ويحتمل ان يكون
من العدول اى صرفك الى ما شاء من الهيئات والاشكال ونقل القفال عن بعضهم انهما لغتان
بمعنى واحد فى اىّ صورة اى من الصور التى تعرفها والتى لا تعرفها من الدواب والطيور وغير ذلك
من الحيوان وغيره وما فى قوله تعالى ما شاء مزيدة وفى اىّ متعلق بركب فى قوله تعالى ركّبك اى ركبك
فى اى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر
والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قيل هلا عطفت هذه الجملة
كما عطف ما قبلها اجيب بانها بيان لعدلك ويجوز ان تتعلق بمحذوف اى ركبك حاصلا فى بعض

الصور ومحله النصب على الحال ان علق بعدلك ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون فى اى معنى التعجب اى فعدلك فى صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك من التراكيب يعنى تركيبا حسنا وقوله تعالى كَلَّا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى والتعلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذى هو الكفر والمعصية وقوله تعالى بَلْ تُكَذِّبُونَ اى يا كفار مكة بِالدِّيْنِ اضراب الى ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء على الاعمال والاسلام وَاِنَّ اى والحال ان عَلَيْكُمْ اى ممن اقمناهم من جنودنا من الملائكة لَحٰفِظِيْنَ اى على اعمالكم بحيث لا يخفى عليهم منها جليل ولا حقير كِرَامًا اى على الله تعالى كَاتِبِيْنَ اى لهذه الاعمال فى الصحف كما تكتب الشهود منكم العهود ليقع الجزاء على غاية التحرير + تنبيه + هذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة اجمعت على عموم هذا الخطاب فى حق المكلفين وقوله تعالى حافظين جمع يحتمل ان يكونوا حافظين لجميع بنى ادم من غير ان يختص واحد من الملائكة بواحد من بنى ادم ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة واختلفوا فى الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل عليهم حفظة وهو ظاهر قوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين وقوله تعالى واما من اوتى كتابه بشماله وقوله تعالى واما من اوتى كتابه وراء ظهره فاخبر ان لهم كتابا وان عليهم حفظة فان قيل فاى شئ يكتب الذى عن يمينه ولا حسنة له اجيب بان الذى عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون صاحبه شاهدا على ذلك وان لم يكتب وفى هذه الآية دلالة على ان الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يَعْلَمُوْنَ اى على التجدد والاستمرار مَا تَفْعَلُوْنَ فدل على انهم يكونون عالمين بها حتى انهم يكتبونها فاذا كتبوها يكونون عالمين عند اداء الشهادة وفى تعظيم الكتبة تعظيم لامر الجزاء فانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه وفيه انذار وتهويل للعصاة ولطف بالمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين + ولما وصف تعالى الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين وقسمهم قسمين وبدأ بقسم اهل السعادة فقال تعالى اِنَّ الْاَبْرَارَ اى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم باداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه لَفِيْ نَعِيْمٍ اى محيط بهم ابد الآبدين وهو نعيم الجنة الذى لا نهاية له + ثم ذكر قسم اهل الشقاوة بقوله تعالى وَاِنَّ الْفُجَّارَ الذين من شانهم الخروج عما ينبغى الاستقرار فيه من رضا الله تعالى الى سخطه وهم الكفار لَفِيْ جَحِيْمٍ اى نار محرقة تتوقد غاية التوقد فهم فيها ابد الآبدين يَّصْلَوْنَهَا اى يدخلونها ويقاسون حرها يَوْمَ الدِّيْنِ اى يوم الجزاء وهو يوم القيامة وَمَا هُمْ عَنْهَا اى الجحيم بِغَآئِبِيْنَ اى مخرجين ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك فى قبورهم وقيل اخبر الله تعالى فى هذه السورة ان لابن ادم ثلاث حالات حالة الحياة التى يحفظ فيها عمله وحالة الآخرة التى يجازى فيها وحالة البرزخ وهو قوله تعالى وما هم

عنها بما شيئ وروى ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدنى ليت شعرى ما لنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله تعالى فانك تعلم ما لك عند الله تعالى قال فاين اجد ذلك فى كتاب الله قال عند قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم الآية قال سليمان فاين رحمة الله تعالى قال قريب من المحسنين ثم عظم سبحانه وتعالى ذلك اليوم فقال وَمَا أَدْرَاكَ اى وما اعلمك وان اجتهدت فى تطلب الدراية به مَا يَوْمُ الدِّينِ اى اى شيئ هو فى طوله وهوله وفظاعته وزلزاله ثم كرره تعجيبا لشانه فقال تعالى ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ اى كذلك مَا يَوْمُ الدِّينِ اى ان يوم الدين الذى بحيث لاتدرك دراية دارك كنهه فى الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل تعالى القول فى وصفه فقال سبحانه يَوْمَ لَا تَمْلِكُ اى بوجه من الوجوه فى وقت مَا نَفْسٌ اى اى نفس كانت لِنَفْسٍ شَيْئًا اى قل او جل وقرأ ابن كثير وابو عمرو برفع يوم على انه خبر مبتدأ مضمر اى هو يوم وجوز الزمخشرى ان يكون بدلا مما قبله يعنى يوم الدين والباقون بالفتح باضمار اعنى او اذكر وَالْأَمْرُ اى كله يَوْمَئِذٍ اى اذ كان البعث للجزاء لِلَّهِ اى ملك الملوك لا امر لغيره فيه فلا يملك الله تعالى فى ذلك اليوم احدا شيئا كما ملكهم فى الدنيا وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة حديث موضوع

سورة المطففين مدنية

فى قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهى اول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا ثمان ايات وهى قوله تعالى ان الذين اجرموا الى اخرها فهو مكى وقال الكلبى وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة ولعل هذا هو سبب الاختلاف وقال ابن مسعود والضحاك مكية وهى ست وثلاثون اية ومائة وتسع وتسعون كلمة وسبعمائة وثمانون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الذى من توكل عليه كفاه الرَّحْمَٰنِ الذى عم بجوده الابرار والعصاة الرَّحِيمِ الذى خص اهل طاعته بهداه وَيْلٌ مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه دعاء وهو اما كلمة عذاب او هو واد ثابت عظيم فى كل حال من احوال الدنيا والاخرة او واد فى جهنم وقوله تعالى لِلْمُطَفِّفِينَ خبره والتطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس شيئ طفيف حقير قال الزجاج وانما قيل للذى ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق فى المكيال والميزان الا الشيئ اليسير الطفيف وروى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله ما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله تعالى عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم المطر وقال السدى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يعرف بابى جهينة ومعه صاعان

يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فنزلت وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت وعن علي أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال له أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت كأنه أمر بالتسوية أولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس إنكم معشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الأعاجم لأنهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله وأوف الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم وعن عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان في النار فقيل له إن ابنك كيال أو وزان فقال أشهد أنه في النار وعن أبي لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل وألسن الموازين * ثم بين تعالى المطففين من هم بقوله تعالى الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا أي عاملوا بالكيل عَلَى النَّاسِ أي كائنين من كانوا لا يخافون شيئا ولا يراعون أحدا بل صارت الخيانة والوقاحة لهم ديدنا يَسْتَوْفُونَ أي إذا كالوا منهم وأبدل على مكان من للدلالة على أن اكتيالهم من الناس اكتيال يضرهم ويتحامل فيه عليهم ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة وأما أنفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يتعاقبان في هذا الموضع لأنه حق عليه فإذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك وإذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك وَإِذَا كَالُوهُمْ أي كالوا للناس أي حقهم أي ما لهم من الحق أَوْ وَزَنُوهُمْ أي وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال القائل شعر

ولقد جنيتك أكموا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الأوبر *

قال آخر والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك ويقال وزنتك حقك وكلتك طعامك أي وزنت لك ونصحتك ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك والأكموء جمع كمأة والعساقل ضرب منها وأصله عساقيل لأن واحدها عسقول كعصفور فحذف الياء للضرورة وبنات أوبر ضرب من الكمأة رديء يُخْسِرُونَ جواب إذا وهو يتعدى بالهمزة يقال خسر الرجل وأخسرته أنا فمفعوله محذوف أي يخسرون الناس متاعهم وقيل يخسرون أي ينقصون بلغة فارس أي ينقصون الكيل أو الوزن وقوله تعالى أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أي الأخساء البعداء الأراذل أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ أي لأجله أو فيه وزاد التهويل بقوله تعالى عَظِيمٍ إنكارا وتعجيبا من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وقيل الظن بمعنى اليقين وقوله تعالى يَوْمَ يجوز نصبه بمبعوثون أو بإضمار أعني أو بدل من محل ليوم فناصبه يبعثون يَقُومُ النَّاسُ أي من قبورهم لِرَبِّ الْعَالَمِينَ أي الخلائق لأجل أمره وجزائه وحسابه وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه وعن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس

من العباد حتى تكون قيد ميل او اثنين قال سليم لا ادري اي الميلين يعني مسافة الارض او الميل الذي تكتحل به العين قال فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر اعمالهم فمنهم من يأخذه الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى ركبتيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشير بيده الى فيه يقول الجمه الجاما وعن قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله تعالى خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده وعن بعض المفسرين ان لفظ التطفيف يتناول التطفيف في الوزن والكيل وفي اظهار العيب واخفائه وفي طلب الانصاف والانتصاف ويقال من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف والمعاشرة والصحبة في هذه المادة والذي يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه وقوله تعالى كَلَّا ردع اي ليس الامر على ما هم عليه فليرتدعوا وههنا تم الكلام وقال الحسن كلا ابتداء متصل بما بعده على معنى حقا وجرى الجلال المحلي واكثر المفسرين على الاول اِنَّ كِتٰبَ الْفُجَّارِ اي كتب اعمال الكفار واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف واختلف في معنى قوله سبحانه وتعالى لَفِي سِجِّيْنٍ فقيل هو كتاب جامع وهو ديوان الشر دوّن الله تعالى فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وقيل هو مكان تحت الارض السابعة وهو محل ابليس وجنوده وقال عبد الله بن عمرو سجين في الارض السابعة السفلى فيها ارواح الكفار وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليون في السماء السابعة تحت العرش وقال الكلبي هو صخرة تحت الارض السابعة خضراء خضرة السموات منها يجعل كتاب الفجار فيها وقال وهب هي آخر سلطان ابليس وعن كعب الاحبار ان روح الفاجر يعني الكافر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو موضع جند ابليس وذلك استهانة بها ويشهدها الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون وقال عكرمة لفي سجين اي في خسار وضلال وَمَا أَدْرٰىكَ اي جعلك داريا وان اجتهدت في ذلك مَا سِجِّيْنٌ وقال الزجاج اي ليس لك ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك وقوله تعالى كِتٰبٌ مَّرْقُوْمٌ ليس تفسيرا لسجين بل هو بيان للكتاب المذكور في قوله تعالى ان كتاب الفجار اي هو كتاب مرقوم اي

بين الكتابة مكتوب فيه اعمالهم مثبت عليهم كالرقم فى الثوب لاينسى ولايمحى حتى يجازون به
او معلم يعلم من راه انه لاخير فيه وقيل الرقم الختم بلغة حمير واقتصر على هذا الجلال المحلى وقال قتادة
رقم عليه بشر كانه علم بعلامة يعرف بها انه كافر والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت فى ذلك
الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق فى جهنم اولانه مطروح تحت الارض
كما مر فان قيل سجين هل هو اسم او صفة اجيب بانه اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف
لانه ليس فيه الاسبب واحد وهو التعريف وَيْلٌ اى اعظم الهلاك يَّوْمَئِذٍ اى اذ تقوم الناس لما ذكر
لِّلْمُكَذِّبِيْنَ اى بذلك او بالحق وقوله تعالى اَلَّذِيْنَ يُكَذِّبُوْنَ بِيَوْمِ اى بسبب الاخبار بيوم الدِّيْنِ
اى الجزاء الذى هو سر الوجود بدل او بيان للمكذبين ثم اخبر عن صفة من يكذب بيوم الدين
بثلاث صفات ذكر اولها بقوله تعالى وَمَا اى والحال انه ما يُكَذِّبُ بِهٖ اى بذلك اليوم اِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ
اى متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة
ثم ذكر الصفة الثانية بقوله تعالى اَثِيْمٍ اى منهمك فى الشهوات المخرجة بحيث اشتغل عما وراءها
وحملته على الانكار لما عداها ثم ذكر الصفة الثالثة بقوله تعالى اِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ اٰيٰتُنَا اى القرآن
قَالَ اَسَاطِيْرُ الْاَوَّلِيْنَ اى الحكايات سطرت قديما جمع اسطور بالضم وذلك لفرط جهله واعراضه
عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لا تنفعه دلائل العقل وهذا عام فى كل موصوف بذلك وقال
الكلبى هو الوليد بن المغيرة وقيل هو النضر بن الحرث وقوله تعالى كَلَّا ردع وزجر اى ليس هو اساطير
الاولين وقال الحسن معناها حقا كما مر بَلْ رَانَ اى غلب واحاط وغطى تغطية الغيم السماء على قلوبهم
اى كل من قال هذا القول مَّا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ اى كما يركب الصدأ من اصرارهم على الكبائر وتسويف التوبة
حتى طبع على قلوبهم فلا تقبل الخير ولا تميل اليه روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان المؤمن اذا اذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا
زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذى ذكره الله تعالى فى كتابه المبين قال ابو معاذ الران ان
يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الران والاقفال اشد من الطبع وهو ان
يقفل على القلب قال تعالى ام على قلوب اقفالها وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب
بالقلب ويغشى فيموت القلب قال صلى الله عليه وسلم اياكم والمحقرات من الذنوب فان الذنب
على الذنب يوقد على صاحبه جحيما ضخمة وعن الحسن الذنب بعد الذنب يسود القلب يقال ران عليه
الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه وران به الخمرة ذهبت به
وقرأ حمزة رسخ فيه وران به الخمرة ذهبت به وقرأ حمزة وشعبة والكسائى بالامالة محضة والباقون
بالفتح وسكت حفص على اللام وقفة لطيفة من غير قطع والباقون بغير سكت وقوله تعالى كَلَّا ردع عن
الكسب الرائن على قلوبهم وقيل بمعنى حقا كما مر اِنَّهُمْ عَنْ رَّبِّهِمْ اى المحسن اليهم يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوْبُوْنَ اى فلا يرونه
بخلاف المؤمنين فانهم يرونه كما ثبت ذلك فى الاحاديث الصحيحة وقال الحسن لو علم الزاهدون

والعابد وإن انهم لا يرون ربهم في المعاد لو صفت انفسهم في الدنيا وسئل مالك عن هذه الآية
فقال لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وفي قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
دلالة على ان اولياء الله يرون الله تعالى ومن نفى الرؤية كالزمخشري جعله تمثيلا للاستخفاف بهم
واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الاذناب المهانون عندهم
وعن ابن عباس وقتادة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ثم انهم اي بعد ما شاء الله تعالى
من امهالهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار المحرقة ثم يقال اي تقول لهم الخزنة هذا اي العذاب الذي
كنتم به تكذبون اي في دار الدنيا وقوله تعالى كلا ردع عن التكذيب وقيل معناها حقا كما مر وقال
البيضاوي تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان
التطفيف فجور والايفاء بر وردع عن التكذيب ان كتاب الابرار اي كتاب اعمال المؤمنين الصادقين
في ايمانهم لفي عليين وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته صلحاء الثقلين منقول
من جمع فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات
في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان الملائكة
لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي
وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين وقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه
فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله
فاجعلوه في سجين وعن البراء مرفوعا عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة
خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيها وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى وقال عطاء
عن ابن عباس هو الجنة وقال الضحاك سدرة المنتهى وقال بعض اهل المعاني علو بعد علو وشرف بعد شرف
ولذلك جمعت بالياء والنون قال الفراء هو اسم موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين
وما ادراك اي اعلمك وارادك بالنعت في الفحص ما عليون اي ما كتاب عليين هو كتاب اي عظيم
مرقوم اي فيه ان فلانا امن من النار قاله من رقم ما ابهاه واجله يشهده المقربون يحضرونه
فيشهدون على ما فيه يوم القيامة او يحفظونه ولما عظم كتابهم عظم منزلتهم بقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
اي في الجنة ثم بين ذلك النعيم بامور ثلاثة اولها قوله تعالى على الارائك اي الاسرة في الحجال ولا يسمى اريكة
الا اذا كان كذلك والحجال بكسر الحاء جمع حجلة وهي بيت يزين بالثياب والستور والاسرة قاله الجوهري
ينظرون اي الى ما شاؤوا مما امتد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله تعالى من النعمة
والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك وقال
الرازي ينظرون الى ربهم بدليل قوله تعالى تعرف اي ايها الناظر اليهم في وجوههم عند
رؤيتهم نضرة النعيم اي بهجته وحسنه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه
والخطاب اما للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل ناظر وقال الحسن النضرة في الوجه والسرور في

القلب وهذا هو الامر الثاني واما الثالث فهو قوله تعالى يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ اي خمر صافية طيبة
وقال مقاتل الخمر البيضاء وقال الرازي لعله الخمر الموصوف بقوله تعالى لا فيها غول مَخْتُومٍ اي ختم
ومنع من ان تمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار وقال القفال يحتمل ان يكون ختم عليه تكريما له
بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان وهناك خمر اخرى تجري انهارا لقوله
تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين الا ان هذا المختوم اشرف من الجاري خِتَامُهُ مِسْكٌ اي آخر شربه
يفوح منه مسك فالمختوم الذي له ختام اي آخر شربه وختم كل شيء الفراغ منه وقال قتادة يمزج لهم
بالكافور ويختم بالمسك وقال ابن زيد ختامه عند الله مسك وقيل طينه مسك وقيل تختم اوانيه
من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وَفِي ذَلِكَ اي الامر العظيم العجيب التناول وهو العيش
والنعيم او الشراب الذي هذا وصفه فَلْيَتَنَافَسِ اي فليرغب غاية الرغبة بجميع الجهد والاختيار الْمُتَنَافِسُونَ
اي الذين من شانهم المنافسة وهو ان يطلب كل منهم ان يكون ذلك المتنافس فيه لنفسه خاصة
دون غيره لانه نفيس جدا والنفيس هو الذي تحرص عليه نفوس الناس وتتغالى فيه والمنافسة
في مثل هذا بكثرة الاعمال الصالحة والنيات الخالصة وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره
قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقال مقاتل ابن سليمان فليسارع المتسارعون وقال عطاء
فليستبق المستبقون وقال الزمخشري فليرتقب المرتقبون والمعنى في الجميع واحد واصله من الشيء النفيس
الذي تحرص عليه نفوس الناس فيريده كل احد لنفسه وينفس فيه على غيره اي يضن وَمِزَاجُهُ اي ما يمزج
به ذلك الرحيق مِنْ تَسْنِيمٍ وهو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها تأتيهم
من فوق على ما روي انها تجري في الهواء مسنمة فتصب في اواني اهل الجنة على مقدار الحاجة فاذا امتلأت
امسكت وقوله تعالى عَيْنًا نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال يَشْرَبُ بِهَا اي بسببها على طريقة
المزج منها الْمُقَرَّبُونَ وضمن يشرب معنى يلتذ فهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
اي قطعوا ما امر الله به ان يوصل وهم رؤساء قريش كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وهم فقراء الصحابة عمار وصهيب
وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين يَضْحَكُونَ اي استهزاء بهم وَإِذَا مَرُّوا اي المؤمنون بهم
اي بالذين اجرموا يَتَغَامَزُونَ اي يشير المجرمون الى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء بهم وقيل يغمز
بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم قيل جاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم
المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع وضحكوا منه فنزلت
قبل ان يصل علي الى النبي صلى الله عليه وسلم وَإِذَا انْقَلَبُوا اي رجع الذين اجرموا برغبتهم
في الرجوع واقبالهم عليه من غير تكره إِلَى أَهْلِهِمُ اي منازلهم التي هي عامرة بجميع عشيرتهم وقرأ
حمزة والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم وابو عمرو بكسر الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم
الميم انْقَلَبُوا حالة كونهم فَكِهِينَ اي متلذذين بما كان من مكنتهم ورفعتهم التي اوصلتهم الى
الاستسخار بغيرهم قال ابن برجان روي عنه عليه الصلاة والسلام ان الدين بدأ غريبا وسيعود

غريبا كما بدأ يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر وفي اخرى يكون المؤمن فيهم اذل من الامة
وفي اخرى العالم فيهم انتن من جيفة حمار فالله المستعان وقرأ حفص بغير الف بين الفاء والكاف
والباقون بالالف قيل هما بمعنى وقيل فكهين فرحين وفاكهين ناعمين وقيل فاكهين اصحاب
فاكهة ومزاح وإذا رأوهم اي راى المجرمون المؤمنين قالوا اي المجرمون إن هؤلاء اي المؤمنين
لضالون اي لايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم يرون انهم على شيء وهم على ضلال في تركهم
التنعيم الحاضر بسبب شيء لا يدرى هل له وجود ام لا قال الله تعالى وما اي والحال انهم ما ارسلوا اي
الكفار عليهم اي على المؤمنين حافظين اي موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم
ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم وقيل هو من جملة قول الكفار وانهم اذا رأوا المسلمين
قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم
الى الاسلام وجدهم في ذلك وقوله تعالى فاليوم منصوب بيضحكون ولا يضر تقديمه على المبتدأ لانه
لو تقدم العامل هنا لجاز اذ لا لبس بخلاف زيد قام في الدار لا يجوز في الدار زيد قام ومعنى فاليوم
اي في الآخرة الذين آمنوا ولو كانوا في ادنى درجات الايمان من الكفار يضحكون وفي سبب هذا
الضحك وجوه منها ان الكفار كانوا يضحكون على المؤمنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من الفقر و
البؤس وفي الآخرة يضحك المؤمنون على الكافرين بسبب ما هم فيه من الهوان والصغار
بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه ومنها انهم علموا انهم كانوا في الدنيا على
غير شيء وانهم باعوا الباقي بالفاني ومنها انهم يرون انفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير
راحة الابد ومنها قال ابو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح لهم ابوابها فاذا راوها وقد فتحت
اقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم يفعل
ذلك بهم مرارا فذلك سبب الضحك ومنها انهم اذا دخلوا الجنة واجلسوا على الارائك
ينظرون الى الكفار كما قال تعالى على الارائك اي الاسرة العالية ينظرون اليهم كيف يعذبون
في النار ويرفعون اصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا. تنبيه: ينظرون حال من
يضحكون اي يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان وقال كعب بين الجنة والنار كوى
اذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدو له كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى كما قال تعالى فاطلع
فرآه في سواء الجحيم فاذا اطلعوا من الجنة على اعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا قال الله تعالى
هل ثوب الكفار اي هل جوزوا ما كانوا يفعلون اي جزاء استهزائهم بالمؤمنين
ومعنى الاستفهام ههنا التقرير وثوبه واثابه بمعنى واحد اذا جازاه قال اوس
سأجزيك او يجزيك عني مثوب ✦ وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي وقرأ الكسائي وهشام
بادغام اللام في الثاء والباقون بالاظهار وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم يوم القيامة حديث موضوع

سورة الانشقاق مكية

وهي ثلاث او خمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا

بسم الله الذي شق الارض بالنبات الرحمن الذي عم جوده اهل الارض والسموات الرحيم
الذي خص اهل طاعته بالجنات وقوله تعالى اذا السماء اي على ما لها من الاحكام والعظمة
انشقت كقوله تعالى اذا الشمس كورت في اضمار الفعل وعدمه وفي اذا هذه احتمالان احدهما
ان تكون شرطية والثاني ان تكون غير شرطية فعلى الاول في جوابها اوجه احدها انه محذوف ليذهب
المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وهو قوله تعالى علمت نفس
الثاني جوابها ما دل عليه فملاقيه الثالث انه يا ايها الانسان على حذف الفاء وعلى كونها غير شرطية
فهي مبتدأ وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة تقديره وقت انشقاق السماء وقت مد الارض اي يقع
الامران في وقت قاله الاخفش وقيل انه منصوب مفعولا به باضمار اذكر وانشقاقها بالغمام وهو من
علامات القيامة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي تنشق من المجرة قال ابن الاثير المجرة
هي البياض المعترض في السماء والسراب من جانبها واذنت اي سمعت واطاعت في الانشقاق
لربها اي لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي ورد عليه الامر من جهة المطاع
فانصت له واذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله اتينا طائعين وحقت اي حق لها ان تسمع وتطيع بان
تنقاد ولا تمتنع يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض اي على ما لها من الصلابة مدت
اي زيد في سعتها كمد الاديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل كما قال تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وامت واستوى
والقت اي اخرجت ما فيها من الكنوز والموتى كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت
اي خلت منها حتى لم يبق في بطنها شيء وذلك يؤذن بعظم الامر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند
الشدة ووصفت الارض بذلك توسعا والا فالتحقيق ان الله تعالى هو المخرج لتلك الاشياء
من الارض وقوله تعالى واذنت لربها وحقت تقدم تفسيره وهذا ليس تكرارا لان الاول
في السماء وهذا في الارض وتقدم جواب اذا ومن جملة ما قيل فيه وما عطف عليه انه محذوف دل عليه
ما بعده تقديره لقي الانسان عمله وذلك كله يوم القيامة . واختلف في الانسان في قوله تعالى
يا ايها الانسان اي الانس بنفسه الناسي لامر ربه انك كادح فقيل المراد جنس الانسان
كقولك يا ايها الرجل فكانه خطاب خص به احد من الناس قال القفال وهو ابلغ من
العموم لانه قائم مقام التخصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام
وقيل المراد منه رجل بعينه فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انك كادح في ابلاغ رسالات
الله تعالى وارشاد عباده وتحمل الضرر من الكفار فابشر فانك تلقى الله تعالى بهذا العمل وقال
ابن عباس هو ابي بن خلف وكدحه هو جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذاء النبي صلى الله

عليه وسلم والاصرار على الكفر والكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح
جلده اذا خدشه ومعنى كادح الى ربك اي جاهد الى لقائه وهو الموت اي هذا الكدح يستمر
الى هذا الزمن وقال القفال تقديره انك كادح في دنياك كدحا تصير الى ربك وقوله تعالى
فملاقيه يجوز ان يكون عطفا على كادح والسبب فيه ظاهر وان يكون خبر مبتدأ مضمر اي فانت
ملاقيه وقيل جواب اذا والضمير في ملاقيه اما للرب اي ملاق حكمه لا مفر لك منه واما
للكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة فالمراد جزاء كدحك من خيرا و
شر وقال الرازي المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال ويؤكده هذا قوله تعالى بعده
فاما من اوتي كتابه اي كتاب عمله الذي كتبته الملائكة بيمينه اي من امامه وهو المؤمن المطيع
فسوف يحاسب اي يقع حسابه بوعد لا خلف فيه وان طال الامد لاظهار الجبروت والكبرياء والقهر
حسابا يسيرا هو عرض عمله عليه كما فسر في حديث الصحيحين وفيه من نوقش الحساب هلك
وفي رواية من حوسب عذب قالت عائشة اليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا
فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وانما حوسب حسابا سهلا لانه كان
يحاسب نفسه فلا تقع له المناقشة الا هو لا فلاجل ذلك تعرض اعماله فيقبل حسنها ويعفى عن سيئها
وينقلب اي يرجع بنفسه من غير مزعج برغبة وقبول الى اهله اي الذين اهله بهم في الجنة من
الحور العين والآدميات والذريات اذا كانوا مؤمنين مسرورا اي قد اوتي جنة وحريرا لانه
كان في الدنيا في اهله مشفقا من العرض على الله يحاسب نفسه حسابا عسيرا مع ما هو فيه
من نكد الاهل وضيق العيش واما من اوتي كتابه وراء ظهره وهو الكافر تغل يمناه الى عنقه وتجعل
يسراه وراء ظهره فياخذ بها كتابه فسوف يدعوا اي بوعد لا خلف في وقوعه ثبورا يقول يا ثبوراه
والثبور الهلاك كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا ويصلى سعيرا اي يدخل النار الشديدة وقرأ
ابو عمرو وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد
اللام وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين واذا فتح ورش
غلظ اللام واذا امال رقق والباقون بالفتح انه كان اي بما هو له كالجبلة في اهله اي عشيرته
في الدنيا مسرورا قال القفال اي منعما مستريحا من التعب باداء العبادات واحتمال مشقة
الفرائض من الصلوة والجهاد متقدما على المعاصي امنا من الحساب والثواب والعقاب
لا يخاف الله تعالى ولا يرجوه فابدله الله تعالى بذلك السرور غما باقيا لا ينقطع وقيل ان قوله تعالى
انه كان في اهله مسرورا كقوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين اي متنعمين في الدنيا
معجبين بما هم عليه من الكفر بالله تعالى والتكذيب بالبعث يضحكون ممن امن بالله تعالى
وصدق بالحساب كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر انه ظن اي لضعف
نظره ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي انه لن يحور اي لن يرجع الى الله تعالى

تكن يبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اى لا يرجع ولا يتغير قال لبيد شعر وما المرء الا كالشهاب وضوءه
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع * وعن ابن عباس ما كنت ادرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية
تقول لبنية لها حورى اى ارجعى وقوله تعالى بلى ايجاب لما بعد النفى فى لن يحور اى بلى ليحورن
ان ربه اى الذى ابتدأ انشاءه ورباه كان اى ازلا وابدا به بصيرا اى من يوم خلقه الى يوم بعثه
او باعماله لا ينساها وقال عطاء بصيرا بما سبق عليه فى ام الكتاب من الشقاوة * واختلفوا فى الشفق
فى قوله تعالى فلا اقسم بالشفق فقال مجاهد هو النهار كله وقال عكرمة ما بقى من النهار وقال
ابن عباس واكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الافق بعد غروب الشمس وقال قوم هو البياض
الذى يعقب تلك الحمرة * تنبيه * سمى بذلك لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب
عليه واللام فى لا اقسم مزيدة للتاكيد والليل اى الذى يغلبه ويذهبه وما وسق اى ما جمع وضم
يقال وسقه فاتسق واستوسق قال الشاعر * مستوسقات لو يجدن سائقا * ونظيره فى
وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره واوى اليه من
الدواب وغيرها والقمر اى الذى هو اية اذا اتسق اى اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة
وقال قتادة استدار وهو افتعل من الوسق * تنبيه * قد اختلف العلماء فى القسم
بهذه الاشياء هل هو قسم بها او بربها فذهب المتكلمون الى ان القسم واقع بربها وان كان
محذوفا لان ذلك معلوم من حيث ورد الحظر بان يقسم بغير الله تعالى او بصفة من صفاته وقد مر ان
ذلك بكرة فى حق الانسان فان الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وجواب القسم لتركبن اى ايها الناس
اصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالى الامثال والواو لالتقاء الساكنين وقرأ ابن كثير و
حمزة والكسائى بفتح الباء الموحدة على خطاب الانسان والباقون بضمها على خطاب الجمع وهو معنى
الانسان اذ المراد به الجنس اى لتركبن ايها الانسان طبقا مجاوزا عن طبق اى حالا بعد حال قال عكرمة
رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وعن ابن عباس الموت ثم البعث ثم العرض وعن عطاء
مرة فقيرا ومرة غنيا وقال ابو عبيدة لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم لما روى انه صلى الله
عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب
لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله تعالى فما لهم اى الكفار لا يؤمنون
استفهام انكار اى اى مانع لهم من الايمان او اى حجة لهم فى تركه بعد وجود براهينه واذا قرئ
اى من اى قارئ قراءة منتشرة عليهم القرآن اى الجامع لكل ما ينفعهم فى دنياهم واخراهم الفارق
بين كل ملتبس لا يسجدون اى لا يخضعون بان يؤمنوا به لاعجازه او لا يصلون قاله مقاتل او سجدة ١٣
لا يسجدون لتلاوته لما روى انه صلى الله عليه وسلم قرأ واسجد واقترب فسجد ومن معه من
المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت وعن ابى هريرة انه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت وعن نافع قال صليت مع ابى هريرة العتمة فقرأ

ع قوله فان الله تعالى الخ هذا منقوض بقوله تعالى لا يسأل عما يفعل الخ فيه قلبا بكرة فليتامل

اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف ابی القاسم صلی الله علیه وسلم
فلا ازال اسجد فیها حتی القاه ولیس فی ذلک دلالة علی وجوبها فهی مندوبة وعن الحسن هی واجبة
واحتج ابو حنیفة علی وجوب السجود بانه تعالی ذم من سمعه ولم یسجد وعن ابن عباس لیس فی المفصل
سجدة وما روی عن ابی هریرة یخالفه وعن انس صلیت خلف ابی بکر وعمر وعثمان فسجدوا بل الذین
کفروا یکذبون ای بالقرآن والبعث والله اعلم بما یوعون ای بما یجمعون فی صدورهم ویضمرون
من الکفر والحسد والبغی والبغضاء او بما یجمعون فی صحفهم من الکفر والتکذیب واعمال
السوء ویدخرون لانفسهم من انواع العذاب وقوله تعالی فبشرهم بعذاب الیم ای مؤلم
استهزاء بهم او ان البشارة بمعنی الاخبار ای اخبرهم وقوله تعالی الا استثناء منقطع ای لکن
الذین امنوا وعملوا الصالحات تحقیقا لایمانهم لهم اجر غیر ممنون ای غیر مقطوع
ولا منقوص ولا ممنون به علیهم وقول البیضاوی تبعا للزمخشری ان النبی صلی الله علیه وسلم
قال من قرأ اذا السماء انشقت اعاذه الله تعالی ان یعطیه کتابه وراء ظهره حدیث موضوع

سورۃ البروج مکیة

وهی اثنتان وعشرون اية ومائة وتسع کلمات واربعمائة وثمانية وخمسون حرفا

بسم الله الذی احاط علمه بالکائنات الرحمن الذی عم جوده سائر المخلوقات الرحیم
الذی خص اهل السعادة بالجنات وقوله تعالی والسماء ای العالیة غایة العلو المحکمة غایة
الاحکام ذات البروج قسم اقسم الله تعالی به وتقدم الکلام علی ذلک مرارا وفی البروج
اقوال فقال مجاهد هی البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السیارات وقال
الحسن هی النجوم وقیل هی منازل القمر وقال عکرمة هی قصور فی السماء وقیل عظام
الکواکب سمیت بروجا لظهورها وقیل ابواب السماء وقوله تعالی والیوم الموعود قسم
آخر وهو یوم القیامة قال ابن عباس وعد اهل السماء واهل الارض ان یجتمعوا فیه
واختلفوا فی قوله سبحانه وتعالی وشاهد ومشهود فقال ابو هریرة وابن عباس الشاهد یوم
الجمعة والمشهود یوم عرفة وروی مرفوعا الیوم الموعود یوم القیامة والیوم المشهود یوم
عرفة والشاهد یوم الجمعة خرجه الترمذی فی جامعه قال القشیری فیوم الجمعة یشهد علی
عامله بما عمل فیه قال القرطبی وکذا سائر الایام واللیالی لما روی ابو نعیم الحافظ عن معاویة
ان النبی صلی الله علیه وسلم قال لیس من یوم یاتی علی العبد الا ینادی فیه یا ابن آدم انا خلق
جدید وانا فیما تعمل علیک شاهد فاعمل فی خیرا اشهد لک به غدا فانی اذا مضیت لم ترنی
ابدا ویقول اللیل مثل ذلک حدیث غریب وحکی القشیری عن عمر ان الشاهد یوم الاضحی وقال
ابن المسیب الشاهد یوم الترویة والمشهود یوم عرفة وروی عن علی الشاهد یوم عرفة
والمشهود یوم النحر وقال مقاتل اعضاء الانسان هی الشاهد لقوله تعالی یوم تشهد علیهم

السنتهم الآية وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم لقوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى انا ارسلناك
شاهدا وقيل آدم وقيل الحفظة الشاهد والمشهود اولاد آدم وقيل غير ذلك وكل ذلك صحيح + واختلف
في جواب القسم فقال الجلال المحلي جواب القسم محذوف صدره اي لقد قتل اي لعن اصحاب الاخدود
وقال الزمخشري محذوف ويدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود وكانه قيل اقسم بهذه الاشياء
انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين
على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم واستظهره البيضاوي والاخدود هو الشق المستطيل
في الارض كالنهر وجمعه اخاديد واختلف فيهم فعن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما
اعلمه السحر فبعث اليه غلاما وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه
فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب فقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من
عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكا الى الراهب فقال
اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة
عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب
احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى الراهب
فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان
ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس
الملك وكان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال هذا لك اجمع ان انت شفيتني فقال اني لا اشفي احدا انما
يشفي الله فان آمنت به دعوت الله تعالى فشفاك فآمن بالله فشفاه الله تعالى فاتى الملك فجلس اليه
كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله فاخذه
فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه
والابرص وتفعل وتفعل قال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب
فجيء بالراهب فقال ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه حتى
وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى ففعل به كالراهب ثم جيء بالغلام فقيل له
ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا فاصعدوا به فاذا بلغتم
ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت
فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه
الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا
فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت السفينة بهم فغرقوا وجاء يمشي

الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله تعالى فقال الملك انك لست بقاتلي
حتى تفعل ما امرك قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من
كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني
فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ووضع السهم في كبد القوس
ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات
فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام ثلاثا فاتى الملك فقيل له ارأيت ما كنت تحذر قد والله
نزل بك حذرك قد آمن الناس فامر بالاخدود بافواه السكك فخدت واضرم النيران وقال من لم يرجع
عن دينه فاقحموه فيها او قيل له اقتحم قال ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست ان تقع
فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت قال البغوي هذا حديث صحيح وقيل ان الصبي قال
لها قعي ولا تقاعسي وقيل ما هي الا غميضة فصبرت وذكر محمد بن اسحق عن وهب بن منبه ان رجلا كان
قد بقي على دين عيسى فوقع على نجران فاجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودي بجنود من حمير وخيرهم
بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخاديد واحرق اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا ثم
غلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق قال الكلبي وذو نواس قتل عبد الله
بن التامر رضي الله عنه وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر ان خربة احتفرت في زمن عمر فوجدوا
عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة في رأسه اذا امسكت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت
مكانها وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا عليه الذي وجد عليه
+ وعن ابن عباس قال كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل
ان يولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه
سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في
طريقه راهب حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر قريبا من معنى حديث صهيب الى ان قال الغلام للملك
انك لا تقدر على قتلي الا ان تفعل ما اقول قال فكيف اقتلك قال تجمع اهل مملكتك وانت على سريرك
فترميني بسهم على اسم الهي ففعل الملك فقتله فقال الناس لا اله الا اله عبد الله بن التامر لا دين الا دينه
فغضب الملك واغلق باب المدينة واخذ افواه السكك واخد اخدودا وملأه نارا ثم عرضهم رجلا
رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن قال ديني دين عبد الله بن تامر القاه في الاخدود واحرقه وكان في
مملكته امرأة فاسلمت فيمن اسلم ولها اولاد ثلاثة احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك
والا القيتك واولادك في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقاه في النار ثم قال لها ارجعي فابت فاخذ
الصبي منها ليلقوه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي يا اماه لا ترجعي عن الاسلام فانك
على الحق ولا بأس عليك فالقي الصبي في النار والقيت امه على اثره + وعن علي انهم حين اختلفوا
في احكام المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم

فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله تعالى احل لكم نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله تعالى حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فامرت بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وعن مقاتل كانت الاخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن واخرى بالشام واخرى بفارس حرقوا بالنار اما التي بالشام فهو ابطاموس الرومي واما التي بفارس فبختنصر واما التي بارض العرب فهو يوسف ذو نواس فاما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرانا وانزل في التي كانت بنجران وذلك ان رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل اجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستاجر النور يضيء من قراءة الانجيل فذكرت ذلك لابيها فرمقه فرآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى اخبره بالدين والاسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون انسانا ما بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى عليه السلام الى السماء فسمع ذلك يوسف ذو نواس فخد لهم في الارض واوقد فيها وعرضهم على الكفر فمن ابى ان يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه وان امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا اماه اني ارى امامك نارا لا تطفأ فلما سمعت ذلك قذفا جميعا انفسهما في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون انسانا فذلك قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وقوله تعالى النار بدل اشتمال من الاخدود وقوله تعالى ذَاتِ الْوَقُودِ وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس واللام في الوقود للجنس وقوله تعالى اِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله شعر وبات على النار الندى والمحلق + وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا المكان الذي يدنو منه فكانوا يقعدون حولها على الكراسي وقال القرطبي عليها وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ بالله من تعذيبهم بالالقاء في النار ان لم يرجعوا عن ايمانهم شُهُودٌ اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او شهود بمعنى حضور اذ روي ان الله تعالى انجى المؤمنين الملقين في النار بقبض ارواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى القاعدين فاحرقتهم قال الرازي يمكن ان يكون المراد باصحاب الاخدود القاتلين ويمكن ان يكون المراد بهم المقتولين والمشهور ان المقتولين هم المؤمنون وروي ان المقتولين هم الجبابرة روي انهم لما القوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي وتاولوا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم اي في الآخرة ولهم عذاب الحريق اي في الدنيا فان فسر اصحاب الاخدود بالقاتلين فيكون قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وان فسروا بالمقتولين فالمعنى

قوله وقال النصارى عليهم كذا في النسخ وفيه [illegible]

ان المؤمنين قتلوا بالنار فيكون ذلك خبر الادعاء والمقصود من هذه الاية تثبيت قلوب المؤمنين
واخبارهم بما كان يلقاه من قبلهم من الشدائد وذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم قوة ...
الغلام ليصبروا على ما يلقون من اذى الكفار اينا سوا بهذا الغلام في صبره على الاذى والعذاب
وبذل نفسه في اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وكذلك سبل الراهب على
التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار وكذلك اكثر الناس لما امنوا بالله تعالى وَمَا نَقَمُوا اى ما انكروا
وكرهوا مِنْهُمْ من الخلال وكانت ذنبا ونقصا إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا اى يجددوا الايمان مستمرين عليه
بِاللَّهِ اى الذى له الكمال كله الْعَزِيزِ في ملكه الذى يغلب من اراده ولا يغلبه شئ الْحَمِيدِ اى المحيط
بجميع صفات الكمال فهو يثيب من اطاعه لعظم ثواب وينتقم من عصاه باشد العذاب وهذا استثناء
على طريقة قول القائل ۝ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۝ بهن فلول من قراع الكتائب ۝ اى من ضرابها
والكتائب بالتاء المثناة جمع كتيبة وهي الجيش وقال ابن الرقيات ۝ ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون
ان غضبوا ۝ ونظيره قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله ۝ ولما ذكر تعالى الاوصاف التي يستحق بها
ان يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب الحمد على نعمه ويرجى
ثوابه قرر ذلك بقوله تعالى الَّذِي لَهُ اى خاصة مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اى على جهة العموم
مطلقا فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذى
لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله تعالى منهم بعذاب لا يعدله عذاب
وَاللَّهُ الملك الاعظم الذى له الاحاطة الكاملة عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ فلا يغيب عنه شئ وهذا
لان الله علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه ۝ ولما ذكر قصة اصحاب الاخدود اتبعها ما يتفرع من
احكام الثواب والعقاب فقال تعالى إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اى احرقوهم
بالنار يقال فتنت الشئ اذا احرقته والعرب تقول فتن فلان الدرهم والدينار اذا ادخله الكور
لينظر جودته ونظيره يوم هم على النار يفتنون قال الرازي ويحتمل ان يكون المراد كل من فعل ذلك
قال وهذا اولى لان اللفظ عام والحكم عام والتخصيص ترك للظاهر من غير دليل ۝ ولما كانت التوبة
مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان عبر سبحانه باداة التراخي فقال تعالى ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا اى عن
كفرهم وعما فعلوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ اى بكفرهم وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ اى عذاب احراقهم
المؤمنين في الاخرة وقيل في الدنيا بان خرجت النار فاحرقتهم كما تقدم ومفهوم الاية انهم
لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد وذلك يدل على ان الله تعالى يقبل التوبة من القاتل المتعمد
خلافا لما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ۝ ولما ذكر سبحانه وعيد المجرمين ذكر ما اعد
للمؤمنين بقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اى اقروا بالايمان من المفتونين في النار وغيرهم من كل
طائفة في كل زمان وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ تحقيقا لايمانهم لَهُمْ جَنَّاتٌ اى بساتين تفضلا منه
تعالى تَجْرِي مِن تَحْتِهَا اى تحت غرفها واسرتها وجميع اماكنها الْأَنْهَارُ بتلذذ برؤيتها من يريد

فى نظير ذلك المرّ الذى صبروا عليه فى الدنيا ويزول عنهم برؤية ذلك مرّ خوف الفوات بهيج
المضارّ والاحزان ذلك اى الامر العالى الدرجة العظيم البركة الفوز اى الظفر بجميع المطالب الكبير
وهو رضا الله تعالى لا دخول الجنة وقال تعالى ذلك الفوز ولم يقل تلك لان ذلك اشارة الى اخبار
الله تعالى بحصول الجنان وتلك اشارة الى الجنة الواحدة واخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه
راضيا انّ بطش ربك اى اخذ المحسن اليك المربى لك المس بكرامته الجبابرة والظلمة لشديد
كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة انّ اخذه اليم شديد قال المبرد انّ بطش
ربك جواب القسم والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف + ولما كان هذا
البطش لا يتاتى الا لكامل القدرة دل على كمال قدرته واختصاصه بذلك بقوله تعالى مؤكدا لما له
من الانكار انه هو اى وحده يبدئ اى يوجد ابتداء اىّ خلق اراد الى اىّ هيئة اراد ويعيد اى ذلك
المخلوق عند البعث وروى عكرمة قال عجب الكفار من احياء الله تعالى الاموات اى فنزلت
وقال ابن عباس رضى الله عنهما يبدئ لهم عذاب الحريق فى الدنيا ثم يعيده عليهم فى الآخرة
وهذا اختيار الطبرى وقيل يبدئ البطش ويعيده فيبطش بهم فى الدنيا والآخرة او دل باقتداره
على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بان يعيدهم كما بدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا
نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وهو اى وحده الغفور اى الستور لعباده المؤمنين وقرأ قالون وابو عمرو
والكسائى بسكون الهاء والباقون بضمها وقوله تعالى الودود مبالغة فى الود قال ابن عباس رضى الله
عنهما هو المتودد لعباده بالمغفرة وعن المبرد هو الذى لا ولد له وانشد شعر واركب فى الروع عريانة +
ذلول الجماع لقاحا ودودا + اى لا ولد لها تحن اليه وقيل هو فعول بمعنى مفعول كالركوب والحلوب بمعنى
المركوب والمحلوب وقيل يغفر ويودّ ان يغفر ذو العرش اى خالقه ومالكه اى ذو الملك والسلطان
كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على سرير ويقال ثلّ عرشه اى ذهب سلطانه او السرير
الدال على اختصاص الملك بالملك وانفراده بالتدبير والسيادة والسياسة الذى به قوام الامور
وقرأ المجيد حمزة والكسائى بجر الدال على انه نعت للعرش او لربك فى قوله تعالى انّ بطش ربك قاله
مكى وقيل لا يجوز ان يكون نعتا للعرش لانه من صفات الله تعالى اهـ وهذا ممنوع لانّ مجد العرش
علوه وعظمه كما قاله الزمخشرى وقد وصف العرش بالكريم فى آخر المؤمنين وقرأ الباقون برفع
الدال على انه خبر بعد خبر وقيل هو نعت لذو واستدل بعضهم على تعدد الخبر بهذه الآية ومن
منع قال لانها فى معنى خبر واحد اى جامع بين هذه الاوصاف الشريفة او كل منها خبر لمبتدا
مضمر والمجد هو النهاية فى الكرم والفضل والله سبحانه موصوف بذلك وتقدم وصف عرشه
بذلك فعّال اى على سبيل التكرار والمبالغة لما يريد قال القفال اى يفعل ما يريد على ما يراه
لا يعترض عليه احد ولا يغلبه غالب فيدخل اولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل اعداءه النار
لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشاء الى ان يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء

فهو يفعل ما يريد وعن ابي السفر دخل ناس من الصحابة على ابي بكر الصديق رضي الله عنه يعودونه
فقالوا الا نأتيك بطبيب قال قد رآني قالوا فما ذا قال لك قال قال اني فعال لما اريد وقال الزمخشري
فعال خبر مبتدأ محذوف وانما قال فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال الطبري رفع فعال
وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود * تنبيه * دلت هذه الآية ان جميع افعال
العباد مخلوقة لله تعالى قال بعضهم ودلت على ان الله تعالى لا يجب عليه شيء لانها دالة على انه يفعل
ما يريد هل اي قد اتاك اي يا اشرف الرسل حديث اي خبر الجنود اي الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم
وقوله تعالى فرعون وثمود يجوز ان يكون بدلا من الجنود واستشكل كونه بدلا لانه لم يكن مطابقا للمبدل
منه في الجمعية واجيب بانه على حذف مضاف اي جنود فرعون وان المراد فرعون وقومه
واستغنى بذكره عن ذكرهم لانهم اتباعه ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني لانه لما لم يطابق ما قبله
وجب قطعه والمعنى انك قد عرفت ما فعل الله تعالى بهم حين كذبوا رسلهم كيف هلكوا بكفرهم
فقومك ان لم يؤمنوا بك فعل بهم كما فعل باولئك فاصبر كما صبر الانبياء قبلك على اممهم بل الذين
كفروا اي من هؤلاء الذين لا يؤمنون بك في تكذيب لك لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان
حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم وانما خص
فرعون وثمود لان ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وامر فرعون
كان مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتأخرين في الهلاك فدل بهما على امثالهما وقوله
تعالى والله اي والحال ان الملك الذي له الكمال كله من ورائهم محيط وفيه وجوه احدها ان
المراد وصف اقتداره عليهم وانهم في قبضته وحصره كالمحاط اذا احيط به من ورائه ينسد عليه
مسلكه فلا يجد مهربا يقول الله تعالى فهم كذا في قبضتي وانا قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب
على تكذيبهم اياك فلا تجزع من تكذيبهم اياك فليسوا يفوتونني اذا اردت الانتقام منهم ثانيها ان يكون
المراد من هذه الاحاطة قرب اهلاكهم كقوله تعالى وظنوا انهم احيط بهم فهو عبارة عن مشارفة
الهلاك ثالثها انه تعالى محيط باعمالهم اي عالم بها فمجازيهم عليها بل هو اي هذا القرآن الذي
كذبوا به وهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قرآن اي جامع لكل منفعة جليلة بالغ الى الرتبة
العليا في كل شرف مجيد اي شريف وحيد في اللفظ والمعنى وليس كما زعم المشركون انه شعر وكهانة
في لوح هو في الهواء فوق السماء السابعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان في صدر اللوح
لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده
واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق
والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه نور معقود بالعرش واصله في حجر ملك
وقرأ محفوظ بالرفع نافع على انه نعت لقرآن والباقون بالجر على انه نعت للوح وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن
يمين العرش وقال البغوي وهو ام الكتاب ومنه تنسخ الكتب محفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه

والنقصان وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة البروج
اعطاه الله تعالى بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات حديث موضوع

سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واحدى وسبعون حرفا

بسم الله مالك الخلق اجمعين الرحمن الذي عم جوده المؤمنين والكافرين الرحيم الذي خص نعمته
بعباده المؤمنين وقوله تعالى ﴿والسماء والطارق﴾ قسم اقسم الله تعالى به وقد اكثر الله تعالى في كتابه
العزيز ذكر السماء والشمس والقمر لان احوالها في اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة + ولما
كان الطارق يطلق على غير النجم ابهمه اولا ثم عظم المقسم به بقوله تعالى ﴿وما ادراك﴾ اي اعلمك يا اشرف
خلقنا وان حاولت معرفة ذلك وبالغت في الفحص عنه ﴿ما الطارق﴾ وهذا مبتدأ وخبر في محل المفعول
الثاني لادري وما بعد ما الاولى خبرها وفيه تفخيم لشأن الطارق واصله كل آت ليلا ومنه النجوم
الطوالع ليلا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة وابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة محضة
وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح ثم فسر الطارق بقوله تعالى ﴿النجم الثاقب﴾ اي المضيء لثقبه الظلام
بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدرؤه اي يدفعه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها
وقال محمد بن الحسين هو زحل وقال ابن زيد هو الثريا وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الجدي وقال
علي هو نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان
معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يرجع وفي الصحاح الطارق
النجم الذي يقال له كوكب الصبح قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وسمي
النجم طارقا لانه يطرق الجني اي يقتله روي ان ابا طالب اتى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز ولبن
فبينما هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلأت الارض نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وانه آية من آيات الله تعالى فعجب ابو طالب
فنزلت السورة وقال مجاهد الثاقب المتوهج وجواب القسم ﴿ان كل نفس﴾ اي من الانفس
مطلقا لاسيما نفوس الناس ﴿لما عليها﴾ اي بخصوصها ﴿حافظ﴾ وقرأ ابن عامر وعاصم بتشديد
الميم والباقون بتخفيفها فعلى تخفيفها تكون ما زائدة وان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي
انه واللام فارقة وعلى تشديدها ان نافية ولما بمعنى الا والحافظ المهيمن الرقيب وهو الله
تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا او ملك يحفظ عملها ويحصي عليها
ما تكتسب من خير وشر وروى الزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وكل بالمؤمن مائة
وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين
لاختطفته الشياطين + ولما ذكر تعالى ان على كل نفس حافظا اتبعه بوصية الانسان بالنظر في حاله
فقال تعالى ﴿فلينظر الانسان﴾ اي الآنس بنفسه الناظر في عطفه نظر اعتبار في امره ونشأته

الاولى حتى يعلم ان من انشأه قادر على اعادته فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملى على حافظه الا ما يسره في عاقبته وقوله تعالى مم خلق استفهام اى من اى شئ وجوابه خلق اى الانسان على ايسر وجه واسهله بعد خلق ابيه آدم عليه السلام من ترابه وامه حواء رضى الله تعالى عنها من ضلعه من ماء دافق اى مدفوق فاعل بمعنى مفعول كقوله تعالى عيشة راضية او دافق على النسب اى ذى دفق او انه فاق وقال ابن عطية يصح ان يكون الماء دافقا لان بعضه يدفق بعضا اى يدفعه فمنه دافق ومنه مدفوق والدفق الصب اى مصبوب في الرحم ولم يقل تعالى من ماءين فانه من ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما لامتزاجهما في الرحم فصارا كالماء الواحد ولاتحادهما حين ابتدئ في خلقه يخرج من بين الصلب اى للرجل وهو عظام الظهر والترائب اى للمرأة جمع تريبة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وعن عكرمة الترائب ما بين ثدييها وقيل الترائب التراقى وقيل اضلاع الرجل التى اسفل الصدر وحكى الزجاج ان الترائب اربعة اضلاع من يمنة الصدر واربعة اضلاع من يسرة الصدر وقال ابن عادل جاء في الحديث ان الولد يخلق من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب ومن ماء المرأة يخرج من ترائبها اللحم والدم وحكى القرطبى ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين وهذا لا يعارضه قوله تعالى من بين الصلب والترائب لانه ينزل من الدماغ الى الصلب ثم يجتمع في الانثيين قال المهدوى ومن جعل يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للانسان والضمير في قوله تعالى انه للخالق المدلول عليه بخلق لانه معلوم ان لا خالق سواه سبحانه وتعالى وفى الضمير في قوله تعالى على رجعه وجهان احدهما انه ضمير الانسان اى بعثه بعد موته لقادر وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والثانى انه ضمير الماء اى رجع المنى في الاحليل او الصلب وهذا قول مجاهد وعن الضحاك ان المعنى انه على رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الكبر وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال الماوردى يحتمل انه قادر على ان يعيد الى الدنيا بعد بعثه الى الآخرة لان الكفار يسئلون فيها الرجعة وقوله تعالى يوم منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل وحاله الاولى نصب الظرف بمضمر اى واذكر يوم تبلى تختبر وتكشف السرائر اى ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرهما وما اخفى من الاعمال وذلك يوم القيامة وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد

+ سيبقى لها في مضمر القلب والحشا + سريرة ود يوم تبلى السرائر +

فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق وقال عطاء بن رباح ان السرائر فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فانها سرائر بين الله تعالى وبين العبد ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من اداها ممن ضيعها وقال ابن عمر يبدى الله تعالى كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعنى فمن اداها كان وجهه مشرقا ومن لم يؤدها كان وجهه اغبر فما له اى لهذا الانسان المنكر للبعث الذى

اخرجت سرائره * والخرق في النفي والتعميم فقال تعالى مِن قُوَّةٍ اى منعة في نفسه تمنع نفسها
وَلَا نَاصِرٍ اى ينصره من عذاب الله تعالى فيدفعه عنه ثم ذكر تعالى قسما آخر فقال تعالى وَالسَّمَاءِ
اى التي تقدم الاقسام بها وصفها بما يؤكد العلم بالبعث فقال تعالى ذَاتِ الرَّجْعِ اى التي ترجع بالدوران
الى الموضع الذي تتحرك عنه فترجع الاحوال التي كانت وتضوءت من الليل والنهار والشمس والقمر
الكواكب والفصول من الشتاء وما فيه من برد ومطر والصيف وما فيه من حر وصفاء وسكون
وغير ذلك وقيل ذات النفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها باعمال العباد وقيل ذات المطر لعوده
كل حين او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم ترجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان
يراد بالسماء السحاب وَالْأَرْضِ اى مسكنكم الذي انتم ملابسوه ومعاينوه كل وقت ذَاتِ الصَّدْعِ
اى تنصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار والعيون نظيره قوله تعالى ثم شققنا الارض
شقا الآية والصدع بمعنى الشق لانه يصدع الارض فتنصدع به فكأنه قال تعالى والارض ذات
النبات وقال مجاهد ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات
الاموات لانصداعها عنهم للنشور قال الرازي واعلم انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على
معرفة المبدأ والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات فقوله تعالى والسماء ذات الرجع كالاب
وقوله تعالى والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل
من السماء مكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك ثم اردف هذا القسم بالمقسم عليه وهو قوله تعالى إِنَّهُ
لَقَوْلٌ فَصْلٌ وفي هذا الضمير قولان احدهما ما قاله القفال وهو ان المعنى ان ما اخبرتكم به من قدرتي
على احيائكم يوم تبلى السرائر قول فصل وحق والثاني انه عائد على القرآن اى القرآن فاصل بين الحق
والباطل كما قيل له فرقان قال الرازي والاول اولى لان عود الضمير الى المذكور السابق اولى انتهى
واكثر المفسرين على الثاني والفصل الحكم الذي ينفصل به الحق من الباطل ومنه فصل الخصومات
وهو قطعها بالحكم الجزم ويقال هذا قول فصل قاطع للشر والنزاع معناه جد لقوله تعالى وَمَا هُوَ اى
في باطنه ولا ظاهره بِالْهَزْلِ اى باللعب والباطل بل هو جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله
تعالى بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه
بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات والارض يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى
ان لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله تعالى
على المشركين ذلك في قوله تعالى وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والنواقفه هذا على عود الضمير
للقرآن وعلى جعله للاول فيكون الشخص خائفا وجلا من ذلك الذي تبلى فيه السرائر إِنَّهُمْ اى الكفار
اعداء الله تعالى يَكِيدُونَ كَيْدًا اى يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه مكرا واختلف في ذلك
الكيد فقيل القاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم اجعل
الآلهة الها واحدا وما اشبه ذلك وقيل قصدهم قتله لقوله تعالى وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

الآية. وأما قوله تعالى: {وأكيد} أي أنا بإتمام اقتداري {كيداً} فاختلف فيه أيضاً فقيل معناه أجازيهم جزاء كيدهم وقيل هو ما أوقعه الله تعالى بهم يوم بدر من القتل والأسر وقيل استدراجهم من حيث لا يعلمون وقيل كيد الله تعالى لهم نصرته وإعلاء درجته تسمية لأحد المتقابلين باسم الآخر كقوله تعالى: {وجزاء سيئة سيئة مثلها} وقول الشاعر: ألا لا يجهلن أحد علينا ❊ فنجهل فوق جهل الجاهلينا ❊ وكقوله تعالى: {نسوا الله فنسيهم} {يخادعون الله وهو خادعهم}. ولما كان هذا معلماً بأنهم في قبضته لا اكتراث بهم قال تعالى مسبباً عنه مهدداً لهم: {فمهل الكافرين} أي فمهل يا أشرف الخلق هؤلاء ولا تدع بالهلاك عليهم ولا تستعجل بالانتقام منهم ولا تبال بما تعلم من مكرهم فإنا لا نهمل لأن العجلة وهي إيقاع الشيء في غير وقته إنما يليق بذي نقص. وقوله تعالى: {أمهلهم} تأكيد حسنه مخالفة اللفظ أي أنظرهم {رويداً} أي قليلاً وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل مصغر رود أو إرواد على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى ببدر ونسخ الإمهال بالأمر بالجهاد والقتال. وقول البيضاوي تبعاً للزمخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات حديث موضوع.

سورة الأعلى مكية

في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية. قال النووي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وهي تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وأربعة وثمانون حرفاً.

{بسم الله} عالم الغيب فلا يخفى عليه خافية {الرحمن} الذي عم بجوده كل إنس وجن وملك ودابة {الرحيم} الذي خص أولياءه بمعرفتهم إحسانه. واختلف في قوله سبحانه وتعالى: {سبح اسم ربك} فالأكثرون على أن المعنى نزه ربك المحسن إليك بعد إيجادك على صفة الكمال عما لا يليق به فاسم زائد كقول لبيد: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما. وقيل عظم ربك الأعلى والاسم زائد كما مر قصد به تعظيم المسمى. وذكر الطبري أن المعنى نزه اسم ربك الأعلى عن أن تسمى به أحداً سواه. وقيل نزه تسمية ربك وذكرك إياه أن تذكره إلا وأنت خاشع معظم لذكره. وقال الرازي معنى سبح اسم ربك الأعلى أي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه أما في ذاته فأن تعتقد أنها ليست من الجواهر والأعراض وأما في صفاته فأن تعتقد أنها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة وأما في أفعاله فأن تعتقد أنه سبحانه مالك مطلق لا اعتراض لأحد عليه في أمر من الأمور وأما في أسمائه فأن لا تذكره سبحانه إلا بالأسماء التي لا توهم نقصاً بوجه من الوجوه سواء ورد الإذن فيها أم لم يرد وأما في أحكامه سبحانه فأن تعلم أنه ما كلفنا لنفع يعود إليه بل لمحض المالكية. قال البغوي ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحداً لأن أحداً لا يقول سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا إنما يقول سبحان الله وسبحان ربنا فكان معنى سبح اسم ربك سبح ربك اهـ. وكون الاسم عين المسمى أو غيره قد ذكرتها في مقدمتي على البسملة والحمدلة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما سبح أي صل بأمر ربك وذهب جماعة من الصحابة والتابعين

على ان المراد قل سبحان ربي الاعلى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ
سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وعن عقبة بن عامر انه لما نزلت فسبح باسم ربك
العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزل سبح اسم ربك الاعلى
قال اجعلوها في سجودكم وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك وروى ان اول من قال
سبحان ربي الاعلى ميكائيل + ولما امر تعالى بالتسبيح فكان سائل قال الاشتغال بالتسبيح انما
يكون بعد المعرفة فما الدليل على وجود الرب تعالى فقال تعالى الذي خلق اى اوجد من العدم
فله صفة الايجاد لكل ما اراده لا يعسر عليه شئ فسوى اى فعادله وقال الرازي يحتمل ان يريد
الناس خاصة ويحتمل ان يريد الحيوان ويحتمل ان يريد كل شئ خلقه تعالى فمن حمله على الانسان
ذكر للتسوية وجوها احدها اعتدال قامته وحسن خلقه كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم واثنى على نفسه بسبب خلقه اياه بقوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين ثانيها
كل حيوان مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط واما الانسان فانه خلق بحيث يمكنه ان ياتى
بجميع الاعمال بواسطة الالات ثالثها انه تعالى هيأه للتكليف والقيام باداء العبادات وقال
بعضهم خلق في اصلاب الآباء وسوى في ارحام الامهات ومن حمله على جميع الحيوانات فمعناه انه
اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من الالات والاعضاء ومن حمله على جميع المخلوقات كان المراد
من التسوية هو انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات يخلق ما اراد على وفق
ارادته موصوفا بالاحكام والاتقان مبرأ عن النقص والاضطراب والذي قدر الكسائي
بتخفيف الدال والباقون بالتشديد قال البغوي وهما بمعنى واحد اى قدر تقديره في اجناس
الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها وغير ذلك من احوالها
فجعل البطش لليد والمشي للرجل والسمع للاذن والبصر للعين ونحو ذلك فهدى قال مجاهد
هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراعيها وقال مقاتل
والكلبي في قوله تعالى فهدى عرف خلقه كيف ياتي الذكر الانثى كما قال تعالى في سورة طه
اعطى كل شئ خلقه ثم هدى اى الذكر للانثى وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل
قدر اقواتهم وارزاقهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا اناسا ولمراعيهم ان كانوا وحوشا وقال السدي
قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه الى الخروج من الرحم ومن ذلك هدايات الانسان الى مصالحه
من اغذيته وادويته وامور دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض الى معايشها
ومصالحها يقال ان الافعى اذا اتى عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح عينيها بورق
الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوى تلك
المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها
عينيها فترجعان باصرة باذن الله تعالى وقيل فهدى اى دلهم بافعاله على توحيده وكونه عالما قادرا

والاستدلال بالخلق والهداية معتمد الانبياء قال ابراهيم عليه السلام الذى خلقنى فهو يهدين
وقال موسى عليه السلام لفرعون ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ، ولما ذكر سبحانه ما يختص
بالناس اتبعه ما يختص بالحيوان فقال تعالى ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ اى انبت ما ترعاه الدواب وقال
ابن عباس رضى الله عنهما المرعى الكلأ الاخضر ﴿فَجَعَلَهُ﴾ اى بعد اطوار من زمن اخراجه بعد خضرته
﴿غُثَاءً﴾ اى جافا هشيما ﴿أَحْوَى﴾ اى اسود يابسا قال الزمخشرى ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اى اخرجه
احوى اى اسود من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد حويه وقال ابن زيد هذا مثل ضربه الله
تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها وقوله تعالى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ بشارة من الله تعالى
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم باعطاء آية بينة وهى ان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحى وهو امى
لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه فهو نفى اخبر الله تعالى ان نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينسى وقيل نهى
والالف مزيدة للفاصلة كقوله تعالى السبيلا اى فلا تغفل عن قراءته وتكريره لئلا تنساه ومنعه مكى لانه
لا ينهى عما ليس باختياره واجيب بان هذا غير لازم اذ المعنى النهى عن تعاطى اسباب النسيان وهو شائع
قال الرازى وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه كان رجلا اميا فحفظه لهذا الكتاب المطول
من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزا الثانى ان هذه السورة من اول ما نزل بمكة فهذا اخبار
عن امر عجيب مخالف للعادة سيقع فى المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا فيكون معجزا وفى المشيئة
فى قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ اى الملك الذى له الامر كله وجوه احدها التبرك بهذه الكلمة كقوله تعالى
ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فكانه تعالى يقول انى عالم بجميع المعلومات وعالم
بعواقب الامور على التفصيل ومع ذلك لا اخبر بوقوع شئ فى المستقبل الا مع هذه الكلمة فانت وامتك
يا اشرف الخلق اولى بها ثانيها قال الفراء انه تعالى ما شاء ان ينسى محمد صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان
المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان يصيره ناسيا لذلك لقدر عليه كقوله تعالى
ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ثم انا نقطع انه تعالى ما شاء ذلك ونظيره قوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما اشرك البتة ففائدة هذا الاستثناء ان الله
تعالى يعرفه قدرته حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل الله تعالى واحسانه لا من قوته ثالثها ان الله
تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جوز صلى الله عليه وسلم فى كل ما ينزل عليه من الوحى ان يكون ذلك هو المستثنى
فلا جرم بالغ فى التثبت والتحفظ فى جميع المواضع فكان المقصود من ذكر الاستثناء بقاءه صلى الله عليه وسلم
على التيقظ فى جميع الاحوال رابعها ان ينساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة
مع قراءة جبريل عليه السلام خوف النسيان فكانه قيل له لا تعجل بها انك لا تنسى ولا تتعب نفسك
بالجهر بها ﴿إِنَّهُ﴾ اى الذى مهما شاء كان ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ اى القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ اى منهما وعن
ابن عباس رضى الله عنهما ما فى قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاءها
وقيل الجهر ما حفظته من القرآن فى صدرك وما يخفى ما نسخ من صدرك وقوله تعالى ﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾

لليسرى عطف على سنقرئك فهو داخل في حيز التنفيس وما بينهما من الجملة اعتراض قال الضحاك واليسرى هي الشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة وقال ابن مسعود اليسرى الجنة اى نيسرك الى العمل المؤدي الى الجنة وقيل اليسرى الطريقة اليسرى وهي اعمال الخير والامر في قوله تعالى فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم اى فذكر بالقرآن إن نفعت الذكرى اى الموعظة وان شرطية وفيه استبعاد لتذكرهم ومنه قول القائل لقد اسمعت لو ناديت حيا ✦ ولكن لا حياة لمن تنادي ✦ ولانه صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جهدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اى اذ كنتم مؤمنين وقيل بعده شيء محذوف تقديره ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد قاله الفراء والنحاس وقيل ان بمعنى ما لا بمعنى الشرط لان الذكرى نافعة بكل حال ثم بين تعالى من تنفعه الذكرى بقوله سبحانه سيذكر اى بوعد لا خلف فيه من يخشى اى يخاف الله تعالى فهي كآية فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وان كان النبي صلى الله عليه وسلم يجب عليه تذكيرهم نفعتهم الذكرى ام لم تنفعهم وقال ابن عباس نزلت في ابن ام مكتوم وقيل في عثمان بن عفان قال الماوردي وقد يتذكر من يرجوه الا ان تذكر الخاشي ابلغ فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء وقال القشيري المعنى عمم انت بالتذكير والوعظ وان كانت الموعظة انما ينفع بها من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعاء فان قيل التذكير انما يكون بشيء قد علم وهؤلاء لم يزالوا كفارا معاندين اجيب بان ذلك لظهوره وقوة دليله كانه معلوم لكنه يزول بسبب التقليد والعناد ✦ فلذلك سمي تذكيرا ✦ والسين في قوله تعالى سيذكر يحتمل ان تكون بمعنى سوف وسوف من الله تعالى واجب كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى ويحتمل ان يكون المعنى ان من خشي فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر ✦ ولما بين تعالى من ينتفع بالذكرى بين من لا ينتفع بها بقوله تعالى ويتجنبها اى الذكرى اى يتركها جانبا لا يلتفت اليها الاشقى الذي يصلى النار وهو الكافر فان قيل الاشقى يستدعي وجود شقي فكيف قال هذا القسم اجيب بان لفظ الاشقى من غير مشاركة كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وقوله تعالى وهو اهون عليه وقال الرازي الفرق ثلاثة العارف والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف والمتوقف له بعض الشقاوة والاشقى هو المعاند وقال الزمخشري الاشقى هو الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة واختلف في قوله تعالى الكبرى اى العظمى على وجوه احدها قال الحسن هي نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثانيها ان في الآخرة نيرانا ودركات متفاضلة فكما ان الكافر اشقى العصاة فكذلك يصلى اعظم النيران ثالثها ان النار الكبرى هي النار السفلى فهي نصيب

الكفار كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فان قيل قوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى يقتضي ان ثم حالة غير الحيوة والموت وذلك غير معقول اجيب عن ذلك بوجهين احدهما لا يموت فيستريح ولا يحيا حيوة تنفعه كما قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وهذا جاء على مذهب العرب يقولون للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت ثانيهما ان نفس احدهم في النار في حلقه لا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها فيحيا. تنبيه. قوله تعالى ثم للتراخي بين الرتب في الشدة. ولما ذكر تعالى وعيد من اعرض عن النظر في دلائل الله تعالى اتبعه بالوعد لمصدقه فقال تعالى قد افلح اي فاز بكل مراد من تزكى اي تطهر من الكفر بالايمان لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من تزكى اي شهد ان لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد اني رسول الله وقيل تطهر للصلوة وادى الزكوة وذكر اسم ربه اي بقلبه ولسانه مكبرا فصلى اي الصلوات الخمس قال الزمخشري وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وقال قتادة تزكى عمل صالحا وعن عطاء نزلت في صدقة الفطر قال ابن سيرين قد افلح من تزكى قال خرج فصلى بعد ما ادى زكوة الفطر وصلى صلوة العيد قال بعضهم لا ادري ما وجه هذا التاويل فان هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكوة فطر واجاب البغوي بانه يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كقوله تعالى وانت حل بهذا البلد والسورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح قال صلى الله عليه وسلم احلت لي ساعة من نهار وقيل المراد زكوة الاعمال لا زكوة الاموال اي زكى اعماله من الرياء والتقصير وروي عن عطاء انه قال ان هذه الاية نزلت في عثمان وذلك انه كان بالمدينة منافق له نخلة مائلة الى دار رجل من الانصار اذا هبت الريح تساقط منها بسر ورطب في دار الانصاري فياكل هو وعياله من ذلك فخاصمه المنافق فذكر الانصاري ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فارسل خلف المنافق وهو لا يعلم نفاقه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان اخاك الانصاري ذكر ان بسرك ورطبك يقع في منزله فياكل هو وعياله منه فهل لك ان اعطيك نخلة في الجنة بدلها قال ابيع عاجلا باجل لا افعل فذكروا ان عثمان قد اعطاه حائطا من نخل بدل نخلته يقول فيه قد افلح من تزكى وفي المنافق ويتجنبها الاشقى وقال الضحاك نزلت في ابي بكر وقرأ بل تؤثرون الحيوة الدنيا ابو عمرو بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب ومعناه على القراءة الاولى بل يؤثرون الاشقون وعلى القراءة الثانية بل تؤثرون ايها المسلمون الاستكثار من الدنيا الدنية بالعز الحاضر مع انها شر وفانية اشتغالا بها لاجل حضورها كالحيوانات التي هي مقيدة بالمحسوسات على الاستكثار من الثواب والاخرة اي والحال ان الدار التي هي غاية القصد المبرأة عن العيب المنزهة عن الخروج عن الحكمة خير اي من الدنيا وابقى لانها تشتمل على السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا ليست كذلك فالاخرة خير من الدنيا ولان الدنيا لذاتها مخلوطة بالالام والاخرة ليست كذلك ولان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي خير من الفاني وعن عمر

فما الدنيا في الآخرة الا كنفحة ارنب وعن ابن مسعود انه قرأ هذه الآية فقال اتدرون لم اثرنا
الحيوة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها
وبهجتها وان الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل والاشارة في قوله
تعالى إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ الى قوله قد افلح من تزكى الى قوله خير وابقى اي هذا الكلام
وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وهو رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الضحاك
ان هذا القرآن لفي الصحف الاولى ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها في تلك الصحف وانما معناه
ان معنى هذا الكلام في تلك الصحف ثم بين تلك الصحف وهي المنزلة قبل القرآن بقوله تعالى
صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وبدأ به لان صحفه اقرب الى الوعظ كما نطق به حديث ابي ذر وموسى وختم به
لان الغالب على كتابه الاحكام والمواعظ فيه قليلة ومنها الزواجر البليغة كاللعن لمن خالف اوامر
التورية التي اعظمها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وروي عن ابي بن كعب انه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم كم انزل الله تعالى من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى
شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتورية
والانجيل والزبور والفرقان وقيل في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه
مقبلا على شأنه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين اللتين
يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وفي الوتر بقل هو الله احد وقل اعوذ برب
الفلق وقل اعوذ برب الناس وقرأ الاعلى فسوى فهدى المرعى احوى فلا تنسى وما يخفى ومن يخشى
الاشقى من تزكى فصلى الدنيا وابقى الاولى وموسى حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش
وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل اما الاعلى الذي والاشقى الذي اذا وقف عليهما
فالامالة لمن ذكر ووصلهما فلا امالة والباقون بالفتح وقرأ الذكرى الكبرى ابو عمرو والكسائي
بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل
حرف انزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام حديث موضوع

سورة الغاشية مكية بالاجماع

وهي ست وعشرون آية واثنان وتسعون كلمة وثلثمائة واحدى وثمانون حرفا

بسم الله علام الغيوب الرحمن كاشف الكروب الرحيم الذي خص اولياءه بالعفو
عن الذنوب وقوله سبحانه وتعالى هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ فيه وجهان احدهما ان هل
بمعنى قد اي قد جاءك يا اشرف الخلق حديث الغاشية كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين
من الدهر قاله قطرب والثاني انه استفهام على حاله وتسميه اهل البيان التشويق والمعنى ان لم يكن
اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبي والغاشية الداهية التي تغشى الناس

بشدائدها وتلبسهم اهوالها وهي القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل هي النار من قوله
تعالى وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلق
وقيل الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها وُجُوهٌ اي كثيرة جدا كائنة يَوْمَئِذٍ اي يوم اذ غشيت
خَاشِعَةٌ اي ذليلة من الخجل والفضيحة والخوف من العذاب والمراد بالوجوه في الموضعين اصحابها
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ اي ذات نصب وتعب قال سعيد بن جبير عن قتادة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله
تعالى فاعملها الله تعالى وانصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة
في العرصات في يوم كان مقداره الف سنة وقال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل
في الوحل وقال الحسن لم تعمل لله في الدنيا ولم تنصب له فاعملها وانصبها في جهنم وقال
ابن عباس هم الذين انصبوا انفسهم في الدنيا على معصية الله تعالى على الكفر مثل عبدة الاوثان
والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى منهم الا ما كان خالصا له وعن علي انهم الخوارج الذين
ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون صلاتكم مع صلوتهم وصيامكم مع صيامهم
واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث وقرأ تَصْلَى ابو عمرو وشعبة
بضم التاء الفوقية على ما لم يسم فاعله والباقون بفتحها على تسمية الفاعل والضمير على كلتا القرائتين
للوجوه والمعنى تدخل نَارًا حَامِيَةً اي شديدة الحر قد احميت واوقدت مدة طويلة ومنه
حمي النهار بالكسر اي اشتد حره وحكى الكسائي اشتد حمي الشمس وحموها بمعنى قال صلى الله عليه وسلم
اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة
حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعون فيه جمرا كثيرا ثم
يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما شوي فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا
ولما بين تعالى مكانهم ذكر شرابهم فقال تعالى تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ اي شديدة الحرارة كقوله تعالى
من حميم آن اي متناه في الحرارة روي انه لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لاذابتها. ولما ذكر تعالى شرابهم
اتبعه بذكر طعامهم فقال تعالى لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ قال مجاهد هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض
تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه قال الكلبي لا تقربه دابة
اذا يبس وقال ابن زيد اما في الدنيا فان الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة
شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك امر من
الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال ابو الدرداء والحسن ان الله تعالى يرسل على اهل
النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ذي غصة
فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة
ثم يسقون من عين آنية لا هنيئة ولا مريئة فلما ادنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشوها فاذا وصل
بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم قال بعض المفسرين فلما نزلت هذه

الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه ما دام
رطبا ويسمى شبرقا فاذا يبس لا يأكله شيء قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى
وصار ضريعا بان عنه النحائص والنحوص من الاتن التي لا لبن لها ولما قالوا ذلك
انزل الله تعالى تكذيبا لهم لا يسمن ولا يغني اي يكون كفاية مبتدأة من جوع فلا يحفظ الصحة
ولا يمنع الهزال فنفى السمن والشبع عنه وعلى تقدير ان يصدق قولهم فيكون المعنى ان طعامكم من ضريع
ليس من جنس ضريعكم انما هو ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع فان قيل كيف قيل ليس لهم طعام
الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين اجيب بان العذاب الوان والمعذبون طبقات
فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم ولما ذكر تعالى
وعيد الكفار اتبعه بشرح احوال المؤمنين فقال تعالى وجوه يومئذ اي يوم تغشى الناس ووصفها
بصفات الاولى قوله تعالى ناعمة اي ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم
او متنعمة قال مقاتل في نعمة وكرامة الصفة الثانية قوله تعالى لسعيها اي في الدنيا بالاعمال الصالحة
راضية اي في الآخرة لما رأت ثواب سعيها حين رأت ما اداها اليه من الكرامة الصفة الثالثة قوله تعالى
في جنة ثم وصف الجنة بصفات الاول قوله تعالى عالية اي علية المحل والقدر الصفة الثانية قوله
تعالى لا تسمع فيها لاغية قرأ بالتاء الفوقية نافع مضمومة لاغية بالرفع وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء
التحتية مضمومة لاغية بالرفع لقيامها مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة لاغية بالنصب
ويجوز ان تكون التاء للخطاب اي لا تسمع انت وان تكون للتأنيث اي لا تسمع الوجوه واللغو قال
ابن عباس الكذب والبهتان والكفر بالله تعالى وقال قتادة الباطل والاثم وقال الحسن هو الشتم
وقال الفراء الحلف الكاذب والاولى كما قيل لا يسمع في كلامهم كلمة ذات لغو وانما يتكلمون
بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وهذا احسن الاقوال قاله القفال
وقال الكلبي لا يسمع في الجنة حالف بيمين لا برة ولا فاجرة الصفة الثالثة قوله تعالى فيها اي
الجنة عين جارية قال الزمخشري يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس وقال
القفال فيها عيون شراب جارية على وجه الارض في غير اخدود وتجري لهم كما ارادوا الصفة
الرابعة قوله تعالى فيها سرر مرفوعة اي عالية في الهواء قال ابن عباس الواحها من ذهب
مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السماء ما لم يجئ اهلها فاذا ارادوا ان يجلسوا عليها
تواضعت ثم ترتفع الى مواضعها الصفة الخامسة قوله تعالى واكواب موضوعة جمع كوب
وهي الكيزان التي لا عرى لها قال قتادة فهي دون الاباريق وفي قوله تعالى موضوعة وجوه
احدها انها معدة لاهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيئا فيقول هو ههنا موضوع بمعنى معد
ثانيها موضوعة على حافات العيون الجارية كلما ارادوا الشرب وجدوها مملوءة من الشراب
ثالثها موضوعة بين ايديهم لاستحسانهم اياها بسبب كونها من ذهب او فضة او من جوهر

وتلذذهم بالشرب فيها دائماً ابداً يكون المراد موضوعة عن حد الكبر اى هى اوساط بين الكبر و
الصغر كقوله قدروها تقديراً الصفة السادسة قوله تعالى ﴿ونمارق﴾ وهى الوسائد واحدها
نمرقة بضم النون والراء وكسرهما لغتان اشهرهما الاولى وهى وسادة صغيرة قالت ؎ نحن بنات
طارق * نمشى على النمارق * ﴿مصفوفة﴾ اى واحدة الى جنب واحدة اخرى قال الشاعر ؎ كهولا
وشباناً حساناً وجوههم * لهم سرر مصفوفة ونمارق * الصفة السابعة قوله تعالى ﴿وزرابى﴾ وهى جمع زربية
بفتح الزاى وكسرها لغتان مشهورتان وهى بسط عراض فاخرة وقال ابن عباس هى الطنافس التى لها
خمل اى وبر رقيق واختلف فى قوله تعالى ﴿مبثوثة﴾ فقال قتادة مبسوطة وقال عكرمة بعضها فوق
بعض وقال الفراء كثيرة وقال القتيبى مفرقة فى المجالس قال القرطبى وهذا اصح فهى كثيرة متفرقة
ومنه قوله تعالى وبث فيها من كل دابة * ولما ذكر تعالى امر الدارين تعجب الكفار من ذلك
فكذبوه وانكروه فذكرهم الله تعالى صنعه وقدرته بقوله تعالى ﴿افلا ينظرون﴾ اى المنكرون
لقدرته سبحانه وتعالى على الجنة وما ذكر فيها والنار وما ذكر فيها اى نظر اعتبار ﴿الى الابل﴾ ونبه
على انه عجيب خلقها مما ينبغى ان تتوفر الدواعى على الاستفهام والسؤال عنه باداة الاستفهام
فقال تعالى ﴿كيف خلقت﴾ اى خلقاً عجيباً دالاً على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها
للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد النائية فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض
بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعارض ضعيفاً ولا تمانع صغيراً وبرأها
طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ
فى بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين ارادها ان تكون سفائن
البر صبرها على احتمال العطش حتى ان ظماءها لتصبر على عشر فصاعداً ليتأتى لها قطع البوادى
والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى
اشرف المركبات واكثرها صنعاً ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع ولانها ترعى كل شئ
نابت فى البوادى والمفاوز مما لا ترعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحاً القاضى
فقلت له اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت
* تنبيه * الابل اسم جمع واحده بعير وناقة وجمل ولا واحد لها من لفظها وقال المبرد الابل
هنا القطع العظيمة من السحاب قال الثعلبى ولم اجد لذلك اصلاً فى كتب الائمة وقال
الماوردى وفى الابل وجهان اظهرهما انها الابل والثانى السحاب فان كان المراد بها
السحاب فلما فيها من الآيات والدلالات الدالة على قدرته والمنافع العامة لجميع خلقه
وان كان المراد بها الابل فلان الابل اجمع للمنافع من سائر الحيوانات لان ضروب الحيوان اربعة
حلوبة وركوبة واكولة وحمولة والابل تجمع هذه الخلال الاربع فكانت النعمة بها اعم
وظهور القدرة فيها اتم وقيل للحسن الفيل اعظم فى الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد بالفيل

ثم هو لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ﴾ التي هي من جملة مخلوقاتنا ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾
اي رفعا بعيدا بلا امساك وبغير عمد على ما لها من السعة والكبر والثقل والاحكام وما فيها من
الكواكب والغرائب والعجائب ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ﴾ اي الشامخة وهي اشد الارض ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ نصبا
ثابتا فهي راسية لا تميل ولا تزول كما قال تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بكم ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ﴾
اي على سعتها ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للتقلب عليها واستدل بعضهم
بذلك على ان الارض ليست بكرة قال الرازي وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية العظمة
تكون كل قطعة منها كالسطح فان قيل كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال
والارض ولا مناسبة اجيب بان من فسرها بالسحاب فالمناسبة ظاهرة وذلك على طريق التشبيه
والمجاز ومن فسرها بالابل فالمناسبة بينها وبين السماء والارض والجبال من وجهين احدهما ان القرآن
نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا ويسيرون عليها في اوديتهم وبواديهم مستوحشين
ومنفردين عن الناس والانسان اذا انفرد اقبل على التفكر في الاشياء لانه ليس معه من يحادثه
وليس هناك ما يشغل به سمعه وبصره فلا بد من ان يجعل دأبه التفكر فاذا تفكر في تلك الحال
فاول ما يقع بصره على البعير الذي هو راكبه فيرى منظرا عجيبا وان نظر الى فوق لم ير غير السماء وان نظر
يمينا وشمالا لم ير غير الجبال وان نظر الى تحت لم ير غير الارض فكانه تعالى امره بالنظر وقت الخلوة والانفراد
حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر ثانيهما ان جميع المخلوقات دالة على الصانع جلت
قدرته الا انها قسمان منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين النزهة والذهب والفضة
فهذه مع دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال النظر فيها ومنها ما لا حظ فيه للشهوة
كهذه الاشياء فامر بالنظر فيها اذ لا مانع من اكمال النظر فيها وقال عطاء عن ابن عباس كان الله تعالى
يقول هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السماء او ينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض
غيري + ولما بين تعالى الدلائل على صحة التوحيد والمعاد قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿فَذَكِّرْ﴾
اي بنعم الله تعالى ودلائل توحيده وعظهم بذلك وخوفهم يا اشرف الخلق ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ فلا
عليك ان لا ينظروا او لم يتذكروا وما عليك الا البلاغ كما قال تعالى ان عليك الا البلاغ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ
بِمُصَيْطِرٍ﴾ اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الايمان كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وهذا قبل الامر بالجهاد
وقرأ هشام بالسين وقرأ حمزة بخلاف عن خلف باشمام الصاد كالزاي والباقون بالصاد الخالصة
وقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ استثناء منقطع اي لكن من تولى عن الايمان ﴿وَكَفَرَ﴾ اي بالقرآن ﴿فَيُعَذِّبُهُ
اللَّهُ﴾ اي الذي له الكمال كله بسبب تكبره عن الحق ومخالفته لامرك ﴿الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ اي عذاب
الآخرة لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر وقيل استثناء متصل
فان جهاد الكفار وقتلهم تسليط فكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة
وقيل هو استثناء من قوله تعالى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب

الاكبر وما بينهما اعتراض ان الينا اى خاصة بما لنا من العظمة ايابهم اى رجوعهم بعد البعث
ثم ان علينا اى خاصة بما لنا من القدرة والتنزه عن نقص العيب والجور وكل نقص لا على غيرنا
حسابهم اى جزاءهم ولا نتركه ابدا وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم فانه كان يشق عليه
تكذيبهم فان قيل ما معنى تقديم الظرف اجيب بان معناه التشديد فى الوعيد وان ايابهم ليس الا الى
الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس الا عليه وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير وقول البيضاوى تبعا
للزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع

سورة الفجر مكية

وقيل مدنية وهى تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا
بسم الله الملك الاعظم الرحمن الذى عم خلقه بالكرم والجود الرحيم الذى سن لاهل عنايته
بفضله فهو المالك المحمود وقوله تعالى والفجر اى فجر كل يوم قسم كما اقسم بالصبح فى قوله تعالى والصبح
اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقال قتادة هو فجر اول يوم من المحرم تنفجر منه السنة وقال الضحاك
فجر ذى الحجة وقيل ذلك على حذف مضاف اى وصلاة الفجر وقيل ورب الفجر وتقدم ان الله
تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته واختلف فى قوله تعالى وليال عشر فقال مجاهد وقتادة
هو عشر ذى الحجة وقال الضحاك هو العشر الاول من رمضان وعن ابن عباس
انه العشر الاخير من رمضان وعن يمان بن رباب هو العشر الاول من المحرم التى
عاشرها يوم عاشوراء ولصومه فضل عظيم فان قيل لم نكر الليالى من بين ما اقسم به اجيب
بان ذلك للتعظيم والشفع اى الزوج والوتر اى الفرد فقيل الشفع الخلق كلهم قال الله
تعالى وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله تعالى قاله ابو سعيد الخدرى وقال مجاهد ومسروق
الشفع الخلق كله قال الله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين الكفر والايمان والهدى
والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس
والقمر والجن والانس والوتر هو الله تعالى قل هو الله احد وقال قتادة هما الصلوات منها
شفع ومنها وتر روى ذلك عن عمران بن حصين مرفوعا وعن ابن عباس الشفع صلوة
الصبح والوتر صلوة المغرب وقال الحسين بن الفضل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات
النار لانها سبع دركات وسئل ابو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال الشفع تضاد اوصاف
المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى
والوتر انفراد صفات الله سبحانه وتعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل
وحياة بلا موت وعن عكرمة الوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر واختاره النحاس وقال هو الذى
صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها
وقال ابن الزبير الشفع الحادى عشر والثانى عشر من ايام منى والوتر الثالث عشر وقال الضحاك

الشفع عشر ذي الحجة والوتر ايام منى الثلاثة وقيل الشفع والوتر آدم عليه السلام كان وترا
فشفع بزوجته حواء حكاه القشيري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقرأ حمزة والكسائي
بكسر الواو والباقون بفتحها وهما لغتان الفتح لغة قريش ومن والاها والكسر لغة تميم وقوله تعالى
والليل اذا يسر قسم خامس بعد ما اقسم بالليالي العشر على الخصوص اقسم به على العموم ومعنى
يسر سار وذهب كما قال الله تعالى والليل اذ ادبر وقال قتادة اذا جاء واقبل وقيل معنى يسري
يسرى فيه كما يقال ليل نائم ونهار صائم ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقرأ نافع وابو عمرو
باثبات الياء بعد الراء وصلا لا وقفا واثبتها ابن كثير في الحالين وحذفها الباقون في الحالين
لسقوطها في خط المصحف الكريم واثباتها هو الاصل لانها لام فعل مضارع مرفوع ومن فرق بين
حالتي الوقف والوصل فلان الوقف محل استراحة وسئل الاخفش عن العلة في سقوط الياء فقال
الليل لا يسرى ولكن يسرى فيه فهو مصروف فلما صرفه بخسه حظه من الاعراب كقوله تعالى وما
كانت امك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفه عن باغية وهذه الاسماء كلها مجرورة بالقسم والجواب
محذوف تقديره لتعذبن يا كفار مكة يدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله تعالى
فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد وما بينهما اعتراض وقوله تعالى هل في ذلك
اي القسم والمقسم به قسم اي حلف او محلوف لذي حجر استفهام معناه التقرير كقولك الم انعم
عليك اذا كنت قد انعمت او المراد منه التأكيد لما اقسم به واقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم
قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى ان من كان ذا لب علم ان ما اقسم الله تعالى به من هذه الاشياء فيه
عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه والحجر العقل لانه
يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما يسمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو
الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها وقوله تعالى الم تر خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به العموم والمراد بالرؤية العلم اي الم تعلم يا اشرف رسلنا
كيف فعل ربك اي المحسن اليك بانواع النعم بعاد ارم وهو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح
عليه السلام ثم انهم جعلوا لفظ عاد اسما للقبيلة كما يقال لبني هاشم هاشم ولبني تميم تميم ثم قيل
للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم في قوله تعالى بعاد ارم
عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها
وقوله تعالى ذات اي صاحبة العماد فينظر فيه ان كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين
اهل عمد وطوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة
للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات
شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها
فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من

الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما
تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء
فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره
معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل
من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت
فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وقوله تعالى الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ صفة اخرى
لارم فان كانت للقبيلة فلم يخلق مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة قال الزمخشري كان طول الرجل
منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم وروى عن مالك
انه كانت تمر بهم مائة سنة لا يرون فيها جنازة وان كانت للبلدة فلم يخلق مثل مدينة شداد في جميع
بلاد الدنيا والمقصود من هذه الحكاية زجر الكفار فان الله تعالى بين انه اهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل
مع الذي اختصوا به من هذه الوجوه فلان تكونوا مثل ذلك ايها الكفار اذا اقمتم على كفركم مع ضعفكم
اولى وقد ذكر الله تعالى ثلاث قصص هذه القصة الاولى واما الثانية فهي في قوله تعالى وَثَمُودَ الَّذِينَ
جَابُوا اي قطعوا الصَّخْرَ جمع صخرة وهي الحجر واتخذوها بيوتا كقوله تعالى وتنحتون من الجبال
بيوتا بِالْوَادِ اي وادي القرى قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا
وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وقيل سبعة آلاف مدينة كلها من الحجارة. تنبيه: اثبت
الياء ورش وابن كثير وصلا واثبتها وقفا ابن كثير بخلاف عن قنبل واما القصة الثالثة فهي في قوله
تعالى وَفِرْعَوْنَ اي وفعل بفرعون ذِي الْأَوْتَادِ واختلف في تسميته بذلك على وجهين احدهما انه
سمي بذلك لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا والثاني انه كان يتد اربعة
اوتاد يشد اليها يدي ورجلي من يعذبه وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان فرعون
انما سمي ذا الاوتاد لانه كانت امرأة وهي امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت
امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها
فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله
السموات والارض واحد لا شريك له فقامت فدخلت على ابيها وهي تبكي قال ما يبكيك قالت الماشطة
امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك
فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك واقري باني الهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة
اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين
فقالت له لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها
وقال لها اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض على
فيّ ما كفرت بالله عز وجل فاتي بابنتها فلما اضجعت على صدرها واراد ذبحها جزعت المرأة

فانطق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي
فان الله تعالى قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت
فلم تلبث ان ماتت فاسكنها الله تعالى الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه
فقيل لفرعون انه قد رؤي في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه وهو يصلي
ويليه صفوف من الوحوش خلفه يصلون خلفه فلما رايا ذلك انصرفا فقال حزقيل اللهم انك
تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر علي احد فايما هذين الرجلين اظهر علي فعجل عقوبته
في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وآمن
واما الآخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملأ فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان
فدعي به فقال حق ما يقول هذا قال لا ما رايت كما قال شيئا فاعطاه فرعون فاجزل واما الآخر فقتله
ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم
فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني ان اصبر على ما يأتي من فرعون وانا مسلمة
وهو كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت اشر
الخلق واخبثه عمدت الى الماشطة فقتلتها فقال لعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون
وان الهي والهها والهك واله السموات والارض واحد لا شريك له فمزق ما عليها وضربها وارسل الى
ابويها فدعاهما فقال لهما الا تريان ان الجنون الذي كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من ذلك
اني اشهد ان ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال ابوها يا آسية الست من
خير نساء العماليق وزوجك اله العماليق قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له
ان يتوجني تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني
فمدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله تعالى روحها وادخلها الجنة
وروي عن ابي هريرة ان فرعون وتد لامرأته اربعة اوتاد وجعل على صدرها رحا واستقبل بها عين الشمس
فرفعت راسها الى السماء وقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ففرج الله تعالى عن بيتها في الجنة فرأته
وقوله تعالى الَّذِينَ طَغَوْا اي تجبروا فِي الْبِلَادِ في محل نصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم
الذين طغوا في البلاد او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون فالضمير يرجع لعاد وثمود
وفرعون وقيل يرجع الى فرعون خاصة فَأَكْثَرُوا اي طغاتهم فِيهَا الْفَسَادَ اي بالقتل والكفر والمعاصي
قال القفال وبالجملة فالفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فالفساد
يتناول جميع اقسام الاثم فمن عمل بغير امر الله تعالى وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد فَصَبَّ
اي انزل انزالا هو في غاية القوة عَلَيْهِمْ اي في الدنيا رَبُّكَ اي المحسن اليك بكل جميل سَوْطَ
اي نوع عَذَابٍ وقال قتادة يعني الوانا من العذاب صبه عليهم وقال اهل المعاني هذا على

الاستعارة لان السوط عندهم غاية العذاب وقال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من
انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى لكل عذاب اذا كان
فيه غاية العذاب وقال الزجاج جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب وعن الحسن انه كان اذا اتى على هذه
الآية قال ان الله تعالى عنده اسواط كثيرة فاخذهم بسوط منها وقال قتادة كل شيء عذب الله تعالى به
فهو سوط عذاب وشبه بصب السوط الذي يتواتر على المضروب فيهلكه ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ اي المحسن اليك بالرسالة
﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾ اي يرصد اعمال العباد لا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها والمرصاد المكان الذي يترقب
فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاد العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه
وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرأ هذه السورة عند
المنصور حتى بلغ هذه فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا النداء بانه بعض
من توعده بذلك من الجبابرة قال الزمخشري فلله دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره
ويقصع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه وقوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ﴾ متصل بقوله تعالى ان ربك
لبالمرصاد فكانه قيل ان الله تعالى يريد من الانسان الطاعة والسعي للعاقبة وهو لا يهمه الا العاجلة
وما يلذه وينعمه فيها ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ اي اختبره بالنعمة ﴿رَبُّهُ﴾ اي الذي ابدعه واحسن اليه
بما يحفظ وجوده ليظهر شكره او كفره ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ اي جعله عزيزا بين الناس واعطاه ما يكرمونه به من الجاه
والمال ﴿وَنَعَّمَهُ﴾ اي جعله متلذذا مترفها بما وسع الله تعالى عليه وقوله تعالى ﴿فَيَقُولُ﴾ اي سرورا بذلك
وافتخارا ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ اي فضلني بما اعطاني خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من
معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي
اكرمن وقت الابتداء بالانعام فيظن ان ذلك عن استحقاق فيرتفع به وكذا قوله تعالى ﴿وَأَمَّا إِذَا
مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ﴾ اي ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه ربه اي بالفقر ليوازي
قسيمه ﴿فَيَقُولُ﴾ اي الانسان بسبب الضيق ﴿رَبِّي أَهَانَنِ﴾ فيهتم لذلك ويضيق به ذرعا ويكون
اكبر همه وهذا في حق الكافر لقصور نظره وسوء فكره فيرى الكرامة والهوان بكثرة الحظ في الدنيا
وقلته وقال الكلبي ومقاتل نزلت في امية بن خلف الجمحي الكافر وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما في عتبة بن ربيعة وقيل ابي بن خلف فان قيل كيف سمي كلا الامرين من بسط الرزق وتقتيره
ابتلاء اجيب بان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر
عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
فان قيل هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه اجيب بان البسط اكرام من الله
تعالى لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقتير فليس باهانة له لان الاخلال
بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما ومهينا وغير مكرم ولا مهين
واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد اليك

فان قيل قد قال تعالى فاكرمه فصحح الكرامة واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه كما انكر قوله
اهانن وذمه عليه اجيب بوجهين احدهما انما انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه لانه قاله على
قصد خلاف ما صححه الله تعالى عليه واثبته وهو قصده الى ان الله تعالى اعطاه ما اعطاه اكراما له
مستحقا ومستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما
اعطاه الله تعالى على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله تعالى الا به
وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من
اجلها ثانيهما ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربي اهانن يعني انه اذا تفضل عليه بالخير واكرم به
اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمي ترك التفضل هوانا وليس بهوان قال الزمخشري
ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله تعالى فاكرمه وقرا البزي في الوصلين همزة بالامالة محضة
وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقرأ ربي اكرمن ربي اهانن نافع باثبات الياء فيهما
وصلا لا وقفا وقرا البزي باثباتها فيهما وقفا ووصلا وعن ابي عمرو فيهما في الوصل الاثبات
والحذف عنه في الوصل اعدل والباقون بالحذف وقفا ووصلا وقرأ ابن عامر فقدر عليه رزقه
بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما لغتان معناهما ضيق وقيل قدر بمعنى قتر وقد اعطاه
ما يكفيه ثم رد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة بقوله تعالى كلا اي
ليس الاكرام بالغنى والاهانة بالفقر انما هما بالطاعة والمعصية وكفار مكة لا ينتبهون لذلك
بل لهم فعل اشر من هذا القول وهو انهم لا تكرمون اليتيم اي لا تحسنون اليه مع غناهم او لا يعطونه
حقه من الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف فكان يدفعه عن حقه
فنزلت ولا تحاضون اي يحثون حثا عظيما على طعام اي اطعام المسكين فيكون اسم مصدر بمعنى
الاطعام ويجوز ان يكون على حذف مضاف اي على بذل او على اعطاء وفي اضافته اليه اشارة الى انه
شريك للغني في ماله بقدر الزكوة وياكلون على سبيل التجدد والاستمرار التراث اي الميراث والتاء
في التراث بدل من واو لانه من الوراثة اكلا لما اي ذا لم اي الجمع الشديد يقال لممت الشيء لما اي
جمعته جمعا قال الحطيئة: اذا كان لما يتبع الذم ربه * فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا والجمع
بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون انصباءهم وياكلون
ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك فيلمون في الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز ان يذم
الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه وياكله اكلا
واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل البطالون + ولما
دل على حب الدنيا بامر خارجي دل عليه في الانسان فقال تعالى وتحبون اي على سبيل
الاستمرار المال اي هذا النوع من اي شيء كان واكد بالمصدر والوصف فقال تعالى
حبا جما اي كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق وقوله تعالى كلا ردع لهم عن

ذلك وانكار لفعلهم ثم اخبر تعالى عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم فقال عز من قائل
اذا دكت الارض اى حصل دكها ورجها وزلزلتها لتسويتها فتكون كالاديم الممدود وبتسوية المط
لاعوج فيها بوجه دكا دكا اى مرة بعد مرة وكسر كل شئ على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق
على ظهرها شئ وينعدم وجاء ربك قال الحسن امره وقضاؤه والملك اى الملائكة وقوله تعالى
صفا صفا حال اى مصطفين اى ذوي صفوف كثيرة فتنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد
صف محدقين بالجن والانس وجاىء اى يا سهولة يومئذ اى اذ وقع ما ذكر بجهنم اى النار التى
تحجم من يصلاها كقوله تعالى وبرزت الجحيم وروى انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا فجاء فاحتضنه من خلفه وقيل
ما بين عاتقيه ثم قال يا نبى الله بابى انت وامى ما الذى حدث اليوم وما الذى غيرك فتلا عليه
الاية فقال له على كيف يجاء بها قال يجىء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة
لو تركت لاحرقت اهل الجمع ثم تعرض لى جهنم فتقول ما لى ولك يا محمد ان الله تعالى قد حرم لحمك على فلا
يبقى احد الا قال نفسى نفسى الا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول رب امتى امتى وقال عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه تقاد جهنم بسبعين الف زمام بين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب
على يسار العرش وقوله تعالى يومئذ اى يوم يجاء بجهنم بدل من اذ وجوابها يتذكر الانسان اى يتذكر
الكافر ما فرط ويتعظ لانه يعلم قبح معاصيه فيندم عليها وانى له الذكرى اى ومن اين له منفعة الذكرى
قال الزمخشرى لابد من حذف مضاف والا فبين يتذكر وبين وانى له الذكرى تناف وتناقض
تنبيه انى خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما تعلق به الظرف وقرأ حمزة و
الكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وقرأ الدورى عن ابى عمرو بالامالة بين بين
والباقون بالفتح وقرأ الذكرى ابو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون
بالفتح يقول اى يقول متذكرا يا للتنبيه ليتنى قدمت لحياتى اى فى حياتى فاللام بمعنى فى او قدمت
الايمان والعمل للحياة لا موت فيها او وقت حياتى فى الدنيا فيومئذ اى يوم يقول الانسان ذلك وقرأ لا يعذب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الكسائى بفتح الذال والثاء على البناء للمفعول والباقون بكسرهما على البناء للفاعل
فاما قراءة الكسائى فضمير عذابه ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب احد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل
ايثاقه واما على قراءة الباقين فالضمير فيه لله تعالى اى لا يكل عذابه الى غيره او الزبانية المتولين
العذاب بامر الله تعالى ولما وصف الله تعالى حال من اطمأن الى الدنيا وصف حال من اطمأن
الى معرفته وعبوديته وسلم امره اليه فقال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة قال الحسن اى المؤمنة
الموقنة وقال مجاهد الراضية بقضاء الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بثواب الله
تعالى وقال ابن كيسان المخلصة وقال ابن زيد التى بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم
الجمع ويقال لها عند الموت ارجعى الى ربك اى الى امره وارادته وقال ابن عباس رضى الله تعالى

عنهما الى صاحبك وجسدك وقال الحسن الى ثواب ربك راضية اى بما اوتيته مرضية اى عند الله تعالى بعملك اى جامعة بين الوصفين لانه لا يلزم من احدهما الآخر وهما حالان قال القفال هذا وان كان امرا في الظاهر فهو خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله تعالى في القيامة بسبب هذا الامر فادخلي في اى في جملة عبادى اى الصالحين والوافدين على الذين هم اهل الاضافة الى او في اجساد عبادى التى خرجت في الدنيا منها وادخلي جنتي اى معهم هي جنة عدن وهي اعلى الجنان ومجئ الامر بمعنى الخبر كثير في كلامهم كقولهم اذا لم تستح فاصنع ما شئت وقال سعيد بن زيد قرأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال ابو بكر ما احسن هذا يا رسول الله فقال له ان الملك سيقوله لك يا ابا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بالطائف فجاء طائر لم ير على خلقته طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا ايتها النفس الآية وروى الضحاك انها نزلت في عثمان حين وقف بئر رومة وقيل في خبيب بن عدى الذى صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله تعالى وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوله وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب قال الزمخشرى والظاهر العموم وقول البيضاوى تبعا له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة حديث موضوع

سورة البلد مكية

وهي عشرون آية واثنان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا

بسم الله الملك الذى لا راد لامره الرحمن الذى عم سائر خلقه بفضله الرحيم الذى خص اهل طاعته بجنته واختلفوا في لا في قوله تعالى لا اقسم فقال الاخفش انها مزيدة اى اقسم كما تقدم في قوله تعالى لا اقسم بيوم القيامة وقد اقسم به سبحانه وتعالى قال الشاعر تذكرت ليلى فاعترتني صبابة * وكاد صميم القلب لا يتقطع * اى يتقطع ودخل حرف لا صلة كقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقد قال تعالى في ص ما منعك ان تسجد واجاز الاخفش ايضا ان تكون بمعنى الا وقيل هي نفي صحيح والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكى واجمعوا على ان المراد بالبلد في قوله تعالى بهذا البلد اى الحرام وهو مكة وفضلها معروف فانه تعالى جعلها حرما آمنا وقال تعالى ومن دخله كان آمنا وجعل مسجدها قبلة لاهل المشرق والمغرب فقال تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وامر الناس بحج البيت فقال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع وقال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وقال تعالى وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وشرف مقام ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا من

مقام ابراهيم مصلى وهو صين له وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته فهذه
الفضائل واكثر منها انما اجتمعت في مكة لاجرم اقسم الله تعالى بها وانت اي يا اشرف الخلق حل
اي حلال لك ما لم يحل لغيرك من قتل من تريد ممن يدعي انه لا قدرة لاحد عليه بهذا البلد بان يحل
لك فتقاتل فيه وقد نجز الله له هذا الوعد يوم الفتح واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت
له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما
وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة
لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها
ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشدها فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا
فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر ونظير وانت حل في معنى الاستقبال قوله تعالى انك ميت وانهم
ميتون ومثله واسع في كلام العرب تقول لمن تعده الاكرام والحباء لانت مكرم محبو وهو في كلام
الله تعالى واسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه
للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة من وقت نزولها
فما بال الفتح والجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه واختلف في قوله تعالى ووالد وما ولد
فقال الزمخشري هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقطه واسه
وحرم ابيه ابراهيم ومنشأ ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه وقال البغوي هما ادم وذريته وقيل كل والد وولده
فان قيل هلا قيل ومن ولد اجيب بان فيه ما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت
يعني موضوعا عجيب الشان وان ما بمعنى من والذي عليه اكثر المفسرين هما ادم وذريته لانهم اعجب
ما خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الانبياء
والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وامر الملائكة بالسجود لادم وعلمه الاسماء كلها ولقد قال الله تعالى
ولقد كرمنا بني ادم وقيل هما ادم والصالحون من ذريته واما الطالحون فكانهم بهائم كما قال تعالى
ان هم الا كالانعام بل هم اضل صم بكم عمي فهم لا يرجعون والمقسم عليه قوله تعالى لقد خلقنا الانسان
اي الجنس في كبد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اي شدة ونصب وعنه ايضا في شدة
من حمله وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وسائر احواله وعن عكرمة منتصبا في بطن امه والكبد
الاستواء والاستقامة فهذا امتنان عليه في الحقيقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن امها الا منكبة
على وجهها الا ابن ادم فانه منتصب انتصابا وقال ابن كيسان منتصبا في بطن امه فاذا اراد الله تعالى
ان يخرجه من بطن امه قلب راسه الى رجلي امه وقال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الاخرة
وقال يمان لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق
قال بعض العلماء اول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد
الارتضاع ولو فاته ضاع ثم يكابد نبت اسنانه ثم يكابد الفطام الذي هو اشد من اللطام ثم يكابد

الختان والاوجاع ثم المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن والجيران ثم الكبر والهرم وضعف الركب والقدم فى مصائب يكثر تعدادها من صداع الراس ووجع الاضراس ورمد العين وهم الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد محنا فى المال والنفس من الضرب والحبس ولا يمضى عليه يوم الا يقاسى فيه شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعده سؤال الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى ان يستقر به القرار اما فى الجنة واما فى النار فدل هذا على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال ولو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدائد فليمتثل امر خالقه وقال ابن زيد المراد بالانسان هنا ادم عليه السلام وقوله تعالى فى كبد اى فى وسط السماء وقال مقاتل فى كبد اى فى قوة نزلت فى ابى الاشدين واسمه اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظى تحت قدميه فيقول من ازالنى عنه فله كذا وكذا فيجذبه عشرة فيتمزق الاديم من تحت قدميه ولا تزول قدماه ويبقى موضع قدميه وكان من اعداء النبى صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب اى ايظن الانسان قوى قريش وهو ابو الاشدين بقوته ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى انه لن يقدر عليه اى خاصة احد اى من اهل الارض او السماء فيغلبه حتى انه يعاند خالقه والله تعالى قادر عليه فى كل وقت وقيل نزلت فى المغيرة بن الوليد المخزومى يقول اى يفتخر بقوته وشدته اهلكت اى على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم مالا لبدا اى كثيرا بعضه على بعض ايحسب اى هذا الانسان البعيد بقلبه عقله ان اى انه لم يره احد قال سعيد بن جبير اى اظن ان الله تعالى لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وبم اوفقه وقال الكلبى انه كان كاذبا فى قوله انه انفقه ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن ان الله تعالى لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته وقرأ ايحسب فى الموضعين ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها ثم ذكره نعمه عليه ليعتبر بقوله تعالى الم نجعل اى بما لنا من القدرة التامة له عينين يبصر بهما المرئيات ولا تنقطع عليه اكثر ما يريد شققناهما وهو فى الرحم فى ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا تزيد احداهما على الاخرى شيئا وقدرنا البياض والسواد والشهلة والزرقة وغير ذلك على ما ترون واودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك قال قتادة نعم الله تعالى عليه متظاهرة فيقرره بها كى يشكره قال البغوى وجاء فى الحديث ان الله تعالى يقول يا ابن ادم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وهديناه اى اتيناه من العقل النجدين قال اكثر المفسرين بينا له طريق الخير والشر والهدى والضلال والحق والباطل كقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وصار بما جعلنا له من ذلك سميعا بصيرا عالما فصار موضعا للتكليف روى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال يا ايها

[illegible]

الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى يا ايها الناس انما هما نجدان نجد خير ونجد شر فلم يجعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير قال المنذرى النجد هنا الطريق وقال ابن عباس رضى الله عنهما بيناله الثديين وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اى فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام المساكين والايتام بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضى النافع عند الله تعالى لان يهلك ما لا لبدا فى الرياء والفخر وعداوة النبى صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا الوجه كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الاية وقيل معناه لم يقتحموا ولا جاوزها والاقتحام الدخول فى الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى اعمال البر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة يقول الله تعالى لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وهذا معنى قول قتادة وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة واطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل فى جهنم وقال الحسن هى عقبة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله تعالى ومجاهدة النفس وقال مجاهد هى الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة صعودا وهبوطا واستواء وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس فى النار منكوس وفى الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس فى النار وقال ابن زيد فهلا سلك طريق النجاة وقوله تعالى وما ادراك اى اعلمك ايها السامع لكلامنا الراغب فيما عندنا ما العقبة تعظيم لشانها والجملة اعتراض قال سفيان بن عيينة كل شئ قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وما كان قال وما يدريك فانه لم يخبر به ثم بين سبب جوازها بقوله تعالى فك اى الانسان رقبة اى خلصها من الرق وذلك بان يعتق رقبة فى ملكه او يعطى مكاتبا ما يصرفه فى فك رقبته روى انه صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وقال الزمخشرى وفى الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين فى تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من افضل الاعمال وعن ابى حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعن صاحبيه الصدقة افضل قال الزمخشرى والاية ادل على قول ابى حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وقال عكرمة يعنى فك رقبة من الذنوب وقال الماوردى ويحتمل انه اراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصى وفعل الطاعات ولا يمنع الخبر من هذا التاويل وهو اشبه بالصواب او اطعم اى دفع الاطعام لشئ له قابلية ذلك فى يوم ذى مسغبة اى مجاعة والسغب الجوع يتيما اى انسانا صغيرا لا اب له ذا مقربة اى ذا قرابة لك بان كان بينك وبينه قرابة يقال فلان ذو قرابتى وذو مقربتى او مسكينا

وهو من له مال او كسب يقع موقعا من كفايته ولا يكفيه ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ اى لصوق بالتراب لفقره
يقال ترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اى صار ذا مال كالتراب فى الكثرة كما
قيل اثرى وعنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ذا متربة الذى ماواه المزابل قال ابن عباس رضى الله
عنهما هو المطروح على الطريق الذى لا بيت له وقال مجاهد هو الذى لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال
قتادة انه ذو العيال واحتج بهذه الآية على ان المسكين يملك شيئا لانه لو كان لا يملك شيئا لكان تقييد
قوله تعالى ذا متربة تكريرا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة برفع الكاف وجر رقبة وكسر همزة اطعام
وفتح العين وبعدها الف ورفع الميم منونة والباقون فك بنصب الكاف رقبة بالنصب اطعم بفتح
الهمزة والعين والميم بغير تنوين ولا الف بين العين والميم فان قيل قوله تعالى فلا اقتحم العقبة
الى آخره ذكر لا مرة واحدة قال الفراء والزجاج والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضى حتى تعيد لا كقوله
تعالى فلا صدق ولا صلى اجيب بانه انما افردها لدلالة آخر الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله تعالى
﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قائما مقام التكرير فكأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن قال الزمخشرى هى متكررة
فى المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة
بذلك قال ابو حيان ولا يتم له هذا الا على قراءة فك فعلا ماضيا وعن مجاهد ان قوله تعالى ثم كان
من الذين آمنوا يدل على ان لا بمعنى لم ولا يلزم التكرير مع لم فان كررت لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى
فهو كقوله تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا تنبيه ثم كان معطوف على اقتحم وثم للترتيب الذكرى والمعنى كان
وقت الاقتحام من الذين آمنوا وقال الزمخشرى جاء بثم لتراخى الايمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة
عن العتق والصدقة لا فى الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به
﴿وَتَوَاصَوْا﴾ اى وصى بعضهم بعضا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ اى على الطاعة وعن المعصية والمحن التى يبتلى بها
المؤمن ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ اى بالرحمة على عباده بان يكونوا متراحمين متعاطفين اى بما يؤدى الى رحمة
الله تعالى ﴿أُولَئِكَ﴾ اى الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ اى الجانب الذى فيه اليمن
والبركة والنجاة من كل هلكة قال محمد بن كعب اى الذين يؤتون كتبهم بايمانهم وقال يحيى بن سلام
لانهم ميامين على انفسهم وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق آدم الايمن وقال ميمون بن مهران لان
منزلتهم عن اليمين وقال الزمخشرى الميمنة اليمين او اليمن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى ستروا ما تظهر لهم مرائى
بصائرهم من العلم ﴿بِآيَاتِنَا﴾ اى على ما لها من العظمة بالاضافة الينا والظهور الذى لا يمكن خفاؤه من القرآن
وغيره ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ اى الخصلة المكسبة للشؤم والحرمان قال محمد بن كعب اى الذين يؤتون
كتبهم بشمائلهم وقال يحيى بن سلام لانهم مشائيم على انفسهم وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق
آدم الايسر عليه السلام وقال ميمون لان منزلتهم عن اليسار وقال الزمخشرى المشأمة الشمال
او الشؤم قال القرطبى ويجمع هذه الاقوال ان اصحاب الميمنة هم اصحاب الجنة واصحاب المشأمة هم اصحاب
النار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ اى خاصة ﴿نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ اى مطبقة وقرأ ابو عمرو وحفص وحمزة بالهمزة والباقون بغير

همزة اي بواو ساكنة وهما لغتان يقال اصدت الباب واوصدته اذا اغلقته واطبقته وقيل معنى المهموز
المطبقة وغير المهموز المغلقة واذا وقف حمزة ابدل على اصله وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة حديث موضوع

سورة والشمس مكية

وهي خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة واربعون حرفا

بسم الله الذي له الاسماء الحسنى الرحمن الذي يعلم السر واخفى الرحيم الذي خص
خواصه بالفردوس الاعلى وقوله تعالى وَالشَّمْسِ اي الجامعة بين النفع والضر بالنور والحر
وَضُحَاهَا قسم وقد تقدم الكلام على ان الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته وقيل التقدير ورب
الشمس الى تمام القسم . واختلف في قوله تعالى وضحاها فقال مجاهد والكلبي ضوءها وقال قتادة
هو النهار كله وقال مقاتل هو حرها وقال لقوله تعالى في طه ولا تضحى اي لا يؤذيك الحر وقال
اليزيدي انبساطها قال الرازي انما اقسم بالشمس لكثرة ما يتعلق بها من المصالح فان اهل
العالم كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر الصبح في المشرق صار ذلك الضوء كالروح الذي تنفخ فيه
الحيوة فصارت الاموات احياء ولا تزال تلك الحيوة في القوة والزيادة الى غاية كمالها وقت
الضحوة وذلك يشبه استقرار اهل الجنة وَالْقَمَرِ اي المكتسب من نورها كما ان انوار النفوس من
انوار العقول إِذَا تَلَاهَا اي تبعها وذلك اذا سقطت رؤي الهلال قال الليث يقال تلوت فلانا
اذا اتبعته وقال ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي
اخر الشهر يتلوها بالغروب وقال الفراء تلاها اي اخذ منها يعني ان القمر ياخذ من ضوء الشمس
وقال الزجاج تلاها اي حين استوى واستدار كان مثلها في الضياء والنور وذلك في الليالي البيض
وَالنَّهَارِ اي الذي هو محل الانتشار فيما جرت به الاقدار إِذَا جَلَّاهَا اي الشمس بارتفاعه
لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان
لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء وَاللَّيْلِ اي الذي هو
ضد النهار فهو محل السكون والانقباض إِذَا يَغْشَاهَا اي يغطيها بظلمته فتغيب وتظلم الافاق وقيل
الكناية للارض اي يغشى الدنيا بالظلمة فتظلم الافاق فالكناية ترجع الى غير مذكور ومجيء يغشاها
مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو اتى به ماضيا لكان التركيب اذا غشيها فتفوت
المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع . تنبيه . اذا في الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل
فيها فعل القسم وَالسَّمَاءِ وَمَا اي ومن بَنَاهَا اي خلقها على هذا السقف المحكم اقسم تعالى
بنفسه وباعظم مخلوقاته وقوله تعالى وَالْأَرْضِ اي التي هي فراشكم وَمَا اي ومن طَحَاهَا
اي بسطها وسطحها على الماء كذلك وكذا قوله تعالى وَنَفْسٍ اي اي نفس جمع فيها سبحانه العالم
باسره وَمَا اي ومن سَوَّاهَا اي عدلها على هذا القانون الاحكم في اعضائها وما فيها من

الجواهر والاعراض والمعانى وغير ذلك فان قيل لم نكرت النفس اجيب بوجهين احدهما انه يريد نفسا
خاصة من بين النفوس وهى نفس ادم عليه السلام كانه قال تعالى وواحدة من النفوس ثانيهما
انه يريد كل نفس ونكره للتكثير على الطريقة المذكورة فى قوله تعالى علمت نفس وانما اوثرت ما على
من فيما ذكر لارادة الوصفية بما ضمنا وان لم يوصف بلفظها اذ المراد انها تقع على نوع من يعقل وعلى
صفته ولذلك مثلوا بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم وقد ردها بانكحوا الطيب وهذا تنفرد به
ما دون من وهذه الاسماء كلها مجرورة على القسم اقسم الله تعالى بانواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع
العظيمة حتى يتامل المكلف فيها ويشكر عليها لان الذى يقسم الله تعالى به يحصل به وقع فى القلب
فتكون الدواعى الى تامله اقرب ﴿فالهمها﴾ اى النفس ﴿فجورها وتقواها﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما
بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعن ابى صالح عرفها ما تاتى وما تتقى وقال
سعيد بن جبير الزمها فجورها وتقواها وقال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه
اياها للفجور واختار الزجاج هذا وحمل الالهام على التوفيق والخذلان قال البغوى وهذا يبين ان الله
تعالى خلق فى المؤمن التقوى وفى الكافر الفجور وعن ابى الاسود الدئلى قال قال لى عمران بن حصين
ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سبق او فيما
يستقبلونه مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم قلت بل شئ قضى عليهم ومضى
عليهم فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت منه فزعا شديدا وقلت انه ليس شئ الا وهو خلقه وملك يده لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون فقال لى سددك الله انما سالتك لاختبر عقلك ان رجلا من جهينة او مزينة اتى
النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس ويكدحون فيه اشئ قضى الله عليهم
من قدر سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم واكدت به الحجة فقال فى شئ قد مضى عليهم قال فقلت
ففيم العمل الان قال من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين يهيئه الله لها وتصديق ذلك فى كتاب
الله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وعن جابر قال جاء سراقة ابن مالك بن جعشم فقال
يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير او فيما
يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له واختلف
فى جواب القسم فاكثر المفسرين على انه ﴿قد افلح﴾ اى ظفر بجميع المرادات والاصل لقد وانما حذفت
لطول الكلام وقيل انه ليس بجواب وانما جئ به تابعا لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها على
سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله
عليهم اى اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم قد كذبوا صالحا
او لتبعثن وقيل هو على التقديم والتاخير من غير حذف والمعنى قد افلح ﴿من زكيها﴾ اى طهرها من
الذنوب ونماها واصلحها وصفاها تصفية عظيمة مما يسره الله تعالى له من العلوم النافعة والاعمال
الصالحة ﴿وقد خاب﴾ اى خسر ﴿من دسيها﴾ اى اغواها اغواء عظيما وافسدها واهلكها

بخبائث الاعتقادات ومساوي الاعمال وقبائح السيئات والشمس وضحاها وفاعل زكاها ودساها ضمير من وقيل ضمير الباري سبحانه اي قد افلح من زكاها بالطاعة وقد خاب من دساها اي خسرت نفس دساها الله تعالى بالمعصية وانكر الزمخشري على صاحب هذا القول لمنافرته مذهبه ولكن قال بعض المفسرين الحق انه خلاف الظاهر لا كما قاله الزمخشري وقال ابن عباس رضي الله عنهما خابت نفس اضلها الله تعالى واغواها واصل الزكوة النمو والزيادة ومنه زكى الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفعه بالتعديل واصل دساها دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشيء فابدل من السين الثانية ياء والمعنى اخملها واخفى محلها بالكفر والمعصية وعن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهم وفي رواية والهرم وعذاب القبر اللهم ات نفسي تقواها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن قلب لا يخشع ومن دعوة لا يستجاب لها كذبت ثمود وهم قوم صالح كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام وانث فعلهم لضعف اثر تكذيبهم لان كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح ايتهم بطغواها اي اوقعت التكذيب لرسولها بكل ما اتى به عن الله تعالى اي طغيانها وقيل ان الباء للاستعانة قال الزمخشري مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امراة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجراءته على الله تعالى وقيل كذبت بما اوعدت به من عذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية اذ اي حين انبعث اشقاها اي قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا عليه السلام انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا اشقر ازرق قصيرا فعقر الناقة وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة وقوله عارم اي شديد ممتنع قال الزمخشري ويجوز ان يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث + تنبيه + اذ منصوب بكذبت او بطغواها فقال لهم اي بسبب الانبعاث او التكذيب الذي دل على قصدهم لها بالاذى رسول الله اي صالح عليه السلام وعبر بالرسول لان وظيفته الابلاغ والتحذير الذي ذكر هنا ولذلك قال تعالى مشيرا بحذف العامل الى ضيق الحال عن ذكره لعظم الهول وسرعة التعذيب عند مسها بالاذى وزاد في التعظيم باعادة الجلالة ناقة الله اي الملك الاعظم الذي له الامر كله وهي منصوبة على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار اتقوا واحذروا ناقة الله وسقياها اي وشربها في يومها وكان لها يوم ولهم يوم لانهم لما اقترحوا الناقة فاخرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم من بئرهم ولها شرب يوم فشق عليهم واضاف الناقة الى الله تعالى اضافة تشريف كبيت الله فكذبوه اي صالحا عليه السلام تكذيبا ...

في وعيدهم بالعذاب ﴿فعقروها﴾ اي عقرها الاشقى بسبب ذلك التكذيب واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله وان كان العاقر جماعة فواضح وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس وهذان خير الناس وهذه المرأة اشقى القوم ولهذا لم يقل اشقياها ﴿فدمدم﴾ اي فاطبق ﴿عليهم ربهم﴾ اي الذي احسن اليهم فغمرهم احسانه فقطعه عنهم بسبب تكذيبهم فاهلكهم واطبق عليهم العذاب يقال دمدمت عليه القبر اطبقته عليه ﴿بذنبهم﴾ اي بسبب كفرهم وتكذيبهم وعقرهم الناقة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما دمدم عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم وقال القشيري وقيل دمدمت على الميت التراب اي سويته عليه فالمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب ﴿فسواها﴾ اي فسوى عليهم الارض فجعلهم تحت التراب وعلى الاول فسوى الدمدمة عليهم اي عمهم بها فلم يفلت منهم احد وقرأ ﴿ولا يخاف﴾ نافع وابن عامر بالفاء والباقون بالواو فالفاء تقتضي التعقيب والواو يجوز ان تكون للحال وان تكون للاستئناف الاخباري وضمير الفاعل في يخاف الاظهر عوده على الله تعالى لانه اقرب مذكور وهو قول ابن عباس ويؤيده قراءة الفاء المسببة عن الدمدمة والتسوية والهاء في قوله تعالى ﴿عقباها﴾ ترجع الى الفعلة وذلك لانه تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل فعلا بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل والله تعالى اجل من ان يوصف بذلك وقيل المعنى انه تعالى بالغ في الانذار اليهم مبالغة من لا يخاف عاقبة عذابهم وقيل يرجع ذلك الى رسولهم صالح عليه السلام اي لا يخاف عقبى هذه العقوبة لانذاره اياهم ونجاه الله واهلكهم وقال السدي يرجع الضمير الى اشقاها اي انبعث لعقرها والحال انه غير خائف عاقبة هذه الفعلة الشنعاء وقرأ الكسائي جميع رؤس اي هذه السورة بالامالة محضة وقرأها ابو عمرو بين بين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وامال حمزة مثل الكسائي الا تلاها وضحاها ففتحهما والباقون بالفتح واتفقوا على فتح فعقروها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر حديث موضوع

سورة والليل مكية

وهي احدى وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة احرف

﴿بسم الله﴾ الملك الحق المبين ﴿الرحمن﴾ الذي عم رزقه العالمين ﴿الرحيم﴾ الذي خص بجنته المؤمنين وقوله تعالى ﴿والليل﴾ اي الذي هو آلة الظلام ﴿اذا يغشى﴾ قسم وقد مر الكلام على ذلك ولم يذكر تعالى مفعولا للعلم به فقيل يغشى بظلمته كل ما بين السماء والارض وقيل يغشى النهار وقيل الارض وقيل الخلائق قال قتادة اول ما خلق الله تعالى النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما والنور نهارا مضيئا مبصرا وقوله تعالى ﴿والنهار﴾ اي الذي هو سبب انكشاف الامور ﴿اذا تجلى﴾ اي تكشف وظهر قسم آخر قال الرازي اقسم بالليل الذي ياوي

فيه كل حيوان الى مأواه ولتسكن الخلق عن الاضطراب ويغشاهم النوم الذي جعله الله تعالى راحة
لابدانهم وغذاء لارواحهم ثم اقسم بالنهار اذا تجلى لان النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان
في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي تحرك فيه الناس لمعايشهم وتتحرك الطيور من اوكارها
والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة
لكن المصلحة في تعاقبهما كما قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال تعالى وسخر لكم
الليل والنهار وما بمعنى من اي ومن خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى اي فيكون قد اقسم بنفسه او مصدرية
اي وخلق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله تعالى لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه والذكر
والانثى آدم وحواء عليهما السلام او كل ذكر وانثى من سائر الحيوانات والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو
عند الله تعالى غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى
وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا وقيل كل ذكر
وانثى من الآدميين فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته وقوله تعالى اِنَّ سَعْيَكُمْ اي عملكم
لَشَتّٰى جواب القسم والمعنى ان اعمالكم لمختلفة فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية ويجوز ان
يكون نعتا وقا كما قيل في نظائره المتقدمة وشتى واحده شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف
شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه اي ان عملكم المتباعد بعضه من بعض لشتى لان بعضه
ضلال وبعضه هدى اي فيكم مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى اي لمختلف الجزاء فمنكم
مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل لمختلف الاخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل
قال بعض المفسرين نزلت هذه الآية في ابي بكر وابي سفيان بن حرب وروى ابو مالك الاشعري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها اي مهلكها
وقوله تعالى فَاَمَّا مَنْ اَعْطٰى اي وقع منه اعطاء على ما حددناه له وامرناه به وَاتَّقٰى اي ووقعت منه
التقوى وهي ايجاد الوقايات من الطاعات واجتناب المعاصي خوفا من سطواتنا وَصَدَّقَ بِالْحُسْنٰى
تفصيل مبين لتشتيت المساعي واختلف في الحسنى فقال ابن عباس اي بلا اله الا الله وقال مجاهد
بالجنة لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وقال زيد بن اسلم الصلوة والزكوة والصوم فَسَنُيَسِّرُهٗ
اي نهيئه بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه لِلْيُسْرٰى اي لاسباب الخير والصلاح حتى يسهل
عليه فعلها وقال زيد بن اسلم لليسرى اي للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منفوسة
الا كتب الله تعالى مدخلها فقال القوم يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال صلى الله عليه وسلم
بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فانه ميسر لعمل اهل السعادة واما من
كان من اهل الشقاوة فانه ميسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى وَاَمَّا مَنْ بَخِلَ اي اوجد هذه الحقيقة الخبيثة فمنع ما امر به وندب اليه وَاسْتَغْنٰى
اي طلب الغنى عن الناس وعما وعد به من الثواب او وجده بما زعمت له نفسه الخائنة

وظنونه الكاذبة فلم يحسن الى الناس ولا عمل للعقبى وَكَذَّبَ اى اوقع التكذيب لمن يستحق
التصديق بِالْحُسْنَى اى فانكرها وكان عامدا مع المحسوسات كالبهائم فَسَنُيَسِّرُهُ اى نهيئه
لِلْعُسْرَى اى للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار وعن ابن عباس قال نزلت فى امية
بن خلف وعنه فسنيسره للعسرى اى سأحول بينه وبين الايمان بالله ورسوله وعنه ايضا واما
من بخل اى بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اى بالخلف الذى وعده الله تعالى فى قوله
سبحانه وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وقال مجاهد وكذب بالحسنى اى بالجنة وعنه بلا اله
الا الله ويجوز فى ما فى قوله تعالى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ ان تكون نافية اى لا يغنى عنه ماله شيئا
وان تكون استفهاما انكاريا اى اىّ شئ يغنى عنه ماله إِذَا تَرَدَّى قال ابو صالح اى اذا سقط
فى جهنم وقيل هو كناية عن الموت كما قال القائل شعر نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداءان تطوى
فيهما وحنوط * ولما عرفهم سبحانه ان سعيهم شتى وبين ما للمحسنين من اليسرى وما للمسيئين
من العسرى اخبرهم بان عليه بيان الهدى من الضلال بقوله تعالى إِنَّ عَلَيْنَا اى بما لنا من
القدرة والعظمة لَلْهُدَى اى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا فنبين طريق
الهدى من طريق الضلال ليمتثل امرنا بسلوك الاول ونهينا عن ارتكاب الثانى وقال الفراء معناه
ان علينا للهدى والاضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو معنى قول ابن عباس
يريد ارشد اوليائى للعمل بطاعتى واحول بين اعدائى ان يعملوا بطاعتى وهو معنى الاضلال وقيل
معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله تعالى سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل
وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى اى لنا ما فى الدنيا والآخرة فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء فمن
طلبهما من غيرنا فقد اخطأ الطريق وعن ابن عباس قال ثواب الدنيا والآخرة وهو كقوله تعالى
من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فَأَنْذَرْتُكُمْ اى حذرتكم وخوفتكم يا ايها المخالفون
للطريق الذى بينته نَارًا تَلَظَّى حذف احدى التاءين من الاصل اى تتلهب وتتوقد وتتوهج يقال تلظت
النار تلظيا ومنه سميت جهنم لظى وقرأ البزى فى الوصل بتشديد التاء وهو عسر لالتقاء الساكنين
على غير حده وهو نظير قوله تعالى اذ تلقونه والباقون بغير تشديد لَا يَصْلَاهَا اى لا يقاسى شدتها
على طريق اللزوم والانغماس إِلَّا الْأَشْقَى اى الذى هو فى الذروة من الشقاوة وهو الكافر فان
الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله تعالى الَّذِي كَذَّبَ
النبى صلى الله عليه وسلم وَتَوَلَّى اى عن الايمان او كذب الحق واعرض عن الطاعة او الاشقى بمعنى
الشقى كقوله لست فيها باوحد اى بواحد والحصر مؤول لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فيكون المراد الصلى المؤبد وَسَيُجَنَّبُهَا اى النار الموصوفة بوعد لا خلف فيه الْأَتْقَى اى الذى اتقى
الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك على التفسير الاول
ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها ولا يخالف الحصر السابق ولا

معنى التقى على وزان ما مرّ الذي يؤتي ماله اي يصرفه في وجوه الخير لقوله تعالى يتزكى فانه بدل
من يؤتي او حال من فاعله فعلى الاول لا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلة لا محل لها وعلى
الثاني محله نصب قال البغوي يعني ابا بكر الصديق رضي الله عنه في قول الجميع قال ابن الزبير
كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه اي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهري
اريد فانزل الله تعالى وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد ابن اسحق قال كان بلال لبعض
بني جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن
خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع
على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك احد احد قال محمد
بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه قال مرّ به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار
ابي بكر في بني جمح فقال لامية الا تتقي الله تعالى في هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما
ترى قال ابو بكر افعل عندي غلام اسود اجلد منه وهو على دينك اعطيكه قال قد فعلت فاعطاه
ابو بكر غلامه واخذه فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر وبلال
سابعهم وهم عامر بن هبيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا واعتق ام عميس
فاصيب بصرها حين اعتقها فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا
وبيت الله ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى بصرها واعتق النهدية وابنتها
وكانتا لامرأة لبني عبد الدار فمرّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول لهما والله
لا اعتقكما ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت
بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ومرّ بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فاعتقها
وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال اتبيعه قال نعم ابيعه بنسطاس عبد
لابي بكر صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون
ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما قال له امية ابيعه بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به وروى
الضحاك عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمرّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال
احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر يا ابا بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف
ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به
الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر
ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله تعالى وما لاحد عنده اي ابي بكر من نعمة تجزى اي يد يكافئه
عليها وقوله تعالى الا ابتغاء استثناء منقطع اي لم يفعل ذلك مجازاة لاحد بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء
وجه ربه اي المحسن اليه الاعلى وطلب رضاه ويجوز ان يكون منصوبا على معنى مفعول له لا يؤتي
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى اي بما يعطى من الثواب في الجنة

قوله ابن هبيرة هكذا في النسخ والذي في حاشية الجمل ابن فهيرة بالفاء اهـ والعاء اهـ

ا ع

وروى عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابابكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا والاية تشمل من فعل مثل فعله فيبعد عن النار ويثاب وقرأ حمزة والكسائي يغشى تجلى والانثى لشتى من اعطى واتقى وصدق بالحسنى واستغنى بالحسنى تردى للهدى والاولى تلظى الاشقى وتولى الاتقى يتزكى تجزى الاعلى يرضى بالامالة محضة في جميع ذلك واماال ورش جميع ذلك بين بين والفتح عنه قليل وله في من اعطى الفتح وبين اللفظين سواء واماال ابوعمرو بين بين الا من اعطى لانه ليس براس اية والباقون بالفتح وقرأ ابوبكر وحمزة والكسائي لليسرى للعسرى بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح واماال حمزة والكسائي يصلاها محضة ولورش الفتح وبين اللفظين واذا فتح غلظ اللام واذا اماال رققها واما الاشقى والاتقى فلا يماال الا في الوقف دون الوصل وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر حديث موضوع

سورة والضحى مكية

وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا ولما نزلت كبر النبي صلى الله عليه وسلم فسن التكبير اخرها وروى الامر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها وهو الله اكبر او لا اله الا الله والله اكبر

بسم الله الملك ذي الجلال والاكرام الرحمن الذي عم بنعمته الخاص والعام الرحيم الذي خص اهل وده باتمام الانعام وقوله تعالى والضحى قسم وقدم الكلام على ذلك وخصه بالقسم لانها الساعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام والقى السحرة فيها سجدا وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقال البغوي اراد النهار كله بدليل انه قابله بالليل في قوله تعالى والليل اي الذي به تمام الصلاح اذا سجى اي سكن وركد ظلامه يقال ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجى البحر سكنت امواجه وطرف ساج فاتر وقال قتادة قسم بالضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى وبليلة المعراج التي عرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل ما الحكمة في انه تعالى قدم هنا الضحى وفي السورة التي قبلها الليل اجيب بان لكل منهما اثرا عظيما في صلاح العالم ولليل فضيلة السبق لقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة النور فقدم سبحانه هذا تارة وهذا اخرى كالركوع والسجود في قوله تعالى اركعوا واسجدوا وقوله تعالى واسجدي واركعي مع الراكعين او انه قدم الليل في سورة ابي بكر لان ابابكر سبقه كفر وقدم الضحى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم لانه نور محض ولم يتقدمه ذنب او ان سورة والليل سورة ابي بكر وسورة والضحى سورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم انه لا واسطة بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين ابي بكر رضي الله تعالى عنه فان قيل ما الحكمة في كونه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته اجيب بان في ذلك

اشارة الى ان ساعة من نهار توازن جميع الليل كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم يوازن جميع
الانبياء عليهم السلام وايضا الضحى وقت السرور والليل وقت الوحشة ففيه اشارة الى ان
سرور الدنيا اقل من شرورها وان هموم الدنيا ادوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات
ويروى ان الله تعالى لما خلق العرش اظلت غمامة سوداء ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري السرور
ساعة فلهذا ترى الهموم والاحزان دائمة والسرور قليلا ونادرا وقدم ذكر الضحى واخر الليل لانه
يشبه الموت وقوله تعالى مَا وَدَّعَكَ اى تركك يا اشرف الرسل تركا تحصل به فرقة كفرقة المودع
ولو على احسن الوجوه الذى هو مراد المودع رَبُّكَ اى المحسن اليك جواب القسم وَمَا قَلٰى اى
وما ابغضك بغضا ما وتركت الكاف لانه راس اية كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
اى الله + تنبيه + اختلفوا فى سبب نزول هذه الاية على ثلاثة اقوال احدها ماروى البخارى
عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتين او ثلاثا فجاءت
ام جميل امرأة ابى لهب فقالت يا محمد انى لارجوان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين
او ثلاث فنزلت ثانيها ماروى ابو عمرو قال ابطأ جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم
حتى شق عليه فجاء وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وانزل عليه الاية ثالثها ماروى ان خولة
كانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث
النبى صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحى فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث فى بيتى ان
جبريل عليه السلام لا ياتينى قالت خولة فكنست فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت
فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبى الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحى
استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثرينى فانزل الله تعالى هذه السورة + ولما نزل جبريل عليه السلام
ساله النبى صلى الله عليه وسلم عن التاخير فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة رابعها
ماروى ان اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح وذى القرنين واصحاب الكهف فقال
صلى الله عليه وسلم ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحى الى ان نزل جبريل عليه السلام
بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه وفى هذه القصة
نزلت ما ودعك ربك واختلفوا فى مدة احتباس الوحى عنه فقال ابن جريج اثنا عشر يوما وقال ابن عباس
خمسة عشر يوما وقال مقاتل اربعون يوما قالوا وقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فانزل الله
تعالى هذه السورة فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل
عليه السلام انى كنت اليك اشد شوقا ولكنى عبد مامور وانزل الله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك
وَلَلْاٰخِرَةُ التى هى المقصود من الوجود بالذات لانها باقية خالصة عن شوائب الكدر خَيْرٌ لَّكَ اى
لما فيها من الكرامات لك مِنَ الْاُوْلٰى اى الدنيا الفانية التى لا سرور فيها خالص وقيد تعالى بقوله
سبحانه لك لانها ليست خيرا لكل احد قال البقاعى ان الناس على اربعة اقسام منهم من له

الخير في الدارين وهم اهل الطاعة الاغنياء ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم المؤمنون الفقراء وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ﴿ولسوف يعطيك﴾ اي بوعد لا خلف فيه وان تاخر وقته لما افهمته الاداة ﴿ربك﴾ اي المحسن اليك بسائر النعم في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا ﴿فترضى﴾ اي به فقال صلى الله عليه وسلم اذا لا ارضى وواحد من امتي في النار وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا وعن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني آت من عند ربي يخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات ولم يشرك بالله شيئا وعن شريح قال سمعت ابا جعفر محمد بن علي يقول انكم معشر اهل العراق تقولون ارجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي هذا موعد لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من الفتح والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبتهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما اعطاه في الآخرة من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله تعالى قال ابن عباس له في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك فان قيل ما هذه اللام الداخلة على سوف اجيب بانها لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم او ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد فبقي ان تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وان يكون اصله ولانت سوف يعطيك فان قيل ما معنى الجمع بين حرفي التاكيد والتاخير اجيب بان معناه ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لما في التاخير من المصلحة على انه تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بالحال التي كان عليها فقال جل ذكره ﴿الم يجدك﴾ وهو استفهام تقرير اي وجدك ﴿يتيما﴾ وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وقيل مات قبل ولادته ومات امه وهو ابن ثمان سنين ﴿فآوى﴾ اي بان ضمك الى عمك ابي طالب فاحسن تربيتك وعن مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن لها نظير فالمعنى الم يجدك لستة

يتيما واحدا فى شرفك لا نظير لك فآواك الله تعالى باصحاب يحفظونك ويحوطونك وهذا خلاف
الظاهر من الآية ولهذا قال الزمخشري ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك
واحدا فى قريش عديم النظير فآواك فان قيل كيف ان الله تعالى يمن بنعمه والمن بها لا يليق ولهذا ذم
فرعون فى قوله لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا اجيب بان ذلك يحسن اذا قصد به تقوية
قلبه ووعده بدوام النعمة فامتنان الله تعالى زيادة نعمة بخلاف امتنان الآدمي واختلفوا
فى قوله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ فاكثر المفسرين على انه كان ضالا عما هو عليه الآن من الشريعة
فهداه الله تعالى اليها وقيل الضلال بمعنى الغفلة كقوله تعالى لا يضل ربى ولا ينسى اى لا يغفل
وقال تعالى فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال الضحاك
المعنى لم تكن تدرى القرآن وشرائع الاسلام فهداك الى القرآن وشرائع الاسلام وقال السدى
وجدك ضالا اى فى قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك او فهداك الى ارشادهم وقيل وجدك
ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ناسيا شان الاستثناء حين سئلت عن اصحاب الكهف
وذى القرنين والروح فذكرك كقوله تعالى ان تضل احداهما وقيل وجدك طالبا للقبلة فهداك
اليها كقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية ويكون الضلال بمعنى الطلب لان الضال
طالب وقيل وجدك ضائعا فى قومك فهداك اليهم ويكون الضلال بمعنى المحبة كما قال تعالى
قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم اى فى محبتك قال الشاعر ؎ هذا الضلال اشاب منى المفرقا
+ والعارضين ولم اكن متحققا + عجبا لعزة فى اختيار قطيعتى + بعد الضلال فحبلها قد اخلقا +
وروى الضحاك عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير
فرآه ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه ابى طالب فى قافلة ميسرة عبد خديجة فبينما هو راكب
ذات ليلة مظلمة ناقة فجاء ابليس فاخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام
فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الحبشة ورده الى القافلة فمن الله تعالى عليه بذلك
وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدرى من انت فعرفك نفسك وحالك وقال كعب ان حليمة
لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت
عند باب مكة هنيالك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك النور والبهاء والجمال قالت فوضعته لاصلح
شأنى فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم اره فقلت معشر الناس اين الصبى فقالوا لم نر شيئا
فصحت وامحمداه فاذا شيخ فان يتوكأ على عصا فقال اذهبى الى الصنم الاعظم فان شاء ان يرده اليك
فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم
ان ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا
ايها الشيخ فهلاكنا على يد محمد فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه

على مهل فانحشرت قريش الى عبد المطلب وطلبوه فى جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب
بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى ان يرده وقال شعر يا رب رد ولدى محمدا * اردده ربى
واصطنع عندى يدا فسمعوا مناديا ينادى من السماء معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله
ولا يضيعه وان محمدا بوادى تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا
النبى صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وفى رواية ما زال عبد المطلب
يردد البيت حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول الا تدرى
ماذا جرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم فقال انى انخت الناقة واركبته خلفى فابت الناقة ان تقوم
فلما اركبته امامى قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى
عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقيل وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك
جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة
منفردة من الارض لا شجر معها سموها ضالة فيهتدى بها الى الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم ووجدك ضالا اى لا احد على دينك بل انت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق الى
وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره فقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى وجد
قومك ضلالا فهداهم بك وقيل غير ذلك قال الزمخشرى ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة
فان اراد انه كان على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على كفرهم ودينهم فمعاذ الله
والانبياء عليهم الصلوة والسلام يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر
الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ وكفى بالنبى نقيصة
عند الكفار ان يسبق له كفر ووجدك عائلا اى فقيرا فاغنى قال مقاتل فرضاك بما اعطاك
من الرزق واختاره الفراء وقال لم يكن غنى عن كثرة المال ولكن الله تعالى ارضاه بما اعطاه وذلك
حقيقة الغنى وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس وقال صلى الله
عليه وسلم قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وقيل اغناك بمال خديجة وتربية ابى طالب
ولما اختل ذلك اغناه بمال ابى بكر ولما اختل ذلك امره بالجهاد واغناه بالغنائم روى الزمخشرى انه
صلى الله عليه وسلم قال جعل رزقى تحت ظل رمحى وقال الرازى العائل ذو العيلة ثم اطلق على الفقير
ويجوز ان يراد ووجدك ذا عيال لا تقدر على التوسعة عليهم فاغناك بما جعل لك من ربح التجارة
ثم من كسب الغنائم وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سألت ربى مسئلة وددت انى لم اكن سألته قلت يا رب انك آتيت سليمان بن داود
ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فآويتك قلت بلى يا رب قال
الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال الم اجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى يا رب وفى رواية
الم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يا رب ثم اوصاه باليتامى والمساكين

والفقراء فقال تعالى ﴿فأما اليتيم﴾ أي هذا النوع ﴿فلا تقهر﴾ قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقال الفراء لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت العرب تفعل في أموال اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال بإصبعيه أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير بإصبعيه. تنبيه: اليتيم منصوب بتقهر وبه استدل ابن مالك على أنه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل ألا ترى أن اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجازم ولو تقدم على لا لامتنع لأن المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على جاره وفي الآية دلالة على اللطف باليتيم وبره والإحسان إليه وقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما وكان في نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة وقال من مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال قتادة كن لليتيم كالأب الرحيم فإن قيل ما الحكمة في أن الله تعالى اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم اليتم أجيب بوجوه أحدها أن يعرف حرارة اليتم فيرفق باليتيم ثانيها يشاركه في الاسم فيكرمه لأجل ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ووسعوا له في المجلس ثالثها ليعتمد من أول عمره على الله تعالى فيتشبه بإبراهيم عليه السلام في قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي رابعها أن اليتيم تظهر عيوبه فلما لم يجدوا عيبا لم يجدوا فيه مطعنا خامسها جعله يتيما ليعلم كل أحد أن فضيلته ابتداء من الله تعالى لا من تعليم لأن من له أب فإنه يؤدبه ويعلمه سادسها اليتم والفقر نقص في العادة فكونه صلى الله عليه وسلم مع هذين الوصفين من أكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فيكون معجزة ﴿وأما السائل﴾ أي الذي أخرجته الحاجة أو غيرها إلى السؤال ﴿فلا تنهر﴾ أي فلا تزجر يقال نهره وانتهره إذا زجره وأغلظ عليه القول ولكن رده ردا جميلا قال إبراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي السائل بريدنا إلى الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول هل تبعثون إلى أهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل هنا الذي يسأل عن الدين وروى الزمخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره وقيل أما إنه ليس السائل المستجدي ولكن طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره ﴿وأما بنعمة ربك﴾ أي المحسن إليك بالنبوة وغيرها ﴿فحدث﴾ بها فإن التحدث بها شكرها وإنما يجوز لغيره صلى الله عليه وسلم مثل هذا إذا قصد به اللطف وأن يقتدي به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن في الذكر إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى والمعنى أنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله تعالى بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله تعالى في أن هداه من الضلالة وقال مجاهد تلك النعمة هي القرآن والتحديث به أن يقرأه ويقرئ غيره وعنه أيضا تلك النعمة هي النبوة أي بلغ ما أنزل إليك من ربك وقيل

النعمة هي ان وفقك الله سبحانه وتعالى فراعيت حق اليتيم والسائل تحدث بها ليقتدي بك غيرك وعن الحسن بن علي قال اذا عملت خيرا فحدث به اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا لا يحسن الا اذا لم يتضمن رياء وظن ان غيره يقتدي به كما علم مما مرّ وروي ان شخصا كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأى رث الثياب فقال له صلى الله عليه وسلم الك مال قال نعم فقال له صلى الله عليه وسلم اذا اتاك الله مالا فلير اثره عليك وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة على عبده فان قيل ما الحكمة في ان الله تعالى اخر حق نفسه عن حق اليتيم والسائل اجيب بكانه يقول انا غني وهما محتاجان وحق المحتاج اولى بالتقديم واختار قوله سبحانه وتعالى فحدث على قوله تعالى فاخبر ليكون ذلك حديثا عنه لا ينساه ويعيده مرة بعد اخرى وقرأوا الضحى سجى قلى الاولى فترضى فاوى فهدى فاغنى حمزة والكسائي بامالة محضة لكن حمزة لم يمل سجى وامال ورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح وروى ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بلغ الضحى كبر بين كل سورتين الى ان يختم القران ويفصل بينهما بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه السورة فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر قال مجاهد قرأت على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فامرني به واخبرني صلى الله عليه وسلم امره به وبعض القراء لا يكبر لان ذلك ذريعة الى الزيادة في القران وقال القرطبي القران ثبت نقله بالتواتر سوره واياته وحروفه بلا زيادة ولا نقصان فالتكبير ليس بقران وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل حديث موضوع

سورة الم نشرح مكية

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف

بسم الله الظاهر الباطن الملك العلام الرحمن الذي عم المخلوقين بالانعام الرحيم الذي خص اولياءه بدار السلام وقوله تعالى الم نشرح استفهام تقرير اي شرحنا بما يليق بعظمتنا لك يا اشرف الخلق صدرك بالنبوة وغيرها حتى وسع مناجاتنا ودعوة الخلق او فسحناه بما اودعنا فيه من الحكم والعلوم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي كان يكون منه العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم في صباه او في يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما فان قيل لم قال تعالى صدرك ولم يقل قلبك اجيب بان محل الوسوسة هو الصدر كما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازال تلك الوسوسة وابدلها بدواعي الخير فلذلك خص الشرح بالصدر دون القلب وقال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة والشيطان يجيء الى الصدر الذي

هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا اغار فيه وثبت جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص
فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة فاذا طرد العدو في الابتداء حصل
الامن وانشرح الصدر فان قيل لم قال تعالى الم نشرح لك صدرك ولم يقل الم نشرح صدرك اجيب
بوجهين احدهما كانه تعالى يقول لام بردم فانت انما تفعل جميع الطاعة لاجلي وانا ايضا جميع
ما افعله لاجلك ثانيهما ان فيه تنبيها على ان منافع الرسالة عائدة اليك لاجلك لا لاجلي
واختلف في قوله تعالى وَوَضَعْنَا اي بما لنا من العظمة عَنْكَ وِزْرَكَ فقال الحسن ومجاهد
حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهو قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر وقال الحسين بن الفضل يعني الخطأ والسهو وقيل ذنوب امتك واضافها اليه لاشتغال
قلبه بها الَّذِي أَنْقَضَ اي اثقل ظَهْرَكَ قال ابو عبيدة خففنا عنك اعباء النبوة والقيام بها
حتى لا تثقل عليك وقيل كان في الابتداء يثقل عليه الوحي حتى يكاد يرمي نفسه من شاهق الى ان
جاءه جبريل عليه السلام وازال عنه ما كان يخاف من تغير العقل وقيل عصمناك من احتمال
الوزر وحفظناك قبل النبوة في الاربعين من الادناس حتى نزل عليك الوحي وانت مطهر وَرَفَعْنَا
اي بما لنا من القدرة التامة لَكَ ذِكْرَكَ روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال يقول الله عز وجل لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر و
يوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة وايام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح
ومشارق الارض ومغاربها ولو ان رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد ان
محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقيل اعلينا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء
قبلك وامرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء
وفي الارض عند المؤمنين ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات وقال
الضحاك لا تقبل صلوة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يعني التاذين وفيه يقول حسان
بن ثابت شعر اغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد * وضم الاله اسم النبي
الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن اشهد * وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا
محمد * وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل عام
في كل ما ذكر وهذا اولى وكم من موضع في القرآن يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز وقوله تعالى واطيعوا
الله واطيعوا الرسول ولما كان المشركون يعيرونه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة
حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم ذكره ما انعم الله به عليه من
جلائل النعم ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة فقال تعالى فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ اي ضيق الصدر
والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يُسْرًا اي كالشرح والوضع والتوفيق

للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك فان مع العسر الذي انتم فيه يسرا
فان قيل ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب العسر واليسر اجيب بان الله تعالى اراد ان يصيبهم بيسر
بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة
في التسلية وتقوية القلوب وقوله تعالى ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ استئناف وعد الله تعالى بان العسر
متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك للصائم فرحة ثم فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء
الرب ويجوز ان يراد باليسرين ما تيسر من الفتوح في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في
ايام الخلفاء وقيل تكرير فان قيل ما معنى قول ابن عباس رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله
عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول
لن يغلب عسر يسرين اجيب بان هذا حمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله لا يحمل الا على
اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر
في قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما تكرر المفرد في
قولك زيد زيد وان تكون الاولى عدة بان العسر مردف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بان
العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه
للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا
واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان
الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال او بان لن يغلب
عسر الدنيا اليسر الذي وعد الله المؤمنين فيها واليسر الذي وعدهم في الآخرة انما يغلب احدهما
وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم غير زائل اي لا يجتمعان في الغلبة كقوله صلى الله عليه وسلم
شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقصان فان قيل فما معنى هذا التنكير اجيب بانه للتفخيم
كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو كان العسر في جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه وللطبراني عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو كان العسر في جحر لدخل اليسر حتى يخرجه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية
ولما عدد تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السابقة ووعده الآتية حثه على الشكر والاجتهاد
في العبادة بقوله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما فرغت من صلاتك المكتوبة
﴿فَانْصَبْ﴾ اي انصب في الدعاء وقال ابن مسعود رضي الله عنه فاذا فرغت من الفرائض فانصب
في قيام الليل وقال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقال الحسن وزيد بن اسلم
اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وصل وقال ابن حيان عن الكلبي اذا فرغت
من تبليغ الرسالة فانصب اي استغفر لذنبك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني اكره ان
ارى احدكم فارغا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة ﴿وَإِلَى رَبِّكَ﴾ اي المحسن اليك بفضائل النعم

خصوصا بما ذكر في هاتين السورتين فارغب اى اجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقيل تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار عصمنا الله تعالى واحبابنا منها بمحمد صلى الله عليه وسلم واله وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى حديث موضوع

سورة والتين والزيتون مكية

وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة مدنية وهى ثمان ايات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفا

بسم الله الذى له الملك كله الرحمن الذى وسع الخلائق عدله الرحيم الذى خص اولياءه بتوفيقه فظهر عليهم جوده وفضله وقوله تعالى والتين والزيتون قسم وتقدم ان الله اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة روى انه اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هى سواكى وسواك الانبياء من قبلى وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم هذا الذى تاكلون وزيتونكم هذا الذى تعصرون منه الزيت وقال عكرمة هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال الضحاك مسجدان بالشام وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وحسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين اى الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه عز وجل وسينين وسينا اسمان للموضع الذى هو فيه فاضيف الجبل الى المكان الذى هو فيه وقال مقاتل والكلبى سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط ولم ينصرف سينين كما لا ينصرف سينا لانه جعل اسما للبقعة او الارض ولو جعل اسما للمكان او للمنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام وهى الارض المقدسة وقد بارك فيها قال الله تعالى الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله ولا يجوز ان يكون سينين نعتا للطور لاضافته اليه وهذا البلد الامين اى الامن من امن الرجل امانة فهو امين وهى مكة حرسها الله تعالى لانها الحرم الذى يامن الناس فيه فى الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد ورقه اى شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد او المامون فيه يامن فيه من دخله قال الزمخشرى ومعنى القسم بهذه

الاشياء لا ابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر منها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم عليه السلام ومولد عيسى عليه السلام ومنشؤه والطور المكان الذى نودى منه موسى عليه السلام ومكة البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه اه وقوله تعالى لَقَدْ خَلَقْنَا اى قدرنا واوجدنا بما لنا من العظمة والقدرة التامة الْإِنْسَانَ جواب القسم والمراد بالانسان الجنس الذى جمع فيه الشهوة والعقل وفيه من الانس بنفسه ما ينسيه اكثر مهمه الشامل لآدم عليه السلام وذريته وقيل نزلت فى منكرى البعث وقيل فى الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد وقوله تعالى فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ صفة لمحذوف اى فى تقويم احسن تقويم وقال ابو البقاء فى احسن تقويم فى موضع الحال من الانسان واراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل وذاك وصف للخالق لا للمخلوق ويجوز ان يكون التقدير فى احسن قوام التقويم فحذف المضاف ويجوز ان تكون فى زائدة اى قومناه احسن تقويم اه واحسن التقويم اعدله لانه تعالى خلق كل شئ منكبا على وجهه وخلق الانسان مستويا وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بها قال ابن العربى ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الله تعالى وعبر عنها بعض العلماء ووقع البيان بقوله ان الله تعالى خلق آدم على صورته يعنى على صفاته المتقدم ذكرها وفى رواية على صورة الرحمن ومن اين يكون للرحمن صورة شخصية فلم تكن الا معانى روى ان عيسى بن يوسف الهاشمى كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكونى احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتنى فبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر فاستحضر الفقهاء واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا واحدا من اصحاب ابى حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور مالك لا تتكلم فقال الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم يا امير المؤمنين فالانسان احسن الاشياء ولا شئ احسن منه فقال المنصور لعيسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك فارسل المنصور اليها ان اطيعى زوجك فما طلقك وهذا يدل على ان الانسان احسن خلق الله تعالى ولذلك قيل انه العالم الاصغر اذ كل ما فى المخلوقات جمع فيه ثُمَّ رَدَدْنَاهُ اى بعض افراده بما لنا من القدرة الكاملة أَسْفَلَ سَافِلِينَ اى الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير اسفل من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وكل بصره وسمعه وكانا حديدين وتغير كل شئ منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشبابه هرم وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض فقوله تعالى إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا اى تصديقا لذلك بما اقام الايمان الصَّالِحَاتِ اى الطاعات استثناء متصل على الثانى على ان المعنى رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى اقبح من قبح صورة

واشنوهه خلقة وهم اهل النار واسفل من سفل من اهل الدركات فالاتصال هذا واضح وعلى الاوّل منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فَلَهُمْ اي فتسبب عن ذلك ان كان لهم اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُوْنٍ اي ثواب دائم غير منقطع على طاعاتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى لهم بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم وفي الحديث اذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر ثم قال تعالى الزاما للحجة فَمَا يُكَذِّبُكَ اي ايها الانسان بالكافر بَعْدُ اي بعد ما ذكر من خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يستوي ويكمل ويصير في احسن تقويم ثم يرد الى ارذل العمر الدال على القدرة على البعث فيقول ان الذي فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما سبب تكذيبك ايها الانسان بِالدِّيْنِ اي الجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون المعنى فالذي يكذبك فيما تخبر به من الجزاء او البعث بعد هذه العبر التي يوجب النظر فيها صحة ما قلت وقوله تعالى اَلَيْسَ اللّٰهُ اي الملك الاعظم على ماله من صفات الكمال بِاَحْكَمِ الْحٰكِمِيْنَ اي باقضى القاضيين وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله وفي الحديث من قرأ التين الى آخرها فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين مادام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة حديث موضوع

سورة العلق مكية

وهي عشرون اٰية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وسبعون حرفا

بِسْمِ اللّٰهِ الذي له صفة الكمال المستحق للالهية الرَّحْمٰنِ الذي عم جوده سائر البرية الرَّحِيْمِ الذي خص اهل طاعته بالطافه السنية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ان اوّل سورة نزلت من القرآن اِقْرَاْ بِاسْمِ رَبِّكَ واوّل ما نزل خمس اٰيات من اولها الى قوله تعالى ما لم يعلم وعن عائشة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها انها قالت اوّل ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء ويتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وفي رواية حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له اقرأ قال ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد ابن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله تعالى ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني اكون فيها جذعا يا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم فقال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل عليه السلام فقال له يا محمد انك لرسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك ففي هذا الحديث دليل صحيح على ان سورة اقرأ اول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر اول ما نزل من القرآن وعلى من قال ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم وهذا الحديث من مراسيل الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فياتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية فبدئ باوائل علامة النبوة توطئة للوحي وتنبيه ومحل باسم ربك النصب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك او مستعينا به قل بسم الله ثم اقرأ وقال ابو عبيدة مجازه اقرأ اسم ربك يعني ان الباء زائدة والمعنى اذكر اسمه امر ان يبتدئ القراءة باسم الله تعالى تأدبا وقيل الباء بمعنى على اي اقرأ على اسم ربك كما في قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها قاله الاخفش فان قيل كيف قدم هذا الفعل على الجار وقد مر تأخيره في بسم الله الرحمن الرحيم اي على سبيل الاولوية كما في اياك نعبد واياك نستعين ولانه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود لذاته فيقدم ذكرا اجيب بان هذا في ابتداء القراءة وتعليم لما امر بها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى اهم في نفسه وذكرت اجوبة عن هذا في مقدمتي على البسملة والحمدلة وقوله تعالى الذي خلق يجوز ان لا يقدر له مفعول ويراد انه الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه وان يقدر له مفعول ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله تعالى خلق الانسان اي هذا الجنس الذي من شانه الانس بنفسه وما رأى من اخلاقه وحسنه وما الفه من ابناء

جنسه تخصيص بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد الذى خلق الانسان كما قال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذى خلق مبهما ثم فسره بقوله تعالى خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته وقوله تعالى مِنْ عَلَقٍ جمع علقة وهى الدم الجامد فاذا جرى فهو المسفوح + ولما كان الانسان اسم جنس فى معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الآى ايضا وقوله تعالى اِقْرَأْ تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلوة قال البيضاوى ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك قال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ اى الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم على عباده النعم التى لا تحصى ويحلم عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهى فى اطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فالكرمه غاية ولا امد وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم اَلَّذِىْ عَلَّمَ اى بعد العلم عن معاجلتهم بالعقاب جود امنه تعالى من غير مانع من خوف عاقبة ولا رجاء منفعة بِالْقَلَمِ اى الخط بالقلم عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموه ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولاهى لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم فى صفة القلم ؎ ورواقم رقش كمثل اراقم + قطف الخطا نيالة اقصى المدى + سود القوائم ما يجد مسيرها + الا اذا لعبت بها بيض المدى وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه تعالى وروى عبد الله بن عمر قال قلت يا رسول الله اكتب ما اسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان الله تعالى علم بالقلم ويروى ان سليمان عليه السلام سال عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة وعن عمر قال خلق الله تعالى اربعة اشياء بيده ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان وهى القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام وفيمن علم بالقلم ثلاثة اقوال احدها قال كعب اول من كتب بالقلم آدم عليه الصلوة والسلام ثانيها قال الضحاك ادريس عليه السلام ثالثها انه جميع من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى وقال القرطبى الاقلام ثلاثة فى الاصل القلم الاول الذى خلقه الله تعالى بيده وامره ان يكتب فى اللوح المحفوظ والثانى قلم الملائكة الذى يكتبون به المقادير والكوائن والثالث اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة قال بعض العلماء وانما حذرهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان فى اسكانهن الغرف تطلعا الى الرجال وليس فى ذلك تحصين لهن ولا تستر وذلك انهن لا يملكن انفسهن حتى يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة فحذرهم من ذلك وكذلك تعلم الكتابة ربما كان سببا للفتنة

لانها قد تكتب لمن تهوى والكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد الغائب والخط اشارة اليد وفيها
تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهى ابلغ من اللسان فاحب صلى الله عليه وسلم ان يقطع
عن المرأة اسباب الفتنة تحصينا لها وقوله تعالى كَلَّا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه وان
لم يذكر لدلالة الكلام عليه فانه تعالى قد عد مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان
نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته اِنَّ الْاِنْسَانَ اى هذا النوع الذى
من شانه الانس بنفسه والنظر فى عطفه لَيَطْغٰى اى من شانه الا من عصمه الله تعالى ان يزيد على الحد الذى
لا ينبغى له مجاوزته اَنْ رَّاٰهُ اى راى نفسه اسْتَغْنٰى اى وجد له الغنى بالمال وقيل ان يرتفع عن منزلته
فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى ابى جهل كان اذا زاد ماله زاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك
طغيانه وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال يا محمد
اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك
قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد خيرهم فى ذلك فان شاؤا فعلنا بهم ما ارادوا فان لم يفعلوا
فعلنا بهم كما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء لهم وقيل
ان رآه استغنى بالعشيرة والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله تعالى ان رآه كما يقال انكم لتطغون
ان رأيتم غناكم فراى علمية واستغنى مفعول ثان وان راى مفعول له اِنَّ اِلٰى رَبِّكَ اى المحسن اليك
بالرسالة التى رفع بها ذكرك لا الى غيره الرُّجْعٰى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع ففى ذلك تخويف للانسان
بان يجازى العاصى بما يستحقه وقوله تعالى اَرَءَيْتَ فى مواضعها الثلاث للتعجب الَّذِىْ يَنْهٰى اى
على سبيل التجدد والاستمرار وهو ابو جهل عَبْدًا اى من العبيد وهو النبى صلى الله عليه وسلم اِذَا صَلّٰى اى خدم
سيده الذى لا يقدر احد ان ينكر سيادته بايقاع الصلوة التى هى اعظم العبادات نزلت فى ابى جهل
وذلك انه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلوة وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقالوا نعم فقال واللات والعزى
لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب قال فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته فنكص على عقبيه وهو يتقى بيده فقيل له ما لك فقال ان بينى وبينه
خندقا من النار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة
عضوا عضوا فانزل الله تعالى هذه الآية وفى رواية لو فعله لاخذته الملائكة زاد الترمذى عيانا و
عن الحسن انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة وفائدة التنكير فى قوله تعالى عبدا الدلالة على انه
كامل العبودية كانه قيل ينهى اشد الخلق عبودية عن العبادة وهذا عين الجهل وقيل ان هذا الوعيد
يلزم كل من ينهى عن الصلوة وعن طاعة الله تعالى ولا يدخل فى ذلك المنع من الصلوة فى الدار
المغصوبة وفى الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهى عن ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولا يدخل
ايضا منع السيد عبده والرجل زوجته من صوم التطوع وقيام الليل والاعتكاف لان ذلك مصلحة الا ان ياذن

فيه السفيه والزوج أَرَءَيْتَ إِنْ كَانَ اى النهى وهو النبى صلى الله عليه وسلم عَلَى الْهُدَىٰ وقرأ
نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء وعن ورش ابدالها الفا واسقطها الكسائى والباقون بالتحقيق
وقوله تعالى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ اى الاخلاص والتوحيد للتقسيم + تنبيه + قوله تعالى ارايت تكرير
للاول وكذا الذى فى قوله أَرَءَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وهو ابو جهل وَتَوَلَّىٰ عن الايمان أَلَمْ يَعْلَمْ اى يقع له علم
يوما من الايام بِأَنَّ اللَّهَ الذى له صفات الكمال يَرَىٰ ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه
على حسب ذلك اى اعجب منه يا مخاطب فى نهيه عن الصلوة من حيث ان المنهى على الهدى امر بالتقوى
وفى وجه التعجب وجوه احدها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام اما بابى جهل واما بعمر
بن الخطاب وهو ينهى عبدا اذا صلى الثانى انه يلقب بابى الحكم فقيل ايلقب بهذا وهو ينهى عن الصلوة
فيتعجب منه ومن حيث ان الناهى مكذب متول عن الايمان الثالث انه كان يامر وينهى ويعتقد
وجوب طاعته ثم انه ينهى عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى كَلَّا ردع للناهى لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ اى عما هو فيه
واللام لام قسم لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ اى لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض
على الشئ وجذبه بشدة قال عمرو ابن معديكرب شعر قوم اذا نقع الصريخ رايتهم + ما بين ملجم
مهره او سافع + والنقع الصوت + ولما علم انها ناصية المذكور اكتفى باللام عن الاضافة والاية
وان كانت فى ابى جهل فهى عظة للناس وتهديد لمن يمنع غيره عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى
نَاصِيَةٍ بدل من الناصية قال الزمخشرى وجاز بدلها عن المعرفة وهى نكرة لانها وصفت اى كَاذِبَةٍ
خَاطِئَةٍ واستقلت بفائدة واعترض عليه بان هذا مذهب الكوفيين فانهم لا يجيزون ابدال نكرة
من معرفة الا بشرط وصفها اوكونها بلفظ الاول ومذهب البصريين لا يشترط شئ والمعنى لناخذن
بناصية ابى جهل الكاذبة فى قولها الخاطئة فى فعلها والخاطئ معاقب ماخوذ والمخطئ غير
ماخوذ ووصفت الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر فى قوله تعالى الى ربها ناظرة
وانما وصفت الناصية بالكاذبة لانه كان يكذب على الله تعالى فى انه لم يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم
وعلى رسوله فى انه ساحر وليس بنبى ووصفت بانها خاطئة لان صاحبها تمرد على الله تعالى كما
قال تعالى لا ياكله الا الخاطئون فهما فى الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى
قولك ناصية كاذب خاطئ وروى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال
الم انهك فاغلظ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتنهرنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فوالله
لاملأن عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا فانزل الله تعالى فَلْيَدْعُ اى دعاء
استغاثة نَادِيَهُ اى اهل ناديه يعنى عشيرته فهو على حذف مضاف لان النادى هو المجلس الذى
ينتدى فيه القوم قال تعالى وتاتون فى ناديكم المنكر اى يتحدثون فيه او على التجوز لانه مشتمل
على الناس كقوله تعالى واسأل القرية ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله والمعنى فليدع
عشيرته فلينتصر بهم سَنَدْعُ اى بوعد لا خلف فيه الزَّبَانِيَةَ قال ابن عباس رضى الله عنهما

يريد زبانية جهنم سموا بها لانهم يزفون أهل النار اليها بشدة جمع زبنى ماخوذ من الزبن وهو الدفع وقال الزمخشري الزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية وقال الزجاج هم الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس رضي الله عنهما لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله تعالى وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال ابو جهل انا ادعو قومي حتى يمنعوا عني ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رأيت عنده فارسا وهددني بالزبانية فلا ادري الزبانية ومال الى الفارس فخشيت منه ان ياكلني قال ابن عباس رضي الله عنهما والله لو دعا ناديه لاخذته ملائكة العذاب من ساعته وقوله تعالى كلا ردع لابي جهل اى ليس الامر على ما يظنه ابو جهل لا تطعه اى فيما دعاك اليه من ترك الصلوة كقوله تعالى ولا تطع المكذبين وقوله تعالى واسجد يحتمل ان يكون بمعنى السجود في الصلوة وان يكون سجود التلاوة في هذه السورة ويدل لهذا ما ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك الذي خلق سجدتين وهذا نص ان المراد سجود التلاوة ويدل للاول قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله تعالى كلا لا تطعه واسجد اى ودم على سجودك قال الزمخشري يريد الصلوة لانه لا يرى سجود التلاوة في المفصل والحديث عليه واقترب اي تقرب الى ربك بطاعته وبالدعاء اليه قال صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن اى فحقيق ان يستجاب لكم وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في سجوده من البكاء والتضرع حتى قالت عائشة رضي الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا وفي رواية اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء وقرأ السوسي استغنى اذا صلى على الهدى بالتقوى وتولى حمزة والكسائي جميع ذلك بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله حديث موضوع

سورة القدر مدنية

في قول اكثر المفسرين وحكى الماوردي عكسه وذكر الواحدي انها اول سورة نزلت بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا

بسم الله الملك الاعظم الذي لا يعبد الا اياه الرحمن الذي عم بجوده جميع خلقه اقصاه وادناه الرحيم الذي قرب اهل طاعته وابعد من عداهم واشقاه وقوله تعالى انا انزلناه اى بما لنا من العظمة اى القرآن فيه تعظيم له من ثلاثة اوجه احدها انه اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء

سجدة ١٤ ع

عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه وهو قوله تعالى فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ اي اعلمك يا اشرف الخلق مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ فان في ذلك تعظيما لشانها روي انه انزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحاجة اليه وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه نزل في شهر رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عليه السلام عشرين سنة ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله تعالى واسطة ولا بين جبريل وبين محمد صلى الله عليه وسلم واسطة وعن الشعبي ان ابتدأنا انزاله في ليلة القدر وقيل المعنى انزل في شانها وفضلها فليست ظرفا وانما هو كقول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في شاني ان ينزل في قرآن وسميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من امره الى السنة القابلة من امر الموت والاجل والرزق وغيره ويسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر وهذا يصلح ان يكون جمعا بين القولين في قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فانه قيل انها ليلة النصف من شعبان وقيل ليلة القدر وحينئذ لا خلاف وقيل سميت بذلك لتضيقها بالملائكة قال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقيل سميت بذلك لعظمها وشرفها وقدرها من قولهم لفلان قدر اي شرف ومنزلة قاله الازهري وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعة فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقيل لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر الى امة ذات قدر ومعنى ان الله تعالى يقدر الآجال والارزاق انه يظهر ذلك لملائكته ويامرهم بفعل ما هو من سنتهم وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد انه يحدث في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله تعالى المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر واختلفوا هل هي باقية اولا فقيل انها كانت مرة ثم انقطعت وقيل انها رفعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انها باقية الى يوم القيامة وروي عن عبد الله بن محسن مولى معاوية قال قلت لابي بكر زعموا ان ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم وعن سعيد بن المسيب انه سئل عن ليلة القدر اهي شيء كان فذهب ام هي في كل عام فقال بل هي لامة محمد صلى الله عليه وسلم ما بقي منهم اثنان واستدل من قال برفعها بقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا غفلة من هذا

القائل ففي آخر الحديث فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها
لم يأمر بالتماسها واختلفوا في وقتها فأكثر أهل العلم انها مختصة برمضان واحتجوا بقوله تعالى شهر
رمضان الذي أنزل فيه القرآن وقال تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر فوجب ان لا تكون ليلة القدر
الا في رمضان لئلا يلزم التناقض وروي عن أبيّ بن كعب انه قال والله الذي لا اله الا هو انها لفي
رمضان حلف بذلك ثلاث مرات وعن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اسمع
عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وقيل هي دائرة في جميع السنة لا تختص برمضان حتى لو علق طلاق
امرأته او عتق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تنقض سنة من حين حلف يروى ذلك عن أبي حنيفة
وعن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها وذكر عن أبي الحسن الشاذلي انه قال من اراد ان يعرف
ليلة القدر فلينظر الى غرة رمضان اي الى اوله فان كان يوم الاحد فليلة القدر ليلة تسع وعشرين
وان كان يوم الاثنين فليلة القدر احدى وعشرين وان كان يوم الثلاثاء فليلة سبع وعشرين وان
كان يوم الاربعاء فليلة تسعة عشر وان كان يوم الخميس فليلة خمس وعشرين وان كان ليلة الجمعة فليلة
سبعة عشر وان كان يوم السبت فليلة ثلاث وعشرين وعلى القول الاول هل هي في كل رمضان او في العشر
الاخير قولان اصحهما انها في كل شهره واختلفوا في اي ليلة منه فقال ابن رزين هي الليلة الاولى من رمضان
وقال الحسن البصري السابعة عشر وقال انس التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق الحادية والعشرون
وقال ابن عباس الثالثة والعشرون وقال ابيّ بن كعب السابعة والعشرون وقيل التاسعة والعشرون
وقيل ليلة الثلاثين وكل استدل على قوله بما يطول الكلام عليه والقول الثاني وهو ما عليه الاكثرون
انها مختصة بالعشر الاخير منه واستدل لذلك باشياء منها ما روي عن عبادة بن الصامت انه سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال في رمضان فالتمسوها في العشر الاواخر ومنها ما روي
عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان وعن
عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيرها
وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيا ليله وايقظ اهله
واختلفوا في انها اي ليلة من العشر هل في ليلة من ليالي العشر كله او في اوتاره فقط وهل تلزم ليلة بعينها
او تنتقل في جميعه اقوال والذي عليه الاكثر انها في جميعه ولكن ارجاها اوتاره وارجى الاوتار عند امامنا
الشافعي رضي الله عنه ليلة الحادي والعشرين او الثالث والعشرين يدل للاول خبر الصحيحين وللثاني
خبر مسلم وانها تلزم عنده ليلة بعينها وقال المزني صاحب الشافعي وابن خزيمة انها منتقلة في ليالي
العشر جمعا بين الاحاديث قال النووي وهو قوي وقال في مجموعه انه الظاهر المختار وخصها بعض العلماء
باوتار العشر الاواخر وبعضهم باشفاعه وقال ابن عباس وابيّ هي ليلة سبع وعشرين وهو مذهب
اكثر اهل العلم واستنبط ذلك بعضهم من ان ليلة القدر ذكرت ثلاث مرات وهي تسعة احرف
والواحد تسعة في ثلاثة تكون سبعة وعشرين وبعضهم استنبط ذلك من عدد كلمات السورة

وقال انها ثلاثون كلمة وفاقاد قوله تعالى هي السابع والعشرون وهي كناية عن هذه الليلة فبان انها ليلة السابع والعشرين وهو استنباط لطيف وليس بدليل كما قيل وفيها نحو الثلاثين قولا بضع وعشرون حديثا وافردت بالتصنيف وفيما ذكرناه كفاية وذكروا السبب في اخفائها عن الناس وجوها احدها انه تعالى اخفاها ليعظموا جميع السنة على القول بانها فيها او جميع رمضان على القول به او جميع العشر الاخير على القول به كما اخفى رضاه في الطاعات ليرغبوا في كلها واخفى غضبه في المعاصي ليحذروها كلها واخفى وليه في المسلمين ليعظموهم كلهم واخفى الاجابة في الدعاء ليبالغوا في الدعوات واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة ليجتهدوا في العبادة في جميع اوقاته في غير الاوقات المنهي عنها طمعا في ادراكها واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل اسمائه تعالى واخفى الصلوة الوسطى ليحافظوا على الكل واخفى التوبة ليواظب المكلف على جميع اقسامها واخفى قيام الساعة ليكونوا على وجل من قيامها بغتة ثانيها ان العبد اذا لم يتيقن ليلة القدر واجتهد في الطاعة رجاء ان يدركها فيباهي الله تعالى به ملائكته ويقول تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدماء وهذا جده واجتهاده في الليلة المظنونة فكيف ولو جعلتها معلومة فحينئذ يظهر اني اعلم ما لا تعلمون ثالثها ليجتهدوا في طلبها والتماسها فينالوا بذلك اجر المجتهدين في العبادة بخلاف ما لو عينت في ليلة بعينها لحصل الاقتصار عليها ففاتت العبادة في غيرها ثم ذكر الله تعالى فضلها من ثلاثة اوجه احدها ما ذكره بقوله سبحانه ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ اي التي خصصناها بانزالنا له فيها ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر فالعمل الصالح فيها خير منه في الف شهر ليست فيها ليلة قدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله تعالى ليلة القدر فقال تعالى ليلة القدر خير من الف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة اي فهي من خصائص هذه الامة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الناس قبله فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم فاعطاه الله تعالى ليلة القدر التي العمل فيها خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا الليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وهي افضل ليالي السنة ويدخل في ذلك ليلة الاسراء فهي افضل منها ان لم تكن ليلة الاسراء ليلة القدر كما قيل ان الاسراء كان في رمضان وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع فيكتب فيها جميع خير السنة وشرها ورزقها واجلها وبلاياها ورخائها ومعائشها الى مثلها من السنة ولا يشكل ذلك بما قيل ان الآجال تقطع من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى لما ورد ان الله تعالى يامر بنسخ ما يكون في السنة من الآجال والامراض والارزاق ونحوها في ليلة النصف من شعبان فاذا كان ليلة القدر فيسلمها

الى اربابها وقيل يقدر في ليلة النصف من شعبان الآجال والامراض وفي ليلة القدر الامور
التي فيها الخير والبركة والسلامة + الوجه الثاني من فضائلها ما ذكره الله تعالى في قوله جل ذكره
تَنَزَّلُ اي تتنزل تنزلا متدرجا متواصلا على غاية ما يكون من الخفة والسرعة بما اشار اليه حذف التاء الْمَلَائِكَةُ
اي الى الارض وروي انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وَالرُّوحُ اي
جبريل عليه السلام فِيهَا اي في الليلة ومعه اربعة الوية فينصب لواء على قبر النبي صلى الله
عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس ولواء على ظهر المسجد الحرام ولواء على ظهر طور سيناء ولا يدع
بيتا فيه مؤمن ولا مؤمنة الا دخله وسلم عليهم يقول يا مؤمن ويا مؤمنة السلام يقرئك السلام الا على
مدمن خمر وقاطع رحم واكل لحم خنزير وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة
القدر نزل جبريل عليه السلام في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر
الله تعالى وهذا يدل على ان الملائكة كلهم لا ينزلون وظاهر الآية نزول الجميع وجمع بين ذلك بما روي
انهم ينزلون فوجا فوجا كما ان اهل الحج يدخلون الكعبة فوجا بعد فوج وان كانت لا تسعهم دفعة
واحدة كما ان الارض لا تسع الملائكة دفعة واحدة ولذلك ذكر بلفظ تنزل الذي يقتضي المرة
بعد المرة اي ينزل فوج ويصعد فوج والله اعلم بذلك وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان الملائكة
في تلك الليلة اكثر من عدد الحصى وقال بعضهم الروح ملك تحت العرش ورجلاه في تخوم
الارض السابعة وله الف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفي كل رأس الف وجه وفي كل وجه الف فم
وفي كل فم الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ولكل
لسان لغة لا تشبه لغة اخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجدا مخافة
ان يحرقهم انوار افواهه وانما يسبح الله تعالى غدوة وعشية فينزل في ليلة القدر لشرفها
وعلو شانها فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الافواه كلها
الى طلوع الفجر وعن علي انه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة اسري بي ملكا رجلاه جاوزت
من الارض السابعة السفلى ورأسه من السماء السابعة العليا ومن لدن رأسه الى قدميه وجوه
واجنحة في كل وجه فم ولسان يسبح الرحمن تسبيحا لا يشبه العضو الآخر ولو امره الله تعالى ان يلتقم
السموات السبع والارضين السبع لقمة واحدة كما يلتقم احدكم اللقمة لاطاق ذلك ثم لم تكن
تلك في فيه الا كلقمة احدكم في فيه ولو سمع اهل الدنيا صوته بالتسبيح لصعقوا ما بين شحمة اذنه
الى منكبه خفقان الطير السريع سبعة الاف سنة وهو رأس الملائكة وقيل الروح طائفة من الملائكة
لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر بِإِذْنِ رَبِّهِمْ اي
بامر المحسن اليهم المربي لهم مِنْ كُلِّ أَمْرٍ اي قضاه الله تعالى فيها لتلك السنة الى قابل وتقدم
الجمع بينها وبين ليلة النصف من شعبان ومن سببية بمعنى الباء + الوجه الثالث فضائلها
ما ذكره تعالى بقوله سبحانه سَلَامٌ اي عظيم جدا وهو خبر مقدم والمبتدأ هي جعلت سلاما

لكثرة السلام فيها من الملائكة لا يمرون بمؤمن ولا مؤمنة الا سلمت عليه ويستمرون على ذلك
من غروب الشمس حتى اي الى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بكسر اللام على انه
كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق والباقون بفتحها ومن فضائلها ان من قامها غفرت
له ذنوبه ففي الصحيحين من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قال النووي في شرح
مسلم ولا ينال فضلها الا من اطلعه الله تعالى عليها فلو قامها انسان ولم يشعر بها لم ينل فضلها قال
الاذرعي وكلام المتولي ينازعه حيث قال يستحب التعبد في كل ليالي العشر حتى يحوز الفضيلة على
اليقين اهـ وهذا اولى نعم حال من اطلع اكمل اذا قام بوظائفها وعن ابي هريرة مرفوعا من صلى العشاء الاخيرة
في جماعة من رمضان فقد ادرك ليلة القدر اي اخذ حظا منها ويسن لمن رآها ان يكتمها ويسن
ان يكثر من الدعاء والتعبد في ليالي رمضان وان يكون من دعائه اللهم انك عفو كريم تحب العفو
فاعف عني ومن علاماتها ان الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها رواه مسلم عن ابي بن كعب وعن
ابن مسعود قال ان الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان الا صبيحة ليلة القدر فانها تطلع مثل
بيضاء ليس لها شعاع فان قيل لا فائدة في هذه العلامة فانها قد انقضت اجيب بانه يستحب
ان يجتهد في ليلتها ويبقى يعرفها كما مر عن الشافعي انها تلزم ليلة واحدة وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر حديث موضوع

سورة البينة

وتسمى القيمة وتسمى المنفكين مكية في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول الجمهور وهي
ثمان آيات واربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعون حرفا

بسم الله الذي لا يخرج شيء عن مراده الرحمن الذي عم بنعمه جميع عباده الرحيم الذي
خص اولياءه باسعاده ولما كان الكفار جنسين اهل كتاب ومشركين ذكرهم الله تعالى
في قوله سبحانه لم يكن الذين كفروا اي في مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال من
اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى الذين كان اصل دينهم حقا فالحدوا فيه بالتبديل
والتحريف والاعوجاج في صفات الله تعالى ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته في الفروع
وموافقته في الاصول فكذبوا والمشركين اي بعبادة الاصنام والنار والشمس
ونحو ذلك ممن هم عريقون في دين لم يكن له اصل في الحق بان لم يكن لهم كتاب تنبيه
من للبيان وقوله تعالى منفكين خبر يكن اي منفصلين وزائلين عما كانوا عليه من دينهم
انفكاكا يزيلهم عنه بالكلية بحيث لا يبقى لهم به علقة ويثبتون على ذلك الانفكاك واصل
الفك الفتح والانفصال لما كان ملتحما من فك الكتاب والختم والعظم اذا ازيل ما كان ملتصقا
او متصلا به او عن الموعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول المبشر به فان اهل الكتاب كانوا
يستفتحون به والمشركين كانوا يقسمون بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من

احدى الامم فان قيل لم قال تعالى كفروا بلفظ الماضى وذكر المشركين باسم الفاعل اجيب بان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم كانوا مصدقين بالتورية والانجيل وبمبعث محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان وذلك يدل على الثبات على الكفر وقوله تعالى حتى اى الى ان تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ متعلق بيكن او بمنفكين والبينة الاية التى هى فى البيان كالفجر المنير الذى لا يزداد بالتمادى الا ظهورا وضياء ونورا وذلك هو الرسول صلى الله عليه وسلم وما معه من الايات التى اعظمها الكتاب وهو القرآن وقوله تعالى رَسُولٌ اى عظيم جدا بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف اى سنة رسول او مبتدأ وزاد عظمته بقوله تعالى واصفا له مِّنَ اللَّهِ اى الذى له الجلال والاكرام وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه فى نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجا منيرا ولان اللام فى البينة للتعريف اى هو الذى سبق ذكره فى التورية والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهم السلام وقد يكون التعريف للتفخيم اذ هو البينة التى لا مزيد عليها والبينة كل البينة وكذا التنكير فى جمعهما الله تعالى ههنا فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى حين اثنى على نفسه ذو العرش المجيد فعال لما يريد فنكر بعد التعريف وقال ابو مسلم المراد من البينة مطلق الرسول وما معه من الايات التى اعظمها الكتاب سواء التورية او الزبور او الانجيل او القرآن وعبر بالمضارع ليتجدد البيان فى كل وقت يتجدد الرسالة والتلاوة وقال البغوى لفظه مستقبل ومعناه الماضى اى حتى اتتهم البينة وتبعه على ذلك الجلال المحلى وقوله تعالى يَتْلُوا صُحُفًا صفة الرسول او خبره والرسول صلى الله عليه وسلم وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبريل عليه السلام وهو التالى للصحف المنتسخة من اللوح التى ذكرت فى سورة عبس ولابد من مضاف محذوف وهو الوحى والصحف جمع صحيفة وهى القرطاس والمراد ما فيها عبر بها عنه لشدة المواصلة مُّطَهَّرَةً اى فى غاية الطهارة والنزاهة من كل قذر مما جعلنا لها من البعد عن الادناس بان الباطل من الشرك بالاوثان وغيرها من كل زيغ لا يأتيها من بين يديها ولا من خلفها وانها لا يمسها الا المطهرون فِيهَا اى تلك الصحف كُتُبٌ اى احكام مكتوبة قَيِّمَةٌ اى مستقيمة ناطقة بالحق والعدل الذى لا مرية فيه ليس فيه شرك ولا اعوجاج بنوع من الانواع وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ اى عما كانوا عليه وخص اهل الكتاب بالتفرق دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم يظنون بهم علما فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له ادخل فى هذا الوصف الا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ اى اتتهم البينة الواضحة والمعنى به محمد صلى الله عليه وسلم اتى بالقرآن موافقا للذى فى ايديهم من الكتاب بنعته وصفته وذلك انهم كانوا مجتمعين على نبوته فلما بعث صلى الله عليه وسلم جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من امن كقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد كان مجئ البينة يقتضى اجتماعهم على الحق لا تفرقهم

فيه وقرأ حمزة وابن ذكوان بامالة الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح + ولما كان حال من اضل على علم اشنع زاد في فضيحتهم فقال تعالى وَمَآ أُمِرُوٓا اي هؤلاء الكفار في التوراة و الانجيل إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ اي يوحدوا الاله الذي له الامر كله ولا امر لاحد غيره واللام بمعنى ان كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم وقوله تعالى مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فيه دليل على وجوب النية في العبادات لان الاخلاص من عمل القلب وهو ان يراد به وجه الله تعالى لا غيره ومن ذلك قوله اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين حُنَفَآءَ اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام واصل الحنف في اللغة الميل وخصه العرف بالميل الى الخير وسموا الميل الى الشر الحادا والحنيف المطلق الذي يكون متبرئا عن اصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع النحل الى الاعتقادات وعن توابعها من الخطا والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام التقي وعن المكروهات الى المستحبات وهو المقام الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما لا يعني الى ما يعني وهو المقام الثاني من الورع وعما يجر الى الفضول وهو مقام الزهد فالآية جامعة لمقامي الاخلاص الناظر احدهما الى الحق والثاني الى الخلق + ولما ذكر اصل الدين اتبعه الفروع وبدأ باعظمها الذي هو مجمع الدين وموضع التجرد عن العوائق فقال عز من قائل وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ اي يعدلوا من غير اعوجاج بجميع الشرائط والاركان والحدود لتصير بذلك اهلا بان تقوم بنفسها وهي من التعظيم لامر الله تعالى ولما ذكر تعالى صلة الخالق اتبعها صلة الخلائق بقوله تعالى وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ اي يدفعوها لمستحقيها شفقة على خلق الله تعالى اعانة على الدين اي لكنهم حرفوا ذلك وبدلوه بطباعهم المعوجة وتدخل الزكوة عند اهل الله تعالى في كل ما رزق الله من عقل وسمع وبصر ولسان ويد ورجل وجاه وغير ذلك كما هو واضح من قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وَذَٰلِكَ اي والحال ان هذا الموصوف من العبادة على الوجه المذكور دِينُ الْقَيِّمَةِ اي الملة المستقيمة واضاف الدين الى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا بها الى الملة وقيل الهاء للمبالغة فيه وقيل القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها اي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعوا اليه وتامر به كما قال تعالى وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال النضر بن شميل سالت الخليل بن احمد عن قوله تعالى وذلك دين القيمة فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد قال البغوي ومجاز الآية وذلك دين القائمين لله تعالى بالتوحيد ثم ذكر تعالى مآل الفريقين فقال سبحانه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اي وقع منهم الستر لمرائي عقولهم بعد صرفها للنظر الصحيح فضلوا واستمروا على ذلك وان لم يكونوا فريقين فيه مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ اي اليهود والنصارى وَالْمُشْرِكِينَ اي الفريقين في الشرك فِي نَارِ جَهَنَّمَ اي النار التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة خَـٰلِدِينَ فِيهَآ اي يوم القيامة او في الحال لسعيهم لموجباتها واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب التساوي في النوع بل يختلف بحسب اشتداد الكفر وخفته أُولَـٰٓئِكَ اي هؤلاء البعداء البغضاء هُمْ اي خاصة بما لضمائرهم من الخبث شَرُّ الْبَرِيَّةِ اي

الخليقة الذين اهملوا صلاح انفسهم وفرطوا في حوائجهم ومعادهم وهذا يحتمل ان يكون على
التعميم وان يكون بالنسبة لعصر النبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى واني فضلتكم على العالمين اى
عالمي زمانهم ولا يبعد ان يكون في كفار الامم قبل من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح ولما ذكر
تعالى الاعداء وبدا بهم لان ذلك اردع لهم اتبعه الاولياء فقال تعالى مؤكدا لما للكفار من الانكار ان
الذين آمنوا اى اقروا بالايمان وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات اى هذا النوع اولئك اى
هؤلاء العالو الدرجات هم اى خاصة خير البرية اى على التعميم او برية عصرهم يأتي فيه ما مر وقرأ نافع
وابن ذكوان بالهمز في الحرفين لانه من قولهم برأ الله الخلق والباقون بالياء المشددة بعد الراء
كالذرية ترك همزه في الاستعمال ثم ذكر ثوابهم بقوله تعالى جزاؤهم اى على طاعاتهم وعظمه بقوله
تعالى عند ربهم اى المربي لهم والمحسن اليهم جنات عدن اى اقامة لا يحولون عنها تجري
اى جريا دائما لا انقطاع له من تحتها اى تحت اشجارها وغرفها الانهار خالدين فيها اى
يوم القيامة او في الحال لسعيهم في موجباتها واكد معنى الخلود تعظيما لجزائهم بقوله تعالى
ابدا رضي الله اى بما له من نعوت الجلال والجمال عنهم اى بما كان سبق لهم من العناية
والتوفيق ورضوا عنه لانهم لم يبق لهم امنية الا اعطاهموها مع علمهم انه تفضل في جميع
ذلك لا يجب عليه لاحد شيء ولا يقدره احد حق قدره فلو اخذ الخلق بما يستحقونه لاهلكهم
كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال ابن عباس ورضوا عنه
بثواب الله عز وجل ذلك اى الامر العالي الذي جوزوا به لمن خشي ربه اى خاف المحسن اليه
خوفا يليق به فلم يركن الى التسويف والتكاسل فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير وهي
للعارفين فان الانسان اذا استشعر علما بايابته لحقته حالة يقال لها الخوف وهي انزعاج القلب عن
طمأنينته فان اشتد سمي وجلا لجولانه في نفسه فان اشتد سمي رهبا لادائه الى الهرب وهي حالة المؤمنين
القاربين الى الله تعالى ومن غلب عليه الحب لاستغراقه في شهود الجماليات لحقته حالة تسمى
مهابة ووراء هذا الخشية انما يخشى الله من عباده العلماء فمن خاف ربه هذا الخوف انفك
عن جميع ما عنده مما لا يليق بجنابه تعالى وما فارق الخوف قلبا الا خرب روى انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال ابي وسماني لك
قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فبكى ابي قال البقاعي سبب تخصيصه بذلك انه وجد اثنين من
الصحابة قد خالفاه في القراءة فرفعهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فامرهما فعرضا عليه فحسن لهما
قال فسقط في نفسي من التكذيب اشد ما يكون في الجاهلية فضرب صلى الله عليه وسلم في صدري
ففضت عرقا وكانما انظر الى الله فرقا اى خوفا ثم قص على خبر التخفيف بالسبعة الاحرف وكانت
السورة التي وقع فيها الخلاف النحل وفيها انه تعالى يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم يوم البعث شهيدا
وانه نزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وانه نزل عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا

وان اليهود اختلفوا في السبت وسورة لم يكن على قصرها حاوية اجمالا لكل ما في النحل على طولها وزيادة وفيها التحذير من الشك بعد البيان وتقسيم حال من فعل ذلك وان حاله يكون لحال الكفرة من اهل الكتاب في العناد فيكون شر البرية فقرأها صلى الله عليه وسلم عليه تذكيرا له بذلك كله على وجه ابلغ واخصر ليكون اسرع له تصورا فيكون ارسخ في النفس واثبت في القلب واعشق للطبع فاختصه الله بالتثبيت واراد له الثبات فكان من المريدين المرادين لما وصل الى قلبه بركة ضربة النبي صلى الله عليه وسلم لصدره وصار كلما قرأ هذه السورة الجامعة نائبا عن تلاوة نفسه مصغيا باذن قلبه الى روح النبوة تتلو عليه ذلك فيدوم له حال الشهود الذي وصل اليه بسر تلك الضربة ولثبوته في هذا المقام قال صلى الله عليه وسلم اقرؤكم ابي قال القرطبي وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم وقال بعضهم انما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ليعلم الناس التواضع لئلا يانف احد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة وقيل ان ابيا كان اسرع اخذا للالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراءته عليه ان ياخذ الفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليه ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لابي اذ امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقرأ عليه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا حديث موضوع

سورة الزلزلة مدنية

في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وهي ثمان
ايات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع واربعون حرفا

بسم الله المحيط بكل شيء قدرة وعلما الرحمن الذي عم الخلق بنعمته الظاهرة قسما الرحيم الذي اتم النعمة على خواصه حقيقة عينا واسما. ولما قال تعالى للمؤمنين جزاؤهم عند ربهم جنات عدن كان المكلف قال متى يكون ذلك فقيل له اذا زلزلت الارض اي حركت واضطربت لقيام الساعة فالعالمون كلهم يكونون في الخوف وانت في ذلك الوقت تسأل جزاءك وتكون امنا لقوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون زلزالها اي تحريكها الشديد المناسب لعظم جرم الارض وعظمة ذلك كما تقول اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة. ولما كان الاضطراب العظيم يكشف عن الشيء في المضطرب قال تعالى واخرجت الارض اي كلها ولم يضمر تحقيقا للعموم اثقالها اي مما هو مدفون فيها من الكنوز والاموات قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد اثقالها موتاها تخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للجن والانس الثقلان وقيل اثقالها كنوزها ومنه الحديث تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة يجيء القاتل فيقو

في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي
ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا فيعطيها الله تعالى قوة اخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة ان
تخرج النبات الصغير اللطيف الطري الذي هو انعم من الحرير فتشق الارض الصلبة التي تكل عنها المعاول
شق النواة مع ما لها من الصلابة التي استعصت بها على الحديد فتنفلق لصفين وينبت
منها ساق وما يريده سبحانه وتعالى فالذي قدر على ذلك قادر على تكوين الموتى في بطن الارض واعادتهم
على ما كانوا عليه كما يكون الجنين في البطن وينشق جميع منافذه من السمع والبصر والفم وغير ذلك
من غير ان يدخل هناك بيكار ولا منشار ثم يخرج من البطن هكذا اخراج الموتى من غير فرق كل ذلك
عليه هين سبحانه ما اعظم شانه واعز سلطانه وَقَالَ الْإِنسَانُ اي هذا النوع الصادق بالقليل والكثير
لما له من النسيان لما اكد عنده من امر البعث بما له من الانس بنفسه والنظر في عطفه على سبيل
التعجب او الدهش او الحيرة او الكافر كما يقول من بعثنا من مرقدنا فيقول له المؤمن هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون مَا لَهَا اي اي شيء ثبت للارض في هذه الزلزلة الشديدة التي لم يعهد مثلها
ولفظت ما في بطنها يَوْمَئِذٍ اي اذ كان ما ذكر من الزلزال وما لزم عنه وقوله تعالى تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
جواب اذا وهو الناصب لها عند الجمهور ومعنى تحدث اي تخبر الارض بما عمل عليها من خير او شر
يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى وقيل من قول الانسان اي يقول الانسان ما لها تحدث اخبارها
متعجبا روى الترمذي عن ابي هريرة انه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث
اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة
بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا وكذا قال فهذه اخبارها + تنبيه + في تحديثها باخبارها
ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك ثانيها ان الله تعالى يحدث فيها الكلام
ثالثها ان يكون فيها بيان يقوم مقام الكلام وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره يومئذ تحدث اخبارها
فيقول الانسان ما لها اي تخبر الارض بما عمل عليها بِأَنَّ رَبَّكَ متعلق بتحدث ويجوز ان يتعلق بنفس اخبارها
والباء سببية اي تحدث بسبب ان ربك المحسن اليك بانواع النعم أَوْحَىٰ لَهَا اي اذن لها ان تتكلم
بذلك المذكور بالقال او بالحال على ما مر قال البقاعي وعدل عن قوله اليها الى قول الله تعالى لها
ايذانا بالاسراع في الايحاء وقال البغوي اوحى لها واوحى اليها واحد وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة
وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى يَوْمَئِذٍ بدل من يومئذ قبله او منصوب
بقوله تعالى يَصْدُرُ او باذكر مقدرا اي واذكر يوم اذ كان ما تقدم وهو حين يقوم الناس من القبور
يصدر النَّاسُ اي يرجعون من قبورهم الى ربهم الذي كان لهم بالمرصاد ليفصل بينهم وقرأ حمزة
والكسائي باشمام الصاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة أَشْتَاتًا اي متفرقين
بحسب مراتبهم في الذوات والاحوال من مؤمن وكافر وآمن وخائف ومطيع وعاص
وعن ابن عباس متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة او متفرقين فاخذ ذات اليمين

الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار ليروا اى يرى الله تعالى المحسن منهم والمسئ بواسطة
من شاء من جنوده او بغير واسطة حين يكلم سبحانه كل احد من غير ترجمان ولا واسطة كما اخبر
بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم اعمالهم فيعلموا جزاءها او صادرين عن الموقف كل الى داره ليرى جزاء
عمله ثم سبب عن ذلك قوله تعالى مفصلا الجملة التى قبله فمن يعمل من محسن او مسئ مسلم او كافر
مثقال ذرة خيرا اى من جهة الخير يره اى يرى ثوابه حاضرا لا يغيب عنه شئ منه لان المحاسب له
الاحاطة علما وقدرة ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فالمؤمن يراه ليشتد سروره به والكافر لوقف ع
على عمله انه احبط لبنائه على غير اساس الايمان او على انه جوزى فى الدنيا فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه
وتنقى حسرته وعن ابن عباس من يعمل من الكفار خيرا يره فى الدنيا ولا يثاب عليه فى الآخرة ومن يعمل
مثقال ذرة من شر عوقب عليه فى الآخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر من
المؤمنين يره فى الدنيا ولا يعاقب عليه فى الآخرة اذا تاب وينجيا وعنه وان عمل مثقال ذرة من خير
يقبل منه ويضاعف فى الآخرة وفى بعض الاحاديث ان الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى
ليبين انه لا يغفل عن عمل ابن آدم صغيرا ولا كبيرا وهو كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذكر
بعض اهل اللغة ان الذر ان يضرب الرجل يديه على الارض فما علق من التراب فهو الذر وعن ابن عباس
اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحدة مما لزق من التراب ذرة وفسرها بعضهم بالنملة
الصغيرة وبعضهم بالهباءة التى ترى طائرة فى الشعاع الداخل من الكوة وقال محمد بن كعب القرظى
فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج
من الدنيا وليس له عند الله تعالى خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا
فى نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى شر ودليله ما روى انس
ان هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر يأكل فامسك وقال يا رسول الله وانا لنرى
ما عملنا من خير وشر فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما رايت فى الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر
ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة قال ابو ادريس ان مصداقه من كتاب الله عز وجل
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقال مقاتل نزلت فى رجلين احدهما كان يأتيه السائل فيستقل
ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة
ويقول انما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية لترغبهم فى القليل من الخير يعطوه ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة وتحذرهم من اليسير من الذنب
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله تعالى طالبا وقال
ابن مسعود هذه الآية احكم آية فى القرآن واصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية وقال كعب
الاحبار لقد انزل على محمد صلى الله عليه وسلم آيتان احصتا ما فى التوراة والانجيل والزبور والصحف
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان صلى الله عليه وسلم يسمى هذه الجامعة

الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما نزل على فيها شيء غير هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى مالك فى الموطأ ان مسكينا استطعم عائشة رضى الله عنها وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها يتعجب فقالت اتعجب كم ترى فى هذه الحبة من مثقال ذرة وكذا تصدق ع رضى الله عنه وانما فعلوا ذلك لتعليم الغير والافهما من كرماء الصحابة قال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه الآية فلما بلغ آخرها قال حسبى قد انتهت الموعظة + تنبيه + قوله تعالى يره جواب الشرط فى الموضعين وقرأ هشام بسكون هاء يره وصلا فى الحرفين والباقون بضمها وصلا وساكنة وقفا كسائر هاء الكناية وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله رواه الثعلبى بسند ضعيف لكن يشهد له ما رواه ابن ابى شيبة موقوفا اذا زلزلت تعدل ربع القرآن

سورة والعديت مكية

فى قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية فى قول ابن عباس وانس ابن مالك وقتادة وهى احدى عشرة آية واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا بسم الله الذى له الامر كله فلا يسئل عما يفعل الرحمن الذى نعمته اتم نعمة واشمل الرحيم الذى خص اولياءه بتوفيقه واتم نعمته عليهم واكمل وقوله سبحانه وتعالى والعديت ضبحا قسم اقسم الله سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال اح اح قال عنترة ... والخيل تكدح حين تضبح فى حياض الموت ضبحا وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات ضبحا لان الضبح يكون مع العدو او على الحال اى ضابحات والعاديات جمع عادية وهى الجارية بسرعة من العدو وهو المشى بسرعة وعن ابن عباس كنت جالسا فى الحجر فجاء رجل فسالنى عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى على رضى الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فساله وذكر له ما قلت فقال ادعه لى فلما وقفت على رأسه قال تفتى الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة فى الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قال الزمخشرى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر وما اشبه ذلك قال ابن عباس وليس شىء من الحيوان يضبح غير الفرس والكلب والثعلب ونقل غيره ان الضبح يكون فى الابل والاسود من الحيات والبوم والصدى والارنب والثعلب والفرس ثم اتبع عدوها ما ينشأ عنه فقال تعالى عاطفا باداة التعقيب فالموريت قدحا قال عكرمة والضحاك هى الخيل توقد النار بحوافرها اذا سارت فى الحجارة لاسيما مع سلوكها الاوعار وقدحا منصوب بما انتصب به ضبحا

قال الزمخشري ففيه الثلاثة اوجه المتقدمة وعن ابن عباس اورت بحوافرها غبارا وهذا
انما يناسب من فسر العاديات بالابل وقال ابن مسعود هي الابل تطأ الحصى فتخرج منه النار
واصل القدح الاستخراج ومنه قدحت العين اذا اخرجت منها الماء الفاسد وعن قتادة و
ابن عباس ايضا ان الموريات قدحا مكر الرجال في الحرب والعرب تقول اذا اراد ان الرجل
يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا هم الذين يغزون فيورون
نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم ومنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت نارها ليظنهم
العدو كثيرا قال القرطبي وهذه الاقوال مجاز كقولهم فلان يورى زناد الضلالة والاول الحقيقة
وان الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها قال مقاتل تسمى تلك النار نار ابي حباحب وابو حباحب
كان شيخا من مضر في الجاهلية من ابخل الناس وكان لا يوقد نار الخبز ولا غيره حتى تنام العيون
فيوقد نويرة تقد مرة وتخمد اخرى فان استيقظ لها احد اطفاها كراهة ان ينتفع بها احد فشبهت
العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها + ولما ذكر العدو وما يتأثر عنه ذكر نتيجته وغايته
بقوله تعالى فَالْمُغِيرَاتِ اى باغارة اهلها عليها وقوله تعالى صُبْحًا ظرف اى التى تغير وقت
الصبح يقال اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه لنهب او قتل او اسر قال الشاعر فليت لي بهم
قوما اذا ركبوا + شنوا الاغارة فرسانا وركبانا + وغار لغة فَأَثَرْنَ اى هيجن به اى بفعل الاغارة
ومكانها وزمانها من شدة العدو نَقْعًا اى غبار الشدة حركتهن او النقع الغبار + تنبيه عطف
الفعل وهو فاثرن على الاسم لانه في تاويل الفعل لوقوعه صلة لال وقال الزمخشري معطوف على
الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن
فَوَسَطْنَ بِهِ اى بذلك النقع او العدو او الوقت جَمْعًا من الاعداء اى صرن وسط العدو وهو
الكتيبة يقال وسطت القوم بالتخفيف ووسطتهم بالتشديد وتوسطتهم بمعنى واحد
وقال القرطبي يعنى جمع منى وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من
المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب فيه وفيه تعريض على من لم يحج بعد القدرة عليه كما في قوله
تعالى ومن كفر اى من لم يحج فان الله غنى عن العالمين وجواب القسم قوله تعالى إِنَّ الْإِنْسَانَ اى
هذا النوع بماله من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه لِرَبِّهِ المحسن اليه بابداعه ثم بابقائه
وتربيته لَكَنُودٌ قال ابن عباس لكفور جحود لنعم الله تعالى وقال الكلبي هو بلسان ربيعة ومضر
الكفور وبلسان كندة وحضرموت العاصى وقال الحسن هو الذى يعد المصائب وينسى
النعم وقال ابو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التى لا تنبت شيئا وفى الحديث عن ابي امامة
هو الذى ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى
انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذى انسته
الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة وَإِنَّهُ اى الانسان عَلَى ذَلِكَ

أي الكنود العظيم حيث اقدم على مخالفة الملك الاعظم المحسن مع الكفر لاحسانه لشهيد أي يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور أثره عليه أو أن الله تعالى على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد وانه أي الانسان من حيث هو لحب أي لاجل حب الخير أي المال الذي لا يعد غيره لجهله خيرا لشديد أي بخيل بالمال ضابط له ممسك عليه أو لبليغ القوة في حبه لان منفعته في الدنيا وهو متقيد بالعاجل الماضي المحسوس مع علمه بان اقل ما فيه انه يشغله عن حسن الخدمة لربه تعالى ومع ذلك فهو لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة ربه وشكر نعمته ضعيف متقاعس ثم سبب عن ذلك قوله تعالى أفلا يعلم أي هذا الانسان الذي انساه انسه بنفسه اذا بعثر أي اثير بغاية السهولة واخرج ما في القبور أي من الموتى قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت اسفله اعلاه قال محمد بن كعب ذلك حين يبعثون فان قيل لم قال ما في القبور ولم يقل من ثم قال بعد ذلك ان ربهم بهم أجيب عن الاول بان ما في الارض غير المكلفين اكثر فاخرج الكلام على الاغلب او انهم حال ما يبعثون لا يكونون احياء عقلاء بل يصيرون كذلك بعد البعث فلذلك كان الضمير الاول ضمير غير العقلاء والضمير الثاني ضمير العقلاء وحصل أي اخرج وجمع بغاية السهولة ما في الصدور من خير وشر مما يظن مضمره انه لا يعلمه احد اصلا وظهر مكتوبا في صحائف الاعمال وهذا يدل على ان النيات يحاسب عليها كما يحاسب على ما يظهر من اثارها وتخصيص الصدر بذلك لانه محل القلب ان ربهم أي المحسن اليهم بخلقهم وخلقهم وتربيتهم بهم يومئذ أي اذ كانت هذه الامور وهو يوم القيامة لخبير أي لمحيط بهم من جميع الجهات عالم غاية العلم ببواطن امورهم فكيف بظواهرها ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم والا فهو خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره فكيف ينبغي للعاقل ان يعلق اماله بالمال فضلا عن ان يؤثره على الباقي وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا حديث موضوع

سورة القارعة مكية

وهي احدى عشرة آية وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الملك الاعلى الرحمن الذي عمت نعمة ايجاده جميع الورى الرحيم الذي خص اولياءه بالتوفيق لما يحب ويرضى * ولما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته بقوله تعالى القارعة أي الصيحة او القيامة التي تقرع القلوب باهوالها والاجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار والاشياء الثابتة بالانتثار وقوله تعالى ما القارعة تهويل لشانها وهما مبتدأ وخبر خبر القارعة واكد تعظيمها اعلاما بانه مهما خطر في بالك من عظمها فهي اعظم منه فقال تعالى وما ادراك أي اعلمك ما القارعة أي انك لا تعرفها لانك لم تعهد مثلها وما الاولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لادرى واختلف في ناصب يوم في

يكون

وجهين احدهما انه بمضمر دل عليه القارعة اى تقرعهم يوم وقيل تقديره تاتى القارعة يوم
يَكُونُ النَّاسُ والثانى انه اذكر مقدرا فهو مفعول به لا ظرف وقوله تعالى كَالْفَرَاشِ
الْمَبْثُوثِ يجوز ان يكون خبرا للناقصة وان يكون حالا من فاعل التامة اى يوجدون
ويحشرون شبه الفراش شبههم فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل
جانب كما يتطاير الفراش الى النار والفراش طائر معروف قال قتادة الفراش الطير الذى
يتساقط فى النار والسراج الواحدة فراشة وقال الفراء هو الهمج من البعوض والجراد وغيرهما وبه
يضرب المثل فى الطيش والهوج يقال اطيش من فراشة وانشد واسه فراشة الحلم فرعون العذاب
وان + تطلب نداه فكلب دونه كلب + وفى امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمى
فراشا لتفرشه وانتشاره وروى مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثلكم
كمثل رجل اوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن
النار وانتم تفلتون من يدى وفى تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى منها الطيش الذى
يلحقهم وانتشارهم فى الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف والذلة والمجئ من غير ذهاب
والقصد الى الداعى من كل جهة والتطاير الى النار قال جرير ان الفرزدق ما علمت وقومه + مثل
الفراش غشين نار المصطلى + والمبثوث المتفرق وقال تعالى فى موضع اخر كانهم جراد منتشر فان قيل
كيف شبه الشئ الواحد بالصغير والكبير معا لانه شبههم بالجراد المنتشر والفراش المبثوث اجيب
بان التشبيه بالفراش فى ذهاب كل واحد الى غير جهة الاخر واما التشبيه بالجراد فبالكثرة والتتابع
وَتَكُونُ الْجِبَالُ على ما هى عليه من الشدة والصلابة وانها صخور راسخة كَالْعِهْنِ اى
الصوف المصبوغ الوانا لانها ملونة قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر وغير ذلك
الْمَنْفُوشِ اى المندوف المفرق الاجزاء فتراها لذلك متطايرة فى الجو كالهباء المنثور كما قال
تعالى فى موضع اخر هباء منبثا حتى تعود الارض كلها لا عوج فيها ولا امتا ثم سبب عن ذلك قوله
تعالى مفصلا لهم فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ اى برجحان الحسنات وفى الموازين قولان
احدهما انه جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله تعالى وهذا قول الفراء
والثانى قال ابن عباس انه جمع ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال فتوزن فيه
الصحف المكتوبة فيها الحسنات والسيئات او الاعمال انفسها فيؤتى بحسنات المؤمن
فى احسن صورة فتوضع فى كفة الميزان فاذا رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر فى اقبح
صورة فيخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على
سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها
ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه فيدخل الجنة بفضله ورحمته واما الكافر
فقد قال الله تعالى فى حقه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل

عليه السلام يوزن به اعمال بني آدم تعبير عنه بلفظ الجمع وقيل موازين لكل حادثة ميزان وقيل الموازين الحجج والدلائل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر شعر قد كنت قبل لقائكم ذا مرة + عندي لكل مخاصم ميزانه + فهو اي بسبب رجحان حسناته في عيشة اي حياة تتقلب فيها قال البقاعي ولعله الحقها بالهاء الدالة على الوحدة والمراد العيش ليفهم انها على حالة واحدة في الصفاء واللذة وليست ذات الوان كحياة الدنيا راضية اي ذات رضا او مرضية لانه جنة عالية واما من خفت اي طاشت موازينه اي غلبت سيئاته او لم تكن له حسنة لاتباعه الباطل وخفته عليه في الدنيا فامه اي التي تؤويه وتضمه اليها كما يقال للارض ام لانها تقصد لذلك ويسكن اليها كما يسكن الى الام وكذا المسكن هاوية اي نار نازلة سافلة جدا فهو بحيث لا يزال يهوي فيها نازلا فهو في عيشة ساخطة فالآية من الاحتباك ذكر العيشة اولا دليلا على حذفها ثانيا وذكر الام ثانيا دليلا على حذفها اولا والهاوية اسم من اسماء جهنم وهي المهواة لا يدرك قعرها وقال قتادة هي كلمة عربية كان الرجل اذا وقع في امر شديد يقال هوت امه وقيل اراد ام راسه يعني انهم يهوون في النار على رؤسهم والى هذا التاويل ذهب قتادة وابو صالح وروي عن ابي بكر انه قال وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباع الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف وما ادراك اي واي شيء اعلمك وان اشتد تكلفك ماهيه اي الهاوية والاصل ما هي فدخلت الهاء للسكت وقرأ حمزة في الوصل بغير هاء بعد الياء التحتية ووقف بها والباقون باثباتها وصلا ووقفا فان قيل قال هنا وما ادراك ماهيه وقال اول السورة وما ادراك ما القارعة ولم يقل وما ادراك ما الهاوية اجيب بان كونها قارعة امر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر الفرق وقوله تعالى نار حامية خبر مبتدأ مضمر اي هي اي الهاوية نار شديدة الحرارة روى مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزأ من حر جهنم قالوا وانها لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة و ستين جزأ كلها مثل حرها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة حديث موضوع

سورة التكاثر مكية

وهي ثمان آيات وثمانية وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

بسم الله ذي الجلال والاكرام الرحمن الذي عم بالايجاد بعد الاعدام الرحيم الذي خص اولياءه بتمام الانعام + ولما ختم القارعة بالشقي افتتح هذه بفعل الشقاوة ومبدأ الحشر لينزجر السامع فقال تعالى الهاكم التكاثر اي شغلكم المباهاة والمفاخرة والمكاثرة بكثرة

المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ﴿حتى زرتم المقابر﴾ اى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم فى طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت لاهمّ لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعى لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال الاخطل شعر لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد او يزور القبرا تنبيه حتى غاية لقوله تعالى الهاكم وهو عطف عليه والمعنى حتى اتاكم الموت فصرتم فى المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزائر الى منزله من جنة او نار يقال لمن مات قد زار قبره فان قيل شأن الزائر ان ينصرف قريبا والاموات ملازمون للقبور فكيف يقال انه زار القبر وايضا حتى زرتم اخبار عن الماضى فكيف يحمل على المستقبل اجيب عن الاول بان سكان القبور لابد ان ينصرفوا عنها فان كل آت قريب وعن الثانى لتحققه عبر عنه بالماضى كقوله تعالى اتى امر الله وقال ابو مسلم ان الله تعالى يتكلم بهذه السورة يوم القيامة تعييرا للكفار وهم فى ذلك الوقت قد تقدمت منهم زيارة القبور وقال مقاتل والكلبى نزلت فى حيين من قريش بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف وقالت بنو سهم ان البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادّونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا فى الجاهلية اكثر عددا والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى استوعبتم عددهم ثم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقال قتادة فى اليهود قالوا نحن اكثر من بنى فلان وبنو فلان اكثر من بنى فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا او انهم كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدى عنكم فى دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذى هو اهم واعنى من كل مهم من المقابر والمقابر جمع مقبرة بفتح الباء وضمها ويسمى سعيد المقبرى لانه كان يسكن المقابر قال القرطبى لم يأت فى التنزيل ذكر المقابر الا فى هذه السورة واعترضه ابن عادل بان الله تعالى قال فى سورة اخرى ثم اماته فاقبره وهذا ممنوع لانه قال المقابر فلفظ هذه الآية غير لفظ تلك وزيارة القبور من اعظم الادوية للقلب القاسى لانها تذكر الموت والآخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد فى الدنيا وترك الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور فتكره لهن لقلة صبرهن وكثرة جزعهن نعم زيارة النبى صلى الله عليه وسلم سنة لهن ويلحق به بقية الانبياء والاولياء والعلماء وينبغى لمن زار القبور ان يتأدب بآدابها ويحضر قلبه فى اتيانها ولا يكون حظه منها الطواف عليها فقط فان هذه حالة يشاركه فيها البهائم بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يتلوه عنده من القرآن والدعاء ويتجنب الجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر فيقول السلام عليكم

دار قوم مؤمنین وانا ان شاء الله بكم لاحقون واذا وصل الى قبر صينه الذى يعرفه سلم عليه ايضا واتاه من قبل وجهه لانه فى زيارته كمخاطبه حيا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الاهل والاحباب ويتامل حال من مضى من اخوانه كيف انقطعت امالهم ولم تغن عنهم اموالهم ومحى التراب على محاسنهم ووجوههم وافترقت فى التراب اجزاؤهم وترمل من بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتم اولادهم وانه لابد صائر الى مصيرهم وان حاله كحالهم ومآله كمآلهم وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الاية قال يقول ابن ادم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وعن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله وقرأ الهاكم حمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى كَلَّا ردع وتنبيه على انه لاينبغى للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولايهتم بدينه وقوله تعالى سَوْفَ تَعْلَمُونَ انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم وقوله تعالى ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثانى ابلغ من الاول واشد كما يقال للمنصوح اقول لك لاتفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدا من هول لقاء الله تعالى وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم وعن على كرم الله وجهه ورضى الله عنه كلا سوف تعلمون فى الدنيا ثم كلا سوف تعلمون فى الآخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين وثم على بابها من المهلة وعن ابن عباس كلا سوف تعلمون ماينزل بكم من العذاب فى القبور ثم كلا سوف تعلمون فى الآخرة اذا حل بكم العذاب فالتكرار للحالتين وروى زر بن حبيش عن على كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار الى ان قوله تعالى كلا سوف تعلمون فى القبور وقيل كلا سوف تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاءتكم رسل ربكم بنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون فى القيامة انكم معذبون وعلى هذا تضمنت احوال القيامة من بعث وحشر وعرض وسؤال الى غير ذلك من اهوال القيامة وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعنى الكفار ثم كلا سوف تعلمون ايها المؤمنون فالاول وعيد والثانى وعد ولما كان هذا امرا صادقا اشار تعالى الى انه يكفى هذه الامة الموحومة التاكيد بمرة واحدة فقال سبحانه مرددا الامرين تاكيدا الردع تاليا بالاداة الصالحة لذلك لان تكون بمعنى حقا كما يقوله ائمة القراءة كَلَّا اى ليشتد ارتداعكم عن التكاثر فانه اساس كل بلاء فانكم لَوْ تَعْلَمُونَ اى ايها الكافرون عِلْمَ الْيَقِينِ اى لو يقع لكم علم على وجه اليقين مرة من الدهر لعلمتم ما بين ايديكم فلم يلهكم التكاثر ولضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تجارون فحذف الجواب لتخوف لين هب الوهم معه كل مذهب ولايجوز ان يكون لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ جوابها لان هذا مثبت وجواب لو يكون منفيا ولانه تعالى عطف عليه ثم لتسألن وهو مستقبل لابد من وقوعه وحذف جواب لو كثير قال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين لا نهاكم بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضحه

ما اندهم منه بعد ابهامه تفخيما وقوله تعالى ثم لترونها تكرير للتاكيد والاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها والمراد بالاولى المعرفة والثانية الابصار عين اليقين اى الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين قال الرازي واليقين مركب الاخذ في هذا الطريق وهو غاية درجات العامة واول خطوة الخاصة قال صلى الله عليه وسلم خير ما القي في القلب اليقين وعلمه قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق وقال قتادة اليقين هنا الموت وعنه ايضا البعث اى لو تعلمون علم الموت او البعث فعبر عن الموت باليقين والعلم من اشد البواعث على العمل وقيل لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين مما امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك وقرأ لترون ابن عامر والكسائي بضم التاء والباقون بالفتح ثم لتسئلن حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو لالتقاء الساكنين يومئذ اى يوم رؤيتها عن النعيم وهو ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ والامن والمطعم والمشرب وغير ذلك والمراد بذلك ما يشغله عن الطاعة للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده وقوله تعالى كلوا من الطيبات وقال الحسن لا يسأل عن النعيم الا اهل النار لان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله ارأيت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب ايكون من النعيم الذي يسأل عنه فقال صلى الله عليه وسلم انما ذلك للكفار ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وهل يجازى الا الكفور ولان ظاهر الآية يدل على ذلك لان الكفار الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره فالله تعالى يسألهم عنها يوم القيامة حتى يظهر لهم ان الذي ظنوه لسعادتهم كان من اعظم الاسباب لشقاوتهم وقيل السؤال عام في حق المؤمن والكافر لقوله صلى الله عليه وسلم اول ما يسأل العبد يوم القيامة عن النعيم فيقال له الم نصح جسمك ونروك من الماء البارد وقيل الزائد على ما لا بد منه وقيل غير ذلك قال الرازي والاولى على جميع النعم لان الالف واللام تفيد الاستغراق وليس صرف اللفظ الى البعض اولى من صرفه الى الباقي فيسأل عنها هل شكرها ام كفرها واذا قيل ان هذا السؤال للكافر فقيل هو في موقف الحساب وقيل بعد دخول النار يقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لاشتغالكم في الدنيا بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية حديث موضوع والاخر فرواه الحاكم بلفظ الا يستطيع احدكم ان يقرأ الف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع ان يقرأ الف آية قال اوما يستطيع احدكم ان يقرأ الهاكم التكاثر

سورة العصر مكية

اروى عن ابن عباس وعبادة انها مدنية وهي ثلاث آيات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

بسم الله الذي كل شيء هالك إلا وجهه الرحمن الذي عم الوجود بإنعامه فليس شيء يشبهه الرحيم الذي اصطفى أولياءه فكانوا الذين هم خيرة وكلاء جنده وقوله تعالى والعصر قسم واختلف في المراد به فقال ابن عباس والدهر أقسم به لأن فيه عبرة للناظر بتصرف الأحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع وقيل معناه ورب العصر ومر الكلام في أمثاله وقال ابن كيسان أراد بالعصر الليل والنهار يقال لهما العصران وقال الحسن من بعد زوال الشمس إلى غروبها وقال قتادة آخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى وهذا أشبه قال صلى الله عليه وسلم من فاتته الصلاة الوسطى فكأنما وتر أهله وماله ولأن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم ونقل ابن عادل عن مالك أن من حلف أن لا يكلم الرجل عصرا لم يكلمه سنة قال ابن العربي إنما حمل مالك يمين الحالف على السنة لأنه أكثر ما قيل فيه ونقل عن الشافعي يبر بساعة إلا أن تكون له نية وجواب القسم إن الإنسان أي الجنس لفي خسر أي نقص بسبب مساعيهم في أحوالهم وصرف أعمارهم في أغراضهم لميلهم بالطبع من الميل إلى الحاضر والإعراض عن الغائب والاغترار بالأماني وتنكيره خسر يحتمل التهويل والتحقير فإن حمل على الأول وهو الظاهر كان المعنى أن الإنسان لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه إلا الله تعالى لأن الذنب يعظم إما لعظم من في حقه الذنب أو لأنه وقع في مقابلة النعم العظيمة فلذلك كان الذنب في غاية العظم وإن حمل على الثاني كان المعنى أن خسران الإنسان دون خسران الشيطان ولما كان الحكم على الجنس حكما على الكل لأنهم ليس لهم من ذواتهم إلا ذلك وكان فيهم من خلصه الله تعالى مما طبع عليه الإنسان وحفظه من الميل استثناهم بقوله عز من قائل إلا الذين آمنوا أي أوجدوا الإيمان وهو التصديق بما علم بالضرورة مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به من توحيده سبحانه والتصديق بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعملوا أي تصديقا لما أقروا به من الإيمان الصالحات أي هذا الجنس من إيقاع الأوامر واجتناب النواهي واشتروا الآخرة بالدنيا فلم يلههم التكاثر ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية فلم يلحقهم شيء من الخسران وقال ابن عباس في رواية أبي صالح المراد بالإنسان الكافر وقال في رواية الضحاك يريد جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن عبد المطلب وقيل لفي خسر غبن وقال الأخفش لفي هلكة وقال الفراء لفي عقوبة وقال ابن زيد لفي شر وروى ابن عوف عن إبراهيم قال إن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهرم لفي ضعف ونقص وتراجع إلا المؤمنين فإنه تكتب لهم أجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم ونظيره قوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا ولما كان الإنسان بعد كماله في نفسه بالأعمال لا ينتفع به مطلقا إلا بتكميل غيره وحينئذ كان وارثا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بتمام التكميل قال تعالى مخصصا ما دخل في الأعمال الصالحة منها على عظمه وتواصوا أي أوصى بعضهم بعضا بلسان الحال والمقال بالحق أي الأمر الثابت وهو كل ما

حكم الشرع بصحته ولا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبتلي الله به عباده من الامراض وغيرها ويروى عن ابي بن كعب انه قال قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم والعصر قسم من الله اقسم ربكم بآخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل الا الذين آمنوا ابو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر علي وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفا عليه وقال قتادة بالحق اي بالقرآن وقال السدي الحق هنا الله عز وجل وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصي بالحق وتواصي بالصبر حديث موضوع

سورة الهمزة مكية

وهي تسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الملك العدل ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذي عم بجوده اهل البخل واولي العدل ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي خص اولياءه بزيادة الفضل وقوله تعالى ﴿وَيْلٌ﴾ فيه قولان احدهما انه كلمة عذاب والثاني انه واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقال ابو العالية والحسن الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل واللمزة الذي يغتابه من خلفه وهذا اختيار النحاس ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات وقال سعيد بن جبير الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم واللمزة الطعان عليهم وقال ابن زيد الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقال سفيان الثوري يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب ويدخل في ذلك من يحاكي الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منهم واصل الهمز الكسر واللمز الطعن ثم خصا بالكسر من اعراض الناس والطعن فيهم حتى صار ذلك عادة لانه خلق ثابت في جبلتهم والذي دل على الاعتياد صيغة فعلة بضم ففتح كما يقال ضحكة للذي يفعل الضحك كثيرا حتى صار عادة له وضري به واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال الكلبي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف الجمحي وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقال مجاهد هي عامة في حق من هذه صفته وقوله تعالى ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ بدل من كل

او ذم منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بتشديد الميم على المبالغة والتكثير
ولانه يوافق قوله تعالى وَعَدَّدَهُ والباقون بتخفيفها وهى محتملة للتكثير وعدمه ومعنى عدده
احصاه وجعله عدة للنوائب وقال الضحاك اعد ماله لمن يرثه من اولاده وقيل فاخر بعدده وكثرته
والمقصود الذم على امساك المال عن سبيل الطاعة كقوله تعالى مناع للخير وقوله تعالى جمع
فاوعى يَحْسَبُ اى يظن لجهله اَنَّ مَالَهُ اَخْلَدَهُ اى اوصله الى رتبة الخلد فى الدنيا فيصير خالدا
فيها لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض
عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذى اخلد صاحبه
فى النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه وروى انه كان للاخنس اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف
دينار وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول فى الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت بها على كريم
قال لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذا تدعه لمن لا يحمدك
وترد على من لا يعذرك وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها وقوله تعالى
كَلَّا ردع له عن حسبانه وقيل معناه حقا وقوله تعالى لَيُنْبَذَنَّ جواب قسم محذوف اى ليطرحن بهوان
فى الْحُطَمَةِ اى الطبقة من جهنم التى من شانها ان تحطم اى تكسر بشدة وعنف كل ما طرح فيها فيكون
اخسر الخاسرين ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وَمَا اَدْرٰيكَ اى واى شىء اعلمك ولو تجاوزت منك
للعلم واجتهادك فى التعرف مع كونك اعلم الحكماء مَا الْحُطَمَةُ اى الدركة النارية التى سميت هذا الاسم
بهذه الخاصة وانه ليس فى الوجود الذى تشاهدونه ما يقاربها ليكون مثالا لها ثم فسرها بقوله تعالى
نَارُ اللّٰهِ اى الملك الاعظم الذى له الملك كله الْمُوقَدَةُ اى التى وجد وتحتم ايقادها من الذى يطيق
مجاولة ما اوقده فهى لا يزال لها هذا الاسم ثابتا روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اوقد على النار
الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت
فهى سوداء مظلمة الَّتِى تَطَّلِعُ اى اطلاعا شديدا عَلَى الْاَفْئِدَةِ جمع فؤاد وهو القلب الذى يكاد يحترق من شدة
ذكائه فكان ينبغى ان يجعل ذكاءه فى اسباب الخلاص والاطلاع عليه بان تعلو وسطه وتشتمل
عليه اشتمالا بليغا سمى بذلك لشدة توقده وخص لانه الطف ما فى البدن واشد تالما بادنى شىء
من الاذى ولانه منشأ العقائد الفاسدة ومعدن حب المال الذى هو منشأ الفساد والضلال
وعنه تصدر الافعال القبيحة وقيل معنى تطلع على الافئدة اى تعلم ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب
يقال اطلع على كذا اى علمه ثم اشار الى خلودهم فيها بقوله تعالى مؤكدا لانهم يكذبون بها اِنَّهَا عَلَيْهِمْ
مُؤْصَدَةٌ قال الحسن مطبقة اى بغاية الضيق وقال مجاهد مغلقة بلغة قريش يقال اصدت
الباب اى اغلقته ومنه قول عبد الله بن قيس شعر ان فى القصر لو دخلنا غزالا + مصفقا موصدا عليه
الحجاب + ثم بين حال عذابهم بقوله تعالى فِى اى فى حال كونهم موثقين فى عَمَدٍ قرأ حمزة والكسائى
وشعبة بضم العين والميم جمع عمود نحو رسول ورسل وقيل جمع عماد ككتاب وكتب والباقون

بفتحهما

بفتحهما فقيل هو اسم جمع لعمود وقيل بل هو جمع له قال الفراء كأديم وأدم وقال أبو عبيدة هو جمع عماد ﴿ممددة﴾ أي مفروضة كأنها موضوعة على الأرض فهي في غاية المكنة فلا يستطيع الموثوق بها على نوع حيلة في أمرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث عليهم ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فيطبق عليهم بتلك الأطباق وتسد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون كلامهم فيها زفيرا وشهيقا وقال قتادة عمد يعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس إن العمد الممددة أغلال في أعناقهم وقال أبو صالح قيود في أرجلهم وقال القشيري العمد أوتاد الأطباق وقيل المعنى في دهور ممدودة لا انقطاع لها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حديث موضوع

سورة الفيل مكية

وهي خمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا

﴿بسم الله﴾ الذي قدرته في كل شيء عاملة ﴿الرحمن﴾ الذي له الرحمة الشاملة ﴿الرحيم﴾ الذي خص أهل الاصطفاء بالنعمة الكاملة وقوله تعالى ﴿ألم تر﴾ استفهام تعجب أي اعجب ﴿كيف فعل ربك﴾ أي المحسن إليك ﴿بأصحاب الفيل﴾ فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو وإن لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وإنما قال تعالى كيف دون ما لأن المراد ذكر ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم وكانت قصة الفيل ما روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج وكتب إلى النجاشي إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج إليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع الذي قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به إليه فخرج أبرهة في الحبشة سائرا إلى مكة وخرج معه بالفيل واثني عشر فيلا غيره وقيل ثمانية عشر وقيل كان معه ألف فيل وقيل كان وحده فسمعت العرب بذلك فأعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر فقال له أيها الملك استبقني فإن استبقائي خير لك من قتلي فاستبقاه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج له نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا فقال نفيل أيها الملك إني دليل بأرض العرب وهاتان

بيدى على قومى بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود
ابن معتب فى رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت
الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا ابا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات
ابو رغال وهو الذى يرجم قبره وبعث ابرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود
على مقدمة خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه اموال الحرم واصاب لعبد المطلب
مائتى بعير ثم ان ابرهة بعث حناطة الحميرى الى اهل مكة فقال سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك به
اليه اخبره انى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب
بن هاشم فقال ان الملك ارسلنى اليك لاخبرك انه لم يات لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت ثم الانصراف
عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا به يد انا سنخلى بينه وبين ما جاء اليه فان هذا بيت الله
الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله
ما لنا به قوة قال فانطلق معى الى الملك قال بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه
بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء
فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة او عشيا ولكن سابعث الى انيس سائس الفيل
فانه لى صديق فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك
عنده فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يطعم الناس فى السهل
والوحوش فى رؤس الجبال وقد اصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه
صديق لى احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب
عير مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستاذن عليك وانا احب ان تاذن له فيكلمك
وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة
اعظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه
فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتى الى
الملك ان يرد الى مائتى بعير اصابها لى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت اعجبتنى حين رأيتك ولقد
زهدت فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين ابائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه
لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير اصبتها قال عبد المطلب انا رب هذه الابل وللبيت رب
سيمنعه قال ما كان ليمنعه منى قال فانت وذاك فامر بابله فردت عليه وقيل عرض عليه عبد المطلب
اموال تهامة ليرجع فابى فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان
يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى
عبد المطلب الكعبة فاخذ بحلقة الباب وجعل يقول شعر يا رب لا ارجو لهم سواكا
يا رب فامنع منهم حماكا ان عدو البيت من عاداكا امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال أيضاً

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك ✦ لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدواً محالك ✦ جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك ✦ عمدوا حماك بكيدهم جهلاً وما رقبوا جلالك ✦ ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك ✦

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه فاصبح ابرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول في راسه فابى فوجهوه راجعاً الى اليمن فقام يهرول فوجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فضربوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج عبد المطلب يشتد حتى صعد الجبل فارسل الله تعالى عليهم ما قصه في قوله سبحانه ألم يجعل اي جعل بماله من الاحسان الى العرب لا سيما قريش كيدهم اي في هدم الكعبة في تضليل اي خسارة وهلاك وارسل عليهم اي خاصة من بين ما هناك من كفار العرب طيراً اي طيوراً سوداً وقيل خضراً وقيل بيضاً ابابيل اي جماعات مكثرة متفرقة يتبع بعضها بعضاً من نواحي شتى فوجاً فوجاً وزمرة زمرة امام كل فرقة منها طائر يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق وقيل ابابيل كالابل المؤبلة قال الفراء لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقال الكسائي كنت اسمع النحويين يقولون واحدها ابول كعجول وعجاجيل وقال ابن عباس كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة لها رؤس كرؤس السباع وقال سعيد ابن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال قتادة طير سود ترميهم اي الطير بحجارة اي عظيمة في الكثرة والفعل صغيرة في المقدار والجسم مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راى منها عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بالحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل واما ابرهة فتساقطت انامله كلها كلما سقطت انملة اتبعها مدة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره من قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه لان تلك الحجارة كانت من سجيل اي طين متحجر مصنوع للعذاب في موضع هو في غاية العلو ولما تسبب عن هذا الرمي هلاكهم وكان ذلك بفعل الله تعالى لانه الذي خلق الاثر قطعاً لان مثله لا ينشأ عنه ما نشأ من الهلاك قال الله تعالى فجعلهم اي ربك المحسن

ع

اليك باحسانه الى قومك لاجلك بذلك كعصف مأكول اي كورق زرع اكلته فراشة فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه قطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث قال مجاهد العصف ورق الحنطة وقال قتادة هو التبن وقال عكرمة كالحب اذا اكل وصار اجوف لان الحجر كان ياتي في الراس فيخرق

قوله وخرج عبد المطلب يشتد في شعبة هاتيك الجبال ينظر ما هم فاعلون [illegible]

بما له من الحرارة وشدة الوقع كلما مر به حتى يخرج من الدبر ويصير موضع الجوفه اسود لما له من النارية وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له وروى ان الحجر كان يقع على احدهم فيخرج كل ما في جوفه فيبقى كقشر الحنطة اذا اخرجت منه الحبة وعن عكرمة من اصابته جدرة وهو اول جدري ظهر وعن ابي سعيد الخدري انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم واختلف في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاكثرون على انه كان في العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة قالت رايت سائس الفيل وقائده اعميين مقعدين يستطعمان الناس وقال عبد الملك بن مروان لعتاب بن اسيد انت اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكبر مني وانا اسن منه ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سائسه وقائده اعميين مقعدين يستطعمان الناس بل قيل لم يكن بمكة احد الا راى قائد الفيل وسائسه اعميين يتكففان الناس لان عائشة مع صغرسنها رأتهما وقال ابن اسحق لما رد الله تعالى الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم وقال بعض العلماء كانت قصة الفيل مما نعده من معجزاته صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله لانها كانت توكيدا لامره وتمهيدا لشانه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ حديث موضوع

سورة قريش مكية

في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك والكلبي وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

بِسْمِ اللهِ الذي له جميع الكمال الرَّحْمٰنِ ذي النعم والافضال الرَّحِيْمِ الذي خص اولياءه بالقرب والاقبال وقوله تعالى لِاِيْلٰفِ قُرَيْشٍ في متعلقه اوجه احدها انه ما في السورة قبلها من قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر انه قرأهما في الثانية من صلوة المغرب وقرأ في الاولى والتين اه والى هذا ذهب الاخفش وقال الرازي المشهور انهما سورتان ولا يلزم من التعلق الاتحاد لان القران كسورة واحدة ثانيها انه مضمر تقديره فعلنا ذلك وهو ايقاعهم للايلاف وهو الفهم لبلدهم الذي ينشأ عنه طمانينتهم وهيبة الناس لهم وقيل تقديره اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثالثها انه متعلق بقوله تعالى فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين لانهما اظهر نعمة عليهم وهذا هو الذي صدر به الزمخشري كلامه وفي هذا اشارة الى تمام قدرته سبحانه وانه اذا اراد شيئا يسر سببه لان التدبير كله له يخفض من يشاء وان عم

يشاء

ويرفع من يشاء وان ذلك وقريش هم ولد النضر بن كنانة ومن ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من بني اسمعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم واخرج الحاكم وصححه البيهقي عن ام هانئ بنت ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خلال اني منهم وان النبوة فيهم وان الله نصرهم على الفيل وانهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم وان الحجابة والسقاية فيهم وان الله انزل فيهم سورة من القران وسموا قريشا من التقرش وهو التكسب والجمع يقال فلان يقرش لعياله ويقترش اي يكتسب وهم كانوا تجارا حراصا على جمع المال وقال ابو ريحانة سال معاوية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر من اعظم دوابه تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم فانشده شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تاكل الغث والسمين فلا تترك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش ياكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم اخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا

وقيل هو من تقرش الرجل اذا تنزه عن مدانس الامور ومن تقارشت الرماح في الحرب اذا دخل بعضها في بعض وقوله تعالى ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ بدل من الايلاف الاول وقرأ ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة والباقون لايلاف بياء بعدها واجمع الكل على اثبات الياء في الثاني وهو ايلافهم بالياء بعد الهمزة قال ابن عادل ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا على اثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منها خطا وهذا ادل دليل على ان القراء متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط وقوله تعالى ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ منصوب بايلافهم مفعول به كما نصب يتيما باطعام وهي التي يرحلونها في زمنه الى اليمن لانها بلاد حارة ينالون منها متاجر الحبوب ﴿وَالصَّيْفِ﴾ التي يرحلونها الى الشام في زمنه لانها بلاد باردة ينالون فيها منافع الثمار وهم امنون من سائر العرب لاجل عزهم بالحرم المعظم وبيت الله والناس يتخطفون من حولهم ولا يجترئ احد عليهم والايلاف من قولك الفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا مؤلف والاصل رحلتي الشتاء والصيف ولكنه افرد ليشمل كل رحلة كما هو شان المصادر واسماء الاجناس وفي ذلك اشارة الى انهم يتمكنون من الرحلة الى اي بلاد ارادوا والشمول الامن لهم قال مالك الشتاء نصف السنة والصيف نصفها وقال قوم الزمان اربعة اقسام شتاء وربيع وصيف وخريف وقيل شتاء وصيف وقيظ وخريف قال القرطبي والذي قاله مالك اصح لان الله تعالى قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا وروى عكرمة

ابن عباس رضی الله عنهما انهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وقال آخرون كانت لهم
رحلتان فی كل عام للتجارة احداهما فی الشتاء الی اليمن لانها ادفأ والاخری فی الصيف الی
الشام وكان الحرم واديا جدبا لازرع فيه ولاضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم
ولولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا علی التصرف واول
من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنی والفقير حتی كان
فقيرهم كغنيهم وفی ذلك يقول الشاعر شعر قل للذی طلب السماحة والندی + هلا مررت
بآل عبد مناف + هلا مررت بهم تريد قراهم + منعوك من ضر ومن اتلاف + الرائشين
وليس يوجد رائش + والقائلين هلم للاضياف + والخالطين فقيرهم بغنيهم + حتی يكون
فقيرهم كالكافی + والقائلين بكل وعد صادق + والراحلين برحلة الايلاف + عمرو العلا
هشم الثريد لقومه + ورجال مكة مسنتون عجاف + سفرين سنهما له ولقومه + سفر الشتاء
ورحلة الاصياف + وتبع هاشما علی ذلك اخوته فكان هاشم يؤالف الی الشام وعبد شمس الی الحبشة
والمطلب الی اليمن ونوفل الی فارس وكان تجار قريش يختلفون الی هذه الامصار بحبال
هذه الاخوة ای بعهودهم التی اخذوها بالامان لهم من ملك كل ناحية من هذه
النواحی + ولما كان هذا التدبير لهم من الله تعالی كافيا لهمومهم الظاهرة بالغنی والباطنة
بالامن وكان شكر المنعم واجبا قال تعالی فَلْيَعْبُدُوا ای قريش علی سبيل الوجوب
شكرا علی هذه النعمة خاصة ان لم يشكروه علی جميع نعمه التی لاتحصی لانهم يدعون انهم
اشكر الناس للاحسان وابعدهم عن الكفران رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ ای الموجد له والمحسن لاهله
بحفظه من كل طاغ وباذلال الجبابرة له ليكمل احسانه اليهم وعطفه عليهم باكمال
اعزازه لهم فی الدنيا والآخرة والمراد به الكعبة عبر عنها بالاشارة تعظيما لشأنها ثم
وصف نفسه الاقدس بما هو ثمرة الرحلتين ومظهر لزيادة شرف البيت بقوله تعالی الَّذِيْٓ
اَطْعَمَهُمْ ای قريشا بحمل الميرة الی مكة بالرحلتين اطعاما مبتدأ مِّنْ جُوْعٍ ای عظيم
فيه غيرهم من العرب او كانوا هم فيه قبل ذلك لان بلدهم ليس بذی زرع فهم
عرضة للفقر الذی ينشأ عنه الجوع فكفاهم ذلك وحده ولم يشركه احد فی كفايتهم
فليس من الشكر اشراكهم غيره معه فی عبادته ولا من البر بابيهم ابراهيم عليه السلام
الذی دعا لهم بالرزق بقوله عليه السلام وارزقهم من الثمرات ونهی اشد النهی عن عبادة
الاصنام ولم يقل اشبعهم لانه ليس كلهم كان يشبع ولان من كان يشبع منهم طالب لاكثر مما
هو عنده ولا يعد الجوع ابن آدم الا التراب وَّاٰمَنَهُمْ ای تخصيصا لهم مِّنْ خَوْفٍ ای شديد
جدا من اصحاب الفيل الذين ارادوا خراب البيت الذی به نظامهم وما ينال من حولهم
من التخطف بالقتل والنهب والغارات ومن الجذام ببركة ابيهم ابراهيم عليه السلام

ومن الطاعون والدخان بتامين النبيّ صلى الله عليه وسلم وعن ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضهم بعضا فامنت قريش ذلك لمكان الحرم وقيل شق عليهم السفر في الشتاء والصيف فالقى الله تعالى في قلوب الحبشة ان يحملوا اليهم طعاما في السفن فحملوا فخافت قريش منهم وظنوا انهم قدموا لحربهم فخرجوا اليهم متحرزين فاذا هم قد جلبوا اليهم الطعام واعانوهم بالاقوات فكان اهل مكة يخرجون الى جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل ان قريشا لما كذبوا النبيّ صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة واخصب اهلها وقال الضحاك والربيع في قوله تعالى وامنهم من خوف اى من خوف الحبشة وقال عليّ وامنهم من خوف ان تكون الخلافة الا فيهم قال الزمخشريّ ومن بدع التفاسير وامنهم من خوف ان تكون الخلافة في غيرهم اه لكن ان ثبت ذلك عن علي كرم الله وجهه فليس كما قال وقيل كفاهم اخذ الايلاف من الملوك وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لئيلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها حديث موضوع

سورة الدين وتسمى سورة الماعون مكية

في قول عطاء وجابر واحد قولي ابن عباس رضي الله عنهما ومدنية في قول له اخر وهو قول قتادة وغيره وهي سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفا

بسم الله الذي له كل كمال الرحمن الذي عم جميع عباده بالنوال الرحيم الذي خص اولياءه بنعمة الافضال وقوله تعالى ارءيت استفهام معناه التعجب وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش ايضا ابدالها الفا واسقطها الكسائيّ قال الزمخشريّ وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه سه صاح هل ريت او سمعت براء + رد في الضرع ما قري في الحلاب + وحققها الباقون والمعنى ارايت الذي يكذب اى يوقع التكذيب لمن يخبره كائنا من كان بالدين اي بالجزاء والحساب اى هل عرفته ام لم تعرفه فذلك بتقدير هو بعد الفاء اى البغيض البعيد المبعد من كل خير الذي يدع اى يدفع دفعا عظيما بغاية القسوة اليتيم ولا يحث على اكرامه لان الله تعالى نزع الرحمة من قلبه ولا ينزعها الا من شقي لانه لا حامل على الاحسان اليه الا الخوف من الله تعالى فكان التكذيب بجزائه مسببا للغلظة عليه وقال قتادة يقهره ويظلمه فانهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام وقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من المسلمين حتى يستغني فقد وجبت له

الجنة واختلف فيمن نزل ذلك فيه فقال مقاتل في العاصي بن وائل السهمي وقال السدي في الوليد بن المغيرة وقال الضحاك في عمرو بن عائذ المخزومي وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في رجل من المنافقين وقيل في ابي جهل وَلَا يَحُضُّ اي يحث نفسه ولا غيره عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ اي بذله له واطعامه اياه بل يمقته ولا يكرمه ولا يرحمه وقد تضمن هذا ان علامة التكذيب بالبعث ايذاء الضعيف والتهاون بالمعروف ولما كان هذا حاله مع الخلق اتبعه حاله مع الخالق بقوله تعالى فَوَيْلٌ اي عذاب او واد في جهنم لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ اي بضمائرهم وخالص سرائرهم عَن صَلَاتِهِمْ التي هي جديرة بان تضاف اليهم لوجوبها عليهم وايجابها لاجل مصالحهم ومنافعهم بالتزكية وغيرها سَاهُونَ اي عريقون في الغفلة عنها وتضييعها وعدم المبالاة بها وقلة الالتفات اليها وروى البغوي بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال هو اضاعة الوقت وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هم المنافقون يتركون الصلوة اذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية مع الناس اذا حضروا لقوله تعالى الَّذِينَ هُمْ اي بجملة سرائرهم يُرَاءُونَ اي بصلوتهم وغيرها الناس لانهم يفعلون الخير ليراهم الناس لا لرجاء الثواب ولا لخوف العقاب من الله تعالى ولذلك يتركون الصلوة اذا غابوا عن الناس وقال ابراهيم هو الذي يلتفت في صلوته وقال قطرب هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما لو قال في صلوتهم ساهون لكانت في المؤمنين وقال عطاء الحمد لله الذي قال تعالى عن صلوتهم ساهون ولم يقل في صلوتهم فدل على ان الاية في المنافقين وقال قتادة ساه عنها لا يبالي صلى ام لم يصل وقال مجاهد غافلون عنها متهاونون بها وقال الحسن هو الذي ان صلاها صلاها رياء وان فاتته لم يندم وقيل هم الذين يسهون عنها قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السورة وكما ترى صلوة اكثر من ترى من الذين عادتهم الرياء بلعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق ان يكون سهوهم عن الصلوة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكوة التي هي شقيقة الصلوة وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل بالعلم من هو منهم على هذه الصفة فيا مصيبتاه فان قيل كيف جمع المصلين فانما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد اجيب بان معناه الجمع لان المراد به الجنس فان قيل اي فرق بين قوله تعالى عن صلوتهم وقولك في صلوتهم اجيب بان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشياطين من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلوته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن انس الحمد لله على ان لم يقل في صلوتهم وقد مرت

بجميع

الاشارة الى بعض ذلك فان قيل ما معنى المراءاة اجيب بانها مفاعلة من الاراءة لان المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فتثني عليه بالصلاح وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود ثم بين ان من هو بهذه الصفة يغلب عليه الشح بقوله تعالى ﴿وَيَمْنَعُونَ﴾ اى على تجدد الاوقات ﴿الْمَاعُونَ﴾ اى حقوق الاموال والشئ اليسير من المنافع وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهي رواية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال مجاهد الماعون اعلاها الزكوة المفروضة وادناها عارية المتاع وعن علي انها الزكوة وقال محمد بن كعب والكلبي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقال قطرب اصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعنة ولا معنة اى شئ قليل فسمي الزكوة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ارايت غفر له ان كان للزكوة مؤديا حديث موضوع

سورة الكوثر وتسمى سورة النحر مكية

في قول ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي لا حد لفائض فضله ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذي شمل الخلائق بجوده فوالى الامر ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي خص حزبه بالاعتصام بحبله وقوله تعالى ﴿إِنَّا﴾ اى بما لنا من العظمة ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ اى خولناك مع التمكين العظيم يا اشرف الخلق ﴿الْكَوْثَرَ﴾ اى نهرا في الجنة هو حوضه صلى الله عليه وسلم ترد عليه امته لما روى عن انس انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزل علي انفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الى اخرها ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر

والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا انا بنهر يجري بياضه بياض اللبن واحلى من
العسل وحافتاه خيام الدر فضربت بيدي فاذا الثرى مسك اذفر فقلت لجبريل ما هذا قال الكوثر
اعطاكه الله تعالى وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي
مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب
منها لا يظمأ ابدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم
على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لانا ولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي
فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك وعن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن
عرضه فقال من مقامي الى عمان وسئل عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من ورق وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي او قال من امتي فيحلؤن عن
الحوض فاقول اي رب اصحابي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم
القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد علي امتي الحوض وانا اذود الناس عنه
كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون
علي غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فاقول يا رب هؤلاء من
اصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما احدثوا بعدك واحاديث الحوض كثيرة وفيما ذكرناه كفاية
لاولي الالباب فنسأل الله تعالى ان يروينا منه نحن واحبابنا ويدخلنا واياهم الجنة بغير حساب قال القاضي
عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وقال ابن عادل وهو على ظاهره
عند اهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة اه
وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وقيل الكوثر الخير
الكثير الذي اعطاه الله تعالى اياه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما الكوثر
الخير الكثير قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون ان الكوثر نهر في الجنة فقال سعيد
النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه الله تعالى اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب
تسمي كل شيء كثير في العدد وكثير القدر والخطر كوثرا قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر آب ابنك
قالت آب بكوثر وقال الشاعر وانت كثير يا ابن مروان طيب * وكان ابوك ابن العقائل كوثرا
وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضله بها على جميع الخلائق * تنبيه * لا منافاة بين هذه
الاقوال كلها فقد اعطيها النبي صلى الله عليه وسلم اعطي صلى الله عليه وسلم النبوة والحكمة والعلم
والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاظهار على الاديان كلها والنصر
على الاعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة واولى الاقاويل في الكوثر وهو الذي

عليه جمهور العلماء انه نهر في الجنة ، ولما كان له سبحانه من النعم ما لا ياتي عليه حصر مما لا يناسب ادناه نعيم الدنيا بجملتها سبب عنه قوله تعالى امرا بما هو جامع لجامع الشكر فصل اى بقطع العلائق عن الخلائق بالوقوف بين يدى الله تعالى في حضرة المراقبة شكرا لاحسان المنعم خلافا للساهي عنها وللمرائي فيها لربك اى المحسن اليك بانواع النعم مراعيا من شئت فلا سبيل لاحد عليك وانحر اى انفق له الكوثر من المال على المحاويج خلافا للمن يدعهم ويمنعهم الماعون والنحر افضل نفقات العرب لان الجزور الواحد يغني مائة مسكين واذا اطلق العرب المال انصرف الى الابل وقال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فامر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يصلي وينحر لله عز وجل وقال عكرمة وعطاء وقتادة فصل لربك صلوة العيد يوم النحر وانحر نسكك واقتصر على هذا الجلال المحلي وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلوة المفروضة بجمع اى مزدلفة وانحر البدن بمنى وعن ابن عباس رضى الله عنهما وضع اليمين على الشمال في الصلوة عند النحر وعن على ان معناه ان يرفع يديه في التكبير الى نحره وقال الكلبي استقبل القبلة بنحرك وعن عطاء امره ان يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره ان شانئك اى مبغضك والشانئ المبغض يقال شناه يشنؤه اى ابغضه هو الابتر اى المنقطع عن كل خير واما انت فقد اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذى لم يعطه احد غيرك فمعطى ذلك كله هو الله رب العالمين فاجتمعت لك العطيتان السنيتان اصابه اشرف عطاء واوفره من اكرم معط واعظم منعم او المنقطع العقب لانك لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم اعقابك واولادك وذكرك مرفوع على المنابر والمنائر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله تعالى ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المسئ في الدنيا والآخرة وقال الرازي هذه السورة كالمقابلة للتي قبلها فانه ذكر في الاولى البخل وترك الصلوة والرياء ومنع الماعون وذكر ههنا في مقابلة البخل انا اعطيناك الكوثر وفي مقابلة الصلوة فصل اى دم على الصلوة وفي مقابلة الرياء لربك اى لرضاه خالصا وفي مقابلة منع الماعون وانحر اى تصدق بلحم الاضاحي ثم ختم السورة بقوله تعالى ان شانئك هو الابتر اى ان الشانئ الذى اتى بتلك الافعال القبيحة سيموت ولا يبقى له اثر واما انت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الآخرة الثواب الجزيل واختلف المفسرون في الشانئ فقيل هو العاص بن وائل وكانت العرب تسمي من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات ابتر فقيل ان العاص وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا ابتر فلان فلما توفي عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فنزلت وقال السدي ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا بتر محمد

فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت وقيل لما اوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم دعا قريشا الى الايمان قالوا انبتر منا محمد اى خالفنا وانقطع عنا فنزلت * تنبيه * قال اهل العلم قد احتوت هذه السورة على قصرها على معان بليغة واساليب بديعة منها دلالة استهلال السورة على انه تعالى اعطاه كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة الماضي تحقيقا لوقوعه كما فى قوله تعالى اتى امر الله ومنها تاكيد الجملة بان ومنها بناء الفعل على الاسم ليفيد الاسناد مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف الموصوف بالكوثر لان فى حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس فى اثباته ومنها تعريفه بال الجنسية الدالة على الاستغراق ومنها فاء التعقيب الدالة على السببية فان الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها التعريض بمن كانت صلاته ونحره لغير الله تعالى ومنها ان الامر بالصلوة اشارة الى الاعمال الدينية التى الصلوة قوامها وافضلها والامر بالنحر اشارة الى الاعمال البدنية التى النحر اسناها ومنها حذف متعلق انحر اذ التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانه من صناعة البديع العارى عن التكلف ومنها قوله تعالى لربك فى الاتيان بهذه الصفة دون سائر صفاته الحسنى دلالة على انه المربى له والمصلح بنعمه فلا يلتمس كل خير الا منه ومنها الالتفات من ضمير المتكلم الى الغائب فى قوله تعالى لربك ومنها الامر بترك الاهتمام بشانئه للاستئناف وجعله خاتمة للاعراض عن الشانئ ولم يسمه ليشمل كل من اتصف بهذه الصفة القبيحة ولو كان المراد شخصا معينا لعينه الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة على انه لم يتصف الا بمجرد قيام الصفة به من غير ان تؤثر فيمن يشنؤه شيئا البتة لان من يشنأ شخصا قد يؤثر فيه شنؤه شيئا ومنها تاكيد الجملة بان المؤذنة بتاكيد الخبر ولذلك يتلقى بها القسم وتقدير القسم يصلح هنا ومنها الاتيان بضمير الفصل المؤذن بالاختصاص والتاكيد ان جعلنا هو فصلا وان جعلناه مبتدأ فكذلك يفيد التاكيد اذ يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الابتر بال المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة كانه قيل الكامل فى هذه الصفة ومنها اقباله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من اول السورة الى آخرها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر ويقربونه حديث موضوع

سورة الكفرون مكية

فى قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية فى احد قولى ابن عباس وقتادة والضحاك وتسمى ايضا سورة المنابذة والاخلاص لانها فى اخلاص العبادة والدين كما ان قل هو الله احد فى اخلاص التوحيد واجتماع النفاق فيهما محال لمن اعتقدهما وعمل بهما ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اى المبرئتان من النفاق قال الشاعر ؎ اعيذك بالمقشقشتين مما * احاذره ومن نظر العيون

وهي ست آيات وستة وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا

بسم الله الذي لا يستطيع احد ان يقدره حق قدره الرحمن الذي عم برحمته من وجب عليهم شكره الرحيم الذي وفق اهل وده فالتزموا نهيه وامره وقوله تعالى قل اي يا اشرف الخلق يا ايها الكافرون الى آخر السورة نزل في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن اسد وامية ابن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال معاذ الله ان نشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما ياتي الي من ربي فانزل الله تعالى هذه السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك واذوه واصحابه وفي مناداتهم بهذا الوصف الذي يسترذلونه في بلدهم ومحل عزهم وحميتهم ايذان بانه محروس منهم علم من اعلام النبوة فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في التحريم يا ايها الذين كفروا وههنا قال قل يا ايها الكافرون اجيب بان في سورة التحريم انما يقال لهم يوم القيامة وثم لا يكون رسولا اليهم فازال الواسطة فيكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره تعالى بلفظ الماضي واما هنا فكانوا موصوفين بالكفر وكان الرسول رسولا اليهم فقال تعالى قل يا ايها الكافرون اي الذين قد حكم بثباتهم على الكفر فلا انفكاك لهم عنه مستترا واما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لوجوده وهم من اذناس الخط وهم كفرة مخصوصون فهم من حكم بموته على الكفر بما طابقه من الواقع ودل عليه التعبير بالوصف دون الفعل واستغرق اللام كل من كان على هذا الوصف في كل مكان وكل زمان والتعبير بالجمع الذي هو اصل في القلة وقد يستعار للكثرة اشارة الى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى له قل يا ايها الكافرون لانه صلى الله عليه وسلم كان مامورا بالرفق واللين في جميع الامور كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم كان مامورا بان يدعوهم الى الله تعالى بالوجه الاحسن فلما خاطبهم بيا ايها فكانوا يقولون كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فاجاب باني مامور بهذا الكلام لا اني ذكرته من عند نفسي + ولما كان المقصد اعلامهم بالبراءة منهم من كل وجه وانه لا يبالي بهم بوجه لانه محفوظ منهم قال لا اعبد اي الآن ما تعبدون من دون الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجوه العبادات في سر ولا علن لانه لا يصلح للعبادة بوجه ولا انتم عابدون اي الآن ما اعبد وهو الله تعالى وحده ولا انا عابد اي في الاستقبال ما عبدتم من دون الله تعالى ولا انتم عابدون اي في الاستقبال ما اعبد وهو الله وحده لا شريك له وهذا خطاب لمن علم الله تعالى

منهم انهم لا يؤمنون واطلاق ما على الله تعالى على جهة المقابلة وبهذا زال التكرار ووجه التكرار
كما قال اكثر اهل المعانى هو ان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم
التكرار لارادة التاكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار لارادة التخفيف والايجاز
فالقائل بالتاكيد يقول قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون
وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ومثله
فباى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين فى سورتيهما وكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون
وفى الحديث فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة منى وفائدة التاكيد هنا قطع اطماع الكفار
وتحقيق الاخبار وهو اقامتهم على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا وعلى الاول قد تقيدت كل جملة بزمان
غير الزمان الآخر قال ابن عادل وفيه نظر كيف يتقيد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى عبادته لما
يعبدون بزمان وهذا مما لا يصح اه وقد يرد هذا بانه صلى الله عليه وسلم نفى فى الجملة الاولى
الحال وفى الثانية الاستقبال وقول البيضاوى فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال
كما ان ما لا تدخل الا على المضارع بمعنى الحال جرى على الغالب فيهما ولما ايس منهم صلى الله عليه وسلم
قال لكم دينكم اى الذى انتم عليه من الشرك ولى دين اى الذى انا عليه من التوحيد
هو دين الاسلام وفى هذا معنى التهديد كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اى ان رضيتم بدينكم
فقد رضينا بديننا وهذا كما قال الجلال المحلى قبل ان يؤمر بالحرب وقيل السورة كلها منسوخة
وقيل ما نسخ منها شئ لانها خبر ومعنى لكم دينكم اى جزاء دينكم ولى دين اى جزاء دينى وسمى دينهم
دينا لانهم اعتقدوه وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولى جزائى لان الدين الجزاء وحذف ياء الاضافة
من دين للتبعية وقفا ووصلا وقرأ نافع وهشام وحفص والبزى بخلاف عنه بفتح الياء والباقون
باسكانها + فائدة + قال الرازى جرت العادة بان الناس يتمثلون بهذه الآية عند المتاركة
وذلك غير جائز لانه تعالى ما انزل القرآن ليتمثل به بل ليتدبر فيه فيعمل بموجبه وقول البيضاوى
تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن
وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر حديث موضوع
الا الجملة الاولى منه فرواها الترمذى .

سورة النصر مدنية

بالاجماع وتسمى سورة التوديع وهى ثلاث آيات وستة عشرة كلمة وتسعة وسبعون حرفا
بسم الله الذى له الامر كله فهو العليم الحكيم الرحمن الذى ارسلك رحمة من الله العلى
العظيم الرحيم الذى خص اهل وده بفضله العميم وقوله تعالى اذا منصوب بسبح جاء نصر الله
اى الملك الاعظم الذى لا مثل له ولا امر لاحد معه باظهاره اياك على اعدائك ومعنى جاء
استقر وثبت فى المستقبل بمجيء وقته المضروب له فى الازل وزاد فى تعظيمه بالاضافة ثم بكونها

الى اسم الذات وقرأ حمزة وابن ذكوان بامالة الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح
والاخبار به قبل كونه من اعلام النبوة روى انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع والفتح
اى فتح مكة وهو الفتح الذى يقال له فتح الفتوح وقصته مشهورة في البغوى وغيره فلا نطيل بذكرها
وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن
وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله تعالى قد امكنه
من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ فلذلك سمى اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام في دين الله تعالى
في ملة الاسلام التى لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وقيل المراد جنس نصر الله تعالى المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم فان قيل ما الفرق بين النصر والفتح
حتى عطف عليه اجيب بان النصر الاعانة والاظهار على العدو ومنه نصر الله تعالى الارض اغاثها
قال الشاعر ~ اذا انسلخ الشهر الحرام فودعى + بلاد تميم وانصرى ارض عامر + ويروى + اذا دخل
الشهر الحرام فجاوزى + بلاد تميم وانصرى ارض عامر + والفتح فتح البلاد وقال الرازى الفرق
بين النصر والفتح ان الفتح هو الاعانة على تحصيل المطلوب الذى كان متعلقا به والنصر كالسبب للفتح
فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف الفتح عليه فان قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائما
منصورا بالدلائل والمعجزات فما المعنى بتخصيص لفظ النصر بفتح مكة اجيب بان المراد من هذا النصر هو
النصر الموافق للطبع فان قيل النصر لا يكون الا من الله تعالى قال الله تعالى وما النصر الا من
عند الله العزيز الحكيم فما فائدة التقييد بنصر الله اجيب بان معناه نصر لا يليق الا بالله
تعالى كما يقال هذا صنعة زيد اذا كان مشهورا باحكام الصنعة والمقصود منه تعظيم حال
تلك الصنعة فكذا ههنا فان قيل الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة
هم اصحابه من المهاجرين والانصار ثم انه تعالى سمى نصرتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم
نصر الله فما السبب في ذلك اجيب بان النصر وان كان على يد الصحابة لكن لا بد له من داع
وباعث وهو من الله تعالى فان قيل فعلى هذا الجواب يكون فعل العبد مقدما على فعل الله
تعالى وهذا بخلاف النصر لانه تعالى قال ان تنصروا الله ينصركم فجعل نصره مقدما على نصره
لنا اجيب بانه لا امتناع في ان يكون فعل العبد سببا لفعل آخر يصدر عن الله تعالى فان
اسباب الحوادث ومسبباتها على ترتيب عجيب تعجز عن ادراكه العقول البشرية + ولما
عبر عن المعنى بالمجيء عبر عن المرئى بالرؤية فقال تعالى ورأيت اى ببصرك الناس
اى العرب الذين كانوا محتقرين عند جميع الامم فصاروا اولئك هم الناس كما دلت عليه لام

الكمال وصار سائر اهل الارض لهم اتباعا و بالنسبة اليهم رعايا حال كونهم يدخلون شيئا
فشيئا متجددا دخولهم مستمرا في دين الله اي شرع من المنزل كلمته هي العليا افواجا اي جماعات
كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن
جابر بن عبد الله انه بكى ذات يوم فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس
اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة انسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم
يقرؤن القرآن وبعضهم يهللون فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال ابو هريرة لما نزلت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان
يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وفي هذا تاويلات احدها
انه الفرج لتتابع اسلامهم افواجا الثاني انه الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم
باهل اليمن وهم الانصار وقال الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب
بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب
الفيل ومن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال امة بعد امة قال الضحاك
والامة اربعون رجلا + تنبيه + دين الله تعالى هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه واضافة الدين الى الاسم الدال على الالهية
اشارة الى انه يجب ان يعبد لكونه الها وللدين اسماء اخر منها الصراط قال تعالى صراط الله ومنها
النور يريدون ان ليطفؤا نور الله ومنها الهدى قال تعالى هدى الله يهدي به من يشاء ومنها العروة
الوثقى قال تعالى ومن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ومنها الحبل المتين قال تعالى واعتصموا
بحبل الله ومنها صبغة الله ومنها فطرة الله + تنبيه + جمهور الفقهاء واكثر المتكلمين على ان ايمان
المقلد صحيح واحتجوا بهذه الآية قالوا ان الله تعالى حكم بصحة ايمان اولئك الافواج وجعله من اعظم
المنن على نبيه صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن ايمانهم صحيحا لما ذكره في هذا المعرض ثم انا نعلم قطعا انهم
ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدليل ولا اثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية
لها ولا اثبات الصفات والتنزيهات بالدليل والعلم بان اولئك الاعراب ما كانوا عالمين بهذه
الدقائق ضروري فعلمنا ان ايمان المقلد صحيح فان قيل انهم كانوا عالمين باصول دلائل هذه المسائل
لان اصول هذه الدلائل ظاهرة بل كانوا جاهلين بالتفاصيل اجيب بان الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان
فان الدليل اذا كان مثلا مركبا من عشر مقدمات فمن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلدا كان في
النتيجة مقلدا لا محالة + ولما كمل الدين امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بان يشتغل بنفسه فقال عز من
قائل فسبح اي نزه دائما بقولك وفعلك بالصلاة وغيرها تسبيحا ملتبسا بحمد ربك اي الذي يحوطك بالوعد
باكمال الدين وقمع المعتدين المحسن اليك بجميع ذلك لان هذا كله لكرامتك والا فهو عزيز

حيث على كل حال تعجبا لتيسير الله تعالى لهذا الفتح الذي لم يخطر ببال احد حامدا له عليه
او فصل له حامدا على نعمه قال ابن عباس روي انه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة بدأ بالمسجد
فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات واستغفره اي اطلب غفرانه تقتدي بك امتك في المواظبة
على الامان الثاني فان الاول الذي هو وجودك بين اظهرهم قد دنا رجوعه الى معدنه في الرفيق
الاعلى والمحل الاقدس وفي ذلك اشارة الى انه لا يقدر احد ان يقدر الله تعالى حق قدره كما
اشار الى ذلك الاستغفار عقب الصلوة التي هي اعظم العبادات وفي الصحيحين عن عائشة
انها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة بعد ان نزلت عليه سورة اذا جاء نصر الله
والفتح الا يقول استغفر الله واتوب اليه قال فاني امرت بها ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها
وقال عكرمة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور الآخرة ما كان عند نزولها
وقال مقاتل لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه وفيهم ابو بكر وعمر وسعد بن
ابي وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه كما قلت فعاش بعدها ستين يوما ما رئي فيها ضاحكا
مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما هذا يوم
فرح فقالا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة
الوداع ثم نزل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين
يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش
بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا وعشرين
يوما وقال مقاتل سبعة ايام وقيل غير ذلك وقال الرازي اتفق الصحابة على ان هذه السورة دلت
على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه احدها انهم عرفوا ذلك لما خطب صلى الله عليه وسلم
عقب السورة وذكر التخيير وهو قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته لما نزلت هذه السورة ان عبدا خيره
الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فقال ابو بكر رضي الله عنه فديناك بانفسنا واموالنا
وآبائنا واولادنا ثانيها انه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين افواجا دل ذلك على
حصول الكمال والتمام وذلك يستعقبه الزوال كما قيل اذا تم امر بدا نقصه * توقع زوالا
اذا قيل تم * ثالثها انه تعالى امره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا واشتغاله بذلك يمنعه من
الاشتغال بامر الامة فكان هذا كالتنبيه على ان امر التبليغ قد تم وكمل وذلك يقتضي انقضاء
الاجل اذ لو بقي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز وعن
ابن عباس ان عمر كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي
ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم
عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ولا اراه سألهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله

تعالى نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه
فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلوموني عليه بعد ما ترون وروى انه صلى الله
عليه وسلم دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه انى نعيت الى نفسى فبكت فقال لا تبكى فانك
اول اهلى لحوقا بى وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك
استغفرك واتوب اليك وعنها ايضا ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة بعد ان نزلت
اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى وقالت ام سلمة رضى الله
عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم آخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يجئ ولا يذهب الا قال سبحان الله
وبحمده استغفر الله واتوب اليه قال فانى امرت بها ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها وقيل
استغفره هضما لنفسك واستصغارا لعملك واستدراكا لما فرط منك من الالتفات الى غيره وعنه
عليه الصلوة والسلام انى استغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم
التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا
الا ورأيت الله قبله ولما امره الله تعالى بالتسبيح والاستغفار ارشده الى التوبة بقوله تعالى انه اى
المحسن اليك بالنصر والفتح وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر كان اى ولم يزل توابا اى رجاعا بمن
ذهب به الشيطان من اهل رحمته فهو الذى رجع بانصارك عما كانوا عليه من الاجتماع على
الكفر والافتراق والعداوات فايدك الله تعالى بدخولهم فى الدين شيئا فشيئا الى ان دخلت مكة
بعشرة آلاف وهو ايضا يرجع بك الى الحالة التى يزداد بها ظهور رفعتك فى الرفيق الاعلى قال الله تعالى وللآخرة
خير لك من الاولى فتفوز بتلك السعادات العالية وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة
التوديع قال قتادة ومقاتل عاش النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وهذا بناء
على انها نزلت قبل فتح مكة وهو قول الاكثر فان الفتح كان فى سنة ثمان واما من قال عاش دون ذلك فبناء
على انها نزلت بمنى فى حجة الوداع كما مر ايضا + تنبيه + فى الآية سؤالات احدها ان قوله تعالى كان توابا يدل
على الماضى وحاجتنا الى قبوله فى المستقبل ثانيها هلا قال غفارا كما قال فى سورة نوح عليه السلام
ثالثها انه قال تعالى نصر الله وقال تعالى فى دين الله وقال تعالى بحمد ربك ولم يقل بحمد الله واجيب
عن الاول بوجوه احدها ان هذا ابلغ كانه يقول انى تبت على من هو اقبح فعلا منكم كاليهود فانهم
بعد ما جوزوا المعجزات العظيمة كفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم واتوا بالقبائح ثم
لما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابلا لتوبة اولئك وهم دونكم افلا اقبل توبتكم وانتم خير امة اخرجت
للناس ثانيها انى شرعت فى توبة العصاة والشروع ملزم على قول النعمان فكيف فى كرم الرحمن
ثالثها كنت توابا قبل امركم بالاستغفار افلا اقبل وقد امرتكم بالاستغفار رابعها كأنه اشار الى
تخفيف جنايتهم اى لستم اول من جنى وتاب والمصيبة اذا عمت خفت خامسها كأنه تعالى
ما يقال لمن احسن الله اليك فيما مضى كذلك يحسن اليك فيما بقى واجيب عن الثانى

بوجهين احدهما لعله خص هذه الامة بزيادة الشرف لانه لا يقال في صفات العبد غفار ويقال تواب اذا كان آتيا بالتوبة فيقول تعالى كنت لي سميا من اول الامر انت مؤمن وانا مؤمن وان كان المعنى مختلفا فتب حتى تصير سميا لي في آخر الامر وانت تواب وانا تواب ثم التواب في حق الله تعالى انه يقبل التوبة كثيرا فيجب على العبد ان يكون اتيانه بالتوبة كثيرا ثانيهما انه تعالى انما قال توابا لان القائل قد يقول استغفر الله وليس بتائب كقوله عليه الصلاة والسلام المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزئ بربه فان قيل قد يقول اتوب وليس بتائب اجيب بان ذا يكون كاذبا لان التوبة اسم للرجوع والندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فيه فصار تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على ان خواتم الاعمال يجب ان تكون بالتوبة والاستغفار فكذا خواتيم الاعمار واجيب عن الثالث بانه تعالى راعى العدل فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعل مرتين احدهما الرب والثاني التواب ولما كانت التربية تحصل اولا والتوبة آخر الاجرم ذكر اسم الرب اولا واسم التوبة آخرا فنسال الله تعالى من فضله وكرمه ان يمن علينا بتوبة نصوح لا ننكثها بعدها ابدا فانه كريم رحيم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة حديث موضوع

سورة تبت مكية

وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

بسم الله المتكبر الجبار المذل للعناد الرحمن الذي عم بنعمته بعد الاكرام بالايجاد الرحيم الذي خص بتوفيقه اهل الوداد وقوله تعالى تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ دعاء عليه وسبب نزول ذلك ما روي عن ابن عباس انه قال لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين صعد صلى الله عليه وسلم الصفا وجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا عنده فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارأيتم لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا جميعا فنزلت وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل ونادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش وذكر نحوه وفي رواية فصعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال صلى الله عليه وسلم ارأيتم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا فنزلت وعن ابن زيد ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا اعطى ان آمنت بك يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال ما لي عليهم فضل فقال صلى الله عليه وسلم واي شيء تبتغي قال تبا لهذا من دين ان اكون وهؤلاء سواء فنزلت ومعنى تبت قال ابن عباس خابت وقال قتادة خسرت وقال عطاء ضلت وقال ابن جبير هلكت والتباب الهلاك ومنه قولهم

اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي
به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل رماه به فادمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة
البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وذلك على عادة العرب
في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه او عبر باليدين لان الغالب ان الاعمال تزاول بهما وقال
يمان بن رباب صفرت من كل خير حكى الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء انه لما قتل عثمان سمع
الناس هاتفا يقول شعر لقد خلوك وانصرفوا + فما ابوا ولا رجعوا + ولم يوفوا بنذرهم + فيا تبا
للذي صنعوا + وقيل المراد باليدين دينه ودنياه او اولاه وعقباه او المراد باحدهما جر المنفعة
وبالاخرى دفع المضرة او لان اليمين سلاحه واليسرى جنته وابو لهب هو ابن عبد المطلب عم
النبي صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى فان قيل لماذا كنى بذلك ولم يكن له ولد اسمه لهب
وايضا فالتكنية من باب التعظيم اجيب عن الاول بان الكنية قد تكون اسما كما سمي ابو سفيان
وابو طالب ونحو ذلك فان هؤلاء اسماؤهم كناهم او لتلهب وجنتيه وكان مشرق الوجه احمره واجيب
عن الثاني بوجوه احدها انه لما كان اسما خرج عن افادة التعظيم ثانيها ان اسمه كان عبد العزى كما مر
فعدل عنه الى كنيته لقبح اسمه لان الله تعالى لم يضف العبودية في كتابه الى صنم ثالثها انه لما كان
من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها كقولهم
ابو الخير وابو الشر لصدورهما منه او لان الكنية كانت اغلب من الاسم او لانها انقص منه ولذلك
ذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام باسمائهم دون كناهم وقال الزمخشري فان قلت لم كناه والكنية
تكرمة ثم ذكر ثلاثة اجوبة اما لشهرته بكنيته واما لقبح اسمه كما تقدم واما لانه لما كان من اهل
النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حالته كنيته اه وهذا يقتضي ان الكنية اشرف من اللقب
لا انقص وهو عكس قول تقدم وقرأ ابن كثير باسكان الهاء والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى نحو النهر
والنهر وقوله تعالى وتب خبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك فالاول خرج مخرج الدعاء عليه والثاني اخرج
مخرج الخبر تحقق به ما اريد من الاسناد الى اليدين من الكناية عن الهلاك الذي لا ايهام بعده
وقيل المراد بالاول ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وبالثاني نفسه
ولما دعا صلى الله عليه وسلم اقربيه الى الله تعالى وخوفهم النار قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي
حقا فاني افتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما اغنى عنه اي عن ابي لهب ماله اي الكثير الذي
جرت العادة انه ينجي من الهلاك فانه كان صاحب مواش كثيرة وما كسب اي من الولد والاصحاب
والعز بعشيرته التي كان يؤذي بها النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابنه عتبة شديد الاذى للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فكان ابو لهب
يعرف ان هذه الدعوة لا بد ان تدركه فسافر الى الشام فاوصى به الرفاق ليجيروه من هذه الدعوة
فكانوا يحدقون به اذا نام ليكون وسطهم والحمول محيطة به وهم محيطون بها والركاب محيطة

يوم فلم ينفعه ذلك بل جاء الاسد فتشمم الناس حتى وصل اليه فافترس رأسه وانما كان الولد من
الكسب لقوله صلى الله عليه وسلم اطيب ما ياكل احدكم من كسبه وان ولده من كسبه * تنبيه *
ما في ما اغنى يجوز فيها النفي والاستفهام فعلى الاستفهام تكون منصوبة المحل بما بعدها التقدير اى
شيء اغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام ويجوز في ما في قوله تعالى وما كسب ان تكون بمعنى الذى
فالعائد محذوف وان تكون مصدرية اى وكسبه واغنى بمعنى يغنى ثم اوعده سبحانه بالنار فقال تعالى
سَيَصْلَى اى عن قريب بوعد لا خلف فيه نارًا يندس فيها وتنعطف عليه وتحيط به ذَاتَ لَهَبٍ
اى لا تسكن ولا تخمد ابدا لان ذلك من لوازم الصفة المعبر عنها بذات وذلك بعد موته * ولما
اخبر تعالى عنه بكمال التباب الذى هو نهاية الخسار زاده تحقيرا بذكر من يصونها بازرى صورة واشنعها
بقوله تعالى وَامْرَأَتُهُ وهو عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهى ام جميل وهى اخت
ابى سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى مثل زوجها فى التباب
والصلى من غير ان يغنى عنها شيء من مال ولا نسب ولا حسب وعدل عن ذكرها بكنيتها لان
صفتها القباحة وهى ضد كنيتها قال البقاعى ومن هنا يؤخذ كراهة التلقيب بناصر الدين ونحوها
لمن ليس متصفا بما دل عليه لقبه وقوله تعالى حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فيه وجهان احدهما هو حقيقة قال
قتادة وكانت تعير النبى صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها
لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد كانت تحمل العضاه والشوك تلقيه فى الليل فى طريق
النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فكان النبى صلى الله عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير وقال مرة
الهمدانى كانت ام جميل تاتى فى كل يوم بابالة من الحسك فتطرحها فى طريق المسلمين فبينما هى
ذات ليلة حاملة حزمة عييت فقعدت على حجر تستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها الوجه الثانى
ان ذلك مجاز من المشى بالنميمة ورمى الفتن بين الناس ويقال للمشاء بين الناس بالنمائم المفسد بين
الناس يحمل الحطب بينهم اى يوقد بينهم النائرة ويثير الشر قال الشاعر
من البيض لم تصطد على ظهر لامة + ولم تمش بين الناس بالحطب الرطب +
جعله رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة
فى الشر وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره قال تعالى
يحملون اوزارهم على ظهورهم وقرأ عاصم بنصب التاء من حمالة على الشتم قال الزمخشرى وانا استحب
هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب شتم ام جميل اه والباقون برفعها
على انها صفة امرأته فانها مرفوعة باتفاق اما بالعطف على الضمير فى سيصلى كما مر ويكون قوله تعالى
فِى جِيدِهَا حَبْلٌ حالا من امرأته او على الابتداء وفى جيدها حبل هو الخبر وحبل فاعل به ويجوز ان يكون
فى جيدها خبرا مقدما وحبل مبتدأ مؤخرا والجملة حالية او خبر ثان والجيد العنق ويجمع على
اجياد وقوله تعالى مِنْ مَسَدٍ صفة الحبل والمسد ليف المقل وقيل الليف مطلقا وقال ابو عبيدة
هو حبل يكون من صوف وقال الحسن هى حبال من شجر ينبت باليمن يسمى المسد وكانت تفتله

وقال الضحاك وغيره هذا في الدنيا وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل
تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل به فأهلكها وهو في الآخرة حبل من نار فإن قيل إن كان
ذلك حبلها فكيف يبقى في النار أجيب بأن الله تعالى قادر على تجديده كلما احترق كما يبقى اللحم
والعظم والجلد أبدا في النار وعن ابن عباس قال هو سلسلة ذرعها سبعون ذراعا تدخل في فيها وتخرج
من أسفلها ويلوى سائرها على عنقها وقال قتادة هو قلادة من ودع وقال الحسن إنما كانت
خرزا في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى
لأنفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة وقيل إن ذلك إشارة إلى الخذلان
يعني أنها مربوطة عن الإيمان لما سبق لها من الشقاء كالمربوط في جيده بحبل من مسد والمسد الفتل
يقال مسد حبله يمسده مسدا أي أجاد فتله والجمع أمساد وروي أنها لما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها
من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر
وفي يدها فهر من حجارة تريد أن ترميه به فلما وقفت عليه أخذ الله تعالى ببصرها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر فقالت يا أبا بكر أين صاحبك قد بلغني أنه يهجوني والله
لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله إني لشاعرة مذمما عصينا + وأمره أبينا + ودينه قلينا
ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراك قال صلى الله عليه وسلم ما رأتني لقد أخذ الله تعالى
بصرها عني وكانت قريش إنما تسمي محمدا صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه وكان صلى الله عليه وسلم
يقول ألا تعجبون لما صرف الله تعالى عني من أذى قريش يهجون مذمما وأنا محمد انظر كيف كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحمل هذا الأذى ويحلم عليهم فينبغي لغيره أن يكون له به أسوة قال الله تعالى لقد كان
لكم في رسول الله أسوة حسنة * تنبيه * احتج أهل السنة على تكليف ما لا يطاق بأن الله كلف أبا لهب
بالإيمان بتصديق الله تعالى في كل ما أخبر عنه ومما أخبر عنه أنه لا يؤمن فإنه من أهل النار فقد صار
مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال وذلك مذكور في أصول
الفقه وقد تضمنت هذه الآيات الإخبار عن الغيب بثلاثة أوجه أحدها الإخبار عنه بالتباب والخسران
وقد كان ذلك ثانيها الإخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك ثالثها الإخبار عنه بأنه
من أهل النار وقد كان ذلك لأنه مات على الكفر هو وامرأته ففي ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
وامرأته خنقها الله تعالى بحبلها كما مر وأبو لهب رماه الله تعالى بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع
ليال فمات وأقام ثلاثة أيام لا يدفن حتى أنتن ثم إن ولده غسله بالماء قذفا من بعيد مخافة عدوى
العدسة وكانت قريش تتقيها كما تتقي الطاعون ثم احتملوه إلى أعلى مكة وأسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه
الحجارة وقيل إن الله تعالى يدخل امرأته جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل
حزمة الحطب ولا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من أصل شجرة الزقوم أو من الضريع
وفي جيدها حبل من مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يناسب حاله في جرمه وقول

قول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة حديث موضوع

سورة الاخلاص مكية

فى قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة ومدنية فى احد قولى ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى وهى اربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا

بسم الله الذى له جميع الكمال ذى الجلال والجمال الرحمن الذى افاض على جميع خلقه عموم الافضال الرحيم الذى خص اهل وداده من نور الانعام بالاتمام والاكمال * واختلف فى سبب نزول سورة قل هو الله احد فروى ابو العالية عن ابى بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فنزلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى من تدعونا يا محمد فقال الى الله تعالى قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت واهلك الله تعالى اربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من احبار اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى انزل صفته فى التوراة فاخبرنا من اى شئ هو وهل ياكل ويشرب ومن ورث ومن يورثه فنزلت * تنبيه * هو ضمير الشان وهو مبتدأ وخبره الله واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله تعالى على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية * فائدة * جاء فى الواحد عن العرب لغات كثيرة يقال واحد واحد ووحد ووحيد ووحاد واحاد وموحد واوحد وهذا كله راجع الى معنى الواحد وان كان فى ذلك معان لطيفة ولم يجئ فى صفات الله تعالى الا الواحد والاحد وقوله تعالى الله اى الذى ثبتت الهيته واحديته لا غيره مبتدأ خبره الصمد واخلى هذه الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها والصمد السيد المصمود اليه فى الحوائج والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالوهية لا يشارك فيها وهو الذى يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغنى عنهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما الصمد هو الذى لا جوف له وقال الشعبى هو الذى لا ياكل ولا يشرب وقال الربيع هو الذى لا تعتريه الآفات وقال مقاتل بن حبان هو الذى لا عيب فيه وقال قتادة هو الباقى بعد فناء خلقه وقال سعيد بن جبير هو الكامل فى جميع صفاته وافعاله وقال السدى هو المقصود اليه فى الرغائب المستغاث به عند المصائب تقول العرب صمدت فلانا اصمده صمدا بسكون الميم اذا قصدته وعن ابى بن كعب هو الذى لم يلد لانه من يلد سيموت ومن يموت يورث عنه ففسر الصمد بما بعده وينبغى ان تحمل هذه

التفاسير كلها تفسيرا واحدا فانه متصف بجميعها فلم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى من يعينه
او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه لذا وامه فى ابنيته والاقتصار على الماضى لوروده ردا على
من قال الملائكة بنات الله او العزير او المسيح او غيره + ولما بين انه لا فصل له ظهر انه لا جنس له فدل
عليه بقوله تعالى ولم يولد لانه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعقول فهو قديم لا اول
له بل هو الاول الذى لم يسبقه عدم لان الولادة لا تكون ولا تتشخص الا بواسطة المادة وعلاقتها
وكل ما كان ماديا او كان له علاقة بالمادة كان متولدا عن غيره والله سبحانه وتعالى منزه عن جميع
ذلك ولم يكن اى لم يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه ولا بتقدير من التقادير له اى خاصة
كفوا اى مثلا ومساويا احد على الاطلاق اى لا يساويه فى قوة الوجود لانه لو ساواه فى ذلك لكانت
مساواته باعتبار الجنس والفصل فيكون وجوده متولدا عن الازدواج الحاصل من الجنس الذى يكون كالام
والفصل الذى يكون كالاب وقد ثبت انه لا يصح بوجه من الوجوه ان يكون فى شئ من الولادة لان
وجوب وجوده لذاته فانتفى ان يساويه شئ وكان الاصل ان يؤخر الظرف لانه صلة لكن لما كان
المقصود نفى المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى كفوا وخبرا
او يكون كفوا حالا من احد وعطف هاتين الجملتين على الجملة التى قبلهما لان الثلاث شرح الصمدية
النافية لاقسام الامثال فهى كالجملة الواحدة روى ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى كذبنى ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما
تكذيبه اياى يقول لن يعيدنى كما بدانى وليس اول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله
ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لى كفوا احد وقرا حمزة بسكون الفاء والباقون بضمها وقرا حفص
كفوا بالواو وقفا ووصلا واذا وقف حمزة وقف بالواو وورد فى فضائل هذه السورة احاديث كثيرة
منها ما روى البخارى عن ابى سعيد الخدرى ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذى نفسى بيده انها لتعدل ثلث القران فان قيل لم كانت تعدل ثلث القران اجيب بان القران
انزل اثلاثا ثلث احكام وثلث وعد ووعيد وثلث اسماء وصفات فجمعت هذه السورة احد الاثلاث
وهو الاسماء والصفات وقيل انها تعدل القران كله مع قصر متنها وتقارب طرفيها وما ذلك الا لاحتوائها على
صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى بذلك دليلا لمن اعترف بفضلها ومنها ما روى مسلم عن عائشة
رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ فى صلاتهم فيختم بقل هو الله
احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاى شئ يصنع ذلك فسالوه فقال
لانها صفة الرحمن فانا احب ان اقراها فقال صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله تعالى يحبه + ومنها ما رواه
الترمذى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال صلى الله
عليه وسلم وجبت قلت ما وجبت قال الجنة + ومنها ما روى النسائى ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال من قرأ قل هو الله احد خمسين مرة غفرت ذنوبه + ومنها ما روى سعيد بن المسيب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ومن قرأها
عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور في الجنة فقال
عمر اذن تكثر قصورنا فقال صلى الله عليه وسلم الله اوسع من ذلك + ومنها ما رواه الطبراني عن
ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد بعد صلوة الصبح اثنتي
عشرة مرة فكانما قرأ القرآن اربع مرات وكان افضل اهل الارض يومئذ اذا اتقى وروى انه صلى الله
عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وامن من ضغطة
القبر وحملته الملائكة باكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة وقد افردت احاديثها بالتاليف
وفي هذا القدر كفاية لاولي الالباب ولها اسماء كثيرة وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى
احدها انها سورة التفريد ثانيها سورة التجريد ثالثها سورة التوحيد رابعها سورة الاخلاص
خامسها سورة النجاة سادسها سورة الولاية سابعها سورة النسبة لقولهم انسب لنا ربك
ثامنها سورة المعرفة تاسعها سورة الجمال عاشرها سورة المقشقشة حادي عشرها سورة المعوذة
ثاني عشرها سورة الصمد ثالث عشرها سورة الاساس قال اسست السموات السبع والارضين
السبع على قل هو الله احد رابع عشرها المانعة لانها تمنع فتنة القبر ونفحات النار خامس عشرها
سورة المحضر لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت سادس عشرها المنفرة لان الشياطين
تنفر عند قراءتها سابع عشرها سورة البراءة لانها براءة من الشرك ثامن عشرها المذكرة لانها
تذكر العبد خالص التوحيد تاسع عشرها سورة النور لانها نور القلب المكمل للعشرين سورة
الانسان قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الله فقال الله دخل حصني ومن دخل حصني
امن من عذابي فنسأل الله تعالى ان يجيرنا من عذابه ويدخلنا الجنة نحن وجميع الاحباب
بغير حساب لانه كريم حليم وهاب وما رواه البيضاوي من انها تعدل ثلث القرآن رواه
البخاري ومن انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرؤها الخ رواه الترمذي والنسائي وغيرهما

سورة الفلق مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية في قول ابن عباس وقتادة وهي خمس آيات
وثلاث وعشرون كلمة واربعة وسبعون حرفا

بسم الله الذي له جميع الحول الرحمن الذي استجمع كمال الطول الرحيم الذي اتم على اهل
وده جميع النول واختلف في سبب نزول سورة قل اعوذ برب الفلق فقال ابن عباس وعائشة
رضي الله عنهم كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود فلم يزالوا به
حتى اخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه واعطاها اليهود
فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت هذه وقل اعوذ برب الناس فيه

وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم طب اي سحر حتى كانه يخيل اليه انه صنع شيئا
وما صنعه وانه دعا ربه ثم قال اشعرت ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه فقالت عائشة رضي الله
عنها وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس احدهما عند راسي والآخر عند رجلي فقال احدهما
لصاحبه ما وجع الرجل فقال الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيماذا قال في مشط
ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في ذروان وذروان بئر في بني زريق قالت عائشة رضي الله عنها
فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن
نخلها رؤس الشياطين قالت فقلت يا رسول الله هل اخرجته قال اما انا فقد شفاني الله وكرهت
ان اثير على الناس منه شرا وعن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى
ذلك اياما فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا و
كذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك
خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما انشط من عقال قال فما ذكر ذلك اليهودي ولا راى وجهه
قط وروي انه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيها مشاطة من راسه
صلى الله عليه وسلم واسنان مشطه وعن مقاتل والكلبي كان ذلك في وتر عقد عليه احدى
عشرة عقدة وقيل كانت مغروزة بالابرة فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية
سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها
فقام صلى الله عليه وسلم كانما انشط من عقال وروي انه لبث فيه ستة اشهر واشتد عليه ثلاث
ليال فنزلت المعوذتان وروي انه كان يخيل له انه يطأ زوجاته وليس يواطئ قال سفيان وهذا اشد ما
يكون من السحر وعن ابي سعيد الخدري ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس وعين حاسد والله يشفيك
بسم الله ارقيك فان قيل المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره اولا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف
امر بالاستعاذة منه وان ما قدره لابد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة اجيب
بان كل ما وقع في الوجود فهو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله يدل على صحة ذلك
ما روى الترمذي عن ابي خزامة عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
ارأيت رقى نسترقي بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل يرد من قضاء الله شيئا قال هو من قدر الله
قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله الى قدر الله ومعنى اعوذ استجير والتجئ واعتصم
والفلق الصبح في قول الاكثرين ومنه قوله تعالى فالق الاصباح لانه ظاهر في تغير الحال ومحاكاة يوم القيامة
الذي هو اعظم فلق يشق ظلمة الفناء والهلاك بالبعث والاحياء وقال الملوي الفلق بالسكون والحركة كل
انفلق عنه ظلمة العدم واوجد من الكائنات جميعا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سجن في جهنم
وقال الكلبي واد في جهنم وقال الضحاك يعني الخلق وقيل المطمئن من الارض وجمعه فلقان مثل

خلق وخلقان وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه اى تنشق وقيل هو التفليق بين الجبال
لانها تنشق من خوف الله تعالى ولفظ الرب هنا اوقع من سائر اسمائه تعالى لان الاعاذة من المضار تربية
ولما كانت الاشياء قسمين عالم الخلق وعالم الامر وكان عالم الامر خيرا كله فكان الشر منحصرا فى عالم الخلق
خصه بالاستعاذة فقال تعالى معمما فيها مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ فخص عالم الخلق بالاستعاذة منه
لانحصار الشر فيه والشر يكون اختياريا من العاقل الداخل تحت مدلول ما وغيره من سائر الحيوانات
كالكفر والظلم ونهش السباع ولدغ ذوات السموم وتارة طبيعيا كاحراق النار واهلاك السموم
وقيل المراد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا شرا منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده
وقيل من شر كل ذى شر وقوله تعالى وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ فيه اوجه احدها ما روى عن عائشة
قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذى بالله من شر هذا
فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح حسن فعلى هذا المراد به
القمر اذا خسف واسود وذهب ضوءه او اذا دخل فى المحاق وهو اخر الشهر وفى ذلك الوقت
يتم السحر المؤثر للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة ثانيها ما روى عن ابن عباس
ان الغاسق الليل اذا وقب اى اقبل بظلمته من المشرق وسمى الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق
البرد وانما امرنا بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث ومنه قولهم الليل اخفى للويل
وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر وفيه يتم السحر واسند الشر اليه لملابسته له من
حدوثه فيه ثالثها انه الثريا اذا سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند
طلوعها فلهذا امرنا بالتعوذ من الثريا عند سقوطها رابعها انه الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه
والوقب النقب ومنه وقبت الثرى ولما كان السحر اعظم ما يكون لما فيه من تفريق المرء من زوجه وابيه
وابنه ونحو ذلك عقب ذلك بقوله تعالى وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ اى النساء او النفوس او الجماعات
السواحر اللواتى تعقد عقدا فى خيوط وينفثن عليها ويرقين عليها والنفث النفخ مع ريق وقال ابو عبيدة
النفاثات من بنات لبيد بن اعصم اليهودى سحرن النبى صلى الله عليه وسلم فان قيل ما معنى الاستعاذة
من شرهن اجيب بثلاثة اوجه احدها انه يستعاذ من عملهن الذى هو صنعة السحر ومن اثمهن فى ذلك
ثانيها ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن ثالثها ان يستعاذ مما
يصيب الله به من الشر عند نفثهن قال الزمخشرى ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله
تعالى ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث فى العقد او اللاتى يفتن الرجال بتعرضهن لهم
وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك. تنبيه. اختلف فى النفث فى الرقى فجوزه الجمهور من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض
احد من اهله نفث عليه بالمعوذتين وروى محمد بن حاطب ان يده احترقت فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل
ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه وروى ان قوما لدغ رجل منهم فاتوا اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

فقالوا هل فيكم من راق قالوا لا حتى تجعلوا لنا شيئا فجعلوا لهم قطيعا من الغنم فجعل رجل منهم يقرأ فاتحة الكتاب ويرقى ويتفل حتى برئ فاخذوه فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريك انها رقية خذوا واضربوا لي معكم بسهم وانكر جماعة النفث والتفل في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق وقال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل ان النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان فلا يضر وليس بمذموم ولا مكروه بل هو مندوب اليه + ولما كان اعظم حامل على السحر وغيره من اذى الناس الحسد وهو تمني زوال نعمة المحسود للحاسد وغيره قال تعالى ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ اي ثابت الاتصاف بالحسد معروف فيه واعظم الحساد الشيطان الذي ليس له داب الا السعي في ازالة نعم العبادات عن الانسان بالغفلات ثم قيد ذلك بقوله تعالى ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ اي اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد في اشعار الاية ادعاء بما يحسد عليه من نعم الدارين لان خير الناس من عاش محسودا ومات محسودا فان قيل لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه اجيب بان النفاثات عرفت لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين الحديث وقال ابو تمام + وما حاسد في المكرمات بحاسد + وقال آخر + ان العلا حسن في مثلها الحسد + فائدة + قال بعض الحكماء الحاسد بارز ربه من خمسة اوجه اولها انه ابغض كل نعمة ظهرت على غيره ثانيها انه ساخط لقسمة ربه كانه يقول لم قسمت هذه القسمة ثالثها انه ضاد فعل الله تعالى ان فضل بره من يشاء وهو يبخل بفضل الله تعالى رابعها انه خذل اولياء الله تعالى او يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم خامسها انه اعان عدو الله ابليس والحاسد لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة ولا ينال في الدنيا الا جزعا وغما ولا ينال في الآخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله تعالى الا بعدا ومقتا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم آكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل او حسد للمسلمين وقيل المراد بالحاسد في الآية اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل قوله تعالى من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد اجيب بانه قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امرهم وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر واخرج الامام احمد عن الزبير بن العوام انه صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء الا والبغضاء هي الحالقة فنسال الله تعالى ان يحفظنا ويحمينا منه انه كريم جواد وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال وانك ان تقرا سورتين

لا احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين وعن عقبة بن عامران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وما رواه الزمخشري ولم يقله البيضاوي هنا لكن قال في آخر السورة الآتية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى حديث موضوع

سورة الناس مكية

وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفا

بسم الله المحيط بكل باطن كاحاطته بكل ظاهر الرحمن الذي عمت نعمته كل باد وحاضر الرحيم الذي خص اهل وده باتمام النعمة في جميع امورهم الاول منها والاثناء والآخر ولما امر الله تعالى نبيه بالاستعاذة مما تقدم امره ان يستعيذ من شر الوسواس بقوله تعالى قل اي يا اشرف المرسلين اعوذ اي اعتصم والتجئ برب اي مالك وخالق الناس وخصهم بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لامرين احدهما ان الناس يعظمون فاعلم بذكرهم انه رب لهم وان عظموا الثاني انه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذي يعيذ منهم قال الملوي والرب من له ملك الرق وجلب الخيرات من السماء والارض وانقاذها ودفع الشرور ودفعها والنقل من النقص الى الكمال والتدبير العام العائد بالحفظ والتتميم على المربوب وقوله تعالى ملك الناس اشارة الى ان له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام السلطان فاليه المفزع وهو المستغاث والملجأ والمنجأ والمعاذ وقوله تعالى اله الناس اشارة الى انه تعالى كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه في ذلك احد فكذلك هو وحده الههم لا يشركه في الوهيته احد وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الايمان وتضمنت معاني اسمائه الحسنى فان الرب هو القادر الخالق الى غير ذلك مما يتوقف الاصلاح والرحمة والقدرة الذي هو معنى الربوبية عليه من اوصاف الجمال والملك هو الآمر الناهي المعز المذل الى غير ذلك من الاسماء العائدة الى العظمة والجلال واما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل فيه جميع الاسماء الحسنى ولتضمنها لجميع معاني الاسماء الحسنى كان المستعيذ جديرا بان يعاذ وقد وقع ترتيبها على الوجه الاكمل الدال على الوحدانية لان من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم ان له مربيا فاذا ادرج في العروج في درج معارفه سبحانه علم انه غني عن الكل والكل اليه محتاج وعن امره تعالى تجري امورهم فيعلم انه ملكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد ابداعهم انه المستحق للالهية بلا مشارك له فيها * فائدة * قد اجمع جميع القراء في هذه السورة على اسقاط الالف من مالك بخلاف الفاتحة كما مضى لان المالك اذا اضيف الى اليوم افهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض وانه لا امر لاحد معه ولا مشاركة في شئ من ذلك وهو معنى الملك بالضم واما اضافة المالك الى الناس فانها لا تستلزم ان يكون ملكهم فلو قرئ به هنا لنقص الملك بالضم واطبقوا في

ابن عمران على اثبات الالف فى المضاف وحذفها من المضاف اليه لان المقصود من السياق انه
سبحانه يعطى الملك من يشاء ويمنعه من يشاء والملك بكسر الميم اليق بهذا المعنى واسرار كلام الله تعالى
اعظم من ان تحيط بها العقول وانما غاية اولى العلم الاستدلال بما ظهر منها + تنبيه + يجوز فى ملك الناس
واله الناس ان يكونا وصفين لرب الناس وان يكونا بدلين وان يكونا عطف بيان واقتصر عليه الزمخشرى
قال كقولك سيرة ابى حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره
رب الناس كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله
الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قيل هلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذى هو الناس
مرة واحدة اجيب بان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار من شر الوسواس
وهو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به
شيطان سمى بالمصدر كانه وسوسة فى نفسه لانها صنعته وشغله الذى هو عاكف عليه
او اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ويقال لحس الصائد والكلاب واصوات الحلى
وسواس والشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم كما فى الصحيح فهو الذى يوسوس بالذنب
سرا ليكون احلى ولا يزال يزينه ويثير الشهوة الداعية اليه حتى يوقع الانسان فاذا اوقعه وسوس
لغيره ان فلانا فعل كذا حتى يفضحه بذلك فاذا افتضح ازداد جراءة على امثال ذلك كانه يقول قد وقع
ما كنت احذر من ايقاعه فلا يكون شئ غير الذى كان فيجترئ على الذنب + ولما كان الله تعالى
لم ينزل داء الا انزل له دواء غير السام وهو الموت وكان قد جعل دواء الوسوسة ذكره تعالى فانه
يطرد الشيطان وينير القلب ويصفيه وصف سبحانه الموسوس عند استعماله الدواء بقوله تعالى
الخناس اى الذى عادته ان يخنس اى يتوارى ويتأخر ويختفى بعد ظهوره مرة بعد مرة كلما كان الذكر
خنس وكلما بطل عاد الى وسواسه فالذكر له كالمقامع التى تقمع المفسد فهو شديد النفور منه
ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلا كما حكى عن بعض السلف ان المؤمن يضنى شيطانه كما يضنى الرجل
بعيره فى السفر قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان
فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال راسه كراس الحية واضع راسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه فاذا ذكر الله
تعالى خنس ورجع ووضع راسه فذلك قوله تعالى الذى يوسوس اى يلقى المعانى الضارة على وجه الخفاء
والتكرير فى صدور الناس اى المضطربين اذا غفلوا عن ذكر ربهم من غير سماع وقال مقاتل ان الشيطان
فى صورة خنزير يجرى من ابن ادم مجرى الدم فى عروقه سلطه الله تعالى على ذلك وقال القرطبى ووسوسته
هى الدعاء الى طاعته بكلام خفى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع صوت + تنبيه + يجوز
فى محل الذى يوسوس الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان
يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذى يوسوس على احد هذين الوجهين وقوله تعالى من الجنة
اى الجن الذين هم فى غاية الشر والتمرد والخفاء والناس اى اهل الاضطراب والذبذبة بيان

الذى يوسوس على ان الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال تعالى شياطين الانس والجن ويجوز ان يكون بدلا من الذى يوسوس اى الموسوس من الجن والانس وان يكون حالا من الضمير فى يوسوس اى حال كونه من هذين الجنسين وقيل غير ذلك قال الحسن هما شيطانان لنا اما شيطان الجن فيوسوس فى صدور الناس واما شيطان الانس فياتى علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وعن ابى ذر قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس فقال او من الانس شياطين قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن الآية وذهب قوم الى ان المراد بالناس هنا الجن سموا ناسا كما سموا رجالا فى قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وكما سموا نفرا فى قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن وكما سموا قوما نقل الفراء عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا اناس من الجن فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة ويكون التكرير لاختلاف اللفظين والجنة جمع جنى كما يقال انس وانسى والهاء لتانيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس فى صدور الجن كما يوسوس فى صدور الناس فعلى هذا يكون فى صدور الناس عاما فى الجميع ومن الجنة والناس بيانا لما يوسوس فى صدورهم وقيل معنى من شر الوسواس الوسوسة التى تكون من الجنة والناس وهو حديث النفس قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تجاوز لامتى عما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تر آيات نزلت الليلة لم ير مثلهن قط اعوذ برب الفلق واعوذ برب الناس وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما راسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وعنها ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأهما عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار وعن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وعن ابى هريرة انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما اذن الله لاحد ما اذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به + لطيفة + ختم بها كما ختم بها الفخر الرازى رحمه الله تعالى تفسيره وهى ان المستعاذ به فى السورة الاولى مذكور بصفة

واحدة وهي انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة انواع من الآفات وهي الغاسق والنفاثات والحاسد واما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاث وهي الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة والفرق بين الموضعين ان الثناء يجب ان يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة الاولى سلامة النفس والبدن والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت اعظم من مضار الدنيا وان عظمت + وهذا آخر ما يسره الله تعالى من السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير فدونك تفسيرا كأنه سبيكة عسجد او در منضد جمع من التفاسير معظمها ومن القراءات متواترها ومن الاقاويل اظهرها ومن الاحاديث صحيحها وحسنها فحرر لذلك لاني في هذا الفن مظهر الدقائق استعملت الفكر فيها اذا الليل جن فاذا ظفرت بفائدة شاردة فادع لي بالتجاوز والمغفرة او بزلة قلم او لسان فافتح لها باب التجاوز والمعذرة فلا بد من عيب فان تجد عيبا + فسامح وكن بالستر عطفا بفضل + فمن ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقد تمت سوى خير مرسل + والله اسأل ومن تبعهم بكلمات الله الكاملة التامة والرجاء بفضل رحمته الشاملة العامة من كل ما يشين الدين ويثلم اليقين او يعود في العاقبة بالندم او يقدح في الايمان المسوط باللحم والدم واسأله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلال الله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذي هو الشيبة في الاسلام متوسلا اليه بسيد الانام عليه الصلاة والسلام وبالتوبة الممحصة للآثام وبما عنيت به من مسائل على تواتر من الفوز وتعاذل من الخذا ثم اساله بحق صراطه المستقيم وقرآنه المجيد الكريم وما لقيت من كد اليمين وعرق الجبين في عمل هذا التفسير المبين ان ينفعني به وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يخلصني من مضايقه المقام على خواصي المثبت في مداحضه المكتنز بالفوائد التي لا توجد الا فيه المحيط بما لا يكتنه من بديع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتجنب المستكره المملول المتوسط الجيد وخير الامور اوساطها لا تفريطها ولا افراطها هذا ولسان التقصير في طول مدحه قصير سه اعيذه بالمصطفى + من حاسد اذى هما + بغمه وقذفما + من اجله + فهما + فليس يبغي ذمه + الا بغيض احمق + مستفاه ربي شرهم + وزان من شأنه الرسما + وزاد في شأنه بربهم + نعم بالبر والتقى + ورزقهم بنيلهم + فهما او اغتما + وزاده سعادة + وكلا منه الشمول + فنسأل الله الكريم الذي سبحه الضر والنفع والاعطاء والمنع ان يجعله لوجهه خالصا وان يبارك لي بالطافه اذا الظل اضحى في القيامة قالصا وان يجعله ذخيرة لي عنده انه ذو الفضل العظيم وان يرفع به درجتي في جنات النعيم وان يجعله ذخيرة لي عنده انه ذو الفضل العظيم وان يقربه من تلقاه بالقبول انه جواد كريم وان يخفف عني كل تعب ومؤنة وان يمد لي بحسن المعونة وان يعينا

الى خاتمة للخير ويقينى مصارع السوء واديمنا ونحن نرجاك يوم التناد ولا يفضحنى بين اعين رؤس الاشهاد انا ووالدى واولادى واقاربى ومشايخى واحبابى ويحلنا دار المقام من فضله بواسع طوله وسابغ نوله انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم وهذا شئ ما كان منى قد بذلت فانى والله معترف بقصور الباع وكثرة الزلل ولكن فضل الله وكرمه لا يعلل بشئ من العلل فلهذا رجوت ان اكون متصفا باحدى الخصال الثلاث التى اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا منها بل ارجو من الله الكريم اجتماعها انه جواد كريم حليم قال المؤلف رحمه الله تعالى وكان الفراغ من تاليفه يوم الاثنين المبارك ثالث عشر صفر الخير من شهور سنة ثمان وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلام على يد مؤلفه فقير رحمة ربه القريب محمد بن احمد الشربينى الخطيب غفر الله تعالى له ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه والمسلمين والحمد لله رب العالمين وصلوة الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين والصحابة والتابعين اجمعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين

تم الطبع

صورة ما حرره الحبر المدقق والفاضل المحقق النحرير المعظم العالم المفتى ابو البشر والد الشيخ لوى شهيبان جان سلمه الرحمن

الحمد لله الذى خلق الانسان من نطفة امشاج فجعله سميعا بصيرا + ثم هديه السبيل ونصب له الدليل ووعد المؤمنين جنة وحريرا واعد للكافرين اغلالا وسعيرا + وانزل على عبده الفرقان وبين البرهان قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا + واوحى الى حبيبه المختار ما وعظ المشركين والكفار قل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا + والصلوة والسلام على رسوله النبى الامى الذى ارسل الى كافة الناس بشيرا ونذيرا + وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا + وعلى اله واصحابه الذين فضلهم الله على سائر الخلق فضلا وتكبيرا وعلى من تبعهم ورثتهم من العلماء والفقهاء والمحدثين المجتهدين الذين بينوا الحج والبينات وفسروا القران احسن تفسيرا

اما بعد فيقول العبد الضعيف المذنب الراجى الى ربه القوى ابو البشير محمد شهيبان جان ابن الشيخ محمد على الصديقى محتدا واللكنوى مولدا والحنفى مذهبا والقادرى مشربا عفى الله عنهما انه كان على كل شئ قديرا لما فرغ الفارغ عن طبع تفسير القران الذى عجزت عن بيوغ شانه جهابذة الانس والجان وقصرت عن فهمه افكار ملائكة الرحمن

الفه الشيخ الامام الهمام العلام النحرير الخطيب محمد ابن احمد الشربيني
وسماه بسراج المنير نور الله مرقده واعلى درجته فانه بذلك حقيق جدير بين فيه
غوامض مشكلات كتاب الله ومعضلاته وصرح مجملاته ومفصلاته
وسلك مسالك الحزم والاحتياط واختيار المهمات في تنقيح الناسخ والمنسوخ
من الايات واختلاف القراءات وبيان الروايات الصحيحة المعتبرة من الموضوعات
كانه جامع لمسائل الفقهية الجزئيات مانع عن اخبارات الرهبنة الضعيفة
الغير المستندات تبيان لدلائل الاعجاز واسرار البلاغة ايضاح لمعالم الايجاز
واثار الفصاحة كشاف عن حقائق التنزيل مفتاح لدقائق التاويل مطلع على
نكت نظم القران ولطائفه مخبر بما في الصناعات من العلوم ومعارفه شعر
لا يبرح الواصف المطري خصائصه + وان يك سابقا في كل ما وصفا
وطبع في المطبع العالي المشهور من مطابع الدهور المنسوب الى الامير المتصف
بصفات الجود والسخا والمروة والعطا مستكره عن الكبر والفرور مستبشر في الهمة
في انفاع العام بالراحة والسرور مقتفي اثار القيصر والفغفور المنشي نولكشور
لا زال شموس اقباله طالعة الى يوم النشور في بلدة اللكنو
المكان الخاص لمالك المطبع الواقع في محلة المعروف
بحضرة نجنج نقله عن نسخة الصحيحة المعتبرة المطبوعة
في اعظم البلدان الشهير مصر سنة ثلث وتسعين
بعد الالف والمائتين من هجرة نبي الثقلين
مطابقا لسنة ست وسبعين
وستمائة والف المسيحية على
نبينا وعليه السلام
والتحية اواخر شهر
رجب المرجب

كتبه اغا مرزا